

# مَجَلَّةُ الْاَزْهَرِ

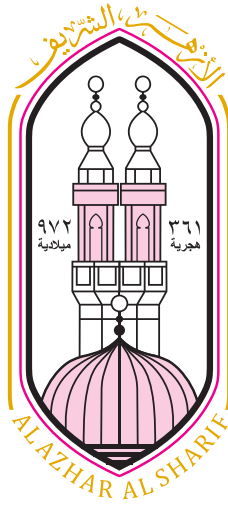
مَجَلَّةُ شَرْيَةِ جَامِعَةِ

تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي



المجلد الأول

السنة ١٣٤٩ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

[www.azhar.eg](http://www.azhar.eg)

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

لبوان - ماليزيا

[www.saqifat-alsafa.org](http://www.saqifat-alsafa.org)

E-mail : [info@saqifat-alsafa.org](mailto:info@saqifat-alsafa.org)



مقدمة  
لمجلة الأزهر الشريف

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر

أ. د. / أحمد الطيب

شيخ الأزهر الشريف

رئيس مجلس حكماء المسلمين

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ، وصَلَّى الله وسلَّم وبارك على سَيِّدِنَا ومولانا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ  
الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وأصحابِهِ الهُدَاةِ المَهْدِيِّينَ .. وبعد ؛

فمن تجربتي المتواضعة في مجالِ التَّأليفِ الأكاديمي أُنَّني كُنْتُ أَشْعُرُ بِأَنَّ  
« المُقَدِّمَاتِ » التي تُعَرِّفُ بِالْكُتُبِ ، غالبًا ما تكون أصعب في إنشائها من تصنيف  
كتاب أو إنشاء مقالة أو بحث مهما تنوَّعتْ موضوعاتها ، وبالغَّة ما بلغت من  
العُمقِ والتَّعْقِيدِ .. وغير خافٍ ، على كُلِّ مَنْ زاولوا هذه الأبحاثِ العِلْمِيَّةَ ،  
تلك « الصُّعُوبَةُ » التي تنتظر المؤلِّفَ حين يَفْرغُ من تصنيف كتابه ويجد نفسه  
مُطَالِبًا بكتابة مُقَدِّمَةٍ أو مدخل أو تصدير أو ما شِئَتْ من هذه الأسماء التي يثقل  
الوفاء بها ، ويشعر المؤلِّفُ حيالها بما لم يكن يَشْعُرُ به من قبل ، وهو غارقٌ في  
أبحاث الكتاب ، ومسائله وقضاياها .. ولعلَّ السَّبَبُ في ذلك هو فرق ما بين طبيعة  
« المُقَدِّمَةِ » وطبيعة « الكتاب نفسه » ، من التزام الإيجاز ، ومحاولة التعريف التام ،  
والتعرُّض للاختصار المُخِل وصعوبة تجاوزه أو التَّفَلُّت منه .

فإذا ما كان مُقَدِّمُ الكتاب شخصًا آخر غير مُؤلِّفه ؛ فإنَّ المهمة تزدادُ مَشَقَّةً  
وعُسْرًا ، إذ على المُقَدِّمِ - حينئذٍ - أَنْ يُحْكِمَ - أَوَّلًا - صلته بالكتاب الذي يُقَدِّمُ له  
ويُحِيط بقضاياها : عِلْمًا ومَعْرِفَةً وَقُدْرَةً على إبراز ما انطوى عليه من مَيِّزَاتٍ تُشْجِعُ  
على نشره ؛ ولعلَّ « أمانة » القول في هذا الأمر هي ما يتحسَّب له كثيرٌ من مُقَدِّمي  
الْكُتُبِ بعباراتٍ اعتذارِيَّةٍ مثل : « لقد أُلْقِيتُ على الكتاب نظرة سريعة » ، أو « نظرة  
خاطفة » ، أو « سَرَّحتِ النَّظَرَ على عجل » ، أو عباراتٍ أخرى تُعفي صاحب  
« التقدمة » أو « التصدير » من مسؤولية التَّعْرِيفِ بالكتابِ تعريفًا علميًا دقيقًا .

والعمل الذي طُلِبَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدِمَهُ - اليوم - هو من طُورٍ آخر ، ومن نَمِطٍ مختلف يستحيل على فردٍ أو جماعةٍ أَنْ يُعَرِّفُوا به تعريفاً تاماً أو ناقصاً دون أَنْ يَقْعُوا في العيوبِ المُفسدة للتعريف ، حَدّاً كان ذلك التعريف أو رسماً أو حتى : إشارةً .

هذا العمل هو « مجلة الأزهر » التي أصدرتها - ولا زالت تصدرها - مشيخة الأزهر الشريف أوّل كل شهر عربي ، على مدى خمسة وتسعين عاماً هجريّاً ، أو ثلاثة وتسعين عاماً ميلادياً ، وتحديدًا ، بدءاً من : شهر المحرم عام ١٣٤٩ هـ الموافق لشهر يونية عام ١٩٣٠ م وحتى اليوم دون انقطاع . .

وقِصَّةُ هذه « المجلّة » الفريدة ودورها التاريخي في دعم الإسلام والعروبة ، عبرَ ما يقرب من قرنٍ من الزمان ، تستحقُّ أَنْ يتوقَّفَ أمامها القارئ بكلِّ فخار وإجلالٍ وتعظيمٍ ، وهو يتجولُّ في أروقتها الثقافية الأصيلة : علماً وأدباً وذوقاً وحواراً وتبصرةً وتبصيراً ، وخطاباً مُهذَّباً رفيع المستوى للمؤمنين وغير المؤمنين على السواء .

ولقد طُرِحَتْ فكرة « إصدار مجلّة للأزهر » قبل أَنْ تُولَدَ هذه المجلّة وترى النور بنحوِ ثلاث سنوات تقريباً ، حين تقدّم صاحب العِزّة : عبد العزيز محمد بك بمذكرة إلى المجلس الأعلى للمعاهد الأزهرية في ٣ جمادى الثانية ١٣٤٥ هـ / ٨ ديسمبر ١٩٢٦ م ، يقترح فيها تخصيص مبلغ في ميزانية المعاهد لإنشاء مجلة إسلامية ، وبعد حوالي سبعة أشهر من البحث والمناقشة ، وفي ٨ محرم سنة ١٣٤٦ هـ / ٢٧ يوليو ١٩٢٧ م قرّر المجلس تأليف لجنة من بعض كبار العلماء لدراسة الاقتراح ومُتابعة تطوراتها التي انتهت بإدراج مبلغ ستة آلاف جنيه في فبراير ١٩٢٩ م تُخصَّص للإنفاق على المجلّة .

ولمّا تولّى الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهري<sup>(١)</sup> مَشِيخة

(١) هو : محمد الأحمدى بن إبراهيم الظواهري ، فقيه شافعي ، ولد في قرية كفر الظواهري

الأزهر ، عهد بأمر إصدار المجلة إلى عبد العزيز بك محمد مديراً عاماً للمجلة ، وإلى الشيخ محمد الخضر حسين<sup>(١)</sup> رئيساً لتحريرها . وصدر العدد الأول منها في الأول من المحرم ١٣٤٩ هـ / مايو ١٩٣٠ م بعنوان : « نور الإسلام : مجلة علمية أخلاقية تاريخية حكمية » ، تصدرها مشيخة الأزهر الشريف أول كل شهر عربي » .

وقد حمل هذا العدد في افتتاحيته بقلم الشيخ محمد الحضر حسين - أسباب إصدار هذه المجلة ، والقواعد الخلقية والإنسانية التي ستتيقّد بها المجلة من أول يوم فيها كمنهج ثابت وخطة ملزمة<sup>(٢)</sup> . . وأول ذلك : أن كل ما يرد فيها إنما يصدر عن قلب سليم ووطن حسن ، وأن صفحاتها لن تحمل في يوم من الأيام هجوماً على الأديان أو طعنًا عليها أو إساءة إلى رجالها بقول يكرهونه ، فالقائمون على أمر المجلة يُدركون إدراكًا عميقًا أن شيئًا من ذلك سينتهي - لا محالة - إلى إشعال الفتن ، وإيقاظ بواعث التفرقة بين أبناء الوطن الواحد . . وأمر آخر حرصت المجلة على النصّ عليه نصًّا صريحًا ، هو أن خطّها الذي تسير عليه لا يمسّ « السياسة » ولا يتداخل معها في أيّ شأنٍ من شؤونها لا من قريب ولا من بعيد ،

---

بالشرقية ، سنة ( ١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨ م ) ، وتعلّم في الأزهر ، وأخذ عن الشيخ محمد عبده وآخرين ، عيّن شيخًا للأزهر سنة ( ١٩٢٩ م ) واستقال سنة ( ١٩٣٥ م ) ، في عهده صدرت مجلة الأزهر وكانت بعنوان « نور الإسلام » ، وتحول الأزهر إلى جامعة على نظام حديث ، وتوفي بالقاهرة سنة ( ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م ) . انظر : « الأعلام » للزركلي : ٢٦ / ٦ ، ٢٧ .

(١) هو : محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي ، عالم إسلامي أديب باحث ، ولد في نفطة من بلاد تونس سنة ( ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م ) ، وتخرّج في جامع الزيتونة والأزهر الشريف ، وكان عضوًا بالمجمعين العربيين بدمشق والقاهرة ، وتولى مشيخة الأزهر سنة ( ١٣٧١ هـ ) واستقال سنة ( ١٣٧٣ هـ ) ، وتوفي بالقاهرة سنة ( ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م ) . انظر : « الأعلام » للزركلي : ١١٣ / ٦ ، ١١٤ .

(٢) الشيخ محمد الخضر حسين ، في مقاله الافتتاحي للعدد الأول ، المحرم ١٣٤٩ هـ ص ٤ .

وَأَنَّ خُطَّتْهَا فِي عَمَلِهَا هِيَ الْإِلْتِمَامُ بِكُشْفِ الْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ الَّتِي تُلْصَقُ بِالِدِّينِ ،  
وَتَقْنِيدِ الشُّبْهِ الَّتِي يوردها الْمُلْحِدُونَ وتلاميذهم على أَصُولِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا . .  
وَأَنَّ أَبْوَابَهَا سَتَدُورُ عَلَى : « التَّفْسِيرِ وَالسُّنَّةِ وَالسِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَأَصُولِ الدِّينِ ، ودفع  
الشُّبْهِ وَأَصُولِ الْفَقْهِ وَالْفَتَاوَى وَالْأَحْكَامِ وَالْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَآرَاءِ الْبَاحِثِينَ ، وَالتَّارِيخِ  
وَالْتَّرَاجُمِ ، وَأَنْبَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَالطَّرْفِ وَالْمُلَحِّ » .

وَوَاضِحٌ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ مَجَلَّةَ الْأَزْهَرِ كَانَتْ تَصْدُرُ مِنْذُ عَدَدِهَا الْأَوَّلِ ( ١٣٤٩ هـ )  
بِاسْمِ : « نَوْرُ الْإِسْلَامِ » ، وَأَنَّهَا ظَلَّتْ تَصْدُرُ بِهَذَا الْاسْمِ قَرَابَةَ سِتِّ سِنُونَ ، حَتَّى  
تَوَلَّى الشَّيْخَ مُحَمَّدَ مَصْطَفَى الْمِرَاغِي مَشِيخَةَ الْأَزْهَرِ فغَيَّرَ اسْمَهَا مِنْ : « مَجَلَّةُ  
نَوْرِ الْإِسْلَامِ » إِلَى : « مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ » ، يَقُولُ الْأُسْتَاذُ مُحَمَّدُ فَرِيدُ وَجْدِي <sup>(١)</sup> مَدِيرُ  
الْمَجَلَّةِ فِي فَاتِحَةِ السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِمَجَلَّةِ الْأَزْهَرِ ( الْمَحْرَمُ ١٣٥٥ هـ ) : « لَقَدْ عَلِمَ  
الْقُرَّاءُ أَنَّ هَذِهِ الْمَجَلَّةَ قَدْ اسْتَبَدَلَتْ اسْمَ « مَجَلَّةِ الْأَزْهَرِ » بِاسْمِ « مَجَلَّةِ نَوْرِ  
الْإِسْلَامِ » مِنْذُ عِدَّةٍ أَشْهُرٍ ، وَهُوَ عَمَلٌ قَدْ اعْتَبَرُوهُ حَسَنًا مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، لِأَنَّهُ أَبَيَّنَ  
لِعَزْوَتِهَا وَأَدْلَى عَلَى صِبْغَتِهَا » ثُمَّ قَالَ : « وَمِمَّا يَجْدُرُ أَنْ يُبَشِّرَ بِهِ أَنْصَارُ هَذَا الدِّينِ  
أَنَّ حَضْرَةَ صَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الْأُسْتَاذِ الْأَكْبَرِ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ مَصْطَفَى الْمِرَاغِي وَاضِعَ  
أَسَاسِ هَذِهِ الْمَجَلَّةِ رَأَى أَنْ يُنْشَرَ إِلَى جَانِبِهَا مَلْحَقٌ لَهَا بِاللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ عَمَلًا  
عَلَى تَعْمِيمِ الْفَائِدَةِ الدِّينِيَّةِ مِنْ وَجْهِ ، وَاسْتِكْمَالًا لِأَدَوَاتِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ  
جِهَةٍ أُخْرَى » <sup>(٢)</sup> ، وَيُحَدِّدُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ كَامِلُ الْفَقِي تَارِيخَ تَغْيِيرِ اسْمِ الْمَجَلَّةِ

(١) هُوَ : مُحَمَّدُ فَرِيدُ بْنُ مَصْطَفَى وَجْدِي ، مِنْ الْكِتَابِ الْفَضْلَاءِ الْبَاحِثِينَ ، وَلِدَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ سَنَةَ  
( ١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨ م ) ، أَصْدَرَ بَعْضَ الصُّحُفِ ، وَتَوَلَّى تَحْرِيرَ مَجَلَّةِ الْأَزْهَرِ نَيْفًا وَعَشْرَ سِنِينَ ،  
وَأَلَّفَ كِتَابَهُ « دَائِرَةُ مَعَارِفِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ ، الْعَشْرِينَ » وَغَيْرِهِ ، وَتَوَفَّى بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ( ١٣٧٣ هـ -  
١٩٥٤ م ) . انْظُرْ : « الْأَعْلَامُ » لِلزُّرْكَالِيِّ : ٣٢٩ / ٦ .

(٢) مُحَمَّدُ فَرِيدُ أَبُو حَدِيدٍ ( مَدِيرُ الْمَجَلَّةِ ) ، فِي افْتِتَاحِيَةِ السَّنَةِ السَّابِعَةِ ، الْجُزْءِ الْأَوَّلِ الْمَجْلَدِ السَّابِعِ  
١٣٥٥ هـ .

بأنّه : « كان في منتصف السّنة السّادسة من سنة ١٣٧٤ هـ »<sup>(١)</sup> .

هذا وقد تولّى إدارة مجلة الأزهر ثلّة من كبار العلماء والأدباء والمفكرين ،  
يذكر المؤرّخون منهم : الشيخ محمد الخضر حسين والأستاذ محمد فريد وجدي  
الذي تولّى إدارة المجلة وترأس تحريرها فترة تقرب من عشرين عامًا ( ١٩٣٣ هـ -  
١٩٥٢ م ) « قدّم فيها للقراء أكثر من خمسمائة بحث »<sup>(٢)</sup> ، ثم تعاقبت بعده على  
رئاسة « المجلة » : الأديب الشهير الأستاذ / أحمد حسن الزيّات<sup>(٣)</sup> ، والشيخ محمد  
عرفة<sup>(٤)</sup> ، والدكتور محمود الخضيرى<sup>(٥)</sup> ، والشيخ عبد اللطيف السبكي<sup>(٦)</sup> ،

(١) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ، سلسلة مجمع البحوث ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ج ١ ،  
ص ١٩٤ .

(٢) انظر د . يحيى سالم صالح : مجلة الأزهر وموقفها تجاه القضايا الإسلامية . . . ، رسالة دكتوراه  
كلية أصول الدين ( القاهرة ) ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م ، ص ١٢ .

(٣) هو : أحمد حسن الزيات ، أديب مصري ، ولد بقرية دميرة مركز طلخا بالدقهلية ، ودرس  
في الأزهر ، وتعلّم الفرنسية ، وأحرز إجازة الحقوق الفرنسية ، وأسّس مجلة « الرسالة » ، وكان  
عضوًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، توفي سنة ( ١٩٦٨ م ) . انظر : « الموسوعة العربية الميسرة » :  
ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٤) هو : محمد أحمد عرفة ، شيخ جليل ، ومفكر ناب ، له مكانته العلمية في الأزهر ، ولد  
بمحافظة كفر الشيخ سنة ( ١٣٠٧ هـ - ١٨٩٠ م ) ، والتحق بالأزهر الشريف وتخرّج فيه ، وكان عضوًا  
بهيئة كبار العلماء ، كما عيّن مديرًا لتحرير مجلة « الأزهر » لمدة عام ، وتوفي سنة ( ١٣٩٢ هـ -  
١٩٧٣ م ) . انظر : « الأزهر في ألف عام » لمحمد عبد المنعم خفاجي : ١٦١ / ٣ - ١٦٩ .

(٥) كان أستاذًا للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة الملك فؤاد الأول - القاهرة حاليًا - ووكيلًا  
للبحوث والثقافة الإسلامية للأستاذ الأكبر شيخ الأزهر . وحقّق كتاب « التمهيد » للباقلاني مشاركة  
مع الدكتور / محمد أبو ريدة ، وراجع كتاب « لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة »  
لأبي المعالي الجويني ، بتحقيق : فوقيّة حسين . توفي سنة ( ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ) .

(٦) هو : الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي ، كان من أجل علماء الأزهر الشريف ، وعضوًا بجماعة  
كبار العلماء ورئيسًا للجنة الفتوى بالأزهر ، ومديرًا لمجلة الأزهر ، وتوفي سنة ( ١٩٦٩ م ) . انظر :  
« الأزهر في ألف عام » لمحمد عبد المنعم خفاجي : ٤٠١ / ٣ ، ٤٠٢ .

والشيخ عبد الرحيم فودة<sup>(١)</sup> أحد أساتذتي الأجلاء في كُلِّية أصول الدِّين في أواخر ستينات القرن الماضي .

### وبعد /

فليسَ من مقصودنا من هذه الأسطر القليلة أن نُلمَّ بقسماتِ مجلَّة الأزهر ولا ملامحها ، ولكن قصدنا أن نقول كلمة تُشيرُ ولو من بعيدٍ إلى هذا « الأفق المتعالي » من علومِ الدِّين ، النقلية والعقلية ، ومن كنوز المعرفة على اختلاف أذواقها ومناهلها ومشاربها ، ويكفي أن نُشير إلى أن صدور هذه « المجلة » اليوم في مُجلَّداتٍ تربو على مائة مُجلَّد ، وفي صفحاتٍ تزيد على مائة ألف صفحة ، يَشْهَدُ أَوَّلًا على عظمة هذا المعهد العريق ، ولتساوق مع تاريخه العلميِّ والتعليميِّ الذي يزيد على ألف عام ، ولا يزال يقصده عشرات الآلاف من أبناء المسلمين في شرق البلادِ وغربها لينهلوا من علومه ومعارفه وثقافته ، ومن تكوينه العلمي والتربوي الذي تتعانق تحت ظلاله علومُ العقلِ والنقلِ والذُّوق .

كما يشهد صدورها - ثانيًا - على عظمة مُؤسَّسة « سَقِيفَة الصِّفا العِلْمِيَّة » ، التي أقدمت على نشر هذا العمل الجَبَّار العملاق ، والذي لا يُقدِّم عليه إلا رجال صدَّقوا ما عاهدوا الله عليه من إخلاص وتجرُّد في إنصاف هذا الدِّين وإبراز محاسنه ، وإنقاذ شبابه وتخليص وعيه من حملاتِ التزييف والتضليل والتشكيك التي تُحاصره من غربٍ ومن شرقٍ . . وأين - اليوم - مَنْ يَجْرؤُ على طبع أكثر من مائة ألف صحيفة وفي عملٍ شاقٍّ ومُكلِّفٍ لا يرجو من ورائه إلا وجه العِلْم والعِلْم الصَّحيح وحده !!

(١) هو : الشيخ عبد الرحيم فودة ، ولد في قرية دنشواي بالمنوفية سنة ( ١٩١٤ م ) ، والتحق بالأزهر الشريف ، وتخرَّج في كلية اللغة العربية ، وعيِّن مديرًا لمجلة « الأزهر » ، وله مؤلَّفات عدَّة ؛ منها « شرح عبقریات العقاد » ، وتوفي سنة ( ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ) . انظر : « جمهرة أعلام الأزهر الشريف » : ٢٩٥/٦ ، ٢٩٦ .

وإني ، وإن كنتُ أعلمُ أنَّ القائمين على هذه المؤسسة المباركة لا ينتظرون كلمة شكرٍ واحدةٍ لا من الأزهر ولا من غير الأزهر إلا أنَّ رسولنا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - أدبنا باحترامٍ أُولى الفضل وأصحاب المروءة والمعروف ، وحثنا على ذلك في قوله الشريف : « مَنْ لَمْ يَشْكِرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكِرِ اللَّهَ » فإلى القائمين والعاملين في مؤسسة « سَقِيفَةِ الصِّفَا الْعِلْمِيَّةِ » الشَّامخة . . إليهم جميعاً شُكر الأزهر : شيوخاً وعلماءً وطلاباً وعاملين على تفضلُّهم بإضاءة منارة من مناراته الشامخة وتجليتها لعيون العلماء والباحثين وعقولهم ، بعد ما طَمَرَهَا الزَّمن ، وطَوَّتْهَا الأَيَّام ، وعَلَاها الغُبار .

أحمد الطَّيِّب  
شيخ الأزهر

تحريراً بمِخْة الأزهر الشريف

في: ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ١٤٤٤ هـ  
الموافق: ١٥ من يناير سنة ٢٠٢٣ م



# نور الاسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

فهرس

المجلد الاول

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م



# فهرس موضوعات المجلد الاول

(١)

الموضوع	بقلم	صفحة
آداب الجلوس على الطرقات ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	٤٢٣
آثار برج بابل ... ..	قلم الترجمة	٦٥٧
الاب الشغل وواجبه في التربية ... ..	صاحب العزة الأستاذ مدير المجلة	٣٠٧
أثر الاسلام في الحضارة ... ..	حضرة الفاضل الامتاذ شحاته محمد الجويني	٦١٠
أثر الثقافة الاسلامية في تطور النهضة الفكرية	» » » صادق ابراهيم عرجون	٧٩١ ، ٧٠٠
الاجتهاد ... ..	فضيلة الأستاذ رئيس التحرير	٣٦
الاجسام المتحجرة ... ..	قلم الترجمة	٥٥١ ، ٤٧١
أجوبة عن أسئلة شرعية ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	٣٧٠
أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم ... ..	... ..	٣٨٣
استرشاد الانسان بالملكة النباتية والحيوانية	قلم الترجمة	٣٨٥
استكشاف أثرى جديد ... ..	» »	٥٤٦
استكشاف أدوات ذهبية وفضية ... ..	» »	٦٨٤
الاستصحاب ... ..	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٢٧٨
استخراج غذاء المواشى من الاخشاب البالية	قلم الترجمة	٦٩٩
الاسلام دين الفطرة ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	١٨٨ ، ١٢٨ ، ٢٤ } ٤٢٥ ، ٣٤ ، ٢٨٤ } ٥٧٦ ، ٥٢١ }
الاسلام في بلاد الانجائز ... ..	قلم الترجمة	٣٨٠
أسرار البيضة ... ..	» »	٤٦٦

الموضوع	بتلم	صفحة
أصول سعادة الامة ... ..	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٣٢٣
الاصول النظرية الشرعية ... ..	» » » »	٢٠٤
أغراض النشاط الاقتصادى ... ..	قلم الترجمة	٧١٥
اقتحاحية المجلة ... ..	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٣
اكتشاف جديد لمكافحة حمى الملاريا ...	قلم الترجمة	٦١٧
الامثلية فى التربية النفسية ... ..	قلم الترجمة	٦١٣
الانحراف عن الدين . علله . آثاره . دواؤه	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٨٣
انقضاء عصر المنظار ... ..	قلم الترجمة	٤٦٠
أنواع اللغات ... ..	» »	٥٩٧
الايمان بالله ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	١٤
الايمان بالله ومناقشة الطبيعيين ... ..	» » » » »	٩٧

## ( ب )

الباية أو البهائية ... ..	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٣٥٥
البعث ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	١٠٦
بناء الشريعة على حفظ المصالح ودرء المفاسد	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	١٣٩

## ( ت )

تأسيس معهد أسموط الدينى وخطبة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر	... ..	٥٥٧
تأثير أشعة رنتجن على الجرائم ... ..	قلم الترجمة	٥٥٦
تأثير درجة الحرارة على النباتات ... ..	» »	٦٣٠
تأثير المضغ فى الانتفاع بالاعذية ... ..	» »	٥٨٣
التاريخ الهجرى ... ..	... ..	٧٠٩
تجارب وأفكار فيها فضل استقصاء ... ..	صاحب العزة الاستاذ مدير المجلة	٣٠٧

الموضوع	بقلم	صفحة
التجول وأثره في التربية الوطنية ... ..	قلم الترجمة	٧١٠
تحية ونقد ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ محمود عرنوس	٢٧٥
تربية المؤلؤ في اليابان ... ..	قلم الترجمة	٣٣١
التربية الصامته ... ..	صاحب العزة الاستاذ مدير المجلة	٤٧٥
ترجمة الفصل العاشر من السيرة النبوية للسيدین أدينية وسایمان ابراهيم الجزائرى	» » » » »	١٤٧ ، ٦٢
التسمم بغاز الفحم ... ..	قلم الترجمة	٦٣٨
تصحیح ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	٣٢٠
تعريف الاقتصاد السیاسى ... ..	قلم الترجمة	٦١٨
تفسير ( ربنا ايك توكلنا واليك أنبنا ) ...	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	٧
تفسير قصة سيدنا شعيب عليه السلام ...	» » » » »	٢٤٩ ، ١٦٩ ، ٩٠ ٤٨٩ ، ٤٠٩ ، ٣٢٨ ٧٤٤ ، ٦٥٠ ، ٥٦٩
التفسير ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٧٣٤
تفسير بعض الالفاظ العالمية ... ..	قلم الترجمة	٤٦٩
التفقه في الدين وأثره في المسامین ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	٢٦٨
تقاريف ... ..	حضرى الفاضلین محمود شكرى ومصطفى أبوعلى	٣١٥

## (ج)

الجرائم تنكش حتى لا ترى ... ..	قلم الترجمة	٣٩٩
الجرائم وحرائق المزارع ... ..	» »	٤٣٣
الجلد سیاج لجسم الانسان ... ..	» »	٦٢٧
الجن ... ..	حضرة الاستاذ محمد الحسینى رها افندى	٢٩٢
الجواب عن إیراد ابن القيم ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٢٧٦
الجواب عن نقد ... ..	» » » حسن منصور	٤٠٠

## (ح)

الموضوع	بقلم	صفحة
حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في مسألة معاملته فرنسا للبربر بالمغرب الاقصى ... ..	... ..	٣٤٢
حديثان كلاهما حكمة بالغة ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	٣٣
الحديث المتواتر وحكم ما رواه الامامان البخارى ومسلم ... ..	» » رئيس التحرير	٥٤٣
حرية الانسان . تكليفه . القضاء والقدر ...	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٢٩٩
حركة التبشير المسيحى في العالم الاسلامى للقس زويمر	تعريب الاستاذ محمد الحسينى رخا فندى	٧١
الحصول على الصوف بطريقة صناعية ... ..	... ..	٤٣٣
حكم النوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ...	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٨٨
حكم شرب الدخان فى المساجد ... ..	» » » »	٥٩١
حكم شرب الدخان فى مجالس القرآن ... ..	» » رئيس التحرير	٣٥٣
حكم القراءة للاموات ... ..	» » يوسف الدجوى	٥٨٦
الحياة الاقتصادية ... ..	قلم الترجمة	٧١٥ ، ٦١٨ ، ٤٦١

## (خ)

خلاعة النساء تقودنا الى الهاوية ... ..	حضرة الاستاذ على الجندى	٣٧٥
خيالات الضريح المنسوب الى عبد الله بن سلام	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٥٤١

## (د)

دعوة نصارى العرب الى الدخول فى الاسلام	... ..	٦٤٠
دفع شبهة فى حديث ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٨٤
الدهاء والاستقامة ... ..	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٦٤٣
الدين ضرورى للعمران ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٣٣٢ ، ١٨٠

## ( ذ )

الموضوع	بقلم	صفحة
الذبيح اسماعيل لا إسحاق ... ..	حضرة الفاضل عبد العزيز نصحي	٢٩٨

## ( ر )

الرؤية عن بعد ... ..	قلم الترجمة	٦٢٣
روابط الاخاء ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	١٢٢

## ( ز )

الزكاة ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	١١٦
---------------	-------------------------------------	-----

## ( س )

سموم الافاعى ضد الافاعى السامة ... ..	قلم الترجمة	٥٥٠
سوانح ومقتبسات ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥١٤
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ... ..	... ..	٧١٩

## ( ش )

شباك طبيعية لصيد الاسماك ... ..	قلم الترجمة	٤٤١
شرح حديثين شريفين فى التربية ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	٥٠٦
شرح حديث شريف فى التربية ... ..	» » » » »	٧٥٦ ، ٦٦٧ ، ٥٩٢
شرح مسألة الاقتداء بالخالف فى المذهب ... ..	رئيس التحرير	٤٤٨
الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان	» » » » »	٢٠٤ ، ١٣٩ ، ٣٦١ ، ٥٣٤ ، ٢٧٨
شركات التأمين على الحياة ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٦٦٩
الشعور بالتغيرات الجوية ... ..	قلم الترجمة	٦٣٨
الشفاعة ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٧٧١

## (ص)

الموضوع	بقلم	صفحة
صدق العزيمة أو قوة الارادة ... ..	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٤٠٣
صلة الرحم وغيرها ... ..	» » الشيخ حسن منصور	١٩٨
صنع الصور واقتناؤها ... ..	» » رئيس التحرير	٧٨٠

## (ض)

الضوء والعمل ... ..	قلم الترجمة	٦١٢
---------------------	-------------	-----

## (ط)

الطيارات وكيف تطير ... ..	قلم الترجمة	٥٤٧
---------------------------	-------------	-----

## (ظ)

ظاهرة مرئية ... ..	قلم الترجمة	٦٧٢
--------------------	-------------	-----

## (ع)

العشور على نباتات سامة جديدة ... ..	قلم الترجمة	٦٢٢
العدل في معاملة الاطفال ... ..	صاحب العزة الاستاذ مدير المجلة	٣٩٠
علاقة الاخلاق بالشريعة الاسلامية والقانون الوضعي	فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الله صيام	٢١٧، ٧٨
العلماء والاصلاح ... ..	» » رئيس التحرير	١٦٣
العلم يحميننا من سطو اللصوص ... ..	قلم الترجمة	٦٣٤

## (غ)

غاز مرطب لمنازل المناطق الحارة ... ..	قلم الترجمة	٤٢٢
غرائب الحاصلات ... ..	الاستاذ محمد الحسيني رخا افندى	٧٦
العواصم وكيف تغوص ... ..	قلم الترجمة	٦٣١
الغيرة على الحقائق والمصالح ... ..	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٤٨٣



## ( ف )

صفحة	بـقـلـم	الموضوع
٣٣٢	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	الفرق بين المؤمن وغيره ... ..
٦٥٨	» » » ابراهيم الجبالى	فضيلة الصبر ... ..
٦٣٩	... ..	فقيه الاسلام والشرق مولانا محمد على ...

## ( ق )

٤٥٦	قلم الترجمة	القسر والحرية فى التربية ... ..
٤٤٢	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	قضية البربر بالمغرب الاقصى ... ..

## ( ك )

٥٦٣	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	كبر الهممة فى العلم ... ..
٥٩٨	... ..	كتاب ياحد فى آيات الله ... ..
٧١٩	... ..	كتاب الدين الاسلامى ... ..
٧٩٠	... ..	كتاب المبسوط ... ..
٧٦٤	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	كرامات الاولياء ... ..
٦٠	صاحب العزة الاستاذ مدير المجلة	كلمة فى أغراض المجلة ... ..
٤٣٤	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	كلمة تثير محبة الله فى القلوب المستعدة ... ..
٦٠٧	» » » محمد سليمان السرتي	كلمة موجزة ... ..
٧٤	الاستاذ محمد الحسينى رخا افندى	كيف يميز الثؤللو الطبيعى من الصناعى ... ..

## ( ل )

٢٠٣	حضرة الاستاذ الشيخ حسن القاياتي	للأدب والتاريخ ... ..
٤٦٥	قلم الترجمة	اللاسلكى وكيف يصل الى الاسماع ... ..
٧٩١	حضرة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	لمحة من التاريخ ... ..
٢١١	حضرة الاستاذ على الجندى	ليست بمستشفيات ولا مدارس لكنهما معا هد تبشير

## (م)

صفحة	بقلم	الموضوع
٧١٥، ٦١٨، ٤٦١	قلم الترجمة	مبادئ عامة في الاقتصاد السياسى ...
٤٧٦، ٣٩٠، ٢٢٦	صاحب العزة الاستاذ مدير المجلة	مثال من رعاية الالمان بتربية أولادهم ...
٥٢١	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	محاسن الاخلاق فى الشريعة الاسلامية ...
٢٤٣	» » رئيس التحرير	المدنية الفاضلة فى الاسلام ...
٥٤٠	... ..	مدارك المرام فى مسالك الصيام ...
٥٣٤	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	مراعاة العرف ...
٤٥١، ٢٣٧	حضرة الفاضل خليل مذكور	المسامون فى روسيا ...
٣١٢	قلم الترجمة	المسامون فى يوغوسلافية ...
٤٩٧	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	معجزاته صلى الله عليه وسلم الحسية ...
٦٧٢	» » » » »	المعراج ...
٥٤٠	... ..	المعاهدات والمحالفات ...
٧٤	تعريب الاستاذ محمد الحسينى رخا افندى	مقتطفات علمية ...
٧٦	» » » » »	مقتطفات جغرافية ...
٧٢٣	» » رئيس التحرير	مكانة الازهر وأثره فى حفظ الدين ورقى الشرق
٢٢٦	صاحب العزة الاستاذ مدير المجلة	الموقف الحقيقى للمربي إزاء الطفل ...
٢٢١	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	مولده صلى الله عليه وسلم ونسبه الشريف
٥٣٣، ٤٥٥	... ..	موجز تاريخ مصر والاسلام ...
٥٦٠	قام الترجمة	ميل النباتات لشرط طبقات أرضية خاصة ...

## (ن)

٤٩٧، ٤١٥، ٤٣	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	نبوته صلى الله عليه وسلم ...
٣١٦	قلم الترجمة	نشأة الحروف الابدجية ...

صفحة	بقلم	الموضوع
٤٦١	قلم الترجمة	النشاط الاقتصادي ... ..
٣٣٩	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	النفاق وعلاماته ومضاره ... ..
٣١٩	» » محمد محي الدين	تقصد ... ..
٤٠٠	حضرة الفاضل محمد كيلافي سالم	تقصد ... ..
٦٨٥	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	نموذج من تقصد الشعر ... ..

(هـ)

٥٤	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	الهجرة النبوية ... ..
٦٤٠	... ..	هدية نفيسة ... ..

(و)

٤٦٨	قلم الترجمة	الورائة ... ..
-----	-------------	----------------



وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية في أجزاء المجلة العشرة نذكرها هنا  
ليستدرّكها حضرات القراء :

### أغلوط الجزء الاول

ص	س	خطا	صواب	ص	س	خطا	صواب
١	٢	أدع	أدع	٣٢	٢٨	وعين	وهو عين
١	٢	أحسن	أحسن	٣٢	٢٨	تروها	ترودها
٤	٧	الصادرة	الصادرة	٣٤	٤	تجاتهم	تجارتهم
٥	٢٠	السياسية	السياسة	٣٤	٦	ويرضيان	ويرضيا
٩	١١	التتوكلون	التتوكلون	٣٤	١٧	إدفع	ادفع
١١	٢٧	الحكيم	الحكيم به	٣٥	١٤	وعظمة	وعظة
١٢	١٢	المسامون	المسلمين	٣٦	٢٠	أتوا	أوتوا
١٢	١٦	الناس	للناس	٣٩	٥	يرون	يروون
١٣	٢	المسامون	المسامين	٣٩	٢٦	أخلفظ	أخلفض
١٣	١١	ورسله	ورسوله	٤٤	٢١	العلياء	العليا
١٤	١٠	برزا	برزوا	٤٨	٨	لعلمه	لعمله
١٤	١٥	إثارة	أثارة	٤٨	١٠	وأورع	وأروع
١٨	١	يدل على عدم	يدل على عدم	٤٩	٥	الامبورطية	الامبراطورية
٢١	٩	تأتى معها	تأتى به معها	٥٠	١٨	ويومئذ يفرح المؤمنون	ويومئذ يفرح المؤمنون
٢١	٢٤	يكون اذا	يكون الحال اذا	٥٢	١٦	رُميت	رُميت
٢٢	٨	بأوردة	بالأوردة	٥٣	١٢	ومن عنده أم الكتاب	ومن عنده علم الكتاب
٢٥	١٦	به	بها	٥٣	٢٢	بينهما	بينها
٢٧	٢٧	مبثوثة	مبثوثة	٥٥	٤	معرفون	معروفون

ص	س	خطا	صواب	الجزء الثاني	ص	س	خطا	صواب
٥٦	١٨	المسلمون	المسلمين					
٥٦	٢٦	محمد	محمد					
٥٧	٨	معكم	منكم					
٥٨	١٦	عاصمة	عاصمه					
٥٨	٢١	الغلاب	الغلاب					
٦٥	٣	العادية مآذن	العادية الى مآذن					
٦٥	١٢	بالاماني	للأمانى					
٦٥	١٣	الموضوعة	الموضونة					
٦٦	٢٣	اختبار	أخبار					
٦٧	٧	ورق	رق					
٦٧	١٥	منها	فيها					
٦٩	٤	أنه	ان					
٦٩	٩	تيرنجير	بيرنجير					
٦٩	١٤	الى العرب ماتدين به	ما تدين به الى العرب					
٧٠	٤	ذروة	الى ذروة					
٧٢	٧	بأن	أن					
٧٣	٢٠	أتينا	آتيننا					
٧٣	٢١	شكر	يشكر					
٧٦	٢٣	كل	كلا					
٧٨	٤	العلاقات	من العلاقات					
٨٠	٢	الدين والعقل	الدين والنفس والعقل					
٨٠	٢٣	والقصاص	قصاص					
٨٤	٥	وقوم	وقوم					
٨٤	٦	له به الدين	له بالدين					
٨٩	١١	ذكاء	زكاة					
٩٠	١٦	إن ربى بما تعلمون محيط	إن ربى بما تعلمون محيط					
٩٠	١٧	سوف تعلمون	سوف تعلمون					
٩٨	١٩	جوستافليون	جوستاف لويون					
٩٩	٢٣	اشعاعا	شعاعا					
١٠٠	١٩	تربوا	ترتبوا					
١٠٣	٤	الأكثر ذرات	الأكثر ذرات					
١٠٣	١٥	نظرياتهم	نظرياتهم					
١٠٣	١٥	ان ثم	ان تم					
١٠٧	٥	من أجهل	من أجهل الجهل					
١٠٧	٢٢	آباءنا	آباءنا					
١٠٨	١٥	ويتوسم	ويتوسم					
١١١	٤	التفضى	التفصى					
١١١	٧	النبي	للنبي					
١٢٣	١٨	وفقهم	وفقهم					
١٢٩	١٧	إذا	إذ					
١٣٢	٥	المعنيان	المعنيان					
١٣٣	١١	مبثوثة	مبثوثة					
١٣٣	١٥	ولكن سياق	ولكن لما كان سياق					

صواب	خطا	س	س	صواب	خطا	س	س
الشقاق	الشقاء	١٢	٣٤٧	العالم كله على ما فيه	العالم كله عن قدرة واحدة على ما فيه	٥	١٣٥
أبيض أباج	أباج	١٨	٣٤٧	روح	روح	١٨	١٣٨
تغذق	تقذف	٢٣	٣٤٧	إذ لو تغير عما كان عليه الوحي	إذ لو تغير عما كان عليه زمن الوحي	١٢	١٤٣
الانفاق	البر بالانفاق	٢	٣٤٩	الجزء الثالث			
بينما	حينما	١٨	٣٤٩				
الشر	الشيء	١٠	٣٥٠	بهذا تعلم أن هذا	مامش بهذا أن هذا	١٧٣	
فلو تمسكنا	فلو اشتربنا	٤	٣٥١	في تعلم المكيال	في المكيال	١٧٣	
القراض	القرض	١١	٣٥١	لهم فيها ما يشاؤون	لهم ما يشاؤون فيها	٧	١٧٧
المتكافلين	الكافلين	١٦	٣٥١	القيم	القيم	٢	١٨٨
فقل لي	فقل	١٧	٣٥١	قائده	فائدة	٥	١٨٩
رب	ربي	١	٣٥٢	والمستبعد	والمستبعد	١٠	١٩٤
نور تهدي	تهدي	١	٣٥٢	الجزء الرابع			

## الجزء السادس

يخف	يخفف	٧	٤٠٦
وتدبر	وتدير	٨	٤٠٦
ما يفتح الله للناس	وما يفتح الله للناس	٨	٤٣٥
ثمة	ثمت	١٨	٤٣٧
تسطيع	تستطيع	٢٠	٤٣٧
وأنه تعالى	وأن تعالى	٢١	٤٣٧
تلقا	تلف	١٨	٤٥٧

وهدي ورجة لقوم	وهدي ورجة وبشرى للمسلمين	٢١	٢٥٢
نفز	نفر	٧	٢٩٣

## الجزء الخامس

تمحيها	تمحيها	١٦	٣٢٣
من الآخر أظهر	سن الآخر إلى	٢٠	٣٤٤
قد تتطلع	تتطلع	١٠	٣٤٦
إلا اذا	اذا	١٣	٣٤٦
يحتاج	يصح	٢٣	٣٤٦

كما وقع خطأ في رقم الملزميتين الاوليين من الجزء الثانى والسابع .

( مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية ١٠٠٠٠ / ٥ / ١٩٣١ )





المرجو من القارئ الكريم تصحيح الكلمات الاتية

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١	٢	أدع	أدع	٤٨	٨	لعله	لعمله
١	٢	أحسن	أحسن	٤٨	١٠	واورع	وأورع
٤	٧	الصادرة	الصادرة	٤٩	٥	الامبورطية	الامبراطورية
٥	٢٠	السياسية	السياسة	٥٢	١٦	رُميت	رُميت
٩	١١	المتوكلون	المتوكلون	٥٣	٢٢	بينهما	بينها
١١	٢٧	الحكيم	الحكيم	٥٥	٤	معروفون	معروفون
١٢	١٢	المسلون	المسلين	٥٦	١٨	المسلون	المسلمين
١٢	١٦	الناس	للناس	٥٦	٢٦	محمد	محمد
١٣	٢	المسلون	المسلمين	٥٧	٨	معكم	منكم
١٣	١١	ورسله	ورسوله	٥٨	١٦	عاصمة	عاصمه
١٤	١٠	برزا	برزوا	٥٨	٢١	الغلاب	الغلاب
١٤	١٥	إثارة	أثارة	٦٥	٣	العادية مآذن	العادية الى مآذن
١٨	١	يدل عدم	يدل على عدم	٦٥	١٢	بالاماني	للاماني
٢١	٩	تأتى معها	تأتى به معها	٦٥	١٣	المرضوعة	الموضونة
٢١	٢٤	يكون اذا	يكون الحال اذا	٦٦	٢٣	اختبار	أخبار
٢٢	٨	بأوردة	بالأوردة	٦٧	٧	ورق	رق
٢٥	١٦	به	بها	٦٧	١٥	منها	فيها
٢٧	٢٧	مبثوة	مبثوة	٦٩	٤	أنه	ان
٣٢	٢٨	وعين	وهو عين	٦٩	٩	تير بجير	بير بجير
٣٢	٢٨	تروها	ترودها	٦٩	١٤	الى العرب ما تدین به	ما تدین به الى العرب
٣٤	٤	تجارتهم	تجارتهم	٧٠	٤	ذروة	الى ذروة
٣٤	٦	ويرضيان	ويرضيا	٧٢	٧	بأن	أن
٣٤	١٧	إدفع	ادفع	٧٣	٢٠	أتينا	آتيننا
٣٥	١٤	وعظمة	وعظة	٧٣	٢١	شكر	يشكر
٣٦	٢٠	أتوا	أوتوا	٧٦	٢٣	كل	كلا
٣٩	٥	يرون	يروون	٧٨	٤	العلاقات	من العلاقات
٣٩	٢٦	الحفظ	الحفض	٨٠	٢	الدين والعقل	الدين والنفس والعقل
٤٤	٢١	العلياء	العليا	٨٠	٢٣	والقصاص	قصاص



قَدْ جَاءَكُمْ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ وَضَوَاءَهُ يُبْسِلُ السَّلَامَ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ وَهْدِهِمْ هِجْرَةً إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \*

# نور الايمان

مجلة دينية علمية اخلاقية تاريخية فكرية

تُصَدَّرُ لَهَا مِشْقَطَاتُ الْإِسْلَامِ وَالْإِسْلَامِ

أول كل شهر عربي

٤٥  
٤٤

مدير ادارة المجلة : **العجمي** من أعضاء مجلس الازهر الاعلى

رئيس التحرير : **السيد محمد الخضر حنين** من علماء الازهر

مكتب المجلة بالأدارة العامة للبعاهد الدينية بشارع فهمى رقم ١٩

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكمونه باسم مدير المجلة

داخل القطر المصرى	٤٠	} قيمة الاشتراك السنوى
لطلبة المعاهد والمدارس	٢٠	
خارج القطر المصرى	٥٠	



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالتَّى هِيَ أَحْسَنُ ﴾  
(قرآن كريم)

الحمد لله الذى أخرجنا من الظلمات إلى النور ، وأنزل القرآن حكمة بالغة وشفاء لما فى الصدور ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، المؤيد بآيات تنفى عن النفوس قذى الريب والجحود وتملؤها بقرارة اليقين ، وعلى آله الذين اقتدوا به فأقاموا صروح التقوى على أثبت أساس ، وصحابه الذين دعوا الى سبيل الحق بالحجة فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، ورحم الله من نبذ الأهواء والأوهام ، وقال :  
ربى الله ثم استقام

أما بعد فالاسلام هداية خالصة ، ومطلع حياة زاهرة ، ما نزل بأرض إلا خرجت من جهالة إلى علم ، ومن غواية إلى رشد ، ومن خمول الى نباهة قدر ، ومن هوان إلى عزة جانب ، واذا شهد التاريخ على جماعة من المسلمين بجهالة أو خلاعة أو بطالة أو احتمال مهانة ، فما ذاك إلا أنهم لم يكونوا من تعاليم الاسلام على بينة ، أو لأن أفئدتهم فى غطاء من الشهوات فلم يكن لهم فى العمل على هذه التعاليم من نصيب وما زال الاسلام على جلاء حقائقه وروعة حكمته يبتلى بطوائف يصدون عن سبيله فى لون من المداجاة والرياء ، وآخرين ينصبونه العداوة فى جهل وغرور ، وكان أهل العلم فيما سلف على يقظة مما يعمل هؤلاء وهؤلاء ، فيقعدون لهم كل مرصد ، ويزيجون شبههم ، ويرفعون الغطاء عن سرائرهم وما تكن أقوالهم ، فيذهب باطلهم زاهقاً وتبقى كلمة الحق هى العليا

ولم يكن للجاهلين على الاسلام قبل اليوم طريق يهاجمونه منه غير حديث يناجى به الرجل بعض النفوس التى يجدها على شفا حفرة من الغواية ، أو تأليف بعض الكتب كما فعل ابن الراوندي وفريق من الباطنية ، وكان أهل العلم يأخذون فى دفاعهم هذه الطريقة نفسها ، فيؤلفون الرسائل والكتب ويقطعون بها حبل إغوائهم ، ويحفظون الأمة من عدوى أمراضهم

أما اليوم فقد تهيأت لخصوم الدين الحنيف طرق أخرى ينفذون منها الى ما ينتغون من إشاعة قول باطل ، أو تزيين عمل خاسر ، ومن أشد هذه الطرق خطراً الكتابة في المجلات السيارة ، فقد يسبق الى بعض قرائها أنها لا تنطق برأى إلا أن يكون موزونا ، ولا تدعو الى عمل إلا أن يكون مرضيا

أجل\* في المجلات خبر كثير ، وفيها مع هذا الخير صحف لا تتحرى مواطن النصيحة فيكون لبعض ما تنشره أثر في افساد القلوب غير يسير

وإذا كانت المؤلفات الصادرة عن الصراط السوى فيما سلف انما تقع في أيدي أفراد من الناس غير كثير ، فقد تهيأ لها اليوم بوسيلة المطابع أن تنزل في كل واد ، وتقذف بوساوسها في كل ناد ، فأصبح لهذه المؤلفات من الأثر ، أكثر مما كان لها يوم كانت تخط بالقلم ويقرأها نفر قليل في معزل من الناس

ولما كان الأزهر الشريف هو المعهد الذي حمل لواء العلوم الاسلامية أحقابا ، ونهض بها في نشاط وقوة حتى صار ينبوع الذي تستمد منه سائر الأقطار علما ورشداً ، وجب ان يكون نصيبه في الارشاد والدود عن حمى الشريعة فوق كل نصيب ، لتحقيق بالأزهر ان يكون له في الدعاء الى الخير صوت ينفذ الى جوانب الأرض يمينا ويساراً ، وتحقيق به أن يأخذ في النداء الى الحق بأبعد الوسائل مدى وأبلغها في النفوس أثراً .

وهذا ما جعل الناس يتشفون الى أن يروا مشيخة الازهر مَعْنِيَةً باصدار صحيفة تقرر حقائق الدين على وجهها الصحيح ، وتدعو الى الفلاح بالتى هى أرفق وأدعى الى القبول أحسن الناس شدة الحاجة الى هذه الصحيفة ووثقوا بأن سيكون لها في ائارة السبيل والذب عن حوزة الدين موقف خطير ، وهذا الاحساس الشريف هو الذى بعث حضرة صاحب العزة عبد العزيز محمد بك مدير هذه المجلة أن اقترح على المجلس الأعلى للمعاهد الدينية في جلسته المنعقدة في ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٤٥ الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٦ أن يدرج في ميزانية المعاهد مبلغا يقوم بإنشاء مجلة اسلامية ، فعهد اليه المجلس بوضع تقرير في مشروع هذه المجلة على أن يعرضه عليه في جلسته المقبلة ، وفي ٨ محرم سنة ١٣٤٦ — الموافق ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٧ عرض حضرته هذا التقرير على المجلس فكان من المجلس أن قرر تأليف لجنة من حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة : المدير العام للمعاهد الدينية المرحوم الشيخ احمد هارون ، وشيخ معهد الاسكندرية

لذلك العهد الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الازهر ، وشيخ معهد طنطا  
المرحوم الشيخ عبد الغنى محمود ، وعهد اليها ببحث ما احتواه التقرير من الاقتراحات  
ف نظرت اللجنة فى التقرير وقدمت نتيجة بحثها الى المجلس ، وحينما أخذ ينظر فى ميزانية  
سنة ١٩٢٩ ادرج فيها مبلغا للاتفاق على هذه المجلة ، اذ وثق بأنها عمل صالح و فاتحة  
نهضة مباركة

ولما أسندت مشيخة الازهر الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ  
محمد الأحمدى الظواهرى كان من أول ما توجهت اليه عنايته مشروع هذه المجلة ،  
فأخذ يدره بجد وحكمة حتى لانت صعابه ، وتهيأت بتأييد الله أسبابه

وفضل هذا المشروع الاسلامى الجليل عائد فى الحقيقة الى حضرة صاحب الجلالة  
مولانا ملك مصر المعظم احمد فؤاد الأول حرسه الله ، فان جلالته سار على سنن  
أسلافه الأمجاد ، فأقبل يرفع صروح العلم ويحوط العلماء بالرعاية حتى نال الازهر  
الشريف وعلماؤه من هذه الرعاية أوفر نصيب

فأقبل جلالته على هذا المعهد الاسلامى بعناية ضافية قد وطد فى نفوس رجال العلم  
الأملى فى أن تكون دعوتهم الى سبيل الخير ناجحة ، وجعل الازهر بمكان القادر  
على أن يصرع كل ضلالة وينهض بكل صالحة

خرجت هذه المجلة وهى تحمل سريرة طيبة ، لا تنوى أن تهاجم ديننا بالطعن ،  
ولا أن تتعرض لرجال الأديان بمكروه من القول ، اذ لا يعزب عنها ما يحدث عن  
مثل هذا القصد من الفتن وبواعث التفرقة بين سكان الوطن الواحد وهم فى حاجة الى  
السكينة والتعاون على المصالح فردية كانت أو اجتماعية

خرجت هذه المجلة بعد أن رسمت لنفسها خطة لاتمس السياسية فى شأن ، وقصارى  
مجهودها أن تعمل على نشر آداب الاسلام واظهار حقائقه نقية من كل لبس ، وتكشف  
عما ألصق بالدين من بدع ومحدثات ، وتنبه على ما دس فى السنة من أحاديث موضوعة  
وتدفع الشبه التى يحوم بها مرضى القلوب على أصل من أصول الشريعة ، رتعى بعد  
هذا بسير العظماء من رجال الاسلام ، وإن فى سيرهم لتذكرة لقوم يفقهون ، ويضاف  
الى هذا ما تدعو فائدته الى نشره من المباحث القيمة علمية كانت أو ادبية ، وسترى  
هذه المقاصد ان شاء الله مودعة فى الأبواب المفصلة على ما يأتى :-

التفسير، السنة، السيرة النبوية، أصول الدين، دفع الشبه، أصول الفقه، الفتاوى والأحكام، العلوم والآداب، آراء الباحثين، التاريخ، السير والتراجم، أبناء العالم الاسلامي، الطرف والملح

تتناول المجلة من مباحث هذه العلوم والفنون ما يدعو الحال الى نشره، ولا تحكى رأيا خارجا عن نهج الصواب الا أن تقرنه بما يكشف عن كنهه، وتستحري بتوفيق الله تعالى الطريقة التي تتجلى بها سماحة الدين في بهاء طلعتها وصفاء ديباجتها، وتراعى في تحريرها الأساليب التي تألفها أذواق القراء، ويحتلون فيها صور المعاني ماثلة أمامهم لا لبس فيها ولا التواء

تناقش المجلة الأشخاص أو الجماعات الذين يقولون في الدين غير الحق، مقتدية في مناقشتها بأدب قوله تعالى ( أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ) وإذا كان هذا أديها مع قوم هم عن الحق غافلون، فأحرى بها أن تأخذ به في مناقشة آراء العلماء اذا رأت في بعضها انحرافا عما تقتضيه نصوص الشريعة أو أصولها الثابتة الواضحة، نذكر هذا ليلحظه الذين يرغبون في مراسلة المجلة ببعض منشاتهم الموافقة لمنهجها

ومن أجل أن يكون جهاد هذه المجلة متصلا بالحركة الفكرية في البلاد الاوربية أنشئ في ادارة المجلة قسم لترجمة ما يجرى في الصحف الأجنبية من مباحث علمية او مقالات يتحدث فيها عن الاسلام، غير اننا لا نضع أمام القراء مقالة في الاسلام صدرت من غير منصف الا أن نصلها بما يستبين به خطأ كاتبها ناقلًا كان او مدعيا هذا غرض المجلة وهو بلا ريب غرض نبيل، وهذه خطتها وهي كما عرفت خطة من يمشى على سواء السبيل، وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

محمد الخضر حسين





# التفسير

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين  
قال الله تعالى . وهو أصدق القائلين . حكاية عن سيدنا ابراهيم . عليه الصلاة والسلام  
والمؤمنين به . رضی الله عنهم

(رَبُّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا (١) وَإِلَيْكَ أُنِيبُ (٢) وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)

هذه الآية الكريمة . هي الآية الرابعة . من السورة الستين . سورة الممتحنة .  
قد أرشدنا الله جل ثناؤه . قبل هذه الآية . إلى أن لنا أسوة حسنة . وقدوة محمودة .  
في سيدنا ابراهيم عليه السلام . وكذلك في قومه الذين آمنوا به . واتبعوا النور الذي  
أنزل معه — فجعلهم جميعاً إماماً متبعاً . نستن بهم . ونهتدى بهديهم . ونستقيم على طريقتهم .  
لننصر دين الله الذي شرعه لنا ، حتى ينجز لنا ما وعدنا من استخلافه لنا في الارض .  
كما استخلف الذين من قبلنا . وحتى يمكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا . فضلاً منه سبحانه ونعمة  
أرشدنا أولاً الى هذا . ثم بين لنا في هذه الآية . دعاءهم له سبحانه وضراعتهم  
ولجأهم إليه . وأنه هو وحده الذي عليه يعتمدون . وإليه دون سواه يفوضون ما استعصى  
عليهم . ويستمدون المعونة فيما عجزت عنه قُدرهم . وأنه سبحانه مولاهم الذي ينيون اليه .  
يرجون رحمته . ويخافون عذابه . وأنهم اليه وحده راجعون .

نادى سيدنا ابراهيم وقومه ربهم . جل وعلا . وناجوه بأنهم عليه توكلا . وإليه  
فوضوا أمورهم . فوجب علينا اذن . ( وقد أمرنا بالتأسي بهم . والاستئنان بسنتهم )  
أن نرجع الى ما قصه الله تعالى علينا في كتابه من قصصهم . وبينه من أخبارهم وأحوالهم .  
ومحاجتهم لقومهم .

إذا رجعنا إلى ذلك . علمنا أنه عليه السلام . وكذلك قومه المؤمنون به . الذين استقاموا على سنته واتبعوا هديه . قد بذلوا في سبيل الله وتبليغ دينه ونصرته . ما استطاعوا من قوة فبينوا لقومهم وحى الله تعالى . وشرحوا لهم دينه القويم . ووعظوهم ونصحوهم . وأيقظوا من نفوسهم اليه . ووجهوا من عقولهم نحوه . مثبتين لهم صدقه بالدليل الصادق الصادع . منيرين لهم طريق الوصول اليه بالبرهان النير الساطع . حتى لم تبق لمتحير شبهة . ولا لمكابر منفذ . ولا لمادى وهم أو خيال . هذا الى عدم مبالاتهم . بما توعده أعداؤهم من الرجم والقتل والتحريق . لا يبتغون بذلك إلا امتثال أمر الله . ونصرة الحق على الباطل . ورضا الله تعالى عنهم في الدنيا والآخرة .

رجعنا إلى قصصهم في القرآن العظيم . فتبين لنا ما ذكرناه لك . وعرفنا أنهم بذلوا ما استطاعوا . وسخروا بما وصلت اليه قُدرهم . ثم أنهم بعد ذلك . لجأوا إلى الله القادر الكريم . واستعانوه أن يتولى أمورهم . وأنابوه سبحانه عنهم فيما عجزوا عنه . لأنه وحده القادر عليه . المتفضل به . وهذا هو ما حكاه سبحانه عنهم . من قولهم : ( رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ) من هذا كله يتبين لنا نحن المسلمين أن التوكل الذي أمرنا به ربنا جل وعلا . ليس كما رمانا به غيرنا . وقلدهم فيه الجهلة من المسلمين . فزعموا أن التوكل الذى جاء به الاسلام . هو السبب الذى أدى الى تهاون المسلمين . وكسلهم وتفريطهم . وثقلهم الى الارض . وميلهم الى الدعة والراحة . وكراهيتهم لتحمل المتاعب والمشاق . في مزاولة الاعمال والتقلب في البلاد . والضرب في الارض بالاسفار برا وبحرا . الى غير ذلك مما تقوم عليه المصالح . وتستقيم به الحياة .

زعموا هذا وقلدهم فيه المقلدون . فكانوا في حكمهم بهذا على الاسلام وأهله من القاسطين الظالمين .

ولو أنصفوا لسلكوا للحق سبيله . فتعرفوا حقيقة التوكل الذى أوجبه الله تعالى على عباده في دين الاسلام — وإذ ذاك تتضح لهم حقيقته . ظاهرة جليلة . قد أوجبها العقول الانسانية السليمة المنصفة . كما أوجبها دين الاسلام الحنيف .

ذلك أن التوكل الذى فرضه الله جلّت قدرته ، هو كما قدمناه لك في دعاء سيدنا ابراهيم وقومه . أن يعتمد العبد على ربه القادر على كل شيء . ويكتفى به سبحانه في تولى شؤونه التى تعاصت عليه وسائلها . ويفوض اليه أموره التى قصرت قدرته دون أسبائها . ولكن بعد أن يكون قد استنفذ جميع ما عنده من قوة وأفرغ جهده فيما قدر

عليه من تفكير وتدبير ، وأتى على جميع ما اهتدى اليه من الاسباب . وزاول ما أمكنه من الوسائل التي وفقه الله تعالى لها

فاذا ما نفذت الوسائل التي يمكن أن تتناولها قدرته الانسانية . وبقي الشطر الثاني وهي الوسائل التي تفردت بها القدرة العظمى الالهية التي لا يعجزها مقدور ، لم يكن هناك مفر من أن يلجأ ذلك العبد العاجز إلى الله القادر . مستعيناً به على ما عجزت عنه قدرته متوكلاً عليه فيما وقفت عنده استطاعته . عسى أن ينم عليه نعمته . ويحقق له طلبته فيسهل له ما تعسر عليه أو تعذر .

قلنا إن توكل العباد على ربهم فيما عجزوا عنه حكم قضى به سبحانه فيما شرعه في الدين الاسلامي . بل انه كذلك في كل دين سبقه — فمن ذلك ما ختم به سيدنا يعقوب عليه السلام وصيته لأولاده . إذ يقول : ( وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ . إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ) .

وقول سيدنا موسى عليه السلام لقومه . يثبت من قلوبهم . ويهون عليهم من أذى فرعون وقومه ( يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ) حكم الله سبحانه بذلك في كل دين شرعه . ثم حكم به كذلك العقول السليمة والفطر الزكية . فكان أمراً لازماً . لا مندوحة منه ولا مفر

على هذا جرت سنة الله العليم الحكيم . أنه لا يشرع لعباده إلا ما يكون فيه صلاحهم وخيرهم . وتقبله العقول الراجحة . وتقبله النفوس الكاملة المتدبرة .

من هنا يتضح لك أن العقل الصحيح والدين أخوان شقيقان . بينها كمال الاتصال وتماثل الاتفاق . لا تفرق سبلهما . ولا تتنافر نتائجهما وثمراتهما .

قالوا : إن الدين والعقل عدوآن . ونقيضان لا يجتمعان — قلنا : صدقم إذا أردتم دينا ما أنزل الله به من سلطان . أو عقلاً علم علماً ناقصاً . لم يؤت الناس منه إلا قليلاً . فعلوا منه شيئاً . وغاب عنهم منه أشياء

أما الدين السماوي الألهي . والعقل الكامل السليم . فانهما الشقيقان اللذان جعلهما الله تعالى . الأساس المتين لسعادة النوع الانساني . في الدنيا والآخرة

لا تعجب من قول الذين جهلوا الاسلام . ( إن التوكل هو السبب في انحطاط المسلمين وجعلهم في أخريات الامم ) — بل اعجب كل العجب من فعلهم . فانك تراهم يبرمون

ما ينقضون . ويفعلون ما لا يقولون

ترى التاجر منهم مثلاً . يرسل تجارتها بحراً من قطر الى قطر . بعد أن يأخذ العدة لحفظها . ويتم كل الوسائل لسلامتها وصيانتها . ولكنك لو اطلعت على ما فى نفسه . لوجدتها وجلة تخشى أن تصيب تجارتها جائحة أو كارثة . من حرق أو غرق أو ضياع . أو غير ذلك مما لا قبل لها به — ولوجدتها أيضاً متوجهة مستجيذة بقدرة عظمى لا تحيط هى بحقيقتها . ولا تدرى كنهها ، تستنزل منها الحفظ والصيانة لتجارتها . وتسألها كل وسائل السلامة التى عجزت هى عنها .

ليس الأمر فى الواقع كذلك ايها العقلاء المنصفون ؟ بلى إذن ( فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا )

وأففقوا من مواهب عقولكم ومدارككم فى تفهم الاحكام وما شرعه الله العليم الحكيم . لسعادة عباده واستقامة دينهم ودنياهم . ( واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم )

ارشد الله عز وجل . ان تتأسى بسيدنا ابراهيم عليه السلام . وبالمؤمنين به . وان تأتم بهم فيما كانوا عليه . وبين لنا انهم توكّلوا عليه فيما عجزوا عن ادراكه . بعد ان سلّكوا من سبل صلاح احوالهم ما استطاعوا

فهل نحن المسلمون الآن . قد ائتمرنا بهذا الأمر . وتأسينا بهذه الأسوة الحسنة . أم هل نبذنا أمر الله ظهرياً . واستثقلنا أخف الأعمال . وعادينا الأسباب حتى حرّمنا من المسببات . وفرطنا فى الوسائل المقدور عليها حتى جهلناها . وصرنا كمن قال الله تعالى فيهم ( وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً . وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ) حقاً لقد كنا من هذا الفريق الاخير . الذى قال الله تعالى فيه ما قال . ( وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَْ اللَّهِ قِيلًا )

ليت العاقبة السوءى لأعمالنا واهمالنا . كانت مقصورة علينا نحن لم تتناول ديننا الخفيف — لكنها النعمة لا تختص بالجانى . بل عادت بالسُّمعة السيئة على الاسلام الذى هو الدين عند الله . وهو الذى امتنّ الله العليم الحكيم به علينا فى قوله : ( اليوم اكملت لكم دينكم . وأتممت عليكم نعمتى . ورضيت لكم الاسلام ديناً ) تناولته حتى عابه غيرنا وطعنوا فيه . واتهموه باقبح القبائح وأخش المثالب زعماً منهم أن ما رأوه فى بعض من ينتسب الى الاسلام من الصفات الذميمة . والكسل والخمول والخنود . انما هو نتيجة من نتائج الاسلام . وأثر من آثار تعاليمه .

لكن . ألم يكن الجدير بهم . أن يجتهدوا في الوقوف على حقيقة الدين الاسلامي . حتى يتبين لهم الرشد من الغي . ويعلموا أن الاسلام برىء مما أتهمه به من جهلوه . وأن المستحق للذم والتعيب إنما هم الذين فرطوا فيه . وخالفوا نواحيه . حتى شوهوا محاسنه واضاعوه . ولكن ( لعل الله يُحدثُ بعد ذلك أمراً )  
وعجَبًا ! قالوا إن عندهم محاكم العدل . لأنها لا تحكم في الاقضية إلا بعد التحيص والتحقيق والوصول الى خفاياها واسرارها . وربما طال عليها الأمدُ سنين . حتى يسامُ القضاءُ والمتقاضون .

قلنا: نِعَمَ ما أُنتم عليه . حتى يتميزَ الخبيثُ من الطيب . والحق من الباطل — ولكن ألم يكن حكمكم على الاسلام هو الاولى والأحقّ بهذه العناية وذلك التحري حتى لا يكون الحكم عليه حكم الجهالة ظلمًا وعدوانًا ؟

ألم تعلموا أن هذا الدين الذى حكمتم عليه حكمكم هذا قد حذرَ المؤمنين به أن يحكموا مثل هذا الحكم الجائر . إذ يقول الله تعالى فى قرآنه : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوهُ أُنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بجهالة فتُصبحُوا على ما فعلتم نادمين ) هذا ثم أردف عليه السلام . هو والذين آمنوا معه دعاءهم الاولَ بدعاء ثانٍ فقالوا : ( واليك أنذبتنا ) .

أظهروا عجزهم أولاً . وشكوا ضعفهم عن نيل مرادهم من نصرة الحق ونشره . إلا بتيسير الله القوى المتين . ومزيد توفيقه وتأيدده لهم . ثم توسلوا اليه سبحانه . بانهم أنابوا اليه . ورجعوا إلى عفوه ورحمته . وعادوا إلى واسع فضله واحسانه . عسى أن يمدَّهم بروح منه . وهو القريب المجيب . فيزدادوا قوة على قوتهم . ويتضاعف عددهم . ويضعف عدوهم . ويعلوا الحق وانصاره . ويسفل الباطل واشياعه

لقد سار سيدنا ابراهيم عليه السلام . هو واتباعه . هذه السيرة المرضية . وهى إنابتهم الى الله القادر على نصرهم . واتبعوا فيها القانون الالهى العقلى . وهو تقرب المحتاج الى القادر المتفضل . بما يكون به راضيا عنه . مرجو الاجابة — وذلك انما يكون بالتوبة بما قد يكون هفوة من أمثاله . مع صدق العزيمة وخلوص النية . والاسف واليقظة والحذر من الوقوع فى مثل ذلك مرة ثانية . كل ذلك انتصارا للحق . وإبتغاء رضا الله تعالى وحسن مشوبته .

هذا هو القانون العدل الذى لا يقبل العقل غيره . ولهذا قضى الله الحكيم . ( والله يَقْضِى بالحق )

قد عرفت أن الله سبحانه . قص علينا في هذه الآية ما حصل من سيدنا ابراهيم عليه السلام ومن أتباعه المؤمنين . وأمرنا ان نأتم بهم وتتأسى . وقد عرفت تفصيل ذلك كله فيما قدمناه لك .

عرفت أنهم فعلوا ما استطاعوا . وبذلوا ما قدروا عليه . ثم دعوا الله عز وجل أن يكون وكيلاً عنهم فيما عجزوا عنه — ثم توسلوا بعد ذلك بالتوبة النصوح . والالانة الخالصة . الى الله تعالى . استزادة للقرب من عفوه وفضله . واستجلاباً للزيد من رضاء ورحمته . ( إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين . )

سمع الله القريب المجيب دعاءهم . وحقق رجاءهم . وقواهم بعد ضعف . ونصرهم على أعدائهم . ونجاهم من كيدهم . وبارك على رسوله سيدنا ابراهيم عليه السلام . وجعل في ذريته النبوة والكتاب وآتاه أجره في الدنيا . وجعل له لسان صدق في الآخرين . وإنه في الآخرة لمن الصالحين .

ان المسلمون الآن . في مشارق الأرض ومغاربها . لا يخفى سوء أحوالهم على أحد فقد صار دينهم في دياره ضائعاً محارباً فيما بينهم . لا معين له ولا ناصر . ولا حافظ له ولا حارس . ولا مدافع عنه ولا مناضل

على أن المصيبة فيه لم تقف عند هذا الحد . بل صار الذم فيه والطعن في محاسنه والاستهزاء به والزراية عليه — بل الحاد فيه وتحويل الناس عنه . في كتابة الكتاب . وخطب الخطباء . في المحافل والمجامع على رؤس الأشهاد . صار كل ذلك منتشراً فاشياً . يكاد لا يجد منكراً ولا رادعاً — وتراه كل آن في ازدياد . ولا يدري إلا الله ماذا يكون المآل ( والله عاقبة الأمور )

كما صار المسلمون في هذه الحال السيئة في دينهم . كذلك صاروا في مثلها في دنياهم فصاروا في عبودية بعد سيادة . ورق بعد حرية . وتقييد بعد اطلاق . وجهل بعد علم . وضعف بعد قوة . وفقر بعد غنى وذل بعد عز . وضيق بعد سعة . وسوء بعد حسن

الى ذلك صاروا وهم به يعلمون . ومنه يألمون — وتراهم مع ذلك يسمعون قول الله تعالى : ( وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ) وقوله : ( ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ) وقوله ( ولنذيقنهم من العذاب الأدنى (١) دون العذاب الأكبر (٢) لعلهم يرجعون )

ولكنهم لا يرجعون . بل انهم على ما هم فيه عاكفون . ومنه مستكثرون مستزيدون  
 ماذا على المسلمون . هداهم الله ووفقهم . لو استيقظوا من سُباتهم وأفاقوا من  
 غمرتهم . وأصلحوا من شأنهم ورأبوا من صدعهم . واستشفوا من أمراضهم ؟  
 لا ريب أنهم يعودون في عزة وصلاح في دينهم ودنياهم كما كان أسلافهم الصالحون  
 من قبلهم - وما ذلك على الله بعزيز - اذا استنوا بسنتهم . واستقاموا على طريقتهم .  
 ولعلمهم يفعلون .

ذلك بأن الله تعالى . قص علينا قصص سيدنا ابراهيم عليه السلام والذين آمنوا به  
 ثم أرشدنا الى الاقتداء بهم فيما فعلوا . فكان ذلك منه سبحانه بياناً وتعليماً لنا كيف  
 نداوى ادواءنا . ونعالجُ امراضنا . ونصلحُ ديننا ودنيانا ( يأيا الذين آمنوا اتقوا الله  
 ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله . إن الله خير بما تعملون ) ( وقل اعملوا  
 فسيرى الله عملكم ورسله والمؤمنون . وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما  
 كنتم تعملون )

ثم إنه عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا به ختموا ضراعتهم وابتاهم الى الله تعالى  
 بقولهم : ( واليك المصير ) إقراراً منهم بأنه رب العالمين . وأنهم سيرجعون اليه وحده  
 ( يوم تأتي كل نفس تجادلُ عن نفسها . وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون )

حسن منظور

وكيل دار العلوم العليا

## الطرف والملح

قال سيدنا علي رضي الله عنه : أجموا (١) هذه القلوب . واتمسوا لها طرق الحكمة .  
 فانها تمل كما تمل الابدان . والنفس مؤثرة للهوى . آخذة بالهوى . جانحة الى اللهو .  
 أمارة بالسوء . مستوطنة بالعجز . طالبة للراحة . نافرة عن العمل . فان اكرهتها انضيتها .  
 وان أهملتها أرديتها .

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه : عليكم بطرائف الاخبار . فانها من علم الملوك  
 والسادة . وبها تنال المنزلة والحظوة منهم .

# اصول الدين

## الايان بالله

علم الطبيعة برى مما نسبوه اليه واقتروه عليه  
أدلة وجود الله

منينا في هذه العصور التي يجدر بنا أن نسميها عصور الزور والاثم والفجور بقوم ينسبون إلى العلم ما يتبرأ منه العلم، فيعارضون كل شيء جاءت به الديانات بحجة أن العلم يأباه وقد وثق بهم كثير من الناس لما بهرهم من آثار ذلك العلم المادى التي تسبى الانظار وتدهش الأفكار فظنوا أن كل ما يقولون من جنس هذه المنظورات وأن لهم من التجديد فى المعقولات ما لهم من التجديد فى المخترعات ولكن فاتهم أن هؤلاء المتفهمين المتحاملين على الأديان إنما برزا فى المحسوسات لا فى المعقولات وفى علوم الطبيعة لا فيما وراء الطبيعة، ولما لم يمكنهم أن يكذبوا على علم الطبيعة فى المحسوس كذبوا عليه فى المعقول فكانوا كالمدلس الذي لا ضمير له أو لا منطق له فهو يخلط الحق بالباطل والصحيح بالعاطل فخانوا العلم وغشوا الناس جهلا بالدين وبغضا فيه وتحاملا عليه مع ملاحظة أنهم ليسوا أهل منطق ولا استدلال وليس لديهم غير ذلك التمويه الباطل وتلك الثرة الفارغة التي ليس فيها ظل من برهان ولا إثارة من علم، وكثيرا ما يشتبه عليهم القياس الفاسد بالقياس الصحيح والتخمين باليقين والاستحسان بالبرهان وكثيرا ما تكون المسائل هناك فى محل الفرض أو الأخذ والرد فيحسبونها علما وهى فى أول مرحلة من مراحل البحث العلمى . وطالما تناقضوا (والمبطل لا بد أن يتناقض) فبينما هم يقررون أنهم متمسكون بالمحسوس ولا يقولون بغير ما وقع عليه العيان إذ تراهم يخطون خبط عشواء فى ظلمات الأوهام متخطين تلك الحدود التي رسموها لأنفسهم إلى حضيض الخيال والتظن والتخرص، على أن الملحد ين عندنا أجهل وأقل من أن يقال أن لهم شيئا



يتقدم به العلم المحسوس أو المعقول ، وأصغر من أن يكون لهم فيه ظن أو استحسان وإنما هم أذيال لأولئك الماديين المتعصبين الجاهلين كالمناق الغمر الذى يقول سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته فهولاء لا يعدون من رجال العلم وإنما يعدون من صدية ملاحظة الغرب اللذين يصفقون لهم كلما سمعوا شيئاً من الترهات أو الخرافات ( والمصفق يصم الآذان ولا يعرف البرهان ) ولنسق إليك بيان علم الطبيعة وحدوده التى يقف عندها ولا يخرج عنها لتعلم أن هؤلاء كما مرقوا من الدين مرقوا من العلم وكما برئوا من الصدق برئوا من المنطق وكما قتلوا ضمائرهم أرادوا أن يقتلوا الحق أيضاً فنقول :

إن علم الطبيعة علم تعرف به علاقات الأشياء بعضها ببعض ولا بحث له عما وراء ذلك فاذا سأله عن حقيقة الأشياء أو عن أوائلها ومصيرها أجابك : ذلك خارج من حدودى وليس من اختصاصى .

فالطبيعى إنما يبحث عن الطبيعة وظواهرها بعد وجودها وتحقيقها لا قبل وجودها وظهور مقتضياتها كما لا بحث له عن أوجدتها ولا لماذا أوجدت فيها تلك الظواهر ولا كيف أودعت فيها تلك الخواص .

فعلم الطبيعة يعرفنا مثلاً أن جزءاً من الاوكسيجين وجزءين من الادروجين تكون ماء ولكن كيف كون هذان العنصران ماء مع أن الاوكسيجين عنصر محرق متى لقيه شئ قابل للالتهاب التهاب والادروجين عنصر لا يعيش فيه الحيوان وكذا الأزوت الداخل في تركيب الهواء بنسبة ٧٩ ٪ فكيف كونا ماء أو هواء تكون به الحياة واحدهما محرق والآخر مميت اذا سأله هذا السؤال أجابك أنه عاجز عن تعاليل ذلك وإن هو إلا علم تجربة فقط فما أدت اليه التجربة العملية جعله قانوناً من قوانينه وإن كان لا يعرف لماذا كان ولا كيف كان فضلاً عن أن يعرف أول الأشياء وآخرها أو كنهها وحقيقتها . ولديك هذا الغذاء تعرف من أحواله أنه يهضم فى الفم هضمًا أول ثم يهضم فى المعدة هضمًا ثانيًا وتعرف أن فى المعدة عصارة تساعد على الهضم ثم يخرج منها إلى الامعاء الدقاق فيهضم فيها هضمًا ثالثًا ويساعد على ذلك العصارة البنكرياسية التى أوجد لها الحكيم العليم تلك الغدة التى تفرزها ويساعد عليها أيضاً الصفراء التى تفرزها الكبد إلى آخر ما هو معروف ولكن كيف تمثل ذلك الغذاء عيناً وفماً ويداً ورجلاً ومخاً ومدر كلاً الخ . أو تقول كيف تمثلت تلك الاصناف التى تأكلها من البقول والخضروات والفواكه الخ انساناً سمياً بصيراً عالماً متكلماً ؟ إذا قلت للطبيعى كيف صارت هذه

الاشياء انساناً ؟ ولو حدثنا أحد بذلك ما صدقناه لولا أننا نرى الأمر عياناً في كل وقت أو قلت له : كيف انقلب هذا التراب زرعاً وزيتوناً ونخيلاً وأعشاباً وثمرات مختلفة الأشكال والطعوم والألوان ؟ لو سألته مثل هذه الأسئلة لأجابه اني لا أعرف لذلك سرّاً ولا أفهم له معنى ولكني أقرر لك ما أثبتته المشاهدة وأوصلتني إليه التجربة فاما ما وراء ذلك فليس من علمي ولا هو داخل تحت اختصاصي ولذلك قال سبنسر الفيلسوف الانجليزي الكبير « ليس الغرض من تعلم علم الطبيعة معرفة هذه الظواهر التي يعرفها تلامذة المدارس وإنما الغرض الاسمي أن نقف على ذلك السر الباهر من وراء تلك الحدود التي ينتهي اليها علم الطبيعة » وقال باكون وهو أستاذ أسانذة علم الطبيعة : « من أخذ علم الطبيعة رشفاً بالشفاه كان ملحداً ومن شربه عباً أوصله إلى الخالق » .

وفي ( سبيل السعادة ) نقلاً عن ( مجلة الحياة ) هذه العبارة الطريفة « جاء في أعداد المجلة الطبية الباريسية هذه الجملة ( ليست الفكرة الواحدة إلا اتحاداً يشبه اتحاد حمض الفسفوريك والتفكر نفسه ناتج من الفسفور الذي هو في تركيب المخ ) فرد عليها العلامة الطبيعي الشهير كاميل فلامريون قائلاً : « من أخبركم بذلك يا حضرات المحررين ؟ إن الناس يتوهمون أن معلمكم يعلمونكم هذه الهذيان مع أن الأمر بخلاف ذلك لأن هذه الادعاءات ليست أمام النظر العلمي إلا هباءً منثوراً على أني لا أدري أي الأمرين يستحق أن تعجب منه أكثر ، أمن الجسارة الصادرة من هؤلاء الممثلين العجيبين للعلم أم من سخافة ادعائهم ، ان ( نيوتن ) كان يقول ( يظهر لي ) ( وديكارت ) كان يقول ( إنني استنزل حكمكم في هذه الفروض ) ولكن هؤلاء يقولون : نحن نثبت . نحن ننكر . هذا موجود هذا غير موجود . العلم قد حكم . العلم قد أقر . العلم قد أدحض . مع أنه ليس فيما يقولون ظل من البرهان العلمي إلى أن قال : إنكم تتجاسرون أن تعزوا إلى العلم هذا العبء الثقيل ولئن سمعكم العلم أيها السادة ( ويجب أن يسمعكم لانكم من أبنائه ) لضحك استهزاءً من غروركم انكم تقولون : العلم يثبت . العلم ينفي . العلم يأمر . العلم ينهى . وبذلك فأنتم تضعون على شفتي هذا العلم المسكين هذه الكلمات الضخمة وتدخلون إلى فؤاده هزة الكبر والعجب » اه كلامه . فأنت ترى مكان تلك الطنطنة الفارغة أمام الفلاسفة الصحيحة والعلوم الحقة التي يعرفها ( كاميل فلامريون وأمثاله ) وقال البهائية الكبير ( توماس كارليل ) في هؤلاء المتشدين الذين ضغطوا على وجدانهم حتى قتلوه وعلى عقولهم حتى أزهاقوها ثم دفنوها في مقبرة المحسوسات .

قال إنهم يحصرون هذا الكون وما به من شتى المناظر والاشكال والاصوات والحركات العديمة العدد والنجوم والغيوم والقفار والبحار في اسم مركب من بضعة احرف (طبيعة) فيطوون جلاله العظيم في أثناء لفظ حقير. إن للكون لروعة في القلب أى روعة وموقعا أى موقع لو ظهر عاريا من تلك الحجب التى غطت جماله وروفقه إلى ان قال: «أما ظاهر الكون فقد عرف العالم عنه شيئا، وأما الباطن فهو سر عميق لا ينفع معه علم عالم ولا تجربة كيماوي انما اولى بالمرء في هذا المقام الاذعان والخشوع، وللجهل هنا افيد من العلم وما يستفيده المتوحش الجاهل من جمال الطبيعة بشعوره اكثر مما يكتسبه المتمدين العالم بمنظاره وكيمائه» إلى ان قال «صنع العلماء في اسرار الكون الرائع الذى يتضائل العلم في حضرتة ويدل لعزته وعظمته ويطفو على موجة المتلاطم كريشة في مهب الريح» الى ان قال «ان هذا الكون على رغم العلم ودعواه لا يزال عجيبه العجائب ومعجزة المعجزات» ثم قال «أليس أقصى ما نستطيع ان نعلم عنه انه قوة مركبة من الف الف قوة وانه شئ ونحن شئ آخر فهذا كل ما يمكننا معرفته، الكون شئ ونحن شئ غيره قوة فى قوة فى قوة فحيثما القيت البصر الفيت قوة ونحن بين هذه القوى المختلفة قوة مجهولة خفية» ثم يقول: لا أخال أنه يجتمع الاتحاد والتفكير في هذه القوى الفعالة الذاتية المحدقة بنا والتى لا تكل ولا تنى ولا تفر ولا نعرف لها اولاً ولا آخراً ولا مبدأ ولا نهاية (ففضى على الملحدین انهم غير مفكرين) الى ان قال: ثم يجئ العلم بمنظاره وآلاته فيجعل يقلبها ويديرها كأنما هى جثة ميتة توضع في الزجاجات وتباع في الحوانيت. إلى آخر ما قال. وقال العلامة الطيبي الانجائزى (مياين ادوارد) يجب ان يدهش الانسان حينما يرى ان امام هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون لك ان كل هذه العجائب الكونية ليست إلا نتائج المصادفة او بعبارة اخرى نتائج الخواص العامة للمادة واثرا لتلك الطبيعة التى تكون مادة الخشب ومادة الاحجار وان الهامات النمل بل اسمى مدركات القوة الانسانية ليست الا نتيجة عمل القوى الطبيعية او الكيماية ان هذه الفروض الباطلة او بالاحرى هذه الاضاليل العقلية التى يسترونها باسم العلم الحسى قد ادحضها العلم الصحيح ادحاضا فان الطيبي لا يستطيع ان يعتقد انها ابداء وإذا أطل الانسان على وكر من اوكار بعض الحشرات الضعيفة يسمع بغاية الجلاء والوضوح صوت العناية الالهية ترشد مخلوقاتنا الى اصول اعمالها اليومية ، ثم نقول

لهم بعد ذلك على سبيل التنازل هل عدم الدليل يدل عدم المدلول وهل عدم العلم بالشئ يوجب العلم بعدم الشئ اما كنا نجعل الميكروبات والكهرباء ومكشنا على ذلك الوف السنين فهل نستنتج من ذلك عدمهما في الواقع، وكذلك الراديوم مثلا لم يعرف الا منذ عهد قريب فهل كان معدوما قبل ان تستكشفه تلك السيدة التي ابرزته الى عالم الظهور، واي فرق اذن بينكم وبين زنوج افريقية المتوحشين الذين ينكرون مرقم الخطاب الجوى ( التلغراف اللاسلكى ) مثلا لعدم علمهم به وتصورهم اياه اللهم انا نرفع الصوت عاليا بأنكم في انكار الأشياء حتى تروها بأعينكم مثل أولئك الزنوج لا فرق بينكم وبينهم فأن حجتكم هى حجتهم وما تستندون اليه عين ما يستندون اليه وكان ينبغى أن تربأوا بأنفسكم عن تلك المخجلات وترتفعوا بها عن ذلك المستوى الذى فيه أولئك الهمجيون المتوحشون، بل نقول لهم أكثر من هذا ولا نخشى فى الحق لومة لائم إن الوقوف مع الحس وعدم تخطيه انما هو شأن البهائم التى لا تعرف غير المحسوس ولا يمكنها أن ترتقى إلى ما فوقه فهذه فلسفة بهيمية لا انسانية، ثم نقول بعد ذلك إن العلم الذى يستندون اليه كثيرا ما ينقض اليوم ما قرره بالامس فقل لى بعيشك أى ثقة تبقى لهذا العلم بعد ذلك وأى علم هو ذلك الذى يوجب هذا التبجح وتلك الكبرياء التى جعلتهم يحكمون على السموات والارض ويخرجون على الله ورسوله وينفون جازمين ويثبتون موقنين وكلما عرتهم مشكلة فى الكون حلوها بعبارة فارغة لا معنى لها عند من لا يقدرهم ولا يهابهم . وما اجدرنا أن نقول لمن يتفلسف ذلك التفلسف الفارغ الذى عرفت قيمته ما قال بعض الفضلاء

يا من تفلسف كى يؤيد كفره      مع أنه لم يدر كنه وجوده  
خسرت بسوق الفضل صفقة جاهل      تخذ العلوم ذريعة لوجوده  
ولنذكر لك بعد هذا شيئا من الادلة الواضحة القريبة التى يطرب بها أهل الوجدان ويشهد لها أرباب صناعة البرهان فنقول

### ﴿ أدلة واضحة ﴾

كان ينبغى ألا يختلف الناس فى هذه العقيدة لأن دلالة الاثر على المؤثر والنظام على المنظم والفعل المحكم على الحكيم بدهية بل قالوا إن ذلك مما يدركه الحيوان فضلا عن الانسان فأناك إذا ضربت الحمار مثلا التفت ليرى من ضربه لأنه مركزوز فى فطرته أن الاثر لا يكون بلا مؤثر والفعل لا يكون بلا فاعل . فأذا رأيت كلمة مركبة من ثلاثة

احرف لم تشك في أن كاتبها كتبها وإن رأيت ساعة تشير إلى الاوقات ايقنت أن لها صانعا رتب أجزائها وأعدّها لتلك الغاية، وما مثل من ينكر الخالق وهو أظهر من الشمس (لأن وجود الأثر في نظر العقول ليس أقوى ولا أجلى من وجود المؤثر) الا كمن رأى خزان اسوان بالقطر المصرى أو برج إيفل بفرنسا فقال : ان ذلك على نغمته وضخامته لا يحتاج الى مهندس ولا صانع، أو كمن رأى كتابا بديعا في مبانيه بليغا في معانيه وفيه من الفلسفة العالية والافكار السياسية ما يفوق افكار افلاطون وفلسفة أرسطو ومن الأدب الرائع والشعر البارع ما يسمو على شعر المتنبي وادب ابى العلاء، فلما نظر فيه عبس وبسر وفكر وقدر ثم قال : ما هذا الكتاب إلا اوراق كانت في صندوق وكان معها شيء من حروف الطباعة ثم هز الصندوق هزات متوالية فعملت حروف الطباعة فى الأوراق عملها فوجد ذلك الكتاب على ماترون ، فهل ترمى صاحب تلك الفلسفة بالجنون ، واذا كنت لا تسلم ان ساعة توجد بلا صانع وان باخرة توجد بلا مهندس بل لا تسلم أن كلمة صغيرة توجد بلا كاتب فكيف تسلم ان هذا الكون العظيم الذى يبهر العقول ويحير الالالب قد وجد بلا موجد ونظم بلا منظم وكان كل ما فيه من نجوم وغيوم وقفار وبحار وليل ونهار وظلمات وانوار واشجار وازهار وشمس واقمار الى انواع لا يحصى العدد ولا يأتى عليها الحصر ، قد وجدت بلا موجد يخرجها من العدم وينوعها الى ما لا يحصى من الانواع ويمتعتها بما شاء من الخصائص المختلفة والمزايا المتباينة والصفات المتقابلة علما منه بما يترتب على ذلك من الغايات وماله من جليل الثمرات ثم يحفظها بما أودع فيها وما هيا لها وما أوجد بينها وبين غيرها من العلاقات والروابط التى ربطت العالم العلوى بالعالم السفلى وجعلتهما جميعا يؤلفان نظاما واحدا يرمى إلى غاية واحدة فكأن العوالم كلها فى ترابطها وتضامنها أو نقول فى تجاذبها وتضافرها على مقصد واحد تؤلف بيتا احكمه بانيه . فلست ترى شيئا صغيراً أو كبيراً الا لغرض سام وحكمة جليسة، أو كأنها جسم واحد قد تعاونت اعضاؤه وتضافرت أجزاؤه واذا نظرت الى كل جزء من أجزائه بهرك ما فيه من حكم واسرار وما نيط به من منافع وآثار فاذا نظرت الى ما بين تلك الاجزاء من العلاقات وما فيها من الدقائق الخفيات والمناسبات المدهشات ورأيتها متآخدة يمسك كل منها بمحجرة الآخر وهى مسوقة للسير الدائم لا تفتقر ولا تنى ولا تعرف الهدوء ولا السكون، علمت أن لها مدبرا دبرها ومقدرا قدرها وحكيا سيرها وقواما يكلؤها بعينه التى لا تنام وقدرته التى لا ترام

وقد قال بعض الفلاسفة يكفيني من الدلالة على الله وجود الاثني بجانب الذكر فهل علمت الطبيعة أن النوع لا يبقى ولا يحفظ إلا بوجود المرأة فوجدتها وغيارت بينها وبين الرجل واعدتها لما يراد منها فخلقت لها الرحم والمهبل ومتمعتها بما يجذب الرجل اليها من صفات الجمال حتى في صوتها ومنحتها ما يحتاج اليه طفلها الصغير . هذا معنى ما قال وهو يشبه ما قال افلاطون « يكفيني ما في العين من التدبير الذي جعلها في مكان من الحجاج وجعل لها الحاجب ليقبها من العرق أن يتساقط فيها والهدب ليقبها الغبار ولا يمنعها الضوء » وقد قال ( فولتير ) وهو من اكبر الفرنسيين : من قال إن طبقات العين العجيبة التي تدل كل واحدة منها على حكمة سامية قد وجدت بالمصادفة كان مصابا بافطع أنواع الجنون التي تلم بنوع الانسان وقال بعض فلاسفة اليونان لرجل يقول اني معجب بفلان المصور الذي يخرج لنا تلك الصور البديعة قال له ذلك الفيلسوف ( واطنه افلاطون ) من الذي يستحق الاعجاب اكثر ؟ من يصور صورة لا روح فيها أم من يصور صورة فيها روح ، وإن شئت بعد ذلك فانظر إلى الانسان وما فيه من العجائب فنظرك فيه يكفيك « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ولسنا نتهج بك نهج الفلاسفة الذين يقولون ان كل شيء ممكن وكل ممكن لاشيء له من ذاته فلا بد من مرجح يرجح وجوده على عدمه ويعطيه مقداره الخاص به الذي كان يجوز أن يكون أصغر منه أو أكبر ويمنحه كل الصفات القائمة به التي تجوز عليه هي ومقابلاتها حيث ان الجميع جائز عليه فلا بد من مرجح يجعله متمتعاً بتلك الصفات المخصوصة دون غيرها وواقفا عند ذلك الحد منها دون ما فوقه وما دونه ، ولكن نسلك بك طريقاً أوضح ومهيئاً أوسع ونريك الأمر مفصلاً ودقائق الصنع واضحة جليلة حتى تكون لمس اليد ورأى العين فقول قبل كل شيء : ان المادة ليس فيها حياة ولا ادراك ومن البدهي أن فاقد الشيء لا يعطيه فلا يمكنها أن تعطى عبدها ما ليس عندها ، وقد أحسوا ذلك فاعترفوا بأنهم عاجزون عن تعليل الحياة بالتعالييل الطبيعية أما المكابرون منهم فيقولون : إنها فلتة من فلتات الطبيعة ولا ندري ما معنى ذلك وكيف يعقلونه وهل فلتة الطبيعة تجوز أن يوجد معلول بلا علة ومسبب بلا سبب اللهم ان ذلك غير معقول فالحياة وحدها كافية في الخامهم فضلاً عن الادراك السامي والعلم الواسع اللذين لا تملكهما المادة لنفسها على أن المادة وخصائصها لا يعقل أن تكون إلا من غيرها لا منها ( أم خلّقوا من غير شيء أم هم الخالقون ) على أن المادة لا يظهر عنها إلا مقتضاها ، أما اجتماعها مع غيرها واتفاقها هي وسواها على أن توجد أشياء مرتبة وأموراً مدبرة منظمة تشتمل على

حِكم كبيرة وترى إلى غايات بعيدة فما لا يعقل فيها بوجه من الوجوه، وهل يعقل ان العناصر التي تتألف منها اليد والرجل والمعدة والامعاء والقلب والكبد والمنخ أرسل بعضها إلى بعض من أجل ان تجتمع ثم توزع العمل فيؤلف بعضها قلباً وبعضها كبداً وبعضها عيناً وبعضها في المرأة رحمًا الخ وهل علمت بيضة الصقر انه يتغذى باللحوم فهياته لذلك بخلاف بيضة العصفور والدجاجة مثلاً فاذا قلنا ان المادة تفعل مقتضاها على حسب ما أودع الله فيها من الخصائص فهل يمكنها أن تنتج كائنات حياً سمياً بصيراً؟ وهل يمكنها أن تدبر الأشياء تدبيراً حكيماً بحيث يكون في موضعه اللائق به ولغاياته المقصودة منه؟ واذا كان لها سلطان على نفسها وظواهر من ذاتها فكيف يكون لها السلطان على غيرها حتى تأتي معها وتنوطه بعمل خاص لغرض خاص اللهم ان ذلك غير معقول ولا مفهوم فهل علمت المادة أنه لا بد لك من عين تبصر بها وأنه لا بد لها من طبقات مختلفة في الشكل والتركيب وأنه لا بد لها من صيائها لما فيها من مزيد الرقة واللطافة فجعلتها في حجاج العين وحاطتها بتلك العظام الصلبة وهذا الغطاء الذي يشتمل على الجفن والهدب وعلى ذلك الحاجب الأعلى إلى آخر ما لا يمكننا شرحه ولا الخوض فيه . وماذا يكون الحال لو كانت هذه العين في الرجل أو تحت الابط مثلاً، ثم نقول هل علمت الطبيعة أنه لا بد لك من أكل وشرب فصنعت لك الفم وجعلت فيه الاسنان والأضراس مشكلة بأشكال مختلفة لحكم جلييلة، ثم جعلت له غطاء من الشفتين والأشداق ثم علمت أن الغذاء لا يمكنك بابعه إلا بسائل تسيغه به فخلقت لك الريق وركبته من تلك العناصر التي تفيد في هضم الطعام . ثم جعلت لك منفذين : منفذاً للنفس ومنفذاً للطعام والشراب ثم احتاطت فجعلت لك غطاء يغطي به مجرى النفس عند البلع خوفاً من أن تدخله اللقمة فتموت، ثم جعلت لك ذلك اللسان الذي لا تحصي عجائبه ولا تعد فوائده، ثم جعلت لك معدة مركبة تركيباً خاصاً لكي تفرز تلك العصارة المعدية . ثم جعلت لك أمعاء يتم فيها الهضم الثالث ودبرت لذلك تدبيراً حكيماً فاعاتها بالعصارة البنكرياسية وبالصفراء التي تفرزها الكبد ثم ترسلها إليها عند الحاجة ثم خلقت لك الكلى التي تفرز البول وهيأت له السيل، فقل لي بعيشك كيف يكون اذا لم يدبر للغذاء سيل الخروج كما دبر له سيل الدخول، وكيف يكون الحال اذا لم توجد فيك تلك المفاصل وماذا كنت تصنع عند القيام أو الرقاد أو الجلوس، وإلى أى حد من المشقة والضيق كنت تصل اذا لم يخلق لك ذلك الأنف الذي تنفس منه وتستنشق منه الهواء صافياً خالياً من التراب والغبار



بواسطة ما أودع الله فيه من تلك المصفاة العجيبة البديعة وماذا كنت صانعا لو خلقت بلا يدين أو خلقت اليد بلا مفاصل تمكنها من الحركات المختلفة الى الجهات المختلفة أو خلقت اليد بلا كف ولا أصابع أو خلقت الأصابع بلا أنامل ولا أظافر الى آخر ما يطول الكلام فيه ، ولا نستطيع أن نصل الى باطنه وخوافيه غير أن نقول بالاجمال : إن الذي وضع فيك الرئتين لاصلاح الدم ووضع فيك القلب بشكله المخصوص وتقسيمه الى الأذنين الأيمن والأذنين الأيسر والبطين الأيمن والبطين الأيسر وما دبر لذلك من تلك المجارى التى تحمل الدم الصالح المسماة بالشرايين وهاتيك المجارى الأخرى التى تحمل الدم الفاسد المسماة بأوردة . وأوجد تلك الصمامات المختلفة الى آخر ما أدهش علماء الفزيولوجيا ، ان الذى فعل ذلك واضعافه واضعافه لجدير ان يعرف ولا ينكر ويشكر ولا يكفر .

ان الطبيعة لا يمكنها التفنن فى العمل ولا أن تلاحظ المقاصد والغايات فتدبرها تدبيراً وتقدر وسائلها تقديراً ولكننا نرى فى الجسم الانسانى من الأشكال والألوان والصنائع والتدبيرات افانين وأعاجيب فنجد نصفه الاعلى يغاير نصفه الاسفل ، ورأسه يغاير بدنه وكل عضوفيه يباين الآخر وما من عظم صغير أو كبير ولا عصب ولا وريد ولا شريان الا قد وجد لحكمة كبرى ، ولو زاد عن مقداره الذى هو عليه أو نقص عنه أو تغير موضعه لا اختل نظام الجسم حتى الشرايين الشعرية التى هى كالشعراً وأدق منه بكثير كل واحد منها لحكمة كبرى . ولو زال عن محله أو زاد عن مقداره لفسدت الصحة واختل مزاج البدن . ولتعلم أن الاشياء الطبيعية لا يعجز عنها الانسان بعد ما عرف ظواهر الطبيعة ومقتضياتها وتحليل المادة وعناصرها وقوانين المزج والاتحاد ، وأحكام الجوامد والسوائل والغازات ولذلك تراهم يخترعون لنا من الآلات على مقتضى تلك الظواهر ما نشاهده كل يوم ، ولكن ليس فى امكان الطبيعة أن تنظم وتدبر ولا فى امكان الطبيعيين ( وقد عرفوا عناصر الاحياء ) أن يوجدوا لنا انسانا حيا أو عضوا حيا مع أن الامر لو كان طبيعيا لم يتوقف الا على عناصره التى يعرفونها ويمكنهم أن يركبوه تركيبا طبيعيا على مقتضى قوانينهم . ومن نظر فى مقدار حبة خردل من الجسم الانسانى كفته فى الدلالة على الله ، فان فى تلك الذرة الصغيرة من جسمك عسبا للحس وعسبا للحركة ويجرى للدم الشريانى ويجرى آخر للدم الوريدى الى غير ذلك مما لا يحصره العد ولا يأتى عليه القول وبالجمل ان انكر الطبيعيون ما فى الانسان من الاعمال المدهشة والاسرار



الغريبة التي أثبتت في كل ذراته بحيث لو أخذنا منها شريانا شعريا لتعطلت وظيفته، لو أنكروا ذلك كانوا مجانين وكذبهم علماء الفزيولوجيا تكذيبا مخجلا، وإن اعترفوا بأن كل شيء فيه لحكمة لا فرق بين مادي منه وماجل كما يقرره العلماء واما هو مشاهد ثم نسبوا ذلك لتلك المادة الصماء العمياء كانوا أشد جنونا من المجانين وأفظع جهلا من الحيوان الاعجم فأين يذهبون ولعلنا ننظر نظرة أخرى في بقية العوالم وما اشتملت عليه من الحكم والاسرار في انفسها وما وضع بينها من العلاقات والروابط وما ينط بها على وجه التضافر والمعاونة من الغايات والمقاصد ان شاء الله .

يوسف الرموى

من هيئة كبار العلماء

## الطرف والملح

قيل للآمون : ما ألد الأشياء قال التنزه في عقول الناس . يعنى قراءة اقوالهم . قال النويري في باب النوادر والفكاهات والملح : هذا الباب مما تنجذب النفوس اليه . وتشتمل الخواطر عليه . فان فيه راحة للنفوس اذا تعبت وكلت . ونشاطا للخواطر اذا سئمت وملت . لان النفوس لا تستطيع ملازمة الاعمال . بل ترتاح الى تنقل الاحوال . فاذا عاهدتها بالنوادر في بعض الاحيان . ولاطفها بالفكاهات في احد الازمان . عادت الى العمل الجدد بنشطة جديدة . وراحة في طلب العلوم مديدة .

وقال ابن عبد ربه : الملح نزهة النفس ورييع القلب . ومرتع السمع . ومجلب الراحة ومعدن السرور .

وقال على بن هذيل : ان في الحكايات والايخبار سلوة للنفس ، وآدبا نافعة للرئيس والمرؤوس . والقلوب ترتاح اليها من شجونها ، والآذان تصغى لسماع طرفها وفونها . الوحيد يأنس بمطالعتها ، والجليل ينسبط بمذاكرتها ومحاضرتها والطباع نجم<sup>(١)</sup> بها من مللها ويذهب عنها قلة نشاطها . وكثرة كسلها . والملوك يتحفون بها . وينال الجاه والرفعة منهم بسببها .

# اصول الدين

## الاسلام دين الفطرة

قال الله تعالى في كتابه العزيز مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) وقال تعالى ( وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين )

ولقد اردنا بسوق هاتين الآيتين الكريمتين أن نجلو مظهرها من مظاهر عموم الرحمة في رسالته صلى الله عليه وسلم وأنها شاملة لجميع العالمين وذلك ببيان أن الهداية التي أتت بها هذه الرسالة العظمى مسيطرة للغريزة الانسانية موافقة للفطرة السليمة فطرة الله التي فطر الناس عليها مستمدة من مواهب الخلقة منتزعة من قرارة النفس ليس حكمها بناب عن مقتضى العقل ولا فیهما مرهقا للتصور وأی أبواب الرحمة أوسع واشمل وأی مناهج الهدى أوضح من أن يكون رشادك مستمدا من فطرتك ودليلك كامنا في خلقتك فيوجه نظرك اليه فتلمسه من نفسك وتشعر به في وجدانك ثم كلما زدته نظرا واعتبارا ازددت فيه يقينا واستبصارا إذ كان مع هذا أدلته ناصعة وبراهينه قاطعة وحججه دامغة وآياته بالغة، فهدى هذه صفته وتلك محبته هل يفوت إلا على نفس غلبتها شقوتها واستولت عليها شهوتها فأنحرفت في مزاجها والتوت عن سبل استنتاجها فكانت جنائيتها على نفسها شرا من جنایة غيرها عليها؟ لا شك أن هدى على هذا الوجه تشعر النفس بأساسه وتقبل العقول فهم تفاصيله وتحيط بالمرء أدلته وبراهينه وتطلع أمامه الآيات البينات ثم تكون احكامه جماع المصالح العامة والخاصة ومستقر النظام لحياة الفرد والمجموع هو هدى يقبله العقل وتقر عنده النفس ويطمئن له القلب وينشرح له الصدر

وإذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء

الاسلام في جملته — جاء الدين الاسلامي مشتملا في جملته على طائفتين عظيمتين من المسائل، الاولى العقائد الدينية والثانية الاحكام العملية ولكل منهما تفاصيل كثيرة ومباحث واسعة، وقد افرد لكل من الطائفتين من العلوم ما وافی بالحاجة وزاد ففتح

أمام الفكر كل مسلك يمكن أن يخطر بالبال . وإنما الذى يعيننا فى هذا المقال وفيما سيتبعه على سننه ان شاء الله — هو بيان ان كلا من هذين القسمين : العقائد والاحكام تهدى الفطرة السليمة إلى أصوله ويقبل العقل والغريزة فهم تفاصيله بلا ارهاق للنفس ولا اعنات فى التصور ولا قهر للعقل على ما لا يستطيع فهمه أو الاذعان لما يناقض حكمه . وان العقائد قد جاءت مقرونة ببراهينها القاطعة وادلتها الساطعة لا تدع للشك لدى النفس مجالا ، ولا للريب عند العقل مدخلا ، وان الاحكام جاءت متضمنة من المصالح العامة والخاصة ما يكفل تهذيب النفوس وتكميلها واصلاح حال المجتمع وتنظيم علاقاته فى كل اطواره سواء المجتمع المنزل أو المدنى أو الانسانى العام على حالة سهلة القبول واضحة النهج نيرة المسلك لا تعقيد فيها ولا موارد

ولقد جاء الاسلام مخاطبا العقل مستنهضا الفكر يحث النفس على النظر فيما حولها والتفكر فيما يحيط بها ، يرشدها الى ان هذا كله قد خلق لها لتستوفى منه حاجتها ولتهتدى بالنظر فيه الى طريق سعادتها ، فقيح بها اذاً ان تفوت على نفسها الانتفاع بذلك وهى فى أشد الحاجة اليه من الناحيتين : ناحية استخدامه فى نيل أغراضها بقدر ما تسمح به قوتها ، وناحية الاسترشاد بالنظر فيه بعقلها وبصيرتها

ولما كانت مسالك التفكير وطرق البحث العقلى مما تشعب امام النفس وقد تخضع لظروف واحوال قد تحيده عن الجادة وربما طوحت بها الى مهاوى الضلالة أخذ الدين بيدها ليرشدها من ناحية غريزتها التى ركبت فيها ويعصمها بمقتضى سليقتها الكامنة فى قراراتها حتى يصل بها الى مستوى سعادتها ويرقيها الى أوج سيادتها فاذا ما أشرق عليها هذا النور الذى هى مطلعه وعليها مداره تفتحت له عيونها وأقبلت عليه بكليتها فجنت ثمرته واستمرت مذاقه ووجدت حلاوة الايمان به وحينئذ تتمسك به وتحرص عليه باقصى قوتها حتى تحوز بذلك السعادتين : سعادة هذه الحياة الحاضرة والسعادة العظمى الخالدة التى هيئت لها وهى بها جذيرة

وهنا يحق لنا أن نشرع فى تفصيل ما أجهلنا وتوضيح ما ذكرنا نبين ما فى كلتا الطائفتين : العقائد والاحكام من مظاهر عموم الرحمة بمسيرة الفطرة ليظهر أن من حرم نفسه من الانتفاع بها واجتناء ثمارها فهو كمن ( يموت ظمآن وفى البحر فه )

العقائد — هذا القسم من الدين الخفيف يتضمن نوعين عظيمين الأول العقائد الالهية ويبين فيه ما يوجب الدين اعتقاده فى حق الآله جل جلاله من صفات الكمال

والتنزيه عما لا يليق بمقام الآله جل شأنه ومستند ذلك وأدلته من العقل الصحيح والنقل الصريح ووجه مجاراته لمقتضى الفطرة الانسانية وكيف اتفق الدين والعقل في هذا الباب

والثانى العقائد النبوية - ويشرح فيه معنى النبوة والوحى وإمكانه وكيفيته ومن هم الانبياء وما حججهم وآياتهم الدالة على وجوب صدقهم في أنهم مبلغون عن ربهم وأنهم تجب طاعتهم فيما يأمرون ويجب تصديقهم في كل ما يخبرون به وأنه حقيقة ثابتة ( وهذا قسم السمعيات ) ومن أول ما يجب تحققه فيما يخبرون الا يناقض صريح حكم العقل ولا يكابر يقينا ثابتا، فمحال أن يأتوا بما يناقض صريح حكم العقل فانهم بالعقل عرفوا وعرفت نبوتهم فكان العقل أساس وجوب التصديق بهم والاذعان لحكمهم فلا يصح أن يهدموا أساسا بنى عليه أمرهم وإلا كانوا هادمين لبنائهم فانه متى اختل الاساس تقوض البناء

العقائد الالهية — يدعو الدين الاسلامى الى اعتقاد أن لهذا العالم خالقا واحدا وهو واجب الوجود ولا يقبل العدم ولا يحتاج الى شئ وليس كمثله شئ منزه عن كل نقص متصف بصفات السكالم التام والجلال العام فهو حى عليم قدير مدبر حكيم سميع بصير متكلم بكلامه القديم أرسل الرسل بالهدى ودين الحق ليرشد الناس ويخرجهم من الظلمات الى النور

ولقد ترى جلياً ان الاعتقاد بوجود إله لهذا العالم مهيمن عليه عليم بما يجرى فيه قدير على تصرفه حسب مشيئته غالب على أمره يصح أن يأمر فيجب طاعته وينهى فلا تجوز مخالفته ، هذا الاعتقاد يجب أن يكون سابقاً على النظر فى شريعة بعينها أصحححة هى فيذعن لها أم غير صحححة فيهمل أمرها . أجل إنه لو لم يسبق إلى نفسك الشعور بأن لك خالقا خلقتك فسواك وأنعم عليك ورباك، ثم تقوم الأدلة على أن هذا الذى تشعر به حقيقة لاشك فيها وأمر ثابت لامناص منه ولا مفر وانه إذ قدر على الانعام عليك فهو قادر على السلب منك، واذا أنعم بالفضل فلا يؤمن منه البطش وانك بين نعمته وبطشه عبد له وهو سيدك يصح أن يأمرك فيجب عليك أن تطيعه وينهاك فلا يجوز أن تخالفه وانك بطاعته تستحق رضاه وبمعصيته تتعرض لغضبه وانه مطلع على ما يكون منك وانه بكل شئ عليم، نقول لو لم يسبق إلى نفسك هذا الشعور يتلوه الاعتقاد الجازم الذى تتجلى معاملة وتظهر دلائله ما كان لك أن تفكر فى شريعة تجب

طاعتها ودين يلزم الاذعان له فما كان لنفس أن تدعن إلا لمن تعلم أنه غامرها بنعمته وقاهرها بقدرته فترجو رحمته وتخاف عذابه

من أجل هذا كانت الدعوة إلى الشريعة مسبوقة أو مبدوءة بتوجيه النفوس إلى الاعتراف بخالقها الذى تشعر به في وجدانها وتقرير هذه العقيدة بدليلها وبرهانها ومن أجل ذلك نرى الكلام في اثبات وجود خالق العالم وبيان استناده إلى ما في الفطرة الانسانية فطرة الله التى فطر الناس عليها أمراً واجب التقديم على الكلام في مفصلات الشريعة من عقائد وأحكام وإن كان سيتجلى لك أن الأصول العامة في الجميع تسير الفطرة السليمة وتعاقد العقل الصحيح

استقرار الأدلة في فطرة الانسان — إن الانسان بما ركب فيه من غريزة العقل وقوة التفكير لا يكاد يتجاوز درجات التمييز الأولى ويستعد للنظر الصحيح فيما يحيط به ويجري أمامه من العوالم الثابتة والشؤون المتجددة حتى يجد نفسه منساقاً إلى التساؤل فيما بينه وبين نفسه: ما أصل الوجود الذى أراه؟ وما منشأ هذا العالم الذى أنا منه؟ وما مصدر هذه التحولات والتقلبات؟ شمس وقمر يجريان بحسبان. كواكب وأفلاك لا يختل لها ميزان. جبال ووهاد. بحار وإنهار. نبات وحيوان. وما منها إلا له نظام معلوم وقانون محكم لا يختل ولا يتحول. فهل هذه العوالم المختلفة والكائنات المتباينة التى استوفى كل منها أعظم درجات كماله الخاص به فى نظرنا واتسمت فى مجموعها بهذا النظام البديع فتباينت فى أوضاعها وارتبطت فى جملتها. هل هذا كله وجد من نفسه فلا صانع أوجده ولا يد أحكمت تدبيره؟ أم هل هناك قوة أثرت فيه وأبرزته بعد أن دبرته وأحكمته؟ فما هى هذه القوة وكيف اهتدى لمعرفةا. ولقد تذكو هذه الفكرة فى النفس حيناً وتخمد أحياناً ولكن المرء بما هو عرضة له من مفاجأة آلامه ومشاهدة حوادث جسم تدهشه وتبهره يرى نفسه مضطراً إلى معاودة الفكرة وارجاع النظرة والعود إلى تلك المسألة: ما أصل هذا الوجود وما منشأ هذه الخليقة وما مصدر هذا العالم وهكذا لا يزال هذا التساؤل يبدن النفس حيناً بعد حين لا فرق بين الفرد والمجموع حتى يرى هذا البحث لبعض النفوس لزماً ويصير شغلها الشاغل فلا تهدأ ولا تطمئن إلا إذا تجلى لها الأمر واتضح أمامها سبيل الحق.

ومن هنا يتضح أنه كما أن العقل الذى يفكر به الانسان مركز فى فطرته كذلك لدواعى التى تحفزها إلى البحث والنظر مشبوة فيما يحيط به مستمدة من تأثير نفسه بما

يتصل بها وله علاقة بوجودها فالامر ان معا: العقل الذى به التفكير والبواعث التى تدعو الى النظر مركزان فى فطرتها متصلان اتم اتصال بوجودها . فاذا ما استعملت عقلها فى النظر على الوجه الصحيح السليم من الشوائب فتسير حيث يضى لها السبيل وتقف حيث يزجرها العقل كانت بذلك متتبعة لفطرتها مسيرة لغريزتها ، أما اذا لعبت بها الالهواء وتفرقت بها السبل فانهرف مزاجها والتوى منهاجها وفسد استنتاجها فانها تكون فاسدة الفطرة قد غلبتها شقوتها واستولت عليها شهوتها وذلك شر جناية منها على نفسها . ولنعد إلى ذلك التساؤل لنصل إلى جواب يطمئن له القلب وتذعن له النفس : هاهى أشياء امامنا نراها وجدت بعد أن لم تكن ثم يلحقها الفناء والعدم كاشخاص النبات والحيوان ، وأشياء أخرى لم نشاهد أول نشأتها ولم نر حالة عدمها كاللكواكب والافلاك ، فما منشأ هذا كله ؟ ولنبدأ بما شاهدنا حدوثه بعد ان لم يكن نبحت حاله لتبين منشأ وجوده أمن نفسه وجدام وجوده من غيره ، ثم نعود إلى القسم الثانى نبحت عما بينه وبين الاول من وجوه المشاركة والمخالفة لنرى امشركة كلها فى أنها محتاجة فى وجودها إلى سواها أم يصح لها أو لشيء منها أن يعطى نفسه الوجود ، فنقول هذا الذى وجد بعد أن لم يكن قد وجد على أدق صنع وأبدع وجه فاشتمل على ما يكفل نموه ويحفظ شخصه من غوائل وعواد وعلى ما يحفظ نوعه بتجديد مواليده ولكل من هذه الاعمال التى يحتاج اليها فى حفظ شخصه ونوعه أجهزة هى غاية فى الاتقان تؤدى أعمالها بلا شعور منه ولا ارادة بل ولا دراية له بها حتى إذا كان من أهل الدراية كشخص الانسان فهو يبحث عن تفاصيلها فلا يصل بعد الجهد الا لمعرفة القليل منها وكلما ازداد تأملا فيها ازداد إعجابا بها واكبارا لها : فبديهة العقل قاضية فى مثل هذا أنها ليست من صنعه اذ كيف يصنع مالا دراية له به بعد وجوده وكيف وقد كان عد ما صرفا فكيف يقدر حال عدمه على إيجاد ما لا يستطيع استبقائه بعد وجوده ، والاستبقاء أسهل من الایجاد وهو بعد الوجود أقوى بالبداهة منه حال العدم وكذلك لا يقبل العقل أن هذا النظام والاحكام والاتقان الذى لا يختل له ميزان يكون قد وجد فى تلك الكائنات بلا موجد مع أن وجودها ليس مقتضى ذاتها والالم يفارقها فلم يسبقه عدم ولم يلحقه عدم والمشاهد خلافة . والعقل يأبى كل الالباء أن يكون الوجود والمتقن المحكم نتيجة المصادفة الصرفة التى لم تسبق بعلم وارادة وتدير . فبحال أن تدخل فى عقل ساذج ان هذا القطار البخارى مثلا الذى يشاهد عجائب أثاره قد وجد من نفسه بلا إيجاد ولا تأثير فكيف بهذه العوالم الحية النامية

واذا بطل أنه وجد اتفاقاً ومصادفة وبطل أنه حين كان معدوماً منح نفسه هذا الوجود تعين بالبداهة أن وجوده قد جاء من مؤثر له من القدرة على الابرار والايجاد ومن العلم والحكمة والتدبير ما تشهد به آثاره وينطق به إحكام صنعته وهنا يجد المرء نفسه مضطراً إلى الازعان والاعتراف بان لهذا الموجود خالقاً أبرزه بعد أن أحكم تدبيره واختار له أدق الانظمة وأبدع الكلمات التي تناسبه عن علم واسع الاحاطة وارادة كاملة. هذا طريق واضح المسالك نير الاعلام لا تجد النفس حيرة اذا سلكته ولا تعترضها عقبة يتعذر أو يتعسر اجتيازها ولكن النفس البشرية واسعة المجال في التفكير لا تترك فرضاً محتملاً الا نظرت فيه حتى تجد ما يصدها عنه ويرجعها إلى النهج القويم والطريقة المثلى. وإن لكل فئة من الناس مسلكاً في التفكير يخضع لما يحيط بها ويغلب على مشاعرها فمنها المعوج ومنها المستقيم. لذلك كان العقل البشري على ما فيه من هذا الشعور العام الذى شرحناه مختلف المشارب في تحديد وفهم معنى الخالق الذى يشعر به ولا يراه ولكنه مهما اختلف فانه يغلب عليه مبدأ واحد وهو ارجاعه هذه القوة العظمى إلى أعظم وأقوى ما يقع عليه حسه ومشاهدته خضوعاً منه للحس الذى كان أول مغذ لمداركه فترى فئة تتمثل هذه القوة فى الكواكب وفئة تزعمها فى حيوان هو أقوى أو أعظم أو أنفع ما رأت، وفئة تنصب لها تمثالاً من صنع يدها تتمثل فيه جلالها والكل يحاول أمراً واحداً هو أن يقرب إلى فهمه تلك القوة التى يدعن لها الازعان الخفى فهو يحاول رؤيتها ولمسها لتطمئن نفسه من حيرتها. وترى من الناس فريقاً يقول: إن هذه القوة التى نشأ عنها هذا الكون ليست سوى استعدادات كامنة فى مادة الاشياء التى لا تقنى ولا تنعدم وقد نسى الفريق الاول ما فى تلك الكائنات التى ظنها المثل الاعلى فى القوة من مظاهر النقص ودلائل الحدوث وعلامات الحدوث وعلامات الاحتياج والتعرض للفناء وذهل الفريق الثانى عن أن المادة التى دعمها مركز القوة لا شعور لها ولا إدراك حتى تنظم وتحكم ولا قدرة لها حتى تؤثر وتضع فى منفعة متأثرة دائماً أبداً لا فاعلة ولا مؤثرة ثم هى متشابهة الاجزاء فى أصلها قابلة لكل صورة تقاض عليها فلا بد لهذا التقسيم والتصوير من مهيمن ذى سلطان قوى واسع وحكمة بالغة وقد قدمنا لك أن العقل لا يقبل ان يكون الصنع المتقن نتيجة المصادفة التى لم تسبق بعلم ولا تدبير هذا اذا نظرنا الى الاشياء التى شاهدنا حدوثها بعد عدمها، فاذا انتقلنا الى الاشياء التى لم نشاهد حدوثها كالكواكب والافلاك وكالمادة التى قالوا فيها : انها لا تقنى ولا تنعدم على ما زعموا.

نجدها تشارك تلك الاشياء التي شوهدها حدوثها في دليل الحدوث ذلك أنها متخيرة في احيائها تنتقل منها الى احياء أخرى بحركة متتالية ، والحركة لا شك في حدوثها فهي وضع مسبوق بوضع آخر ، والاضاع التي كل واحد منها حادث هي حادثة بالضرورة ، واذا كانت تلك الكائنات متلبسة دائماً بحركة حادثة مسبقة بالعدم ولا يمكن أن تخلو عن الحادث المسبوق بالعدم فهي مسبقة بالعدم البتة فهي حادثة ضرورة ، واذا فرض أن شيئاً منها ساكن أى مختص بحيز لا يفارقه فإنه بلا شك قابل لان يأخذ حيزاً آخر ويتحرك اليه إذ لا فرق بين حيز وحيز ، وما أمكن زواله استحال أن يكون قديماً فالكل حادث فلا بد له من موجد ليس من جنس هذا العالم وليس كمثله شيء

وهناك طريق آخر لا بأس بالالمام به بإيجاز وهو يحتاج إلى مقدمة بسيطة اصطلاحاً على أن يبدأوا بها هذه المباحث وهي أن العقل اذا نظر الى أى شيء يتصوره ويخطر بباله ونسب الوجود اليه فإنه لا يعدو أن يكون واحداً من ثلاثة أشياء : الواجب والجائز والمستحيل ، فالواجب هو ما لا يقبل العدم في نظر العقل ، والمستحيل ما لا يقبل الوجود والجائز ما يصح عند العقل أن يوجد ويصح أن يعدم وقد يسمى الجائز بالممكن فيقال الواجب ما كان وجوده مقتضى ذاته لازماً لها لا ينفك عنها ولا تحتاج الذات في وجودها الى غيرها ، والمستحيل ما كان عدمه مقتضى ذاته كذلك ، والممكن ما لا تقتضى ذاته وجوداً ولا عدماً فهو اذا وجد فوجوده من غيره ، واذا عدم فلان غيره لم يوجد . فاما المستحيل فلا صلة له بالوجود ولا سبيل له اليه ، واما الممكن فما هو ذا نراه ونعلم امكانه إما بتعاقب الوجود والعدم عليه ، وإما باحتياجه الى حيز يحويه أو يتنقل فيه والى قوة تحركه أو ببقية والى ما يخصه بحدوده ونهاياته واشكاله وأوضاعه ، ولما كان الممكن لا وجود له من ذاته وهو محتاج في وجوده الى غيره ليفيض عليه الوجود وما يتبع الوجود من كمال كان وجود تلك الممكنات دليلاً على ان هناك موجوداً لا يحتاج الى شيء ويحتاج اليه كل شيء فوجوده من ذاته وهو يفيض الوجود على غيره وذلك هو واجب الوجود وبه تنقطع سلسلة الاحتياج الشاملة لجميع الممكنات ويجب ان يكون من صفاته الغنى المطلق عن كل شيء واستيفاء الكمال في جميع صفات الوجود فيجب أن يكون هو الحى العليم القدير الحكيم

هذا وقد يخطر بالبال أن هذه النبذة وما سبقها نبذة فنية ، وسياق الكلام في تقرير ان هذان الدين الفطرة ، والفطرة امر عام لا يختص باهل فن وعلم فنقول : نعم حق ما تقول وما جرتنا



إليها الا تتبع نزغات لبعض النفوس ونزوات للاهواء لتقضى عليها بلسانها ونزورها الى  
 رشدتها ونزجها الى فطرتها ببيان أن ما تطوحت اليه وتورطت فيه طريق مسدود ومسلك  
 لا يوصل وان الجادة المثلى هي في الرجوع الى أبسط قضايا العقل وتأييد الشعور  
 الصادق في النفس وضبطها عن الهوج والهرج وردها الى طريق ليس بذى عوج  
 ذلك هو ما سلكه القرآن الكريم ودعا اليه النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم  
 فقد دعا الناس الى النظر السليم بالفكر النير يقرب البعيد ويضىء المظلم ويحل المشكل  
 وأرشده الى أدلة ناصعة وبراهين قاطعة تضىء السبيل وتشفي الغليل لا يحتاج الناظر فيها  
 الى التبحر فى صناعة علمية أو ثقافة أدبية بل يكفيه أن يكون من أهل العقل والتمييز  
 فهي كالشمس يستضىء بها العالم والجاهل وكالهواء النقي ينتفع باستنشاقه السليم والمريض  
 وكالماء الزلال يروى كل غلة وكالدواء الشافي يبرى كل علة ، اذا سمعه الساذج استفاد  
 منه ، واذا تأمله الحكيم اهتدى بنوره فزال عنه كل شبهة وانقذ من كل ضلالة وحيرة  
 مع سهولة فهم وقرب متناول . يؤيد الشعور الصادق ويقرر الحق الواضح ويزيل  
 الزيف والريب حتى يبقى اليقين نقيا صافيا ، ولنسق لك بعض آيات الكتاب الكريم  
 فى ذلك قال تعالى ( وفى الأرض آيات للوقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون ، وفى  
 السماء رزقكم وما توعدون ) ( أفرأيتكم ما تُمْنُونُ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ )  
 لو كنتم تخلقونه لعلمتم تركيبه وتفصيل أجزائه ووظائف اعضائه ومسالك أعصابه بل  
 لتخيرتم لنسلكم أبداع ما يكون ، أو على الأقل لتخيرتم ما تحبون من أن يكون النسل  
 ذكرا أو أنثى ( أفرأيتكم ما تحرثون أَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ) فهل تعلمون  
 كيفية امتصاصه غذاءه ومسالك الحياة وطرق النماء فيه ( أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى  
 الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ )  
 ( أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ) ( وفى الأرض قطع  
 متجاورات وجيئات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء  
 واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ) وهل يوجد أدل على رد مزاعم الماديين  
 مما اشتملت عليه هذه الآية على وضوح دلالتها وقرب تناولها للفهم وكذلك قوله جل شأنه  
 ( فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا  
 فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدائق غلبًا وفاكهة وأبا  
 مَآعَا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ) ويقول فى شرح اطوار خلق الانسان ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا  
 الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ

علامة فخلقنا العلامة مُضغَة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر  
 فتبارك الله أحسنُ الخالقين ) فأى هدى وارشاد هو أصدق وأثبت مما تنتزعه من قرارة  
 نفسك وتأخذه من متناول حسك ويحيط بك من كل نواحي وجودك ولقد أشار القرآن  
 الكريم الى أن هذا شعور كامن فى النفس بقوله تعالى ( ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله )  
 ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ خلقهنَّ العزيز العليم ) ومن هنا ترى أن  
 الدعوة الى الشريعة جاءت من ناحية الشعور الصادق تعززه وتهذبه والوجدان السكمن تثيره  
 ثم تشرحه وتوضحه ، وتقيم البراهين مما تعرفه النفس ويناله الحس ، ثم تزيل الشبهة وتنزه عن  
 النقائص حتى يستقر الايمان فى النفس وتذوق حلاوته ، ثم تدعو الى عبادة وتمجيد من  
 له العظمة والقدرة ، وكل ذلك فى آيات بيّنة وحجج واضحة كان من حق العقل لولا  
 ما يحيط به من عوامل وظروف ويؤثر فيه من نزغات ونزوات أن يهتدى اليها بفطرته  
 ويستجليها بقريحته ، وفعلنا كان ذلك لبعض من استنارت بصائرهم وصفت ضمايرهم أما  
 العامة فهم بحاجة الى هاد منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم  
 افليس فى هذا مقنع بأن الدين الاسلامى جاء فى باب اثبات الخالق بما يوافق الفطرة  
 السليمة ويقرر ما يقتضيه النظر الصحيح ويهدى العقل إذا ضل حتى تدعن النفس ويطمئن  
 القلب ( إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ) ولتقف فى  
 هذا المقال عند هذا الحد راجين أن نعرض فى المقالات التالية إن شاء الله لبيان مسامرة  
 الدين للفطرة فى باقى مباحث العقائد الالهية ، وكذلك فى باب النبوات والسمعيات ثم فى  
 العبادات والمعاملات ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وإن الله لسميع  
 عليم ، والله المستعان وهو ولى التوفيق ؟

ابراهيم الجبالى

مدرس بقسم التخصص بالازهر

## الملح والطرف

قال اياس بن معاوية : خرجت فى سفر ومعى رجل من الاعراب ، فلما كان فى بعض  
 المناهل (١) لقيه ابن عم له . فتعابا . والى جانبهما شيخ من الحى فقال لهما الشيخ : انعما عيشا (٢)  
 إن المعاتبة تبعث التجنى (٣) . والتجنى يبعث المخاصمة . والمخاصمة تبعث العداوة . ولا خير فى  
 شئٍ ثمرته العداوة - فقلت للشيخ : من انت ؟ فقال انا ابن تجربة الدهر . فقلت : ما افادك الدهر ؟  
 قال : العلم به . قلت : فأيه احمد ؟ قال : أن يبقى المرء أحوثه حسنة بعده .

(١) جمع منهل وعين ماء تروها الابل (٢) دعاء لهما بطيب الحياة ورفاهيتها (٣) تجر الى ان يدعى احدهما على الآخر ذنباً لم يفعله

# السنة

## حديثان كلاهما حكمة بالغة

الحديث الاول فى الارشاد الى التعارف والائتلاف :

عن أبى أيوبؓ . رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
لا يحِلُّ للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث . يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا .  
وخيرهما الذى يبدأ بالسلام (١)

خلق الله . جلت حكمته . الناس من جنس واحد . للتعارف لا للتناكر . وللتواصل  
لا للتقاطع . وللاجتماع لا للافتراق . وللتعاون لا للتخاذل — قال سبحانه : ( يا أيها الناس  
إننا خلقناكم من ذكر وأنثى . وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا )

لهذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن الله سبحانه . حرّم علينا أن يهجر  
أحدنا أخاه المسلم . فإنه تربطه به رابطتان . إحداهما رابطة الانسانية وثانيتهما رابطة الديانة  
الاسلامية . التى لا تطاؤها رابطة أخرى . ولا تداينها صلة سواها .

حرّم علينا ذلك الهجر لما فيه من قطع الصلة بين المؤمنين . وتفكيك عروة الاسلام  
الوثقى التى بينهم . وذلك مؤدٍ إلى ضعفهم وخذلانهم . وتعطيل أحكام دينهم القويم .  
وتمكن أعدائهم منهم وتسليطهم عليهم . حتى يصبحوا أذلاء بعد العزة . فقراء بعد الغنى .  
جهالاً بعد العلم . عبيداً بعد السيادة . ويصير دينهم الحنيف معطلاً بعد نفاذه . معيياً بعد  
سلامته وطهارته . مضغة في أفواه أعدائه والجاهلين به . والذين لا يألون به خبالاً . ولا سعيّاً  
في طمسه ومحوه .

( يريدون أن يُطفئوا نورَ الله بأفواههم . ويأبى الله ألا أن يتمّ نورَه ولو كره  
الكافرون )

زُدْ على ذلك . الأضرار العديدة الدنيوية . من تمكن العداوة في نفوسهم ، ورسوخ البغضاء في قلوبهم . حتى يحملهم ذلك على التشاحن والتطاحن . ويجر بعضهم بعضاً إلى القضاء . حتى تكتظ بهم دياره . ويسأمهم الحكام والقضاء — واذ ذاك تتعطل مصالحهم وتكسد تجارتهم . وتهلك مزارعهم . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فسر صلى الله عليه وسلم الهجر . فيئنه أنه الإعراض عند الالتقاء . فيتولى كل منهما بوجهه عن أخيه . ليشفيا بذلك أنفسهما . ويرضيان شياطينهما . وغاب عنهما أنه تمزيق لشلهما . وتقطيع لأوصالهما . وإغضاب لربهما . واستئزال لمقته وسخطه .

بين هذا كما بين أن باب التوبة مفتوح . وأن الله الكريم العفو يقبل من رجع منهما إليه . وأن أفضلهما عند الله وأقربهما إلى عفوه ورحمته . هو أسرعهما إلى التوبة والإنبابة . والتسامح والمصافاة . والبدة بالتحية والسلام .

وصفوة هذا التعليم النبوى المطاع . إرشاد المؤمن أنه إذا غفل فإخطأ وهفا . تذكر فأنا وب وعفا . ( إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ) . فاستمع بعد هذا ما نقصه عليك . فإن فيه عظة وذكرى لقوم يفقهون — اختلف عالمان فى مسألة . فلما اشتد الجدال بينهما . قال أحدهما للآخر : إتنى أعرف أنك كلك شر طول حياتك — فأجابه الآخر : وإتنى أعرف أنك كلك خير طول حياتك — فهت الذى اعتدى . ولم يسعه إلا أن اعتذر . ثم تصالفا وتصافيا .

• ذلك هو مصداق قول الله تعالى : ( إدفع بالتى هى أحسن . فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ) (١) .

أما الهجر فيما دون الثلاث فإنه معفو عنه لا محذور فيه — والحكمة الإلهية البالغة فى ذلك أن الانسان فى اليوم الأول يسكن غضبه . وفى الثانى يراجع نفسه . وفى الثالث يعتذر لأخيه . وما زاد على ذلك فإنه يكون قطعاً لرابطة الاخوة التى ربط الله تعالى بها المؤمنين . هدام الله وأصلح بالهم . وأعز بهم دينهم وديناهم .

الحديث الثانى فى الارشاد الى شكر النعمة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أنظروا إلى من هو أسفل منكم . ولا تنظروا إلى من هو فوقكم . فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم ) (٢) .

هذا تعليم من تعاليم النبوة المحمدية . وتطبيب ناجع من طب الاسلام الحنيف .  
عالج به النفوس لتنتبه لنعم الله تعالى عليها . وتقدرها حق قدرها . وتؤدي ما وجب  
عليها لله من شكرها . ليحفظ لها تلك النعم . ثم يتفضل عليها بزيادتها وتكثيرها . كما  
وعد بذلك في قوله سبحانه : ( لئن شكرتم لأزيدنكم )

أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن ننظر إلى من هو أسفل منا في أمور هذه  
الحياة الدنيوية وشؤونها . ونهانا أن ننظر إلى من هو فوقنا فيها .

أرشدنا إلى أن ننظر إلى المبتلى بالأسقام . ثم ننقل منه إلى ما تفضل الله تعالى به  
علينا من العافية التي هي أصل كل إنعام .

كذلك ننظر إلى من في خلقته نقص كعمى أو صمم أو بكم . ثم ننقل إلى ما نحن  
فيه من السلامة من تلك العاهات التي هي مجلبة الغم والحلم .

وكذلك ننظر إلى من ابتلى بالفقر المذقع . أو بالدين المذل لأعناق الرجال ثم  
نلتفت إلى نجاتنا منها .

على أنه ما من مبتلى بشيء مما في هذه الحياة الا وهناك من هو أعظم منه بلاءً وعناء .  
فاذا نظر الانسان اليه كان له فيه سلوة وعظمة ، ووجب عليه أن يسارع إلى شكر الله  
تعالى على ما أنعم به عليه وتفضل .

أما من كان فوقه في الدين والعلم الصحيح والفضل وعمَل الصالحات . فأن النظر اليه  
مطلوب ومحجوب . لأنه يعلم به أنه من المفرطين . اذ لولا تفریطه لكان مثله أو أعظم منه  
وصفوة هذه الحكمة النبوية البالغة أن ننظر المرء إلى من هو دونه في الأحوال

الدنيوية . يجلب له السرور والاعتباط بما هو فيه . ويوقظه لشكر الله على نعمه التي  
أسبغها عليه — وأن النظر الى من هو أعلى منه في الخير والطاعات . يحمله على الحياء من الله  
عز وجل . ويثبّض به إلى المسارعة والمبادرة في عمل الصالحات . وفنون البر على اختلافها  
وكثرتها — قال الله تعالى :

( مثل هذا فليعمل العاملون ) ( وفي ذلك فليتنافس المتنافسون )

مصنوع منصور

وكيل دارالعلوم العليا



# اصول الفقه

## الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان

يقع في وهم من لا يدري ما الاسلام أن شريعته لا توافق حال العصر الحاضر، ويبنى توهمه هذا على أن القوانين إنما تقوم على رعاية المصالح، ومصالح العصور تختلف اختلافا كثيرا، فالدعوة الى بقاء أحكامها نافذة هي في نظره دعوة الى خطة غير صالحة ذلك ما نقصد في هذا المقال الى تفنيده وتفصيل القول في دفع شبهته، حتى يثبت بالدليل المرأى رأى العين أن الشريعة الغراء تسير كل عصر، وتحفظ مصالح كل جيل ولما كان التشريع الاسلامى يعتمد في معظم أحكامه على الاجتهاد استدعى البحث أن نصدره بكلمة في الاجتهاد، وفي هذه الكلمة ترى شيئا من عظمة علماء الشريعة، ولا أخالك إلا أن تقرأ البحث بدقة فلا تأتى على آخره حتى تشهد بأنهم كانوا هداة مصالحين. ونأخذ بعد بحث الاجتهاد في تقرير الاصول التي جعلت الشريعة تسع مقتضيات العصور على اختلافها، وتقوم بحاجات الشعوب على تباعد ما بينها، ونسوق لك الشواهد على هذا من عمل القضاة ورجال الفتوى حتى لا يبقى في صدرك حرج من مزاعم أولئك الذين يكتبون أو يخطبون فيما لا يعلمون

### ﴿ الاجتهاد في أحكام الشريعة ﴾

شريعة الاسلام عامة فلا يختص بها قبيل من البشر دون قبيل، ودائمة فلا يختص بها جيل دون جيل، وأفعال البشر على اختلاف أجناسهم وتعاقب عصورهم لا تنتهى الى حد، ولا تدخل تحت حصر، ومن أجل هذا لم تنزل أحكامها في نسق واحد من التفصيل والبيان، بل أرشدت الشريعة الى بعضها بدلائل خاصة، وقررت بقيتها في أصول كلية ليستنبطها الذين أتوا العلم عند الحاجة اليها يتمكن العالم من استنباط الاحكام بمعرفة أمرين (أحدهما) الادلة السمعية التي تنتزع منها القواعد والاحكام

( ثانيهما ) وجود دلالة اللفظ المعتمد بها في لسان العرب واستعمال البلغاء ويرجع النظر في الأدلة السمعية الى الكتاب والسنة والاجماع ، ويتصل بهذه الأدلة أصول اختلفت فيها انظار الأئمة ، كمذهب الصحابي ، وعمل أهل المدينة ، وشرع من قبلنا الذي لم يرد في شريعتنا ما ينسخه ، فان الأخذ بهذه الأصول يرجع الى التمسك بدليل منقول لا يدخل فيه العقل الا على وجه التفهم كما يدخل في غيره من نصوص الكتاب والسنة ويرجع النظر في وجوه الدلالات الى دلالة بالمنطوق ، ودلالة بالمفهوم ، ودلالة بالمعقول ومن متناول دلالة المعقول ذلك الاصل الكبير الذي يسمونه القياس ، ويضارع القياس في هذه الدلالة أنواع جرى فيها الخلاف بين أهل العلم ، مثل الاستصحاب ، والمصالح المرسلة ، ومراعاة العرف ، وسد الذرائع

ثم إن الأدلة قد تتزاحم في نظر المجتهد ويراها واردة على قضية واحدة ، وكل منها يقتضى من الحكم غير ما يقتضيه الآخر ، فيحتاج الى أن ينقب عن الوجوه التي يترجح بها جانب أحدها ليعتمد عليه في تقرير الحكم

فدخل في الاركان التي يقوم عليها الاجتهاد القدرة على الموازنة بين الأدلة وترجيح أقواها على ما هو دونه عند تعارضها ، فمن كان على بصيرة من الأدلة السمعية ووجوه دلالتها وطرق الترجيح بين الأدلة عند تعارضها ، فقد قبض على زمام الاستنباط ، واستعد لأن يجلس على منصة الاجتهاد فالا جتهاد بذل الفقيه الوسع لاستخراج الأحكام العملية من أدلتها التفصيلية

### شَرَائطُ الاجْتِهَادِ

قلنا : إن الاجتهاد يدور على معرفة الأدلة السمعية ، ووجوه دلالتها ، وطرق الترجيح عند تعارضها

أما معرفة الأدلة السمعية فتتحقق بمعرفة الكتاب والسنة والاحكام المشتركة بينهما كالعلم بالناسخ والمنسوخ والاحكام الخاصة بالكتاب ، كالعلم بوجوه القرآت والاحكام الخاصة بالسنة كالعلم باصول الحديث وأحوال الرواة .

وأما معرفة وجوه الدلالات فتتحقق بالفرق بين المنطوق والمفهوم ، والمجمل والمبين والنص والظاهر ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والحقيقة والمجاز ، والحكم والمتشابه ،

والصريح والكنائية ، والمعاني التي يدل عليها الكلام بنفسه ، والمعاني التي يراعيها البلغاء ، ويسمونها علماء البيان بمستتبعات التراكيب

فمن شروط الاجتهاد العلم باللغة والنحو والمعاني والبيان ، ومجمل القول أن يكون عارفاً باللسان العربي ووجوه تصرفات ألفاظه ومعانيه معرفة ترفعه بين علماء اللغة وبلغائها مكاناً عالياً .

أما طرق الترجيح فمنها ما يعرف بالنظر في علوم الشريعة كتقديم ما يتلى في الكتاب الكريم على ما يروى على أنه حديث ، ومنها ما يعرف بالبحث عن حال الراوية كتقديم ما يرويه البخاري على ما يرويه غيره ، ومنها ما يعرف بالنظر في علوم اللغة كتقديم النص على الظاهر والمنطوق على المفهوم

### الكتاب :

ذكرنا في شروط الاجتهاد العلم بالقرآن الكريم ولا سيما آيات الاحكام التي قدرها الغزالي وابن العربي بخمسمائة آية . واقتصرنا في تقديرها على هذا العدد لانهم رأوا مقاتل ابن سليمان وهو أول من أفرد آيات الاحكام في تصنيف - قد جعلها خمسمائة آية ، وقد نازعهم ابن دقيق العيد في هذا التقدير ، وقال مقدار آيات الاحكام لا ينحصر في هذا العدد ، بل هو يختلف باختلاف القرائح والاذهان ، وما يفتحه الله من وجوه الاستنباط . والراسخ في علوم الشريعة يعرف أن من أصولها أو أحكامها ما يؤخذ من موارد متعددة حتى الآيات الواردة في القصص والأمثال .

وقد عني طائفة من العلماء بآيات الاحكام بعد مقاتل فألفوا في تفسيرها خاصة كما فعل منذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة المتوفي سنة ٣٥٥ وأبو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص المتوفي سنة ٣٧٠ وأبو بكر بن العربي المتوفي سنة ٤٦٨ وعبد المنعم بن محمد المعروف بابن الفرس المتوفي سنة ٥٩٩

### السنة :

أوردنا في شروط الاجتهاد العلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد اختلف أهل العلم في القدر الذي فيه كفاية ، فقال أبو بكر بن العربي في كتاب المحصول : هي ثلاثة آلاف حديث ، ونقل عن أحمد بن حنبل أن الأصول التي يدور عليها العلم ينبغي أن



تكون ألفا ومائتين ويذهب ابن القيم الى أن الأصول التي تدور عليها الأحكام خمسائة حديث ، وهي مفصلة في نحو أربعة آلاف حديث

والحق في جانب من يقول : إنه لا يحق الاجتهاد الا لمن كان عالما بما اشتملت عليه مجاميع السنة كالأمهات الست وما يلحق بها من الكتب التي التزم مصنفوها الصحة فيما يرون ، إذ من المحتمل أن يوجد فيها ما يدل على الحكم صراحة ويأتى الاستنباط بما يخالفها ، وكان أهل العلم فيما سلف انما يرجعون بالواقعة الى الاستنباط بعد أن يبحثوا جهد استطاعتهم فلا يظفروا بآية أو سنة تنص على حكمها . في كتاب القضاء لأبي عبيد ان ابا بكر الصديق كان اذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى فان وجد فيه ما يقضى به قضى به ، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان وجد فيها ما يقضى به قضى به ، فان أعياه ذلك سأل الناس هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيه بقضاء ؟ فرمما قام اليه القوم فيقولون قضى فيه بكذا وكذا ، فان لم يجد سنة سننها النبي صلى الله عليه وسلم جمع رؤساء الناس فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك .

والحديث الذي يرويه أحد الأئمة ويصله بما ينبي عن صحته ، يسوغ للفقهاء متى عرف مذهب الراوى في التعديل أن يعتمد على تصحيحه ، ومن هذا القبيل ما يرويه البخاري ومسلم في صحيحهما . وأما ما يروي في الكتب التي لا تخلو من الضعيف ، فلا بد له من النظر في سند الحديث والبحث عن سيرة من يحمل حاله حتى يكون على بينة من أمره

### علوم اللغة العربية

أخذنا في شروط المجتهد أن يكون قائما على علوم اللغة العربية ، بحيث يبلغ في فهم الكلام العربى مبلغ العرب الناشئين في الجاهلية أو في صدر الاسلام ، قال ابو اسحاق الشاطبي « لا غنى للمجتهد في الشريعة عن بلوغ درجة الاجتهاد في كلام العرب بحث يصير فهم خطابها طبعاً غير متكلف »

وقد يقع في خاطرك أن شرط الاجتهاد في اللسان العربى يجعل رتبة الاجتهاد في الشريعة بمنزلة المتعذر ، فانه يقتضى أن يسلك الفقيه في البحث عن معانى الالفاظ وأحكامها ووجوه بلاغتها الطرق التي سلكها أئمة تلك العلوم ، ولا يكفيهِ أن يأخذ من القاموس أن النكاح مثلاً يطلق على الوطء والعقد ، ومن كتاب سيديهِ أن الحفظ يكون بالجوار ، ومن دلائل الاعجاز أن تقديم المعمول أو تعريف المسند يفيد القصر ، حتى يتبع كلام

العرب بنفسه ، ويقف على صحة اطلاق النكاح على الوطء والعقد ، ويظفر بشواهد كثيرة يحقق بها قاعدة الخفظ بالجوار ، وشواهد أخرى يعلم بها أن تقديم المعمول أو تعريف الطرفين يفيد الحصر ، وتكليفه بأن يبلغ في علوم اللغة هذه الغاية يشبه التكليف بما لا تسعه الطاقة وجواب هذا :

ان المجتهد في الشريعة لا بد له له من أن يرسخ في علوم اللغة رسوخ البالغين درجة الاجتهاد ، وله أن يرجع في أحكام الالفاظ ومعانيها الى رواية الثقة وما يقوله الأئمة ، واذا وقع نزاع في معنى أو حكم توقف عليه فهم نص شرعى تعين عليه حينئذ بذل الوسع في معرفة الحق بين ذلك الاختلاف ، ولا يسوغ له أن يعمل على أحد المذاهب النحوية أو البيانية في تقرير حكم الا أن يستبين له رجحانه بدليل فالمجتهد في أحكام الشريعة وان ساغ له التقليد في العلوم التي هي وسائل الاستنباط يجب عليه أن يكون في معرفتها بمكانة سامية ، حتى اذا جرى اختلاف في رتبة حديث أو قاعدة عربية احتاج الى تطبيقها ، جرد نظره لاجتلاء الحقيقة دون أن يقف وقفة الحائر أو يتمسك بأحد الآراء على غير بينة .

### أصول الفقه

مسائل علم الاصول منها ما يستمد من النظر في الكتاب والسنة ، ومنها ما يستمد من النظر في علوم اللغة العربية فيمكن من تضلع من موارد الشريعة ، ورسخ في فهم لسان العرب أن يدرك هذه الاصول بنفسه كما أدركها الأئمة الذين نهضوا بالاجتهاد قبل أن يدون علم الاصول ، ولكن الوصول إلى مسائل الاصول وهي مدونة أسهل على الطالب من أن يبذل جهده في استقراءها ويرسل فكره في اقتناصها ، باحثا عنها في أبواب متفرقة ، وموارد متشعبة ، وعلى أى حال كان طالب الاجتهاد في الاحكام لا يستقيم له هذا المنصب إلا أن ينظر في الاصول نظر الباحث المستقل بحيث لا يبنى في الاستنباط على الاستصحاب أو سد الذرائع مثلا ، ولا يقرر الحكم اعتماداً على عمل أهل المدينة أو مذهب الصحابي ، متابعة لمن يقول بحجتها ، فالاجتهاد في الاصول بمنزلة الأساس للاجتهاد في الاحكام ، فلا يدخل في قبيل المجتهد المطلق من يبنى في تقرير الاحكام على أصول قررها إمامه وتلقاها منه بتقليد .

فالحق مع من لم يرض لمدعى الاجتهاد إلا أن يرسخ في أصول الفقه ويبحث مسائله بنظر قائم بنفسه ، حتى لا يعتمد في الاستنباط إلا على أصل رأى كيف تشهد به البيئة وتقوم عليه الحجة

## الفقه :

يظهر في بادئ الرأي أن ليس من شروط الاجتهاد المطلق معرفة الاحكام التي استنبطها الفقهاء من دلائل الشريعة ، ذلك لأنها صادرة عن اجتهاد ، فيجب أن يكون الاجتهاد متقدما عليها في الوجود ، فهو مستقل عنها ، وجائز أن يتحقق بدونها ، ولو قدرنا ناشئا درس علوم اللغة حتى أصبح في ذوقه وفهمه لدقائق العربية كالعربي الخالص ، ثم أقبل على التفقه في الكتاب والسنة حتى عرف مقاصد الشريعة لا يمكنه استنباط الاحكام من دلائلها كما استنبطها العلماء من قبل أن تدون المذاهب والآراء . والتحقيق أن معرفة المذاهب ودرس أحكام الفقه مربوطة بأصولها مما يخطو بالعالم في سبيل الاجتهاد خطوات سريعة لولا دراسة الفقه على هذا الوجه لا تنفق في بلوغها مجهوداً كبيراً وزمناً طويلاً . ثم إنه يأمن العثار والخطأ في الفتوى أكثر مما اذا لم يدرس أقوال الأئمة من قبله ، وهذا ما يراه طائفة من الاصوليين كأبي حامد الغزالي إذ قال : « إنما يحصل الاجتهاد في زماننا بممارسة الفقه فهو طريق تحصيل الدربة في هذا الزمان »

وهذا يحمل ما ينقل عن السلف من حث الفقهاء على معرفة اختلاف أهل العلم من قبلهم ، قال هشام بن عبدالله الرازي : من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه ، وقال عطاء : لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس ، فانه ان لم يكن كذلك ردّ من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه ، وقال سفيان بن عيينه : أجزأ الناس على الفتوى أقلهم علماً باختلاف العلماء ، وقال سعيد بن أبي عروبة : من لم يسمع الاختلاف فلا تعده عالماً .

ولا يقصدون بهذا حفظ مجرد الخلاف ، بل القصد أن يعرف أقوال السلف ومداركها مواقع الاجماع :

يذكر الاصوليون في شرط المجتهد أن يكون عارفاً بمواقع الاجماع ، وهذا في الواقع شرط لصحة الاجتهاد بالفعل ، وليس بشرط في بلوغ رتبة الاجتهاد ، وإنما أخذوا هذا شرطاً لصحته لئلا يقرر الفقيه حكماً يخرج به عن الاجماع ، إذ كل فتوى يخرق بها صاحبها الاجماع هي في نظر أئمة الدين باطلة ، وقد خفف الامام الغزالي في هذا الشرط فقال : ليس من واجبه أن يحفظ المسائل التي وقع عليها الاجماع ، فالواقعة التي علم انها كانت موضع اختلاف ، والحادثة التي يعرف من حالها أنها وليدة عصره ولم يقع لها

مثيل في العصور المتقدمة ، له أن يجتهد ويفتي فيهما بما قام الدليل على رجحانه وان لم يكن ملما بالمسائل التي انعقد عليها الاجماع .

فان وقعت الواقعة ولم يكن قد بلغه أنه جرى فيها اختلاف ، ولم يثق بأنها وليدة عصره ، بحث ما استطاع ، فان لم يقف على أنها مسألة تجمع عليها ، تناولها بالاجتهاد وفصل لها حكما مطابقا القياس :

هل يعد في شروط المجتهد أن يكون ممن يقول باصل القياس ؟  
هذا ما يراه ابو اسحاق الاسفرائيني وعزا الى الجمهور أنهم قالوا : ان نفاة القياس لا يبلغون درجة الاجتهاد ، وأخذ به امام الحرمين وقال : علماء الشافعية لا يقيمون لأهل الظاهر وزنا ومن أهل العلم من لم يتمسك بهذا الشرط وعدّ الظاهري الذي تحققت فيه الشروط الآتفة في قبيل أهل الاجتهاد ، وينبئ على هذا أن يكون خلافهم معتدأ به ، فلا إجماع فيما خالفوا فيه من الاحكام ، وهذا ما ذكر الاستاذ ابو منصور البغدادى أنه الصحيح من مذهب الشافعية ، وقال ابن الصلاح إنه الذي استقر عليه الأمر وسنسوق في مقام آخر الأدلة على أن القياس أصل من أصول الشريعة الغراء والعدالة والاستقامة :

ليست العدالة شرطا لتحقيق وصف الاجتهاد في نفسه ، وانما هي شرط في قبول فتوى المجتهد ، إذ الفتوى من قبيل الاخبار ، والنفس لا تترك الى خبر الفاسق ، ومن يعمل سوءاً يسهل عليه أن يقول زوراً ، والتقوى هي التي تحمل المجتهد على التروى في تفصيل الحكم ، فلا يلفظ بالفتوى إلا بعد النظر في الواقعة وما يترتب عليها من مصالح أو مفاسد ، ثم يعود الى قواعد الشريعة فيفصل لها حكما يطابقها ، قال مالك ابن أنس : ربما وردت على المسألة فتمنعني من الطعام والشراب والنوم ، فقليل له : يا أبا عبد الله ! والله ما كلامك عند الناس إلا نقر في حجر ، ما تقول شيئاً إلا تلقوه منك ، قال : فمن أحق أن يكون هكذا إلا من كان هكذا ، وقال : ربما وردت على المسألة فأفكر فيها ليلتي وكان اذا سئل عن المسألة يقول للسائل : انصرف حتى انظر فيها ، فينصرف السائل ويجعل مالك يردد النظر في المسألة ، فقليل له في ذلك ، فقال : إني أخاف أن يكون لي من المسائل يوم وأى يوم ! وكذلك كان السلف من الصحابة والتابعين ، يكرهون التسرع في الفتوى ، ويود كل واحد منهم أن يكون غيره قد كفاه أمرها ، حتى اذا رآها قد تعينت عليه بذل جهده في تعرف حكمها ثم أفتى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## نبوته صلى الله عليه وسلم

الكلام في النبوة في مقامين :

«المقام الأول»

امكان النبوة وتصوير كيفية الوحي وأنه لا بعد فيه وبيان انهم الآن في أوبة اصبحوا  
يعترفون به أو بما هو من جنسه

«المقام الثاني»

ثبوت نبوته (صلى الله عليه وسلم) بالبراهين القاطعة .

(امكان النبوة)

تعلم أن في كل شيء من الاشياء وصنعة من الصنائع وعلم من العلوم وخلق من  
الاخلاق مثلاً أعلى ، لأن الناس في كل ذلك متفاوتون وليس هناك تفاوت يشبه تفاوت  
أفراد نوع الانسان حتى أن من في الدرجة الدنيا يجهل علوم من في الدرجة العليا  
تمام الجهل فلا يعرف ذلك إلا بالتوقيف . وربما كان البعد بينهما شاسعاً فلا يعرفه  
بالتوقيف أيضاً ، واذا كان ذلك معقولا في العلوم والصنائع والسياسات فهو في باب الفضائل  
والكمالات وطهارة النفوس وعلو القطرة ورفعة الاستعداد أوضح وأظهر حتى أنك لتجد  
في هذا النوع الرجل الغبي الذي لا يفرق بين الحق والباطل ولا يكاد يعرف الضار من  
النافع ولا المهلك من المنجي ، أو تجده شريراً قد تنهى شره فلا يلذ له الا النقائص  
والموبقات وهؤلاء الشريرون هم عقارب نوع الانسان ، ومنهم من ينقدح في نفسه الامور  
على غير وجهها ولا يكاد يحكم فيها حكماً صحيحاً ، ومنهم الذكي الذي ينظر في الأمر نظرة  
صادقة فيعرف بواطنه وخفاياه ويعلم ما سيكون له من أثر وما يترتب عليه من غاية ويتفرس  
فلا تخطئ فراسته وكأنه يرى من وراء حجب الغيب ما قد خفى على غيره كما قيل

الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

فهذا هو المحدث والملمهم أو الذكي والأولى أن تقول هو الطاهر النفس الصافي الذهن

الرفيع الاستعداد القوى الحدس ، فهذه الصفة أو الميزة أو الدرجة التي تعرفونها في بعض الناس قد تترقى حتى يكون صاحبها مستعداً للتلقى من الملائكة الأُعلى ، وأهل أوربة لا ينكرون الأخذ عن الأرواح الآن ( وسنفيض القول في ذلك بعد ) فمثل هذا باستعداده الشريف يكاد يعرف جليلة الأمر قبل أن ينزل عليه الوحي فنفسه الطاهرة كشجرة مباركة يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار فإذا جاءه الوحي كان نوراً على نور والوحي لا ينزل الا على صاحب الاستعداد الرفيع الذي يحب الفضائل حبا جما ويغض النقائص بغضا شديداً لأنه يباينها وتباينه فتراه يمقت الظلم والشرك والفساد ويكرهها كراهة ذاتية ، وبالاختصار يحب الحق حبا بالغاً من اعماق قلبه ويكره الباطل كرها بليغا من اعماق قلبه كذلك . فعدله ذاتي وشفقته على خلق الله ذاتية ومحبه لمكارم الاخلاق ذاتية ومعرفته بالله آخذة بكل قلبه ومستولية على جميع مشاعره لا يشغله عن ذلك شيء ولا يخالجه فيه شك ولا وهم ولا يعتبره انهزام ولا تردد ولو انفردت سالفته (١) فليس كل انسان صالحا للرسالة ولا مستعداً للنبوة وانما المستعد لها هو الفرد الكامل والمثل الاعلى من ذلك النوع كما قال عز وجل ( الله أعلم حيث يجعل رسالته )

أما الوحي الذي يحمله كثير من الناس أو لا يكاد يصدق به لعدم تصوره اياه حتى قال لي بعض الكبراء: لو انحلت مشكلة الوحي لزالَت عقبات كثيرة تعترضنا في سبيل التصديق بالنبوة فانه لا يمكننا أو لا يمكن ابناء هذا العصر الحاضر أن يصدقوا بما لم يفهموا . نقول أما الوحي الذي بلغ من الصعوبة في بعض العقول هذا المبلغ فأمره واضح الا عند من يقف مع ما ألف ولا يؤمن إلا بما عرف فأن الوحي عبارة عن اللقاء الملك في الرؤوع (٢) شيئا من الاشياء. ومن ذا ينكر الالهام الذي يقع في القلوب المستعدة بغير نظر وفكر في كل الطبقات من أفراد هذا النوع حتى الطبقات الدنيا منها فيما هو مستعد له ، فضلا عن العلياء ، وقد اثبت ذلك المناطقة وسموه حدسا ، وقالوا إن الحدس ليس فيه ترتيب أمور معلومة ليتوصل بها إلى أمر مجهول كما هو شأن النظريات ، ثم نقول من ذا الذي يجعل المعارف الانسانية كلها قصرا على ما ينتجه الفكر والنظر بعد ما أثبت علماء التنويم المغناطيسي بالادلة المحسوسة التي يمكن كل انسان أن يشاهدها أن المنوم بعد أن يبطل

(١) السالفة أعلى العنق أو صفحته وهما سالفتان وكُنَى بانفرادها عن الموت لانها لا تنفرد عما يليها الا بالموت وفي الحديث

( لا قاتلهم على أمرى حتى تنفرد سالفتي )

(٢) الرؤوع القلب

حسه وتتخدر اعصابه نخدراً تاماً فلا يمكنه أن ينظر أو يفكر حتى أنه لا يسمع أصوات المدافع ولا يتأثر بشيء من الأشياء، يأتي في هذا الحال بما لا يصل إليه فكر ولا نظر وقد أصبح الجدل في ذلك جدالاً في المحسوس فلا حاجة للاطالة فيه والاستدلال عليه بل نقول : من ذا الذي ينكر الرؤيا الصادقة وقد وجدت في كل أمة وأثبتها علماء كل ملة بعد التجربة والمعينة ، والمقام لا يحتمل كثرة الاستشهاد وليس غرضنا في هذه العجالة أن نلم بكل ما يتطلبه الموضوع في كل نقطة من نقطه فان ذلك يحتاج إلى مقالات عديدة ولعلنا نوفيها حقها على ما نحب ونحب ان شاء الله ، على أن من لا ينفعه القليل لا يفيد الكثير ولا بأس أن نقول للمؤمنين بالقرآن إن سورة يوسف فيها من الرؤيا الصادقة ( رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك ) وإن شئت فقل رؤيا صاحبي السجن ، وعلماء الأرواح الآن يثبتون ما هو أكثر من هذا ( وإن شئت افردنا ذلك بمقال ضاف ) أما الملك الذي ينزل بالوحي ويكلم الأرواح فلا معنى لانكاره والحكم بعدم وجوده فان الحجة في ذلك الانكار انما هو كون العلم يثبتته ( كما يقولون ) وهل كل ما لم يصل اليه العلم غير موجود ( اللهم إن العلم يكذب ذلك ) فقد كنا نجعل الميكروبات منذ زمان قريب أفكان جهلنا بها موجبا لعدم وجودها ! أم كانت موجودة في الواقع على الرغم من هذا الجهل ، وأي معنى للبحث والتنقيب الذي يتقدم به العلم يوماً فيوما اذا كان الأمر على ما ظنوا

ومن ذلك الجاهل الذي يزعم أنه أحاط بكل العوالم وعرف ما في الوجود . ألم يقرر العلماء والفلاسفة أن عدم الدليل ليس دليلاً على عدم المدلول ، على أن علماء الاسبرتزم ( استحضار الارواح ) الذين اشتغلوا بالمسائل الروحية أثبتوا بالمشاهدات المتكررة والحوادث المتواترة أن هناك عالماً وراء عالم الطبيعة قد خرق لهم كل نوااميس المادة وما قرروه من ذلك وقد أصبح ذلك عندهم لمس اليد ورأى العين ( وستعرف أن علم الطبيعة برىء مما نسبوه اليه وافتروه عليه ) وسنبين أن له دائرة خاصة لا يتعداها وانه هو نفسه يكذب هؤلاء المتفهبين الجاهلين . فاذا كان ذلك معقولا بل محسوسا في غير الانبياء فما بالك بالانبياء وهم المثل الأعلى لذلك النوع

هذا وقد ذكر علماءنا للوحي كفيات كثيرة ولكن نقتصر منها على كفتين ذكرهما الحديث الصحيح الذي رواه الامام البخارى ، وهما في غاية الوضوح لكل من يريد الحق لا التعصب والعناد . أحدهما أن يرتفع النبي ( صلى الله عليه وسلم ) عن المستوى البشري الى

المستوى الملكي ( وروحه الشريفة مستعدة لذلك تمام الاستعداد فان علاقتها بالملاء الا على أكثر وأتم من علاقتها بعالم المحسوسات ) والروح في أصل خلقها مناسبة لخلقها الملك وربما كانت ارفع منه قدرا وأعظم منه سرا والملك إذ ذاك يكون على حالته الملكية ولكن يصح أن يراه الرسول وهو على هذا الحال لانه إنما ينظر اليه ببصر الروح عند تجرده عن الغواشي البدنية ومفارقته للعوالم المادية، وأما جلساؤه فلا يرونه لأنهم لم يتجردوا من ملابسهم الطبيعية ومحيطاتهم الكونية ويقرب هذا بعض التقريب ما نشاهده من أحوال المنوم تنويعا مغناطيسيا فانه يرى ما لا يراه الحاضرون لأن السلطان فيه للروح فهو يرى بجواسها لا بجواس البدن، وأما حاضروه فالمستولى عليهم هو سلطان الجسم لا سلطان الروح، ونقربه من وجه آخر فنقول: لا بدع في تغير الاحكام بتغير الأقطار والاحوال حتى تصل إلى حد التباين فان الثلج اذا كان جامدا كان له حكم الجامدات فاذا اذناه بقليل من الحرارة كان له حكم السوائل فاذا صيرناه غازا كان له حكم الغازات . وإذا فما الذي يستنكر من تغير الاحكام بتغير الاحوال ويكفى هذا لمن انصف ولم يتعسف .

أما الكيفية الثانية للوحى فهي أن يتنزل الملك من سماء الملكية الى أرض البشرية فيتمثل رجلا فيكلم النبي بلسان الاشباح لا بلسان الأرواح، وفي هذه الحال يراه كل من حضر ويكون النبي على حالته العادية وصفاته البشرية ( كما في حديث الاسلام والأيمان والأحسان ) (١)

وقد أعطى الملك القدرة على هذا التمثل ولا معنى لأن تنكر ذلك قياسا على ما تعلمه من نفسك فانك لا تعرف إلا أحكام عالمك، ومن الغلط البين أو الجهل الشائن أن تحكم بأحكام عالم على عالم آخر . ويحسن بنا أن نقصر اليوم من هذا المقام على ما ذكرناه لننتقل للمقام الثانى

### « ثبوت النبوة »

لنا في اثبات النبوة طرق كثيرة وهى فى اجمالها ترجع الى ثلاثة أشياء

١ — ما جاء عنه ( صلى الله عليه وسلم ) من المعجزات

٢ — النظر فى حياته عليه السلام ودراسة سيرته الشريفة وآثاره الجليلة

(١) يحصل ذلك الحديث أن سيدنا جبريل جاء فى صورة اعرابى جلس أمام النبي ( صلى الله عليه وسلم ) فسأله عن الاسلام والايمان والاحسان وعن الساعة وآمارتها فاجابه عن كل ذلك



### ٣ — القرآن

وكل واحد من هذه الطرق الثلاثة مترامى الاطراف بعيد الاكناف يحتاج الى عدة مقالات ولكن رأينا أن نمر بك اليوم على جميعها لتحيط خبرا باجمالها ومناحي القول فيها

#### « المعجزات »

ان المعجزات ثابتة بالتواتر وان لم يعرفها الجاهلون أو لم يعترف بها الملحدون وقد تعلم أن أرباب كل فن وصنعة قد يكون عندهم من الأمور المتفق عليها فيما بينهم والتي لا يمكن الشك فيها وقد التحمت عندهم بالبدهييات ما لا يعرفه غيرهم، وقد تعرف الأمة من أحوال بعض رجالها ما يجهله سواها . وقد يحتف بالرجل أو الخبر قرائن لا تدع للشك في صدقه مجالا فمن عرف مالكا أو الشافعي أو أبا حنيفة أو ابن حنبل أو البخاري فانه لا يشك في صدقهم ولا فيما يروونه فما بالك اذا اجتمع من أمثالهم العدد العديد وبلغ الأمر مبلغ التواتر في آحاد المعجزات أو جملتها وبالاختصار فأخبره صلى الله عليه وسلم وما ظهر على يديه أظهر عندنا وأثبت من أخبار ( ارسطو ) ( وافلاطون ) ( وجالينوس ) ( وأقليدس ) ( وهوميروس ) ( ولويس الرابع عشر ) ( ونابليون ) ( وجان دارك ) ( وريتان ) ( واناطول فرنس ) . ونقله الأخبار الاسلاميون أظهر وأكمل وأكثر من نقلة الأخبار عن هؤلاء، ومن يردّها فهو جاهل أو معاند . ولا فرق بين ما يحدثه التواتر من اليقين في النفوس وبين ما يحدثه الحس من ذلك فان وجود امريكا ( وان لم نرها ) مساو عندنا لا أكبر ما نحس به، اللهم إلا أن تضل العقول أو تفسد الفطر، وقد قال الشاعر العربي الذي لم تفسد فطرته ولا انعكست فكرته

تأوَّبنِي هم من الليل ناصب وجاء من الاخبار مالا يكذب

تظاهرن حتى لم يكن لى رية ولم يك فيها للنهى متعصّب

ومع هذا فلا نسير بك في هذا الطريق وان كان لنا فيه مجال واسع ( فقد قال الامام النووي ان المعجزات ألف ومائتان )

ولكن عندنا ما يغنى عنه ولعلك أعرف به من هذا ولكل قوم طريق هو عليهم أقرب ولهم أجذب، فنقول

## ﴿ الطريق الثانى ﴾

ان حال الصادق لا يشبه بحال الكاذب فى الأمور الصغيرة فكيف يشبه فى الامور الكبيرة . الكاذب لا يكون الا جباناً والجبان لا يأتى بجلائل الأعمال وعظائم الأمور الكاذب يظهر فى قوله وفعله وحركاته وسكناته ومعاملاته ومن الأمثال قولهم ( تخبر عن مجهوله مرآته (١) ) أي يخبر ظاهره عن باطنه وبما سار سير الأمثال قول القائل ( ضمائر قلب المرء تبدو بوجهه ) ويقول الشاعر الجاهلى

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعله وما كان عليه فى جميع أحواله وسيرته طوال حياته وما أحدثه من الانقلاب الهائل فى العالم كله لم يشك فى أمره ولا أجد فى هذا المقام ابلغ وأورع مما قاله ذلك الرجل الكبير لا مارتين الفرنسى الطائر الصيت الغنى عن التعريف قال (٢) ( اترون محمداً كان اخا خداع وتدليس وصاحب باطل ومين كلا بعد ما وعينا تاريخه ودرسنا حياته فان الخداع والتدليس والباطل والمين ! كل أولئك من نفاق العقيدة وليس للنفاق قوة العقيدة كما أن ليس للكذب قوة الصدق ، واذا كانت قوة الصعود والمرمى فى علم الطبيعة والحركات الآلية هى المقياس الصحيح لقوة المصدر الذى تنفذ منه الرمية ويظهر فى الأفق من القذيفة فان العمل والفعل الذى يحدثه المحدث فى علم التاريخ وسجل الخلود وكتاب الانسانية هم المقياس الصحيح لمقدار الوحي وقوة القاب والوجدان والفكرة السامية العالية التى تنفذ الى مكان بعيد وتبقى زمناً طويلاً . وتمشى فى الحياة ابداً رخية . وهى لا ريب ففكرة قوية . صدرت من جنان قوى . ولكى تكون تلك الفكرة قوية ينبغى أن يكون ظاهرها وباطنها الاخلاص . وعلماها الأكبر الحق والصدق . وتروح معقولة يقبلها اللب . ويعتمدها الذهن ولا ريب أن ذلك ينطبق على محمد ورسالاته . والوحي الذى تنزل عليه . فان حياته وقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته على خرافات امتته . وجاهلية شعبه . وخزعبلات قبيلته وشهامته وجرأته وبأسه فى لقاء مالقيه من عبدة الإوثان . وثباته وبقائه ثلاثة عشر عاماً يدعو دعوته فى وسط أعدائه وبهرة خصومه

(١) المرأى والمرأة المنظر يقال فلان حسن فى مرآة وفى مرآته أى منظره

(٢) نقل ذلك صاحب مجلة البيان فى عددها الثالث من السنة السابعة صحيفة رقم ١٤٠

فى قلب مكة ونوادىها ومجامع اهلها . وتقبله سخرية الساخرين . وهزه بهزه الهازئين وحميته فى نشر رسالته . وثباته وتوفره عليها . وحروبه التى كان جيشه فيها اقل نفيرا من عدوه . ووثوقه بالنجاح . وايمانه بالظفر واعلاء كلمته . واطمئنانه ورباطة جأشه فى الهزائم . واناته وصبره حتى يحرز النصر . وطاعيته وتطلعه الى اعلاء الكلمة وتأسيس العقيدة لا فتح الدول وانشاء الامبروطية واقامة القيصرية . ونجواه التى لا تنقطع مع الله وقبض الله اياه الى جواره ونجاح دينه بعد موته . كل اولئك أدلة على أنه لم يكن يضرر خداعا أو يعيش على باطل ومين . بل كان وراءها عقيدة صادقة ويقين مضى فى قلبه . وهذا اليقين الذى ملأ روحه هو الذى وهبه القوة على أن يرد الى الحياة فكرة عظيمة . وحجة قائمة . ومبدأ مزدوجا . وهو وحدانية الله وتجرد ذاته عن المادة .

الأولى : تدل على من هو الله

والثانية : تنفى ما الصق الوثنيون به

والأولى حطمت آلهة كاذبة . ونكست معبودات باطلة

والأخرى فتحت طريقا جديدا الى الفكر . ومهدت سبيلا طريفة للنظر . فالفيلسوف والخطيب والرسول والمشرع والقائد ومسعر الحرب وفتاح أقطار الفكر . وراد الانسان الى العقل وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب ومؤسس دين لا وثنية فيه ولا صور ولا رقيات ، ومنشى عشرين دولة فى الأرض . وفتاح دولة واحدة فى السماء من ناحية الروح والفؤاد فذلكم هو محمد . فأى رجل لعمركم قيس بجميع هذه المقاييس التى وضعت لوزن العظمة الانسانية كان أعظم منه وأى انسان صعد هذه المراتى كلها فكان عظيما فى جميعها غير هذا الرجل .

انتهى كلام ذلك الرجل العظيم الذى لم يأكل الحقد قلبه ولا الجهل عقله وحقا ( ليس يدري العظيم غير العظيم )

ولنقتصر اليوم من هذا الطريق على هذا ولو شئنا لذكرنا من شمائله ورفيع دلائله ما يلتحق بمدركات الحس ويخضع له أساطين علماء النفس ولنا اليه عودة ان شاء الله فلننتقل بك الى القرآن .

## ﴿ الطريق الثالث ﴾

### القرآن

وما أدراك ما القرآن ! وليت شعري أنعده معجزة واحدة أم تتجاوز به كل عدد وتتخطى به كل حد فلو نظرت الى ما فيه من العلوم والمعارف وما اشتمل عليه من الحقائق والدقائق لعرفت أنه المعجزة الكبرى والآية العظمى وقد قال سديو الفرنسى « لو وجدنا القرآن فى فلاة ولم نعرف من جاء به لعلمنا أنه من عند الله » وقال الكونت هنرى دي كسترى ما هو مثل هذا أو أعظم منه وربما نقلنا كلامه فى غير هذه العجالة ولو نظرت الى ما فيه من الشرائع التى تطهر النفوس وتأخذ الناس الى السعادة من كل باب وتطلعهم على عظمة الله وجلاله بابلغ ما يكون واقصى ما يتصور وتسنى لهم السنن التى عجز عنها أرسطو وأفلاطون لعرفت أنها الآيات الباهرة والحجة القاهرة خصوصاً من مثل ذلك الأمل الذى لم يتل كتاباً ولا خطه يمينه . ولو نظرت الى فصاحته وبلاغته لاستولى عليك الدهش ولم تستطع أن تكيف ما خالج ضميرك وملاً قلبك ، روح غير معروفة لأنها من السماء لا من الارض ، وأسلوب أعجز الفصحاء من العرب العرباء فلم يستطيعوا منفردين ولا مجتمعين أن يعارضوه أو يأتوا بسورة من مثله . ولندع ذلك كله ونحدث معك اليوم فى ناحية من نواحي عجزه غير ما سمعت ، وهى اخباره بالمغيبات التى وقعت على نحو ما أخبر ولم يتخلف منها شئ فمن ذلك قوله ( غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ) وانى استحلفك بحق العلم وشرف الانصاف أن تنظر فى هذه الآيات نظرة صادقة لترى كيف ذكر ذلك الوعد على سبيل الجزم وكيف أكد به تلك العبارة البالغة حيث يقول ( وعد الله لا يخلف الله وعده ) وكيف ذكر أنه يكون فى بضع سنين ، وهل يستطيع الذى يقول من عند نفسه أن يؤكد ويحدد ، وهو اخبار عن أمتين عظيمتين بعيدتين لا يدرى حالهما ومآلها إلا الله تعالى خصوصاً فى مثل ذلك العصر وهل ذلك ألا تعرض للخطر والقاء بالنفس الى التهلكة لولا وثوقه بالله عن الله ، ولقد كان فى غنى عن ذلك وأنه لا حزم من أن يخاطر بمستقبله بالاخبار عن مستقبل غيره بهذا التحديد والتأكيد

حتى جعله في بضع سنين ثم قال ( وعد الله لا يخلف الله وعده ) ولنتقل بك الى آيات المغيبات الأخرى ولا نطيل القول فيها

يقول الله تعالى ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ) وهم يومئذ قليلون ذليلون مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس فكانوا بعد ذلك خلفاء وعظماء وصدق الله ورسوله ( سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ) فهزموا وولوا ويقول في حق اليهود ( لن يضرّوكم إلاّ أذى وان يُقاتلوكم يُولُوكم الأَدْبَارَ ) ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلّة أينما ثبّقفوا ) وفي هذا أخبار بثلاثة مغيبات (١) ( وإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ) فكانت لهم يوم بدر ( اذا جاء نصرُ اللَّهِ والفتحُ ورأيتُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ) فكان كل ذلك ( وقد عبّر باذا التي للتحقق كما هو معروف ) ( لتدخلن المسجد الحرامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ ) ( قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ) ( وَلَنْ تَفْعَلُوا ) . فما فعلوا . ويقول ( وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاطَ الله بها ) ويقول ( وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ) ويقول ( قل للذين كفروا سَتُغْلَبُونَ ) فغلبوا كما أخبر ويقول ( والله يَعَصِمُكُم مِّنَ النَّاسِ ) ولو لم يكن هذا كلاما إلهيا لكان ذكره سفهاً موقعاً له في الورطات والهللكات ، وقد جاءه اعرابي وهو نائم فاخترط سيفه وقال من ينجيك مني فقال الله ، فوقع السيف من يد الاعرابي وقد كان يوم حنين على بغلة لا تصلح للطلب ولا تنفع في الحرب وقد فرّ عنه أصحابه وهو ينادي بأعلى صوته ( أنا النبي لا كذب ) ( أنا ابن عبد المطلب )

وقبائل هوازن إذ ذاك بقصّها وقضيضها فهل يتصور مثل هذا من غير من تكفل الله له بالعصمة من الناس فوثق بكفاله فلم يبال بأحد سواه ويقول ( سَنَلِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ) ويقول ( انا نحن نزلنا الذّكرَ وانا له لحافظون ) ويقول ( ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ) فردّه الى مكة عام الفتح . ومن ذلك اخباره بما كان للانبياء السابقين وهو أميّ نشأ بين أميين كما قال بعد قصة نوح عليه السلام ( تلك من أنباء الغيبِ يُوحِيها اليك ما كنت تعلمها أنتَ ولا قومك من قبل هذا )

(١) الاول لا يضرّونهم الا اذى باللسان فقط والثاني انهم يهزمونهم اذا قاتلوهم والثالث انهم يكونون اذلاء تحت سلطان غيرهم .

وقال بعد قصة مريم عليها السلام ( وما كنت لديهم اذ يُلقُونَ أَقلامهم أَيْهم يكفُلُ مريمَ وما كنتَ لديهم اذ يختصمون ) وقال في قصة موسى صلى الله عليه وسلم ( وما كنتَ بجانب الغربى اذ قضينا إلى موسى الأمرَ وما كنتَ منَ الشاهدين ) وما كنتَ ثاوياً في أهلِ مَدِينٍ تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مُرْسِلِينَ وما كنتَ بجانبِ الطُّورِ اذ نادينا ولكن رحمة من ربك )

وقال بعد قصة سيدنا يوسف واخوته ( ذلك من أنباء الغيب نُوحِيهِ إِلَيْكَ وما كنتَ لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكُرون )

ولم يمكن أهل الكتاب أن يكذبوه في شيء من ذلك وكانوا احرص الناس على تكذيبه وكانت هذه الاخبار عندهم مكتومة يتواصون فيما بينهم بكتابتها ولذلك يقول لهم الله تعالى ( يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ) وينعى عليهم كتابتهم ما في كتبهم .

كما قال ( ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البَيِّنَاتِ والهُدَى من بعد ما بيَّناه للناس في الكتاب اولئك يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ )

وكثيراً ما تحدوه بتلك المغيبات فسألوه عن أهل الكهف وعن ذى القرنين الى آخر ما يعرفه العلماء وقد سمعه الجهلاء . مما يناسب ذلك أن القرآن وهو المتواتر الذى لا شك في تواتره ذكر معجزات أخرى مثل قوله ( وما رُميت اذ رُميت ولكن الله رمى ) ( سبحان الذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى )

وقد امتحنوه صبيحة ليلة الاسراء امتحان المتعنتين ، فلم تن عزيمته ولا دحضت حجته الى غير ذلك مما يطول فيه القول ولا يأتى عليه البيان ) وقد قال له الله وهو العليم بحال خلقه ( قل لئن اجتمعتِ الْاُنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ) ولعلك تلاحظ بذهنك الثاقب ما في هذه الآية من تحدى الجن والانس ومناوأة الجميع وما تشير اليه من يقينه البالغ الذي يستحيل ان يكون من كاذب فيما يدعيه أو مرتاب فيما يقوله ، وما تحتويه من الثقة بالله التى لا يبالى صاحبها بجن ولا انس الى آخر ما يمليه عليك ذوقك السليم وطبعك المستقيم ولنسق لك دليلاً آخر لا يمارى فيه إلا الجاهلون ولا يتصلب أمام حجته الناصعة إلا الجامدون . ذلك الدليل القاطع والبرهان الساطع هو قوله تعالى ( يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عَنْدهم فى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ) أقرأه وهو من أعقل العقلاء وأسوس العالم باتفاق الجميع

وشهادة آثاره التي بهرت العالم يأتى الى أمره المحتمل فيفضحه والى بنائه الذى كاد يكمله فينقضه حيث يعمد الى كتبهم التي فى بيوتهم وهم يضمنون بها كل الضن على غيرهم فيخطب جميعهم قائلاً لهم إنكم تجدوننى فيها بنعتى ونعت أصحابى بل بذكر اسمى وأمتى كما قال ( ذلك مثلاًهم فى التوراة ومثلاًهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوّقه ) ويقول على لسان المسيح ( ومبشّراً برسول يأتى من بعدي اسمه احمد ) فلم يستطع أهل الكتّابين أن يكذبوه وكان من السهل أن يجمعوا الخاصة والعامة ويقفوه على ما يهدم دعواه هذه الصريحة التي لا تحتل ولا يستطيع أن يدافع عنها لو كان كاذباً فيها .

فقل لى بعيشك هل يخاطر عاقل يعلم من نفسه الكذب مهما كان أمره هذه المخاطرة التي لا معنى لها ولا داعى اليها ثم يسكت اليهود بعد ذلك وهم من ألد أعدائه بل يؤمن الكثير منهم مثل عبد الله بن سلام واضرابه حتى قال تعالى ( قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده أم الكتاب )

ويقول فى حق قوم من النصارى ( واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تَفْيض من الدّمع ممّا عَرَفُوا من الحق ) ويطلبهم للبهالة فيمتنعون ويقبلون الجزية ولا يباهلون ويذكر عنهم جميعاً أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويكرر ذلك بدون خوف ولا وجل اللهم إن ذلك غير مقبول ولا معقول ولنختم مقالنا هذا بقول الله تعالى ( مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ) ولعلك تلاحظ ما فى هذه الآية الكريمة التي تعطيك مقاصد الشريعة المحمدية اجمالاً فقد بينت للأمة ما يجب عليها مع الخارجين عنها من أعدائها فقالت ( أشدّاء على الكفار ) وما يجب عليها فى داخليتها مع أبنائها فقالت ( رحماء بينهم ) وما يجب عليها فيما بينها وبين الله تعالى فقال ( تراهم ركّعا سجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ) ولننقهر القلم على ترك الجولان فى هذا الميدان فأنه عميق الغور بعيد المدى وليس ذلك إلا اجمالاً يطول تفصيله ويدق تحليله ولعلنا نحلى بعض مقالاتنا المقبلة بشذور من فضائل ونماذج من شمائله ان شاء الله .

ما إن مدحتُ محمّداً بمقاتلى لكن مدحتُ مقاتلى بمحمّد

يوسف الدهوى  
من حياة كبار العلماء

# السيرة النبوية

## الهجرة النبوية

يذكرنا هلال المحرم ومفتتح العام الهجري بحادث عظيم الشأن كان له في تاريخ البشر اعظم أثر . ذلك هو هجرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المشرفة الى المدينة المنورة ، فيها استهل الدين الحنيف ظاهرا باهرا بعد ما مكث ردحا من الزمان ببطن مكة مستكنا كامنا وبها بزغت شمس ساطعة فلأت الكون ضياء ونورا بعد ما ترقق فجره في بطاها يظهر حيناً وتغالبه القوة أحيانا ، فاهاب بالناس اجمعين ، وأضاء لجميع العالمين فمنهم من آمن فاهتدى واحرز كل السعادة ، ومنهم من نكص عنه فقوت على نفسه الخير الكامل ولكن لم يفته نفعه العام الذي شمل جميع العالم بما بث من مبادئ العدل بين الناس وبما نظم من علائق المجتمع في المعاملة والمعاشرة حتى سرت مبادئه وتعاليمه في الدول والامم حتى التي لم ترتضه دينا وذلك بحكم المجاورة واختيار الأفضل الذي يرغب فيه كل فرد وهيئة .

يذكرنا هلال المحرم ومفتتح العام الهجري بذلك الحادث الجليل الذي اعتبر به الدين واهتز له العالم . فقد ظهر ضوء الدين عاليا ، وسمع نداء الحق واضحا ، وأخذت الدعوة مكانها الذي يجدر بها وينبغي لها ، وأمكن من يريد الهدى أن يدخل فيه آمنا مطمئنا بعد أن كان عرضة للتعذيب في حياته ومصلحه كلها

يذكرنا هلال المحرم ومفتتح العام الهجري بهذا الدرس العظيم والمبدأ السامي الذي يجب أن يستشعره كل من ينتهز لنصرة حق يقين والقيام باصلاح خطير وهو أنه لا بد ملاق من أهله وعشيرته وجيرانه معارضة ومصادرة ومصادمة ومكابرة ولا يزال الحق والباطل يتصارعان حتى يفوز الحق ويصرع الباطل متى ثبت صاحبه عليه ولم ينهزم امام المصادمات القاهرة وإن الثبات على المعتقد الحق ودوام الاستمسك باليقين مهما كلف صاحبه



من حمل الشدائد ولو أن ينخلع المرء من أخيه وبنيه وعشيرته التي تؤويه واصل بصاحبه لا محالة الى الفوز في النهاية فلا يعدم الحق أنصاراً.

نشأ صلى الله عليه وسلم في مكة وتربى في ربوعها، وترعرع في أعظم ارومة فيها هل لرأي والسيادة في الحرم المقدس وأهل العصية والرياسة بين العرب، قوم معروفون وسادة باهون تعرف خصال أبنائهم من صغرهم وفي كل أدوار أعمارهم فلا يستطيع ناشئ أن يخفى خلته ولا أن يوارب في خليقته فابناء النبء دائماً تعرف خصالهم وتراقب احوالهم فكان عليه الصلاة والسلام من أول نشأته معروفاً بين قومه باكمل ما يعرف به ناشئ من صفات الخير وكرم الخلق والتزهد عن الهنات والنقائص وما زال هكذا حتى عرف فيهم بلقب الصادق الامين وحتى كانوا يرتضونه حكماً بينهم على صغر سنه وامتلأ نفوسهم بالنعرة والحمية حمية الجاهلية يرتضونه حكماً في أمر هو مدار نغرمهم ( وكل حياتهم مبنية على الفخر ) وأساس مجدهم ( وكانوا يريقون الدماء وينهقون الارواح في سبيل المجد ) يرتضونه حكماً في أعظم القضايا في نظرهم وينزلون على حكمه فيغمدون سيوفاً كانوا استلوها ويسكتون شقاشق ألسن كانوا أحدها وما أمر اختلافهم في وضع الحجر الاسود في مكانه من الكعبة بخفي (١) عرف بينهم من صغره بالصدق والامانة حتى رغب في مصاهرته والاتصال به ذوات المال والحسب الرفيع . وما زال محبوباً موموقاً من الجميع مرموقاً بعين التجلة والتعظيم، وما زال هذا شأنه حتى اختاره ربه، والله أعلم حيث يجعل رسالته فاصطفاه ليهدى قومه فيهدى بهم الناس اجمعين، وكلفه أن يدعوهم ليؤمنوا به ويهتدوا بهديه ليخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً . وكان هذا النور فاجاً أبصاراً ألفت الظلام فعشت عن أن تبصر به وتستضيء بضوئه فقام الكثير منهم بل جمهورهم يناوئونه ويعارضونه بل يحاربونه ويؤذونه وهو يقابل اذاهم بالعطف عليهم وشدتهم عليه باللين لهم وإعراضهم عنه بالاقبال نحوهم واذا اشتدوا في اذاهم قال ( اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ) ولما لم يستطيعوا أن ينالوا من اذاه ما يبتغون اتجهوا إلى من اتبعه فلم يدعوا أذى يقدرّون عليه إلا أوقعوه بهم فكانت القبيلة تعمد الى من أسلم من مستضعفيها يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ومنهم من يطرح على ظهره في فضاء مكة اذا اشتدت الهاجرة وحمت الظهيرة ويوضع

(١) لما جدت قریش بناء الكعبة ووصلوا في البناء الى محل وضع الحجر الاسود اختلفوا فيمن يضعه في مكانه حتى لجأوا الى السيوف ثم ارتضوا حكماً من يحكم بينهم الخ .

على صدره الصخرة العظيمة ، ويقال له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد .  
 فاذا كان الرجل قد أسلم وله شرف ومنعة فلم يستطيعوا ضربه وتعذيبه أنبوه ووبخوه  
 وقالوا له تركت دين ابيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولنقبحن رأيك ولنضعن شرفك  
 فان كان تاجرا هددوه بكساد تجارته واهلاك ماله ، كل هذا والنبي صلى الله عليه وسلم  
 يقابلهم باللين ويعاملهم بالرحمة ويقرعهم بالحجة ويبين لهم الهدى ويدعوهم الى سبيل  
 الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومع هذا لم يتركوا بابا من أبواب الأذى يقدرّون عليه  
 الا ولجوه ليوقعوا به وبمن معه حتى اضطر صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على  
 القبائل في موسم الحج فيبلغهم أنه رسول الله ويعرض عليهم الاسلام ويسألهم أن يحمّوه  
 من أذى قومه ، فكان منهم من يعتذر ويرد ردا حسنا ، ومنهم من يرد ردا سيئا ، ومنهم  
 من يشترطون عليه أن يكون لهم الامر من بعده فيقول لهم : الامر لله يجعله حيث يشاء

وما زال هكذا حتى أراد الله اظهار أمره وانجاز مواعده له فخرج رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم في موسم الحج فلقى نفرا من الخزرج فعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن  
 فشرح الله صدورهم له وقد كانوا يسمعون من أهل الكتاب نبأه وأنه سيرسل فيؤمنون  
 به فيغلبون به المشركين ، فقال بعضهم لبعض هذا الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم اليه  
 فأجابوه لما دعاهم وقالوا له : لقد تركنا قومنا من ورائنا ولا قوم بينهم من الشر ما بينهم  
 فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، فلما رجعوا الى المدينة ذكروا لقومهم ما رأوا  
 ودعوه فاجابهم كثير وفشا الاسلام في المدينة فلما كان العام المقبل وافى الموسم من  
 أهل المدينة اثنا عشر رجلا من المسلمون فبايعوه صلى الله عليه وسلم على ألا يشركوا  
 بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين  
 أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه في معروف ، وتسمى البيعة الاولى ، وانصرفوا الى المدينة  
 وأرسل معهم صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير يؤمهم ويقرئهم القرآن ويفقههم في  
 الدين فزاد فشو الاسلام في المدينة حتى كان الموسم الذي يليه قدم كثير ممن أسلم  
 فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوافوه بالعقبة ليلا خفية وكان ذلك  
 وسط أيام التشريق فاجتمع به منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وكان قد خرج  
 اليهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، وكان ذلك قبل أن يسلم ولكنه صحب  
 ابن أخيه ليحضر أمره ويتوثق له فكان هو أول متكلم ، قال لهم : أن محمد منا حيث قد  
 علمتم وقد منعناه من قومنا من هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في

بلده وأنه قد أبى إلا الانحياز إليكم وللحاق بكم، فإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خلفه فانتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فقالوا: قد سمعنا ما قلت قتلكم يا رسول الله، نخذ لنفسك ولربك ما احببت، قتلا عليهم القرآن ودعا الى الله فرغب في الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأولادكم فبايعوه على هذا، وتسمى البيعة الثانية وفشا الخبر في قريش فجاءوا الى أهل المدينة وقالوا: بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا وانه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا ان تنشب الحرب بيننا وبينهم معكم، فانبعث منهم من لم يحضروا البيعة ولم يعلم امرها من بقى على دينه يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما لهم به من علم

وقال قائل منهم: إن هذا الأمر جسيم ما كان قومنا ليفوتوا علينا بمثله، وما علمناه كان . فانصرفوا عنهم . فلما نفر الناس من منى تحسس القوم الخبر فوجدوه صحيحا فخرجوا في أثرهم فادركوا منهم اثنين فاتهم أحدهما وأمسكوا الآخر وهو سعيد بن عباد فرجعوا به الى مكة يضربونه ويحذّبونه من شعره حتى استجار برجلين منهم وهما جبير بن مطعم ابن عدى والحرث بن حرب بن أمية، وكان يحير لهما تجارتهما ويمنعهما ممن يريد ظلّهما ببلده فلما هتف باسمهما وسمعا بذلك جاءوا وخلصاه من أيديهم فانطلقا راجعا الى المدينة

على هذا الوجه كان اهتمام قريش بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وایغالهم في أذاه وأذى من اتبعه واتّضيقهم الخناق عليه وعابهم وحذرهم أن يفات من أيديهم شعورا منهم بأن ذلك وبال عليهم وأنه سيقهرهم . بعد هذا أمر الرسول أصحابه أن يهاجروا الى المدينة فكانوا يخرجون ارسالا خفية وكان قد هاجر منهم جماعة قبل ذلك الى الحبشة ومكث صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أمر ربه له بالخروج ، فلما رأت قريش ذلك وخشيت أن يستفحل أمره عليهم فيوقع بهم كما أوقعوا به رأوا أن يفعلوا في ذلك أمراً حاسماً فاجتمعوا في دار الندوة وهى دار قصى بن كلاب كانت قريش تجتمع بها للتشاور فلا تقضى أمراً إلا فيها، فقال بعضهم لبعض: ان هذا الرجل قد كان من أمره ما رأيتم ولا نأمنه على الوثوب علينا فيمن اتبعه من غيرنا فاجعوا فيه أمراً فقال بعضهم احبسوه فى الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب غره من ريب المنون . فقال قائل : والله ما هذا لكم برأى ان حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الى أصحابه

فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم وقال بعضهم نخرجه من بيننا فننفيه من بلادنا فما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فاصلحنا أمرنا وإلفتنا كما كانت . فرد عليه القائل الاول بقوله : ألم تروا الى حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال ، والله لو فعلتم ذلك ما أمتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك فيتابعوه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم في بلادكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد وقال أبو جهل : أرى أن نأخذ من كل قبيلة قتي جليدا نسييا ثم نعطي كل قتي سيفا صارما فيعمدوا اليه يضربونه ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ويتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا بالعقل فعقلناه لهم جميعا فانخط رأيهم على هذا . هكذا كان شأن القوم يحاولون قتل من يريد لهم الحياة الطيبة كما قال القائل « أريد حياته ويريد قتلى » ويغنون اهانة من يبغي لهم الكرامة ، ونفى من يدعوهم ليكونوا خير أمة أخرجت للناس وهم مع هذا يرون انفسهم سادة العرب وقادتها وذوي الرأي الأصيل والعقل الراجح فيها ، ويعرف لهم العرب قدرهم ويجلونهم ويعظمونهم ويرون فيهم حماة حرهم الذي يحجون اليه كل عام من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويسمون أنفسهم الخمس لشدة تحمسهم في دينهم ، حقا ان أشد العدوات واطغرها عداوة المرء لنفسه .

وقد أوحى الله الى نبيه واطلعه على ما يتواله من الأمر ووعدته انه عاصمة منهم وامره بالخروج مهاجرا الى ربه ، وان يتوجه الى المدينة المنورة وكان خروجه في الليلة التي أزمعوا تنفيذ نيتهم الخبيثة فيها ، فامر على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن يبيت في مكانه وان يرتدى بردائه واخبره أن لن يخلص اليه شيء يكرهه منهم ، وخرج عليه السلام يخترق الفتية الذين رصدوه ليقعوا به فأخذ الله بأبصارهم فلم يروه وهو خارج من بينهم وحثا على رؤوسهم التراب ارغاما لهم واهانة ( وَلِيُغْلِبَ الْمُغَالِبُ ) وكان صلى الله عليه وسلم يتلو حين خروجه « يس » الى قوله « فَاغْشَيْنَاهُمْ فِيهِمْ لَا يَبْصُرُونَ » فلما أصبحوا التمسوه فرأوا عليا نائما في فراشه مرتديا ببرده صلى الله عليه وسلم فظنوه إياه حتى اذا قام على وعرفوه تبين لهم فشلهم وسقط في أيديهم ، وقد اشارت الآية الكريمة الى شيء من ذلك في قوله تعالى ( وَاذْ يَمْكُرْ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ) خرج صلى الله عليه وسلم الى بيت ابى بكر وكان ذا مال وكان يطمع أن يكون في صحبته عليه السلام لانه كان استأذنه في

الحجرة فقال له لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً فاعد راحلتين دفعهما الى رجل يعرف الطريق ليكونا عنده الى وقت الحاجة ويكون دليلاً لهما، فلما أخبره أنه قد اذن له في الخروج سأله الصحبة فاجابه اليها، فاخبره بما أعد لذلك ثم خرجا خفية الى غار بجبل ثور بأسفل مكة فاقاما فيه ثلاث ليال وكانت قريش قد أهمها الامر، فجعلت لمن يدل عليهما مائة ناقة وتفرقوا في السبل عليهم يدركونهما وكان مما مروا به ذلك الغار فصرف الله أبصارهم عنهما فلما سكن الناس عنهما اتاهما الدليل الذي استأجراه بالراحتين واسمه عبد الله بن ارقط فركبا وسارا على بركة الله وقد سمع بمسيرهما رجل يسمى سراقة ابن مالك فركب فرسه ولبس لامته يريد الظفر بهما طمعا في المائة الناقة التي جعلتها قريش على ذلك، فلما اقترب منهما عثر به فرسه وسقط عنه ثلاث مرات وساخت يدا فرسه في جلد من الارض بدعائه صلى الله عليه وسلم عليه فاستجار بهما وعاهدهما أن يرد عنهما الطلب فدعا له صلى الله عليه وسلم فقام من كبوته ووفى بما تعهد به، وقد علم أنه لن يصل اليهما فناداهما اني لا أريد بكما شرا وانما ابغى منكما كتابا يكون آية ما بيني وبينكما فكتبه له أبو بكر باذنه صلى الله عليه وسلم وحفظه سراقة عنده حتى كان يوم فتح مكة فقدم به على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه. ولما سمع أهل المدينة بخروجه اليهم غلبهم الفرح والشوق الى رؤيته بينهم فكانوا يخرجون كل يوم يرقبونه خارج المدينة حتى يشتد الحر فيعودوا الى دورهم حتى كان اليوم الذي وصل فيه صلى الله عليه وسلم كان أول من رآه رجل من يهود فصاح بأعلى صوته هذا جدكم الذي تتظرون قد جاءكم - يريد بالجد الحظ - فاقبلوا عليه مرحبين وأخذ البنات يغنين .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع  
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

## الطرف والملح

قال ابن فارس : لو اقتصر الناس على كتب القدماء . لضاع علم كثير . ولذهب أدب غزير . ولضلت افهام ثاقبة . ولكلت السنة لسنة . ولجت الاسماع كل مردد . ولفطت القلوب كل مرجع .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كلمة لمدير المجلة

لقد كان من الأمانى التى تجول فى خاطر كل مؤمن خالص الإيمان أن تصدر عن الأزهر الشريف الذى هو مشرق أنوار العلوم الدينية ، مجلة تكون ميدانا تتنافس فيه الأفكار ، ومُسْتَبَقا تتبارى فيه العقول ، ومثابة للمسلمين وأمناً ياجأون إليها اذا نجمت بينهم نواجم الشبهات ، واثارت عليهم أعاصير الفتن ، تهديهم سبيل السلام وتقفهم على حجة الهدى ، وتزيل غواشى الباطل عن وجه الحق فيبدو ساطعاً يهتدى به الضال ويضوى اليه المعتسف .

ومن سنن الله تعالى المشهودة فى مجارى الحياة أن النيات الصالحات الصادرات عن الاخلاص والنصح المجرد لا بد أن تتحقق آثارها وتوثق ثمارها .

فحقيق بكل مسلم أن يشكر الله سبحانه نعمة صدور « مجلة نور الاسلام » ويعرف لصاحب الجلالة ملكنا المعظم « فؤاد الأول » حرس الله ملكه ولرجال دولته الأماثل ما لهم من الفضل فى هذا العمل المبرور ، ويرجو لها تحقيق تلك المقاصد الشريفة .  
وجدير بالمستترين من المسلمين الخالص الناصحين لدينهم فى جميع أقطار العالم الاسلامى أن يتقبلوها بقبول حسن ، وأن يمدوها بثمار أفكارهم ونتائج قرائحهم ، وأن يعتبروها وصلة معنوية توثق بينهم عروة الاخاء التى لا رابطة لهم أقوى منها « إنما المؤمنون إخوة »  
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

أغراض المجلة دينية خلقية علمية بحتة ، فلا تتعرض للسياسة بحال ، ولا تتدخل فى أمور الناس إلا فى حدود قوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین »  
تُعنى المجلة أشد العناية ببيان ما فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من أصول الأخلاق الفاضلة ، وقواعد الآداب الكريمة التى ينبغى لكل مسلم أن يقتفها ويسير على سننها فى حياته وبشرح ما تضمنناه من العظات والعبر التى يجب على المؤمن أن يتخذها قواما لسيرته ونبراسا لسيرته وتشير الى ما احتويا من مبادئ التربية الصحيحة

التي لا تكمل الانسانية إلا بها ، وتهييب بالذّادّين عن جادة الاسلام من ابنائه الذين تغذوا بلبائه ، وترعرعوا في حجرة إهابة الأمّ الرؤوم بأولادها أن هلموا إلى حظيرتكم المقدسة وحصنكم المنيع واعملوا مع اخوتكم على تعزيز أركان الاسلام وتقوية بنائه ، وابذلوا ما وهبكم الله من قوة التفكير والبيان في دراسة علومه وتفهم أصوله ومقاصده ، لتعلموا أنه هو الوسيلة الوحيدة لسعادة البشر ولا يغرنكم تلبس الماديين وتمويه دعاة حرية الفكر من الغريبيين وتساءل الله لها ولهم الهداية الى سواء السبيل .

وترجو المجلة من كل مسلم غيور على دينه أن يوافيها بكل ما يعن له من طرق الاصلاح في التعليم الديني سواء أكان متعلقا بوسائله أم بمقاصده وما يطلع عليه في المجالات أو الجرائد السيارة من المقالات التي لها مساس بالدين ، وتحض طلبة العلم كافة سواء بالمعاهد الدينية أم بدار العلوم والكليات والمدارس أن يواظبوا على مطالعتها بجدٍ واهتمام . ويبحثوا اليها بما يحول في خواطرهم من الآراء والأفكار في شأن المواضيع التي تنشر فيها . ترحو من القراء كل ذلك ليعينوها على القيام بأعباء ما احتملته من إعلاء كلمة الحق ونشر الفضيلة .

« رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا »

عبد العزيز محمد



# السيرة النبوية

## ترجمة الفصل العاشر من كتاب السيرة النبوية

للسيدين . ا دينية

وسليمان بن ابراهيم الجزائري

لصاحب التوقيع

وقفت على كتاب جليل في السيرة النبوية وضعه كل من المسيو ا. دينيه والشيخ سليمان بن ابراهيم الجزائري . والاول منهما رجل فرنسي اقام في الجزائر نحو ثلاثين عاما درس في خلالها أحوال الاسلام والمسلمين وحبب اليه هذا الدين فأسلم والف هذا الكتاب هو والشيخ سليمان المذكور فأحببت أن أترجم منه بعض فصوله لمجلة نور الاسلام لما فيه من الحقائق التي يمجدها المفتونون بالحضارة الغربية ويموهون على الناس بأن لا فضل في وجودها لغير الأوربيين .

### « الفصل العاشر من الكتاب »

لما لحق مؤسس الدين الاسلامي العبقري بالرفيق الأعلى كان قد فرغ من تنظيمه تنظيما دقيقا محكما شمل أقل الاعمال فيه .

وكانت جنود الله قد دوخت بلاد العرب كلها وأنشأت تغيير على الشام وعلى مملكة القياصرة العظيمة وقد عرضت فترة اضطراب كان تجنبها غير مقدور عليه بعد وفاة ذلك المرشد الموحى اليه فسببت بعض الفتن ولكن الاسلام كان من قوة بنائه وشدة تحمس الناس له بحيث إنه كان لا بد له أن يدهش العالم بهزئته الساحقة التي قد تكون معدومة النظير في سجلات التاريخ

اندفع العرب الأعزاء لأول مرة خارج بلادهم المحرومة من مواهب النعم تثيرهم معجزة



الايمان فاستولوا في أقل من مائة سنة على ما كان بهم من قلة مفرطة في عددهم على معظم بلاد الدنيا القديمة المتمدنة من الهند إلى الاندلس وقد شغلت هذه الفتوح المتوالية كثيرا بال عجب رجل في عصرنا اعنى نابليون الذى كان دائما يبيدي الاسلام عظيم اهتمامه الصادر عن عطف ومودة . فقد قال في خطبة له شهيرة القاها في مصر هذين اللفظين : مؤمنون . وموحدون . ( انظر كتاب بونا برت والاسلام للسيو شرفيس ) وكان في أخريات أيامه يتحدث عن الاسلام أيضا فمن قوله فيه : يظهر لى أنه بقطع النظر عن الاحوال العرضية التى تجلب العجائب لا بد أن في تأسيس الأسلام شيئا نجمله وأن العالم المسيحى قد انتقص انتقاصا بلغ الغاية بنتائج سبب أولى بقى مستورا وأنه ربما كان لهذه الشعوب التى برزت فجأة من أعماق الصحارى حروب أهلية طويلة نشأت لهم في خلالها اخلاق كريمة ومواهب عظيمة ودوافع لائقة وم أو بعض الأسباب الأخرى التى من هذا النوع .

( انظر ذكرى سنت هيلين — الجزء الثالث صفحة ٨٣ للسيو لاسكساس ) ولكونه كان يتنبأ بأن سيكون للاسلام وهو في غفوته حال تدهوره ذخيرة من القوة لا نظير لها سعى عدة مرات فى أن يتحالف معه محالفة كان يعتقد أنه لو نجح فيها لكان أهلا لايقاظه ولتغير وجه الارض بمعوثته .

ولم يكن نابليون واهما في ذلك لأن الحروب الاهلية التى كانت تنشب بين العرب قد رفعت في نفوسهم صفات البطولة ولكنها صيرت كل تنظيم لهم وكل تقدم مستحيلا ولو لم يبعث بينهم محمد لظل هؤلاء الجنود الشجعان باقين في حدود صحاريهم إلى الآن مستغرقين فى الاهتمام بمعاركهم الموروثة .

ولما محا الاسلام من نفوسهم نخوة الاعتزاز بالقبيلة والنسب والجنس وجعل جميع المؤمنين اخوة ونفخ فيهم روح المساواة والدين وسمو الفكر صاروا ذوى نفوس تتقد حمية وقلوب لا تخضع للضميم أفقة جديرين بحمل اعباء جميع الغزوات والحروب . ولم تكن ذخائر هذه القوة التى تراكت في نفوسهم خلال قرون قضوها فى الحروب الأهلية هى وحدها الوسائل التى قلبوا بها كيان كثير من الشعوب المغايرة لهم مغايرة عظيمة والمتفوقة عليهم تفوقا كبيرا فى ذلك العصر بمعلوماتها العامة ، بل هم قد جمعوا أيضا في أخيلتهم نفائس من المنى والأحلام خلال عدة قرون صرفوها فى التأمل فى جلال الصحراء وعظمة الفضاء . وهذه المنى والأحلام المدخرة فى هذه الأمة التى وأن لم تكن مثقفة كانت فتية ، قد فرضتها فرضا على جميع تلك الشعوب التى كانت على ثقافتها شائخة منهوكة .

ونحن ننصح لمن قد يستريون في ذكاء العرب ونبوغهم أن يتصفحوا مجموعة من الرسوم المنقوشة التي تمثل الابنية المنتشرة في البلاد الخاضعة لسلطانهم فلا شيء يدهش فيها كاتحادها في النمط الذي يميز هذه الآثار عن غيرها من جميع آثار الدنيا . ومع تشابه هذه المباني فيما بينها تراها قائمة في الهند وتركستان وفارس والشام وبلاد الترك ومصر والبربر وأسبانية وغيرها . اعنى في بلاد متغايرة تغايرا مطلقا ، ومتميزة تمايزا كثيرا في مواهبها الخاصة حتى إن مواهب اليونان والرومان لم تستطع في وقت ما أن تغير منها شيئا يعتد به .

اقتبس العرب اشياء كثيرة من الامم المغلوبة لهم كما انتفعوا في كثير من الاحيان بمواهبهم وبسواعدهم ايضا في تشييد قصورهم ومساجدهم . ولكن هذه الاعمال كانت دائما خواطر في احلام العرب واخيلتهم برزت الى الوجود . ومحل الغرابة الشاذة في النمط العربى هو أن المرشد المتحكم فيه هو فن ولد مع الاسلام في وقت واحد ولم يسبق له نظائر . وهذا الفن يهدى الينا إن صح لنا التعبير بذلك صورة مجسمة في تمجيد كلمات الله اعنى آيات القرآن فن الخط العربى هذا حتى لو اقتصر على طريقه وحدها يصح أن يقال فيه بلا مبالغة : إن فيه روحا لأنه كلفظ الانسان يعبر عما فى النفس من الفكر وهو بعدم اقتباسه شيئا من العالم الخارجى حتى ولا من اشده عناية بتنميقة يمت الى الموسيقى بسبب ، فكأنه رموز مقتضبة لاختفى حركات القلب . انظر الى هذه الخطوط التي تهض من اليمين الى اليسار على هيئة منحنيات مطمئة أو ثائرة ثم تنصب لتقف عن الحركة ثم ترسم فجأة على هيئة أعمدة شاحخة ثم تعود عما قليل سيرتها الاولى الى مجراها المطلق وتبسط ما اشتبك منها ، ويتغير تناسقها على ما يشاء الهوى المحبوب .

وليس من الضروري أن يكون المرء عالما بالعربية منقطعاعلاها متضلعا فيها أو ماهرا دقيقا فى الخط ليتتبع آثار الكلام الذى خط بهذه الحروف ويتمتع بمحض تمييز اشكالها أو بالانفعال الشديد الذى يجده فى منحنياته فكل متفنن ستنفذ روحه فى أسرار نفس هذه الحروف بلا عناء .

وبعد أن عبّر الخط العربى تعبيراً تاماً عن المثل الاعلى لامته اذل لسلطانه الذى يكاد يكون دينيا كل ما كان معدا لأن يحمله او يكون اطارا له . اعنى بذلك فن البناء وطرق الزخرف الاخرى بالجائها الى مزوجة نمط أشكاله — وقد دانت لهذا السلطان

قبة بزنطية الثقيلة التي على صورة نصف كرة بأن اختير لها شكل خوذة للجندى المسلم وقد تحولت منحنيات بواكيها المبتذلة الى منحنيات العقد الستين الجميل ، أو الى قوس شامخ متجاوز الحد في علوه وتغيرت ابراجها العادية ما آذن شيقة تذهب صعدا الى ذرى ما يأخذ بالعقل فيذهب باللب .

ثم طريقة الزخرفة الوحيدة التي هي كالحظ لم تقتبس شيئا من الفطرة واعنى بها الزينة الهندسية التي لم يستمد منها اليونانيون واللاتينيون الا آثارا غاية في الحقارة والسماجة قد انتعشت عند العرب بروح حقيقية ، ومن ثم سميت هذه الزينة باسم ذى معنى وهو الزخرف العربى وعملت على اثاره استحسان الفكر متأسية بمثلها وذلك باضلاله بين اعسر المتشابكات تعقدا وابعد الاستحالات توقعا .

واها لك أيتها المبدعات النفيسة للفن الاسلامى ان عشاق الطرف من الاوربيين يتنافسون اليوم في شراء بقاياك بالذهب عسى ان يدخلوا بك في بيئاتهم المظلمة بعض الاشعة المنعكسة بالامانى التي استمدتها من روح الالهام صانعوك . ليست الواح الزجاج المشعة والافداح الزجاجية المختلفة والنسائج الموضوعة والحرار المتعددة الالوان والنحاس المرصع ومصغرات الصور الفاخرة هي مفخرة الاسلام التي تغنون بها في مساكنكم انهم قد أنشأوا يفضلون من جميع نفائسك النفائس الخطية المنعشة بنقلها الايات الالهية أى النقوش القرآنية أو نفائس القيشاني المتلاثة الطلاء وهم بذلك يحتذون مثال أمراء المسلمين في عصر الحضارة العظمى للإسلام الذين كانوا يرتكبون من اجل اقتناء صحيفة واحدة من خط خطه أحد مشاهير الخطاطين حماقات كالتى نرى ارتكابها الآن من أجل اقتناء طرف التصوير . ولكن أنت أيتها النقوش المقدسة التي تقفين مالكيك الجدد خافقة قلوبهم إعجابا بانيق اشكالك . ألا تكشفين لهم يوما النقاب عن جمال روحك الاسلامية الاسمى .

لقد كانت أوربة حتى في وقت أشد عداؤها للإسلام مهورة من كل هذه البدائع فقد اقتبست أشياء لاعد لها من آثار نبوغ العرب في الزخرف والبناء وقد يدل الاستقصاء في البحث على انها مدينة لهذا النبوغ بأكثر مما تدين به للتابعين من قدماء اليونانيين واللاتينيين ومثل هذا البحث قد يبعد بنا كثيرا عن موضوع الكتاب ، وحسبنا ان نذكر هنا على سبيل الاستغراب أننا اذا اخذنا بقول المؤرخ دولور يكون بعض مهندسى البناء من العرب قد استخدموا في بناء كنيسة تتردام دوبارى .

ولم يكن نفوذ المسلمين في ميدان العلم بأقل من ذلك خصبا ولكي نعطيك فكرة منه لا نرى احسن من أن نلخص لك الرأي الذي ابداه الدكتور جوستاف لوبون في كتابه المشهور حضارة العرب اذ قال : (علينا أولا ان نعترف بأن العرب هم الذين يرجع اليهم الفضل كله في الاستعاضة عن ولاية الاستاذ بالتجربة والملاحظة اللتين هما اساس الطرق العلمية الحديثة لا الى باكون الذي ينسب اليه ذلك في الجملة)

وبعد أن أثبت العالم الشهير هنبلط إن أعلى درجة في العلم تنحصر في استدعاء المرء نفسه وباختياره للظواهر الكونية وحثها على الظهور قال : ان العرب قد بلغوا هذه الدرجة التي تسكد تكون مجهولة للقدماء .

ودراسة الرياضيات كانت منتشرة جدا عندهم والزيادات التي اضافوها الى علم الجبر صيرت هذا العلم الى غاية نسبوا اليهم بها انهم هم الذين اخترعوه ويرجع الفضل اليهم كذلك في التطبيقات الاولى للجبر على الهندسة وفي ادخال خطوط التماس في حساب المثلثات وقد كان علم الهيئة يدرس بشغف في مدارسهم ببغداد ودمشق وسمرقند والقاهرة وفاس وطليطلة وقرطبة وغيرها .

ويمكن تلخيص ما استكشفوه في هذا العلم فيما يلي من العدد وهي :  
ادخال خطوط التماس في الحسابات الفلكية ، ووضع جداول لحركة الكواكب وتحديد سمت الشمس تحديدا دقيقا وتدرجه في النقص وتقدير تقدم الاعتدالين تقديرا مضبوطا وأول تحديد مضبوط لمدة السنة

ثم اننا مدينون لهم ايضا باثبات ما في اكبر خط عرض للقمر من ضروب عدم الانتظام واستكشاف عدم التساوي القمري الثالث المعبر عنه اليوم بالتغير وقد ادلى هؤلاء الجوالون الجريئون في علم تقويم البلدان بالقدرح المعلى وكانت لهم من الوجهة العلمية هذه التحديدات الفلكية المضبوطة التي هي أول أساس للخرائط ، وقد صححوا الاغلاط الجسيمة التي ارتكبتها اليونانيون في أوضاع البلدان . ومن جهة جوب الاقطار قد نشروا اختبار رحلات لهم عرفت الناس أجزاء مختلفة للعالم قل من توهموا وجودها قبلهم ، ولم يسبق للاوربيين ان طرعوها فقد بينت على خريته رسمها الادريسي يرجع تاريخها الى سنة الف ومائة وستين بيانا كاملا منابع نهر النيل مخترقة البحيرات الاستوائية الكبرى التي لم يكتشفها الاوربيون الا في النصف الثاني للقرن التاسع عشر

وفي العلوم الطبيعية يزيد عدد اكتشافاتهم عن ذلك أيضا، يدل ذلك على علو شأنها تعدادها فيما يلي . فمنها معلومات عالية في نظريات علم الطبيعة خصوصا في نظرية البصر ومنها اختراع اجهزة آلية من ابداع ما يكون، واكتشاف أعلق الاجسام باصل علم الكيمياء مثل الكحول والحامض الآزوتى والحامض الكبريتى، وأهم الاعمال الاساسية في هذا العلم مثل التقطير وتطبيق علم الكيمياء على فن الصيدلة وعلى الصناعة خصوصا صناعة استخراج المعادن وصنع الفولاذ والصبغة وغيرها وصنع الورق من الخرق والاستعاضة به عن ورق الغزال والبردى وورق الحرير الصينى، ومن المحتمل انهم طبقوا بيت الابرّة (البصلة) على الملاحه ومن المحقق انهم ادخلوا هذا الاختراع الاساسى في اوربة ثم ان من ذلك اكتشافهم للأسلحة النارية ففى سنة ١٢٠٥ كان الامير يعقوب يستعمل المدافع فى حصاره مهذرة

وفى سنة ١٢٧٣ استعملها السلطان ابو يوسف فى حصار سجلماسة

وفى سنة ١٣٤٢ كان الكونتان الانجليزيان دربى وسالسبرى يشهدان حصار الجزيرة والعرب يدافعون عنها بالمدافع، ولما عاينا استعمال البارود نقلا هذا الاكتشاف الى بلادها ولهذا السبب استعمله الانجليز بعد ذلك باربع سنين فى حصار مدينة «كريسى»

وفى العلوم الطبية استمد العرب اولا معلوماتهم من كتب اليونان ثم حصلوا منها زيادات أعلى ما يكون شأننا فمعظم علوم اوربة الطبية فى عصر تجدها أخذت عنهم وأشهر الزيادات التى اضافوها الى العلوم الطبية هى فى التشريح ووصف الامراض والمادة الطبية والصيدلة . وقد اخترعوا عدة طرق علاجية بعضها كاستعمال الماء البارد فى الحى التيفودية (١) قد استؤنف استعماله فى العهد الاخير بعد أن نسى قرونا طويلة

والمادة الطبية مدينة لهم بكثير من الأدوية مثل خيار شنبّر والسنا المكى والراوند والتمر الهندى والكافور والكحول والقلقى وغيرها .

وقد كانوا هم المنشئين الحقيقين لفن الصيدلة ويرجع اليهم الفضل فى أغلب المستحضرات المستعملة الى اليوم مثل الأشرطة وصنوف اللعوق واللزق والمرام والادهان والماء المقطر وغيرها وفن التشريح مدين أيضاً للعرب بزيادات أساسية وقد استعملت كتبهم فيه أساساً للتعليم فى كليات الطب بأوربة الى عهد قريب جداً، وفى القرن الحادى عشر من التاريخ المسيحى

(١) وقد ورد فى هذا قوله عليه الصلاة والسلام «الحى من فيح جهنم فافطؤوها بالماء» وفى رواية فايردوها رواء لبخارى فى كتاب الطب

كانوا يعرفون علاج الماء الذى ينصب فى العين « الكتاركتا » بالتحويل أو استخراج البلورية، وتفتيت الحصى وعلاج النزيف بصب الماء البارد واستعمال الكاويات والأخزمة والنكى بالنار، ان التخدير الذى يرى الناس الآن ان اكتشافه الأساسى حديث العهد يظهر إنه لم يكن مجهولا لديهم فانهم كانوا يوصون باستعمال الزوان<sup>(١)</sup> لتنويم المريض قبل البدء فى الأعمال المؤلمة حتى يفقد ادراكه واحساسه .

وكانت لهم ايضا ثقة عظمى بعلم تدبير الصحة من جهة علاج الأمراض فكانوا يعتمدون كثيرا على الوسائل الفطرية والطب الانتظارى الذى يظهر أنه هو كلمة العلم الحديث الأخيرة لا يجرى فى استدلاله على ما يخالف ذلك

( انتهى من كتاب الدكتور جوستاف لوبون — حضارة العرب )  
وفى مجال المعانى والافكار كان لنفوذ المسلمين نتائج ربما كانت أنفس من ذلك أيضا .  
فاذا كان المسيح قد أوصى قومه بالمساواة والأخاء فقد سعد محمد بتحصيلها وتحقيقها للمؤمنين به فى حياته .

وقد يكون من السخافة أن يزعم زاعم أن الثورة الفرنسية قد استطاعت أن تقتدى بقدوته مباشرة فى عملها لأنها كانت تجهل معظم عمله فى تأسيس قاعدة المساواة — على أن المحاولات الاولى لتحرير الفكر هذا الذى كان لابد أن ينظم المجتمع الحديث على أسس جديدة يمكننا أن ثبت أنه كان النتيجة المنطقية لشريعته ، فان شرف ادخال حرية الفكر ( التى لا ينبغى خلطها بالاحاد ) لأول مرة فى أوربة يرجع الى الحكيم المسلم ابن رشد الذى كان يعيش فى اسبانية من سنة ١١٢٠ الى سنة ١١٩٨

عارض ابن رشد بعقيدة الايمان بالله وحده فى الاسلام مذهب وحدة الوجود الخرافى عند اليونان ومذهب التجسيم عند المسيحيين

وقد هاج شراح كتابه الذى ألفه فى ارسطو رغما من اصطباغهم شديداً بالصبغة الاسلامية كل العقول المستقلة فى القرون الوسطى بأوربة . ومذهب ابن رشد الذى نشأ من هذا التحمس يصح اعتباره بحق ليس بشيرا للإصلاح فحسب بل أبا للحكمة العقلية الحديثة  
ثم إن تأثير أخلاق المسلمين فى الاخلاق الاوربية لم يكن أقل من ذلك نفعا فان العرب مع ما كان فيهم من التسامح الدينى المتناهى ( الذى سنتكلم عنه فيما بعد ) كانت لهم أخلاق كلها شهامة ومروءة

وقد صرح الكاتب الاسبانيولى الشهير بلاسكو ايبانيز فى قصته المعنونة « فى ظل الكنيسة الكبرى » بأن روح الشهامة إنما ولد بين العرب الاسبانين وإن كان غزاة الشمال من المسيحيين قد ادعوه لأنفسهم زاعمين أنه صفة من صفات الامم المسيحية ولنذكر أيضا فى هذا الموضوع ملاحظات الدكتور لوبون اذ يقول إنه « للشهامة العربية قانونها كالشهامه المسيحية التى جاءت بعدها فانه لم يكن جديرا بوصف الشهامة إلا من كان حائزاً للخصال العشر التالية وهى سلامة القلب والبسالة وخفة الروح وملكة الشعر والبلاغة والقوة وحذق ركوب الخيل وادارة الرمح والسيف والقوس »

لما حاصر والى قرطبة فى سنة ١١٣٩ مدينة طليطلة التى كانت فى حوزة المسيحيين ارسلت اليه الملكة تيرنجير التى كانت محصورة فى هذه المدينة مناديا يؤذنه بأنه لا يليق بفارس شهيم ظريف كريم ان يهاجم امرأة فما لبث القائد العربى أن عاد ادراجه غير طالب جزاء على انصرافه عنها الا شرف التسليم عليها .

وتواريخ عرب اسبانية غاصة بالحكايات التى هى من هذا النوع الدالة على مبلغ انتشار صفات الشهامة هذه بينهم ، وقد حقق العالم الشديد الاستمساك بدينه برتملى سان هيلير تحقيقا التزم فيه الامانة الى العرب — ما تدين به الاخلاق الاوربية اذ قال فى كتابه الذى الفه فى القرآن مانصه « ان اشراف القرون الوسطى القساة قد لانت عوائدهم الجافية بمخالطتهم العرب ومتابعتهم لهم ، وأهل النخوة منهم عرفوا بهذه المخالطة عواطف أرق من عواطفهم وأشرف وألّيق بالانسانية بدون أن يضع عليهم شئ من شجاعتهم » ربما تسأل القاريء والاحوال كما ذكر — لماذا صار نفوذ العرب وتأثيرهم منكرا اليوم جد الانكار من بعض العلماء الذين يظهر أن عقولهم تنبو عن الاوهام الدينية ؟

سبب ذلك أن استقلال الآراء هو فى الواقع اعلق بالظاهر منه بالحقيقة واننا فى بعض المواضع لسنا أحرارا فى فكرنا مطلقا كما نحب ، فلاوهام الموروثة التى ندين بها جند الاسلام واتباعه قد تراكت فى نفوسنا خلال قرون بلغت من الكثرة حدا يبعد فيه أن لا تندمج فى تركيبنا .

واذا أضفنا الى ذلك هذا الوهم الآخر الموروث أيضا الذى ينمو على تعاقب الاجيال بتربيتنا الممقوتة على المذاهب القديمة وهو أن جميع علوم الماضى وآدابه لم تأتأ الا من اليونانيين واللاتينيين سهل علينا أن نفهم سر جحود الاوربيين فى الجملة ما كان للعرب من الأثر العظيم فى التاريخ والحضارة الاوربية فانه سيبدو دائما لبعض العقول انه من

الذل والمهانة أن يعترف للمسلمين باخراج أوربة المسيحية من ظلمات البربرية والتوحش  
 « من كتاب الدكتور جوستاف لوبون — حضارة العرب — ما هي الاسباب التي دعت  
 الى تدهور الاسلام تدهورا غاية في السرعة وهو في ثمانية قرون تسلط فيها على اسبانية  
 قد رفع هذه البلاد ذروة الحضارة الغربية ولم يكن سناه أقل سطوعا في البلاد الممتدة  
 من دلهي وبخارى الى القسطنطينية والى فارس .

أول سبب ينبغي تلسمه لذلك هو عدم اتباع قواعد المساواة التي جاهد النبي كثيرا  
 في سنها في حياته والتي كانت هي السبب في نجاحه ونجاح الخلفاء الاولين من بعده ،  
 ولنضرب لك مثلا نبين فيه مبلغ التشدد في تطبيق هذه القواعد أول الامر : كان جيلة  
 ( ابن الايهم ) ملكا من ملوك العرب ذوى السلطان والانفة يطوف بالكعبة في أول  
 عهده بالاسلام فاصطدم به بدوى حقير بلا قصد منه فاطمه جيلة على وجهه لطمة شديدة  
 فلما رفع الامر الى الخليفة عمر بن الخطاب لم يأبه بمكانة المذنب ولا أنه يجر الى نفسه  
 عداوته بالاعتصاف منه وهو في مثل هذه المكانة ، بل رأى أنه لرفعة الاسلام ومستقبله  
 ينبغي أن تُسقط المساواة أمام العدالة كل اعتبار فحكم على الملك جيلة بأن يحتمل قصاصا  
 ماثلا لجريمته من يد البدوى الحقير الذي ضربه

بمثل هذه القواعد التي لا هوادة فيها ما كان يستطيع أحد أن يستفيد إلا من أعماله  
 الخاصة وقد ولد التنافس في خير الاسلام امورا مدهشة ولم يختزل للراية فيه الا من كانوا  
 يستحقونها ، وكان الرؤساء يطاعون ابغ الطاعة لانهم محل الاعجاب والتوقير الخالصين  
 من الرعايا ؟

عبد العزيز محمد

## الطرف والملح

اهدى سيدنا نعمان بن عمرو رضى الله عنه . ( وهو ممن شهد غزوة بدر ) . الى  
 النبي صلى الله عليه وسلم - جرة غسل اشتراها من اعرابي . واتي بالاعرابي الى باب النبي  
 صلى الله عليه وسلم . فقال : خذ الثمن من هاهنا . فلما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم  
 نادى الأعرابي : ألا أعطى ثمن عسلي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لإحدي هنات  
 نعمان . وسأله . لم فعلت هذا ؟ فقال : اردت برءك يا رسول الله . ولم يكن معي شيء  
 فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم . وأعطى الاعرابي حقه .



# أنبأ العالم الإسلامى

## حركة التبشير المسيحى فى العالم الإسلامى

﴿ المبشرون يدبّرون الخطط لمضاعفة الجهود فى التبشير فى أرجاء الاقطار الإسلامية ﴾

نشرت مجلة العالم الإسلامى « The Moslem World » التى يحررها القس زويمر فى عدد ابريل الماضى مقالة افتتاحية تحت عنوان « المساحات التى لم تحتل بعد » نقطف منها ما يأتى : « ان الاقاليم التى لم يزرها المبشرون للآن يجب أن تكون موضع اهتمام الكنيسة وميدان جهادها . ولا ينبغى أن يبقى فى هذا القرن العشرين للتاريخ المسيحى مكان على وجه الأرض لا تطأه قدم المبشر . وإننا نجد أن غالب البلاد التى لم يحتلها المبشرون إنما تقع فى دائرة العالم الإسلامى . ولا يراد بذلك فقط شمال افريقيا وغرب آسيا بل الصين أيضاً . إذ أن فى هذه الاقطار الشاسعة ولايتا قنصوه وسنكيانغ وهما يشتملان على السواد الأعظم من مجموع المسلمين فى الصين . ومع ذلك فإن عمل التبشير لم يتناول خمس المساحة العامة لهاتين الولايتين .

كذلك يوجد فى الهند الصينية الفرنسية وسيام ما يقرب من مليون مسلم لا يزالون بعيدين عن حركة التبشير . وأما بلاد الأفغان ففيها من المسلمين ما يقرب من ثمانية ملايين . وفضلا عن أنها خالية من المرسلين فهى مقفلة فى وجوههم من زمن قديم ولا تزال كذلك للآن .

وأما فى فارس فالجهات التى لم يسمع فيها صوت الدين المسيحى هى الواقعة فى الشمال الشرقى من اذربيجان وكذلك بلاد الأكراد المتاخمة للحدود التركية . وهناك جهات أخرى كالولايات الواقعة على طول الحدود الغربية للعراق وغيرها . ونجد جنوب خط عرض ٣٠ شمالا ان بلاد العرب ولا سيما الأجزاء الداخلية منها لا تزال أرضاً عذراء . ويقدر سكانها بنحو خمسة ملايين نسمة . فالحجاز واليمن وحضرموت وسلطنة نجد كلها لم يرها المبشرون

وأما في الهند فانا اذا تأملنا خريطة توزيع مراكز التبشير بالنسبة لكل مليون من سكان المديرية وجدنا أن عدد تلك المراكز ضئيل جداً في الأقاليم التي توجد فيها أكثرية مسلمة . فمثلا في البنغال والشمال الغربي للهند توجد أقاليم كل سكانها أو جلهم مسلمون . ومع ذلك لا نرى فيها مبشراً واحداً . كذلك الحال في برما وبلاد الملايو

وإذا نظرنا للإسلام في جنوب أوربة وجدنا أن في الولايات البلقانية ما يقرب من ثلاثة ملايين ونصف من المسلمين لا يبعدون عن لندن بأكثر من ثمان وأربعين ساعة بقطار السكة الحديدية . وبالرغم من هذا فإنه يدهشنا جداً بأن نسمع أن تلك الجهات خالية من التبشير . وفي روسية يبلغ عدد المسلمين طبقاً للأحصاء الأخير حوالى سبعة عشر مليوناً ولا يوجد بينهم هيئة منظمة تعمل على نشر الدين المسيحي

ولنعد ثانياً الى الكلام عن افريقية فنقول : إن المسلمين في جزيرة مدغشقر يبلغون نحو ٦٧٠ ألفاً مهملين من وجهة التبشير . وأما أقاليم غرب أفريقية الفرنسية فإن الغالب فيها العنصر الاسلامي وتعد من أوسع أقطار العالم التي نسميها في اصطلاحنا غير محتلة . ولقد ورد في تقرير السكرتير العام لأرساليات السودان المتحدة أن الأمارات الاسلامية الواقعة شمال نيجيريا ( غرب أفريقية ) لم تصلها دعوة المبشرين لأن حكومة تلك المستعمرة ظلت مدة طويلة تمنع المرسلين من التجول داخل الاقاليم الاسلامية حيث أنها كانت تعهدت لحكام تلك الامارات ألا تتدخل في شؤونهم الدينية

وأما شمال أفريقية فلا يصح أن نعتبره قطراً غير محتل . نعم إن هناك أجزاء يصح أن نعتبرها كذلك . فمثلا في ولاية طرابلس لا يوجد في العاصمة كلها إلا مبشر واحد . ولكن في تونس والجزائر ومراكش توجد عدة هيئات منظمة تعمل على التبشير . إلا أنه كلما توغلنا في الداخل تضاءلت حركة التبشير . ومن المستطاع التغلب على هذه الصعوبة بالالتجاء إلى الوسائل المعروفة كالمتاجرة مع الاهالى وفتح المدارس لأبنائهم وما ماثل ذلك

ويظهر أن السودان قد قدر له أن يكون فتحه وتقدمه وتمدينه من طريق الصحراء لا من طريق السواحل التي نظرا لمناخها القتال تحول دون تجول المبشرين . لذلك سيصير السودان قاعدة للتبشير ومنها يكون الزحف إلى قلب أفريقية . كما أنه يصلح لأعداد طائفة من الاهالى تتولى الدعوة إلى المسيحية . بينما في نفس الوقت يمكن صد القوى الاسلامية في شمال أفريقية واجبارها على اتخاذ خطة الدفاع .»

هذه خلاصة ما جاء بتلك المقالة الممضاة باسم زويمر نفسه . ونرجو أن نكون بنقلها إلى اللغة العربية قد أدينا واجبا نحو اخواننا المسلمين في تلك البلاد حتى يأخذوا حذرهم ممن يبيتون لهم ما يبيّتون . « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »

محمد الحسيني رفا

مفتش الآداب بالمعاهد الدينية

## الظرف والملمح

قال بعض العلماء : في حِكَم الحكماء . وفي كلام الالباء العقلاء . من أئمة السلف وصالحى الخلف الذين امتثلوا في أفعالهم وأقوالهم آداب التنزيل . ومعانى سنن الرسول ونوادى العرب وأمثالها وأجوبتها . ومقاطعها ومبادئها وفصولها . إلى ما حَوَّوه من حكم العجم وسائر الأمم . وتقيد أخبارهم . وحفظ أمثالهم وأشعارهم . التى هى صَوْغُ البالهم . وثمار آدابهم . ما يبعث على امثال طرقيهم واحتدائها . واتباع آثارهم واقتفاءها قال الشعبي : لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة واحدة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره ، ما رأيت أن سفره قد ضاع .

وقال بعض الحكماء : من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة . ومن تسلى بالكتب لم تفتته سلوة . وإن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان . فابتغوا لها طرائف الحكمة . والحكمة شجرة تنبت فى القلب . وتثمر فى اللسان . وهى موقظة للقلوب من سنة الغفلة . وللبصائر من سكرة الحيرة . وبحية لها من موت الجهالة . ومستخرجة لها من ضيق الضلالة . وقد أثنى الله سبحانه على الحكمة فقال : ( وَمَنْ يُوْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَوَصَفَ بِهَا لِقَاءَ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ) ولقد أتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله . ومن شكر فأنما يشكر لنفسه . ومن كفر فإن الله غنى حميد ) — وقال لقمان : إن القلب ليحيا بالكلمة من الحكمة كما تحيا الأرض بوابل المطر .

# العلوم والآداب

## مقتطفات علمية<sup>(١)</sup>

« كيف يميز اللؤلؤ الطبيعي من الصناعي »

قد أصبح الآن من السهل التفرقة بين اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ الصناعي والفضل في ذلك يرجع الى اكتشاف أحد العلماء الانجليز المسمى هوبكنس . إذ وجد أن الطبقات القشرية التي تتركب منها صدفة اللؤلؤ الحقيقية يمكن تمييزها من غيرها عند عكسها لاشعة تسلط عليها بألة خاصة داخلها زئبق

« احتواء القلب على معدني الفضة والألمنيوم »

اعتدنا أن نعبّر عن صفاء القلب ونقاوته بأنه من الذهب وعن شدة البطش لدى الافراد بأن لهم يدا من حديد . واذا ما أردنا أن نصف انسانا بالبطء والشاغل قلنا إن له قدما من رصاص وهكذا . وقد اثبت الفحص العلي الحديث أن هذه الاستعارات لا تخلو من حقيقة . اذ قد دلت أبحاث عالمين من علماء الكيمياء بفرنسة على أن القلب والرئتين يحتويان على معادن النحاس والألمنيوم والفضة . وان الكبد فيه نحاس ورصاص وفضة . ويوجد بالبنكرياس<sup>(٢)</sup> نيكل ورصاص . وفي الكليتين المنيوم وفضة ونحاس . وفي الطحال فضة وقصدير . واما المخ فهو غني بمعدن القصدير

« صنع اللحوم من بزور القطن »

اكتشف أحد أطباء ولاية نيوجرسي بالولايات المتحدة بأمرية طريقة توصل بها الى صنع مادة من بزور القطن تشبه اللحم تماما . وذلك بان تطحن البنذور جيّدا

(١) هذه المقتطفات منقولة من اللغة الانجليزية عن مجلتي . Popular Science & Scientific American

الصادرتين في شهر يونيو سنة ١٩٣٠

(٢) غدة في القسم السفلي للبطن وظيفتها تفرز في المي سائلا لالون له غرائيا يؤثر في الشحوم

ويضاف إليها شيء من الشحم والماء بمقادير معينة فتكون عجينة لا تختلف مطلقاً عن مادة اللحم بل تفضله في رخص الثمن لأن الرطل منها لا يزيد ثمنه عن قرش صاغ . فضلاً عن أن تلك المادة الجديدة تحتوي على الخواص الغذائية التي توجد في اللحوم الحيوانية حيث أن بها من البروتين ما يقرب من ٥٠ ٪ .

### « البحر الميت يصبح مركزاً حيوياً للصناعة »

لقد تألفت في لندن شركة كيميائية يبلغ رأس مالها نحو مليونين من الجنيهات لاستغلال الأملاح الموجودة في مياه البحر الميت بفلسطين . والمنظور أن تتمكن هذه الشركة من استخراج نحو ٥٠ ألف طن سنوياً من كولورات البوتاسيوم

### « الجراثيم تفوق الإنسان في استخراج زيت جوز الهند »

ربما يصبح للجراثيم أهمية عظيمة للصناعة في المستقبل . لأنه قد اتضح أن إحدى فصائل المكروبات المسماة بشلس دابروكيا يمكنها أن تفصل زيت جوز الهند عن المادة الأصلية بطريقة أسهل وأرخص مما هو معروف لدى رجال الصناعة الآن . وبيان ذلك أن هذه الجراثيم تستطيع أن تلتهم خلايا جذران الثمرة وتفصل عنها الزيت . وما يبقى بعد ذلك من الفضلات يصلح لأن يكون غذاء للباشية

### « اختراع أحذية من الصلب للمساجين »

اخترع اثنان من رجال الشرطة السرية الألمانية حذاء من الصلب يرتكز على كعب شكله كالكرة بحيث إن اللابس له لا يستطيع السير إلا إذا عمل على حفظ توازنه . وقد بُطِن من الداخل باللباد حتى لا يؤذي القدم . ويقول المخترعان : إن السجين لا يمكنه مطلقاً أن يحاول الهرب لأنه إذا أقدم على الجرى سقط لا محالة . وهذا الحذاء يُربط بالقدم ويقفل بقفل خاص . والمقصود به أن يحل في المستقبل محل الأغلال التي توضع في الأيدي .

## مقتطفات جغرافية<sup>(١)</sup>

### غرائب الحاصلات

#### ريش النعام:

يربى طير النعام بكثرة في جنوب افريقية داخل حظائر واسعة . ويُتَبَّع في تفريخ البيض الطريقة الصناعية المتبعة في تفريخ الدجاج . الا أن جانباً عظيماً من بيض النعام تسطو عليه الغربان بطريقة تدل على كثير من المكر والدهاء . ولما كانت مناقيرها لا تعمل في البيض لصلابة قشوره فهي تعتمد الى قطع من الاحجار وتحلق بها في الجو الى أن تحاذى مكان البيض ثم تُسْقَط عليه الحجارة فتشتم كثيراً منه ثم تَنَقَّضُ عليه فتلتهمه ويُربى النعام لاتخاذ ريشه في الزينة والاثاث وقد يبلغ قيمة ما يباع سنوياً من ريش الطير الواحد ١٥ جنياً

#### مدينة الماس :

كمبرلى — احدى مدن مستعمرة الرأس في جنوب افريقية — هي أغنى بلاد العالم بمناجم الماس . وتبلغ تلك المناجم من الاتساع والعمق درجة عظيمة بحيث لو القيت فيها اهرام الجيزة الثلاثة لوسعتها

#### السماك المحفوظ في العلب:

في كلمبية أحد اقاليم كندة الغربية نهر يسمى بهذا الاسم يشتهر بكثرة الاسماك التي يزاحم بعضها بعضاً فتتقطع ذيلها وزعانفها وتسيل منها الدماء فتغير لون الماء . ولذلك انشأت الحكومة مصانع على شاطئ هذا النهر لحفظ السمك في العلب . ويقال إن مقدار ما يصنع منها في اليوم الواحد تبلغ زنته ٢٥ طناً .

#### الذرة في الولايات المتحدة :

الولايات المتحدة أغنى اقطار العالم في مختلف الحاصلات الزراعية والحيوانية والمعدنية ومن أهم حاصلاتها الزراعية الذرة وينتج منه سنوياً مقادير تفوق الحصر بحيث لو شحنت في مركبات يجر كل منها حصانان لتكوّن منها خط يبلغ طوله طول محيط الكرة الأرضية

(١) منقولة عن كتب المطالعة في تقويم البلدان الحديث للمستر كولنس «Collin's New Geography Readers»

البلد الذى يركب فيه الشحاذ الخيل :

اشتهرت بلاد الأرجنتين أو الجمهورية الفضية فى أمريكا الجنوبية باتساع مراعيها التى تربي فيها الخيول بكثرة هائلة . وهى أهم وسيلة للانتقال من مكان الى آخر وثمان الواحد منها لا يزيد على ثلاثين شلنا . لذلك تجد الشحاذين انفسهم يركبون الخيل فى تجوالهم من قرية الى أخرى ؟

محمد الحسينى رفا

مفتش الآداب بالمعاهد الدينية

## الطرف والملح

قال الجاحظ : إن عمرو بن سعيد دخل بعد موت أبيه على سيدنا معاوية : رضى الله عنه . وعمرو يومئذ غلام . فقال له سيدنا معاوية : إلى من أوصى بك أبوك يا عمرو ؟ قال : إن أبى أوصى إلى ولم يوص بي . قال : وبأى شئ أوصاك ؟ قال : أوصانى ألا يفقد إخوانه منه الا شخصه . فقال سيدنا معاوية لاصحابه : إن ابن سعيد هذا لا شرف . قيل للإمام الشافعى رضى الله عنه . كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت تطلبنى ثمانية . الله تعالى بالفرض . ورسوله عليه الصلاة والسلام بالسنة . والدر بصروفة . والعيال بقوتهم . والحفظة بما ينطق به لسانى ، والشيطان بالمعاصى . والنفس بالشهوات . وملك الموت بقبض روحى .



# علاقة الاخلاق

## بالشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

تمتاز الشريعة الإسلامية عن الشرائع الوضعية بتناول أصولها وقواعدها علاقة الإنسان بخالقه وعلاقته بنفسه فوق تناولها لما تعرضت له القوانين العلاقات الاجتماعية الخاصة والعامة - فعلاقة الإنسان بخالقه ينظمها ما وردت به الشريعة الإسلامية من العبادات والعقائد كاعتقاد الوحدانية والقدرة والكمال والتنزه عن النقائص لله سبحانه وتعالى وكالرضاء بالقضاء والقدر والأيمان بالله ورسوله وملائكته وكتبه وغير ذلك، وقد جمع أصول العقائد الدينية وألم بأبحاثها علم العقائد، ويسمى علم التوحيد وعلم الكلام أما العبادات العملية ( من الصلاة والزكاة والحج وترك المحرمات ونحو ذلك فقد تعرضت لبيانها وتفصيل جزئياتها كتب الفقه الإسلامي وجعلت لها قسما خاصا بها يسمى العبادات

وعلاقة الإنسان بنفسه ينظمها ما وردت به شرعة الدين من الحث على الفضائل الخلقية والكمالات النفسية التي تؤدب النفوس وتكلمها وتخلصها من رجس المفسد وتستنقذها من أدران النقائص من الصدق والاحسان وطلاقة الوجه وكف الأذى وبذل المعروف والحياء والاحسان إلى الوالدين وتنفيس كربة المسلم وأن يحب المرء للأنسان ما يحب لنفسه وصلة الرحم والاحسان للجار وبذل المعونة وستر عيوب الناس وعبادة المريض والصدقة على الفقير وبذل النصيحة عن إخلاص وإطعام الطعام وإفشاء السلام وترك الكذب والغيبة والنميمة والحسد والفجور وإيذاء الناس الى غير ذلك مما هو موضوع الاخلاق والآداب - وإنما سمينا هذه العلاقة بعلاقة الإنسان بنفسه وإن كانت من العبادات والقربات التي يثاب عليها المؤمن ويتقرب بها إلى الله - جريا على اصطلاح القانون في تسميتها ولأنها أمور ترجع الى تهذيب النفس وتربيتها بالآداب ومحاسن الاخلاق .

— وإنما لم تتعرض القوانين الوضعية لهاتين العلاقتين لأنهما لا تتصدي إلا إلى ما هو ضروري لحياة المجتمع البشري وحياته وترقيته ويرى مشرعوها أن العبادات



الدينية لا دخل لها في ذلك — أما العلاقة الأخرى فيرونها من الآداب التي ليست ضرورية لحياة المجتمع وله منها بد وعن تنظيم القانون إياها مندوحة — فليس للقانون أن يرتب على مخالفتها جزاء قانونيا ولكن عقاب المخالف لها أدبي كزراية الناس واحتقارهم لمن يخالف العادات والآداب المألوفة — اللهم إلا ما صار من هذه الآداب والمسالك ضروريا للمجتمع فان القانون خليق حينئذ أن يتناوله بأحكامه ونصوصه أما من طريق العادة أو التشريع — فلا ينبغي للقانون أن يحتم على الناس أن يُصدقوا أو يصدّقوا أو يتركوا الحسد والكذب — ولو فشت خصلة من هذه الخصال أو عدمت في أمة من الأمم ما كان ذلك مؤثرا في كيانها وإن كانت مكارم الاخلاق تكسبها كالا أدبيا ورذائل الخصال اذا فشت تحدث نقصا في آدابها وغضاضة في كرامتها ولكن حياتها مع ذلك تبقى موفورة وكيانها الاجتماعي يستمر محميا بالقانون والتشريع هذا ما يقول أهل القانون في علاقة الاخلاق بالقانون الوضعي فهم يرون أن كلا منهما في ناحية وليس بأحدهما حاجة الى الآخر والواقع الملبوس أن القانون والاخلاق يتعاونان على حفظ كيان المجتمع البشرى ويتساندان في توفير السعادة والرفاهة له واليك بيان ذلك : ( فصل في أن الآداب والاخلاق تخدم الضروريات للحياة الاجتماعية فهي مثلها في حاجة المجتمع اليها ).

لم نقل تمتاز الشريعة الاسلامية بتنظيمها هاتين العلاقتين عبثا من القول ولكن لما هو أوضح من الشمس في رائعة النهار من ظهور آثارها في تقويم النفوس وتحضير بدواة الطباع وتنقية القلوب من جفائها وجلأ الضمائر والذمم من أصدائها ولها أيضا آثارها في آداب السلوك العامة ، ولا أظن مجتمعا مهما ارتقى به التشريع واحيط بسياج من القانون يخلو من هذه الشوائب والفضائل إلا انحط الى درك الضعف والاستكانة وتقعن بالحقارة والمهانة يدل على ذلك أنه قد أصبح رقي الأمم يقاس برقي آرائها واخلاقها والتاريخ يشهد أن أسباب عظمة الأمم ترجع الى الاخلاق والتقاليد التي تكون عظمها وتبنى سيادتها قال ( جوستاف لوبون ) في كتابه ( سر تطور الامم ) : ( لقد بدأت عوامل انحطاط الأمة الرومانية في الوقت الذي ازدهرت فيه العلوم وكثرت الشعراء والفلاسفة بها فيه لأن أخلاقها وتقاليدها التي كانت تبنى عليها عظمها بدأت في الانحلال ) . ومن أجل ذلك عنيت الشريعة الاسلامية بالآداب والاخلاق التي كان لها الاثر الاكبر في عظمة الامة العربية والدول الاسلامية التي كانت معتصمة بحبلها مستمسكة بعراها

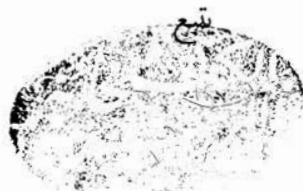
ومن المعلوم أن القوانين الوضعية قد سارت الشريعة الإسلامية في المحافظة على ما هو ضروري للجمتمع وجعلت الشريعة الضروريات التي يجب المحافظة عليها خمساً ( الدين والعقل والمال والنسل ) والقوانين الوضعية تسير الشريعة في المحافظة على هذه الأمور الخمسة غير أنها قد تخالف الشريعة في نوع الفكرة دون جنسها أو في طريقة المحافظة .

فالمحافظة على الدين في القانون معناها تمتع كل انسان بحرية الاعتقاد فله أن يعتقد ما شاء ويدين بأى دين شاء أما المحافظة على الدين في الشريعة الإسلامية فهى ألا يترك الدين الإسلامى من دخل فيه بالارتداد والا استوجب العقاب الشرعى ، فالقانون يحافظ على مطلق الدين الذى يدين له الانسان — والشريعة تحافظ على دين معين لا ترى فى سواه السعادة الحققة وتترك للانسان حرية الدخول فى الاسلام ( لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي ) والمحافظة على الدين فى الشريعة هو الأصل فى وجوب قتل المرتد وقتال المرتدين والخوارج على الدين الإسلامى

فهنا اتفاق بين الشريعة والقانون فى جنس الفكرة دون نوعها — ويرجع هذا الخلاف الى الخلاف بينهما فى مبدأ حد الحرية الشخصية فالشريعة ترى أن حد الحرية الشخصية ألا يضر الانسان بنفسه ولا بغيره لأن إلقاء النفس الى التهلكة والضرر والضرار محرمة فى الشريعة بالنصوص القطعية — والقانون يرى أن حد الحرية الشخصية ألا يضر الانسان غيره فقط — وما كان الارتداد عن الدين الإسلامى فيه إضرار بالنفس وإلقاء بها فى الشقاء الأبدى بعد أن تبيّنت نور الاسلام ووقفت على مزاياه واقتنعت بأنه سبيل السعادة الحققة كان هذا من باب إلقاء النفس الى التهلكة ولم يكن داخلًا فى دائرة الحرية الشخصية التى تخير من لم يدخل الاسلام وتمنحه الحرية فى ألا يدخله لأنه لم يتذوق بعد حلالوته ولم تشرب نفسه الاعتقاد بأنه حق وسعادة جنّهما نفسه بترك الدخول فيه .

( ب ) والمحافظة على النفس فى القانون ينظمها قانون العقوبات وقانون تحقيق الجنايات — والمحافظة على العرض داخلة فى النفس — أما المحافظة على النفس فى الشريعة فبالقصاص والديات وسائر العقوبات الجنائية الداخلة فى قوله تعالى ( والجروح والقصاص ) وبالحدود الشرعية وتحريم الاتجار وإباحة أكل الميتة للمضطر — والمحافظة على العرض بعقوبة القذف الى غير ذلك — واختلاف نصوص العقوبات فى الشريعة والقانون يرجع الى اختلافهما فى طريقة المحافظة

عبر الله صيام  
متخصص فى الشريعة وحام شرعى



قَدْ جَاءَ كُذِّبَ اللَّهُ نُورُ وَكَانَ مُنِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \*

# بُحْرَانُ الْإِسْلَامِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

المستشار بحكمة الاستئناف سابقا  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

عبد المجيد بن عبد العزيز

مدير ادارة المجلة :

السيد محمد الحضر حنين من علماء الأزهر

رئيس التحرير :

مكتب المجلة بالأدارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمي رقم ١٩

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكونه باسم مدير المجلد

٤٠	داخل القطر المصري
٢٠	طلبة المعاهد والمدارس
٥٠	خارج القطر المصري

قيمة الاشتراك السنوي

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب .

وثن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الانحراف عن الدين

علله ، آثاره ، دواؤه

بين أيدينا حكم رائعات ، وعظات بالغات وتاريخ عظمائنا مملوء بالهمم الكبيرة ، والمساعي الخطيرة ، وقد أتى علينا مع هذا النور الساطع والتاريخ المجيد حين من الدهر ونحن عن طرق السعادة والمنعة غافلون ، وعن العمل للحياة الصالحة نائمون ، جهل بعد علم ، تقاطع بعد اتلاف ، بطالة بعد نشاط ، صغار بعد شمم ، خمول بعد نباهة شأن ، كذلك كنا حتى جاءنا من صروف الليالي ما نبهنا من سباتنا ، فنهضنا نبحت عن وسائل تقدمنا ، ونجاري الأمم العاملة والأمل يملاً ما بين جوانحنا ، نهضة مباركة ، ولكن نفوسا خالطها من الانحراف عن سبيل الرشد ما خالطها ، فأصبحنا في حاجة الى أن نشغل جانبنا من أوقاتنا في تقويمها .

حق علينا أن نبحت عن علل انحراف هذه النفوس حتى نعرف طريق علاجها ، فزيح أو نخفف مرضاً لو خلى سبيله لسرى الى نفوس كثيرة ، وعاقنا أن نسير الى السعادة كيف نشاء

### علل الانحراف

النواحي التي يأتي من قبلها هذا الانحراف كثيرة ، وجماعها الجهل والدعايات

الباطلة ، واليك البيان :

ينحرف الناشئ عن الدين متى شب على الجهل بحقائقه ، وفريق من ابنائنا غير قليل لا يتعرفون الاسلام من وجهه الصحيح ، وانما ينتزعون صورته من مظاهر يرون عليها طوائف من المسلمين ، ولم تكن هذه المظاهر من الاسلام في كثير

ولا قليل ، فليس بعيد أن يشهد الشاب شيئا من البدع المزرية كضرب الدفوف في المساجد أو تحت رايات يحملها أحداث باسم الدين لها ولعبا ، فيخالها من تعاليم الاسلام ، ويسوء اعتقاده في هدايته ، ونحن نعلم أن بعض البلاد الداخلة تحت سلطان غير اسلامي قد تقام فيه حفلات مشهودة يكلف فيها بعض الجبهة من المنتمين الى طرق المتصوفة ان يحضروها بأزيائهم الخاصة ، وقوم كل طائفة باعمال يتنازون بها عن سواهم ، وقد يكون في هذه الازياء والاعمال مالا صلة له به بالدين ولا بما ترضى عنه العقول السليمة ، فتتناولهم من أجل هذه المظاهر الألسن بالازدراء ، ولا شك أن شبانا كبعض المخالفين الذين يشهدون هذه الحفلات ، قد يسبق الى أذهانهم أن نسبة ما يعمل باسم الدين الى الدين صحيحة ، فيتجافون عنه وهو منه براء ، فمظاهر البدع والمحدثات من وسائل اضعاف العقيدة في نفوس أبنائنا ، ومن أصعب العقبات التي تحول بين المخالفين وبين قبولهم للدين الحق بسهولة

واذا كان في المتجافين عن الدين من قرأوا جانبا من الكتب المعزوة اليه فعلة انحرافهم فيما يظهر انهم لم يدرسوا تعاليمه خالصة مما أضيف اليها من مزاعم وآراء ، ولم يبلغوا من قوة العلم أن يفرقوا بين الشرع الخالص وما يوضع بجانبه من أشياء لا تدخل في الصميم ، ونحن نعلم أن في كثير من المؤلفات احاديث موضوعة وقصصا مزعومة وآراء لا تستند الى أصول معقولة ، ومن الذي ينكر أن في بعض الكتب احاديث مصنوعة وقصصا مختلفة ، وان في مؤلفات بعض أصحاب الاهواء والمستضعفين في العلم آراء سقيمة وأقيسة عقيمة

كان لهذه الكتب أثر سيئ في نفوس بعض نشئنا ، وقد اتخذ بعض من خف في العلم وزنهم من هذه الكتب وسيلة الى الطعن في علماء الاسلام فذهبوا يلتقطون هذه الآراء السخيفة ولا يتقون الله في نسبتها الى علماء الشريعة ليضعوا من شأنهم ، مع أن أهل العلم من قبلهم ، قد نقدوها بانظار راجحة وطرحوها من حساب الشريعة بالحجة الساطعة ، وجعلوا تبعثها على أصحابها وحدهم ، وأى طائفة من

طوائف أهل العلم لا يوجد بينهم ذو رأى ضعيف أو ذوق عليل بل العالم الراسخ قد تصدر عنه آراء تدفعها أصول العلم الذى رسخت فيه قدمه ، ويردها عليه من هو أقل منه نباهة وأدنى في العلم منزلة

أما الفريق الذين ينكرون أشياء من صميم الدين ، فلم يجتهدوا الجحود من ناحية البحث الدقيق والنظر القائم على قوانين المنطق الصحيح ، وإنما سبقت اليهم في التعليم أو في الجلوس ببعض النوادي آراء فتقبلوها ، وتراءت لهم شبه فاعتنقوها ، والآراء الفاسدة والشبه المغوية تربي في النفوس الضعيفة أذواقا سقيمة ويكون لهذه الأذواق الحكم العاجل ، حتى اذا انكرت حقا خيل الى اصحابها أن انكارهم صادف محزا وظلوا في جهالتهم يتخبطون ، فقطع يد السارق أو السارقة مثلا - قد تنازع في حكمته بعض الأذواق الخاصة ، ولكن الأحكام انما يراعى فيها المصالح العامة ، وفي قطع يد هذا الصنف من المجرمين مصلحة سنأتى على بيانها في مقام غير هذا .

ولا ننسى بعد هذا أن ما بلغه الغربيون من التقدم في العلوم والفنون قد جعل لهم في القلوب اكبارا وبلغ هذا الاكبار في بعض النفوس الصغيرة أن يفوه أحد الغربيين بكلمة يطعن بها في حقيقة من حقائق الاسلام فيتلقوها منه بمتابعة ، ويحسبونها طعنا صائبا ، ولا سيما الكلمات التى تصدر من طائفة يخرجون في زى الكتاب أو الفلاسفة، اذ يقع في أوهام الغافلين انه نتيجة نظر لا يعرف غير البحث والدليل ، ويفوتهم أن في هؤلاء الكتاب من لا يزال في أسر تقاليده وعواطفه ، وفيهم من يكون بارعا في ناحية من العلم قاصر النظر في ناحية أخرى ، وها نحن أولاء نقرأ نتائج أبحاثهم في موضوعات الالهية أو تاريخية أو اجتماعية أو لغوية ، فنرى فيهم من يتبع الظن الذى لا يغنى من الحق شيئا، وكان على نشئنا أن نعتبروا بالمناقشات التى تدور بين علمائهم انفسهم ، فانها شاهد صدق على أن من علمائهم أو فلاسفتهم من يعتمد الرأى لمجرد الشبهة، ولا يبالي أن يسميه علما وهو لا يرتبط بعد بالحجة أو ما يشبه أن يكون حجة

ومن الطرق المضلة عن السبيل أن بعض الداعين الى غير الاسلام قد وجدوا من موسريهم خزائن مفتحة الابواب ، وأيديا تفيض عليهم الاموال بغير حساب ومن الميسور أن يتصل هؤلاء الدعاة ببعض البائسين من نشئنا الذين لم ينفذ الايمان الى سويداء قلوبهم ، فيشتروا ضمائرهم أو السنتهم بشيء من حطام هذه الحياة ، وربما أتوهم من ناحية الشهوات ففتحوا لهم أبوابها ، وجعلوا ثمن تمكينهم منها الانسلاخ عن الدين فلا يبالون أن ينسلخوا منه ، اذ لم يدخل بعد في قلوبهم حتى يكون أعز عليهم من كل ما تهوى أنفسهم .

ومن الذى لا يعلم أن معاهد تقام في أوطاننا باسم العلم أو العطف على الانسانية والغاية منها صدف النفوس عن صراط الله السوى ، دل على هذا كتب يدرسونها في هذه المعاهد وهى كما قرأنا نبذا منها محشوة بالطعن في الاسلام والخط من شأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وهذا القس زوير نفسه ينبهنا على أن المدارس التى يقوم بها جماعات التبشير انما تجعل وسيلة الى تحويل المسلمين عن دينهم القويم فقال في مقال تحت عنوان ( حركة التبشير في العالم الاسلامى <sup>(١)</sup> ) بعد أن ذكر ما يعترضهم من المصاعب في داخل أفريقيا « ومن المستطاع التغلب على هذه الصعوبة بالالتجاء الى الوسائل المعروفة كالتجارة مع الاهالى وفتح المدارس لابنائهم وما ماثل ذلك »

وقد رأينا لهذه المدارس التى تفتح في سورية ومصر وغيرها من البلاد آثارا محزنة .

فكم من فتى مسلم بُعث به اليها فتخرج منها وهو يحمل من التسكر لقومه وشريعتهم مثل ما يحمله خصومهم المحاربون .

ثم ان بعض الناشئين في مهد اسلامى قد أصيبوا بما يشوه فطرهم وأرادوا ألا يكون هذا التشويه مقصورا على أنفسهم فاجتهدوا في أن ينقلب الناس منقلبهم ويعملوا على شاكلتهم ، فكان لهم في الاستخفاف بالعقائد الصحيحة والشريعة



الحكيمة حركات طائشة ، ولولا هداية القرآن ووقوف فريق من أهل العلم في وجوههم لاستدرجوا خلقا كثيرا .

ونذكر بمتهى الأسف أن من هذا الصنف من يقضى نصيبا من حياته في الدفاع عن الاسلام حتى يتبوأ مقعد الدعاة المصلحين ، ثم لا يلبث أن يرى بضاعة الازدراء بالدين نافقة ، فيثور عليها مع الثائرين ، ويسرع الى لمز الرجال الذين رفعوا لواءه وقد كان يطنب في تمجيدهم ، وفي أمثال من يكون على هذا التعت خطر على النشء كبير اذ الثقة التي أحرزها من قبل قد تجعلهم يسيغون أقواله بما نحمل من أقذاء وسموم ، فيبلغ مأربه دون أن يفقد مكانته ، ثم ان انحرافه عن الدين بعد أن كان من انصاره قد يلقي في نفوس المستضعفين ان هذا الذى قضى زمنا في مظاهرة الدين لم يتجاف عنه الا بعد أن بصر بالحجة واستبان له أنه كان على غير هدى ، وصغار العقول لا يشعرون بان في الناس من يطوى في نفسه حاجة يستطيع أن يلبس لها ثوب الرياء أمدا غير قصير ، حتى اذا رأى قضاءها في ذم ما كان يحمد ومحاربة ما كان ينصر وجد في استعداده ما يساعده على أن يظهر في أى لباس شاء .

### آثار الانحراف

دلت المشاهدة على أن الناشئ الذى يصاب بمرض الريب أو الجحود لا يميكت أن ينحط في المآثم وينبذ الادب الرفيع والعمل الرشيد وراء ظهره ، واذا رأيناه يتجنب اثما فبالمقدار الذى يتقى به لومة لائم أو طائلة قانون ، واذا عمل حسنا فينال مدحا واطراء ، أو ليصل الى عاجل من المنافع المادية أكبر ، وان ناشئا يعتقد أنه متى استتر عن أعين الناس لم يبق له فيما يفعل من رقيب ولا يناله على ما يأتى من جزاء ، لا يتجامى في غالب أمره أن يعتدى على نفس أو عرض أو نسب أو مال الاعتداء الذى يشين وجه المدينة ويحدث في نظام الجماعة وهنا .

ودلت التجارب على أن زائف العقيدة متى ملك جأها أو سلطة قتن الأمة في دينها ، وانتهك حرمت شريعتها ، ولم يخلص النظر في اصلاح أمرها ، ولاقى منه

المؤمنون اضطهادا ، والجاحدون وأصحاب الأهواء مناصرة واقبالا ، فيكون داعيا عمليا الى الخروج على الدين فتموت الفضيلة والغيرة على الحقوق العامة ، ويتقطع جبل اتحاد الامة اربا .

### دواء الانحراف

حتم علينا أن نسعى الى أن يكون التعليم الديني شاملا ، فما من ناشئ الا يتلقى منه مقدارا يكفي لانارة عقله وطمأنينة نفسه ، ونقبل بعد هذا على كتب الدراسة فتتخير منها ما هو حسن الوضع ، نقي من كل ما ليس بشرع ، وبهذا نأمن من أن يكون في نشئنا من ينحرف عن الدين جهلا بحقائقه .

واذا نحن سرنا في تقرير أصول الدين واحكامه على طريقة اقامة الحجة وبيان الحكمة خففنا شر الصنف الذي ينكر امورا من الدين بعله انها لاتوافق المعقول أولا نتحقق بها المصلحة

وانما يستعان على جعل التعليم عاما بعناية أولى الأمر ونصحهم في تدبير شئون الامة حيث يقررونه في سائر المدارس ويقومون عليه كما يقومون على سائر العلوم ومما يسر الامة أن ترى من ولاة أمورها العناية بتعليم الدين الذي هو ملاك سعادة أبنائها في الدنيا قبل الآخرة .

ومن واجب أهل العلم بعد هذا أن يرقبوا حركة التأثيرين على الدين ويكونوا على بصيرة مما يكتبونه في الصحف ، أو يحاضرون به في النوادي ، ليُقومُوا أوده وينبهوا على خطره ، حتى يستبين أمره ، وتنتضح أمام الناشئين طريقة قرع الشبهة بالحجة ، وصرع الباطل بقوة الحق وكذلك يفعل العلماء الراسخون ، والكتاب المخلصون

وحق على من يبغي السعادة لابنه أو لقريب وكل اليه أمره ألا يلقى به الا حيث يأمن على إيمانه وطهارته نفسه ، ولا يذهب به الطمع في متاع الدنيا الى الاستهانة بأمر العقيدة ، فانها الاساس الذي تقوم عليه الحياة الطيبة والشرف الأصيل

فاذا اشتدت عناية أولى الأمر بالتعليم الدينى في المدارس على اختلاف أقسامها وفنونها ، وأرھف أهل العلم أقلامهم في حماية الشريعة ممن يتساقطون على الطعن فيها أو المكر في تأويلها ، وأخذ الآباء بهدى الله فصانوا أبناءهم عن المدارس المنشأة للصد عن السبيل ، خسرت تجارة الرھط الذين يجهلون على الحق والفضيلة ، وتھيأت لنا أسباب نهضة علمية اجتماعية نجنى ثمرها لذيذا من نتائجها ، وتحمد الاجيال القابلة عاقبتها

محمد الخضر حسين

## الظرف والمُلح

ان لكل فضل زكاة . وان زكاة المال الصدقةُ على الفقير المحتاج . وان زكاة القوة المدافعةُ عن الضعيف المظلوم . وان زكاة البلاغة القيامُ بحجة من قد عجز عن حجته . وان زكاة الجاه أن يُعادَ به على من لا جاه له . وان زكاء العلم التعليمُ لمن قصر علمه .  
ان الفاسق اذا كان حَسَنَ الخُلُقِ . عاش مُحْلَقُهُ وخَفَّ على الناس وأحبُّوه — وان العابد اذا كان سيِّئ الخُلُقِ ثَقُلَ على الناس وملَّوه .  
قال شاعر حكيم

ما استقامت قناةُ رأييَ إلا — بعد أن عَوَّجَ المشيبُ قناتي

وقال الأشعث بن قيس يوما لقومه : انما أنا رجل منكم . ليس لى فضل عليكم . لكننى أبسطُ لكم وجهى . وأبذلُ لكم مالى . وأقضى حقوقكم . وأحُوِّطُ حريمكم . فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى . ومن زاد على فهو خير منى . ومن زدت عليه فانا خير منه — قيل له : يا أبا محمد . ما يدعوك الى هذا الكلام . قال حصَّهم على مكارم الأخلق .

# النفسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## قصة شبيب عليه السلام

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين

وإلى مَدِينَةٍ أَخَاهُمْ شَعِيبًا . قَالَ يَقُومُ اعْبُدُوا اللَّهَ . مَا لَكُمْ مِنْ آلِهِ غَيْرُهُ . وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ . إِنْ أَرَأَيْتُمْ بَخِيرٌ وَإِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ٨٤ وَيَقُومُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ . وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ٨٦ قَالُوا يُشْعِبُ أَصْلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ . أَنْتَ لَا أَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ٨٧ قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَنِينَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا . وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ . إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ . وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ . عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ . وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٨٨ وَيَقُومُ لَا يَجْرُ مِنْكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ . وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ٨٩ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ . إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ٩٠ قَالُوا يَا شَعِيبُ مَا نَقَّحَكَ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ . وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ . وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ٩١ قَالَ يَقُومُ أَرَهْطِي أَغْزُ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا . إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٩٢ وَيَقُومُ اْعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ . إِنِّي عَمِلْتُ . سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِمَّنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا . إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ٩٣ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنَّا .

وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جُثْمِينَ ٩٤ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا  
لِلَّذِينَ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ ٩٥

السورة ١١ — سورة هود عليه السلام .

## كلمة تسبق التفسير

هذه الآيات الكريمة من السورة الحادية عشرة . سورة هود عليه السلام . افتتح الله عز وجل . هذه السورة الكريمة . ببيان قدر ذلك الكتاب الذي جاء به رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فين أنَّهُ كتاب قد أُحكمت آياته وأُتقنت فصوله ، وأُبدعت جملته ، واختيرت كلماته ، وعلا أسلوبه ، واتفقت مبانيه ، واثلفت معانيه ، فلا ترى فيه عوجاً <sup>(١)</sup> ولا أمتاً <sup>(٢)</sup> ، و ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد )

ثم بين لنا منشأ ذلك الكمال الفائق ، ببيان المصدر الأعظم الذي أنزل الكتاب المبين ، وهو الله الحكيم الخبير ، ثم أردف ذلك ببعض ما تضمنه ذلك الكتاب وهو توحيد الله سبحانه وإرشاد الناس إلى عبادته وحده فان ذلك هو عماد دين الله تعالى على ألسنة رسله الكرام .

ثم تلا ذلك بيان المهمة التي لاجلها أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم وهي بشارة الموحدين الطائعين ونذارة المشركين العاصين .

كما بين لهم أنه سبحانه يقبل المستغفرين من ذنوبهم ويتوب على التائبين من أشراكهم وعصيانهم وأنه تعالى يكافيء المحسنين بأحسنهم والمسيئين بأسوأهم جزاءً وفقاً في يوم يرجعون فيه إليه وحده . ( يوم يقوم الناس لرب العالمين ) .

ثم أعلمهم بعد ذلك أنه سبحانه على كل شيء قدير لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فلا جرّم إذا أن يعيدهم إليه بالبعث ثم ينفذ فيهم قضاءه فضلاً وعدلاً ، ثواباً وعقاباً .

بعد ذلك قص علينا سبحانه سوء معاملتهم لرسوله الذي جاءهم بخيرى الدنيا والآخرة  
وازورارهم وأعراضهم واستخفاءهم منه . كأنهم يظنون أن ذلك يخفى على الله الذى لا  
يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

ثم بين لهم سبحانه بعد هذا أنه تأم العلم بما يعملون فى السر والعلائية ، محيط بكل  
شيء ، فانه جل وعلا رازق كل دابة ، عليم تمام العلم بمسئرتهم ومستودعها ، يمدّها  
برزقها اينما كانت ، وحيثما حلت فلا ريب إذا أنه يعلم ما تكسبه كل نفس من خير أو شر  
ثم انه جلت قدرته لفت العقول الى أن رجوع العباد اليه سبحانه بالبعث أمر مهين  
عليه تعالى فانه هو الذى خلق هذا العالم ، وأبدعه هذا الإبداع كما قال : ( وهو الذى يبدأ  
الخلق ثم يُعيدُه . وهو أهون عليه )

كذلك بين سبحانه الحكمة العالية التى لأجلها خلَقهم وهى معاملته لهم معاملة  
المتحَنِ المختبر . ليظهر لهم ولسائر العباد المحسن والمسيء ويتميز البر من الفاجر ويتبين  
التقى والأتقى والحسن والأحسن . كما قال تعالى فى آخر هذه السورة : ( ولو شاء ربك  
لجعل الناس أمة واحدة . ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك . ولذلك خلقهم )  
ولكن مع وضوح هذه الآيات التى نصّبها الله عز وجل فى الأنفس والآفاق  
اختلف الناس فيما جاءهم من الهدى عن ربهم فى ذلك الكتاب العزيز المحكم فمنهم من  
آمن وعمل صالحاً ومنهم من أبى واستكبر وجادل فى الله بغير علم واتخذ آيات الله ورسله  
هزواً

ألا إن الناس قد أساءوا كل الأساءة اذ قابلوا هذا الرسول الاكرم الناصح المخلص  
هذه المقابلة الشؤى ولقد جنوا على أنفسهم جناية لا يغفرها الا انتهاؤهم عن كفرهم  
واستهزائهم . ولا يحجوها الا ايمانهم وتعظيمهم لله تعالى ولسوله .

لا ريب أن هذه المعاملة الشؤى كانت تحزن الرسول صلى الله عليه وسلم وكان  
يضيق لها صدره الشريف ولكن الله اللطيف برسوله قد جرت سنته انه يثبت فؤاده

وَيُسْكِنُ مِنْ نَفْسِهِ وَيُطْمِئِنُّ مِنْ قَلْبِهِ بِمَا يُوحِيهِ إِلَيْهِ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ )

وقوله في آخر هذه السورة : ( وَكَلَّا تَقْصُصُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَنْبِئُكَ بِهِ فَوَادِّكَ ) وقوله : ( لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ . )

ان هذه الآيات الكريمة التي تلونها عليك قد فقهت أولى الأبواب ففقهوا حكمة الله الحكيم في ذكر قصص الأوائل في الكتاب المبين، كما فقهوا كذلك الحكمة في تكرير القصة الواحدة فيه

ولعلنا نخضع ( قصص القرآن الشريف ) بمقال فيما بعد بتوفيق الله تعالى .  
واجمال القول في ذلك أن الله تعالى قص على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أخبار المرسلين الأولين مع أمهم وذلك لحكم جليلة بالغة .

ففيها تخفيف الشدائد والمتاعب التي كان يلاقها الرسول وأصحابه في سبيل الدعوة إلى الدين وحمايته فإن من كان قبلهم من الرسل الكرام وأصحابهم قد لاقوا من أمهم مثل ما لاقوا

ومنها تثبيت أفئدتهم وتسكين قلوبهم وطمأننتها ، حتى لا يملكها عليهم فزع أو قلق أو ضجر

ومنها تحبيب الصبر على احتمال المكاره والكوارث اقتداءً بالأوائل من الرسل والمؤمنين وابتغاءً لاداء ما كلفوه من الدعوة إلى الله عز وجل

ومنها الاعتبار والاتعاظ بما جرى على الأمم الأولى الذين جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله فكانت عاقبة أمرهم خسرًا

ومنها عظم الوثوق بصدق وعد الله لهم بأنه سيخذل أعداءهم ويعاقبهم على عصيانهم وتكذيبهم وبأنه سينصرهم عليهم ويورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ويمكنهم دينهم

الذى ارتضى لهم كما قال : ( ثم نُجِّى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا نُجِّى المؤمنين )  
كان من جملة السور القرآنية التى جاء فيها قَصَصُ الأمم السالفة هذه السورة  
سورة هود عليه السلام

أنزل الله تعالى فيها سبع قصصٍ لسبعةٍ من رسله الكرام فكان منهم سيدنا شعيب  
خطيبُ الانبياء عليهم السلام

أرسله الى مدين كما قال سبحانه : ( والى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا ) الآيات المتقدمة

## التفسير

مدينُ : هو أحدُ أولادِ سيدنا ابراهيم عليه السلام ويُطَلَقُ تارةً على ذريته الذين  
منهم سيدنا شعيب عليه السلام وتارةً على الأرض التى استوطنها هو وذريته من بعده  
على بحر القلزم<sup>(١)</sup> والمراد بمدين فى الآية المعنى الثانى وهو ذريته

أهلُ مدين هم احدى الأمم القديمة فى الأيام الخالية كانوا فى عيشة راضية وحياة  
طيبة ولكنهم فَسَقُوا وعاشُوا فى الأرض فساداً فأرسل الله تعالى إليهم رسولا منهم تَصِلُهُ  
بهم صلةُ الأخوة النسبية وهو سيدنا شعيب عليه السلام ليبلغهم عنه دينه القويم حتى اذا  
ما آمنوا وأصلحوا متّعهم متاعاً حسناً الى أجل مسمى ثم ردهم اليه يوم القيامة موفياً لكل  
ذى حقٍّ حقّه

فانظر اذاً الى حكمة الله البالغة أن جعلَ رسولهم منهم لا من غيرهم  
ذلك لأنهم أعرفُ الناس به وأدراهم بأحواله وسيرته وأخلاقه وسائر شؤونهم وأفهمهم  
لكلامه وأسبقهم الى ادراك مقاصده وأغراضه وأولاهم باتباعه وأحقهم باقتفاء آثاره  
اضطلع سيدنا شعيب عليه السلام بالرسالة فصَدَعَ بأمر ربه . مُعْطِفاً لقلوبهم عليه  
مناديا لهم بما بينه وبينهم من صلة القومية والقرابة حتى لا يتهمونه بأنه يكذبُهم أو يريدُ



بهم شرًّا فطلب اليهم عدة أشياء ونصح لهم أن يتبعوها فإن في اتباعها صلاحهم وفلاحهم أمرهم عليه السلام بستة أشياء ونهاهم عن أربعة، أمرهم أولاً أن يعبدوا الله ويخصّوه بالعبادة وحده لا يشركون به شيئاً ولا يعملون معه لها آخر من انسان أو مَلَك أو كوكب أو شجر . أو تمثال من ذهب أو حجر .

ثم إن عبادة الله تعالى هي الخضوع الكامل لعظمته سبحانه وخشوع القلب خشوعاً تاماً لقدرته وهيبته مع ملاحظة النفس أن الله الذي تعبده قد أحاط علمه بما ظهر منها وما بطن، وإن قدرته نافذة فيها لا يُعجزها شيء في السموات ولا في الأرض ولا تقدر النفس أن تدرك حقيقة ذلك المعبود الأعظم ولن تستطيع إلى محاولة ذلك سبيلاً .

والعلامة التي تدل على أن النفس قد عبدت الله تعالى تلك العبادة هي الأعمال البدنية الظاهرة وهي أداء العابد حقوق الله تعالى وأداء حقوق العباد وأداء حقوق نفسه إلى نفسه . هذه هي العبادة التي أمر سيدنا شعيب عليه السلام قومه بها ثم بين لهم السبب الذي لأجله وجب عليهم أن يعبدوا الله وحده هذه العبادة وهو أنه ليس لهم إله غيره فهو وحده الهُهم الذي خالقهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً وهو دون سواه ربهم الذي يُربّي نفوسهم بالدين الحق والعلم الصحيح ويؤدّبهم بالعقوبات الدنيوية لينكفوا عن المعاصي ومخالفة الأوامر الإلهية كما أنه كذلك يربّي أبدانهم وينمّيها بما أخرج لهم من الطيبات من الرزق .

فلا ريب إذاً أن يكون الله عز وجل هو الهُهم الواحد لا ندَّ له ولا شريك . إن المتدبر في معنى العبادة الذي شرحناه يتبين له أنها جُماع كل خير وأنها الوسيلة العظمى التي تقرّب العابد إلى الله زلفى وأنها تتضمن جميع التكاليف الإلهية من مأمورات ومنهيات مما رتب الله الحكيم عليه صلاح أحوال البشر في الدنيا والآخرة .

فمن عبد الله تعالى هذه العبادة فإنه لا يفرط في أداء حق وجب عليه لله أو لعباده أو لنفسه كذلك لا يُقدم على ارتكاب منهيٍّ أيّا كان من اشراك أو تقصص مكيال أو ميزان أو غير ذلك .

ثم ان هذه العبادة التى أمر بها سيدنا شعيب عليه السلام قومه هى التى كلف الله تعالى سائر الرسل أن يبلغوها أممهم ومنهم سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فى مثل قوله سبحانه : ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم ) وقوله : ( فأبى فاعبدون ) وقوله : ( وأعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً ) .

ان الواجب على هذه الأمة المحمدية حينئذ أن تجتمع ما تفرق من أحوالها وشؤونها فى الأقطار الإسلامية سواء فى ذلك ما يتعلق بالحياة الدنيا أم بالحياة الآخرة . ثم تزن ذلك كله بهذا القسطاس المستقيم الذى وضعه الله تعالى وجعله معياراً صادقاً لصلاح أحوال العباد فى الحياتين . وذلك هو ميزان العبادة الألهية .

فمن ثقلت موازينه . وجب عليه المثابرة والمصابرة والاستزادة مما هو فيه من هذه العبادة الصحيحة وكان ممن يرجى له عند الله تعالى المغفرة وحسن المآب .  
ومن خفت موازينه وجب عليه أن يتحسر على ما فرط فى جنب الله وعلى ما أضاعه على نفسه من خير عاجل أو آجل . ولزمه أن يسارع الى اصلاح ما أفسده من أمور دينه ودينه . عسى الله أن يتوب عليه . ( إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ) .

من مضمون

وكيل دار العلوم سابقاً

يتبع

## الطرف والملح

أوصى رجل ابنه فقال له : يا بني . اذا كنت فى قوم . فدار بينهم تديرو . فلا تعجل بالجواب قبل أن تعرف ما عندهم . ولا تتكبر عن متابعتهم اذا ظهر لك الحق . فان المتابعة على الصواب . أحسن من الابتداء بالخطأ — واعلم يا بني أن اصابتك الرأى بعد خطأ القوم . أحمد لك من اصابتك قبل كلامهم . فانه لا يعرف فضل رأيك على غيره . إلا بعد المعرفة بما عندهم . فعند ذلك يستبين القول السديد من السفه . والرأى الرشيد من الكريه — ومن استقبل وجوه الآراء . علم مواضع الخطأ .

# أصول الدين

## الإيمان بالله . ومناقشة الطبعيين

عجبا للطبعيين يبحثون لكل شيء يحدث في الوجود عن سبب ولو كان صغيرا وحقيقا فاذا وصلوا الى سبب الاسباب وما لا يعقل شيء الا به انكروه وقد قال بعض الفلاسفة « ان انكار السبب الأول للأشياء بمنزلة عدم الأسباب بالكلية فليس بمعقول أن الحلقة من السلسلة تحتاج الى ما يمسكها من الحلقات الاخرى والسلسلة كلها لا تحتاج الى ممسك » وقال آخر : لا يمكننا أن نعقل شيئا ولا أن نعرف سرا في هذا الوجود ما لم نعرف بوجود الخالق والا تعذر علينا تعليل الاشياء تعليلا مفهوما . ثم نقول : من تأمل في الحكم المودعة في تركيب المركبات خصوصا الحيوان والانسان وما نيظ بكل جزء من اجزائها وكيف تعاونت الاجزاء كلها على مقصود واحد ثم نظر بعد ذلك في ارتباط مجموع العالم ببعضه ببعض وما أودع فيه من غريب الصنع ودقيق الحكمة حتى انك لا تجد ذرة في جسم الانسان أو في جسم العالم كله الا لحكمة سامية . عرفها من عرفها وجهلها من جهلها

من تأمل هذا كله بهرته ذلك العلم الذي وسع كل شيء واتقن كل شيء ودبر كل شيء وحفظ كل شيء وقام على كل شيء وما تسابق العلماء في ميدان البحث ولا تبريزهم في مجال العلم الا لاستطلاع هذه الحكم ، واستكشاف تلك الاسرار التي ابان علم التشريح منها شيئا كثيرا أو قليلا . وكذلك علم الفلك وكل العلوم التي تدور حول ذلك المحور ، وتشيد صرح عظمة الله تعالى كما قال بعض الفلاسفة وستسمع ما قال .

وما هذه الكتب المتراكمة في علم النبات والحيوان والانسان والمعادن والارض

والسما والنجوم والافلاك وكل ما كتب فيه العالم من أوله الى آخره الا نقطة صغيرة من علم الله تعالى الذى دبر هذا العالم لانها تفصيل لبعض ما اودعه من الاسرار في ارضه وسماؤه ولسنا في الوجود الا شيئا ضئيلا . ولعل ما عند غيرنا من العوالم يفوق ما عندنا أضعافا مضاعفة . فليست أرضنا هذه الا كحبة رمل صغيرة في جانب غيرها من العوالم

وقال العلامة الشهير ( هرشل ) « كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزل لا حد لقدرته ولا نهاية ، فعلماء طبقات الارض والرياضيون والطبيعون قد تعاونوا وتضافروا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده ،

ثم لو فرضنا أنهم عرفوا نواميس هذه الارض كلها مع أن ذلك محال لما كان ينبغي لهم أن يتبجحوا بهذا التبجح فان الارض بجانب غيرها من العوالم ليست الا شيئا ضئيلا جدا كما قلنا .

ولعل فيها ما لم يصلوا الى معرفته ولم يحلموا بشيء من نواميسه هذا ولنقل لهم بعد ذلك: هل حافظتم على مبدئكم ومقتضى مذهبكم فلم تقولوا الا بالمحسوس عند ما قلتم ببقاء القوة والمادة وانها لا تزيد ولا تنقص ولا تنفى ؟ فهل سبرتم العالم كله ووزنتم ما فيه من مادة وقوة فعرفتكم مقدارها حتى قلتم بذلك ؟ لا يستطيع أحد منكم أن يدعى هذا ، وهل وصلتكم من الوسائل والآلات الى حد لا يمكن الزيادة عليه حتى قلتم بعدم فناء المادة

الم يبلغكم ما قرره ( جوستافلوبون ) وغيره . : ( ان المادة تنفى وسواء أصبح هذا رأى أم لم يصح فقد قلتم بغير المحسوس وعارضه هذا العلامة بالمحسوس الذى قام عليه البرهان الحسى عنده . فقد رجعتكم من العيان الى البرهان وكل نظرية لا يشهد لها العيان بوقوعها تحت الحس وامتحانها بالتجربة فليست عندكم من العلم في شيء

وهذا ما يتبجحون به ولكنهم يضطرون الى نقضه في مسائل كثيرة كما سمعت

وكما تسمع . فان قولهم : ان دقائق المادة تتجاذب وتتدافع لا يمكنهم أن يثبتوه ثبوتا علميا ، بل يكاد يعجز العقل عن ادراكه والتسليم به . فاننا لانعقل كيف أن دقيقة من دقائق المادة تجذب أخرى في حين انها تدفعها ومع ذلك هم قائلون به من غير أن يعلموه أو يفهموه . فأين أساسهم الذى أسسوه .

وما اعتراضهم بعد ذلك على أصحاب الايمان وارباب البرهان . وما قيمة قولهم اننا لانؤمن الا بما رأينا ولا نرضى لانفسنا أن نقول بالخرافات أو الخيالات . لا يحضرات الفلاسفة « اننا ندعوكم أن تقولوا بما توجهه العقول ويقوم عليه البرهان كما هو شأن أنواع الانسان . ولذلك نراكم تلجئون الى النظر والاستدلال في كثير من المسائل لانكم من نوع الانسان الذى فطر على ذلك على كل حال . ثم نقول لكم بعد ذلك ماذا استكشفتم من النواميس حتى تحكموا على السماء والارض وعلى المنظور وغير المنظور . لم تكشفوا الا بضعة نواميس قليلة لاتسمن ولا تغنى من جوع . فليست هذه الارض في جانب العوالم الا كحجرة صغيرة للحيوانات الدنيا في جانب قصر كبير . وقد حيركم ما اودع فيها من الاسرار والحواس . وما جهلتموه منها اكثر مما علمتموه باعتراف المنصفين منكم ، ثم نقول انكم ما أخذتم علمكم الا عن الحواس وهى في خداجها وخداعها على ما بينه العلماء فما هذا التبجح الذى لا اساس له ياخواننا في الانسانية .

ولست ادرى كيف ينكرون ما وراء الحس ويتبجحون بانهم لا يقولون الا بالمحسوس . وقد تركوا لغيرهم الخرافات والالوهام . ساخرين منهم هازئين بهم مع اننا نراهم اثبتوا الأثير وبنوا عليه كثيرا من قواعدهم . ولم يروه ولا احسوا به . فان قالوا : أثبتناه بالادلة الكثيرة فقد نقضوا أصلهم ورجعوا الى الاستدلال وادى فرق اذا بينهم وبين من يستدل على الله بآثاره وباهر انواره وعلى الروح بظواهرها التى يستحيل لدى العقل الصحيح أن تكون أثرا لذبذبات المادة أو اشعاعا لفسفور المخ الى آخر ما يتخللون . وهل هذا الا عدول عن المعقول المقبول الى التخيلات الفارغة والتعليقات السقيمة فضلا عن كونهم هدموا بذلك ما اصلوه

من القول بالمحسوس ومجافاة غير المحسوس على أنه يمكننا أن نطعن على الحس أكثر مما طعنوا على العقل فنقول .

ان ادراك هذا العالم المحسوس الخارج عنا انما هو بوساطة الحس فلو فقدنا البصر لم يكن للمبصرات وجود عندنا ولو فقدنا السمع لم يكن للمسموعات وجود كذلك الى آخره . فالذى يصلنا بالعالم الخارجى انما هو حواسنا فهل الحس مأمون ( اللهم لا ) وقد بينوا ذلك في كتب الفلسفة القديمة وذكروا أن هناك فرقة لاتقول بشهادة الحس الذى يغلط كثيرا فاننا نرى حبة العنب مثلا في الماء كبيرة ونرى ما في النهر يجرى اذا كنا في البحر وها هو ذا كو كبننا الارضى يسير بنا اسرع من كل سريع عندنا ولا نحس به وتوهمه ثابتا ساكنا

فما الذى يؤمننا أن نكون مخطئين فيما نحس به وها هى ذى الالوان تستند الى ذبذبات معينة في الأثير حتى تتصل بابصارنا ويتغير الحكم لدينا بقلة عدد الذبذبات وكثرتها ، وكذلك الاصوات في سمعنا على ماقرروه فكيف نحكم على الاشياء بانها في الواقع على ما هى عليه عندنا والحواس على ما سمعت على اننا لو تنزلنا وقبلنا احكام الحواس على علاتها وكثرة ما يكون فيها من الخطأ فما الذى يؤمننا بعد ذلك أن تكون هناك أشياء لاتدرك الا بحالة أخرى لم تخلق فينا وقد اثبت بعضهم للنحل حاسة ليست في الانسان وكذلك لغير النحل كالحمام والكلاب ، وقد ذكروا أن القطاط ترى في الظلام الى آخره ، وعلى كل حال فالابصار لا يكون الا على حد محدود من الذبذبات في الأثير ولا يمكن فيما دون ذلك . وكذلك السمع ومما لاشك فيه أن الحيوانات مختلفة في ذلك اختلافا كثيرا فإى ثقة بالحس حتى تربوا عليه ذلك كله ؟

افلا يجوز أن تكون الاشياء في الواقع على غير ما ادر كناه بحسنا . اللهم ان ذلك جائز وواقع . فيجب اذا أن يكون التمويل على العقل لاعلى الحس والثقة بالبرهان لا بالعيان وان رأيتم أن ذلك افراط (فليس دواء الافراط الا الافراط) والعقل أولى أن يكون ذا السلطان ومرجع الانسان ويعجنى قول العلامة (كروزيار)

في هذا المقام اذا كنت لا اقول الا بالمحسوس فكيف يمكنني أن أعرف أن صديق  
الذى يماشيني يحوز شيئاً أدعوه العقل . انى لا يستطيع أن أراه أو أحس به أو  
اتناوله بتجربة اتخذ مجهر الطبيب أو مشرط الجراح أو مجهزات الكيماوى اداة لها  
فلو كان معتقدى في عقل صاحبي يعود الى مقدار ما يستطيع أن أعرف منه علميا  
( أى بالحس ) لم استطع أن أعتقد بوجوده مطلقا مع أن مفخرة العلم الحاضر  
ادعاؤه بأن كل مستنتاجاته من المستطاع أن توضع تحت حكم الحواس فاذا وجود  
العقل في صاحبي كوجود ( واجب الوجود ) كلاهما اعتقاد الزامى لانستطيع أن  
نعرفه من طريق الحس وفي الوقت نفسه نحن ملزمون بالاعتقاد به ثم قال كيف  
ندرك أن العقل متفوق على المادة وان العواطف العقلية أذكى طبيعة من العواطف  
الحسية كيف ندرك أن الشجاعة وكرامة الاخلاق وتضحية النفس أسمى طبيعة  
من حب الملاذ والخشونة واشرف من الحسيات بضروبها ان خلايا المخ هى التى  
تنشئ من نشاطها وحركتها تلك الانفعالات . ولكن نعرف من جهة أخرى وبقدر  
ما يسمح لنا به العلم الطبعى أن هذه الخلايا متشابهة في المرتبة والقدر فكيف وقع  
الفرق في المرتبة بين الانفعالات المتشاكلة ولولا هذا الاعتقاد لاصبحت العلوم  
والمجادلات الأدبية برمتها سخرية وتضليلا ، وهناك تعطل المصالح العظمى في حياة  
الانسان ويبطل التفريق بين درجات الفضيلة والرذيلة والمسدح والذم والشرف  
والاسفاف وتصبح هذه الاشياء غير واقعية ولا حقيقية وهو ما ينافي العقل ويصادم  
البديهة . انتهى كلام هذا المفكر الكبير، ثم نقول لهم بعد ذلك هل يعقل انكم تطلبون  
لكل شئ سببا ثم لاتطلبون للكون كله سببا؟ ثم نكرر ماقلناه ببسط وتوسع . هل يعقل  
أن كل حلقة من حلقات العالم تحتاج الى حلقة تسكها أو تنشأ عنها أو تعتمد عليها  
أو قل ما شئت ولا تحتاج السلسلة كلها الى ممسك يمسكها ومبدأ تعتمد عليه .  
وهل اذا وجدنا مدفعا كبيرا ذا صنع دقيق ولمقذوفاته الأثر الكبير . وقد عرفنا  
سر صنعه وترتيب أجزائه واتصال حلقاته الى أن يترتب عليه أثره في الوجود .

فهل يغنيننا ذلك عن الفاعل الذى صنعه . والعقل الذى دبره والارادة التى ارادته؟ اللهم ان الامر جلى واضح حتى على مقتضى قوانينهم التى تطلب لكل شىء سببا وتبحث لكل معلول عن علة . ولا أدرى كيف يبحثون فى الاشياء الجزئية عن عللها ثم لا يبحثون للمجموع عن علته ؛ ثم نقول من وجه آخر . اذا عرفت أطوار البذر ودرجات نموه حتى يثمر فهل يعد ذلك معرفة للبذرة نفسها ولما أودع فيها من السر الذى أوجب هذا النمو وذلك الاثمار . على أن معرفتهم للاشياء التى يدعونها ليست ناشئة الا عن رؤيتهم تواليها وحدوث بعضها عقب بعض فما الذى ادراهم أن الحلقة السابقة هى الفاعلة فى الحلقة اللاحقة بل ما الذى أدراهم انها سبب حقيقى فى حدوث ما بعدها وهم لم يشاهدوا الا وجود هذا عقب ذاك لا غير . وهل هذا يفيد السببية الحقيقية أو يقتضى الفاعلية المؤثرة أم ذلك ظن وتخمين لاشهود عيان كما يزعمون وقد ينطقون بالصواب فى بعض الاحيان من حيث يشعرون او لا يشعرون فيقولون سنة الكون فاذن الاسباب هى السنن والسببية هى العادة الجارية بحدوث هذا عقب ذاك أما التأثير أو الفاعلية أو السببية الحقيقية فامر وراء ذلك . فان القوانين التى تضعها والخطط التى ترسمها والاعمال التى ترتبها على نظام خاص لا تدل على تأثير بعضها فى بعض ولا ايجاد بعضها لبعض وانما هى قوانين اقتضتها ارادة المقتن . وانظمة استدعتها حكمة المنظم فهذا هو كل ما تعطينا المشاهدة التى ظلموها فنسبوا اليها ما هى بريئة منه ، على اننا نستطيع أن نقول انهم لم يعرفوا حقيقة شىء على الاطلاق وانما هى ظواهر يعرفونها عند ظهورها أما مهابا الاشياء فلم يصلوا اليها ولم يعثروا عليها . أما كلمة قوة ومادة التى يعتبرونها من الاوليات الضرورية وانها كذلك من حيث ظاهراتها المحسوسة فلا تؤدى الى العقل كما قال بعض المحققين الامعاني خفية غامضة مجملة لاتفيد شيئا من معرفة الماهية والحقيقة . ويكفى أن ما يذكرونه فى أمثال ذلك لا يخرج عن كونه جنسا عاليا أو عرضا عاما وقد ذكر المنطقيون أن التعريف بالجنس لايفيد وان التعريف بالخاصة رسم ناقص والرسم لايبين الكنه ولا يشرح الحقيقة . وكذلك الحياة والادراك والتذكر والتخيل



لا يمكنهم أن يعللوه تعليلا ماديا فضلا عن أن يعرفوا الحقيقة والماهية . ومن أظهر الأشياء أن المادة التي حللوها كل التحليل وقلبوها على كل وجه وفعلوا بها الافاعيل ( أو فعلت بهم الافاعيل ) لم يعرفوا حقيقتها حتى الآن فبعد أن قالوا : انها جواهر فردية واستمروا على ذلك قرونا كثيرة رجعوا فاثبتوا مذهب الاكثر ذرات وما فيه من تخمين أو يقين . واثبتوا ذلك الدوران السريع الذي يوجب دوران الدماغ في تلك المنظومات التي تشبه المنظومات الشمسية على ما يقولون ولا داعى للتوسع ولعلك رأيته وقرأته . ومن أغرب ما قالوه فيها وهو من أحدث الآراء انها الحركة وليت شعري هل الحركة تقوم بغير متحرك وهل العرض يقوم بنفسه ولكن مالنا ولهذا وانما نريد أن نقول : انهم عجزوا عن ادراك حقائق الأشياء حتى المادة التي عبدوها ولم يعرفوا شيئا سواها وهكذا شأنهم في كل أدوارهم يتبجحون من غير علم ويحسبون انهم على شيء وما هم على شيء . فقد قالوا انتصرت المادة وارتفع لواؤها عند ما استكشف ( غليليو ) دوران الارض وقالوا مثل ذلك عند ما كشف ( نيوتن ) الجاذبية وقالوا مثل ذلك عند ما قال ( درون ) بالنشوء والارتقاء . وقالوا ذلك عند ما وضع ( لابلاس ) قاعدة نظام العالم على ما يزعم وقد جاءهم ( اينشتين ) أخيرا فهدم لهم نظرياتهم الاولى واتاهم بشيء جديد ؟ أن ثم هدم كل قواعدهم ومقرراتهم وهكذا لا يزالون يتبجحون تبجح الاطفال عند ما يظفرون بشيء ضئيل ويصفقون تصفيق الجهال للشيء العليل والنزر القليل وقد كانوا يظنون في كل دور من تلك الادوار انهم اكملوا ما لديهم من نقص وسددوا ما في مذاهبهم من فراغ ثم تبين لهم أن النقص لازم لهم والاستدراك قضاء عليهم ولا يزالون كذلك حتى يرث الله الارض ومن عليها . ولا يفوتنا أن ننصح لهم أن الوقوف مع الحس هو شأن الحيوان لا الانسان والنظر الى الاسباب الاخيرة دون المسبب الاول يشبه ما يقع من الحيوانات التي تعرف سائسها الذي يقدم اليها ماتأكله دون ربها أو الحيوانات التي اذا ضربت بالحجر عضته لاعتقادها انه هو الذي ضربها أو الحيوانات الدنيا التي ترى المداد يسود القرطاس . فتعتقد انه من القلم لكونها لا ترى الكاتب

ومع هذا فربما كان الماديون معذورين بقصرهم انفسهم على دراسة المادة التي وجدوا الباري قد وضع فيها من الاسرار ما يدهش العقول ويحير الافكار . وجعل لها نواميس ثابتة . فلم تقو ابصارهم على استطلاع شمس الالوهية من وراء تلك الحجب فقالوا ما قالوا ، ولو نزلوا من عروش كبريائهم الى الانصاف وحسن التفاهم لعلموا أن ما درسوه لا يخرج عن كونه سننا وقوانين وضعها الخالق في خليقته وانظمة أبدعها الحكيم بحكمته وليس لذلك كله شيء من الفاعلية . بل هو أدل على القابلية من الفاعلية وكان يجب أن يكونوا اكثر الناس ايمانا لأن من عرف سر الصنعة كان أعلم بالصانع فكان يلزم من علمهم بذلك النظام العجيب أن تكون معرفتهم بالحكيم الذي أتقنه بحكمته التي تدهش الالباب وقدرته التي لاحد لها أعظم من معرفة غيرهم وإيمانهم أشد وأثبت ولكن الانسان هو الانسان ، كلمة انصاف عن الدينين والطبعين ،

رأينا أن نختم مقالنا هذا بكلمة انصاف تقرب بين الفريقين وتشرح وجهة النظرين . ولعلها تزيل ما بينهما من خلاف أو تقلل ما مرنوا عليه من اعتساف فنقول يظهر أن المتدينين انكروا الاسباب الظاهرية التي تستند اليها مسيئاتها دفاعا عما يعتقدون من التوحيد فيما يظنون فصادموا المحسوس وجنوا بذلك جناية كبرى على الدين ولكن تطرف الطبيعيون أيضا عند ما كشفوا الاسباب الموجبة للمسيئات على مقتضى السنن التي وضعها الله في العالم . فقالوا : ليس هناك تدخل لغير هذه الاسباب في ايجاد شيء من الاشياء ولا ايجاد انفسها . ولكن لو عرف الطبيعيون أن هذا قانون وضعه الله في العالم لانه حكيم فتأبى حكمته أن يكون العالم فوضى بلا قانون ولا نظام . واعترف لهم أهل الدين بذلك كما يفعل مفكروهم وفلاسفتهم وعرف الطبيعيون أن هذه النواميس ليست مؤثرة ولا فاعلة وعلمهم نفسه لا يثبت التأثير ولا يدل على الفاعلية وانما وظيفة العلم الطبيعي أن يبين العلاقات والترتب والنظام والارتباط بين الاشياء . وليس عندهم ما يدل على السببية الحقيقية كما قلنا ولذلك يعبر كثير منهم بالسنن وهي كلمة لاتفيد غير القانون والنظام بل هم

معترفون انها ليست سببية حقيقية . ومصرحون بان العلم الطبيعى لايدل على ذلك لو عرفوا ذلك كله وعرفوا بعد هذا أن مااستكشفوه ليس الا نزرا يسيرا لايقام له وزن بجانب هذا الكون العظيم ثم ضموا الى ذلك تلك الحقيقة الناصعة التى لامراء فيها وهى أن الكون بعد كل تنزل محتاج في مجموعه ووحدته نظامه وأصل وجوده الى علة ولا يمكن أن يكون كل جزء فيه محتاجا الى علة ومجموعه غير محتاج اليها وليس في قدرة العالم الطبيعى الذى يبحث عن علل الجزئيات المعينة والحلقات المتوالية أن يستكشف علة المجموع في أصل وجوده ولا أن يعرف كيف تمت له هذه الوحدة ولا ماهو الاصل الذى أعطاه ذلك النظام بوساطة علمه الطبيعى بل نقول لايمكنه أن يعرف كيف اختص كل جزء فيه بمخاصته المعينة . ولا لماذا وقفت العناصر الاصلية عند ذلك الحد الذى وصلت اليه من نحو ثمانين عنصرا على ما يقولون ولا لماذا كان بعضها في هذا الوجود اكثر من بعض ( كالاكسوجين ) مثلا مع ( الراديوم ) أو غيره من العناصر العزيزة الوجود لو عرف الطبيعىون ذلك وعرف الدينيون أن الاعتراف بالاسباب والمسببات والقوانين والانظمة لاتمس الالهية بشئ بل على العكس من ذلك تثبت حكمة الله وعلمه الذى لايتناهى . لو تم ذلك لما كان هناك نزاع بين الفريقين ولتم الصلح بينهما ولست أظن أن هناك نزاعا بين المحققين من الدينين والراسخين من الطبيعيين .

ولكن ماذا نصنع وقد جمد كل فريق على ما اداه اليه علمه الناقص ونظره القاصر . فكان شرا مستطيرا على نفسه وعلى الناس .

وقد علمنا الله تعالى أن هناك قوما من أرباب الجهل المركب ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

وقد قال ( كل حزب بما لديهم فرحون ) وقال ( ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ) وبعد ( من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل

فلن تجد له وليا مرشدا ،

يوسف الدمردري

من هيئة كبار العلماء بالأزهر

ورئيس جمعية النهضة الدينية الاسلامية

# اصول الدين

البعث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نكتب اليوم في البعث وهو من أصعب ما جاءت به الشرائع السماوية حتى أن كثيرا من الناس ليعده من الحرافات أو المحال ولنقدم قبل ذلك كلمة وجيزة عن الانسان فنقول

## مقدمه

الانسان من أعجب الكائنات وأغرب المخلوقات جمع بين المتضادات واستعد لأكبر السعادات وأعظم الشقاوات لأن فيه قابلية لاتحد وجهات ضعف وقوة لاتعد أما قوته فأنت غنى عنها وممتلىء منها . وأما ضعفه فمن وجوه كثيرة فمنها انه متى ألف شيئا ألفا تاما واعتاده اعتيادا متكررا لم يكديقبل غيره . أو يصدق بشيء سواه ولو كان من أوضح الواضحات أو أول المبرهنات فإنه لا يستمد الا من مألوفه ولا يرجع الا الى معروفه وما عدا ذلك فهو عنده خيال أو محال ، ثم يأخذ وهمه في الاستدلال عليه ولكل قوم أدلة يقتنعون بها ويعتمدون عليها لأنها تناسب حالهم وتروق خيالهم وان كانت من عمل الشيطان وعلى نقيض البرهان . ومن ذلك ما قاله المشركون في رد التوحيد

«أجعل الآلهة الها واحدا أن هذا لشيء عجاب» وفي رد النبوة «أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعراء لقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر ، ومن ضعف الانسان أنه اذا نظر في موضوع فقلما ينظر فيه الا من بعض نواحيه ثم يكون الباقي عنده في عالم المجهول أو غير المعقول لأن البصيرة كالبحر متى اشتغل

برؤية شئ حجب عن غيره وان كان أقرب الاشياء اليه وأدناها منه . وكيف تنظره البصيرة وهى لم تتوجه اليه ولم تلتفت له . ومادامت تجهله فهى تنكره ولا تكاد تتصوره . ومن جهل شيئا عاداه وقد قال الله تعالى في مثل هؤلاء ( بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ) وهو بعد ذلك مستعد للتقليد في أى شئ من الأشياء ولو كان من أجهل وأبطل الباطل بمقتضى تلك القابلية التى لاحد لها فانه يتأثر بكل شئ يراه أو يحس به أو يلقاه من أبيه أو استاذة أو رجل كبير في نفسه خصوصا ما مرن عليه بين بيئة مردت على الجهل والتقليد . أو يقرأ في كتاب من الكتب أو جريدة من الجرائد أو مجلة من المجلات مادام لا يقرأ ما يعارضه . وقد قالو قديما ( من يسمع يخل ) والنفس الانسانية مستعدة لكل ما ينتش فيها خيرا كان أو شرا والغذاء المعنوى بمنزلة الغذاء الحسى لا بد أن يؤثر أثره في صاحبه ضارا كان أو نافعا حتى اذا تمكنت تلك النقوش من النفس ، واصبحت راسخة فيها تعسر زوالها وربما تعذر وكأنها صارت جزءا من تكوينها وعنصرا من عناصرها . ومعروف أن الشئ اذا صبغ بأى صبغ وتمكن منه ذلك لم يقبل صبغا آخر الا بتحليل كبير وعناء كثير . فمثل هذا الرجل لا يتغى غير ماعنده بديلا ولا يجد الى ذوق الحقائق سيلا لأنه لا يرى له أثرا في وجدانه ولا يقع له على ظل في زوايا قلبه . والانسان ليس الا قلبه . والقلب ليس الا تلك المعلومات التى غذيت بها . ولا النفس الا تلك النقوش التى نقشتها فيها وصبغتها بها . ولذلك يقول الله في حق هذا الفريق ( أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ) وهؤلاء يرون تقليد الآباء من أول الواجبات وقولهم من أكبر الأدلة وقد قلنا ان لكل قوم أدلة تناسب طفولتهم وتوافق جهالتهم وهؤلاء هم الذين يقولون

( انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ) وعزيز على أن أقول ان آباء اكثر الناس الآن هم الأوربيون وأساتذتهم هم الماديون والمحدون وذلك

بفضل التعليم المدني وجهلنا بكل شيء عندنا حتى أوليات ديننا وتاريخ اسلافنا، ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول

ومن أكبر الضعف أنه يظن الشبهة الباطلة دليلا ساطعا والحجة الداحضة برهانا نيرا والآنسان مستعد أن يتسفل الى أسفل الدرجات أو يترقى الى أعلى الدرجات ولقد وصل من الجهل الى حد أنه كان يعمل الصنم بيده ثم يعبد به بل الى حد أنه كان يعمل من عجوة ثم يأكله، ومن أظهر وجوه ضعفه وأعمقها في نوعه تأثير الشهوات التي تختلف ضروبها وتتنوع مراميها حتى تقتل عقله وتميت احساسه أو تفسد انسانيته فتجعله غير انسان ومن أظهر وجوه الضعف فيه أننا نرى بعض أفراد من أقوى الاقوياء ثم نراه من أضعف الضعفاء وقد يكون فيلسوفا سارت الركبان بمحدث نظرياته ثم لا يلبث أن يتهوس في بعض البدهيات ويتخبط في أوائل الضروريات . وعندى أن من أكبر ضعفه جهله بضعفه ولو عرف ضعفه ولم يجهل جهله لكان ذلك أدنى الى قوته وأقرب الى سلامته . وقد تؤمن بهذا كله عند ما ترى أن كل ضال ومبطل وشرير وجاهل يجد له من هذا النوع اتباعا يقولون بترهاته ويدينون بخرافاته وليس المدار في وجود من يتبعك ويقول بقولك ويتوسم جميع خطواتك في هذا العالم مهما كان قولك وعملك ونحلتك ونزعتك الا أن تتقن وسائل دعوتك فأن نوع الآنسان مستعد لصنوف الهذيان وجميع الالوان. وقابل لضروب الحق والبهتان . وسبيل الكفر والايان . وانواع السفسطة والبرهان. وبعد فالانسان هو الانسان وما احكم قول المتنبي .

وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمى انه بعض الأنام

أو نقول

غلب المين منذ كان على الخلد ق وماتت بفيظها الحكماء

ولنقتصر من هذه المقدمة على هذا

، المقصود ،

أنى أعجب ولا أخفى عليك ممن ينكر البعث وهو فيما أراه من أوضح الواضحات فإن البعث ليس الا خلقا جديدا ليس بينه وبين الخلق الأول الذى نشاهده كل وقت وكل ساعة أدنى فرق يصح أن يكون شبهة للمنكر أو تكأة للمرتاب

وقد قال المعلم الثانى أبو نصر الفارابى وهو من اكبر فلاسفة العالم ( كنت أشتى أن يطلع أرسططاليس على ذلك القياس الجلى ) الذى يشير اليه قوله تعالى ( قل يحياها الذى أنشأها أول مرة ) أما القياس الذى اشار اليه فهو أن الله انشأ الخلق أول مرة وكل من انشأ شيئا كان قادرا على اعادته هذا هو القياس . بل نقول ان الاعادة أسهل في العقول من البدء وقد أشار الله الى ذلك بقوله ( وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) وهذا مسلم يعرفه كل أحد من نفسه فأن العمل كلما تكرر كان أخف وأهون وما نشأ ذلك التوقف الا من جهل الانسان الذى قاس قدرة الله التى لا تحد على قدرته التى لا قدر لها فوجد أنه لا يستطيع أن يحى الموتى ( فالله كذلك ) فهو جاهل بالله من جهة وواقف عند حسه من جهة أخرى فلا يصدق الا بما رآه ببصره ( وهو لم ير البعث ) وهذا هو شأن البهائم التى لا تصدق الا بالمحسوس . على أن ذلك محسوس لكل أحد .

ولكن الانسان مستعد بجمله أن ينكر المحسوس ولا يفكر في المشاهد فان القادر على أن يخلق من النطفة وهى فضلة من الفضلات انسانا عاقلا مفكرا مدبرا فصيحاً بليغا مخترعا متفننا عالما فيلسوفا الى آخره . كيف يعجزه أن يعيد أجزائه الى ما كانت عليه ثم ينفخ فيها الروح مرة أخرى ولعلها مهياة للخلق واقرب اليه مما كانت وهل هناك الا انك رأيت الرجل يخلق من النطفة ولم تر ذلك في الاموات ويعجبني قول بعض الفلاسفة الاسلاميين : لو حدثنا أن رجلا سميعا بصيرا خرج من قطرة ماء لم نصدقه ولهزأنا به وقلنا أنه يهزأ بنا ولكننا رأينا ذلك ووجدنا فيه ومنه فصدقناه وصرنا لانفكر فيه وكل شىء تكررت رؤيته لم يكن له وقع في النفوس فالشمس اكبر آية وكذا الكواكب البديعة الأشكال العزيزة المثال . لانتلفت

اليها لكثرة رؤيتنا اياها والفنا لها ( وقد كنا نحدق في الطيارات يوم ظهورها لدينا وقد أصبحنا لانظر اليها ولا نهتم بها وكنا نستهن بالسفور أيام انتصار العادات الشرقية الاسلامية على العادات الغربية الأوروبية فأصبحنا لانتعض من التهلك ولا ننفل له ولا ننكر عليه وها نحن أولاء يدھمنا الليل بظلمته الحالكة كل يوم مرة فلا تهتز له أعصابنا اهتزازها لكسوف الشمس ولو جزئيا . فهكذا شأن الانسان وعلى هذا جبل وقد قال الله في تقرير هذا الدليل ( يحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحى الموتى ) . ثم اذا نظرت في هذا التراب وجدته ينقلب تفاحا ورمانا وموزا ولوزا ووردا الى آخره وتشاهد ذلك في كل عام من الاعوام بل في كل فصل من الفصول وكل يوم من الايام فما الذى تستنكره بعد ذلك . اليس جهل الانسان كبيرا حيث لا يعرف قدرة ربه التى لاتحد ولا يستعمل عقله وفكره ولا يلتفت الى نفسه وابناء جنسه ولا الى مزروعاته وجميع محيطاته ويصادم المعقول والمحسوس على أنه اذا لم ير شيئا من ذلك لم يصح له أن ينكر البعث فانه لا يدري من نواميس الوجود الا أقلها ولم ينل من بحر العلم الا قطرات يسيرة شرق بها أو نقول تبجح بسببها فزادته جهلا على جهله وكان مصيبة على الدين وعلى العلم وعلى نفسه وعلى ابناء جنسه الا من وصل من الفلسفة الى لها ومن الحقائق الى صميمها وقليل ما هم وانى لا ادري كيف ينكرون البعث الآن وقد قرروا أن العالم كله يرجع الى شئ واحد في أصله هو الاثير أو الكهرباء أو ما الى ذلك ثم تغير هذه التغيرات واستحال تلك الاستحالات حتى صار الى تلك الأجناس التى لا يحصيها عد ثم تنوعت الى تلك الأنواع التى لا يحيط بها علم فما معنى انكار البعث بعد ذلك وليس هو الا شيئا مما هنالك ولكن لاعجب فالانسان مجمع العجائب والغرائب ومحل المتضادات والمتناقضات على أننا نسائلهم هل ينكرون الانسان الأول أو الحيوان الأول ( على مذهب درون ) فإن انكروه وقالوا انه ذاهب الى غير نهاية ( وهم لا يقولون ذلك ) ابطالنا قولهم هذا بأنه يلزم عليه التسلسل المحال



الذى لا يقولون به أيضا وان اعترفوا ( ولا بد أن يعترفوا ) بأنه خلق من الارض وهو من أحدث المخلوقات عندهم فقد قامت عليهم الحجة ولزمهم العجز واحاط بهم الافحام فان هذا هو اخراج الحى من الميت الذى لم يشم رائحة الحياة أصلا وليس البعث الا هذ أو أقرب منه ولا يمكنهم التفضى عن ذلك مهما حرفوا أو خرفوا ولهذا كله ترى القرآن يعجب من انكارهم البعث اشارة الى انه في غاية الجلاء ونهاية الوضوح فيقول ( وان تعجب فعجب قولهم آذا كنا ترابا أئنا لنى خلق جديد ) ويقول النبى ( بل عجبت ويسخرون ) فكانوا يعجبون منه ويستهزئون به وكان يعجب من انكارهم واستهزائهم حتى قال لهم ( كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة ) وانت تعلم أنه لا يبعد استحالة الحجارة الى الحى فانك تراها تستحيل ثم يزرع فيها ثم تنقلب نباتا حيا ثم ينقلب النبات نطفا ثم تنقلب النطف حيوانا وانسانا أليس ذلك كله اخراجا للحى من الميت وقدرة الله بعد ذلك لا يحيط بها محيط وما ابداع ما قال الله تعالى في الاستدلال على البعث ( يأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فأنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ) الى أن قال ( ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ) ثم قال في آخر هذه الآيات مشيرا الى دليل آخر ( وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ) ثم ذكر النتيجة بعد تلك الأدلة الواضحات فقال ( ذلك بأن الله هو الحق وانه يحى الموتى وانه على كل شىء قدير ) ( وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ) ولا بأس أن نتلو عليك الآية التى بعد هذه ( ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله ) وقد قال الله قبل ذلك وهو العليم بخلقهم ( ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ) الى آخر ماجاء في القرآن من الآيات الينيات والحجج الواضحات وعلى كل حال فمن تأمل وجد أمر البعث واضحا جليا للغاية فانه لا فرق بين الخلق الاول والخلق الثانى كما قلنا ونحن نشاهد هذا الخلق كل وقت وساعة فكلما رأيت طفلا رأيت خلقا

جديدا . واذا رأيت عصفورا في روض رأيت خلقا جديدا وكلما رأيت نباتا في حقل فقد رأيت خلقا جديدا ففي بيتك وفي سوقك وفي حقلك وفي نفسك وفي البر وفي البحر وفي الارض وفي الجو كلما التقت ببصرك رأيت دلائل البعث تحيط بك من كل جانب ، ومن الغريب أن بعض أهل الجاهلية واظنه عبد المطلب كان يرى البعث حقا ويستدل عليه عقلا فيقول . ان هذه الدار ممثلة ظلما وجورا فلا بد من دار يقام فيها العدل ويقتص فيها من الظالم للمظلوم وهذا هو مقتضى قواعد المعزلة الذين وسموا أنفسهم باهل العدل والتوحيد فلا يجوزون عدم البعث عقلا ولعلنا نجد في كتاب الله تعالى ما يشير الى ذلك مثل قوله تعالى ( أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار ) فان عدم التسوية بينهما في الآخرة لا في الدنيا .

فقد تجد حظ الفجار في هذه الدار أعظم من حظ المتقين فيها ويشير أيضا قوله تعالى ( انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ) ويقول ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ) ولك أن تقول لو تساوى الظالم والمظلوم والصالح والطالح مع ما كان بينهما من الفرق العظيم في الدنيا لكان ذلك قادحا في عدل الله تعالى لكن ذلك لا يجوز فلا بد أن يذيق الظالم كأس النكال على ما كان منه وتقر عين المظلوم على عظيم صبره واذا يهون علينا ما نلاقه في هذه الحياة انتظارا لما في تلك الحياة ( أيحسب الانسان أن يترك سدى ) ( أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق ) عن ذلك العيث ( وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ) ( وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعين ) ولك أن تقول لو لم يكن هناك بعث لكان الانسان أخس من الحيوان الذي لا يحزن ولا يخاف ولا يتربح الحوادث . ومن الأدلة الطريفة قول بعضهم ان الانسان يحس من نفسه بعدم النهاية في شعوره وفي مطالبه وفي شوقه الى عالم لا يتناهى وكلما وصل الى شيء طلب غيره لأنه يجده

غير محقق لما تتوق اليه نفسه من صفاء لا غاية له وملك لا يعتريه زوال، وسعادة ليس فيها شقاء ونعيم كنعيم أهل الجنة فهو يحس بأنه مستعد لهذا ولكنه يطلبه من هذا العالم جهلا منه فان هذا الشعور لم يخلق فيه عبثا ولا جزافا فليس من سنة الله العبث أو الجزاف وايضا فكل شيء في الوجود خلق لغاية ولو لم يكن للانسان غاية أخرى غير ما في هذه الحياة لكان وجوده عبثا فان غيره في هذه الارض مخلوق لاجله فلا بد أن يكون هو مخلوقا لغاية سامية فانه لم يحصل هنا الا الهموم والاحزان وهو متخبط في هذه الحياة لا يعيش فيها عيشا صالحا بوجه ما الا بالتعلة أو الامل أو الخيال ولهذا يقول القائل

طبعت على كدر وانت تريدها صفوا من الاقدار والا كدار  
ومكلف الايام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

أما الظلم ههنا ورفعة الجاهل وانحطاط الفاضل ووضع الامور في غير موضعها فحدث عنه ولا حرج حتى مع أرق القوانين وأعظم الدساتير فانهم يؤولونها على ما شاءوا ويطبقونها على ما ارادوا

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى صار ظلما منظما  
( وان شئت فسمه ظلما قانونيا أو دستوريا )

هذا والقرآن يذكر في هذا الموضوع الذي نحن فيه أدلة واضحة للغاية فيقول ( أوليس الذى خلق السموات والارض بقدر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ) ويقول ( ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احيائها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير ) ويقول ( لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ويقول ( أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحياها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ) وانى استلفت نظرك الى ما في هذه الآية الشريفة مما يملؤك روعة فبعد ان قاس الاعادة على البدء وهو قياس أولوى كما عرفت قال ( وهو بكل خلق

عليم ) كانه اراد أن يقف النفوس عند حدها ويقلل من هواجسها او يقضى على وساوسها التى تجول فى تلك الشبه ولعلك رأيتها أو سمعت بها فقال لهم دعوا عنكم تلك الوسوس وهاتيك الهواجس ( فانه بكل خلق عليم ) و كيفية خلقه وجميع أفعاله لا يحيط بها محيط ( فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لاتعلمون ) وانى اكرر عجبى البالغ من انكار أولئك الماديين الذين يقولون ان أصل الاشياء هو الأثير قد استحال استحالات كثيرة حتى كون المعادن والنبات والحيوان والانسان فكيف ينكرون البعث بعد اعترافهم بهذا وبعد كثرة ما يشاهدونه الآن من استحالات المادة التى لاتقف عند حد والتى تأتى بالمتباينات والمتناقضات

أما مارأيت من الشبه التى تذكر فى بعض الكتب وقد أشرنا اليها فلا نريد أن نزع بك فى ظلماتها أو نعرضك لآفاتها أو نعرض عليك مافىها من خيال وخبال ولكن نقول لك ان الانسان على الحقيقة هو الروح الحافظة لشخصيتها فى أى ثوب تلبسه وأى مظهر تظهر به والجسم الانسانى له شىء أصلى بمنزلة البذر الصغير للاشجار الكبيرة

تلك البذرة الاولى هى ماكان عند نفخ الروح أو تلك الذرة التى وجدت يوم (الست بربكم) أو نحو ذلك ولعلك ممن يكتفى بإيجاز الاشارة عن أطناب العبارة ولا يمكننا أن نتوسع اكثر من هذا فلا نحمل البيضة فوق ما تطيق ولا الظرف اكثر مما يسمح به ولنختم مقالنا هذا بما يروى عن بعض العلماء انه جاء ملحد ينكر البعث فلم يطل معه الجدل ولا اكثر له القيل والقال بل عدل عن كل ذلك وجاء من ناحية أخرى لعلها أعظم أثرا فى وجدانه واقرب سيلا الى ايمانه فقال ان كان عدم البعث حقا نجوت انا وانت والا نجوت انا وهلكت انت ومن ذلك قول الناقائل

قال النجم والطبيب كلاهما	لاتبعث الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فليست بخاسر	أو صح قولى فالحسار عليكما

فنحن اذا أعقل منهم على كل حال ، وهذا على سبيل التنزل أو المداعبة والا

فالبراهين واضحة لا يمارى فيها الا من قال الله فيهم ( افرايت من اتخذ الله هواه  
واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله  
افلا تذكرون )

يوسف الدموي  
من هيئة كبار العلماء ورئيس جمعية  
النهضة الدينية الاسلامية

## الطرف والملح

حكى عن علي بن الهيثم : أنه كان مغرمًا برواية اللغة . وحفظ الغريب والحوشى\*  
منها والتكلم به مع من لا يفهمه  
فحكى عنه : أنه مرَّ به رجل فارسى . قد ركب أتانًا خلفها جحش . ويده عذق\*  
قد ذهب بُسرُه الا قليلا . يقود به بقرة يتبعها عجل لها .  
فناداه علي بن الهيثم : يا صاحب البيدانة القمراء . يتلوها تولب\* . بيده شمول\* .  
يَطْبِي به خزومة\* يَقْفُوها عجل . اتقايض\* بعجلك جُحْجُجًا زَهْمًا ؟  
فالتفت اليه الفارسى وقال : يا بابا . فارسى هم ندانم .<sup>(١)</sup>  
البيدانة . الأتانُ — والقمراء . البيضاء الوجه — والتولب\* . ولد الحمار — والشمول\* .  
العذق\* — وَيَطْبِي . يدعو — والخزومة\* . البقرة الوحشية — والجُحْجُج . الكبش\* —  
والزَهْم\* . السمين\* .

قيل لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان الرجل يُظلم في الجاهلية فيدعو  
على من ظلمه فيجاب عاجلا ولا يُرى ذلك في الإسلام . فقال : هذا حاجز بينهم وبين  
الظلم . وإن موعِدكم الآن الساعة . والساعة أدهى وأمر\* .

# الفتاوى والأحكام

## الزكاة

هى الدواء الشافى لخطر أمراض المجتمع الانسانى

حقيق بنا ونحن في مستهل عام جديد من حياتنا أن ننظر الى نعم الله تعالى علينا نذكرها ونشكرها لنحوطها من الزوال ، ونصونها من الاضمحلال ، أجل ان قطع مرحلة من العمر واستئناف مرحلة أخرى وطى صحيفة من صحائف الحياة ونشر صحيفة غيرها ينبغى أن يكون موقظا من سنة الغفلة وباعثا من رقدة الجمول، والانسان مفطور على النسيان حتى يذكره جديد الحداث ومر الزمان ، وجبذا للذكرى يبعثها الرخاء والتقلب في السراء ، ولاحبذا من لايفيق الا بالشقاء وعوامل الضراء

لقد قضت حكمة العزيز الحكيم أن يجعل هذا العالم متفاوت المراتب متشعب المسالك ففضل بعض الناس على بعض في الرزق، وفاوت بينهم في القوة والضعف، وجعل لكل قبيل جهة قوة يمتاز بها وقدر له ناحية من الضعف يحتاج بسببها حتى يتم ترابطهم ولا ينتهى تعاونهم . ولقد كان من أعظم ما تفاوت فيه الناس أمر الرزق ، فلقد رزقهم ربهم جميعا ولكن منهم من بسط له الرزق ووسع له فيه فاغنى واقنى، ومنهم من ابتلاه فقدر عليه رزقه وكل ذلك لحكمة منه جل شأنه ليلو أعمالهم وليتبين من شكر ممن كفر ، وليظهر من جزع ومن صبر ، وقد قرن جل شأنه الشكر بالمزيد ، ووعد الصابرين بالفرج القريب

ذلك انهم خلقوا على ان يعيشوا معا يتعاونون ويتساعدون في سبيل الحياة ، ويقوم كل فريق للبقية بسد حاجة من حاجاته في نظير ما يستوفي منهم من سائر مقومات حياته ، فاحتاج بعضهم الى بعض واستفاد بعضهم من بعض فجمعتهم الحاجة

وألفت بينهم المنفعة فاضطروا فيما بينهم الى اجراء المعاملات والمبادلات فيما بين حاجياتهم التى يستوفونها وفوائدهم التى ينتجونها

ولكن لا يتم ائتلاف الجميع ولا يكمل بينهم النفع الا اذا عمقتهم المحبة والمودة وشملهم التعاطف والتراحم، وشعر كل فريق بانه مع احتياجه الى اخوانه وانتفاعه من بنى جنسه قد قربت الرحمة بين قلوبهم ووثقت المحبة عرى عشرتهم ، فاصبح كل منهم يرى أن ينعم بما ينعم به اخوانه ويتألم مما يتألمون ، واصبحوا جميعا كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحلمى ، وان السبيل المؤدى الى هذه الحياة السعيدة هو سبيل الاحسان والسخاء .

فكل امرئ يولى الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب

ولقد جبلت النفوس على حب من أحسن اليها ، والانسان عبد الاحسان ولما كان من أعظم ماتفاوت فيه الناس أمر الرزق الذى عليه مدار حياتهم وبه قوام وجودهم وهو الذى فى سبيله كدوا وكدحوا ، ومن أجله تعبوا فى هذه الحياة ونصبوا ، كان باب العطف والرحمة مفتوحا بما يجرونه بينهم من الاحسان والسخاء ، فبه ترتبط قلوبهم برباط المحبة وتأتلف نفوسهم بأواصر المودة فيكونون يدا واحدة ويحيون حياة سعيدة

وليس النفع والصلة بمقصورين على العطاء والنوال الواصل من الغنى الى المحتاج بل قد ينتفع المعطى فى بعض أوقات محنه ممن أحسن اليه بما يربو أضعافا مضاعفة على ما وصله منه من مال ورزق، وربما كانت نجاة بعض المحسنين من الخطر واثاق حياتهم من العطب على يد فقير مسكين أو معوز من أبناء السبيل وصله وقتا ما بالنزر القليل فتعود المبادلة والمعاملة بينهم من حيث لا يشعرون وما ربك بغافل عما يعملون

ولقد دلت التجارب المتكررة على انه لاسبيل لتطهير القلوب من أحقادها واثاق النفوس من ضغائنها أعظم واسرع وانفع وانجح من تبادل الاحسان بين الناس ولا شئ يوجب البغضاء ويملاً النفوس غلا وحقدا ويجعل حياة بعضهم أمام

بعض بغية ممقوتة مثل الشح وقبض اليد عن الاحسان. هذا وهو احسان وفضل فبالك اذا كان الشح ظلما وحرمان ذى الحق من حقه افلا يتضاعف البغض وتشتد الكراهية ويتربص كل باخيه الدوائر ، ويكون بعضهم حربا لبعض فتسوء الحياة بينهم ويصبح أمرهم نكرا ؟ وليت شعري ما هذا الداء الويل وما هذا الخطر الاصفر والموت الاحمر الذى أفزع الحكومات والامم واصبح الجميع منه خائفا يتربص ! أليس هو غول البلشفية الشنيع الحلقة البغيض الطلعة الذى يهدد حياة المجتمع الانسانى عامة بالحرب والدمار كما يهدد كل فرد بحرماته مما رزقه الله ! وهل كان له سبب سوى امساك الاغنياء وقبض ايديهم عن الفقراء فلم يجودوا عليهم بشئ مما انعم به عليهم ربهم بل منعوهم حقهم الذى فرضه الله لهم ففي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واى شئ هو اشد ايلاما للنفس من ان ترى أمامها من غرق في النعم وملكه النهم حتى أهلكته التخمة بينما أخوه وعشيرته تقتله المحمصة، ولو أنه رد عليه نذرا مما زاد عن حاجته وفضلا مما جاوز حد كفايته لسلم كلاهما هذا من تخمته وذاك من مخصته وهب ان الفقير كبح جراح نفسه واعتصم بحصن عفته فاذا عساه يصنع اذا نظر الى اطفاله فوجدهم يتطلعون ولا يجدون، فيتحسرون أو يكون، ورأى دموعا تتساقط وزفرات تتصعد ولا قبل له بقدهم وتصبيرهم على لأوائهم اليس تذبذب مرارته وتشتعل حميته وتستعر نار الحقد ويخطر شيطان الشر ويجد به الجذ ؟ أليس ينظر الى من وجد ولم يجد نظرة المقت والغضب فيتربص به الدائرة ويتمنى لو أمكنته منه الفرصة ؟ وكأنك بالغنى وقد شعر من ناحيته بما يضره له الفقير

والعين تعرف من عيني محدثها ان كان من حزبها أو من أعاديها

فيادله الكراهية ويساجله البغضاء فيسوء المنقلب وتكون الحياة على الجميع جحima وسعيرا ، والعشرة بينهم شرا مستطيرا ، وقد كانوا وهم اخوان يتساندون ويتعاضدون ويتصافون ويتصافحون وكان الامر بينهم في أوله حاجة يغنيها فضل من نوال أو خلة يسدها لقمة من زاد أو ظمأ يطفئه كوبه ماء ولكن قد يترك الحرق فيتسع وتهمل الشرارة فتشتعل ، ومعظم النار من مستصغر الشرر : —



على ان الذى يحول بين المرء وفضيلة العطاء ويحرمه ما تصبو اليه نفسه من التحلى بحلية السخاء ليس سوى حبه الغريزى للاستزادة من النعمة وميله الفطرى الى الاستكثار من الخير . فما القول اذا كان السخاء هو باب المزيد فانه شكر وعد الله عليه بالزيادة فقال جل شأنه ( لئن شكرتم لازيدنكم ) وسميت هذه العبادة زكاة في لسان الشارع الحكيم والزكاة النماء والزيادة

وليس بدع في رأى أن يكون النقص مفتاح الزيادة ، ترى البستاني يعمد الى شجره يقلم اغصانه وينقى ادرانه طلبا لزيادته ونأئه ، والزراع يقتلعون بعض نباتهم لينمو الباقي نموا حسنا ، وترى الانسان يزيل عن بدنه بعض زوائد جسده من شعر وظفر ليستكمل نموه المطلوب له ، وهل ما يطلب اخراجه زكاة من مال الغنى يزيد على فضلات لا تكاد تقاس بباقيه ، فاذا خرجت عنه طهرته وفتته وعادت على المعطى والعاطى بسعادة الحياة بما عطف من قلوبهم نحو بعضهم البعض وبما غرست في نفوسهم من المحبة والرحمة ، وبما استلت من بين جوانحهم من الحقد والضغينة ، وان المرء ليجب صنيعته وربيب نعمته كما يجب من أحسن اليه وقد سأل بعضهم أحد الملوك ان يجب ابنه ، فقال له كيف تسألنى أن أحبه وليس ذلك في مقدورى ؟ فقال له : نحسن اليه فيجبك فتحبه

وبعد فالمرء واحد من اثنين كريم نتركه لأريحته فله منها ما يهزه للعطاء ويحبه في السخاء . وبخيل لنا معه كلمة .

بالله لماذا رضيت لنفسك صفة البخيل وانت تتوارى اذا عرفت به ؟ واطمأنت لسبة الشح مع انك تفضب ممن نسبك اليه ؟ فامر هذا رأيك فيه ووصف هذا حكمك عليه ، لماذا لم تقلع عنه وتطهر نفسك منه ؟ وكيف قبلته من سماتك وخلاك وانت تنتقصه الى هذا الحد ، فاذا أصغيت الى جوابه الذى يكتمه عنك وتعرفت دخيلة نفسه التى يسترها دونك وجدته كأنما يردد هذه الكلمة ( مال ورثته عن أبى وجدى أو أحرزته بجهدى فكنت مالكة وحدى فمن العدل أن أنتفع به وحدى ) وهنا يحق لنا ان نجاهره في مصارحة ، ماعليك من بأس لقد نطقت بعقل ،

واقتربت من قضية العدل فتعال بنا نحدد هذه المنفعة ونتحاكم لتلك القاعدة فما هي منفعتك من مالك الذى أردت أن تستأثر به ؟ ان الجواب على هذا السؤال يبدو متشعب المسالك مشتت النواحي ولكن الحق الصريح والجواب الصادق انه ليس لك من مالك الا ما اكلت فافنيت أو لبست فابليت أو قدمت فابقيت

وعلى هذه القاعدة الصحيحة نسير معك فاما ما تحتاجه في مطعمك وفي ملبسك وما يتصل بذلك من مسكن ومركب وامثالها من متع الحياة التى أحلها الله لك وناسبت مركزك فلا نتعرض لك فيه ولا نحرمك منه ( قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ) ولكن نعمة الله عليك زادت عما احتجت اليه في حياتك هذه وانت أحق بالانتفاع بها على قاعدة بخلك الذى قررت به بعقلك وهى انك تملكه وحدك فمن العدل أن تنتفع به وحدك ولم يبق لك بعد استيفاء متع حياتك سوى الباب الثالث باب « قدمت فابقيت » فانك أولى بمالك أن تنتفع به وحدك ولوفاتك هذا لدخلت في باب « كنزت فاكثويت » فليس من العقل والعدل أن تكثره فيصيبك ضرره ويحرقك شرره ، ثم تحرم منفعته بينما غيرك يتمتع به ويستفيده . هذا هو البخل بعقل ان كنت تحتج له بقضية العدل . أما البخل الذى يؤدى الى حرمانك مما انت أحق بالانتفاع به فهو كبخل الاطفال البله فقد تنال يد الطفل بيضة الدجاجة فتحسب أمه أنه يشتهيها فتحاول أخذها منه لتردها اليه ناضجة مطهية فيبخل بها ويحرص عليها حتى تكسر في يده فتلوث ثيابه وربما ضربته أمه فجمع بين الاذى والحرمان على نفسه فهذا بخل البله السفهاء وانت تزعم انك من العقلاء

هذا ولو تحققت أن ماتدفعه اليوم هو قرض تستوفيه غدا وان موعد الدفع هو أشد أيام احتياجك اليه ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا . وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ) وانه قرض مضمون وثيقته كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وشهوده الله وملائكته ، وانه قرض مستثمر الى أوسع حد حتى لو قال قائل ان مائة بسبعين الفا أو تزيد لم يبعد عن

الحقيقة ( مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء )

لو تحققت ذلك لعلمت انك بعطائك تجلب أعظم النفع الى نفسك من حيث تحببت انك بشحك وبجلك قد نفعتها وبألت الامر وقف عند حد الحرمان من النفع بل هو باب للتهلكة والعذاب الاليم . قال تعالى ( والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ) فإى حق وبلاهة وغباوة فوق أن ينعم عليك ربك بنعمة نافعة فتحولها الى نعمة ضارة وبدل أن تستفيدها . لك تسلطها أذى عليك وهل يصح أن يقال لهذا سوى ( ان الاحق عدو نفسه )

ولقد سمينا هذا عطاء وبذلا وسخاء ولكننا لو تأملنا قليلا لوجدناه اعطاء ذى الحق حقه وإيفاء الشريك حصته ونصيبه فقد جعل الله للفقراء حقا وشركة في مال الاغنياء على التقدير الذى قررته الشريعة الغراء وفصله الفقهاء ، ففي زكاة المال وعروض التجارة مثلا يستحق الفقير جزءا مقدرا هو ربع الشر فاخترانه دون مستحقه وحرمانه من نصيبه خيانة من أحد الشريكين لشريكه ، وكيف يرضى لك حياؤك ومروءتك أن تعاقب عاملا فقيرا عندك على خيانتة في دانق ربما دفعته الى اختلاسه منك الحاجة والعوز بينما انت أيها الغنى تخون شريكك الفقير فلا تعطيه حصته ولا توفيه حسابه

أما بعد فان الزكاة من أى ناحية نظرت اليها ومن أى جهة واجهتها فانها جمال كلها فهي مطهرة للمال مهذبة للنفس بتعويدها البذل والسخاء مؤلفة للقلوب مسعدة للحياة مرضية للرب مقربة من الجنة مبعدة من النار نسأل الله أن يوفق أغنياءنا لشكر نعم الله عليهم ، وان يملأ قلوبنا بالتراحم والتعاطف والاقرار بفضله ويوفقنا لطاعته

ابراهيم الجبالى

المدرس بقسم التخصص بالازهر الشريف

# الستة

## روابط الاخاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حق المسلم على المسلم ست ١ إذا لقيته فسلم عليه ٢ وإذا دعاك فأجبه ٣ وإذا استنصحك فأنصحه ٤ وإذا عطس فحمد الله فشمته ٥ وإذا مرض فعده ٦ وإذا مات فاتبعه . (١)

الحق هو الامر الثابت الذى ينبغى مراعاته والاهتمام بشأنه أى ما يستحقه كل مسلم على أخيه المسلم ست خصال .

ثم اعلم أولاً أن حقوق المسلم على المسلم ليست محصورةً فى هذا العدد فقط بل هى أكثر من ذلك وانما السبب فى الاختصار على هذا العدد فى الحديث الشريف هو أن النبى صلى الله عليه وسلم كان حكماً فى كلامه وتبليغه وتعليمه الناس لا يتكلم إلا فيما تدعو اليه الحاجة ولا يبلِّغ إلا ما يصلح له الزمان والمكان ولا يعلم إلا ما كان المتعلمون أحوج اليه من غيره وأكثر استعداداً له .

فاقتصاره صلى الله عليه وسلم على هذه الخصال الست حينما كان يحدث (وكثيراً ما كان يفعل ذلك) لأنه رأى انهم أخرج اليها من سراها وأن الحال يقضى بالمبادرة الى تعليمها وتأخير ما عداها الى وقت آخر يكون استعدادهم فيه أتم والحاجة فيه أشد .

هذا بعض من الأسباب التى كان صلى الله عليه وسلم يعلم الناس على مقتضاها فنعمت الطريقة طريقته صلى الله عليه وسلم فى تبليغه عن ربه . ونعم الأسلوب أسلوبه فى تعليم الناس وهدايتهم فهو بتعليمهم على هذا النحو يعلمهم كيف يعلمون ويرشدهم

الى قاعدة صحيحة في التربية وهى أن أمهر المعلمين من يَزِنُ قُوَى المتعلم وحاجته ثم يَغْذِيهِ بالعلوم المناسبة له سالكا به سبيلَ التدرج والترقى درجة درجة فان ذلك أَيْسَرُ فى الأفادة على المعلم واتفق فى الاستفادة للمتعلم .

## شرح الخصال

١ ( إذا لقيته فسلم عليه ) . اللقاء هو الاجتماع بعد الافتراق كما أن الافتراق هو التاركة بعد الاجتماع .

إياك أن تفهم أن السلام مطلوب عند اللقاء فقط بل هو مطلوب أيضاً عند التفرق كما جاء فى حديث آخر

وأما السلام فهو الأمان والسلامة من كل آفة ومكروه ظاهراً وباطناً فقول المسلم لأخيه المسلم ( السلام عليكم ) معناه أنه أخوه تَرَبُّطُهُ به أَمْتٌ رابطة وأوثقها . وهى رابطة الدين وأخوة الإسلام وأنه محتفظ بها مؤفٍ بحقوقها وهى الحرص على سلامة أخيه المسلم وتأمينه من كل مكروه والتباعد عن الغدر والخيانة له

قد عَرَفَ المسلمون هذه التحية الدينية الاسلامية وفهموا معناها فخرصوا على صيغتها العربية التى تعلموها من الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعدلوا عنها إلى غيرها من أى لغة أخرى . لأنه لايساويها بل لايدانها فيما قُصِدَ منها حتى إنك لتسمع المسلم غير العربى انما يحيى أهل لغته بهذه التحية العربية الاسلامية فكان ذلك من جملة الأسباب التى رَبَطَتْ المسلمون فيما مضى بعضهم ببعض ووقتهم شر الوقوع فى التفكك وجهالة بعضهم لبعض أصلح الله أحوالهم وفقهم فى دينهم

٢ ( وإذا دعاك فأجب ) . الدعاء يأتى فى اللسان العربى لمعان - منها النداء والسؤال والاستغاثة وكلها مرادة فى الحديث الشريف

فانداء كأن يقول يا فلان واجابته كأن يقول لبيك أو نعم .  
والسؤال كأن يستفسره عن شئ واجابته أن يفسره له أو كأن يطلب اليه أن يعطيه

شيئاً هبةً أو غيرها أو أن يطلب أن يحضر إليه في أمر مباح كولية أو ائتناس واجابته تكون باعطائه ما طلب أو بالحضور اليه .

والاستغائة أن يستجير به ليدفع عنه ضرراً يخشى الوقوع فيه أو ليرفع عنه أذى نزل به واجابته أن يبادر بذل ما يستطيعه بنفسه وحده أو مع غيره ليكشف عن أخيه المسلم ما قد يجوز أن يصيبه هو أيضاً وحينئذ يستغيث فيقيض الله تعالى له من يعطف عليه وينجده « جزاء وفاقا »

٣ ( وإذا استنصحتك فانصحه ) . الاستنصاح طلب النصيحة . والنصيحة أن ترشد غيرك الى الخير وتبذره عن الشر وتدلّه على الاقوال والافعال والمعتقدات التي تصلح بها أحواله وتستقيم شؤونه كذلك تبين له كلّ ما تعوجّج به اموره وتتكدر له حياته وتسوء به عاقبته مع الجد منك في ذلك والاخلاص وحب الخير والنفع له كما تحبه لنفسك

ثم اعلم أن بذل النصيحة أمر حثّ عليه الدين الاسلامي في كل حال سواء أطلبه أخوك أم لم يطلبه ولكنه يتأكد متى طلبه ولذلك أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الحالة واقتصر عليها تنبيهاً على أنها أعظم الحالات وأحوجها الى بذل النصيحة والعناية بها وفي الحديث الشريف الآخر . ( ان الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم )<sup>(١)</sup>

فمعنى النصيحة لله صحة الاعتقاد في نعوته وكمالاته واخلاص النية في عبادته ومعنى النصيحة لكتاب الله التصديق به والعمل بما فيه . ومعنى النصيحة لرسوله التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لما أمر به والوقوف عما نهى عنه .

٤ ( واذا عطس فحمد الله فشمته ) — العطاس هو خروج الأبخرة المحتقنة المحبوسة في الدماغ ولو بقيت فيه لأحدثت ادواء عسرة وخروجها كما تعلم يحدث اضطراباً في

الجسم ولا سيما الرأس والوجه والعنق فيُخرجه عن ستمته وهيئته وتركيبه الطبيعي فلا جرم أن يطلب الشارع الى العاطس أن يحمد الله شكرًا له على خروج تلك المواد المؤذية وعلى سلامته من الاضطراب الذي عرض له

— وحمدُ الله تعالى هو شكره والثناء عليه ووصفه بِجَمِيلِ الصفات التي يستحقها وتليق بجلاله وكِماله .

ومعنى التسميت الدعاء للعاطس بالسلامة من ضرر يلحقه بالعطاس كاعوجاج العنق أو تشويه الوجه حتى لا يَسمت به أعداؤه

ويقال فيه التسميت أيضًا ومعناه الدعاء له بأن يعود له ستمته الأول الذي كان عليه قبل العطاس

فلما كان العاطس قد حصل له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة الضارة كما علمت شرع له حمدُ الله تعالى على هذه النعمة مع بقاء أعضائه سالمةً على هيئتها ونظامها بعد هذه الزلزلة العارضة لها بالعطاس

وقد جاءت كيفيةُ الحمد وكيفيةُ التسميت وكيفيةُ جواب العاطس للمسمت في هذا الحديث الشريف ( إذا عطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ . وَلْيَقُلْ هُوَ : يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِكُمْ ) أى حالكم وشأنكم<sup>(١)</sup>

٥ ( واذا مَرَضَ فَعُدْهُ ) — عيادة المريض زيارته والحكمة الشرعية التي لأجلها أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم الى كيفية معاملة الأصحاء للمرضى هي :

١ الوفاء بحقوق الأخوة الإنسانية العامة المشار إليها بقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا )

٢ القيام بحقوق الأخوة الإسلامية الخاصة التي ينهها الله تعالى في قوله ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ) وقوله : ( وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا )

٣ ادخَالُ السرور على المريض وانسراح صدره برؤية اخوانه المسلمين وخاصة أقاربه وأصدقائه وجيرانه فان عيادتهم له عنوانٌ على ما في قلوبهم له من الصلة القوية والمحبة الصادقة والاهتمام بشأنه وحب الاطمئنان عليه

ولاشك أن هذه معاملةً حسنةً تخففُ عن المريض كثيراً مما هو فيه من شدة المرض وعنائهِ وقد يكون ذلك مقدمةً قريبةً من الشفاء الكامل ان شاء الله تعالى

٤ مساعدة المريض واعائته وتخفيفُ ما هو فيه إما ببذل المال إن دلت قرائنُ أحواله على ذلك وإما بارشاده الى الدواء النافع ان كان العائد من العارفين أو بارشاده الى الطبيب الماهر الذي دلت التجربة على حِدَقِهِ وعنايته وإما بالمحادثة الحسنة التي تنفّس عن المريض وتخففُ عنه ثِقَلُ المرض وتلطّف شدته فان هذه المحادثة مما يُسرّى عن المريض خصوصاً إذا اشتملت على ما يذكره بحسن عاقبة الصبر واحتمال المشقات وما يذكره بسنة الله تعالى في خلقه من أنه يحو السيئة بالحسنة والضيق بالسعة والمرض بالشفاء الكامل (فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً)

٦ (واذا مات فاتبعه) تبعه واتبعه اقتنى أثره ومشى خلفه علم النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في هذا الحديث الشريف أن تشيعهم جنازة أخيه المسلم أمر مطلوب في الدين الحنيف كما علمهم أن تشيعهم هذا يكون بمشيهم خلف الجنازة إلى أن يورأى أخوهم في مقر المغفرة والرحمة ان شاء الله تعالى

أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نسير خلف جنازة الميت ليكون برأى منا فتكون قلوبنا وعيوننا ممتلئة برؤيته بل تكون جميع حواسنا متصلة به منصرفة إلى العظة بمصيبة الموت معتبرة بغيبة أحد الأخوة المسلمين وقد كان حياً سليماً مثلهم قائماً على مصالحه الخاصة به عاملاً على مصالح عشيرته واخوانه المسلمين

كذلك يفكرون في قدومه الآن على ربه الذي يعلم من أحواله وأعماله ما ظهر وما بطن راجين له أن يكون من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه وفيهم يقول سبحانه :



(أولئك الذين تَتَقَبَّلُ عنهم أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدَقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)

هذه هي السنة المحمدية الإسلامية التي يَبْنِيها النبي صلى الله عليه وسلم وأمر المسلمين أن يتبعوها في تشييع جنازتهم وأن يتدبرُوا ما فيها من الحِكم البالغة . لينتفعوا بها وهم أحياءُ أَصْحَاءُ . ولينتفعوا بها كذلك أخاهم الذي سَبَقَهُم إلى الآخرة عسى أن يكون تضرعُهُم ودعائُهُم له حسنةً يَقْدُمُ بها على ربه الكريم الذي يقول : ( من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها وهم من فَرَعَ يومئذٍ آمنون )

فعلى المسلمين أن يعرفوا ماجاءهم عن ربهم في دينهم . وأن يَفْقَهُوا الحِكمَ الجليلة التي يَبْنِيها لهم الرسولُ الأمينُ صلى الله عليه وسلم وأن يتركوا ماعداها مما يفرق وحدتهم ويمزق شملهم ويباعد بين قلوبهم من مظاهر التعاضم والمفاخرة وان يتدبرُوا قول الله تعالى : ( والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربك ثواباً وخيراً أملاً ) . حسن منصور

وکیل دار العلوم سابقا

## الطرف والملح

اجتمع رؤساء بني سعد إلى أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ . يستشرونه فيما دَهَمَهُمْ يومَ الْكَلَابِ<sup>(١)</sup> . فقال : ان وهنُ الْكَبِيرِ قد فشا في بدني . وليس معي من حدة الذهن ما أبتدئ به الرأي . ولكن اجتمعوا وقولوا . فاني اذا مررتُ بالصوابُ عَرَفْتُهُ .

وقال الصابي :

وللسر فيما بين جنبي مكمنٌ	خفيٌ قصيٌ عن مدارج أنفاسي
اضنٌ به ضني بموضع حفظه	فأحميه عن أحساس غيري وأحاسي
فقد صار كالمعدم لا يستطيعه	يقينٌ ولا ظنٌ خلق من الناس
كأنني من فرط احتياطي أضعته	فبعضي له وإع وبعضي له ناسي

# اصول الدين

## الاسلام دين الفطرة

قال الله تعالى «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» وقال تعالى ( فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم )  
بينما في مقالنا السابق ان الانسان مفطور على التفكير في نفسه وفيما يحيط به ويتصل بوجوده من العالم وفيما يجد له وامامه من الشؤون والحوادث وان ذلك منه لما أودع فيه من العقل الغريزي ولما ينتابه من التأثير بما يحيط به وان نفسه نزاعة بما أودع فيه من العقل الى تعرف كل شيء يقع عليه بصره وتعرف منشأ كل شيء يحيط به وان هذا النزوع ان هدا في أوقات السراء والرخاء أثارته الشدة وهاجته الضراء ( واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما ) وبيننا كذلك ان هذه النزعة التي تلازم وجوده والتي تذكو حيناً وتخبو حيناً لا تستقر النفس أمامها ولا يطمئن الخاطر حتى تصل الى معرفة منشأ هذا الوجود ومبدأ هذا العالم ومعرفة القوة المهيمنة عليه المنظمة له المدبرة لاحكامه المتصرفه في شؤونه . تلك القوة التي يشعر بها ويعترف بوجودها من أعماق وجدانه وقرارة نفسه وان جهل كنهها وماهيتها . وان الناس في ذلك الشعور يكادون يكونون متساوين ولا خلاف بينهم الا في تحديدها وتعرف صفاتها وقلنا كذلك ان النفس اذا خلت من المؤثرات والتخييلات ولم تسرف في الاوهام وتتطوح في الاحكام ليس أمامها سوى الاعتراف بان هذه القوة المهيمنة المتصرفه المدبرة المحكمة المنظمة يجب أن يكون لها من الصفات ما تشهد به آثارها . فواجب أولا أن تكون ذاتا لها وجود قائم بنفسه لا يستند الى شيء يقوم ويقوم به. فهذه القوة بالضرورة صفة لقوى هو صاحب هذه الآثار وهو الفاعل لكل مظهر لنا اذ كانت القوة التي هي صفة لا بد لها من

موصوف تقوم به وهذا القوى الفاعل يجب أن يكون وجوده مستمداً من نفسه أى أن ذاته تقتضى وجوده أو بعبارة أخرى وجوده لازم لذاته وهو مايسمى في لسان المتكلمين (واجب الوجود) ذلك ان هذه الاشياء التى نراها باعيننا توجد ثم تعدم أو تتحرك أو تسكن فتشغل حيزاً هى محتاجة اليه في وجودها لايمكن أن يكون وجودها مقتضى ذاتها أى لايعقل أن تكون واجبة الوجود فلو كان وجودها واجبا لاستحال عليها العدم وهى ذى توجد بعد عدمها وتعدم بعد وجودها فوجودها وعدمها كلاهما ممكن فلا يحصل الا بمؤثر مغاير لها وكذلك ما رأيناه من الاشياء موجودا ولم نشاهد حال عدمه كاللكواكب والافلاك قد احتاجت في وجودها الى حيز يحويها وحيز تتحرك فيه ولازمتها الحركة التى هى متألقة من حالة تقضت وحالة جدت وكتاها حادثا فالتألف منهما حادث البتة فاللزام لهذا الحادث الذى لا يوجد الا معه يكون البتة حادثا مثله ومتى كان حادثا كان وجوده غير واجب أى يكون ممكنا فلا وجود له من نفسه فوجب أن يكون وجوده من غيره وذلك الغير هو الواجب الوجود .

وبعبارة أقرب انا نشاهد موجودات كانت معدومة ثم وجدت ويلحقها العدم بعد وجودها فلا شك في امكانها وان وجودها مستفاد من غيرها فهذا الغير ان كان ممكنا مثلها فحكمه حكمها ووجوده من غيره وهكذا ولايمكن أن تذهب سلسلة الممكنات الى غير نهاية فلا بد من انتهائها الى موجود يكون وجوده من ذاته وليس مستفيد الوجود من غيره وبه تنتهى السلسلة اذا كان التسلسل لا الى نهاية محالا ومتى وصلنا الى أنه لا بد من موجود يكون وجوده من ذاته وهو واجب الوجود فليكن الجميع مستندا في وجوده اليه ذلك ان الموجود الذى وجوده مقتضى ذاته يكون جميع صفات الكمال الوجودى له من ذاته فهو غنى في وجوده وفي كماله الذاتى عن جميع الاغيار فالواجب في نظر العقل حينئذ أن يكون هناك موجود واجب الوجود مستوف جميع الكمالات، له من صفات التأثير مايمكن به ايجاد هذه الكائنات المحكمة النظام المدبرة على ابداع الوجوه واكملها

احكام واجب الوجود :

بعد أن ثبت بالبرهان ان واجب الوجود موجود أو بعبارة أخرى لابد أن يكون هناك واجب الوجود وان وجود الممكن المشاهد يستلزم قطعاً وجود الواجب وانه لا يمكن وجود شيء من الممكنات الا اذا كان الواجب موجوداً . بعد أن ثبت هذا نقول ان واجب الوجود لابد أن تكون صفاته الكمالية متحققة بالفعل ولا بد أن تكون صفات النقص بعيدة عنه كل البعد بل يجب أن تكون مستحيلة بالنسبة اليه فانه لو فرض صفة كمال تليق به ولم تتحقق له لكان في حاجة الى من يحققها له فلا تكون ذاته مقتضية لوجوده ولو فرض ان صفة من صفات النقص قد لحقتة أو امكن أن تلحقه لكان بحاجة الى من يزيلها عنه أو ينزعه عن قبولها فلم يكن مستغنيا عن غيره في وجوده وكماله اما تحديد هذه الصفات وتفصيلها فقد لا يستطيع العقل ان يستقل بمعرفتها الا بمرشد ومعلم يقوم البرهان على الثقة به والطمأنينة اليه

نعم هناك صفات يستطيع العقل البشرى أن يجزم بها ولا يقبل شكا ولا ترددا فيها تلك هي صفات التأثير وما تتوقف عليه وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة فهذه الصفات الاربعة يقضى بها وجود هذه الآثار البديعة والنظام المحكم والعوالم المتقنة وكلما اطلعت العقول على مافي الكون من حكم واسرار ووجوه اتقان زادت استمساكا في يقينها بان مبدعها ومنشئها يجب أن يكون متصفاً من هذه الصفات باكمل معانيها ، اما القدرة فامرها بين فبديهة العقل قاضية بان من أوجد هذا الكون الذي كلما اتسعت دائرة العلم الانساني بدقائقه تبين عجزه عن الاحاطة بجميعها-يجب أن يكون له من القدرة مايقوم بهذا اليجاد . واما الارادة والمشئة فكذلك فان هذا التدبير والتنظيم وايتاء كل شيء كماله لايمكن أن يكون ناشئاً عن المصادفة حيثما كان بل هو ناطق بانه سبق وجوده ارادة خصصته بهذه الحالة التي تناسب، والعلم لايقبل عنهما وضوحا فان الذي اختار اكل الوجوه واليقها بكل عالم على حياله لابد أن يكون عالماً بها قبل اختيارها وعالماً بالوجوه الممكنة غيرها حتى اخار هذا الوجه الانسب من بينها ، واما حياة فلان هذه الصفات المذكورة لا تقوم الا بمن اتصف بالحياة

بقى بعد ذلك من الصفات التي قرر علماء الكلام وجوب اعتقاد أن الخالق متصف بها ثلاث صفات وهى الكلام والسمع والبصر — وهذا في غير صفات التنزيه وسيجىء الكلام عليها — فاما صفة الكلام فانا قد عرفنا مما سبق ان النفوس كثيرا ماتخضع في تفكيرها الى مؤثرات تستولى عليها وظروف تحيط بها فكثيرا ماتصرفها عن الجادة وربما كان من الناس من له من قوة اللسان ما يروج به أى خاطر يخطر بباله دون أن ينضجه بحثا وتفكيريا فيفضل ويضل ومن الناس من تراه في تفكيره ضعيفا قصير النظر يحتاج الى من يبيصره بالهدى ويرشده الى الحق ومن الناس من أحرز قوة التفكير الصحيح يهتدى به الى الصواب ولعل في عبارته قصورا عن قوة الاقتناع وقد يحوز الشخص قوى التفكير والابانة ولكن لا يكون له من قوة النفوذ ما يلزم غيره باتباعه وهكذا ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ولقد شهدنا من آثار الموجد الاعظم ما يدلنا على ان الرحمة متجلية في كل خلقه فهل من هذه آثار رحمته يمكن أن يتجرد عن صفة الهداية يهدى بها الناس وينقذهم من حيرتهم وضلالهم ويردهم الى الحق والرشاد في احكامهم وهل تجبىء الهداية الا بالافهام وهل الافهام الا بالكلام يوصله الى الناس بالطريق الذى يختاره لهم وهنا ينبغى أن نشرح معنى صفة الكلام بما يقربه للافهام فنقول تستعمل هذه المادة ( الكلام ) على ثلاثة أوجه فتقول تارة فلان جلس يتكلم مع فلان تريد به هذه الحادثة اللفظية ذات الحروف والاصوات وتارة تقول انت في نفسك كلام أو هذا الذى تقوله غير الكلام الذى في نفسك أو انا فاهم الكلام الذى في نفسك كل هذا لايراد به تلك الالفاظ المسموعة ذات الحروف والاصوات وانما يراد به تلك المعانى التى تصورها النفس مرتبة معدة للتفهيم والكلام هنا معنى نفسى قائم بنفس المتكلم اذا اطلعت عليه وادركته باى طريق من طرق الادراك فهتم مدلوله بواسطته ويسمى الكلام النفسى وهو الذى يشير اليه البيت المشهور

ان الكلام لى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا  
وتارة تقول فلان رجل متكلم وفلان متكلم اكثر منه أو أعظم منه أو أقوى

في الكلام منه تريد بذلك صفة في النفس بها الاقتدار على صوغ الكلام حسبما يراد  
فهى من الملكات الثابتة وهى صفة واحدة تنشأ عنها آثار متعددة بحسب المقامات  
والاحوال

فاما الكلام بالمعنى الاول الحروف والاصوات المسموعة فلا يقوم بذاته  
تعالى اذ كانت تلك الاصوات حادثة لا تقوم بالذات القديمة ، واما المعينان الاخيران  
فلا مانع من قيامهما بذاته تعالى فالمعنى الاول يشبه قيام علم المعلومات المتكثرة  
بذاته تعالى أو كتعلقات العلم ، والمعنى الثانى شأنه شأن بقية الصفات من القدرة  
والارادة

وانما تعرضنا لهذه النبذة وان كانت من غير ما كلامنا فيه اذ كنا بصدد ما تهدى  
اليه الفطرة في نسبة ما يليق بذاته تعالى لان هذا الموضوع مما كثر فيه الكلام بين  
علماء هذا الفن حتى قالوا من أجلها سمى علم التوحيد كله علم الكلام لكثرة ما وقع  
في هذه المسألة من الكلام

ولنعد لما كنا بصدد فنقول ان الذى خلق الخلق بحكمته وشملهم برحمته وتداركهم  
بلطفه يقضى العقل السليم بان يكون منه ما ينقذهم من حيرة هم لها متعرضون  
ويخرجهم من ظلمات الجهالة والشكوك الى نور العلم واليقين وذلك بان يفهمهم الحق  
ويهديهم الى الصواب وينير لهم سبل الرشاد وان من أعظم أبواب الرحمة رحمة  
الهداية واخراج النفوس من الظلمات الى النور وذلك أثر صفة الكلام ولما كانت  
نفوس البشر لا تقوى على فهم الكلام الا بالكيفية التى افوها من حروف وأصوات  
وكان قيام هذا بذاته تعالى محالا على ما عرفت اصطفى من خلقه من آتاه قوة هذا  
الفهم ليفهم عنه ويفهم الناس رحمة ولطفا واحسانا فاصطفى من الملائكة رسلا الى  
الانبياء واصطفى من الناس رسلا الى سائر الخلق فتارة يكلمهم وتارة يلهمهم وتارة يرسل  
اليهم الملك (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا)  
واما السمع والبصر فهما من صفات الكمال التى يحكم العقل بوجوبها للخالق  
العظيم وان توقف في تحديدهما وهل هما راجعتان لصفة العلم أو يحصل بهما انكشاف  
مغاير للانكشاف الحاصل به

موقف الدين في هذه المقامات — يصح لنا بعد هذا أن نتسائل عن موقف الدين بالنسبة لهذه المقامات وما احكامه فيها وما أثره اذ كانت هذه الاحكام مما تقضى به الفطرة

والجواب اما موقفه بالنسبة اليها واحكامه فيها فقد قررها وبسطها وبرهن عليها وبين مظاهرها وتجلياتها في هذا الكون بما يزيدنا رسوخا في النفس ويجعل النفس مطمئنة لها متمسكة بها مستيقنة لها وقد نوع الاساليب في التعبير عنها لزيادة تقريرها وتمكينها في النفس ( الله لا اله الا هو الحى القيوم ) ( وسع كل شئ علما ) ( وهو بكل شئ عليم ) ( ان الله على كل شئ قدير ) ( وربك يخلق ما يشاء ويختار ) ( وكلم الله موسى تكليما ) ( وهو السميع البصير ) والآيات في هذه الصفات اكثر من أن تحصى واطهر من أن تخفى ولا تكاد تتلو بضع آيات من الكتاب الحكيم الا وجدت صفات التمجيد مثبتة فيها تتلأل بين ثناياها لكل مناسبة اقتضتها اذ كان التمجيد الالهى اكبر ما يقصد من الدين

### صفات التنزيه

قد جرت عادة الكثيرين من المتكلمين في العقائد الالهية أن يقدموا الكلام في صفات التنزيه على الكلام في صفات التمجيد ولكن سياق كلامنا مع ما يفيد النظر الصحيح في هذا الكون والتدرج مع العقل من أول ما ينظر الى آخر ما ينتهى به الفكر وكان أول النظر في الكون انما يعطى صفات التأثير وما تتوقف عليه من العلم والقدرة والارادة ، والحياة كان حقا علينا أن نقرر تلك الصفات وباقي صفات المعانى أولا ثم تنتقل الى صفات التنزيه وهى خمس صفات القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية وهذه هى الصفات التى تعرض لها علماء التوحيد تفصيلا ولكن الواجب اعتقاد تنزيه الخالق عن كل مالا يليق به

فاما الصفات الاربع الاولى فهى من مقتضيات وجوب الوجود الذى برهنا عليه فيما سبق أو متى كان وجود خالق العالم واجبا أى لا يقبل العقل أن يكون

معدوما أى يستحيل أن ينتفى كان قديما البتة ومعنى كونه قديما أنه لا أول لوجوده  
أى لم يسبق وجوده عدم ومعنى البقاء أنه لا يلحق وجوده عدم فعنى هاتين الصفتين  
أنه لم يكن معدوما قبل وجوده ولا يلحقه عدم بعد وجوده فهو الاول والاخر  
والبرهنة على وجوب الوجود أى استحالة العدم كافية في اثبات صفى القدم  
والبقاء واما المخالفة للحوادث فعناها انه لا يشبه شياً من المخلوقات فليس بجسم ولا  
عرض ولا يجوز عليه الحلول ولا الاتحاد ولا يحيط به مكان ولا حدود ولا نهايات  
والعقل وان صعب عليه في أول الامر تصور موجود ليس بجسم ولا حال فيه ولا  
متصل به ولا يحيط به حدود ولا يتحيز في مكان فانما ذلك لتقيده بالمولف والاخير  
يدقق النظر ويعلم ان هذه سمات الحدوث وخصائص الممكنات وان مكونها يجب  
الا يكون مماثلاً لها والا احتاج احتياجها وافترق الى من يحدده ويشكله وافترق الى  
المكان الذى يحويه ويتحيز فيه فلم يكن له عليها فضل الایجاد ولم يتميز عنها تميز الغنى  
المطلق نقول حين يدقق النظر ويعلم ان الوجود لم يتقيد بهذه القيود الا للوقوف  
عند المشاهد المألوف يدعن لاحالة للاعتراف بانه خالق تلك المحدثات لا يشبهها  
ولا يتسم بسمه خلقه ( ليس كمثل شىء وهو السميع البصير ) واما قيامه بنفسه فعناها  
انه لا يحتاج الى ذات يقوم بها كما تحتاج الاعراض والصفات والقوى الى ما تقوم به  
وهذه الصفة كما ترى كالتممة للصفات الثلاث السابقة

الوحدانية — أما هذه الصفة فقد غيت الشرائع بتقريرها اتم عناية  
اذ قد اخطأ فيها الانسان في جميع ادواره واطواره ودخل على العقول أمر الشرك  
من مسالك شتى منها ماهو خفى ومنها ماهو ظاهر ولعل السر في ذلك أمران  
الاول : ولوع النفس بالركون الى ما تشاهدهه بابصارها وصعوبة الاقتناع بوجود  
شىء ليس من جنس ما الفته من الاجسام والمتحيزات والامر الثانى تباعد الآثار  
التي صدرت عن القادر الخلاق حتى تعاصى على الافهام القاصرة أن تكون كلها  
على اختلافها وتباينها راجعة الى قادر واحد فاما اصحاب الغلظة الاولى فهم الوثنيون  
على اختلاف نحلهم ففهم من عبد الكواكب ومنهم من عبد الحيوانات ومنهم من عبد



الاصنام ومنهم ومنهم الخ. ومرجع الكل أن يكون امام النفس محسوس مرئى تقتنع بوجوده فتمثل فيه تلك القوة التى ملأت جوانحها واذنعت لوجودها وعجزت عن تحديدها فاخذت تمثلها في الكائنات التى مثلتها لها نفسها فاما ابتداء بالعبادة لها واما تقريبا للتصور في أول الامر ثم انقلابا في الحال الى عبادتها على توالى الازمان واما أصحاب الغلظة الثانية فهم الذين استبعدوا أن يصدر العلم كله على ما فيه من اختلاف في نظرهم القاصر اذ كان يحوى ما يرونه خيرا وما يرونه شرا بحسب زعمهم فقالوا لا بد أن يكون هناك قوتان هما مصدر الوجود واحدة للخير كمنح الحياة والحلق والرزق واخرى للشر كجلب الامراض والموت والفناء والعجيب في أمرهم أن يقولوا ان مصدر الخير فكر مرة في الشر فنشأ عنها اله الشر فكان منه ما كان ثم هم يزعمون مع ذلك ان مصدر الخير لا يكون مصدرا للشر وفاتهم انه متى كان هو الذى فكر فنبت من فكرته مصدر كل هذا الشر على زعمهم فكيف لا يكون هو المصدر ولكن المتناقضات عند امثال هؤلاء ليست مما يستغرب ولا مما يتعجب منه وعلى الجملة فالشرك في أمر الالهية قد دخل على الجماهير من عدة نواح ومنها الشرك الحقيقى وهو الارتباط بالاسباب المباشرة والغفلة عن مبدعها وربط أحكامها ومدير نظامها

وما أجل قول بعضهم مثل الواقف عند الاسباب المباشرة مثل من يقتناظ من القلم الذى كتب به أمير أمر عقوبته فيكسر ذلك القلم اذ كان هو الذى خط ذلك الامر ولو ارتقى بنظره قليلا لقال لا ذنب للقلم وانما الذنب للانامل التى حركته ولو ارتقى فوق ذلك لقال وما للانامل انما يلى على الجوارح ذلك من القلب الذى حرك تلك الانامل واملى عليها ما اراد

هذا شأن الشرك وهذه بلواه وهذا عمومها ولذلك كانت العناية بازالته في نظر الشرائع وتكرار التنبيه على الوحدانية تزيد على ماعداها وانا نبدأ في برهان الوحدانية بما قرره علماء الكلام ثم نشئ ببعض ماورد من الآيات البينات في الذكر الحكيم دليلا عليها

## برهان وجوب الوحدةانية

الدعوى واجب الوجود الصانع للعالم يجب أن يكون واحداً وذلك انه لو أمكن وجود الهين لا يمكن أن يتانعا أى لا يمكن أن يريد أحدهما شيئاً ويريد الآخر ضده بان يريد أحدهما وجود كوكب معين مثلاً ويريد الآخر عدمه وذلك لان الارادة لا تتوقف الا على شيئين الامكان من جهة المراد وذات الواجب من جهة المرید ووجود الكوكب وعدمه كلاهما ممكن وذات الواجب متحققه فيهما على الفرض المذكور وهو التعدد فلو أمكن الهان واجبا الوجود لكل منهما من القدرة والارادة والعلم ما استدعيه وجوب وجوده لا يمكن أن يريد كل منهما شيئاً ويريد الآخر ضده وهذا معنى قولنا لا يمكن بينهما التمانع لكن امكان التمانع باطل فما ادى اليه وهو امكان تعدد الاله باطل فثبت وجوب الوحدة وانما كان امكان التمانع باطلا لان التمانع مستحيل وامكان المستحيل مستحيل ووجه استحالة التمانع أنه لو فرض وقوعه لزم المحال فانه لو فرض انهما تمانعا فاما ان ينفذ مرادهما معا فيلزم اجتماع الضدين أو يتعطل مرادهما معا فيلزم عجز واجبي الوجود وهو محال اذ وجوب الوجود يقتضى كل صفات الكمال اللاتئة بالفعل أو يتعطل مراد أحدهما فيلزم عجز الآخر وهو واجب الوجود كما فرض وذلك محال والآخر مثله اذا تعطل أيضا فان فرض ان أحدهما ينفذ مراده باطراد فهو المنفرد بالالهية ووجوب الوجود ويبطل الآخر وهو واجب الوجود كذلك وذلك محال واذا كان التمانع يؤدي وقوعه الى أحد ثلاثة أشياء كل منهما مستحيل كان التمانع مستحيلا واذا كان التمانع مستحيلا كان امكانه باطلا واذا بطل امكان التمانع بطل ما ادى اليه وهو امكان التعدد واذا بطل امكان التعدد كان التعدد مستحيلا فكانت الوحدة واجبة وهو المطلوب

وانما سقنا هذا البرهان بخصوصه على الطريقة الكلامية والاسلوب المنطقي مع أن الكلام مسوق للجمهور ولعل فيهم من لم يدرس الصناعة الكلامية — لان هذا البرهان بهذه الطريقة من الوضوح بحيث لا يتعاصى فهمه ولانه كثر ايراد

التشكيكات على الوجوه التي قرروها وهو بهذا سالم من كل الايرادات فانه لا يقال عليه يجوز أن يتفقا لاننا لم نجعل اللازم الباطل انهما يختلفان بل جعلناه جواز الاختلاف ولاشك أن جواز اتفاقهما لا يمنع جواز اختلافهما وهو ما ابطناه ولا يقال عليه أيضا يجوز أن أحدهما في الممكن وان كان ممكنا في ذاته ولكن تعلق ارادة أحدهما منعت تعلق ارادة الآخر وذلك لانهما متى كانا الهين واجبي الوجود فكل حال تفرض فيها أنه يجوز تعلق ارادة أحدهما بجوز فيها تعلق ارادة الآخر وليس لاحدهما خصوصية السبق فان كان أحدهما مختصا بالسبق فافرضه لها وادفع الآخر وان تشابها عجز كل منهما وايضا فان كلا منهما يكون قد امتنعت ارادته لوقوف الآخر في سبيله وهذا هو التعجيز والعجز وهو محال على الاله فالدليل بهذا الاسلوب واضح لاغبار عليه

واما أدلة ذلك من آي الذكر الحكيم فما اكثرها وما أظهرها قال تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) ( اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ) ( ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ) ( أفمن يخلق كمن لا يخلق ) وهكذا مما لا يحصى كثرة .

واذا شئت أن يزيد اطمئنانك بنظرك المجرد فاطل التأمل في هذا العالم ودقق النظر فيما حوى من دقة نظام ومتانة واحكام وكيف ارتبطت أجزاؤه بعضها ببعض حتى كونت على تباعدها وتباينها وحدة كاملة دقق النظر تجددها صادرة عن تدبير واحد وعلم واحد وصانع واحد

وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد

بعد هذا البيان تجد العقيدة الاسلامية في شأن الاله أوضح مما يمكن فهمي لاتخرج عن اعتقاد أن لهذا العالم الممكن موجدا واجب الوجود وهو حي عليم قدير مرید متكلم بكلام نفسي سميع بصير وهو واحد لا شريك له قديم لا أول له باق لا آخر له قائم بنفسه لا حاجة به الى غيره ( ليس كمثل شيء وهو السميع البصير )

( هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ) .

ابراهيم الجبالى

المدرس بقسم التخصص بالازهر الشريف

## الطرف والملح

وَفَدَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ عَلَى كَسْرَى . فَأَكَلَ عِنْدَهُ الْفَالُوذَ . فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ :  
هَذَا الْفَالُوذُ . قَالَ : وَبِمَ يُصْنَعُ ؟ قِيلَ : لُبَابُ الْبُرِّ يُلَبَّكُ مَعَ عَسَلِ النَّحْلِ . قَالَ : أَبْغُونِى  
غَلَا مَا يَصْنَعُهُ : فَأَتَوْهُ بَغْلَامٌ يَصْنَعُهُ . فَابْتَاعَهُ . ثُمَّ قَدِمَ بِهِ مَكَّةَ . فَأَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ الْفَالُوذَ  
فَفَعَلَ . ثُمَّ وَضَعَ الْمَوَائِدَ مِنَ الْأَبْطَحِ<sup>(١)</sup> إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ . ثُمَّ نَادَى مُنَادِيهِ : أَلَا مَنْ أَرَادَ  
الْفَالُوذَ فَلْيَحْضُرْ . فَخَضَرَهُ النَّاسُ . وَكَانَ فِيْمِنْ حَضَرَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ . فَقَالَ :

وَمَالَى لَا أَحْيِيَّهِ وَعِنْدَى مَوَاهِبٌ قَدْ طَلَعْنَ مِنَ النَّجَادِ<sup>(٢)</sup>

لِأَيُّضٍ مِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ تَيْمٍ وَهُمْ كَالْمَشْرِفِيَّاتِ<sup>(٣)</sup> الْحِجْدَادِ

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ هَادٍ<sup>(٤)</sup> وَرَأْسٌ<sup>(٥)</sup> وَانْتَ الرَّأْسُ تَقْدُمُ كُلَّ هَادٍ

عِمَادُ الْخَيْفِ<sup>(٦)</sup> قَدْ عَلِمْتَ مَعْدُ وَانِ الْبَيْتِ<sup>(٧)</sup> يُرْفَعُ بِالْعِمَادِ<sup>(٨)</sup>

لَهُ دَائِعٌ بِمَكَّةَ مُشْمَعَلٌ<sup>(٩)</sup> وَآخِرُ فَوْقِ دَارَتِهِ<sup>(١٠)</sup> يِنَادِى

إِلَى رُوحٍ<sup>(١١)</sup> مِنَ الشَّيْزَى<sup>(١٢)</sup> مَلَأَ<sup>(١٣)</sup> لُبَابَ الْبُرِّ يُلَبَّكُ بِالشَّهَادِ

هَذَا — وَابْنُ جُدْعَانَ هَذَا . مِمَّنْ تَرَكَ شَرْبَ الْخَمْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

(١) موضع بمكة . وهو الخصب (٢) جمع نجد . وهو المكان المرتفع من الارض . ومراده ان خلق السكرم فد ورثته الممدوح من آبائه الاولين (٣) السيوف القاطعة (٤) عنق . والمراد به التابع (٥) المراد به المتبوع (٦) موضع بنى الخيمة (٧) الخيمة (٨) العمود (٩) نشيط ظريف (١٠) قبيلته وقومه (١١) جمع ردة . وهي الجفنة (١٢) خشب اسود وتنخذ منه الجفان (١٣) جمع ملائى . أى مملوءة لباب البر المعجون بعسل النحل

# أصول الفقه

## الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان

بناؤها على حفظ المصالح ودرء المفساد

القوانين العادلة هي التي تقوم على رعاية حفظ المصالح ودرء المفساد، ولا يختلف علماء الإسلام في أن أحكام الشريعة قائمة على رعاية هذين الأصلين ، وإذا كانت المصالح والمفساد قد تخفى في بعض ما يشرع على أنه عبادة فإن الأحكام المشروعة لغير العبادات من آداب الاجتماع ونظم المعاملات والجنايات لا تنقص العقول السليمة عن ادراك أسرارها ، ومن الميسور تقريرها على وجه يظهر به فضل الشريعة السماوية على القوانين الوضعية

يقرر الباحثون عن حكمة التشريع من علمائنا أن المصالح أربعة أنواع : الذات واسبابها، والافراح واسبابها ، وأن المفساد أربعة أنواع: الآلام واسبابها ، والغموم واسبابها ، ويسمون الذات والافراح بالمصالح الحقيقية ، وأسبابها المصالح المجازية، كما يسمون الآلام والغموم بالمفساد الحقيقية، وأسبابها المفساد المجازية. ويذكرون أن المصالح المحضة كالمفساد المحضة نادرة الوجود ، وأكثر الوقائع ما تجتمع فيه المصلحة والمفسدة، فما كان مصلحة محضة فحكمه الاذن قطعاً ، وما كان مفسدة محضة فحكمه النهي بلا مرأى، فاما ما يكون مصلحة من ناحية ومفسدة من ناحية أخرى ، فالشارع الحكيم ينظر الى الأرجح منهما ويفصل الحكم على قدر الأرجحية ، فما رجحت مصلحته على مفسدته اذن فيه على وجه الإباحة أو الندب أو الوجوب ، وما رجحت مفسدته على مصلحته نهى عنه على وجه الكراهة أو التحريم

التفقه في الادلة السمعية : ذكرنا فيما سلف ان من احكام الشريعة ما يدل عليه

آية أو سنة صريحة كتحريم الجمع بين الاختين والقضاء للذكر في الارث بمثل حظ الانثيين، والقصاص، وقطع يد السارق والسارقة، وهذا النوع من الاحكام لا يختلف أئمة الدين في أنه شريعة عامة باقية ، ولا يجوز لولى الامر اهماله ولا أن يستبدل به غيره

وربما دعت الضرورة الى ارجاء اقامة الحسد كما أخر الامام على رضى الله عنه القصاص من قتلة عثمان مرتقبا وقتا يتمكن فيه منهم وهو آمن من عصبيتهم، وفي سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الايدى في الغزو ، وروى أن عمر ابن الخطاب كتب الى الناس : أن لا يجلدن أمير جيش ولا سرية ولا رجل من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب قافلا لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالعدو .

وقد تطرأ حال عامة تجعل ولى الامر في ريب من أن تكون واقعة أخذ المال خفية من قبيل السرقة المفروض فيها حد القطع ، فيكف يده عن اجرائه ، وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسقط قطع يد السارق في عام المجاعة لان الحاجة كانت غالبة ، فمن المحتمل القريب وقتئذ أن يكون الدافع الى السرقة اضطراره الى مايسد رمقه وينقذه من التهلكة

ولا يلحق بمثل هذا الحال أن تعتل اذواق قوم وتساورهم شهوات طائشة فيقيموا هذه الاذواق مقام العقل، وتلك الشهوات مقام المصلحة، فينكروا ما فرض الاسلام على الزانى أو شارب الخمر من عقوبة . وعلى حكماء الامة أن يعالجوا هذه الاذواق حتى تسلم من مرضها ، ويقوموا تلك الشهوات حتى تعود الى حال اعتدالها

يدخل الاجتهاد الادلة السمعية على النحو الذى ذكرنا ، ويدخلها من جهة الاطلاق والتقييد ، اما الاطلاق فكما قال تعالى ( ياايها الذين آمنوا لاتأكلوا الربو أضعافا مضاعفة ) فاطلق الائمة في تحريم الربا وعدوا قوله تعالى «أضعافا مضاعفة» من قبيل ماروعى فيه حال ماكانوا يفعلون وقت نزول الآية ، ومن أدلة هذا الاطلاق قوله تعالى (وان تبتم فلکم رؤوس أموالکم) فهو صريح في حرمة الربا كثيره وقليله

ومن أمثلة هذا أن الله تعالى حرم على الرجل نكاح ربيته فقال (وربائبكم اللاتي في حجبوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) وظاهر الآية أن المحرمة بنت الزوجة التي تكون في حجب الزوج ، ولكن الائمة تفقهوا في هذا الوصف فلم يظهر فيه أثر للتحريم فأولوه على أنه من قبيل الأوصاف التي ترد في الكلام البليغ من جهة أنها الحال الغالبة في الموصوف، وافتوا بتحريم الربية على زوج امها وان لم تكن في حجبها واما التقييد فكحديث النهى عن بيع الماء فقد خصصه الامام مالك بآبار الصحراء التي تتخذ في الارضين غير المملوكة فيكون صاحبها الذي حفرها أولى بها ، فاذا قضى منها وطره ورويت ماشيته ترك الفضل للناس من غير ثمن ، واستند الامام في هذا التخصيص وصرف النهى عن بيع الماء في الارض المملوكة الى الاصل الذي ورد به السمع وانعقد عليه الاجماع وهو أنه لايجل مال أحد الا بطيب نفس منه. ومن أمثلة هذا الباب حديث ( شاهدك أو يمينه )

فظاهر الحديث أن اليمين حق على كل منكر ولكن الامام مالكا قيده بحال ما اذا كان بين المتقاضين خلطة ، وانما قيده بقاعدة درء المفسد ، اذ أخذ الحديث على اطلاقه يجري السفهاء على أهل الفضل فيستطيعون أن يوجهوا عليهم متى شاءوا دعاوى ويقفوههم للحلف ايلاما وامتهانا

يقيده المجتهد النصوص أو يطلقها على ما تقتضيه الادلة السمعية والاصول الشرعية، ولا يصرف نظره عن النص جملة الا أن يثبت لديه أنه منسوخ، أو يعارضه ما هو أقوى سندا أو دلالة ، أو يكون الحكم مربوطا بشئ على أنه علة مشروعته ، وتزول هذه العلة فيتبعها الحكم وتدخل الواقعة في نص آخر أو تحتاج الى حكم من المجتهد يطابقها

ومثال هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك صلاة التراويح في جماعة وقال في وجه تركها ( ولم يمنعني من الخروج اليكم الا أنى خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتمعجروا عنها ) وقد زالت بوفاته عليه الصلاة والسلام الخشية من أن تفرض عليهم ، ولهذا أقامها عمر بن الخطاب بعد وقال « نعم البدعة هذه »

وقصر الحكم على حال وجود العلة متى كان منصوفا عليها أمر واضح لاشبهة فيه ، وقد يجيء الحكم مجردا من ذكر العلة فيقررها المجتهد استنباطا ويجعل الحكم مقصورا على حال هذه العلة المستنبطة ، ومن هذا القليل أن المؤلفلة قلوبهم قد ذكروا في آية مصارف الزكاة ( انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ) الآية .

فراى بعض الائمة أن علة جعلهم في مصارف الزكاة الحاجة في بداية الاسلام الى تكثير أنصاره أما حين قويت شوكته ، وكثر اتباعه وحماته ، فقد زالت الحاجة الى تأليف المخالفين وسقطوا من مصارف الزكاة

ومن أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام ما يحمله المجتهد على أنه صادر منه بصفة الامامة لأنه حكم عام كسائر أحكام الشريعة التي يراد بها التبليغ، ومثال هذا قوله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين (من قتل قتيلًا فله سلبه) فان من الائمة من يذهب في هذا الى أنه تصرف من جهة الامامة وأنه منظور فيه الى ما اقتضته المصلحة في تلك الغزوة، فلقائد الجيوش من بعده أن لا يجعل سلب القتيل للقاتل حيث لم تدع الى ذلك مصلحة. ولهذا النوع من أقواله عليه الصلاة والسلام ناحية يرجع بها الى التشريع وهي أنه يجوز لولى الامر أن يجتهد ويقول «من قتل قتيلًا فله سلبه» أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرده عن هذا القول أن السلب من الغنيمة ، والغنيمة في أصلها ملك للمجاهدين ، أو أن هذه المنحة تنقص الاخلاص وتجعل بعض الجند يقاتل للسلب لا لأعلاء كلمة الله

هذه الوجوه التي يدخل منها الاجتهاد الصحيح عند التفقه في الادلة السمعية ، وههنا قد تزل أقدام بعض الناظرين في عجل ، أو يقتضح بعض من يكيدون للشريعة من طريق التأويل، حيث يعمدون الى بعض النصوص الشرعية ويذهبون في تفسيرها مذهبا يخرجون به عن مقاصد الشريعة أو ينقضون به أصلا من أصولها

وجهور أهل العلم على أن الاحكام المقررة بطريق السمع وليس للمجتهد أن يتعدها هي ما جاء في كتاب أو سنة أو اجماع ، وقول الصحابي فيما لا يقال بالرأى



هو من قبيل المرفوع فهو داخل في السنة ، أما قوله الذى يمكن أن يكون اجتهدا فليس بحجة تقطع غيره عن الاجتهاد ، لان الصحابي غير معصوم عن الخطأ ولأن الصحابة كانوا يختلفون فيما بينهم من غير انكار ، وما يقع في موطا مالك من ذكر قول الصحابي في مقام الاحتجاج انما يأتي به الامام في معنى التأييد لاجتهاده أو للترجيح بين الاخبار عند اختلافها ، قال القاضى أبو بكر بن العربي في شرح حديث (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ) من سنن الترمذى ، أمر بالرجوع الى سنة الخلفاء وهو يكون على أمرين : الأول التقليد لمن عجز عن النظر ، والثاني الترجيح عند اختلاف الصحابة ، فيقدم فيه الخلفاء الأربعة أو أبو بكر وعمر ، والى هذه النزعة كان ينزع مالك ، ونبه عليه في الموطا »

واعتماد الامام مالك على عمل أهل المدينة فيما لا مجال للرأى فيه أو فيما كان طريقه النقل المستفيض كالصاع والمد والاذان والاقامة يرجع الى الاحتجاج بالسنة فان العادة تقتضى أن يكون عملهم هذا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، اذ لو تغير تغير عما كان عليه الوحي لعلوه ، واذا قدم عمل أهل المدينة الذى هو في معنى السنة على خبر الاحاد فالما قدم على خبر الاحاد سنة يراها أمتن سنداً وأقوى ، وانكر بعض أصحابه أن يكون قد وقع منه تقديم عمل أهل المدينة على الحديث الصحيح ، قال أبو بكر بن العربي في كتاب العارضة « ومن لا تحصيل له من أصحابنا يظن أن مالكا يقدم عمل أهل المدينة على الحديث الصحيح ، ولم يفعل ذلك قط ، ولا ترك مالك قط حديثاً لاجل مخالفة أهل المدينة له بعملهم وفتواهم »

لا يدخل الاجتهاد في النصوص المحكمة الا بنحو الاطلاق أو التقييد على مقتضى الأصول الصادقة ، وهذا واضح بنفسه فيما اذا كان النص قرأنا أو سنة متواترة ، أما خبر الاحاد فان لم يره المجتهد معارضاً لأصل آخر وجب العمل به عندأئمة الدين بلا مرأء ، كما أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخبر عبد الرحمن بن عوف في أخذ الجزية من المجوس ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم ( سنوا بهم سنة أهل الكتاب <sup>(١)</sup> )

أما اذا ورد خبر الاحاد وكان فيما يظهر معارضا لقاعدة أو قياس صحيح فهذا موضع نظر أهل العلم واختلاف آرائهم ، فمنهم من يقدم الحديث على الاقيسة والقواعد يظهر هذا من قول الامام الشافعى : اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولى الحائط ، وقوله : اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الاسناد به فهو المنتهى ، وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة : لا قول لاحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صح الخبر .

ونجد آثارا كثيرة عن الصحابة تدل على انهم كانوا يتركون القياس لحبر الواحد كما ترك عمر بن الخطاب القياس في الجنين لحبر حمل بن مالك في ايجاب غرة عبد أو أمة وقال لولا هذا لقضينا فيه برأينا<sup>(١)</sup> ، وروى انه ترك القياس في تفريق دية الاصابع على قدر منافعتها حين روى له حديث ( في كل أصبع عشر من الابل )

ويقول بعض المتمسكين بالحديث في كل حال : انه لا يوجد حديث ثابت على خلاف القياس الصحيح ، وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الاصناف بحكم يفارق به نظائره ، فلا بد أن يختص ذلك الصنف بوصف يوجب اختصاصه بالحكم ويمنع مساواته لتلك النظائر ، لكن الوصف الذى اختص به الصنف قد يظهر لبعض الناس ويختفى على بعض ، فمن رأى شيئا من الشريعة مخالفا للقياس فانما هو مخالف للقياس الذى انعقد في نفسه لا للقياس الصحيح الثابت في نفس الامر ، وقد جاء هؤلاء الى كل ما جاءت به السنة من أحكام كالساقاة والمزارعة وبيع العرايا<sup>(٢)</sup> ، وبسطوا في بيان الفرق بينها وبين أفراد القياس الذى ادعى أنها جاءت على خلافه

والواقع أن الذين يسمون مثل المساقاة والسلم والمصراة<sup>(٣)</sup> خارجة عن القياس يعترفون بأنه انضم الى هذه الابواب ما جعلها تخالف سائر أفراد القاعدة التى يبدو لأول النظر أنها من مشمولاتها ، وهذا عز الدين بن عبد السلام يقول في قواعد المصالح « أمر الله تعالى باقامة مصالح متجانسة واخرج بعضها عن الامر اما لمشقة

(١) رواه ابو داود (٢) أت يهب الرجل لآخر النخلة ثم يتاذى بدخوله لها فيخرص ثمها ويشتره منها بتمر (٣) المصراة هي التى صرى لهنها أى حبس وجمع فلم يجب أياما ، وقد جاء في الحديث الشريف أن مشترها متى احتلها يكون بخير النظرين : اما أن يمكها أو يرداها وصاع تمر

ملاستها واما لمفسدة تعارضها ، وزجر عن مفسد متماثلة وأخرج بعضها عن الزجر  
أما لمشقة اجتنبها ، واما لمصلحة تعارضها »

ومن أهل العلم من يقدم القاعدة والقياس الذى تكون مقدماته قاطعة على خبر  
الواحد ، وقد تردد أصحاب الامام مالك في مذهبه فروى عنه أصحابه العراقيون  
تقديم القياس على الخبر ، وروى عنه المديون والمغاربة تقديم الخبر على القياس ،  
والتحقيق أن للامام في كل حديث يتعارض مع القياس نظرا خاصا ، فيقدم مثلا --  
الحديث الذى تعضده قاعدة أخرى كحديث العرايا عارضته قاعدة الربا وعضدته  
قاعدة المعروف

فقد أريناك أيها القارىء النبىه كيف كان علماء الاسلام يرفعون عند التفقه في  
الكتاب والسنة قاعدة حفظ المصالح ودرء المفسد ، وأن ما جاء به القرآن والسنة من  
الاحكام المفصلة كفيل بحفظ مصالح الوقائع أو درء مفسدها، وفي استطاعة الراسخين  
في العلم أن يبينوا ما حفظته من المصالح أو درأته من المفسد بيانا كافيا

وإذا كان من لازم الاحكام العادلة حفظ المصالح أو درء المفسد ، فليس من  
شرط كل حكم أن يتغير باختلاف العصور أو المواطن ، فان الواقعة قد تشتمل  
بطبيعتها على مصلحة أو على مفسدة لا يختلف حالها باختلاف العصور والمواطن ،  
فيكون لها حكم واحد لا يتغير الا أن يتغير حال الواقعة نفسها ، ومن الذى يعقل أن  
يكون القصاص مثلا زاجرا عن القتل مقللا لوقائعه في عصر أو موطن دون آخر ،  
والحقيقة أن حكم الواقعة انما يتجدد عند ما تتغير طبيعة الواقعة ، وان الحكم  
المشروع للواقعة بحق قد يبقى حكمها العادل ولو مضت عليه احقاب ، حتى يعرض لها  
من الاحوال ما يستدعى تفصيل حكم غير ما شرع لها أولا ، ومن تيسر له أن يدرس  
ما فصلته الشريعة من أحكام محكمة -- وهى فيما يرى أقل مما شرعته في ضمن أصول  
وقواعد -- عز أن يجد فيها حكما يتعلق بواقعة يختلف حالها باختلاف الزمان والمكان،  
واذا وجد العالم الراسخ في فهم مقاصد الشريعة واقعة علق عليها الشارع حكما، ثم تغير حالها  
بعد الى حال تقتضى تغير الحكم اقتضاء ظاهرا، كان له أن يرجع بها الى أصول الشريعة

القاطعة ويقتبس لها من هذه الاصول حكما يطابقها، ومثال هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن منع النساء من الخروج الى المساجد، فاذا نظر المجتهد الى علة النهى عن منعهن وجدها المحافظة على مصلحة المرأة من سعيها الى المسجد وحضورها صلاة الجماعة وانتفاعها بما تسمع من قرآن أو خطبة، ولم يكن في خروجها لعهد عليه الصلاة والسلام مفسدة تستدعى المنع، فاذا جاء عهد يكثر فيه تعرض السفلة من الرجال للنساء، وحدثت وقائع تدل على أن سلطان الدين أصبح ضعيف الاثر في نفوس هؤلاء وهؤلاء فقد أخذت واقعة خروج المرأة الى المسجد حالا غير الحال التي كانت عليه في زمن النبوة وانضم الى مصلحة خروجها مفسدة، فلم يجتهد أن ينظر في هذه المفسدة وقيسها بالمصلحة ليعلم أيهما أرجح وزنا ثم يرجع بالواقعة الى أصول الشريعة ويستنبط لها حكما يراعى فيه حالتها الطارئة.

وربما نظر الفقيه في مثل هذا نظرة مستعجل فيخطئ المرمى، وهذا ما جرى لمروان بن الحكم حين قدم خطبة العيد على الصلاة نظرا الى أن الناس كانوا في عهد النبوة والخلافة الرشيدة يجلسون بعد صلاة العيد لسماع الخطبة، فلم يكن في تقديم الصلاة على الخطبة من بأس ولكنهم صاروا بعد ذلك العهد يكتفون بالصلاة ويدعون سماع الخطبة، كما قال مروان معتذرا لابن سعيده الخدرى «ان الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة» وقد خالفه الصحابة والائمة من بعدهم في ترك هذه السنة لانهم رأوا ان هذا تصرف في أمر من قبيل العبادات التي يجب أن تقام كما وردت عن الشارع، على أن مفسدة خروج الناس قبل سماع الخطبة يمكن درؤها بوعظهم وارشادهم الى البقاء بالمسجد حتى انتهائهم، وقد حضرت صلاة العيد في السنة الماضية باحد المساجد الكبيرة في القاهرة فوقف الامام قبل الصلاة وذكر الحاضرين بعدم الخروج قبل انقضاء الخطبة، فامتثلوا.

فالتفقه في الكتاب والسنة على النحو الذى يحفظ الحقوق ويسير بالامة في أهدي سبل المدنية انما يستطيعه من امتلا بعلم القرآن والحديث، وخاض في حكمه التشريع وعرف مقاصد الشارع، وقدر المصالح والمفاسد يميزانها الصحيح  
محمد الخضر حسين (يتبع)

# السيرة النبوية

ترجمة الفصل العاشر من كتاب السيرة النبوية

للسيدين أتين دينيه وسليمان بن ابراهيم الجزاىرى

لصاحب التوقيع

— ٢ —

ومن نكد الطالع أن معنى المساواة هذا الذى كان متمكنا من نفس النبي لم تطل مدة رعايته رعاية كاملة فى عهد الخليفة عثمان ثالث الخلفاء انشأت أوهام التعزز بالانساب تستأنف تأثيرها السىء ولم يفد قول النبي لابنته المحبوبة فاطمة الزهراء : يا فاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئا فكان إبناء البيوتات التى هى دون بيت الرسول يحقرون اخوانهم المسلمين الذين هم أحط منهم أصلا مفاخرين بشرف محمدهم ويعتقدون انهم معفون من العمل مع انه لانجاح للمرء بدونه وقد جرت التنافس فوق ذلك بين من يعتزون بانسابهم اكثر مما يعتزون باعمالهم الى حروب أخوية لاتنطفئ جذوتها كالتى كانت فى الماضى وجر معها الانحلال والفوضى العامين اللذين كانا السبب فى تعطيل تقدم العرب فى القرون التى قبل الاسلام ولما فقد المسلمون ميلهم لدراسة العلوم وتفرقوا شيعا وانهكت قواهم الحروب الداخلية المتواصلة انتهز المسيحيون فرصة انقسامهم وتألبوا عليهم واخذوا يمينون أنفسهم بالنار منهم فلم يستطيعوا أن يقاوموهم الا مقاومة ضعيفة .

كان فى مكتنة المسلمين فيما مضى كما هو فى مكتنتهم الآن أن يتحاموا معظم مصائبهم لو انهم كانوا دائما مستظهرين لآخر موعظة للنبي وعظهم بها فى الخطبة التى القاها فى حجة الوداع اذ قال « أيها الناس انما المؤمنون أخوة »

والسبب الثانى لتأخر المسلمين نشأ من اهمال احدى صفات الاسلام الاولى ذلك ان مطابقة مبدئه الاساسى الذى يكاد يكون مجردا بالكلية مما يتجاوز القوى الفطرية-مطابقة هذا المبدأ لمقتضيات العقل كان لها في أول الامر فوائد لاتقدر بالنسبة للعلم فانه مضى في تقدمه غير معوق بشيء من الترهات والاباطيل وحسبك هذا بيانا لسبب نهضة حضارته السريعة غير أن الفكر الاسلامى استسلم تدريجيا الى الغفوة مكتفيا بالنتائج الرائعة التى أحرزها في الخمسة القرون الاولى من الهجرة وصار من ثم عرضة لتأثير شهوة عبادة البشر وعبادة الاوثان التى كانت في بعض البلاد الحديثة العهد بالفتح فقامت عبادة الاولياء والوسطاء والمرابطين المأخوذة عن المسيحيين والمحرمة في القرآن تحريما صريحا مقام الاشتغال بالعلم ووقفت كل تقدم فيه بما فيها من الاوهام والعقائد الباطلة المرذولة وقد حاول مقاومتها بعض علماء الاسلام كابن رشد ولكن بعد فوات الوقت فقد كانت جذور العلة تأصلت في الأمة فرمت هؤلاء العلماء بالكفر واوجبت اسقاط حرمتهم .

وهذان السببان من أسباب سقوط الاسلام قديمان وهما يتعارضان مع شريعة القرآن الحقيقية

والسبب الثالث<sup>(١)</sup>.....

هذه في رأينا هى الأسباب الثلاثة الغالبة لتأخر المسلمين لحضنها عجلة ولسنا نظن أن هذا التأخر معدوم العلاج وانه قضى على الثلاثمائة مليون من المسلمين المنتشرين على وجه الارض أن يبقوا دائما في هذه الحال المحزنة التى قدر لهم فيها أن يكونوا بعيدين عن الحضارة الحديثة .

فعلاج السببين الاولين بسيط وهو الرجوع الى العمل بالاصول الصحيحة التى وضعها النبي ثم ان الجروح التى انتابت المسلمين منذ قرن قد أيقظتهم من سباتهم والهزائم التى توالى عليهم قد نبهتهم لضرورة اختيار الوسائل العلمية التى

(١) وهنا ذكر المؤلفان سببا آخر لتأخر المسلمين وهو حظر الربا على اطلاقه والمجلة لا توافقهما على هذا الرأى وتستحق هذا البحث في أجزائها الآتية

استعملها غالبوهم في قهرهم فذكروا قول النبي « اطلبوا العلم ولو بالصين » <sup>(١)</sup> العلم خير من العبادة — يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء <sup>(٢)</sup> وقد أُرشد المسلمين الى الطريق بعض المجددين من ابنائه التابعين كالشيخ محمد عبده الشهير باثباتهم مطابقة هدى محمد لما تهدى اليه الحضارة الحديثة <sup>(٣)</sup> فبادر عدد من الشبان في جميع البلاد الاسلامية الى التعلم على المنهج الاوربي بسهولة مدهشة بدون أن يخسروا شيئا من مميزاتهم الوطنية ولن يمضى كبير زمن حتى يأخذ عدد عديد من المسلمين مكائهم في الدنيا الجديدة دون أن يخشوا اية منافسة .

هل معنى هذا أن مملكة الاسلام باحثائها مثال المملكة اليابانية ستستعيد مكانتها بين الدول السياسية العظمى ؟ ان التخصر بذلك يكون دائما من قبيل الدعوى وحسن ظن المرء بنفسه . على أن السلطان السياسى هو أقصر جميع ضروب السلطان أجلا فتكنى بضعة أشهر لتقويض دعائم أعتى الممالك وهذا السلطان لا يُثبت بوجه من الوجوه قابلية الدين للحياة فهو ليس ضروريا مطلقا في الموضوع الذى نحن بصددده فان ثمة فتوحا تخالف فتوح الجيوش فمملكة الاسرائيليين قد زالت من قرون كثيرة ولم تحتطّ مطلقا خطة للرجوع ومع ذلك قل من الشعوب من له اليوم سلطان الشعب اليهودى وقد كان اضطهاد الامم له أعظم مرب فقد أصبح اليهود يشغلون المقام الاول بين جميع أمم أوربة وأمريكة بفضل نشاطهم وذكائهم فلماذا لا تحصل عند المسلمين الذين معظمهم بنوعم لليهود ولهم عليهم مزية وفرة عددهم نفس تلك النتيجة الناجمة عن السبب عينه أعنى الاضطهاد .

وجهت اعتراضات على امكان هذا التجدد الاسلامى من ناحية اشتمال الاسلام

(١) الحديث الاول بزيادة فيه هي : فان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، روى عن أنس مرفوعا وهو ضعيف بل قال ابن حبان لأصل له وذكره ابن الجوزى في الموضوعات وفي الجامع الصغير وانه رواه ابن عدى في الكامل والبيهقى في شعب الإيمان والعقيلي في كتاب الضعفاء اسكن عليه علامة الضعف ورواه ابن عبد البر في كتاب العلم عن أنس بزيادة فيه (٢) هذا الحديث أخرجه الشيرازي عن أنس الرهبي عن عمران ابن حصين وابن عبد البر في العلم وعن أبى الدرداء وابن الجوزى في العلل عن النعمان ابن بشير وكاهم يرويه مرفوعا والله تعالى أعلم (٣) هذا القول غير صحيح على اطلاقه فكتنير مما تهدى اليه الحضارة الحديثة مخالف لهدى محمد صلى الله عليه وسلم . وسعنى ان شاء الله ببيان ذلك .

على عقيدة القضاء والقدر والتعصب وتعدد الزوجات فلنبحث في هذه الامور بحثاً موجزاً :

١ - اذا كانت وجه لبعض الانتقادات الواردة على كيفية فهم عقيدة القضاء والقدر عند بعض اتباع المراطيين فليس لهذه العقيدة من الشأن مانسب لها فليس الاسلام بأكثر تشبهاً بها من الفلاسفة القائلين بانكار فعل العزيمة الشخصية ونسبة كل الامور الى الاسباب الخارجية وهو في ذلك أيضاً أقل من المسيحية التي تقضى باتباع النصوص الانجيلية حرفياً ( لذلك أقول لكم لاتشغلوا أنفسكم بالجهة التي تجدون فيها ماتأكلون وما تشربون لاستبقاء حياتكم ولا بالجهة التي تحصلون منها الثياب لتغطية أجسادكم ) انجيل متى ٥ - ١٨ - ٦ - ٢٥ .

كيف تنهم عقيدة القضاء والقدر بتعطيل كل مجهود عند المسلمين وقد كان محمد انشط من عرفوا على وجه الارض الى الآن في العمل وادومهم عليه واقواهم، والدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي تلا تأسيسه مباشرة سلسلة عجيبة من الاعمال الحميدة والحضارة الزاهرة . ان كلمة الاسلام معناها الخضوع والاستسلام لاوامر الله أعني لما لا يستطيع أى مجهود انساني منعه لا لما يكاد يبدو من الميسور التغلب عليه بالقوة والشجاعة ( وياقوم اعملوا على مكانتكم <sup>(١)</sup> ) السورة ١١ الآية ١٣٤ «ومثل هذا الاستسلام يبعد أن يكون سبباً للضعف وانما يصير للمؤمنين منشأ لقوة معنوية لانظير لها تشد أزهرهم في المحن والشدائد .

٢ - ان المسلمين يجدون انفسهم في علاقاتهم مع المتمدنين التابعين لديانات أخرى قد وقفوا عن التقدم بسبب تعصب هؤلاء المتمدنين الشديد الذي لايقبل التخفيف والذي هم يرمون به المسلمين وكل ما في الامر يرجع الى معرفة ما اذا كان هذا التعصب ليس من ضمن الاساطير المخترعة عليهم في القرون الوسطى ولكي يتيسر على

(١) الآية مسوقة مساق التهديد وأظهر منها في الدلالة قوله تعالى ( من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حبة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون )



القارىء أن يرتأى لنفسه رأيا في ذلك نقدم اليه بعض الاسانيد التى اخترناها من عدد عظيم من نوعها :

قال ابن جرير نقلا عن ابن عباس أن رجلا من بنى سالم ابن عوف اسمه الحصين كان له ولدان مسيحيان وكان هو مسلما فقال يارسول الله الا ازم ولدى الدخول في الاسلام فانهما يأتيان كل دين سوى المسيحية فاوحى الله جل جلاله الى رسوله هذه الآية ردا على سؤال هذا الرجل وهى (لا اكراه في الدين) (السورة ٢ الآية ٢٥٧) ولما حضر وفد نجران المسيحيون الى المدينة يطلبون مقابلة النبي خصص لهم نصف مسجده لتأدية صلاتهم. وفي ذات يوم قام لجنازة فلما أخبر انها جنازة يهودى أجاب بقوله : اليسى هى نسمة . وقد قال أيضا ( من آذى يهوديا أو نصرانيا كنت خصمه يوم القيامة ، قد يدوم الملك على الكفر ولا يدوم على الظلم )

ولم يستعمل المسلمون القوة خارج الحجاز أعنى الارض المقدسة وما يجاورها مباشرة لرد الناس عن دينهم خلافا لما ذكر في الحكايات المختلفة ولم يكن مسيحيو اسبانية على تخوف في أمر دينهم مدة الثمانية القرون التى كانوا فيها تحت سلطان العرب بل أن بعضهم كان يشغل أعلى المناصب في حاشية خلفاء قرطبة وعلى العكس من ذلك كان حال المسيحيين فانهم بمجرد أن أصبحت الغلبة لهم هنالك أهلكوا جميع المسلمين واهلكوا معهم اليهود الذين كانوا يعيشون بسلام في حكم العرب وقد اعترف بهذه الحقيقة القسيس ميشون في سياحته الدينية التى ساحتها في بلاد الشرق اذ صرح قائلاً: مما يحزن الامم المسيحية انهم تعلموا من المسلمين التسامح الدينى الذى هو الناموس الاكبر للرحمة والاحسان بين الامم ( نقله عن الكونت دى كسترى في كتابه الذى ألفه في الاسلام )

يقول المعارضون وما قولكم في مذابح أرمنية فاجيهم بأن كل المذابح التى لم تدع اليها ثورات أو مؤامرات يمتتها المسلمون الحقيقيون كما يمتت اليوم المسيحيون الحقيقيون مذبحة جميع المسلمين في اسبانية .

على أن هذه المذابح التى وقعت في أرمنية ما كانت قط لاسباب دينية لان اتباع

محمد مافكروا يوما ما في الاقتداء بتركادا<sup>(١)</sup> في مذابحه وفي تخيير الارمن بين ترك دينهم وبين احراقهم . على أن المسلمين لا يأنسون في أنفسهم أى ميل لرد الناس عن دينهم وليس لهم مبشرون حقيقيون واذا كان دينهم هو الدين الذى يجذب اليه اليوم اكثر الداخلين فيه بافريقية وآسية فاذلك كما لاحظته ملاحظة في غاية الاصابة المسيو (بردو) الابنوع من الامتصاص المعنوى (انظر كتابه المعنون - العرب في أفريقية الوسطى) الاسوة الحسنة التى لاتقارنها اية محاولة للردة تحدث في النفوس المتدنية أثرا قويا غير الذى يكون من تعليم معلم أصول العقائد من المضايقات وقد اضطر العالم دوزى الى أن يعترف رغما من تحيزه الدال على عدائه للاسلام بانه من الثابت أن كثيرا من المسيحيين في اسبانية دخلوا في الاسلام للاقتناع بصحته .

والقاعدة التى يجرى عليها المسلم في معاملته لاتباع الديانات الاخرى قد حددتها هذه الكلمات من القرآن (لكم دينكم ولى دين) (السورة ١٠٩ الآية ٦) وكيف يكون المسلم غير متسامح وهو يحترم الانبياء المحترمين عند اليهود والنصارى سواسية فوسى كلهم الله وعيسى روح الله يجب في نظره احترامهما الاحترام الواجب لمحمد حبيب الله ( لانفرق بين أحد من رسله ) ( السورة ٢ الآية ٢٨٥ )

ولن يجرأ أى مسلم أن يفوه باقل بادرة في حق عيسى وهو لن يحتمل أن يفوه بها أحد أمامه حتى ولو كان من المسيحيين الاصليين الذين يلقون عليه تبعة الاغلاط الكهنوتية، فسب المسيح يعتبر سبا للقرآن الذى يأمر باحترامه، وقد اتيح لنا أن نشهد منظرا قليل الوقوع وهو حكم قاض مسيحي على مسلم لضربه يهوديا بدت منه أمامه أفكار مهينة بشأن ولادة المسيح .

ولتقارن الآن بين موقف الاحترام الذى للمسيحيين ازاء عيسى بالطرق التى يستعملها الأوربيون في حق محمد ففي القرون الوسطى كان الرهبان والشعراء المتجولون

يمثلونه<sup>(١)</sup> .....  
 ولو أردنا أن نذكر كلما ولدته فيما سبق مخيلة اعداء محمد الكثيرة الاختراع مافرغنا  
 منه. ولم يكن المستشرقون الاولون قط باقل اهانة له من هؤلاء فقد تكلم عنه العالم  
 غانيه في القرن الثامن عشر بعد أن لام القسيس مراشى والدكتور بريدو على اهانتها  
 الثائرة<sup>(٢)</sup> .....

يقول ذلك وهو يزعم أنه وقف في وصفه موقف الاعتدال  
 ولم يكن نصيب أصحاب محمد الاولين من الاذى باقل من نصيبه فيه فقد اخترع  
 بعض الناس القصة الشهيرة المنسوبة للخليفة عمر بن الخطاب وهي احراقه لدور الكتب  
 في الاسكندرية شاهدين على انفسهم بكل مالديهم من الاستخفاف بالتاريخ لينسوا  
 الناس الوحشية التي بها أحرقت الكردينال ريميناس دور الكتب البديعة التي كانت  
 للمسلمين في اسبانية فانه كان قد مضى على تلك الدور عدة قرون قبل أن يوحى  
 الاسلام الى العالم، فاولاها وهي دارالكتب التي كانت في بروخيوم وكانت تحتوى على  
 أربعمائة الف مجلد كانت أحرقت أثناء الحرب التي نشبت بين القيصر والاسكندريين  
 والثانية وهي مكتبة سرايوم التي كان فيها مائتا الف مجلد ووصى بها أنطوان كانت نهبت  
 كلها في عهد القيصر تيودور—وقد انشأت هذه القصص السخيفة تتلاشى في أيامنا  
 هذه . على أننا نفضل ما فيها من التعصب الصادر عن سلامة الطوية على الدسائس  
 الخفية التي يسترها بعض الكتاب الذين لاتزال قلوبهم مشربة بشهوات القرون  
 الوسطى بستار العلم المشرق ويسعون في اذاعتها عن رجل من الرجال الذين يشرفون  
 اكثر من غيرهم تاريخ الانسانية نفسه .

لسائل أن يسأل : هل يؤول أمر المسلمين بعد أن اختاروا لانفسهم حضارة  
 المسيحيين الحديثة الى أن يختاروا دينهم ؟ حسبنا في الاجابة عن هذا السؤال أن

(١) هنا نقل المؤلفان عن بعض اعداء الرسول صلوات الله عليه تمثيلا له في غاية البشاعة والفتح يدل على بلوغهم في  
 الحق والسفاهة الغاية القسوى .

لم ترا المجلة نشره من اللائق بمقامه الذي هو فوق مقام كل مخلوق  
 (٢) وهنا نقل المؤلفان وصفا شنيعا تنزه المجلة عنه الاقلام والاسماع

نذكر رأى مؤلف هو مع كونه مسيحياً متشدداً يعترف بالوقائع بامانة فقد كتب في بحث له شهير في الاسلام مايلي :

« الاسلام هو الدين الوحيد الذى ليس فيه مرتدون ومن الصعب جدا بل من المستحيل تصور فكرة صحيحة للحالة النفسية التى عسى أن تكون لمسلم رده مسيحى الى دين الانجيل . ربما لا يحصل في الذهن لهذه الحالة الا صورة تقريبية اذا تصورنا مسيحياً ذى عواطف مستنيرة يحاول رده عن دينه وثنى الى أباطيله وأوهامه المردولة ( انظر كتاب الكونت هنرى دو كستري في الاسلام ) .

٣- ليت شعري ماعسى أن يكون منشأ البغض الذى يضره المسيحيون للاسلام وهو مع عدم قابليته للتغير يقدم لهم كثيراً من الادلة على احترامه لعيسى، هذا البغض الذى استمر في عصرنا هذا عصر التسامح الدينى ان لم تقل عصر عدم المبالاة بالدين ؟ الكون نشأته آسيوية ؟ ولكن الم تكن المسيحية آسيوية في جوهرها قبل تحليلها من اليهودية بواسطة بولس الرسول ؟ فقد قال عيسى نفسه ( انى لم أرسل الا لنعاج بنى اسرائيل الذين هلكوا ) ( انظر انجيل متى ١٥ - ٢٤ ) أم من شريعته ؟ ولكن شريعة الاسلام تكاد تكون مطابقة لمذهب بعض أشياع المذهب البروتستنتى <sup>(١)</sup>

أم من ذكرى الحروب الصليبية؟ نعم ان هذه الذكرى رغما من تقادم الزمن لاتزال تفعل فعلها المشؤم في نفوس كثير من الجهلاء . ولكنها لاتكفى وحدها في تحليل حكم الاعداء الذى قضى به على الاسلام في أوربة فلا بد اذن من تلمس سبب آخر وسيعرف هذا السبب في المثل الذى تؤديه لنا الديانة الوحيدة المحترمة احتقار حقيقيا والمضطهدة في أوربة كالاسلام .

توجد شيعة من البروتستنتيين وهم المرمونيون بعد أن أبدوا العجائب من قوة العزيمة والدأب في العمل قد حولوا بلادا كانت أشد البلدان كآبة وصحراء من الارض الملحة قطرا زاهرا وكان على أوربة وامريكة بالاجماع أن يبدوا استحسانهم لعملهم المؤدى الى الحضارة والعمارة فبدلاً من هذا نسيت جميع شيع المسيحية ما بينها

(١) هذا القول على اطلانه غير صحيح فان في المذهب البروتستنتى تفاليد وعقائد كثيرة تخالف الاسلام .

من ضروب الشقاق الخاصة وتآلبوا على المورمونيين يجمعهم شعور واحد بالكره الشديد لهم وليت شعري أى جريمة اقترفوها ؟ انهم لا ذنب لهم الا انهم كالمسلمين يستحلون فيما بينهم تعدد الزوجات، هذا هو اللغز وفيه انذار للمسلمين انهم لا ينالون حق الانتظام في سلك المتمدنين الا اذا تنازلوا عن تعدد الزوجات .

اننا لانجازف في مباشرة الدفاع عن عادة بلغت من المقت والكراهة الشديدة هذا المبلغ بل تقتصر على ابداء بعض ملاحظات في هذا الصدد . الواقع انه لاجدال في أن تعدد الزوجات عام وسيدقى كذلك مادامت الدنيا ومهما كانت القوانين وانما المسألة الوحيدة هى معرفة ما اذا كان الافضل الاعتراف به وتحديدده أو تركه يجرى خفية والى غير حد فقد حقق جميع السائحين ومن بينهم جيرار دونير فال والادبية مرجانة أن تعدد الزوجات عند المسلمين المتزوجين باكثر من واحدة هو في الجملة أقل انتشارا منه عند المسيحيين المقول باقتصارهم على زوجة واحدة وى شئ أقرب الى الفطرة من هذا ؟ اليس فيه لهؤلاء غواية الثمرة المحرمة <sup>(١)</sup> ولكن هل الاهتمام بتعدد الزوجات هو أمر حتم ؟ أن حاجات المعيشة الحديثة تجعله في المدن الكبرى غير معمول به وهذا بدون أن ندخل في اعتبارات أخرى وانه سيزول عند المسلمين المتحضرين قبل مضى زمن طويل واذا بقى حكمه فلن يعمل به الا في قلب البادية حيث تدعو اليه الضرورة اللازمة .

وهل يكون في ذلك ربح للاخلاق ؟ هذا مايقى محلا للريب فستمد العهارة التى هى نادرة جدا في معظم البلاد الاسلامية رواق افسادها وتدميرها وستظهر فيها مصيبة مجهولة لها بالكلية وهى عزوبة النساء التى تخرب البلاد المقصور والزواج فيها على واحدة ومن بين هذه البلاد خصوصا بعد الحرب العظمى مابلغت فيه العزوبة نسبة مهلكة .

قال شارل ديماس في بحث له في مستقبل المستعمرات الفرنسية عند كلامه

(١) يشير بذلك الى قصة سيدنا آدم فى اكله من الشجرة التى نهى عن الاكل منها

عن المسلمين مانصه: لا يتحرر جنس من الرق اذا قضى على نصفه (يعنى النساء بالرق الابدى)<sup>(١)</sup>.....

ولكننا اذا توقفنا في الحكم على ضروب الاصلاح التى قد بسطناها نعترف بعكس ذلك وبدون قيد بان تعليم المرأة هو ضرورة لازمة لمستقبل الاسلام بلا شرط ولا دخل للتعليم بشئ في العادات المتقدم ذكرها بل هو موافق لجميع أصول الدين وقد كان في عصر سطوع نور الاسلام يفاض فيضا على المسلمات اللاتى كانت معلوماتهن العامة أرقى من معلومات الاوربيات في ذلك العهد .

على أن تعليم المرأة في الشرق لم يزل بالكلية الا في بعض بلاد المغرب فكثير من النساء المسلمات يشغلن من بضع سنين أوقات فراغهن بالتعليم في خدورهن وقد انشأت نهضتهن العقلية تنتشر فان من التعليم وحده ينبغى أن ينشأ ارتقاء الاخلاق حيث يكون ضروريا وبالمقدار والمعنى اللذين يكونان أقل اخلاقا بداخلى الاسر . ان مسألتى تعدد الزوجات وحرية المرأة ( وهما المسألتان الوحيدتان اللتان تجعلان لنقد الناقدين من اعداء الاسلام ظاهرا من الحق ) متى فصل فيهما ظهر الاسلام على حقيقته : أى دين موافق في جوهره لاحداث حاجات البشر وافكارهم الى حد أن رجلا انجليزيا يدعى أوصلد ويرث قد استطاع أن يكتب هذه الكلمة : قد تبينت يوما أنى مسلم من غير أن أشعر بذلك كما تبين النثر في كلامه الموسيو جردين<sup>(٢)</sup> والى حد أن غوث<sup>(٣)</sup> بعد أن درس الاسلام صرح قائلا :

اذا كان الاسلام هكذا افلا نكون كلنا عاشرين في الاسلام ؟

وعما قليل سيستطيع الاسلام في نهاية الامر أن يطالب بحق الانتظام في الحضارة

(١) وهناك تكلم المؤلفان عن حجاب المرأة الاسلامية كلاما وتقال فيه اقوالا لاتوافقهما عليها المجبة وستعى بتحقيق هذه المسألة في مقال خاص .

(٢) جردين هو واحد الممثلين في رواية تمثيلية للروائي الفرنسى المشهور مولير . وشأنه انه عشق امرأة جميلة المقام ورجا من استاذة في الفلسفة ان يكتب على لسانه اليها كلمة قال انه سيلقيها بين قدميها فدهش لما أخبره هذا العالم انه ليس للتعبير عما في النفس الا طريقتان النثر والشعر وقال له بدمتي ان لى اكثر من أربعين سنة أقول النثر ولا أعرف منه شيئا وانى اكثر من في الارض شكرا لك على ان علمتني ذلك .

(٣) اكتب كتاب الالمان

الحديثة لانه لم يبق أحد يجرأ على التسليم بالاساطير الصيانية المفتراة عليه التى استمر توارثها من عهد الحروب الصليبية الى الآن .

وبينا نحن نفرغ من كتابة هذه الكلمات اذا بأوربة ترى فجأة انفجار أعظم حرب عرفها التاريخ في قلبها وتشاهد الوفا من الجنود المسلمين من سلالة غزاة مدينة پواتيه<sup>(١)</sup> قد أغاروا من جديد على فرانسه كلها .

لم يأتوا في هذه المرة فاتحين بل جاءوا أصدقاء واخوان سلام دعاهم الحلفاء للاشتراك في هذا الجهاد الهائل الذى يتوقف عليه مصير الحضارة فاثارت بسالتهم الموروثة اعجاب الجميع وقد غرسوا الاسلام الى الابد في قلب أوربة بأشرف وامجد طريقة وهى الألو ف المؤلفة من قبورهم التى تغطى أرض فرنسة .

تحوى أوربة اليوم في أرضها مدد من اتباع النبی وهم بعد أن أدوا اليها مثل هذه الخدمات الكبيرة يشق عليهم أن تحرّمهم من حق الانتظام في سلك الحضارة الذى طلبناه لهم آنفا .

وليس من المعقول أن أسوتهم الحسنة التى انتهت بقشع كثير من الآراء السقيمة التى كانت للناس فيهم فيما مضى وعرفتهم يسر الاسلام وبساطته البديعة — لاتحدث في بعض نفوس الأوربيين أفكارا كلها جديدة .

يسعى كثير من ذوى العقول المستنيرة بعد أن أفادت من غفلتها وبعد أن عرفت اخفاق مذهب استقلال العقل بالمعرفة — يسعى لتعرف طريق الهداية وان مذهب الحدس الذى يتهافتون عليه خلف حامل لوائه المسيو برجسون الشهير هو عبارة عن رد فعل واضح لمذهب استقلال العقل بالمعرفة أووهو الاصح رد فعل لمعجز هذا المذهب فقد جدد هذا المفكر في قلوب الناس النهمين في الايمان آمالا كان يظهر انها ضاعت ضياعا نهائيا فهو يأذن لهم بأن يأملوا في خلود الروح ويقول لهم ان الدنيا ليست مشتبكا عظيما لقوى عمياء وان العقل ليس هو الطريقة الوحيدة للمعرفة . ومع تأكيد هذا الحكيم الشهير كل هذه الامور لم يزد على أن بعث أفكارا كانت

(١) پواتيه مدينة في فرنسة كان قد بلغ اليها الفتح الاسلامى في عهد الاندلسيين .

قد هجرت فابرزها بطريقة يسهل بها فهمها واختار لها الوقت الذى يساعدها على أن تهىء عناصر دين جديد يشعر كثير من الناس بانهم في حاجة اليه .

(انظر كتاب حياة الحقائق لجوستاف لوبون) وحركة كهذه لاتقاوم خصوصا بعد فتن سفكت فيها دماء كثيرة فسنشهد اذن مجهود الديانات القديمة والحديثة وهى تسعى لاحتكار هذه الحركة لفائدتها ولكن مذهب استقلال العقل بالمعرفة حتى في حال انهزامه لن يكون أقل ثمارا وسيقيم عقبة كاداء بين العقل وبين العقائد التى تتصادم معه تصادما عنيفا ثم انه ينبغى من جهة أخرى أن لايعزب عن الذهن مالالارواح من ضروب التطلع الى العالم الروحاني فانها أساس كل دين .....<sup>(١)</sup>

وحيثذ يكون الاسلام اذا تجرد من الزبد الذى طغى عليه خلال جريانه قد توافرت فيه شروط ذلك الدين الحنيف الذى يتوقون اليه . وقد نشأت جماعات صغيرة من الأوربيين الداخلين في الاسلام في انجلترا وأمريكا احداها وهى التى يديرها المستر كويلم تقيم من عدة سنين في ليفربول واشتهرت بهذا الامر وهو أن معظم من دخلو الاسلام فيها من النساء ، وقد كان لاسلام عضو من المجلس الاعلى في انجلترا وهو اللورد هدلى الذى تبعه في الاسلام بعض أعيان لوندرة وقع في النفوس وتنتشر الجماعة الاسلامية التى أسسها هذا الرجل العالى القدر مجلة شهرية تدعى ( المجلة الاسلامية ) نقتبس لك منها هذه العبارة ذات المغزى : « لماذا صار بعض الانكليز وغيرهم من الاوربيين مسلمين ؟ »

«ذلك لانهم أولا كانوا يتلمسون عقيدة سهلة معقولة عملية في جوهرها لاننا معاشر الانجليز نتبجح — باننا اكثر أهل الارض تشبثا بالعمل — عقيدة تكون ملائمة لاحوال جميع الشعوب وعاداتهم واعمالهم ، عقيدة دينية صحيحة يقف بها المخلوق أمام الخالق بدون أن يكون بينهما وسيط ( شلد راك ) »

هذا هو الذى وجدته هذه العقول العملية في الاسلام الذى لاحاجة له بالقسوس لخلوه من الاسرار وعبادة القديسين وقد يستغنى عند الضرورة عن الهياكل والمعابد



فاذا كان الله يملا العالم وجوده أفلا تكون الارض مسجدا عظيما له ؟

وفوق ذلك قد يجد بعض أهل مذهب الاعتقاد بالله دون غيره من العصريين الذين هم في الجملة متحيرون في التعبير عما يخالج نفوسهم من التطلع-قد يجدون في الاسلام المذهب النقي للاعتقاد بالله فيجدون فيه أبدع أعمال العبادة واسمى مايمكن أن يتخيله مفن<sup>(١)</sup> من الفاظ الدعاء ثم نزيدك شاهدا آخر وهو قول شرفيس :

(الاسلام يحقق أبلغ معنى لفضيلة الايثار على النفس باقل بحث فيها من الوجهة النظرية). وقد حصل في فرنسة وفي بلاد أخرى من أوربة وأفريقية وآسية دخول أشخاص في الاسلام فرادى وربما كان ذلك مصداقا لهذا الحديث النبوى الذى معناه « قد يؤيد الله هذا الدين بالغرباء منه »<sup>(٢)</sup>

ومن مميزات الاسلام الاصلية أنه ملائم لجميع الاجناس البشرية فلم يكن من ضمن اتباع محمد الاولين العرب الذين هم اكثر القبائل اختلافا وحدهم بل كان بعضهم من الفرس كسلمان الفارسى وبعضهم من النصارى كورقة<sup>(٣)</sup> وبعضهم من الاحباش كبلال وبعضهم من اليهود كمخيريق وعبد الله بن سلام وغيرهم وجاء في القرآن ( وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ) ( السورة ٣٤ الآية ٢٧ )

فدين محمد قد اكد اذن من الساعة الاولى لظهوره وفي حياة النبي أنه دين عام فاذا كان صالحا لكل جنس كان صالحا بالضرورة لكل عقل ولكل درجة من درجات الحضارة وهو على ما فيه من البساطة المتناهية بالنظر لمذهب المعتزلة والتشدد بالنظر لمذهب الصوفية يؤدى للعالم الأوربى من غير أن يعوق حرية فكره المطلقة كما يؤدى للزنجى السودانى الذى ينتشله من عبادة الاوثان الباطلة هداية وتأيدا .

وهو يرفع نفس التاجر الانكليزى الذى يرى حياته في العمل ويعتبر الوقت من ذهب بمقدار ما يرفع نفس الحكيم المتصوف والشرقى المتأمل في بدائع الصنع كما يرفع

(١) المفن من يأتى بالعجايب

(٢) لا يعرف حديث بهذا المعنى بل الاسلام صلة ولحمة بين جميع المسلمين مهما اختلفت أجناسهم وتباعدت اوطانهم (انما المؤمنون اخوة)

(٣) ورقة لم يدرك عهد الرسالة وإن ادرك اول وحي النبوة

نفس الغربي المأخوذ بسحر الفن والخيال بل هو يفتن الطيب العصري أيضا بما فيه من الطهارات المتكررة وتناسق الركوع والسجود اللذين هما ليسا في افادتهما الجسم غماء باقل من افادتهما النفس صحة وسلامة .

فليس من الجرأة اذن أن نظن أنه اذا هدأت الزوبعة المروعة القائمة ضد الاسلام وضمن هو الاحترام لكل الشعوب والديانات أنه سيرى مستقبلا حاشدا باعظم الآمال واعلاها شأننا .

ولدخوله في الحضارة الأوربية بفضل اشتراكه العظيم في الحوادث التي تقلبها ظهرا على عقب سيظهر في نهاية الامر بسنائه الحقيق وستتنافس الامم المختلفة في تلمس مخالفته لانهم يكونون قد خبروا قيمته وعرفوا ما يستكن فيه من وسائل القوة التي لانفاد لها .

واذا نهض اتباع محمد من سباتهم الوقتي تبوءوا مكانهم السني في العالم ان شاء الله .  
(عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا كُفْرًا وَسَيُجَنَّبُكُمُ اللَّهُ الْعِلَّاهُ وَمَا يَكُنْ لَكُمْ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ) (سورة التوبة: ١١٩)  
غَفُورٌ رَحِيمٌ

فرغ من تأليف هذا الكتاب في بلدة «بو سعادة» لسبعة وعشرين يوما خلت من شهر رمضان سنة ١٣٣٤ هجرية (٢٨ يولييه سنة ١٩١٦) مسيحية اللهم اغفر لمؤلفيه وسامحهما في جرأتهم الطائشة التي دفعتهم رغبة في الخير الى مباشرة التأليف في موضوع واسع كهذا على قلة معلوماتهما واغفر لهما يا عليم ما عسى أن يكونا وقعا فيه عن جهالة من الاغلاط في سيرة كسيرة رسولك مولانا محمد خاتم النبيين صلوات الله وبركاته عليه وعلى آله وصحبه آمين ،  
أتمين دينيه : سليمان ابراهيم

عبد العزيز محمد

﴿ نرجو من القارئ الكريم تصحيح هذا الخطأ المطبعي ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٤	٥	وقوم	وتقوم
٨٤	٦	له به بالدين	له بالدين
٨٩	١١	زكاة	زكاة
٩٨	١٩	جوستا فلبون	جوستاف لوبون
٩٩	٢٣	اشعاعا	شعاعا
١٠٠	١٩	تربوا	ترتبوا
١٠٣	٤	الاكثر ذرات	الاكترونات
١٠٣	١٥	نظرياتهم	نظرياتهم
١٠٣	١٥	ان ثم	ان تم
١٠٧	٥	من أجهل	من اجهل الجهل
١٠٧	٢٢	آبائنا	أبائنا
١٠٨	١٥	ويتوسم	ويتوسم
١١١	٤	التفصى	التفصى
١١١	٧	النبي	للنبي
١٢٣	١٨	وقفهم	وقفهم
١٢٩	١٧	اذا	اذ
١٣٢	٥	المعينان	المعنيان
١٣٣	١١	مشوثة	مبشوة
١٣٣	١٥	ولكن سياق	ولكن لما كان سياق
١٣٥	٥	العلم كله على ما فيه	العالم كله عن قدرة واحدة على ما فيه
١٣٨	١٨	روح	روح
١٤٣	١٢	اذ لو تغير تغير عما كان عليه الوحي	اذ لو تغير عما كان عليه زمن الوحي

تنبيه : وقع في ترقيم اللزمتين الاولى والثانية من هذا الجزء خطأ مطبعي حيث لم يوضع فيهما متسلسلا مع الجزء الأول فنرجو ملاحظة ذلك



قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ نَاصِرَ لُطُوفٍ مَبْسُوتَةٍ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \*

# بُحْثُ الْأَسْئَلَةِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حديثة

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

الشيخ محمد بن عبد  
العزيز

مدير ادارة المجلة :

السيد محمد الخضر حسنين من علماء الأزهر

رئيس التحرير :

مكتب المجلة بالادارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمى رقم ١٩

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكمونه باسم مدير المجلة

٤٠	داخل القطر المصرى
٢٠	لطلبة المعاهد والمدارس
٥٠	خارج القطر المصرى
٣٠	لطلبة المعاهد والمدارس

قيمة الاشتراك السنوى

يعامل أئمة المساجد والمأذنون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب .

وثن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### العلماء والاصمراع

نود من صميم قلوبنا أن تكون نهضتنا المدنية راسخة البناء رائعة الطلاء محمودة العاقبة ، ولا يرسخ بناؤها ويروع طلاؤها وتحمد عاقبتها الا أن تكون موصولة بنظم الدين مصبوغة بأدابه والوسيلة الى أن يجرى فيها روح من الدين يجعلها رشيدة في وجهتها ، بالغة غايتها ، أن يزداد الذين درسوا علوم الشريعة عناية بالقيام على ما استحفظوا من هداية ، فلا يذروا شيئاً يشعرون بأنه موكول الى أمانتهم الا أحسنوا أداءه .

ينظر أهل العلم في حال الناس من جهة ما يتقربون به الى الخالق ، ويزنون أعمالهم ليميزوا البدعة من السنة ، ويرشدوهم الى أن يعملوا صالحاً ، ومن الذى لا يدرك أن البدع تقف كقطع من الليل المظلم فتغطى جانباً من محاسن الشريعة الفراء ، وهى بعد هذا ضلالات تهوى بأصحابها في ندامة وخسران .

ينظرون في أحوال الناس من جهة ما يدور بينهم من المزاعم الباطلة والأحاديث المصنوعة ، وينفون خشها نقي النار لحبث الحديد ، يفعلون هذا ليكون الناشئ المسلم نقي الفكر صافي البصيرة ، لا يحمل في نفسه الا عقائد خالصة وحقائق ناصعة .

ينظرون في أحوال الناس من جهة ما يجرى بينهم من المعاملات ، فيصلحون ما كان فاسداً ويصلون ما كان متقطعاً ، وما شاعت المعاملات التى نهى عنها الدين في غير هواذة كالربا والميسر الا حيث قل من يعظ الناس في ارتكابها ويبسط القول في سوء عاقبتها .

ينظرون في أحوال الناس من جهة ما يمسهم من السراء والضراء ، ويسعون ما استطاعوا في كشف الضر عنهم ولو بعرض حالهم على أولى الشأن واثارة دواعيهم الى أن يعالجوا العسر حتى يتقلب بفضل تدبيرهم يسراً ، يحدثنا الكاتبون في تاريخ

الاندلس أن العلماء المقيمين في ضواحي قرطبة كانوا يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة ويطالعونه بأحوال بلدهم ، وقال أحد علمائهم .

وأتعب ان لم يمنح الناس راحة      وغيرى ان لم يتعب الناس يتعب  
ينظر أهل العلم بعين الاحتراس الى كل من يدعو الى مذهب باسم الدين .  
ويتخذون الوسائل الى الاطلاع على حقيقة قصده ، ومن أسباب وهن جبل الاسلام  
وتقطع أوصاله مذاهب يتدعها ملاحدة يمكرون ، أو جهال لا يفقهون ، أفلم يكن  
المذهب البهائي يعمل لهدم قواعد الاسلام واستهواء أبنائه من خلف ستار ، وقد  
أحس بعض اتباعه اليوم بقوة فصاروا يخطبون على منابر بعض النوادي ويجهرون  
بشيء من مزاعمه ، وعرف بعض خصوم الاسلام قصدهم فقاموا يشدون أزرهم  
ويرددون الشئ على مذهبيهم .

نحن نعلم أن في كل أمة فئة يفتحون صدورهم لقبول كل دعوة توافق أهواءهم  
أو تأتيهم في طلاء يلائم أذواقهم ، ولكن نهوض العلماء بعزم وحكمة ان لم يسحق آراء  
زعماء هذه الفئة سحقا ، فانه يكشف عما فيها من سوء ، فلا يسكن اليها الا من هم  
الى الحيوان الاعجم أقرب منهم الى الانسان .

يرقب أهل العلم كل حركة تقوم بها جماعة من الامة ، فينقدونها بالنظر الخالص ،  
ويصدعون فيها بأرائهم مدعومة بالادلة المقنعة ، ولا تعد هذه المراقبة وهذا النقد  
خارجين عن خطة العالم الاسلامي ، بل هما واجبان في عنقه كواجب التعليم والافتاء ،  
واذا قص علينا التاريخ أن فريقا من أهل العلم قضوا حياتهم في بحث المسائل العلمية  
البحثة ، فقد قص علينا أن أمة من عظمائهم كانوا ينظرون في الشؤون العامة ويمثلون  
السيرة التي تكسو صاحبها جلالة وترفع له بين الخلائق ذكرا .

كان أهل العلم يوجهون همهم الى الوسائل التي تقى الامة ممن ييغونها الاذى ،  
فهذا ابو بكر بن العربي قاضى أشيلية رأى ناحية من سورايشيلية محتاجة الى اصلاح  
ولم يكن في الخزانة مال موفر يقوم بسدادها ، ففرض على الناس جلود ضحاياهم  
وكان ذلك في عيد أضحي فأحضروها وصرفت أثمانها في اصلاح تلك الناحية المتهدمة ،



وكان محمد بن عبد الله بن يحيى الليثى قاضى قرطبة كثيرا ما كان يخرج الى الثغور ويتصرف في اصلاح ما وهى منها حتى مات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة .  
وظهور العلماء في أمثال هذه المواقف يفرس لهم في نفوس الامة ودا واحتراما ، ويورثهم في رأى أولى الامر مقاما كريما ، أفلا نذكر أيام كان أمراء الاسلام يعرفون في طائفة من العلماء رجاحة الرأى وصراحة العزم وخلوص السريرة فيلقون اليهم بقيادة الجيوش فيكفون بأس اعدائهم الاشداء ، وما كان أسد بن الفرات قائد الجيش الذى فتح صقلية الا أحد الفقهاء الذين أخذوا عن مالك بالمدينة ومحمد بن الحسن فى بغداد وعبد الرحمن بن القاسم فى القاهرة .

ينظر أهل العلم الى ماغرق فيه بعض شباننا من التشبه بالمخالفين وتقليدهم فى عادات لاتغنى من الرقى شيئا ، وقد يرى بعضهم انحطاط كثير من ابنائنا فى هذا التشبه والتقليد ، فيعده قضاء مبرما ، ويملكه خاطر اليأس حتى ينتكت من التعرض للشؤون العامة ومعالجتها ، ولكن الذى يعرف علة هذا التسرع ويكون قد قرأ التاريخ ليعتبر ، يرى الامر أهون من أن يصل بالنفوس الى التردد فى نجاح الدعوة . بله اليأس من نجاحها .

وأذكر بهذا أن كاتبنا كتب فى احدى المجلات مقالا تحت عنوان «وحدة العالم» يدعو فيه الى مسامرة أوربة فى السفور ونحوه ، وقال فى علة الدعوة الى هذه المسامرة : ليخرج الشرق والغرب فى مدينة واحدة ، وأشار على دعاة الاصلاح فى الشرق بأن لايقفوا فى سبيل هذه المدنية زاعما انهم لا يستطيعون مقاومتها ، ولا يزيدون على أن يجعلوا سيرها بطيئا ، ورغب اليهم أن يحثوا الناس على المسارعة الى قبولها .

والذين ينظرون الى مدينة أوربة باعتبار ، يصرون فيها على البداهة مالا يرتضيه العقل ولا يقبله الشرع ، واختلاف الامم بالحق خير من اتحادها على باطل ، ولا يفوت الحكمة أن تجد نفوسا مهذبة وعقولا سليمة فتقبلها ، فحقيق على العلماء أن يتسموا لهذا الرأى تبسم الازدراء ولا يقيموا لمثله وزنا الا أن يكشفوا سريرته ويعرضوا على الانظار سوء مغبته ، والعالم بحق من يتدبر بالايان البالغ والثقة بما

وعد الله به الداعي الى الحق من الظهور على أشياع الباطل وان أوتوا زخرفا من القول وسعة من المال وكانوا أكثر قبيلة .

لا ينبغي لاهل العلم أن يغفلوا عن سير أرباب المناصب والولايات ، فمن واجبهم أن يكونوا على بينة من أمرهم ، حتى اذا أبصروا عوجا نصحوا لهم بان يستقيموا ، أو رأوا حقا مهملا لفتوا اليه أنظارهم وأعانوهم على اقامته . أمر السلطان سليم بقتل مائة وخمسين رجلا من حفاظ الخزائن ، فبلغ هذا النبأ الاستاذ علاء الدين الجمالى وكان متوليا أمر الفتوى فذهب الى السلطان وقال له : وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخره السلطان ، وهؤلاء الرجال لا يجوز قتلهم شرعا ، فعليك بالعفو عنهم ، فغضب السلطان سليم ، وقال له : انك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك ، فقال الاستاذ علاء الدين : لا : بل أتعرض لأمر آخرتك ، وانه من وظيفتى ، فان عفوت فلك النجاة ، والا فعليك عقاب عظيم ، فانكسرت سورة غضب السلطان وعفا عن الجميع . ومتى كان في ولاية الامور شىء من العدل ، وكان في الداعي الى الإصلاح حكمة واخلاص ، نجحت الدعوة في سعيها ، وبلغت بتأييد الله مأربها . يكون العالم رفيقا في خطابه لينا في ارشاده ، أما اذا أراد ذو قوة على أن يقول مالىس بحق أو يأتى مالىس بمصلحة ، أخذ بالتى هى أرضى للخالق ، وكان مثالا للاستقامة صالحا . اذكر أن احمد بن طولون دعا القاضى بكار بن قتيبة الى خلع الموفق من ولاية العهد فأبى ، فحبسه وكرر عليه القول فأصر على الالباء ، وبقي في السجن حتى ثقل ابن طولون في مرض الوفاة ، فبعث الى القاضى بكار يقول له : أردك الى منزلتك أو أحسن منها ، فقال بكار للرسول قل له : شيخ فان ، والمتقى قريب ، والقاضى الله عز وجل ، فبلغ الرسول ابن طولون ذلك فاطرق ساعة ثم قال شيخ فان ، والمتقى قريب ، والقاضى الله عز وجل ، وأمر بنقله من السجن الى دار اكثريت له .

وانما يقوم العالم باسداء النصيحة الى ذى قوة أو لايوافقه فيما يندش أمانته وتقواه ، متى قدر مقامه العلمى قدره وكان شأن العلم أسمى في نظره من كل شأن ، وهذا الشعور هو الذى يهيؤه بعد داية الغيرة لان يجاهد في سبيل الحق

مستهيئا بكل مايعترضه من أذى :

ومن أدب العلماء أن ينصحوا للأمة فيما يقولون أو يفعلون ، ويحتملوا ماينالهم في سبيل النصيحة من مكروه ، وكم من عالم قام في وجه الباطل فأوذى فتجلد للاذى ، وأجاب داعى التقوى متأسيا بقوله صلى الله عليه وسلم ( اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون ) ومن جرى على هذا الخلق المتين أبو بكر بن العربى يوم كان قاضيا باشييلية ، قال في كتاب القواصم والعواصم «حكمت بين الناس فالزمتهم الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى لم يك يرى في الارض منكر ، واشتد الخطب على أهل الغضب ، وعظم على الفسقة الكرب ، فتألبوا وألبوا ، وثاروا على فاستسلمت لامر الله وأمرت كل من حولى الا يدفعوا عن دارى ، وخرجت على السطوح بنفسى ، فعاثوا على حتى أمسيت سليب الدار ، ولولا ماسبق من حسن الاقدار ، لكنت قتيل الدار» يعنى بقتيل الدار عثمان رضى الله عنه .

ولا يستحق لقب عالم أو مصلح ذلك الذى يدعو الناس الى العمل الصالح ويقبض عنه يده ، أو ينهاهم عن العمل السىء ولا يصرف عنه وجهه ، فن أدب العلماء أن يسابقوا الامة الى اجتناب ما يؤاخذ به ، وعمل مايمجد عليه ، كان ينفقوا في وجوه البر والمشروعات الصالحات ما ينفقه أمثالهم من المكثرين أو المقلين ، فان ذلك أدل على اخلاصهم وأدعى الى توقيهرهم وقبول نصائحهم .

واذا كان العدد القليل فيما سلف يكنى لحراسة الدين وارشاد من ينحرف عنه حتى يعود اليه ، فلا ن سلطان الاسلام يومئذ غالب ، وصوت الجهل عليه خافت ، أما اليوم فالحال ماترون وما تسمعون ، فلا يمكن للدعوى أن تأتى بفائدتها الا أن تضم المعاهد الاسلامية بين جدرانها طوائف كثيرة من أولى الغيرة والعزم . يصرفون جهدهم في الدفاع عن الدين والدعوة الى الخير ويعيدون الدعوة مرة بعد أخرى .

وستنبت المعاهد الاسلامية ان شاء الله كثيرا من العلماء القوامين على نحو ماوصفناه ولا سيما حين يأخذ التعليم بالازهر الشريف نظامه الاسمى ويمجرى مثل هذا النظام في غيره من المعاهد الاسلامية كجامع الزيتونة في تونس ، وجامع القرويين في فاس ، ويقوى

الامل في أن تؤتني هذه المعاهد الثمرة الغزيرة الطيبة متى نظر إليها أولو الامر برعاية،  
وعاملوا النشء المتخرجين منها بما يدل على أنهم يحترمون الشريعة ويقدرّون ماتبته في  
الامة من رشد واصلاح . محمد الحضر حسين

## الظرف والملاح

لما توفّي عبد الله بن طاهر . صلى عليه ابنه طاهر بن عبد الله . ودفنه واعتق عند  
كل زاوية من زوايا قبره : رقبة من غلمانه — وفعل ذلك اخوته . ودفع كل رجل منهم  
الى كل غلام خمسمائة درهم — وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولداً ذكراً . فقال  
أبو العميثل الأعرابي الشاعر . لمُصعب بن عبد الله . وكان ابو العميثل يختص بطاهر  
ويناديه : أَلَا أدُلُّكَ على شيء تفعله فتتقدم به سائر اخوتك عند الامير طاهر ؟ قال بلى .  
فانشده هذه الأبيات . وقال اكتب بها الى الأمير .

يامن يحاول أن تكون خلاله	تخلال عبد الله أنصت واسمع
فلاقصدك بالنصيحة والذي <sup>(١)</sup>	حجّ الحجيح اليه فاقبل أوذع
ان كنت تطمع أن تحلّ محله	في المجد والشرف الأتم الأرفع
فاصدق وعفّ وبرّ وانصرواحتمل	واحلّم ودار وكاف واصبر واخشع
والطفّ ولنّ وتأنّ وارفق واتّند	واحزم وجدّ وحام واجمل وادفع
هذا الطريق الى المكارم مهيناً <sup>(٢)</sup>	فأبصر فقد أسلكت قصد المييع <sup>(٣)</sup>

فاستحسن طاهر الأبيات وقال : والله لقد أفدتني بما يجب به شكرُك على . فقلده  
نيسابور وأعمالها ثلاث سنين وأكسبه الف الف درهم .

قال أبو الحسن علي بن هذيل : وقد جمعت هذه الأبيات خلال المكارم . وموجبات  
السودد . وتفاريق المروءة .

# النفس

تفسير قصة شعيب عليه السلام

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قد بينا في المقال السابق معنى العبادة كما بينا أنها واجبة على العبد في جميع الأحوال . سواء في ذلك حقوق الله تعالى وحقوق العبد على نفسه وحقوق غيره عليه .

ولما كان أهل مدين قد اعتادوا نقص المكيال والميزان ، ومرّوا على بنحس الناس أشياءهم ، ومرّدوا على العثيان في الأرض مفسدين ، خص عليه السلام نهيهم عن ذلك بالذكر بعد شمول الأمر بالعبادة له — وهكذا كانت عادة الأنبياء عليهم السلام اذا رأوا قومهم مقبلين على نوع من أنواع المفاصد اقبالا أشد من اقبالهم على سائر أنواعها بدءوا بمنعهم من ذلك النوع لكثرة شره وعموم ضرره .

فكانه عليه السلام قال لهم : اعبدوا الله لأنه لا اله لكم غيره ، فراقبوه في جميع شؤونكم ، ولا تعصوا أوامره ، ولا تتخطوا نواهيه ، ولا سيما ما أغرمتكم به وشغفتم . من نقص المكيال والميزان ، وبنحس الناس أشياءهم ، والعبي<sup>(١)</sup> في الأرض مفسدين . ثم ان نقص المكيال والميزان ، هو جعل هاتين الآتين بمقدار أقل من المقدار الذي تواضع عليه الناس ، فاذا كالوا للناس كالوا لهم بهما ، متوسلين بنقصهما الى الزيادة في أرباحهم وأموالهم وان عاد ذلك بالغبن والنقص على غيرهم .

وعلى هذا يكون المنهيون عن نقص المكيال والميزان هم المؤمنون كالبائعين مثلا . وسيأتي الكلام في نقص المستوفين لهما كالمشتريين مثلا في تفسير قوله تعالى : ( وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ) .

(١) عثى في الارض يعنى عثيا وعتيا وعتيانا أفسد فيها أشد الافساد وأفجعها .

ولما كان النهى انما يُمثّل في الغالب اذا قُرِنَ بالسبب الذي اقتضاه اردف عليه السلام ذلك النهى بسببين : يتن لهم بالأول خطأهم فيما قصدوه من نقص المكيال والميزان فذكّرهم بما هم فيه من الخير الذي يتقبلون فيه من الصحة والعافية والأمن والثروة وسمة العيش وطيب الحياة والخصب وكثرة النسل الى غير ذلك مما يتناوله الخير الذي هو كل ما يرغبه الناس جميعاً في كل حال .

فاذا كان هؤلاء القوم مغمورين في هذه النعم الكثيرة الغزيرة لزّمهم أن يستعنوا بها عن ارتكاب هذه الرذيلة ، رذيلة غبن الناس بنقص المكيال والميزان ، كما يجب عليهم أيضاً أن يشكروا الله الذي أنعم عليهم بها ، فيؤدوا حقها من التسامح فيها والتفضل على المحتاجين والمُعوزين .

ثم يتن لهم بالسبب الثاني سوء العاقبة اذا استمروا عاكفين على ما هم فيه من سوء معاملة الخلق ، وكفران نعمة الخالق .

حذرهم شر ذلك اليوم العصيب الذي لا ينفعهم فيه مال ولا بنون ، ولا شفيع ولا وليّ حميم ، وما هو منهم ببعيد — ولكنه تحذير ممزوج بشفقتهم وتقرّبهم اليهم ، ورجائهم أن يزدجروا ويقبلوا عما هم فيه ، ويقبلوا وعظه واخلاصه لهم .

ألا تراه عليه السلام يقول لهم : ( إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ) ، وأنت تعلم ان الخائف على غيره انما هو من يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها .

كذلك تعبّره عليه السلام لهم بخوفه عليهم يشعر بأنه لم يكن على يقين بانهم سيصرون على طغيانهم حتى يحيط بهم ذلك اليوم لا محالة ، بل كان يرجو أن وعظه لهم وتذكيرهم بنعم الله عليهم ، مع علمهم من قبل بأنه من أخوتهم ، ومع معرفتهم بخلاله الكريمة وسيرته الحسنة ، كل ذلك كان يُطمئئنه أنهم سيفيقون من غفلتهم ، ويخلصون من غمّرتهم ، ولكن ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) .

من هذا يتضح لك أنه عليه السلام ، لم يألُ جهداً في التجنب اليهم ، وفي اثبات صحة ما يدعوهم اليه ، وفي ترغيبهم في الأيمان به والعمل على مقتضاه .

كذلك لم يأل جهدا في زجرهم عما وقعوا فيه وتخويفهم من سوء عواقبه وتحذيرهم من العناد والاصرار على عكوفهم عليه .

الم تر أنه عليه السلام ، قد وصف لهم ذلك اليوم بأنه محيط بهم ، كما يحيط العدو الكثير العُدَدِ والعُدَدِ بعدوه الذي لا يدانيه منعة ولا عُدَّة ولا عُددا — فهل تظن أن تثبت اقدامهم امام هذا العدو المحيط بهم ، أم هل يفلت منهم أحد ، أم (هل ترى لهم من باقية ؟) .

على أن التخويف من سوء العاقبة وشر المصير لم يقف عند هذا الحد ، بل أنه تجاوزه الى ما هو ادهى وأمرّ : ذلك أن الذي سيحيط بهم ويساشرم أثره هو العذاب الواقع ، الذي ليس له من دافع — ومن الواضح أن هذا العذاب سيحصل في زمان يحيط به ويشتمل عليه ، فيكون القوم حينئذ محصورين في داخل محيطين منيعين ، هما العذاب وزمانه — ولا ريب أن واحدا منهما لا يمكن تسوره ، ولا استطاع اختراقه ، ولا يقبل فيه عدل . ولا تنفع فيه شفاعة .

فهل يفلت أحد من أهل مدين اذا جاءهم بأسُ الله يياتا وهم نائمون ، أو اذا أتاهم ضحاً وهم يلبون ؟ بلى (إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ . مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) .

بقي أن هذا اليوم المحيط قد ذكر في الآية الكريمة مطلقا لم يقيد بوصف يعينه ويبين أي يوم هو ؟ — فوجب اذا أن يبقى على اطلاقه ليصلح لأي يوم من أيام الله التي يُنزل فيها عقابه على من استحقوه سواء اكان ذلك اليوم من أيام الدنيا أم من أيام الآخرة .

هذا اليوم الذي خوفهم عليه السلام بأنه سيحيط بهم في الدنيا هو ذلك اليوم الذي ذكره الله تعالى في آية اخرى بقوله : ( فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ . إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) .

واما الذي سيحيط بهم في الآخرة فهو اليوم الذي يقول الله تعالى فيه لهم ولاشياهم : ( هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ . فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ . وَيَلُ

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ . وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ  
لِلْمُكَذِّبِينَ )

ثم انه عليه السلام بعد أن بين لهم ما حرمه ربهم عليهم - وهو نقص آلتى الكيل  
والوزن - بين لهم ما أوجبه عليهم قتال مذكر لهم برابطة أخوة النسب ، تلييناً لقلوبهم  
وكسراً لشكمتهم ، وترغيباً فى الاستماع اليه : ( يَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ  
بِالْقِسْطِ ) .

أمرهم أن يوفوها بالعدل ، فيجعلوها على القدر الذى جرى عليه العرف بين الناس -  
وايفاءهما يعمّ عدم تقصهما . وقد تقدم النهى عنه صريحاً فى قوله : ( وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ  
وَالْمِيزَانَ ) فيكون اعادته مرة ثانية فى ضمن الايفاء توكيداً وتقريراً له كما هو الشأن فى الأمر  
بالشيء بعد النهى عن ضده . وفى النهى عنه بعد الأمر بضده . ومنه قوله تعالى : ( وَأَنْ أَقِمَّ  
وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ  
وَلَا يَضُرُّكَ ) - وقد جاء الاستمالة فى قوله تعالى : ( فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ  
وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ . وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ . وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) .

كما يعمّ ايفاءهما عدم تقصهما كما عرفت ، كذلك يعمّ عدم زيادتهما على  
القدر المصطلح عليه فيهما - فالذى يفهم حينئذ من نهيه عليه السلام لهم عن نقص آلتى  
الكيل والوزن ، ثم أمره لهم بإيفاءهما . أن القوم كانوا قد اتخذوا لانفسهم مكايل  
وموازين متفاوتةً بعضها ناقص وبعضها زائد - ومن البين أن الناقص منها انما كانوا  
يستعملونه فى الكيل أو الوزن لغيرهم . وان الزائد انما اتخذوه ليتزنوا به أو يكتالوا  
لانفسهم من غيرهم .

هذا : ولا يخفى عليك أن وجوب ايفاء آلتى الكيل والوزن بالقسط والعدل بدون  
نقص ولا زيادة فيهما لا يتنافى أن زيادة الموفى كالبائع مثلاً فى الكيل والوزن أنفسهما أمر  
مندوب اليه ، لأنها من قبيل التفضل ومكارم الأخلاق . والبر بالمستوفين كالمشتري مثلاً .



خجلة ما بلغهم عليه السلام من الاحكام، ورغبهم في العمل به، ورهبهم من مخالفته،  
 حكام: تحريم نقص المكيال والميزان، ووجوب ايفاءهما بالقسط .  
 ثم أنه عليه السلام بعد أن نهاهم وأمرهم نهياً وأمرأ خاصين بالنقص والأيفاء نهاهم  
 نهياً عاماً ينتظم سائر أنواع ظلم الناس والتعدي على حقوقهم فقال: (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ  
 أَشْيَاءَهُمْ) ، أى لا تنقصوهم حقوقهم ، ولا تسلبوهموها بأى نوع من أنواع التعدي ،  
 كالنصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الأموال بأى أسلوب من  
 أساليب التفرير والاحتيال .

فيدخل حينئذ في عموم تحريم البخس بأى وجه من وجوه التفرير والاحتيال ما  
 يفعله الموفون كالبائعين، والمستوفون كالمشتريين من بخس ذات المكيل والموزون،  
 مع كون آتى الكيل والوزن وافيتين غير ناقصتين<sup>(١)</sup> .

وتوضح ذلك: أن النقص في المكيل والموزون تارة يكون في الأيفاء، ومرتكبه  
 هو الموفى كالبائع مثلاً: فيحتال لذلك بوضع شيء في المكيال، أو بالصاق شيء ثقيل في  
 كفة الموزون، ويكون الغبن في هذه الحالة لاحقاً بالمستوفى كالمشتري مثلاً — وتارة  
 يكون في الاستيفاء، ومرتكبه هو المستوفى كالمشتري: فيتحيل لذلك بتحريك المكيال  
 أو كبس المكيل، أو بتثقيل كفة الصنجة — وحينئذ يظهر في رأى العين نقص  
 المكيل والموزون — ويكون الغبن في هذه الحالة عائداً على الموفى كالبائع مثلاً، وفي  
 كلتا الحالتين قد لزم نقص حق صاحب الحق .

ثم ان هاتين الحالتين هما المذكورتان في قول الله تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا  
 أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) .  
 ثم انه عليه السلام أتبع هذا النهى العام، وهو نهيه عن بخس الناس أشياءهم، نهى  
 أعم، وهو نهيه عن العثيان في الأرض مفسدين .

هذا: ثم استمع أولاً أن نهيك، فلاناً عن شيء لا يستلزم أن فلاناً هذا قد تلبس بهذا  
 الشيء وبأشبهه بالفعل . بل كما يجوز أن يكون قد بأشبهه، يجوز أنه لم يكن بأشبهه، وانما

(١) بهذا أن هذا غير مكرر مع ما سبق . لان ما هنا في المكيل والموزون . وما هناك في قلم المكيل والميزان .

قصدت من نهيك إياه أن تباعد بينه وبين الوقوع فيه بالفعل .

مثال الأول . قول علماء بنى اسرائيل لقارون . ( وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ) فان قارون كان قد بنى بالفعل كما قال الله تعالى : ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ) .  
ومثال الثانى قول لقمان لابنه وهو يعظه : ( يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ) فان ابنه كان مؤمناً موحداً . ولم يقصد لقمان الاحشه على الاستمرار على التوحيد ، وتحذيره من الوقوع فى الشرك .

فما كان شأن النهى كما سمعت كان قول سيدنا شعيب عليه السلام لقومه : ( وَلَا تَعْمَوْا فِي الْأَرْضِ ) ليس نصاً فى أنهم قد تلبسوا بالعثيان بالفعل ، مع أن الواقع أنهم قد ارتكبهوا وأمعنوا فيه وعكفوا عليه فعلاً .

لهذا أتبع عليه السلام نهيه عن العثي في الأرض قوله : ( مُفْسِدِينَ ) تنصيصاً على أن ما نهاهم عنه كانوا قد وقعوا فيه بالفعل . وهم الآن عليه مقيمون <sup>(١)</sup> .  
فكانه عليه السلام قال لهم : انى أنها كم عن العثيان الذى ارتكبتموه ولا تزالون عاكفين عليه <sup>(٢)</sup> .

ثم انظر بعد ذلك الى اقتداره عليه السلام على أخفهم باقامة الحجة عليهم - ذلك أنه قال : ( مُفْسِدِينَ ) دون أن يقول ( عاثين ) . لأنه أراد أن يسجل عليهم العثيان الذى هو أخص كما عرفت . فأثبتهم بأنهم الآن متصفون بجنسه الذى يشمل جميع أنواع الفساد خاصاً وعمماً لا يشذ منه نوع - فعلى هذا يكون وصفه عليه السلام لهم بالفساد العام بعد وصفهم بالفساد الخاص من قبيل ايراد الدليل بعد المدلول عليه .

وانما بدأ عليه السلام بنهيه عن العثيان الذى هو الخاص . دون الأفساد الذى يشملهم ويشمل غيره . لأن العثيان شره مستطير . وضرره أعظم . وأثره أنكى وأعم . وعاقبته أسوأ وأَوْخَمُ -- وأما غيره فانه ليس كذلك . بل هو قد يحتمل فى الجملة .

(١) منشأ هذا أن اسم الفاعل كالمفسدين هنا حقيقة فى الموصوف بالحدث بالفعل الآن

(٢) فهو حال مؤسسة لا مؤكدة .

زد على ذلك أنه اذا نهام أولاً عن الفساد الأعم فقد يخيّل اليهم أن اقلاهم عن الفساد الضعيف منه كاف في الازدجار وامتنال النهى . ثم لا يزالون بعد ذلك مقيمين على أشد أنواع الأفساد وأضره وهو العثيان .

قلنا فيما سبق : أن نهيم عن العثي في الأرض مفسدين أعم من نهيم عن نجس الناس أشياءهم - ووجه ذلك أنه يشمل الأموال والأعراض والنفوس والأخلاق والآداب والمعتقدات وكل ما يوجب مفسدة دنيوية أو دينية .

ومما يفسر لك مقالته عليه السلام هنا . ما قصه الله تعالى عنه عليه السلام في سورة الأعراف من قوله لقومه : ( وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا . ذَاكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا حِوَجًا . وَإِذْ كُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ) .

ثم أنه عليه السلام قفى على جميع ما دعاهم اليه . من عبادة الله تعالى وحده ، ومن عدم نقص المكيال والميزان ، ومن إيفاء المكيال والميزان بالتقسط ، ومن عدم نجس الناس أشياءهم ، ومن عدم العثي في الأرض مفسدين ، قفى على جميع ذلك بقوله : ( بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ <sup>(١)</sup> لَكُمْ ) .

البقية من الشيء . هي بعضه الموجود منه بعد ذهاب بعضه الآخر . خيراً كانت أو شراً - والمراد بها في الآية الكريمة المعنى الأول بدلالة اضافتها الى الله تعالى والأخبار عنها بأنها خير .

أما الشيء الذى بعضه بقية الله هذه فهو الجزء الحسن الذى تفضل الله تعالى به على من آمن به وأطاع أوامره واجتنب نواهيه ، فبعض هذا الجزء دنيوى يناله المؤمنون في الدنيا ويزول بزوالها ، كالسلامة من الآفات والصحة والأمن والعزة والغنى وتمكين الله لهم دينهم في الأرض ونصرهم على من يناوئهم .

وبعضه الآخر (وهو بقيته) أخروى دائماً مدخر لهم عند الله سبحانه، قد أعد لهم ليحيوا به في دار كرامته الحياة الطيبة الخالدة .

ولعظم هذه البقية وجلال قدرها زاد الله تعالى شرفها باضافتها إليه في قوله : ( بَقِيَّتُ اللَّهِ ) . ونظيرها في ذلك قوله تعالى : ( ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمَلَ صَالِحًا )

وقد أرشدنا سبحانه الى ذلك بقوله ( وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا . إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ . وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ . )

وانما قلنا أن بقية الله بعض من الجزاء الحسن الذي جازى الله تعالى به المؤمنين في مقابلة إيمانهم وتوحيدهم وطاعتهم . لان هذا هو الذي يدل عليه تبليغ سيدنا شعيب عليه السلام لقومه — ألا ترى أنه عليه السلام دعا قومه الى عبادة الله تعالى ذكره ، ثم نهاهم وأمرهم ، ثم ختم كل هذا التبليغ بقوله : ( بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ ) . وقد عرفت من معنى البقية أن لها معادلا يقابلها وهو هنا الجزاء الديوى الفانى ، فدل نظم كلامه عليه السلام في دعوة قومه على أن هذا الجزاء الذى بقية الله بعضه راجع الى جميع ما جاء في تبليغه وليس خاصا بالنقص والبخل .

وانما كانت بقية الله خيرا لانها أعظم وأجل من جملة وجوه : في مقاديرها — قال تعالى : ( مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ . فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ . وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ . وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ) وفي كثرة صنوفها واشتمالها على ما يتنعم به — كما قال سبحانه : ( وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ) وقال : ( لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ) .

وفي كيفياتها — كما قال عز اسمه : ( فِيهَا فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ . ) وقال : ( يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . بَيْضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ . وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ . كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ) الى غير ذلك ، ككون ماء الجنة غير آسن وعدم تغير طعم لبن أنهارها وتصفية عسل أنهارها .

وفي دوامها وعدم منعها . كما قال سبحانه ( وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّامَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ) وقال : ( إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ) .

وفي حسن عاقبتها وسلامتها من الآفات . وتفويض التمتع بها الى مشيئتهم . وذلك قوله جل ثناؤه حكاية عن أهل الجنة : ( وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ . إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ . الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ . لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ) وقوله : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ . فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ) وقوله . ( لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ . وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ) .

وجملة المعنى . أنه عليه السلام يقول لهم . أن البقية المدخرة لكم عند الله تعالى في الآخرة . التي هي بعض من الجزاء الحسن الذي يكافئكم الله تعالى به اذا آمنتم وعملتم الصالحات . هي خير من بعضه الآخر المعجل لكم في الدنيا وأجل منه قدرا وكما وكيفاً . ومن الجلى الواضح أنها تكون خيراً مما يجنونه من النقص والبخس بالطريق الأولى . بل لا يكاد يصح تفضيلها عليه ، لانه تفضيل للأفضل الأكمل على الخسيس الناقص .

ثم ان بعض هذا الجزاء الحسن الذي يناله المؤمنون الطائعون من قوم سيدنا شعيب في الدنيا لم يذكر في الآية هنا صريحاً بل بطريق الاشعار والاشارة في التعبير بالبقية كما قدمناه لك . ولكنه قد ذكر صريحاً بعبارة تشمله وتشمل البعض الثاني الأخرى الذي هو البقية في قوله عليه السلام في آية الأعراف : ( فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا . ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ ) — فقد رأيت أن هذا الأطلاق في قوله عليه السلام : ( ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ ) شامل لما ينالونه في الدنيا من الجزاء الحسن النافذ . ولما ينالونه من الجزاء الحسن الخالد المدخر لهم عند ربهم سبحانه .

بعد هذا بين لهم عليه السلام أن هذه البقية انما تكون خيراً ثابتاً مستحقاً لهم . أى جزاء أعظم وأكمل مقضياً لهم به من الله تعالى ينالونه في الآخرة ان كانوا مؤمنين مصدقين بما جاءهم به ممثلين له عاملين به .

أما إذا لم يؤمنوا به فانهم يكونون قد حرّموا أنفسهم من ثواب المؤمنين الشامل للبقية وغيرها ، ولا تكون البقية خيرا محكوما لهم به من الله تعالى ، لأنهم حرّموها بفعلهم . بل تكون خيرا قضى الله به لغيرهم ، وهم الذين آمنوا منهم بشعيب عليه السلام وعملوا صالحا .<sup>(١)</sup>

ثم أنه عليه السلام بعد أن أمرهم ونهاهم ورغبهم ورهبهم وأعذر اليهم بما أنذرهم به . أخذ يشرح لهم منزلته فيهم بقوله : ( وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ) — الحفظ هنا هو تعهد الشيء والرقابة عليه والتسلط والسيطرة ، فأخبرهم عليه السلام أنه ليس مهيمنًا عليهم ، وليس من شأنه ولا من حدوده أن يسيطر عليهم ، فيتفقد أمورهم وشؤونهم . ويتسلط عليها بالتصرف فيها بتغيير وتبديل أو محو وإثبات

وذلك بأن يخصى عليهم أعمالهم وأحوالهم ثم يحازيهم عليها ، أو بأن يضطرهم الى الاقلاع عما هم فيه من الكفر والمعاصي ويكرههم على قبول ما يدعوه اليه من الأيمان والطاعات ، أو بأن يبقّى عليهم ما هم فيه من النعم والخيرات وإن أساءوا التصرف فيها ولم يشكروا الله تعالى عليها .

لا شيء من هذا في قدرته ولا من حدوده عليه السلام بل إنما ذلك كله الى الله وحده القادر على كل شيء . وإنما منزلته عليه السلام فيهم أن يبلغهم عن الله تعالى ما أمره بتبليغه ، فيأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويقيم وجوههم للدين حنفاء لا يدعون مع الله الها آخر ويدشرهم وينذرهم ، وينصب لهم الدلائل على صدقه ونصحه فيما بلغهم ويقيم لهم البيّنات على صحة الدين الذي يدعوه اليه ، حتى يتبين لهم الرشد من الغي ، ويدخلوا في دين الله مقتنعين طائعين ، لا مقلّدين ولا مكرهين .

(١) قوله عليه السلام : ( إن كنتم مؤمنين ) شرط فيما تفيد اللام في قوله ( لكم ) وهو استحقاقهم لهذه البقية العظمى . وعلى ذلك حذف جواب الشرط للدلالة معنى السلام عليه . وتقديره هكذا إن كنتم مؤمنين استحققتهم نيل هذه البقية الفضلى .

تلك هي معاملة الرسل لأمتهم ، لا يُكرِهونهم على الأيمان ، ولا يَضْطَرُّونهم اليه ولا يُلْجِئُونهم الى قبوله قسراً وقَهراً ، بل وسيلتهم في ذلك انما هي الأقناع القائم على الحجة والبرهان .

على هذه السنة كانت دعوة سيدنا شعيب لقومه ، وتلك هي سنة إخوانه من قبله ومن بعده ، فمن ذلك قولُ سيدنا نوح عليه السلام لقومه : ( يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ؟ ) وقوله عز شأنه في شأن رسالة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ) وقوله : ( أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟ ) .

حسن منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا

يتبع

## الطرف والملح

وقال بعضهم مهتئاً بالعيد :

رأى العيدُ وجهك عيداً له      وان كنتَ زدتَ عليه جمالا  
وكبرَ حينَ رآكَ الهلالُ      كفعلك حينَ رأيتَ الهلالا  
رأى منك ما منه أبصرته      هلالا أضاءَ ووجها تلالا

لما دخل المأمون بغداد بعد قتل الأمين دخلت عليه زُبَيْدَةُ ابنة جعفر أمُ الأمين . فجلستُ بين يديه وقالت : الحمد لله إنَّ أَهْنَتَكَ بالخلافة فقد هُتَّتْ بها نفسى قبل أن أراك . وإن كنتُ فَقَدْتُ ابناً خليفة فقد اعتضتُ ابناً خليفة . وما خسرَ من اعتاض مثلك . ولا شُكِلْتُ أمٌ مَلَأَتْ عَيْنَهَا منك . وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ . وإمتاعاً بما وهب . فقال المأمون : ما تَلِدُ النساءُ مثلَ هذه . ما تراها ابقتْ في الكلام لبلغاء الرجال !

# اصول الدين

## الدين ضرورى للعمران

وأكبر مقومات الانسان من حيث هو انسان

خلق الله الانسان مركبا من شيئين ، روح وجسد ولكل منهما مطالب لا يتم أمره ولا يصفو عيشه ولا تحصل راحته ولا بغيته التى هى من خصائص ذاته ومقتضى طبيعته الا بها ، فاذا فرط فى مطالب البدن عاش ذليلا عليلا ، وأسرع اليه الضرر من كل جانب ولم يمكنه أن يقاوم السنن الكونية التى تصرع كل من يغالبها ويخرج على أحكامها ، واذا أهمل مطالب الروح عاش عبثة البهائم ولم يكن له من الانسانية نصيب ، اللهم الا فى صورته الظاهرية . وتخطيطه الجسمية ، بل تقول إن عيشه أسوأ من عيش البهائم لأن البهائم ليس فيها ذلك الشعور المغروس فى طبيعة الانسان الذى يريه الآلام صنوفا وألوانا ولا ذلك الخيال الذى لا يقف عند حد ، ولا ينتهى الى غاية ولا تلك الشهوات التى تبعد مرامها وتتسع نواحيها . ولا ضروب ذلك الانزعاج الذى يحصل مما يكون أو لا يكون وليس فيها النظر الى المستقبل الذى فعل بنا الأفاعيل ولا تلك العواطف التى قد تهلك صاحبها فى سبيل ما تصبو اليه ، ولديك مصارع العشاق وأخبار من ماتوا شهداء فى سبيل الفضائل أو قتلوا مجرمين فى سبيل الرذائل مما لا نطيل القول فيه .

فإن هذا من الحيوان الذى يكون هادى ، البال حتى يفجأه ما يفجؤه من الحوادث الوقتية التى ينتهى الأمل بانتهائها من غير أن يحسب لها حسابا قبل هجومها عليه ولا يعتريه أسف الذكري بعد مفارقتها ، فإذا لم ينظر الانسان فى المنهاج الذى يضعه لنفسه من الجهة الروحية والمطالب النفسية حتى يقفها على الصراط المستقيم ويهذبها بما يقيم اودها ويزيل أعوجاجها كان شراً من البهائم ، وأحط من كل ذى روح ، - هذا حاله فى نفسه - أما حاله بالنسبة الى المجتمع العام فهو وبال عليه فإنه لا يلقى منه المجتمع الا صنوف البلاء وأنواع الشقاء ، فإن الرجل العارى من مكارم الأخلاق الذى لم تهذب عواطفه ولم



تُصَف معارفه فأصبح يتخبط في دياجير الظلمات وأنواع الشرور والآفات هو وحش ضارٍ يفتك بكل من قدر عليه وهو عقرب يلدغ كل من يلتصق به أو يقرب منه ، وهو بعد ذلك شيطان متفنن في ضروب الشر وفنون الاحتيال لا يعرف الا نفسه المجرمة وشهوته الفاجرة ونزغته الحمقاء ، ولو هلكت الأمة وخرب العالم ، فهو من نفسه في شقاء شديد . أصبح مضطرب الأحوال مختل الخيال مرتبكاً كل الارتباك بين انسانيته وحيوانيته . أما المجتمع فقد فقدده ، أو نقول بعبارة أصح قد اعتاض منه ثعبانا ينفث السم ووحشاً أقسى قلباً من وحوش الفلاة وأكبر روغاناً من الثعلب وأعظم شرها من الخنزير ، وجدير به أن يكون كذلك ، فانه لا يؤمن بالجزاء على ما اقترب ولا بالحساب على ما جنى ، فهو لا يرغب في جنة ولا يخاف من نار ، وكأن العالم في نظره لعبة لاعب لا يكون الفوز فيها الا لمن كان أكثر تهويشاً وأحذق شعوضة ولا حياة في نظره غير هذه الحياة ، وهو لا يهمل الذين خاطبهم الله بقوله ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ) وينبهم في الآيات الكثيرة على خطيئهم فيما ظنوا بمثل قوله ( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ) فهذا ما يعاينه في نفسه وما يعانى المجتمع منه في الدنيا . أما ما أعدَّ الله له في الآخرة فهو أشد وأخزى ، ولكن تعال ننظر في حال المؤمن المتدين والى ما يعود على الناس منه فصور لنفسك رجلاً مؤمناً حق الايمان بقوله تعالى ( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ) وبقوله ( وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ) ( وَإِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِمَا حَسِبْتُمْ ) ( وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) وبقوله عز وجل ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ) ( مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ )

فانظر كيف تكون مراقبته لله تعالى وخوفه من الله ، وهو يعتقد أن الله يعلم السر وأخفى وأنه مسئول عن كل أحواله ومجزى بجميع أعماله . هل يمكنه أن يكون مع هذا الاعتقاد منتهكاً للحرمة مغتصباً للأموال أو يكون سارقاً أو قاتلاً أو خداعاً أو غشاشاً أو مزوراً . . . الخ ثم تراه بعد ذلك قد نظر فيما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يحث على مكارم الأخلاق وينهى عن مساوئها ، وجده يأمر بالرحمة لكل أحد حيث يقول (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ثم لم يقتصر على رحمة الانسان العاقل بل أوجب الرحمة والشفقة على كل ذى روح ، وان شئت فانظر الى قوله عليه السلام (دخلت امرأة النار في هرة حبستها لاهى أطعمتها ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض) وقوله (لا تنزع الرحمة الا من قلب شقى .) إلى غير ذلك ثم نظر فوجده يحث على المحبة بين المؤمنين جميعاً علماً منه عليه السلام ان المحبة رسول السلام والوئام ، وماحية الخصام والانقسام ومبعث الهناء والصفاء . فأمرهم أن يكونوا اخواناً فقال (لا تحاسدوا ولا تبأغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً .) وجعل البغضاء هى الحالقة ونهى عن التفرق والتهاجر بالبلغ ما يكون وأقصى ما يتصور حتى حرم الخصام فوق ثلاثة أيام ، ونهى عن الايذاء بكل أنواعه حتى جعل غيبتك لأخيك من أكبر الكبائر وشبهها بما تشمئزله كل نفس وينفر منه كل انسان ، وقال الله فى الكتاب العزيز (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) . وقد نهى قبل ذلك عن أن تظن السوء بأخيك كى يطهر نفسك ولسانك وظاهرك وباطنك فتكون خيراً محضاً للناس ، لا تضمر لهم حقداً ولا تسوءهم بكلمة حتى فى مغيبهم فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا) يريد بذلك أن يجعلهم متحابين متآزرين حتى يكون بينهم التعاون والتآزر ، لا التهاجر والتفاجر والتخاصم والتشاتم وهل نجد شيئاً أبلغ فى التآزر الذى يريد الدين أن يجعله بين أبنائه من قوله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ويقول (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ويقول (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) ويقول

( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) ويقول في التحذير من إيذاء بعضهم بعضاً ( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ) ويقول ( كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ) ويقول في الترغيب في عمل الخير بكل أنواعه والترغيب فيما يعود على الناس بالمنفعة صغيرة كانت أو كبيرة ( لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في دلو أخيك أو أن تلقى أخاك بوجه طلق ) ويقول ( اماطة الأذى عن الطريق صدقة ) وقد جعلها شعبة من شعب الإيمان في الحديث الآخر ، فتراه قد حدث كل انسان على فعل الخير وعرفه أنه قادر عليه مهما كان أمره حتى جعل الكلمة الطيبة صدقة ، وأن تعين الآخر الذي لا يحسن العمل صدقه ، وأن تساعد الرجل في الحمل على دابته صدقه وأخيراً جعل الكف عن الشر صدقه ، فطلب من كل انسان أن يعمل الخير ما استطاع وبين أن كلا مستطيع ، وقد ورد في بعض الآثار أن كل مسلم على ثغر من ثغور الاسلام اما تحذيره من الظلم فحدث عنه ولا حرج ، حتى عرفنا أن كثيراً من العقوبات يؤجل للآخرة ولكن عقوبة الظلم معجلة في الدنيا مع ما ادخله في الآخرة ، وأخبرنا أن الله يحاسب على الفتيل والنقير وان من أخذ شيئاً ظالماً فإنما اقتطع قطعة من نار ، وقد حذر الحكماء أن يحجروا في حكمهم بما لا يمكن الزيادة عليه حتى قال صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه « ما من أمير عشرة الا يجاء به يوم القيامة مغلولاً يده الى عنقه فلا يفكه الا العدل . » وانظر هل تجد أبلغ وأروع من قوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَتِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ) وقوله في الآية الأخرى ( وَلَا يَجْزِي مَنكُمْ شَتَا نَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا )<sup>(١)</sup> فاذا كان هذا شأنهم مع أعدائهم الذين يبغضونهم في الله ولله ، فكيف يكون حالهم مع غيرهم ؟ ومن ذلك القبيل قوله تعالى ( وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ )<sup>(٢)</sup> . وعلى الجملة فانا نعجب كيف لا يظهر نور الاسلام في هذا العصر

(١) أى لا يحملكم بغضكم لقوم أن تفعلوا في جريمة الظلم

(٢) أى اذا كان بينك وبين قوم عهد وتبئت من حالهم فيه خيانة فانبدذ إليهم على سواء إن الله نكروا على سواء في الحل من اختراق ذلك العهد

عصر العرفان ويقظة العقول، ونذكر هنا قول اللورد هدى الانكليزى الذى اختار الاسلام ديناً بعد أن وقف على ما فيه من خير وسعادة وتعاليم تروق العقول وتُبهِج الأرواح .

« انى أعجب من الذين يبحثون عن أحسن مأكل ومشرب وملبس ومسكن ولا يبحثون عن أحسن دين فى الوجود » - انى أعجب كما يعجب أو فوق ما يعجب للأوربيين كيف يستكشفون ما كان غامضاً من أسرار المادة التى أدهشوا بها العالم ولا يستكشفون أسرار هذا الدين وهى أعظم من كل ما استكشفوه ، حتى يعرفوا ما انطوى عليه من الحكمة العامية والعملية التى تفوق حكمة أفلاطون وارسطو وكان لها من الأثر ما لم يكن لهما ولا لغيرهما من كبار الحكماء ، ويجدون فيه من البلسم الشافى للأدواء كلها ما يعجز عنه عصبة الأمم ومؤتمرات السلام ، ومن وسائل المحبة والوئام ما يستأصل الشيوعية التى تهدد مدنيّتهم وستقضى على كيانهم وتأتى على بنيانهم شاءوا أم أبوا كما أنذرهم بذلك كثير من عقلائهم ان لم يصلحوا مدنيّتهم الفاسقة ، ولا غرو فهى لا تدور الا على محور واحد يرجع كل شىء عندهم اليه وهو المادة التى أخذت كل عقولهم واستولت على جميع مشاعرهم واحساسهم ، فلاؤوا الدنيا من أجلها شرّاً وشقاءً وضراً وبلاءً بحجة أنهم يريدون أن ينقذوا الانسانية المعذبة (وما عذبها غيرهم ولا قضى عليها سواهم) ، ولو كانوا صادقين لرحبنا بهم وما نقمنا عليهم وقلنا ان الطبيب يفعل بالمريض ما يؤلم لكن بقصد أن يداويه ، والأب يضرب ابنه لكن لقصد أن يريه ، أما أولئك الماديون فكاذبون فيما يدعون غشاشون مُموّهون فيما يقولون ، فليسوا يريدون من الأمم الا ما يريد رب الماشية من الماشية ، ورب الضيعة من الضيعة ، وقد أفسدوا علينا معشر الشرقيين (لا سألهم الله) آدابنا وأخلاقنا وعقائدنا وجميع فضائلنا الا قليلاً من عقلائنا يجاهدون فى ذلك السبيل ، عسى الله أن ينصرهم ويكثر سوادهم بمنه وكرمه ، على أن كثيراً من الأوربيين قد شهدوا للاسلام ونبي الاسلام أكبر شهادة كاللورد هدى المتقدم ولا مرتين الذى نقلنا شهادته فى العدد الأول . ومثل توماس كارليل والدكتور موريس وكاين تيلر وغيرهم ولو حسن التفاهم بين الناس وحل الانصاف محل الاعتساف واهتم العالم بغذاء أرواحهم كما اهتموا بغذاء أبدانهم لدخل الناس فى دين الله أفواجاً طوعاً وكرهًا ، فالاسلام

وحقك هو بغية الأرواح وطلبة الأشباح ومهبط السكينة ومستقر الطمأنينة وضالة العقول وخلصة المعقول والمنقول وأمنية القلوب ورأس كل مطلوب ، وهل للناس مطلب غير أن يسعدوا في ظاهرهم وباطنهم ودنياهم وآخرهم سعادة تدفع عنهم شرور الحياة ومكارهاها ثم تفيض عليهم من أنواع السرور وشرح الصدور وبهجة الأسرار وصفاء الأنوار ما لا يعلمه إلا الله تعالى ثم تسامهم بعد ذلك إلى نعيم لا يشوبه كدر ولا يعتريه زوال ومُلْكٍ ليس فيه عناء ولا له انتضاء . ثم هو فوق هذا يدعو إلى الديمقراطية الحقة والمساواة الصحيحة فلا يرى فضلا لأحد على أحد إلا بالتقوى وقد أمر الناس بالتواضع في أنفسهم وخشية الله من قلوبهم وأن يشارك غنيهم فقيرهم بالشر أو نحوه فيما أعطاه الله تعالى حتى يطهر نفوس الأغنياء من البخل وقلوب الفقراء من الحقد عليهم فيتم بينهم المحبة والوئام ، أوصى الجار بالجار حتى قال ( والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن : فقالوا من يارسول الله فقال ، من لا يأمن جاره بوائقه ) وقال ( ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم ) أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا فرق في ذلك بين أمير ومأمور ورئيس ومرؤوس ، وقال جل شأنه في حق قوم أصابتهم اللعنة ( كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ) فكيف تكون مكارم الأخلاق في مثل هذه الأمة لو أخذت بتعاليم دينها به وهل يكون لانتهاك الحرمات وارتكاب المحرمات وخرق سياج الآداب سبيل الى أمة يكون بعضها رقباً على بعض وقد سيطر عليها الدين الذي يجعلها خير أمة أخرجت للناس سيطرة تستولى على نفوسها ولا تفارقها في خلوتها وجلوتها به أوجب أن تكون لها العزة والرفعة حتى أوجب عليها الهجرة من أرض الذل ضناً بكرامتها . واستبقاء لعظيم شرفها ، حتى قال ( المؤمن لا يذل نفسه ) وقال الله في وصفهم ( أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ) وقال ( وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ) . الى آخر ما لا يسعنا الا التلميح به والاشارة اليه ، نعم هذه قواعد المتينة وقوانينه الرفيعة ، وان أمره فوق هذا ، فانه لما رأى الانسان كثيراً ما تلعب به الأهواء وتغلب عليه الشهوات وكان يمكنه أن يحافظ على ظاهر تلك القوانين ولا تقوم عليه حجة بعد المحافظة على أشباح هذه الرسوم مع ما له من القصد السيئ فيما يأتي ويذر

فيكون ظالماً يلبس ثياب العادلين ومتدنساً يتسم بسيمى المتطهرين

لما علم ذلك علمنا ان المحافظة على تلك الرسوم الظاهرة لا قيمة لها في نظر الدين فقال في الحديث ( ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم : وقال انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ) . وقد قال تعالى ( وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ) وقال ( وَلَكِنْ يُوَازِئُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ) . وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الأشياء تتشابه فأمرنا بالاحتياط عند ذلك فقال ( دع ما يريبك الى ما لا يريبك ) وقال ( الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ) وقال تعالى ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ) ( وَإِنْ تَجَهَّرَ بِ الْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى )

فأنت ترى وقد وضع الصبح لدى عيني ان الاسلام لا يريد من أبنائه الا الحق الصراح الذي لا يعتريه ريب والعدل الكامل الذي لا يشوبه ظلم ولا تبني أمورهِ الا على المصالح الحقيقية والحقائق الواقعية ، فما أدري كيف صمت آذانهم عن سماع ندائه العالى وعميت أبصارهم عن رؤية شمسهِ المشرقة . ولنختم هذه الكلمة بمحادثة وجيزة جرت بيني وبين بعض العظماء تناسب هذا الموضوع . قال ان الأمة لا يزعمها عن الشر الا أحد أمرين : الدين والفلسفة . وحيث ان الأمة لا تستطيع الفلسفة ولا يمكنها أن تكون من ذويها فلا بد لها من الدين فقلت له أشكرك على أن أحلت الدين ذلك المحل وأنصفته ذلك الانصاف ، ولكن يسمح لى معالى الباشا أن أقول :

ان هناك فروقا كبيرة بين الدين والفلسفة ، فالفلسفة تستمد من نظريات العقول التى تصيب وتخطئ ، وأمامنا السوفطائية التى تجافى فلسفتهم الحقائق على خط مستقيم ، وكثيرا ما يكون هناك نزعات خفية توحى للفيلسوف فلسفته من حيث يشعر أو لا يشعر ، والانسان أسير نزعاته وشهواته محصور فى الناحية التى تسيره فيها نزعتهِ الخاصة أو شهوته الخفية ، وأمامنا فلسفة ابيقور واتباعه تلك الفلسفة التى لا ترى الخير الا فى

الملاذ الحسية وتقول ان ما وراء ذلك وهم أو خيال ، وقد يؤثر زخرفها الخلاب الموافق لاهواء النفوس وشهوات الطبيعة في كثير من أطفال العقول واسراء الشهوات فيرون كل شىء مباحاً . وان الأموال والابضاع حق مشاع بين الناس . وان من الظلم استئثار بعض الناس بشىء ، فيجب في شرعة الطبيعة أن لا يكون هناك استئثار بملك أو زوجة والا يكون هناك تحريم لأخت ولا بنت ولا أم ، وان من استطاع الوصول الى الاستمتاع بشىء من ذلك كله حل له أن يتمتع به لأنه استرداد لحقه المغتصب الى آخر تلك الفلسفة ومزخرفاتها

أما الدين فيستولى على النفوس من كل جهاتها فيقف بها عند ما حد لها من الحدود ثم يحاول أن تكون فاضلة كاملة حتى تؤثر على نفسها ولو كان بها خصاصة . وترى في ذلك كل سعادتها وهنائها ، وللقلوب سعادة لا يحس بها ذووا الأموال ولا أرباب المناصب ، على حين أن فلسفة أبيقور تقول هازئة بهذه التعاليم ( ما هي الفضائل وما هي الرذائل وما هي السعادة وما هي الشقاوة وما هو النقص وما هو الكمال ) ما هذه الا ألفاظ فارغة وخيالات باطلة ، فهذه الفلسفة لا تلقن أبناءها الا الزور والفجور ولا تغذيهم الا بجراثيم الأوبئة الفتاكة المهلكة والأفكار المربكة ، ولكن المتدين يقول ما يقول الله عز وجل ( إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) ( لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ ) الى آخر ما جاء بالكتاب والسنة وهو كثير فأنت ترى المتدين فاضلاً خيراً كاملاً ، وترى ذلك الفيلسوف جاهلاً ضالاً شريراً ، فالفلسفة غير مأمونة ولا مقدسة لأنها من نتائج الأفكار البشرية ، بل ضررها أقرب من نفعها . بخلاف الدين الذى هو تنزيل من رب العالمين ، وبالجملة فالاسلام عظيم أمره . كبير شأنه . ولكن ضيعه أمراؤه . وفرط فيه علماؤه . منذ زمان بعيد ، ولنقف هنا اليوم ولنا الى الموضوع عودة بعد عودة ان شاء الله

بورسف الدمورى  
من هيئة كبار العلماء



# اصْوَافُ الدِّينِ

الاسلام دين الفطرة



قال تعالى ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ  
لَخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ) وقال تعالى ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ )

بيننا في المقالين السابقين ، أن في فطرة الانسان ما يهديه الى الاعتقاد بوجود  
خالق للعالم متصف بصفات الكمال منزّه عن سمات النقص ، وبيننا أن الانسان في  
تحديد صفات الكمال قد يتطوح به الفكر فيضل عن سواء السبيل ، وان العقل  
البشرى كثيرا ما يتأثر بما يحيط به ويألفه ، ولكل فئة مألوفاتها ولكل فرد ظروفه  
( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مِثْلُكُمْ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ) .

وكذلك بيننا أن آثار الرحمة والحكمة التي تجلت في أفعال الخالق القادر ( وهو  
الرفوف الرحيم ) ( العليم الحكيم ) تشهد بانه لم يترك الناس حيارى يهيمنون في كل  
واد ويتنازعون في كل ناد بل لابد أن يرشدهم من غيهم ويخرجهم من الظلمات  
الى النور باذنه ، لقد أعطى كل شيء كماله الذي هياه له ، ولقد تعهد الجميع بالتربية  
التي أعد لها فكان رب العالمين حقا سواء في تربية الجسم أو تربية القوى المختلفة ،  
ولقد أودع في النوع الانساني من القوى الروحية الكامنة ما يهيئه لان يتبوأ أعلى  
مكان في الوجود وما يربو به اذا أحسنت تربيته من الله على مستوى الملائكة المقربين  
كما هو شأن الانبياء والمرسلين ، وحسبه أن جعله خليفة في الارض فمنحه بذلك أعظم  
لقب يطمع فيه مخلوق من الخالق ، لقب تطلعت اليه الملائكة حتى قالوا ما يحوج  
ظاهره الى تأويل ( قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ  
وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ )



فخلق هذه صفته وتلك مكانته ، وكل ما هو فيه نعمة وفيض ورافة ورحمة ، وقد قضت الحكمة ليحرز تلك الميزة ، أما يكون تفكيره متنوع المسالك متفرق المشارب، وقد مكن له في الارض وخلق له ما فيها جميعا وسلط عليه من القوى المختلفة ما يحفز به الى العمل على تثبيت مركزه في العالم واستغلال ثماره لمنفعته ، وجعل رائده في ذلك حبه لمصلحته وفائدة عقله وتفكيره وما يستنبطه من حيلة وما يبرزه من عمل كامل متقن .

مخلوق هذه صفته وتلك مكانته وهذه اثار الرحمة فيه وتلك مثرات الخلاف بين أفرادهم يقضى العقل السليم الا يترك فريسة للاختلاف الفكرى والاضطراب المذهبي والا يدع الحكيم الرحيم أمره العام المشترك خاضعا لعقله وحده المضطرب في حكمه عادة بما يؤثر فيه من تزامم على المنافع واستئثار بالفوائد ، كذلك يحكم العقل الايكلة في تعرف أساس حياته ومنشأ وجوده الى ضروب من التخمين ربما حادفها عن الجادة وضل عن سواء السبيل، وقد تذهب ضروب التخمين في شتى المسالك فتتطاحن وتتشاحن وليس عقل باولى بالحكم على الغير من عقل آخر، ولا فكر أحق بالخضوع من فكر، والعقل القوى لا يعدم نظيرا يعارضه ، فكان من الواجب في نظر الرأى السديد أن يتدارك الخالق الحكيم هذا النوع الذى كرمه والذى وهبه ما وهبه بما ينقذه من حيرته ويخرجه من جهالته وضلالته ذلك هو النور النبوى .

والكلام في ذلك يرجع الى عدة مقامات (١) تعريف النبوة والرسالة لمعرفة النبى والرسول (٢) بيان امكان حصولها (٣) بيان الحاجة اليها والاثار المترتبة عليها (٤) طريق اثباتها ودليل صحتها لمن يدعيها (٥) دليل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولتتكمم عليها على هذا الترتيب .

١ — النبوة هى أن يوحى الله لبعض عباده الذين يصطفهم وهو أعلم بهم بأحكام شرعية يكلفهم العمل بها ، أو معان اعتقادية يعلمهم بها ليعتقدوها ، سواء أكلفهم ابلاغ ذلك لغيرهم من الناس أو قصر علم ذلك والعمل به عليهم في خاصة انفسهم، والرسالة هى أن يوحى لبعض عباده بأحكام أو معتقدات ليعملوا بها ويلفوها

غيرهم ، فكل رسول نبي وقد يكون النبي غير الرسول وهذا ماعليه جمهور العلماء ، وعلى هذا فالنبي انسان أوحى اليه بشرع يعمل به سواء أمر بتبليغه أم لم يؤمر ، والرسول انسان أوحى اليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه .

٢ — امكان حصولها : لقد بسط فضيلة الاستاذ الشيخ الدجوى في العدد الاول من مجلة نور الاسلام هذا الموضوع بما يشرح الصدر ويجلو الكرب ويزيل الحيرة عن القلب ، ولكن هذا لا ينعنا أن نجمل القول في هذا الموضوع بما لا يخرج عما قرره الاستاذ وحرره، فان تكرير القول في موضوع عظيم الخطر عظيم الاثر كهذا الموضوع ليس من التكرار الذى تسأمه النفس وقلة بل هو تكرير للتقرير وتأكيد للتأييد فنقول أتفق العقلاء من القدم على أن الانسان جسم وروح ولا اعتداد بقوم سمو أنفسهم الماديين يزعمون أنهم جد حريصين على الاحتياط في أحكامهم فلا يجزمون الا بما يشاهدون ويقولون شاهدنا الجسم فحكمنا بوجوده ولم نشاهد الروح فنحن ننكر وجودها ، وفاتهم أن استنباط العلم بعدم الشئ من عدم العلم بالشئ استنباط عقيم لا يقبله الا الفهم السقيم ففرق بعيد بين عدم العلم بالشئ والعلم بعدمه

هذه الصفات والاثار التى لاعلاقتها بالجسم ولا تتصل به كالذكاء والفتنة والشجاعة والكرم واضدادها وكالعزيمة والخور وكالحسد والرضا والغضب والحلم وامثالها . أتوا في تعليلها بما يضحك الشكى ويبكى العقلاء ، فقالوا انها افرازات لغدة المخ كما تفرز غد الغم اللعاب، وغدد الجلد العرق، وبالعجب العجيب افراى أولئك المحتاطون الذين لا يصدرن في حكمهم الا عن مشاهدة وعيان ، أفراوا غدة المخ وهى تفرز تلك الملكات والغرائز وصفات النفس والعقل حتى يكونوا التزموا حدودهم التى حدوها وترسموا خططهم التى زعموها ، كلا وايم الحق ما بالقوم من هذا شئ وانما هو تخبط المحتار الذى يأنف أن يعترف بحيرته فهو يهرف بما لا يعرف ويتورط في قاعدة «خالف تعرف» اذ لولا هذه السخافات التى تشبثوا بها ما احس بهم العلم ولا العلماء

وليس كل خلاف جاء معتبرا الا خلافا له حظ من النظر

نقول اتفق العقلاء من القديم على أن الانسان جسم وروح ، وان لكل منهما خصائص واثارا وان كلا منهما يتفاوت أفراده الى حد بعيد، بل لا يكاد يذكر تفاوت الاجسام بجانب تفاوت الارواح ، فترى الشخص بين أنرا به عظيم النفوذ قوى السلطان شديد التأثير له من المهابة في النفوس والروعة في القلوب ما يشهد به كل من شاهده ، ولعله مع هذا ضعيف الجسم ضئيل البنية وربما كان في قل من المال والجاه : وهذا لا ينكره الا مكابر، وناهيك بالتنويم المغناطيسى وهو قد يأتي من مجرد تسلط نظر على نظر ، وتحديق انسان في عين انسان ، فينهزم أحدهما ويخضع ويتغلب الآخر ويتسلط وما ذاك الا لتفاوت الروحين قوة وضعفا . وعلى الجملة فتفاوت النفوس في الملكات والمدارك والصفات والمواهب أوضح من أن يحتاج الى شرح .

واذا كان كلامنا في بيان امكان النبوة فما الذى يمنع العقل من أن يجوز أن بعض النفوس يصل من القوة الى درجة أن يفهم من الملائكة الاعلى ، وان يتلقى معانى من القوة العظمى، وما الذى يمنع العقل أن يجوز أن الخالق القادر واهب العقول والمدارك يهب بعض خلقه قوة أزيد من سائر الناس ، فيجعله يفهم عنه ما يليقه في روعه أو يرسل اليه بعض ملائكته أو يسمعه كلاما يفهمه لا يفهمه غيره ؟ ستقول ان هذا غير مألوف فنقول نعم . وتقول لم تجربه العادة فنقول نعم . وتقول أنه مستحيل فنقول : لا : قف مكانك وافهم الفرق بين مستبعد ومستحيل والفرق بين لم تجربه العادة ولم يقبله العقل ، واعلم انك تلبس أشياء لو لم ترها كل يوم واخبرت بها لجزمت باستحالتها ، فلو قيل لك ان في العالم كائنا جبارا مدمرا يسمى النار لا يدع شيئا أبقى عليه الا جعله هباء ، وبجانبه كائن هين لين لطيف رقيق يلعب به الطفل وتزقه الاثملة الضعيفة يسمى الماء وانه لاشئ يهلك ذلك الجبار العاقى وهو النار الا هذا اللطيف الضعيف وهو الماء فلو لم تكن تشاهد ذلك كل يوم أفكنت مصدقه ؟ أم كنت تسخر ممن أخبرك خبره وتبادر بقولك مستحيل ، يجب أن تتسأنى في كلمة المستحيل قبل أن تطلقها جزافا، ويجب أن تزن ماتحكّم بها عليه يميزان العقل، لامتيزان العادة والالاف، فكم من أمر كان في نظر بعض الناس مستحيلا أصبح مألوفا وبخاصة

في عصرك هذا ، فاذا عذرنا من سبقنا في مسارعهم الى الحكم بالاستحالة فلا عذر لنا أهل هذا العصر ونحن نشاهد المستحيل تتدهور استحالاته أمامنا كل عام مرة أو مرتين حتى أصبح لقب مستحيل في النزع الاخير ، ولم يبق منه الا مالا يقبله العقل كاجتماع النقيضين أو ارتفاعهما أو اجتماع الضدين أو مآثله ، والخلاصة أن العقل لا يجد أمامه مطلقا ما يمنعه من تجويز أن يكون لبعض النفوس من المواهب والقوى ما به يفهم عن اللطيف الخبير الحكيم العليم ، أو ما به يتلقى عن عالم روحى محض لانراه ، ولكننا لانكره ولا نجد مستندا لنا في انكاره وهم الملائكة .

٣ — وجه الحاجة اليها والآثار المترتبة عليها : اذا تدبرت مقالنا السابقين ومقدمة هذا المقال أدركت معنا أن العقل البشرى وحده عاجز عن ادراك كل ما ينبغى له ادراكه في تحديد صفات الخالق المهيمن على هذا العالم ، وانه أشد عجزا عن ايفائه حق شكره على ما انعم عليه به وانه كذلك عاجز بما يحيط به من الظروف المؤثرة في احكامه ، ومن منازعة قوى الشهوات والغضب وحب الاثرة عن أن يدرك مصالحه الحققة الثابتة الدائمة ، وان المنافسة والمغالبة على المنافع ومحاولة كل جلبها لنفسه واحتيازاها عن غيره مؤدية به لاحماله الى التناوب والتقاتل ، وان كل فرد أو كل فريق يحاول أن يرى الاشياء ويفهمها على ما يوافق مصلحته والمصالح متعارضة والمنافع قد تقصر عن ايفاء رغبات الجميع ، فمن المحتم أن يكون هناك حكم له الهيمنة والنفوذ على الجميع ويخضع له كلهم على السواء ، وما ذلك الا حكم من اختص من بينهم بميزة لا وجود لها عند غيره ، فتمت ظهرت ميزته وتبين اصطفاء القوى التقدير له وتمييزه على غيره بما لا يطمع أحد في مشاركته فيه ، فقد قضى الامر بينهم وكان له القول الفصل ويكون هو الميزان العادل بين الطبقات والهادى المرشد المنقذ من الضلالات ، فبه تعرف كل نفس حقها وواجبها ، وبه ينصف المظلوم من ظلمه وبه يتبين المرشد من الغى ، فيعرف الناس صفات ربهم ويعلمهم طريق شكره وتجيده ويقوم عوجهم ويهديهم اليه صراطا مستقيما ، فتمت آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، انتظمت شؤونهم وسعدت معيشتهم وتهذبت نفوسهم واستقامت

أمورهم وتبدلوا بالفوضى ضبطا وبالتشاحن والتطاحن تساندا وتساعدوا وانقلب شقاؤهم الى سعادة .

٤ — طريق ثبوتها : — ان أمرا هذا مكانه في الوجود جدير بان يدعيه كل من طمع فيه وما من أحد الا ويطمع فيه لو لم يقتزن بما يميز صحيحه من باطله وغثه من سمينه ، وما ذاك الا أن يظهر على يد من يدعى هذه الدعوى وهى أنه يتلقى مايقوله عن الخلاق العظيم . العليم الحكيم ، وأنه اذا أمرهم فانما يبلغهم أمر ربهم ، فيجب عليهم أن يطيعوه ولا يجوز لواحد مهما كان عظيما أو حقيرا ملكا أو رعية أن يخالف له أمرا أو يتجاوز حدود مانهى عنه : يظهر على يد من يدعى هذه الدعوى العظمى أمر يميزه عن كافة البشر فلا تناله قدرة المخلوقين مهما كانت مواهبهم وقواهم ، ومهما اجتمعوا وتعاونوا ، وتلك هى المعجزة وهى أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعى النبوة مع التحدى لكل من يعارض أو ينكر ، ومعنى التحدى طلب المعارضة أى الاتيان بمثل ما أتى به اذا كان هناك من ينكر عليه معجزته ، وقد جرت سنة الله مع أنبيائه أن يجعل معجزتهم من جنس ماتتجه اليه أفكار أهل عصرهم ويفوقون فيه غيرهم ، فجاءت معجزة موسى عليه الصلاة والسلام على وجه يكبت السحرة حتى كانوا من أول من آمن به وذلك أن السحر كان فاشيا فيهم فيخلون للناس ما يخلون ويسترهبونهم ويأتون بسحر عظيم ، فكان من معجزاته انقلاب العصا حية تسعى وخروج يده بيضاء من غير سوء ، وفلق البحر وامثاله مما تكون معرفة الساحر به أقوى من معرفة غيره ، وجاءت معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام على وجه يعجز الاطباء قبل سواهم فابراً الالكمة والأبرص وأحيا الموتي باذن الله ، وذلك أن اكثر ماكان يشغل الناس في ذلك العهد أمر الطب وهكذا . من تتبع معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونقب عن تاريخ قومهم وما كان يسود عقولهم تبين له ذلك اتم تبين .

٥ — دلائل نبوة ورسالة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : — جاءت شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع قبلها مقررمة ديناً واحدا لا يقبل غيره (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) لا يقبل غيره

فكان من مقتضى الحكمة أن يؤيد من عند الله بمعجزات تضاهي كل معجزة تقدمت لنبي حتى لا يمتاز المنسوخ على الناسخ بيزة تجعله أقوى منه ، فأيد صلى الله عليه وسلم بطائفة كبيرة من المعجزات المماثلة لمعجزات الانبياء السابقين نذكر منها على سبيل المثال في مقابلة احياء الموتى وقلب العصا حية ، حنين الجذع له صلى الله عليه وسلم ، وتسبيح الحصى في يده ولعلك ترى أن تسبيح الحصى أبلغ في الاعجاز من حركة العصا ، وان حنين الجذع فرع حلول الحياة بل الشعور في جسم هو أبعد عن الحياة من جسم الميت الذى هو انسان سبق له عهد بالحياة ، وفي مقابلة فلق البحر نبع الماء من بين أصابعه وهو أبلغ في تسخير الماء لارادته من انفلاق البحر ، وكذلك انشقاق القمر لاشك أنه أبلغ من انفلاق البحر، وهنا نذكر لك لكيلا تنسى الفرق بين المستحيل والمستبعد وفي مقابلة ابراء الالكه رد عين قتادة وقد جاء للنبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده وقد فقئت بسهم في غزاة فقال عيني يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم ان شئت رددتها لك وان شئت سألت الله أن يعوضك خيرا منها في الجنة، فقال يارسول الله انى رجل مبتلى بحب النساء واخاف أن يقلن أعور فاردها لى واسأل الله أن يؤتينى خيرا منها في الجنة ، فضحك صلى الله عليه وسلم وردها له ودعا له بما طلب ، وهكذا مما لا يكاد يحصى لمن تتبع .

هذا ولما كانت الشريعة باقية الى يوم الدين ، وقد نعى جل شأنه على قوم أنهم أخذوا دينهم تقليدا لاسلافهم من غير دليل ولا مستند ، اقتضت حكمته جل شأنه أن يكون مع الشريعة معجزة باقية بذاتها باقية باعجازها لا تخلق جدتها ولا تبلى صفحتها ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ، كتاب حكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أنزله جل شأنه على نبيه تأييدا له وتعجيذا لقومه وتعهدا بحفظه فقال جل من قائل ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ )

ولقد كانت الامة العربية التى بعث صلى الله عليه وسلم من بينها أعظم الامم بلاغة وأشدهم لسنا وافصحهم مقالا وأعرفهم باساليب الكلام ورفعة شأنه وماظنك

بامة تجعل أهم مقاصدها في مؤتمراتها ومعارضها ومواسمها السنوية نقد الكلام وتهذيبه وانتقاء أجوده، فبه يفخر المفتخر وفيه يتنافس المتنافسون فلا غرو ان جاءت معجزته مما يخرس البلاء ويعجز الفصحاء، ويقول قائلهم فيها وكان من أشد المعاندين له : والله أنله لحلاوة وان عليه لطلاوة وما هو من كلام البشر ، ويتحداهم أن يأتوا بمثله فلا يقدرّون ، فيتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فيخرسون ، فيتحداهم أن يأتوا بسورة فييهتون فبأى حديث بعده يؤمنون .

ولعلك تقول ان الشريعة على ما ذكرت دائمة وعامة للناس أجمعين ، ولا يقبل الله دينا غيرها من أى انسان ، وان الغرض من المعجزة الباقية اخراج المتمسك بها عن أن يكون مقلدا لغيره ولكن الاعجاز البلاغى لا يدركه الا أهل البلاغة فهل يكون غيرهم مقلدا لهم وماذا فعلنا اذا ؟

فنقول أولا : معلوم أن الشيء متى أعجز صاحب الفن البارع فيه فقد أعجز غيره بالاولى ، فقامت الحجة على الجميع وثانيا : كان يصح منك هذا القول لو كان اعجازه محصورا في بلاغته أما ووجوه اعجازه لاتقف عند حد فلا يتجه هذا القول فكن أى رجل شئت تجد أمامك من وجوه اعجاز القرآن ما يبهرك بل يملأ صدرك حكمة وإيمانا ، فكن من رجال القانون وانظر الى الامم التى تضع قوانينها بنفسها لنفسها تجدها أولا تختار فئة من أمثالها درسوا القوانين السابقة وعرفوا حالة أمتهم التى يخالطونها وفهموا مواضع الحاجة منها ، فيضعون مشروعا يفرغون فيه جهدهم متعاونين متساندين ثم يبرزونه لفئة أخرى تهذبه ثم أخرى تنتقده وهكذا تسلمه فئة الى فئة حتى يخرج وهو عصارة افكار قوم هم صفوة أمتهم، فيعتمدونه قانونا لهم فكم يمكث ؟ هل ترى قانونا يمضى عليه عشر سنين الا دب اليه سوس التغيير والتبديل ، وها انت ذا ترى قانونا جاء به فرد واحد لم يدرس قوانين أمم أخرى ، فقد كان أميا نشأ بين أميين منقطعين عن سائر الامم ، فجاء هذا القانون صالحا لكل أمة في كل زمان وكل مكان وكل طور من أطوار الحضارة والبداءة ، كما يعرفه من

قرأ هذا الموضوع في مجلة نور الاسلام لفضيلة رئيس التحرير ولا بى اسحق الشاطبي في كتاب الموافقات فاذا كنت من رجال القانون فما رأيك في هذا القانون ؟ ابقى عندك شك في أنه معجزة قانونية ؟

كن من رجال الطب وقرأ قوله تعالى ( بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ) وانظر لماذا اختار البنان من بين سائر أعضاء الانسان ؟ اذا كنت عالما بالتشريح فانت أقدر منى على بيان عظام الانامل وتقسيمها وعضلات الانامل ودقتها وسهولة انزلاقها وضبطها حتى يزاول بها صاحبها أدق الصناعات وأصعبها ، واعصاب الحس والحركة في الانامل وعظم شأنها بل في بشرتها وجلدتها وما طابع الابهام منك ببعيد .

لا بل كن رجلا عاميا لم يتناول من أنواع العلوم ما يلزمه نتائجها ، فاذن تقول يارعاك الله في رجل دعا قوما خصمين للحق فكذبوه فاقام لهم البرهان فبهتوه وما زالت الحجة تفرع الحجة حتى لم يبق الا مقارعة القوة بالقوة فآظمه الله عليهم ، واخذوا يتلمسون اليه منفذا يصلون منه الى غرض من أغراضهم ليظهروا عليه فلا يجدون ، بينما الامر كذلك اذا به يعطيهم فرصة للنيل منه باهون السبل واقربها لم يكونوا ليحلموا بها فيقفون مكتوفي الايدي مسلوبي القوى ويعرضون أنفسهم للقتل وأموالهم للنهب ونساءهم للسبي ، ولا يجروءون على أن يفتنموا فرصة قدمت لهم لقمة سائغة: ماهى هذه وكيف كان ذلك ؟ رأيت قوله تعالى ( قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) يقول الله تعالى بعدها ( وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ) يا للعجب قل لى بربك هل تصدق أن بشرا يخاطب مثله ويكون كلامه من عند نفسه ويزعم أنه يحدث عن ربه ، يجروء على أن يقول لخصمه الذى يتمنى كبوته انا صادق في كل ما أقول واخبرك انك لاتستطيع أن تتمنى الموت ولن يقول قائل منكم ليتنى أموت فان قالها قائل لم اكن صادقا فيما أحدث عن ربى فيسمعونها وتعتقل السننهم فلا ينطق بها واحد منهم ولا بلسانه من غير أن يتمنى بقلبه ، وهل لو قالها أحد بلسانه كان يستطيع محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول انك انما تقول بلسانك ، فمن ذا كان يوافقه حينئذ ؟ وما الذى يقطع حجة خصمه اذا قال بل أقولها بقلبي ولسانى وانا أدري بما في



قلبي ؟ وبعد فالحق أبلج والسماء صاحية ولكن بعض العيون بل بعض القلوب عمياء فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وان تعجب فعجب قولهم بعد ماوضح الصبح لذى عينين (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) تعسا لهم وسحقا. هلا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا الى صراطك المستقيم ، ولتقف بالقلم عند هذا الحد مكتفين في أمر الالهيات والنبوات بهذا القدر وبعد ذلك سيكون كلامنا في الاحكام العملية وما فيها من مسامرة الفطرة السليمة ومظاهر الرحمة العامة وموعدنا العدد القادم ان شاء الله تعالى ،

ابراهيم الجبالى  
مدرس بقسم التخصص

## الطرف والملاح

قال أبو المكارم بن عبد السلام مهنتاً بمولودة :

هذا شعيب<sup>ه</sup> النبي بابتته صفوراء استأجر موسى كليم الله . وهذا سيد المرسلين أبى الله بفاطمة ابنته نسله الى يوم الدين . وهذه أم الكتاب سميت الفاتحة وهى لا بواب مناجاة الرحمن فاتحة . وهذه مُحْكَمَات القرآن . بها ثبتت شرائع الايمان . وهذه سورة النساء سميت بهن وهى من الطوال . ولا سورة من القصار سميت بالرجال . على أن الدنيا بأسرها مؤنثة والملوك من خدامها . والشمس مؤنثة والضياء والبهاء من تمامها . والنفس تؤنث وبها فضل الناس . والحياة تؤنث وهى أساس الحواس . والعين تؤنث وبها يتوصل الى علم الحقائق . واليد تؤنث وهى المتصدية لتحجير الاشياء . والعضد تؤنث وبها استعانة سائر الأعضاء . والسماء تؤنث وهى تزجى الأمطار . والأرض تؤنث وهى مَجْمَع أطايب الثمار . والجنة تؤنث وبها وعد الأبرار الأخيار . والعين أغنى الذهب تؤنث وبها يدفع الملوك . والقوس تؤنث وبها عز الملوك .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الْبَيْتَةُ

صلة الرحم وغيرها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة قاطعٌ - يَعْنِي قاطَعَ رَحِمٍ <sup>(١)</sup>  
الجنة هي دار الثواب العظيم الدائم ، التي تفضل الله تعالى بها على الذين آمنوا به إيماناً  
يرضاه . وأطاعوا أوامره واجتنبوا نواهيه .

ثم أن الناس بالنسبة الى دخول الجنة أقسام ثلاثة .

قسم يدخلها بدون سابقة عقاب ، وهؤلاء هم المؤمنون الأخيار السابقون .  
وقسم يدخلها بعد أن يعاقب على ما جناه ، وهم المؤمنون الذين فرطوا في الواجبات  
ولم يبالوا بارتكاب المحرمات ، فكان ذلك سبباً في تأخر دخولهم الجنة تأخراً مناسباً لمدة  
عقابهم طويلاً وقصراً .

وقسم محروم من دخولها البتة ، وهم الذين لم يؤمنوا ولم يعملوا صالحاً  
ومن القسم الثاني ، الذين يقطعون الأرحام .  
أما الرحمُ ، فهي نوعان : عامة وخاصة .

فالعامة ، هي الرابطة الدينية الإسلامية التي تربط جميع أفراد المسلمين بعضهم  
ببعض في جميع أقطار الأرض .

وهذه الرابطة هي النعمة التي أنعم الله تعالى بها على المسلمين حتى صاروا بها إخوةً  
كما قال سبحانه : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ) وكما قال : ( فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا )

هذه الرحمة العامة تجب صلتها بالتواد والتناصح والعدل والانصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة والدفاع عنها في الغيب والشهادة جهداً استطاعة .  
والخاصة هي القرابة التي تربط أفراد الأسرة بعضهم ببعض كالأبوة والبنوة والعمومة والخوالة .

وهذه الرحمة الخاصة تجب صلتها بما توصل به الرحمة العامة وتزيد عليها بالانفاق على الأقارب ومزيد العناية بتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم .  
وجملة المعنى أن صلة الرحم بنوعها تكون بإيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة والاستطاعة .

ثم أنه من المعلوم أن الأمة الإسلامية هي مجموع الأسر الإسلامية المؤلفة من أفرادها ، فإذا تواصلت الأسر وتواصلت أفراد الأسر كذلك على الوجه الذي يبناه لك فيما سبق كانت الأمة الإسلامية اذذاك أمة مسالمة حقيقة قائمة بما أمر الله واقفة عند حدوده عزيزة الجانب مهيبة صالحة لأن يستخلفها الله تعالى في الأرض اهلاً لأن يمكن لها دينها الذي ارتضاه لها ، ويجعل لها السلطان وينصرها على من يكيد لها ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ما أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر .

من هذا الذي شرحناه لك . تتضح الحكمة الالهية العادلة في معاقبة الذين يقطعون الأرحام ولا يؤدّون ما وجب عليهم من الحقوق لأسرّتهم أو لأمتهم ، ولا يبالون بما يترتب على قطعها من الضرر العام أو الخاص العائد على الأمة أو الأسرة . والله يوفق من شاء لما يشاء .

ثم ان تفسير القطع بقطع الرحم ، انما هو تفسير من راوى الحديث رضى الله عنه وهو تفسير صحيح في نفسه إلا انه خاص . وذلك أن معنى القطع كما يشمل قطع الأرحام كذلك يشمل قطع غيرها من سائر ما أمر الله عز وجل في كتابه أن يؤصل -

وذلك قوله في شأن الفاسقين : ( وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ )<sup>(١)</sup>

ومن البين أن استحقاقهم للخسران إنما هو حرمانهم من دخول الجنة المعدة للمتقين الواصلين ما أمر الله به أن يوصل على ما ستعرف .

وقوله أيضا في شأن أولئك الواصلين : ( وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ) الى قوله سبحانه : ( أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ) . فإذا كان معنى القطع في الحديث الشريف عاما كما يقتضيه وضعه اللغوي وعدم تقييده في الحديث وعموم الآية الكريمة فإنه يجدر بنا أن نتبع ما سبق من شرحه بكلمات تتم شرحه بتوفيق الله تعالى ، فنقول :

ان المعنى الوضعي للقطع وعدم تقييده في الحديث والعموم الذي في الآية . كل ذلك يدل دلالة قريبة على أن ما أمر الله به أن يوصل . يشمل كل قطع لا يرضى الله سبحانه وتعالى به . كقطع الرحم وترك موالات المؤمنين . وكالتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والتفرقة بين الكتب السماوية في التصديق . وكترك الجماعات الواجبة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شر . فإنه يقطع ما بين الله تعالى والعبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل<sup>(٢)</sup> .

فإذا كانت الوصلة بين الله عز وجل والعبد هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل وكان من المعلوم أيضا أن العبد لا ينالها الا بالوسائل التي يدينها الله تعالى وحث عليها أمكن أن يقال :<sup>(٣)</sup> ان مما أمر الله جل ذكره أن يوصل العقول والمدارك والمشاعر والحواس وسائر ما أنعم الله سبحانه به على الانسان من المواهب التي هي وسائل العلم والمعرفة .

(١) شرح الحديث وتفسير الآية الكريمة للإمام ابن جرير وغيره .

(٢) تفسير أبي السعود

(٣) شرح الحديث وتفسير الآية الكريمة .

والذى تُوصَلُ به هذه الأشياءُ أمران : كَوْنِي مُخَلِّقِي فِطْرِيّ وهو السَّنُّ الكونية والنظْمُ الألهيةُ والآياتُ والدلائلُ التى نَصَبَها سبحانه فى الأنفس والآفاق ، وثانيهما دينى شرعى وهو ما أوحاه الله تعالى الى رسله وأمرهم بتبليغه لعباده .

وأما وصلُّها بما ذكر فهو استعمالُها فيه بالنظر والتفكر والبحث والاعتبار والتجربة والاختبار .

وأما قَطْعُها عنه فهو إهمالُها وتعطيلُها وعدم استعمالها فيه .

فإذا ما استعملتْ على هذا الوجه الذى ذكرناه فإنها تكون قد وصلت الأدلة بالمدلول عليه ، وترتبت النتائجُ على مقدّماتها المسماة ، وأدَّتْ الأسبابُ الى مسبباتها وعُرِفَت المنافعُ فى الأحكام العقلية والشرعية بحسن غاياتها ، والمضارُّ بقبح نهاياتها واستحق الواصلون لها عند الله تعالى أن يُحسِنَ جزاءهم وأن يثيبهم بدخولهم الجنة التى أعدّها للمتقين الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل فكانوا من الذين يعرفون نعمة الله عليهم ثم يشكرونها باستعمالهم لها فيما خلقت لأجله .

أما اذا عُطِّلَتْ وأُهْمِلَتْ فإن ذلك يكون قطعاً لها عما وجب وصلُّها به ، واستحق القاطعون لها ما أعدّه الله الحكِّمُ العدلُ لهم من الحرمان من دخول الجنة جرّمانا خالداً أو غير خالداً .

من هذا تعلم أن القاطع لما أمر الله به أن يوصل عام يشمل قاطعَ الرحم وغيره .  
فإن كلاًّ منهما قد قطع الدليلين ، العقلى والشرعى أن يُفْضِيَ الى ما دلّ عليه من وجوب تحقُّق صلة الرحم وغيرها ، فكان كلُّ من الدليلين بسبب هذا القطع عقيماً لا نتيجة له ولا أثر .

قد عرفتَ مما أسلفناه لك ما ذلك الذى أمرَ الله تعالى به أن يُوصَلَ ؟ فاعلمَ أنه هو الذى ذكّره الله جل ثناؤه فى قوله ( اَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ؟ ) بلى ، قد جعل جلّت قدرته وحكمته للإنسان عينين يُبْصِرُ بهما فإذا

أَبْصَرَ فَأَنَّمَا يَبْصُرُ بِإِنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهِمَا ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ يَتَكَلَّمُ بِهِمَا ، فَهُوَ إِذَا تَكَلَّمَ فَأَنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِمَا تَفْضِلُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ بِهِ ، وَهَذَا مِنْهُ تَذْكِيرٌ لِلْإِنْسَانِ بِنِعْمَةِ الْخَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ وَتَمَامُهَا فِي آيَاتٍ أُخْرَى .

ثُمَّ ذَكَرَهُ بِنِعْمٍ أُخْرَى بَاطِنَةً أَوْ دَعَا فِي فِطْرَتِهِ ، وَهِيَ الْعَقْلُ وَالْإِدْرَاكُ وَسَائِرُ الْمَشَاعِرِ وَالْوُجْدَانِيَّاتِ لِيَسْتَعْمِلَهَا وَيَصِلَ بِهَا جُعِلَتْ لَهُ ، وَيُمَيِّزُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ لِصَلَاحِ أَحْوَالِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ . وَلَكِنَّ فَرِيقًا مِنَ النَّاسِ حَسَنَ اخْتِيَارِهِمْ فَسَلَكُوا لِلْخَيْرِ سَبِيلَهُ وَشَكَرُوا نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَاسْتَعْمَلُوا فِيهَا خُلِقَتْ لَهُ ( أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ) وَفَرِيقًا حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ وَقَبِيحِ تَصَرُّفِهِمْ فِي مَوَاهِبِهِمْ فَسَلَكُوا لِلشَّرِّ سَبِيلَهُ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ .

وَذَلِكَ كُلُّهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ( وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ) أَيْ عَرَّفْنَاهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ بِمَا رَكَّبْنَاهُ فِي تَكْوِينِهِ مِنْ آلَاتِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي سَلَفٍ حَتَّى صَارَ كُلُّ مَنْ مِنَ الطَّرِيقَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ ظَاهِرًا جَلِيًّا وَاضِحًا لِمَنْ أَرَادَ سَلُوكَهُ لَا يَحْتَاجُ بَعْدَ هِدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا إِلَى مَجَاهِدَةِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ فِي طَرِيقِ الْخَيْرِ ، وَعَلَى مَدَاوِمَةِ الْإِبْتِعَادِ عَنْ طَرِيقِ الشَّرِّ فَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ بَعْدَ هِدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَالنَّجْدِ الَّذِي هُوَ الطَّرِيقُ الْمُرْتَفِعُ الشَّائِخِصَ لَا يَخْفَى عَلَى الْإِبْصَارِ .

فَبَعْدَ تَذْكِيرِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ الْإِنْسَانَ بِهَذِهِ الْهُدَايَةِ يَكُونُ ( مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ) ( وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ) .

حسن المنصور

وكيل دار العلوم سابقا

## للادب والتاريخ

أتحت لنا مجلتكم الرشيدة الهادية . « نور الاسلام » فإذا هي قرة عين للعلم والدين :  
بيد أنني وقفت فيما انطوت عليه من « الطرف والملح » على كلمة محرفة . حسبتهافي  
بادئة الأمر مما طغى به التحريف المطبعي . فلما عدت الى بيان الأخطاء . لم أجدها في  
جلته . هنالك علمت أنها من عمل السهو . وقد أفسد بها المعنى كله . والعصمة لله وحده .

أما الكلمة فهي تحت عنوان « طرف وملح » في الصحيفة التي رقها « ٧٧ »  
قال الجاحظ : ان عمرو بن سعيد دخل بعد موت أبيه على سيدنا معاوية رضى الله  
عنه . وعمر ويومئذ غلام . فقال له سيدنا معاوية : الى من أوصى بك أبوك يا عمرو ؟؟  
قال : ان أبى أوصى إلى . ولم يوصى بي . قال : وبأى شيء أوصاك ؟؟ قال : أوصانى الآ  
يفقد اخوانه منه الاشخصه : قال سيدنا معاوية لأصحابه : ان ابن سعيد هذا لأشرف ؟؟؟  
الأشرف بالذال والقاف — لا الأشرف — لقب عمرو بن سعيد بن العاص الأشرف  
الأموي . أحد رجالات الدولة الأموية . وناب من أنياب قريش . وكان يدعى كذلك  
« لطيم الشيطان » قتله ابن عمه عبد الملك بن مروان . فصفت له الخلافة بعده :

أما الأشرف . فهو واسع الشدين والفم . الفصيح اللسن . وسعة الفم عندهم من  
سمة الفصاحة والبيان : وقد كان عمرو بن سعيد هذا أشرف فصيحاً :  
يقول معاوية :

ان ابن سعيد هذا لأشرف . يريد أنه فصيح لسن . لما راعه منه من حلوة لسانه .  
وقوة جدله :

أما الأشرف . فما لا نعرف له مغزى أليس كذلك ؟؟ حسن القاياتي

« نور الاسلام »

تشكر فضيلة الاستاذ الاديب على هذا النقد المفيد ، والجلة تتلقى كل نقد ادبي أو علمي يرد عليها  
في حسن قصد ، وتنشره بارتياح وشكر

# أصول الفقه

الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان

الأصول النظرية الشرعية

لم يختلف المسلمون في أن الشريعة الإسلامية نزلت لتقرير أحكام الوقائع ، فلا واقعة إلا لها حكم مدلول عليه بالنص أو بأصل من الأصول المستمدة من النصوص .  
أما الأحكام المستفادة من النصوص ، فهي الأحكام المأخوذة من الكتاب والسنة كتحريم الميسر ، ومنع القاضى من أن يقضى وهو غضبان ، وجواز الشفعة للشريك وقد أريناك بوجه عام أن كل ما قرره الشارع من أحكام مفصلة هو دائر بين حفظ المصالح ودرء المفاسد . وستتناول المجلة بإذن الله تعالى القول في هذه الأحكام بتفصيل كلما اقتضى المقام بيانها .

وأما الأحكام المدلول عليها بأصول عامة فيستبين أمرها بالنظر في هذه الأصول وهو ما أزمعنا البحث عنه منذ الآن . وسترى من هذه الأصول كيف تيسر للشريعة أن لا تدع واقعة من غير حكم ، وكيف تتحرى بالأمة أرشد طرق المدنية وأعدل نظم القضاء ، واحتواء الشريعة على أصول عامة ، وتناول الأصول لما لا يتناهى من الوقائع مما يزيدنا تفقهاً في قوله عليه الصلاة والسلام « بعثت بجوامع الكلم » ويضع في أيدينا معجزة ما زال كثير من الناس عنها في غطاء ، وهى شريعة سمحة حكيمة تتناول كل ما يمكن تصوره من الحوادث على تباعد المواطن واختلاف الأجيال . وما جاءت على هذا النحو إلا لأن رسالة المبعوث بها عامة كما قال الله تعالى ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا )



ونحن نعلم ان الألفاظ وضعت للدلالة على ما في النفس فتى أتى التكلم بلفظ شأنه أن يدل على ما في نفسه ويستبين منه المخاطبون قصده وقف عنده سواء كانت دلالة بالمنطوق أو المفهوم أو بمقتضى المعنى أو بقرينة حال أو عادة مطردة . ويمكن فى الخطاب الموجه الى الناس كافة أن يفهمه القوم المستنيرون منهم ، وهم الذين يبلغون سائر الطبقات ما فيه من أحكام وحكمة . وإذا كان هذا شأن التكلم بلغة العرب بل شأن المتكلمين بالسنة غيرها فيما يظهر ، فمن حكمة الشريعة العامة الخالدة أن تسلكه فى إرشادها وفيما تسنه من أحكام لا تنقضى وقائعها .

والأصول التى نريد البحث عنها فى هذا المقام هى القياس ، والاستصحاب ، ومراعاة العرف ، وسد الذرائع ، والمصالح المرسله ، والاستحسان .

### ﴿ القياس ﴾

حقق علماء الاسلام أن لكل حكم شرعى حكمة تلائم شرعه ، ومرجع الحكمة الى رعاية المصالح والمفاسد ، وقد قرر المحققون كأبى اسحاق الشاطبى وغيره أن أحكامه تعالى معللة بمصالح العباد ، وهذا معروف باستقراء موارد الشريعة كقوله تعالى ( وَأَكْمُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ) وقوله تعالى ( فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا لَكِي لَا يَكُونَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ) وقوله صلى الله عليه وسلم فى وجه طهارة الهرة ( انها من الطوافين عليكم والطوافات ) وقوله فى وجه منع بيع الثمرة قبل بدو صلاحها ( أرأيت إذا منع الله الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه ) .

وإذا كانت الأحكام المنصوص عليها قائمة على رعاية المصالح ، فإذا قرر الشارع للواقعة حكما ونبه فى الآية أو الحديث على وجه المصلحة المناسبة لتقريره ، أو كان ذلك الوجه ظاهرا ظهورا لا تحوم عليه شبهة ، صح للمجتهد أن يعتمد الى كل واقعة تحقق فيها ذلك الوجه من المصلحة ويسوى بينها وبين الواقعة المنصوص عليها فيما علقه عليها الشارع من حكم ، وذلك ما نسميه بالقياس .

فالقياس أن يعتمد المجتهد الى حكم أمر معلوم فيثبت له الأمر آخر لا يشارك الأمرين فى

علة الحكم . ومثال هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ( لا يتناجى اثنان دون واحد ) وعلة هذا النهي أن الاثنين اذا تناجيا دون رفيقهما قد يقع في نفسه أن حديثهما في شأنه ويحدث له من الظنون ما يكدر صفو الأخاء بينهم . وللفقيه متى اطمان الى هذه العلة أن يقرر حرمة محادثة اثنين بلسان لا يعرفه الثالث متى كانا يحسنان لسانا يعرفه رفيقهما . لأن علة النهي متحققة في هذه الصورة تحقّقها في المناجاة .

فأى عالم يتلو قوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ) ولا يفهم أن علة الأمر بترك البيع عند النداء للصلاة كونه شاغلا عن أدائها ، وهذه العلة موجودة في غير البيع نحو الاجارة بلا فارق ، فيصح إلحاقها بالبيع في منعها عند النداء لصلاة الجمعة .

وأى عالم يسمع قوله عليه الصلاة والسلام ( لا يبيع بعضكم على بيع بعض ) ولا يفهم أن علة النهي ما يحدثه هذا البيع من التقاطع والعداء ، ثم ينتقل بوسيلة العلة الى حرمة استئجاره على اجارته .

وانما جعلنا القياس في صدر البحث من نوع دلالة اللفظ بالمعقول لان اللفظ اذا دل بمقتضى وضعه على حكم واقعة وعرفت علة الحكم ، فان العقل متى وجد هذه العلة متحققة في واقعة أخرى ، أدرك أن حكمها حكم الأولى نظرا الى أن الشارع يسوى بين الواقعتين حيث اشتركتا في الوصف المؤثر في الحكم وتماثلتا فيه من كل وجه .

فالقياس أصل من أصول الشريعة وبه اتسع نطاقها ، وصارت تتناول من الوقائع ما لا يتناهى . قال الأمام احمد بن حنبل : لا يستغنى احد عن القياس . وقال ابراهيم النخعي : ما كل شيء نُسأل عنه نحفظه ، ولكننا نعرف الشيء بالشيء وتقيس الشيء بالشيء . وقال الشعبي : انا نأخذ في زكاة البقر فيما زاد على الأربعين بالمقاييس . وقال المزني : الفقهاء من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا استعملوا المقاييس في الفقه في جميع الأحكام في أمر دينهم ، قال : واجمعوا ان نظير الحق حق ونظير الباطل باطل ، وقال ابن عقيل الحنبلي : قد بلغ التواتر المعنوي عن الصحابة باستعمال القياس وهو

قطعى ، وحقق ابو اسحاق الشاطبى ان اصل العادات <sup>(١)</sup> الالتفات الى المعنى لى انها معقولة الحكمة ، واستدل على هذا بامرین « احدهما » الاستقراء فقال : انا وجدنا الشارع قاصدا لمصالح العباد ، والأحكام العادية تدور معها حيث ادارت ، فترى الشىء الواحد يمنع فى حال لا تكون فيه مصلحة ، فاذا كانت فيه مصلحة جاز « ثانيهما » ان الشارع توسع فى بيان العلل والحكم فى تشريع باب العادات ، واكثر ما علل بالمناسب الذى إذا عرض على العقول تلقته بالقبول ، ثم قال : ففهمنا من ذلك ان الشارع قصد منها اتباع المعانى لا الوقوف على النصوص .

جرى العمل بالقياس لعهد الصحابة رضى الله عنهم ، ثم التابعين ، وظهر العمل عليه فى العراق لعهد الامام أبى حنيفة وأصحابه أكثر من ظهوره فى الحجاز فاستكثروا منه وبرعوا فيه ، وما زال الناس يأخذون بالقياس إذا لم يجدوا فى الواقعة نصا حتى جاء ابراهيم ابن سيار النظام المتوفى سنة ٢٢١ فحدث القول بانكار القياس زاعما الاستغناء عنه بالنظر الى ما يدعونه من وصف الفعل بالحسن أو القبح الذاتيين . قال أبو القاسم عبيد بن عمر فى كتاب القياس : ما علمت أن أحدا من البصريين ولا غيرهم ممن له نباهة سبق ابراهيم ابن سيار النظام الى القول بنفى القياس والاجتهاد ، ولم يلتفت اليه الجمهور ، ومن خالفه فى ذلك فريق من زعماء المعتزلة كأبى الهذيل وبشر بن المعتز وبشر المريسى .

وظهر بعد هذا داود بن على الأصبهانى المتوفى سنة ٢٧٠ ونشأ بظهوره مذهب الظاهرية وروى عنه أنه كان ينكر القياس الا أن يكون جلياً وهو ما يكون المقيس فيه أولى بالحكم من المقيس عليه كتحریم ضرب الوالدين قياساً على التأفيف الثابتة حرمة فى قوله تعالى ( فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ ) أو مساوياً كحرمة اتلاف مال اليتيم باللبس قياساً على أكله الثابتة حرمة بقوله تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَهُمْ يَصِصُّوْنَ سَعِيرًا ) وهذان النوعان يسميهما الاصوليون مفهوم الموافقة . وأجاز بعضهم القياس الذى وقع النص على علته خاصة وأنكروا ما كانت علته مستنبطة . وجاء بعد هؤلاء أبو محمد على بن حزم الاندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فوقف فى جمود

وأنكر أن تكون أحكام الشريعة معللة، وبنى على هذا الرأي الجأء انكار القياس جملة ولم يفرق بين جلى وخفى، وبين ما كانت علته منصوصة وما كانت علته مستنبطة قال فى كتابه الاحكام: ذهب أهل الظاهر الى ابطال القياس جملة وهو الذى ندين الله به والقول بالعلل باطل، وقال لا يشرع الله شيئاً من الأحكام لعله أصلاً، فاذا نص الله تعالى أرسوله صلى الله عليه وسلم على أن أمر كذا لسبب كذا أو من أجل كذا أو لأنه كان كذا فعندى أنه جعل ذلك سبباً للشيء فى ذلك الموضع خاصة، ولا توجب تلك الأسباب شيئاً من تلك الأحكام فى غير تلك المواضع البتة، وأغلظ القول على القائلين بالقياس وحمل عليهم حملة جافية، والناظر فى الشريعة بتدبر، القائم على سير الأئمة المجتهدين يبقظة يدرك أن ابن حزم سار فى غير سبيل واعتمد على غير دليل .

تحدث أبو بكر بن العربى فى كتاب المعارضة عن طائفة الظاهرية وقال: وغرّ بهم رجل كان عندنا يقال له ابن حزم، انتدب لأبطال النظر وسد سبيل العبر، ونسب نفسه الى الظاهر اقتداءً بدادود واشياعه، واعتمد الرد على الحق نظماً ونثراً، ثم أورد القاضى أبو بكر أبياتا فى الرد عليه ومما يقول فى الآيات

ان الظواهر معدود مواقعها	فكيف تحصى بيان الحكم فى البشر
فالظاهرية فى بطلان قولهم	كالباطنية غير الفرق فى الصور
كلاهما هادم للدين من جهة	والمقطع العدل موقوف على النظر
هذى الصحابة تستمرى خواطرها	ولا تخاف عليها غرة الخطر
وتعمل رأى مضبوطاً مأخذه	وتخرج الحق محفوظاً من الأثر

بالغ ابن حزم فى انكار القياس وجحوده ان تكون أحكام الشريعة معللة، وادعى أن نصوص الشريعة وافية بكل ما يحتاج اليه من أحكام، وقد خرج بهذه النزعة عن طريقة السلف، ولم يرتضها منه المحققون من الخلف، وجمهور أهل العلم يتمسكون باصل القياس وان كانوا يختلفون فى بعض ضروبه، وهؤلاء اختلفوا فى تقدير الأحكام المستفادة من النصوص، فمنهم من يراها قليلة بالنسبة لما يؤخذ من طريق الأقيسة، حتى قال إمام الحرمين: ان النصوص لا تنفى بعشر معشار الشريعة، وسائر ما يؤخذ من طريق القياس،

وقال قوم منهم ابن تيمية : ان النصوص وافية بمعظم أحكام العباد ، والبقية مشروعة على طريق القياس .

وقد يكون اختلافهم في هذا التقدير راجعاً الى اختلافهم في فهم النصوص وفيما تتناول من معان ، فبعضهم لا يتعدى في تفسير اللفظ صورة واحدة ، وغيره يذهب في تأويله الى معنى واسع ويجعله شاملاً لصور شتى ، فالخمر المحرمة بالكتاب مثلاً - يحملها بعضهم على عصير العنب خاصة ، وعليه فما لا يكون من عصير العنب من المسكرات يرجع في حرمة الى دليل آخر كالقياس . ويذهب آخرون الى أن الخمر في القرآن يتناول كل مسكر واستدلوا على هذا بحديث مسلم ( كل مسكر خمر ) فعلم من الحديث أن لفظ الخمر لم يكن عندهم مخصوصاً بعصير العنب . فيكون المسكر من غير عصير العنب محرماً بنص الآية سواء أكان الحديث مبيناً لمعنى الخمر لغة . أم مبيناً له على مقتضى عرف الشارع . فان الشارع يتصرف في اللغة . ومن تصرفاته فيها أن يستعمل اللفظ فيما هو أعم من معناه كما يستعمله فيما هو أخص منه .

ونحن لانكر ان من أنصار القياس من أوردوا في الاستدلال على صحته ما يقصر عن ان يفيد علماً او يكسب ظناً ، كما ان منكري القياس سافوا آيات وأثاراً تعسفوا في جعلها أدلة على بطلانه ، وانما يقصد بتلك الآيات والآثار الآراء التي لا تستند الى علم . والاقبسة التي تتكىء على غير أصل كقياس الذين قالوا ( إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ) واما القياس بمعنى الحكم على الشيء بحكم نظيره الموافق له في المعنى المقتضى للحكم بدون فارق فذلك ما لا يختلف أولو الأبواب في صحته ، قال ابن قيم الجوزية : وهل يستريب عاقل في ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال ( لا يقضى القاضى بين اثنين وهو غضبان ) انما كان ذلك لان الغضب يشوش عليه قلبه وذنه ويمنعه من كمال الفهم ، ويحول بينه وبين انعام النظر . ويُعمى عليه طريق العلم والقصد . فمن قصر الزهى على الغضب وحده دون الهم المزعج ، والخوف المقلق ، والجوع ، والظما الشديد ، وشغل القلب المانع من الفهم ، فقد قل فقهه وفهمه .

فالقياس أصل في الشريعة أصيل ، واذا تعرض له نفر بعقول غير راجحة او بقلوب

غير عامرة بالتقوى ، فابتغوه وسيلة الى أحكام تنبراً منها الشريعة ، فقد بُليت النصوص — وهى حقائق كالصبح اذا أسفر — بامثال هؤلاء ، فخرجوا بها عن مقتضى الحكمة والبلاغة ، وجأوا فى تأويلها بما يشاكل عقولهم ويرضى شهواتهم .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه « ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السنن واقاويل السلف واجماع الناس واختلافهم ، ولسان العرب ، ويكون صحيح العقل حتى يفرق بين المشتبه ولا يعجل بالقول ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه ، لان له فى ذلك تنبيهها على غفلة ربما كانت منه ، أو تنبيهها على فضل ما أعتقد من الصواب »

يتبع محمد الخضر حسين

## الطرف والملح

ما ينشر تحت هذا العنوان هو من مختارات فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور

قال الشيخ احمد بن عليّ الرفاعى صاحب الطريقة الصوفية المشهورة :

تعلق الناس اليوم باهل الحرف والكيمياء والوحدة ( والشطح ) والدعوى العريضة — اياك ومقاربة مثل هؤلاء الناس ، فانهم يقودون من اتبهم الى النار وغضب الجبار ، ويدخلون فى دين الله ما ليس منه ، وهم من جلدتنا <sup>(١)</sup> — اذا رأيتهم حسبتهم سادات الدعاة الى الله تعالى . حسبك <sup>(٢)</sup> الله ؟ اذا رأيت أحدا منهم فقل : ( يَالَيْتَ يَنِي وَيَنِكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ) .

وقال الشاعر الحكيم

أَلَا أَيُّهَا الْمُسْتَطْرِفُ <sup>(٣)</sup> الذنب جَاهِدَا	هو الله لا تخفى عليه السرائر
فان كنت لم تعرفه حين عصيته	فان الذى لا يعرف الله كافر
وان كنت عن علم ومعرفة به	عصيت فأنت المستهين المجاهر
فأية حاليك اعتقدت فانه	عليم بما تطوى عليه الضمائر

(١) من طائفة الميوخ

(٢) دعاء لك بأن الله تعالى كافيك تغريهم بالناس

(٣) المستحسن

## ليست بمستشفيات ولا مدارس

ولكنها معاهد تبشير



قرأت ما كتبه المربي الفاضل الحسيني بك رخا في مجلة نور الاسلام نقلا عن مجلة العالم الاسلامي التي يحورها القس ( زوير ) ذلك المبشر المتعصب الذي لا يوجد في مصر من يجهره . ولقد أسدى المترجم الكريم خدمة جليلة الى اخوانه المسلمين بهذا المقال الذي أمارت اللثام عما ينويه المبشرون ازاء الدين الخفيف . وهأنذا أقفوا أثره بهذه الكلمة لعل من ورائها تبصرة للجاهل ، وذكرى للغافل : —

يتذرع المبشرون لنفث سمومهم القاتلة في الصدور بعدة ذرائع أشدها خطرا وأقواها أثرا المستشفيات والمدارس التي غمروا بها الشرق الاسلامي من أقصاه الى أقصاه مستغلين في ذلك حاجة الناس الى الاستشفاء والتعلم ومستعينين بما تملكه جمعياتهم من أموال دثر تمكنهم من بناء أضخم المستشفيات وأفخم المدارس مجهزة بما يهر الألباب ويشي اليه أعنة الأحداق من عدة وعتاد وقد نجحوا في ذلك نجاحا باهرا ( والفضل ماشهدت به الاعداء ) فأصبحت مستشفياتهم ومدارسهم قلة المسلمين تروج بهم موجا من مرضى ومتعلمين وانفسح أمامهم مجال التبشير فصالوا فيه وجالوا والمسلمون في غفلة ساهون وعن أمر دينهم لاهون . نعم لا يطمع المبشرون في تنصيرهم بالفعل لأن الاسلام دين الفطرة ولكن حسبهم أن يشككوهم في دينهم أو يخرجوهم الى دائرة الالحاد وهم في كل حال الراجحون وسأكشف في مقالى هذا الستار عن أمور تجرى داخل هذه الاماكن تضر ولا تسر أمور هي حقائق مرة واقعية حدثت تحت ظل المشاهدة والعيان ليس للخيال والتحويل منها نصيب :

هناك في مدينة أسيوط مستشفى أمريكي يدعى مستشفى (هنرى) له في هذه البقعة من الصعيد صيت ذائع وشهرة طائرة فترى المرضى الريفيين يؤمنونه من كل أوب و صوب لعقيدة وقرت في نفوسهم مصدرها الدعايات الحارة ( من أن كل من

دخله لابد أن يبرأ ولو كانت علته مزمنة ودأؤه عضالاً ) كأن ملك الموت لا يعرف السبيل الى هذا المكان أو كأن من فيه علقوا من الحمام بذمام وحدث أن عرتني علة تحتم استوصاف الاطباء وكنت اذ ذاك أشارف الثالثة عشرة من عمرى فذهبت برفقة أبى الى هذا المستشفى وكيف نعدل عنه الى سواه ؟ وهو هو الذى تعلم الناس أخباره وتناقلوا آثاره . وكان أن قضيت بين جدرانه خمسة عشر يوماً لم أدر أكنت خلالها بين أطباء نطس ؟ أم بين رهبان وقسس ؟ وهل هذا مستشفى تشفى فيه العلل أو كنيسة تدرس فيها العقائد والنحل ؟ كان مرضى يقتضى عملية جراحية فإن نمت على المشرحة ووضع المخدر على أنفى وأخذت في غشية الغيبوبة ( والفكر مشرد والعقل طائر والموت يطالعنى من كل مكان ) حتى سمعت الطبيب يتمم بكلمات تنثال على مسمعى في صورة دعاء ينافي العقيدة الاسلامية كل المنافاة . أقسم لقد ارتعش بدنى لهذه الكلمات واضطربت لها نفسى بين الجوانح وهمت أن أنطق بالشهادتين ردا عليها لولا أن النوم اعتقل لسانى فانظر كيف يستغلون وجدان المريض في ساعة من أخرج ساعاته ساعة لا يدري أيصحو فيها من منامه أم يسلمه المنام الى الحمام ؟ ولو عقلوا لعلموا أن المسلم أصفى مايكون في هذه الحالة عقيدة وأرسخ إيماناً وأنها اللحظة التى يؤمن فيها الكافر ويتقى الفاجر . أما ماشاهدته بعد ذلك فحوادث يعجز عن تصويرها القلم تحمل في ثناياها محاولات تعليلية تضحك الشكالى وتسرى عن الحزين . كنت أقيم في غرفة يرافقنى فيها أربعة أحدهم قبضى فكان يطرق غرفتنا كل يوم غير مرة قس لا يلبس اللباس الكهنوتى بل يرتدى حلة أفرنجية وهو رجل ثقیل الظل كريبه المحضر تقرأ في أسرة وجهه أمارات الهوج والتسرع وان صدقتنى فراستى فهو ( كامل منصور ) فقد سألت عنه فقل لى أنه كان مسلماً فطاح بدینه بریق الذهب الوهاج وأصبح من أشد الناس على الاسلام . كان هذا القس كما أسلفت يلم بنا كثيراً فيصلى من أجلنا ويفرق في توسلاته وابتهالاته وكلها كما تعلم تقرير لأصول المسيحية فإذا فرغ مما هو فيه أخذ يخوض في الاديان فينأفح عن معتقده ويجرح غيره ولا أدري من كان يجاذب حبل الخصام ؟ وأمامه مرضى منهو كون لا يستطيعون الكلام. أضجرتنا



تلك الزيارات المتكررة المزدولة وبرمنا بهذه الطلعة المنحوسة تقطع علينا سلك الراحة وتُقَصِّ مضاجعنا وتزيدنا سقما وشاركنا في ذلك زميلنا القبطى بل كان أشدنا انكارا (ولاتنس أنه أرثوذكسى العقيدة وصاحبنا بروتستنتى) حتى قال بصوت الخانق (نحن ماجئنا هنا لتتلقى الدين ولكن جئنا للتداوى) ولقد سرى نبأ هذا التألم والامتعاظ الى ذلك الضيف الثقيل فقلل من زياراته وخفف من مناقشاته. ولعل من المضحكات أن أسوق اليك هذه النادرة لتعلم الى أى مهوى سحيق من التضييل والكذب ينحدر بعض المبشرين . يظهر أن هذا القس كان يطمع كثيرا في افساد عقيدتى بنوع خاص أغراه بذلك صغر سنى وتوهمه أننى خالى الوفاض من التعاليم الدينية مع أنى اذ ذاك كنت أجد حفظ القرآن الكريم وأعرف تفسير كثير من آيه متفقهها على مذهب المالكية متشعبا بالنعرة الدينية شأن نابتة القرى فانتهاز فرصة مرورى به وهو يحدث رجلا أمام باب الغرفة فقال بصوت أسمع ما أعلم هذا الرجل وأعقله ( يعنى شيخا كبير السن جليل القدر على مكانة من العلم جاء عندنا أخيرا مريضا بعرق النساء) فقال له صاحبه وكيف عرفت ذلك قال انه يقول ( ان المسيح صلب حقيقة وأن المسيحية خير دين) ! ففعلت في نفسى هذه الكلمات أفاعيلها فذهبت توا الى الشيخ وقصصت عليه القصص بصوت خريد متهدج فهاج الشيخ وماج وأقسم بكل محرجة من الأيمان أنه لورأى هذا القس مرة أخرى بعد ذلك ليحطمن عكازته على أم ناصيته وكان هذا القسم فصل الخطاب فلم يطالعنا هذا الشبح البغيض في الغرفة من وقتها وأظننا الهدوء والسكون ومما يجب التنويه اليه أنه كان لايمضى يوم حتى تزورنا طوائف مختلفة ينثرون علينا الورود والأزهار ويصلون أمانا ويدعون بدعوات سداها ولحمتها التبشير، أما أيام الاحاد فكان المستشفى يستجيل الى كنيسة بأوسع معانى هذه الكلمة فيساق المرضى طوعا أو كرها على اختلاف مللهم ونحلهم وتباين أمراضهم وعللهم ولا يعنى من ذلك الا من قعد به المرض عن المشى الى مكان معد للصلاة بالطابق العلوى فيجلسون على مقاعد مصفوفة وتعطى لهم كتب تحوى ترانيم ومزامير لافرق بين قارىء وأمى فيصلى بهم القس السالف الذكر وهم وقوف ثم يعظهم وهو مطرق

الرأس مسبل الطرف يتقطع أسى وحرقة لصلب المسيح وآلامه ويقطع كلامه بإشارة الى رجل من الحاضرين أفاهم أنت (ياعم محمد)؛ فيجيبه المخاطب بنعم وهل ينتظر غير ذلك من قروى ساذج يعد نفسه فريسة شراكمهم ويتوقع المكروه في مخالفتهم وان نسيت لأنس المعزف (البيانو) تجس أوتاره بينان رخص عادة برزة رشقة القد أسيلة الخد ساجية العينين رهوة الصوت فتمتع العيون والآذان بشجى الالخان وصوت مرنان وجمال فتان— فاقض العجب أيها الانسان— كان لهذا المشهد أثر في نفسى عميق فما ان انفرط عقد الحضور حتى دلفت وراء (عم محمد) وأنكرت عليه ماسمعه منه فأجابنى بأنه (لايمتقد مايقوله الواعظ ولا يفقه شيئاً من كلامه وأنه مسلم وموحد بالله) فرجعت قرير العين مثلوج الفؤاد . ومما لاحظته أنه معلق على الجدران فوق أسرة المرضى ألواح مكتوب فيها جهل وعظيمة مثل (آمن بالرب يسوع تسلم!) الى غير ذلك مما يخالفها لفظاً ويطابقها معنى

هذه صورة لبعض ما رأيته بعينى رأسى رسمتها للقارىء الكريم في مستشفى من تلك المستشفيات التى لا يحصيها العد وكلها لم تنشأ لدفع سقم ولا تخفيف ألم فقد كانت بلادهم بها أحق وابناء جلدتهم أولى وانما أقيمت لتفتن الناس في دينهم وتفسد عليهم عقائدهم فهل يتنبه المسلمون .

بقى أن أحدثك عن مدارسهم وبخاصة مدارس الأمريكان والفرير فهى أنكى فعلاً وأشد ضرراً اذ تبشر بالمسيحية علناً ولا تألوا جهداً في تنصير ابناء المسلمين بكل الوسائل الفعالة والحيل الممكنة ولهم في ذلك أفانين تشب عن طوق المردة والشياطين ومع ذلك لا يتورع الآباء أن يزجوا بأبنائهم في هذا الطريق الشائك المفضى الى الجحيم كأن العقيدة الاسلامية لاتعد عندهم شيئاً مذكوراً فترى هؤلاء الصبية الابرياء الذين ولدوا على الفطرة النقية ينشئهم المرسلون الأجانب تنشئة كاثوليكية أو بروتستنتية وغصنهم رطيب ورداء حدثهم قشيب فيشبون معادين للاسلام «ومن جهل شيئاً عاداه» يحضر الطلبة المساكين دروس الدين بحجة أنها دروس أخلاق وأنوفهم راغمة فيتلقون أصول المسيحية ويلقنون عقائدها ويصلون فيمفتتح الدراسة

صباحا مع المصلين فلا تعجب بعد هذا أن ترى هؤلاء التلاميذ يعرفون من تاريخ المسيح مالا يعرفون من تاريخ سيدنا محمد ويحفظون من آي الانجيل مالا يحفظون من آي القرآن ويدرون من تاريخ الحوارين مالا يدرون من تاريخ الخلفاء الراشدين وقد درجوا في هذه المدارس على أن يسندوا دراسة التاريخ الى أناس متعصبين مغرضين يشوهون الحقائق ويقلبون الفضائل الاسلامية نقائص وذرائل ويصورون الرسول الكريم وصحبه الابرار في صورة السفاكين السلايين ويخلعون على المدينة العربية رداء الانحطاط والهمجية - وما آفة الأخبار الا روايتها . ولقد سألت مرة تلميذا مسلما في الفرير هل تتحنون في الديانة المسيحية فقال نعم ولهذا الامتحان أثره في النجاح والسقوط والتقدم والتأخر فقلت هل لك أن تعرض على نموذج من هذه الاسئلة فقال مثل . ما الذي ترتب على وقوع آدم في الخطيئة ؟ ولماذا رضى المسيح بالصلب ؟ ومن الذي يحرم من دخول ملكوت السموات ؟ وبأى قوة تغلب المسيح على الموت وقام من قبره ؟ ولقد كان من تلاميذى في الناصرة من قضى مدة في هذه المدارس فكنت تراهم في دروس الديانة الاسلامية ينهلون بأسئلة تفصح عن جهل مطبق وتكشف عن حيرة واضحة وشك مريب فيقولون أليس القرآن منقولاً من أساطير الأولين ؟ ! وهل للنبي معجزات خارقة مثل معجزات موسى وعيسى ؟ ! ولماذا تزوج بكثير من النساء وهل يجوز لنبى أن يقاتل الناس ؟ ! الى غير ذلك من الاسئلة التى ينفضها في روعهم شياطين المبشرين والى يعرفون جوابها الصحيح كما يعرفون أبناءهم ولكنهم مكابرون معاندون ومن أغرب ما وقع لى أننى مرة كنت أدرس سيرة المسيح عليه السلام لتلاميذ السنة الأولى فماكدت ألفظ باسمه حتى ابتدرنى تلميذ صغير في سذاجة وبراءة (... مسكين . صلبوه . قتلوه . وضعوا على رأسه الشوك . دقوا في جسمه المسامير) فبهت لهذه الكلمات يلفظها تلميذ مسلم أبواه مسلمان ولم أربدا ازاء ذلك أن أقضى أسبوعا كاملا في دراسة سيرة المسيح على وجهها الاسلامى لأجثت من نفس هذا الطفل واخوانه معلق بها من غراس التبشير والامثلة في ذلك كثيرة ومن بدع هذه المدارس التى يستهون بها قلوب الناس ويتغفلون بها المسلمين ما يقيمونه كل عام من الحفلات المدرسية الشائقة

التي يوزعون فيها الشهادات والجوائز على الناجحين والسابقين ليظهروا مدارسهم في صورة رائعة من التقدم والرقى وحتى في هذه الفترة لا ينسون التبشير فيفتتحون الحفلة بصلاة ابتهاج يسقط فيها كثير من الألفاظ التي تجرح عواطف المسلمين وهم الكثرة الساحقة في المدعويين وكان لهم عنها مندوحة لو أرادوا المجاملة ولكن كيف يجاملون فتضيع عليهم الفرصة السانحة للتبشير في هذه الجموع الزاخرة. ألا ان المسلمين غافلون.

على الجندى

المدرس بمدرسة الناصرية الأميرية

## الطرف والملح

قال خَلَّادُ الأَرْقَطُ : حدثني زميلٌ عمرو بن عُبيد . قال : سمعته في الليلة التي مات فيها يقول : اللهم انك تعلم أنه لم يَعْرِضْ لى أمران قطُّ أحدهما لك فيه رضا والآخر لى فيه هَوَى الا قدِّمْتُ رضاك على هَوَاى . فاغفر لى — ومرَّ أبو جعفر المنصورُ على قبره بِمَرَّان . وهو موضع على أميال من مكة على طريق البصرة . فقال :

صلى الأله عليك من متوسّد	قبرا مررتُ به على مرَّان
قبرا تضمّن مؤمنا متخشعا	عبدَ الأله ودان بالقرآن
فاذا الرجال تنازعوا فى شبهة	فَصَلَ الخطابَ بحكمة وبيان
فلو آن هذا الدهر أبقى مؤمنا	أبقى لنا عمرا أبا عثمان

قال شاعر حكيم :

ادفعْ بصبرك حادث الايام	وترجَّ لطف الواحد العلام
لا تيأسن وان تضايق كربها	ورماك ريب صُروفها بسهام
فله تعالى بين ذلك فرجةٌ	تخفى على الابصار والأوهام
كم من نجى <sup>(١)</sup> بين أطراف القنا	وفريسة سلمت من الضرغام

# الأخلاق والعادات

## علاقة الاخلاق

بالشريعة الاسلامية والقانون الوضعي

— ٢ —

(ج) أما المحافظة على العقل في الشريعة فبتحريم المسكرات لأنها تضر بمن يتناولها بنقص العقل - والشريعة كما ذكرنا تحمي الانسان من اضرار نفسه بنفسه - أما الفكرة في المحافظة على العقل في القانون فليست لذات العقل ولا لأن المسكر يضر بعقل من يتعاطاه ولكن لما ينشأ عن السكر من الاضرار بالغير فلم تعاقب عليه ألا مع العربة في الطريق العام أو في الحال العامة حيث يظن أن ينشأ عنه ضرر للغير

والشريعة الإسلامية راعت في أصل عقوبة السكران حماية العقل ودفع اضرار الإنسان نفسه ولاحظت في تقدير العقوبة ضرر الغير ومن أجل ذلك جعلت عقوبة السكر كعقوبة القذف لأن السكر مظنة له وقد قال على كرم الله وجهه لما سئل في تقدير عقوبة الشارب: (أرى أنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى فعليه حد المفترى وهو ثمانون سوطاً).

وقد أثبت الطب الحديث وجميعيات منع المسكرات أن ضرر المسكر لا يقتصر على العقل وحده بل يتعداه إلى اتلاف الأجسام وإفساد الأخلاق واضعاف النسل وقد نشطت بعض الأمم المتمدينة إلى تحريمها كأمرىكة (الولايات المتحدة) وبعضها إلى محاربتها وتضييق الخناق عليها ووضع القيود من دون أنتشارها كأيطالية وألمانية وغيرها وإنا نعد هذا النشاط في تحريم الخمر أو مطاردتها انتصاراً للفكرة الإسلامية فيها - وبين فكرة الشرع وفكرة القانون هنا اتفاق في جنس الفكرة ونوعها تقريباً واختلاف في طريقة المحافظة لاختلافها في نص العقوبة .

(د) والمحافظة على المال في الشريعة بمعاقبة السارق وتحريم النصب والأمر بررد المغصوب قائماً وضمانه هالكا والأمر بآداء الأمانة وتحريم أكل أموال الناس بالباطل وتعويض الضرر المالى وحقوق الملكية والوصاية والقوامة على عديمى الأهلية إلى غير ذلك وهذه الأمور ونحوها منها ما هو من موضوع قانون العقوبات كالسرقة ومنها ما هو من موضوع القانون المدنى والتجارى كالتعويض وحقوق الملكية ونحو ذلك - وقد اتفقت فيه الشريعة مع القانون فى جنس الفكرة ونوعها - واختلفا فى طريقة المحافظة لاختلاف النصوص فيها .

(هـ) والمحافظة على النسل فى الشريعة الاسلامية بتشريع الزواج وتحريم الزنى والمخادنة ووجوب الأنفاق على الأبناء الفقراء واثبات الأنساب وغير ذلك مما يرجع إلى حفظ النسل من أحكام اللقيط وغيره - والمحافظة على النسل فى القانون بتشريع الزواج المدنى والمحافظة على شروطه ورسميّاته والتشريع الخاص باللقطاء ومجهولى الآباء والمتشردين من الأطفال - وقد اتفق مع الشريعة هنا فى أصل الفكرة ونوعها دون طريقة المحافظة . اهـ ونحن بعد أن تبين لنا اتفاق الشريعة والقانون على وجوب المحافظة على هذه الضروريات نجد طائفة من الآداب والأخلاق تتخذها وتكون سناداً لها وعونا على صيانتها - بل من المعتقدات الدينية نفسها مما يخدم هذه الضروريات - ليس الأيمان بالله واليوم الآخر والرضا بالقضاء والقدر مما يجعل النفس تطيب بالنازلة إذا نزلت والجائحة إذا ألمت فلا تضيق بها ذرعاً حتى تتامس الخلاص من الحياة بالانتحار - فهذا مما يخدم المحافظة : على النفس ؟

أليس الصدق وطهارة الذمة مما يعتمد عليها القضاء فى إيصال الحقوق إلى أربابها وهما لازمان لعدل القاضى واستقامة الشاهد - فهذا مما يخدم الضروريات الخمس لأن القضاء وصلة إلى الحقوق التى ترجع إلى جميعها - والقضاء يلجأ عند العجز عن الأثبات إلى تحليف اليمين فيكل من يريد تحليفه إلى ضميره وذمته وخلقه فى النطق باليمين فان كان عفا الضمير طاهر الخلق صدق بها أو نكل عنها وإن كان سىء الخلق استحل بها الحقوق كذبا وظلماً وكذلك قل عن اليمين المشروعة فى تحليف الشهود -

ولا نذهب بعيدا إذا قلنا ان القوانين الوضعية تقضى على القاضى إذالم يجد نصا فى القانون أن يحكم بقواعد العدل والانصاف وهى مستمدة من ضمير القاضى وذمته وأتى له بذمة طاهرة وضمير ورع ما لم يكن له من الآداب والأخلاق الحظ الوفير- بل أى قيمة للقضاء وما قدر القوانين إذا فشت رذيلة الكذب مثلا فى مجتمع حتى شملت القضاء والشهود والمتقاضين بل كيف تعرف الحقوق وكيف يستطيع أیصالها إلى أربابها؟

أليس الحياء مقلصا للنفوس عن الرذائل والمظالم وأن ليس ارتكاب الموبقات والجنايات ألا من حيث تخلت النفوس عن وجدانها وفارقها حياؤها؟

أليس الكذب مدعاة للزور وفساد الذمم أساس التلفيق وضياع الحقوق؟  
أليس الحقد والضعينة بذر الجرائم والآثام المستنبت فى القلوب والأكباد؟  
أليست النيمة والسعى بالوقية بين الناس من رسل الشيطان وعوامل الفتن والجرائم؟

أليست خطبة المرء على خطبة أخيه وسومه على سوم أخيه مما يبعث التذمر والحزاة فى النفوس - أليس كف الأذى وبذل المعروف وغض البصر عن المحرم وترك التسمع على حديث الناس والاحسان فى المعاملة إلى غير ذلك من آداب الدين ومكملات الأخلاق صقلا للنفوس وتهذيبا للطباع يتعدان بها من الشرور والآثام؟

أليس ضبط النفس عند الغضب حاقنا للدماء مانعا من الاعتداء؟  
أليست الحيلة والكبرياء مدعاة الى السرف والتبذير فى سبيل المظاهر والمفاخر فضياع الأموال فالفقير فالاجرام؟

وقس على ماتقدم سائر آداب السلوك والأخلاق التى وردت الشريعة الغراء بالحث عليها فانها لا تخرج عن أن تكون خادمة لضروريات المجتمع - فعجيب أن يصفها القانونيون مع هذا بأنها من الآداب التى لا يحتاج القانون الى تنظيمها فى حفظ كيان المجتمع وحمايته من الفوضى قال صاحب المواقفات : ( ان كل حاجى أو تحسنى انما هو خادم للأصل الضرورى ومحسن لصورته الخاصة اما مقدمة له أو مقارنا أو تابعا وعلى كل تقدير فهو يدور بالخدمة حوالیه فهو أخرى أن يتأدى به الضرورى على أحسن حالته ) اهـ

ولا يخفى أن مكارم الأخلاق عند الأصوليين من المحسنات أى الأمور المستحسنة فى الشرع والمراد من خدمتها للضروريات أنها تخدمها بالكل لا بالجزء فلا يتعين جزئى من هذه الكمالات الخلقية لخدمة الضروريات فى فرد معين من الأمة لأنه قد يتخلف عن خدمتها بالجزء فقد يأتى الاجرام أو مخالفة الضروريات من الأحكام الشرعية والقانونية ممن تحلى بمكارم الأخلاق وتهذب بمحامد الشيم مدفوعا الى هذه المخالفة بظروف شاذة وانما المراد أن ذبوع هذه المكارم والمحامد فى أمة يقلل فيها من الجرائم ومخالفة النظام والقانون وأنها لازمة لكل مجتمع بطريق الكلية أيضا فلا يؤثر تحلى أفراد من الأمة عنها بل المؤثر فى هدم المجتمع واسلامه الى الفوضى خلو مجموعه من آداب السلوك وصواقل الاخلاق اهـ

عبد الله صيام

متخصص فى الشريعة الاسلامية

ومحام شرعى

## الطرف والملح

قيل لسفيان بن عيينة : قد استنبطت من القرآن كل شئ فأين المروءة فيه ؟ فقال : فى قوله تعالى : ( خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ) . ففيه المروءة وحسنُ الأداب ومكارمُ الأخلاق . فجمع فى قوله : خُذِ الْعَفْوَ . صلة القاطعين . والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين — ودخل فى قوله : وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ . صلة الأرحام . وتقوى الله فى الحلال والحرام . وغضُّ الأبصار . والاستعداد لدار القرار — ودخل فى قوله : وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . الحضُّ على التخلق بالحلم . والأعراضُ عن أهل الظلم . والتنزهُ عن منازعة السفهاء . ومساواة الجُهلة والأغبياء . وغير ذلك من الأخلاق الحميدة . والأفعال الرشيدة .



# السيرة النبوية

مولده صلى الله عليه وسلم

ونسبه الشريف

في العدد الأول من مجلة (نور الاسلام) قطفنا زهرة يانعة ، بل جنينا ثمرة نافعة من  
بستان الكمال البشرى ، والجمال الأنسانى ، والجلال النبوى .

تلك كانت النبذة المتعلقة بهجرته صلى الله عليه وسلم من مكة المشرفة الى المدينة  
المنورة ، اقتطفناها من سيرته صلى الله عليه وسلم الحافلة بأنواع الكمال ، وصنوف الفضائل ،  
بل التى هى مظهر التجلى الالهى الأكمل على أفضل خلقه الذى اصطفاه هاديا ورسول  
رحمة للعالمين .

والآن نردفها بكلمة فى المولد الشريف ، والنسب الطاهر ، آملين أن تتدرج فى  
معارج هذا الافق الممتلىء بنجوم الهدى من أخلاقه صلى الله عليه وسلم وشئونه ، وأفعاله ،  
وأقواله ، فنجلو لعيون القارئ من سناها ما يضىء سبل السعادة والمجد .

وقد كان حقيقا بمن يتكلم فى السيرة النبوية أن يجرى مع ترتيبها فى الوجود ، فيبدأ  
باولها وهو النسب ، ثم المولد ، وهلم جرا . ولكن لما صادف ظهور أول عدد من المجلة  
فى أول شهر من السنة الهجرية ، وكان ذلك مدعاة للتكلم على الحادث الجليل الشأن الذى  
اختاره المسلمون مبدءا لتاريخهم اذ كان مبدءا لظهور نور الاسلام واضحا جليا ، وتبوء الدين  
الحنيف مكانا عليا ، وهو هجرته صلى الله عليه وسلم التى أعز الله بها الاسلام والمسلمين .  
رأينا أن نبدأ مقالات السيرة النبوية بالهجرة الشريفة ، وليس معنى هذا أن الهجرة  
كانت فى شهر المحرم ، بل قد كانت فى ربيع الأول ، كما كانت ولادته صلى الله عليه وسلم  
وانتقاله الى الرفيق الأعلى فى ربيع الأول .

وانما جعل شهر المحرم تذكارا للهجرة النبوية لانها لما جعلت مبدءا للتاريخ الاسلامى

وكان المحرم ولا زال معتبرا أول العام الهجري ، كان تذكارها أبدأ قرين أول السنة الهجرية .  
ولقد اخترنا شهر ربيع الأول للكلام على مولده عليه الصلاة والسلام لانه الشهر  
الذي تشرف فيه الوجود بطلعته الزاهرة ، ووفقا لما جرت به عادة المسلمين في مشارق  
الارض ومغاربها ، من التنويه بفضل هذا الشهر ، واحياء لياليه بالعبادات وبث الصدقات  
على الفقراء ، شكرا لله تعالى على نعمة اشراق هذا النور الساطع الذي كان هدى للعالمين  
ورحمة للناس أجمعين

ويحسن قبل الكلام على المولد الشريف ، أن نبدأ ببذة في نسبه عليه الصلاة  
والسلام ليتبين أنه قد أختير من أفضل أرومة وأكرم منبت .  
وهل ينبت الخطي الا وشيجه<sup>(١)</sup> وتغرس الا في منابتها النخل

نسبه صلى الله عليه وسلم  
ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ( ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى  
قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم )  
وقد اتفق على أنه عليه الصلاة والسلام من ولد اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن  
صلى الله عليهم وعلى جميع إخوانهم الانبياء والمرسلين ، وورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه  
قال ( أنا ابن الذبيحين ) وأن اعرابيا قال له ( يا ابن الذبيحين ) فتبسم ولم ينكر عليه . أما  
الذبيح الاول فهو اسماعيل عليه السلام ، فان الصحيح أنه هو الذبيح لا اسحق عليه السلام  
ودليله من القرآن الكريم أنه تعالى بعد أن قص قصة الذبيح في سورة الصافات بقوله تعالى  
( فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ  
فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ) الخ الآية أردفها بقوله ( وَبَشِّرْنَاهُ بِاسْحَقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ )  
والظاهر المتبادر أنها بشارة أخرى بمولود آخر . وأما الذبيح الثاني فهو أبوه عبد الله  
وقصته مشهورة في كتب السير .

هذا : والذي صح في النسب الطاهر اتصاله بدوحة معد بن عدنان باتفاق النسابين ،  
 وعدنان فرع من نبعة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام باجماع ، وما بين عدنان واسماعيل

(١) الخطي : الرمح نسبة الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين لان الرماح تباع به ، والشويح شجر الرماح

فقد اختلف فيه النسابون . وقد ورد في بعض الآثار : أنه ما اقترق الناس فرقتين الا كان صلى الله عليه وسلم في أفضلهما . وورد أن نوره عليه السلام كان يرى متلألاً في جبين آبائه الاكرمين، وما زال يتنقل بين أصلاب كريمة وأرحام طاهرة حتى خست العناية الصمدانية به والده عبد الله فكان أجمل نساء العرب يتعرضن له وروى أن سيدة من بنى أسد بن عبد العزى عرضت نفسها عليه وجعلت له مائة من الابل ان هو أجابها فقال لها :

أما الحرام فالمات دونه      والحل لاحل فاستينيه  
يحمى الكريم عرضه ودينه      فكيف بالامر الذي تبغينه

وقد روى أن الله نظر الى آبائه نظر تكريم في الجاهلية ، فكانوا كلهم سادة قادة ، وتجمع فضلهم في عبد المطلب جده عليه الصلاة والسلام وهو الذي حفر زمزم بعد أن طمت ، وكان له بذلك أرفع منزلة في العرب قاطبة ، والذي ينظر في سيرتهم ويتبع تاريخهم لا يجد فيهم الا من كان سيدا نابها عظيما دون له التاريخ ما يحفظ الذكر الحسن والأحدوثة الطيبة ولنرجع الى مولده الشريف وما تقدمه من تزوج أبيه بأمه

تزوج أبيه عبد الله بأمه أمنة بنت وهب

روى أن عبد المطلب جده صلى الله عليه وسلم كان في سفرة فمر براهب من أهل الكتاب فسأله الراهب . ممن الرجل ؟ قال من قريش ، قال من أيهم ؟ قال من بنى هاشم قال أئاذن لي أن أنظر بعض جسدك ؟ قال نعم ، ما لم يكن عورة ، ففتش في منخريه ، وقال إن فيك ما يدل على الملك والنبوة وأنا نجد ذلك في بنى زهرة ، فعمد عبد المطلب الى بنى زهرة ومعه ابنه عبد الله وقد بلغ الثمان عشرة سنة ، فخطب اليهم لنفسه ولابنه ، وتزوج عبد الله أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وعقد له عليها وبني بها فحملت به صلى الله عليه وسلم ، وروى أنها لم تشك ثقلا لحملها ، وأنها آتاها آت المنام فقال لها انك حملت بسيد هذه الأمة وبنيتها ورأت في منامها كأن قد خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام . وقد توفي أبوه وأمه حامل به ، كان قادما

مع قومه من تجارتهم بالشام فرض بالمدينة ، فاقام عند أخواله بنى عدى بن النجار فلما قدم أصحابه مكة سألهم عنه عبد المطلب فقالوا خلفناه مريضا عند أخواله ، فبعث اليه أحد اخوته ، فوجده قد توفى بالمدينة ودفن بها . .

وكان السر في يتمه عليه الصلاة والسلام من صغره أن تظهر عناية الله به من أول أمره ، والا يُظن ان العز قاصر على ما يكتسب من الأباء ، ولكيلا يكون عليه حق لسوى خالقه وليظهر مغزى قوله صلى الله عليه وسلم ( أدبى ربى فأحسن تأديبى ) وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال ( ارحموا اليتامى واكرموا الغرباء ، فانى كنت فى الصغريتيما وفى الكبر غريبا )

مولده صلى الله عليه وسلم

أشرق هذا النور الذى هدى الله به من اتبع رضوانه سبيل السلام فى فجر يوم الاثنين ثمان ليال مضت من ربيع الأول من عام الفيل ، وقيل لاثنتى عشرة ليلة خلت منه وقيل غير ذلك . فنزل صلى الله عليه وسلم مسرورا <sup>(١)</sup> مختونا نظيفا ، وروى أنه نزل على كفيه وركبتيه ساجدا ثم رفع رأسه الى السماء ، شاخصا يبصره اليها ، قابضا أصابع يده باسطا سبابته كالمترعرع المبتهل وفى ذلك يقول البوصيرى

رافعا رأسه وفى ذلك الرفع الى كل سؤدد ايماء

رامقا طرفه السماء ومرمى عين من شأنه العلو العلاء

وكان مولده صلى الله عليه وسلم فى دار عقيل بن أبى طالب عند الصفا ، وقد تلقته حين ولادته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ، وحضنته أم أيمن . وقد روى عن أمه أنه لما أخذها ما يأخذ النساء وأنها لوحيدة رأت من الآيات ما كان تقدمة لمقدمة وارهاسا لنبوته صلى الله عليه وسلم . ولما وضعته أرسلت لجده عبد المطلب ورفعته اليه ، فاخذه ودخل به الكعبة ، ثم عاد به اليها . وقد ظهرت لمولده آيات بينات واضحات وأخبر به من عنده علم من الكتاب ، وتصدع لأجله ايوان كسرى ، وغاضت بحيرة ساوه ، وانطفأت نيران الفرس وقد جاء عليها حين من الدهر لم تحمد جذوتها ، فكان هذا وما

ماثله من الارهاصات التى تعد الاذهان لقبول ما بعدها من شأن خطير وأمر عظيم .  
ولنكتف بهذا المقدار فى السيرة النبوية مذكرين بان رواية أصحاب السيرة ليست  
فى قوة رواية حفاظ الحديث فان المحدثين لكونهم يبلغون شرع الله وحلاله وحرامه  
يجب أن يكون احتياطهم بالغا للغاية القصوى  
وقبل أن نختم هذه الكلمة نقرر أن ظهور هذا النور النبوى للعالم كان من أعظم آثار  
رحمة الله التى سعد بها الناس دنيا وأخرى وان السعادة الدنيوية لم تقف عند حد من آمن  
به بل قد اقتبست الأمم التى لم تسعد بالايمان من نظم العدالة وتهذيب النفوس ما ارتقت  
به حياتها وهذبت به نفوسها فحق على كل من يعرف حق الجليل وشكر النعمة أن يرى  
ما فى هذا الشهر العظيم من أفصل الذكريات فيشكر الله جلّت قدرته بما قدر عليه من  
أنواع الزلفى اليه جل شأنه خصوصاً صلة الأرحام وبث الصدقات على المحتاجين فى الشكر  
زيادة النعم وتحسينها نسأل الله تعالى أن يمن على الأمة الاسلامية بمنة المعرفة لنعم الله عليها  
والتمسك بحفظها ويزيدها من دوام الشكر للمنع واستعمال النعمة فى وجوها الحقيقية  
والله المستعان وهو ولى التوفيق م

ابراهيم الجبالى  
مدرس بقسم التخصص بالأزهر

## الطرف والملح

قال بعض الشعراء :

عَجِبْتُ لَمَّا رَأَيْتُنِي	أَنْدُبُ الرَّبِّعِ <sup>(١)</sup> الْحَيْلَا <sup>(٢)</sup>
وَاقِفًا فِي الدَّارِ ابْكِي	لَا أَرَى إِلَّا الطُّلُولَا
كَيْفَ تَبْكِي لِأَنَاسٍ	لَا يَمْلِكُونَ الذَّمِيلَا <sup>(٣)</sup>
كَلِمَا قُلْتُ اطْمَأْنَنْتُ	دَارَهُمْ جَدُّو الرِّحِيلَا

(١) المحلة التى كانوا نازلين بها (٢) الذى مضى عليه حول بعد رحيلهم منه (٣) السير والانتقال من محلة الى أخرى

## مثال من عناية الالمان

### بتربية أولادهم

جاء في كتاب المانى عنوانه « كيف نربى أولادنا » ما ترجمته

الموقف الحقيقى للمربى ازاء الطفل

اذا أراد المرء الاشتغال بامور التربية متعمقاً فى أصولها لا مقتصرأ على قشورها وجب عليه اذن أن يتبين أولاً ما التربية فى حقيقتها؟ وفيم تنحصر واجباتها؟ وما حدودها؟ لو أردت الاختصار فى الجواب عن هذه الأسئلة على جملة موجزة أو على تعريف معنى كلمة تربية لكان ذلك قليل الغناء فى الايضاح فلاجل الوصول الى فهم معناها فهما حقيقياً لابد من اجالة العقل فيما يلي من مجارى الافكار والاعتبارات .

ليست التربية فى أصلها شيئاً آخر سوى التأثير الذى يحدثه الوالدان وغيرهما من الكبار قصداً فى نفس الصغير الذى لما يبلغ مبلغ الرجال ، أما امكان مثل هذا التأثير فما لا يحتاج الى اثبات لأن تجارب الحياة اليومية تدل على أن نمو الناشئ تابع لضروب من التأثير يختلف كثرة وقلة .

والذى أتكلم فيه هنا عن بيئة تامة انما هو ضرب معين من التأثير . والتأثير يقتضى وجود ذات مستقلة عن المؤثر تنمو وتثبت وجودها لا يتأتى توجيهها وتكوينها إلا باتخاذ بعض الطرق . فالنهر يجرى فى مجراه ونحن معاشر البشر لا ندفعه فى جريانه ولا نمنعه منه وأقصى ما نستطيعه هو أن نسد مجراه الى حين أو نحول جريانه أو نوجهه الى جهة أخرى . والنبات يخرج من البذر وتتولى انماؤه وبناءه وتصويره قوى غيبية خفية ولا يستطيع البستاني أن يعمل فى هذا إلا عملاً تافهاً فهو لا يملك إلا وقايته من العاصفة أن تكسره ومن حرارة الشمس أن تجففه ومن الحشرات وأيدي العارمين<sup>(١)</sup> من الأطفال أن تتلفه .

والذى يحصل فى التربية شبيه بهذا . ولم يكن قط من باب المصادفة والاتفاق أن سى الأستاذ فريدريك<sup>(١)</sup> فريبيل — وهو أنبع علماء التربية وأكثرهم عبقرية — المربين والمريات بستانى الأطفال وبستانياتهم فادراكه العميق لنمو النفس البشرية من الناحية الجسدية وتحققه البليغ بفهم ماهية التربية تعبر عنهما هذه التسمية .

ولم يكن أمر التربية فى كل زمن مفهوما على هذا الوجه بل كان كثير من الناس فيما مضى يعتقدون فى التربية نوعا من القدرة على كل شىء على أنهم ما زالوا الى اليوم غير قليل، خذ لذلك مثلاً أراسم الروتردامى<sup>(٢)</sup> وهو العالم الضليع فى اللغات والآداب الذى كان معاصرا للدكتور مارتى لوتر<sup>(٣)</sup> لا يزال يقول : « ان الفطرة ( كذا ) اذا وهبت لك ابنا فانما تسامك كتلة فجة ومن شأنك أن تعطى هذه المادة القابلة للتهيئة والتشكل بكل شكل أحسن صورة تريدها فان أنت أهملتها حصلت منها بهيمة وان عנית بتربيتها حصلت منها — ان صح القول — ملكا كريما — وكذلك صرح الحكيم لايبنتز<sup>(٤)</sup> ذات مرة قائلا : اتونا التربية نغير لكم أخلاق أوربة فى أقل من قرن » أما الآن فقد صرنا أكثر قصداً واعتدالا ممن سبقونا فاصبحنا نعرف وجود الاعضاء فى كل موجود معرفة أجلى وأظهر من معرفة أهل القرون السالفة ونعرف اليوم أن كل مخلوق حى تستقر فيه بالفطرة من بدأ نشأته الشروط اللازمة لنموه وكل حى ينمو بقانون قاهر خفى وفقا لسنن أزلية مستقرة فيه . كذلك شأن الطفل .

وانما إياك أن تظن أن ليس فى كل فرد على حدته الا ضروب خاصة من الاستعداد والجرائيم تكون كلها مغايرة لما فى غيره ، بل توجد صفات معينة عامة فى كل نفس عادية . ويرجع الفضل الأكبر للاستاذين بستالوتزى<sup>(٥)</sup> وفريبيل من علماء التربية فى أن وضعوا بناء علم التربية على هذا الأساس الأزلى الذى هو القدر المشترك فى الخواص الانسانية .

(١) فريدريك فريبيل — عالم المانى من علماء التربية ولد سنة ١٧٨٢ م ومات سنة ١٨٥٢ م وهو منشئ بستاتين الأطفال .

(٢) نسبة الى رتردام مدينة فى جنوب هولاندة هى موطنه

(٣) كاهن يتبع اوغستان وهو رئيس الاصلاح الدينى فى المانية

(٤) واسمه جود فريد ولهم وهو حكيم مشهور وعالم ألمانى ولد فى مدينة لايبزج

(٥) اسمه جان هنرى عالم سويسرى من علماء التربية ولد فى مدينة زروىخ ونال شهرة عظيمة بأعماله التى قصد بها

تربية أولاد الفقراء وتعليمهم ولد سنة ١٦٤٦ م ومات سنة ١٨٢٧ م

ما الانسان في حقيقته ؟ أى الإنسان من حيث هو انسان سواء أكان ملكاً أم سوقاً ؟ هذه أكبر معضلة شغلت إستالوتزى وصايقته مدة عشرات من السنين . لا بد لى أن أعرف قبل كل شىء مم تتكون فطرة الانسان ؟ وما استعداده الحقيقى ؟ وحينئذ فقط يمكننى أن أريه أى أوثر فى نفسه تأثيراً يكون من ورائه مساعدته على أن يعيش وفق استعداده وينمو ، كان فى امبلاج هذه المعرفة فى نفس إستالوتزى بشارة بوقت ظهور علم التربية العصرى المبني على الحكمة فمن ذلك الوقت لم تعد هذه المسألة الى ما كانت عليه من الاغفال والسكوت عنها . ثم أقول مم يتكون هذا القدر المشترك فى الخصائص الانسانية؟ ليس من السهل الجواب عن ذلك ، على أنه مما يصح أن يقال فيه أن فى كل انسان عادى تكمن غرائز معينة هى واحدة فى الناس جميعاً وهذه الغرائز تظهر مثلاً فى السرور بالعمل والتهيئة وفى ادراك العدل والظلم وفى الشوق الى معرفة الحق وفى الشعور بالائتلاف وحب الاجتماع وفى المهابة لكل ما هو على وازلى وقد نشأ من هذه الغرائز كل ما هو عظيم وحسن فى الانسان وظهرت بواسطتها الخصائص الانسانية ونشأ من بلوغها الغاية فى تأثيرها المجالات الكبرى للحضارة وهى الفنون والعلوم والحقوق والآداب والاديان وهذا هو تقدم نمو قوياً مستمر غير أنه من نوع عقلى مجرد .

فحمل نفوس الأطفال على أن تخرج من أكامها فى ضوء هذه المجالات الواسعة للحضارة الانسانية هو الواجب الايجابى للتربية العملية ودعوة كل الناشئين الى الاشتراك فى هذه الحركة العقلية الكبرى ومساعدتهم على ذلك حتى ترسخ أقدامهم فى دوائر هذه الحضارة الانسانية القيمة هو معنى التربية والغاية القصوى لعمل كل مرب ، ولا يتأتى النجاح فى تربية الانسان والبلوغ فيها الى أعلى شأواً الا بالسير بها على هذا المنهج ، نعم أن هذه هى الناحية الايجابية الانشائية وحدها لعمل التربية وبجانب هذه الناحية يوجد أيضاً واجب سلبى منعى للتربية ، وهذا الواجب ينشأ من الغرائز البشرية ، فان النفوس البشرية ليست مقصورة على أن تكون مستقرة لجرائم كل شريف وكل صالح ، بل فيها أيضاً مستودع لجرائم كل مبتذل وخسيس كاللذات الجسدية والكسل والحسد والكذب والجن ، وعلى الجملة جميع الرذائل التى تتولد من الأثرة الانسانية .



فغالبه هذه الرذائل وقعها هما الناحية السلبية للتربية العملية ، وذلك هو واجبها المنعنى وهذا الواجب لا يقل شأنًا عن الايجابى وكلاهما شرط فى الآخر لأن العالى لا يرتفع الا بقمع الدنى وبالعكس لا يتأتى قهر الدنى الا باستسلامه للعالى وحينئذ فكل من واجب التربية هذين ينبغى البداءة به فى وقت واحد ولا يصح أن يتأخر أحدهما عن الآخر .

بذلك يمتاز الواجبان العامان لعمل التربية وفى تنفيذهما صعوبات ظاهرة وباطنة ينبغى التغلب عليها ولعمل التربية حدود محدودة باطنة وظاهرة أيضا .

فالحدود الباطنة تعينها الخواص الذاتية والأحوال الشخصية للطفل وأما الحدود الظاهرة فتعينها البيئة التى يعيش فيها والمخالطة .

فواهب الطفل الباطنة يأتى بها الى الدنيا حال ولادته كما ذكرنا . وماله من الخصوصية هو نتيجة التوارث فليست نفس الطفل الحديث الولادة كما كان مزعوما فيما مضى عبارة عن لوح خال من الكتابة بل هى مجموع قوى كامنة تنمو فيه بدون دخل لعمل المربي بل كثيرا ما تنمو على خلاف ارادته ألا أن الطفل ليس ذاتا منفردة نشأت فجأة وانما هو مظهر جديد وناقل جديد للحياة الأزلية المتجددة على الدوام فكأنه غصن أو فرع لجذع دوحة عُمرت آلاف من السنين تنبض فيه ذات الحياة التى كانت تجرى فى عروق سالفه ، وهذه الحياة الموروثة هى أهم شئ بالنسبة لنموه كله فهى تحدد وجهة الانسان وخصائصه الباطنة تحديدا جوهريا وهذا هو السبب فى أن كثيرا من الأسر يرى فيها نموذجا بارزا لأعضائها يكون بالدرجة التى نراه عليها من الظهور وان فى كثير من الأسر مواهب وكفاءات معينة قوية يتكرر ظهورها حيناً بعد حين ولهذا يعد مثلاً فى أسرة « باخ »<sup>(١)</sup> فوق الثلاثمائة من أعضائها ذوى قرائح موسيقية واضحة امتاز منهم على الأقل اثنان وعشرون فى المدة التى خلت بين سنة ١٥٥٠ وسنة ١٨٠٠ كانوا موسيقيين ممن يشاد

(١) اسم لاسرة شهيرة من الموسيقيين الالمانيين . أشهرهم جان سيستيان باخ ولد فى مدينة ارنستاد بالمانية . مؤلفاته الموسيقية الدينية بديدة معجب بها لما فيها من الالهام السامى وتوافق الألحان

بذكرهم ومثل هذه الوقائع توجد في أسرة « هولباين » <sup>(١)</sup> وأسرة « كراناخ » <sup>(٢)</sup> وأسرة « شليجل » <sup>(٣)</sup> وغيرها.

نعم ان هذا التوارث ليس ظهوره مقصورا على خلال الخير بل هو يشمل أيضا خصال الشر وتوجد لذلك أمثلة لا تحصى وأشهرها خزيا الأسرة « الجوكية » في ولاية نيويورك وأصلها رجل سكير هولاندى من سكان البادية يدعى جوكة ولد في سنة ١٧٣٠ ميلادية وكان يعيش عيشة وحشية في بركة صخرية تنسب اليه في الأجيال الخمسة التي خلت من تاريخ ميلاده على ما تيسر لنا العلم به ٧٠٩ أشخاص كان منهم ١٨٠ شخصا يعيشون من الصدقات العامة و٧٦ كانوا مجرمين و٥٢٪ من النساء أى فوق نصف عددهن أعنى ١٧٠ كن يعشن من العهارة.

لم يعرف حتى الآن على أى قانون يجرى التوارث في المواهب النفسية ولا عرف أيضا هل في استطاعتنا بأى كيفية كانت أن نؤثر في هذه المواهب أو نضعفها فنحن لا نستطيع في التربية أن نعمل شيئا سوى أن نحسب حسابا لهذه القوة الهائلة باعتبارها عاملا كبيرا موجودا وحدا يحدد عملنا . ولا ينبغي لنا أن ننسى مطلقا أنه ليس في قدرتنا أن نحصل من كل طفل كل شيء نريده بل الذى في وسعنا أن نعمله هو ما يؤدى اليه استعدادة لا غير .

نعم ان هذا أسهل في القول منه في الفعل وصعوبة ذلك ناشئة من أننا لا نعرف بحال بادى ذى بدء ما المواهب الموجودة في الطفل لأن كل طفل على حدته لا تتجدد فيه خواص أسرة واحدة لا غير بل تتوارد على الجريان في نفسه خواص كثيرة آتية له من أسر مختلفة، فليس لكل انسان أب فقط بل له أم من أسرة أخرى ثم له جدان وجدتان من

(١) هولباين — اسمه هنس وهو مصور ولد في اسبورج — مدينة من أعمال بافير احدى الولايات الالمانية سنة ١٤٩٠ م وقضى معظم حياته في انكساره حيث توفي سنة ١٥٤٣ م

(٢) اسم لاسره المانية شهيرة .

(٣) اسم أسرة المانية . نبغ فيها جان الياس شليجل الشاعر الالمانى المولود في مايسن من أعمال سكس سنة ١٧١٨ م وتوفي في سورو من أعمال الداينمارك سنة ١٧٤٩ م ومنها جان أولف شليجل الشاعر والواعظ الالمانى المولود في مايسن سنة ١٧٢١ م والمتوفى في هونوفر سنة ١٧٩٣ م وهو أخ لجان الياس السابق ذكره ووالد ليون وفريدريك شليجل ومنها أغسطس غليوم شليجل الكاتب الالمانى ومنها شارلس غليوم العالم الشهير في آداب اللغة الالمانية

أربع أسر ثم والدو أجداده وهم من ثمان أسر ثم أجداد أجداده وهم من ست عشرة أسرة وهلم جرا .

وعلى ذلك فضروب الامكان التي يتأتى بها امتزاج المواهب لا حد لها ومن ذلك يتضح أيضا الفرق الكبير الذي يوجد أحيانا بين الاخوة والاخوات وذلك الأمر الغريب وهو أن أطفالا يكادون يكونون من سن واحدة نشأوا من أصل واحد وكبروا في أحوال واحدة كثيرا ما يختلف بعضهم عن بعض اختلافا جوهريا .

لو أن التوارث كان هو العامل الوحيد في نمو الانسان لكادت التربية التي نحن بصددھا تكون غير ممكنة على الجملة . ولكن بجانب هذا العامل نعرف من عهد لامرك<sup>(١)</sup> ما لعامل الملازمة من الشأن العظيم فانه هو الذى يحدث التغيير والنمو والتقدم في كل مكان وهو الذى من أجل ذلك أيضا يجعل التربية لا تحصل الا في حدود معينة .

وعمد الملازمة تأثير المخالطة فكل مخلوق مقدر له أن يكون نموه من نوع ما يخالطه ويوجد لذلك في الخليقة آلاف من الأمثلة وهاك بعض الشواهد على ذلك : النبات المعروف بسن الأسد « تاراكا كم أوفيسينالا » ينبت بين نباتين عاليين من نبات المروج بأوراق قائمة ، على حين أنه اذا نبت وحده هنالك نامت أوراقه الوردية الشكل على الأرض ويمكنك مشاهدة هذا الأمر نفسه في كثير من أنواع النبات الأخرى كما يشاهد في بعض أنواع الحسك والنبات المعروف بقدم ديك الماء « رانكولوس فلويتانس » فانه لا يكون له اذا نبت على الشاطئ الجاف الا أوراق ذات فلقتين فاذا نبت في الماء نبتت له من أحد جانبيه أوراق عائمة عريضة ذات فلقتين تطفو على سطح الماء وفي جانبه الآخر أوراق دقيقة على شكل الخيوط تكون تحت الماء . وعلى ذلك يكون لضروب التأثير التي تجيء من الظاهر في النمو العضوى الباطنى عمل بالتغيير والتحويل الى درجة محدوده كذلك نفس الطفل — نعم نفس الطفل على الأخص تكون تابعة في نموھا لمثل هذه الضروب من تأثير المخالطة ، من أجل ذلك يكون من الشأن بمكان عظيم أن تعرف أى

(١) اسمه جان باتست بيار انطون — هو عالم فرنسى شهير ضليع في التاريخ الطبيعى الف فيه دائرة معارف خاصة بعلم النبات وكتب أخرى اشتهر بها وأسس نظرية نشأ الانواع بعضها من بعض بملازمة البيئة والوراثة

نوع من الناس ومن الأشياء ينبغي أن يربى بينهم الطفل ، فكل ما علا وكل ما سفل في عصرنا يؤثر في نفوس أولادنا تأثيرا مختلف كثرة وقلة ، وشر ما في ذلك أننا معاشر المربين ليس في مقدورنا أن نملك زمام هذه الضروب من التأثير الذي يصدر من كل ما يحاطل الأطفال ، فلا نستطيع إذن أن نفصل بعضها من بعض إذا اعتبرنا بعضها ضارا بهم لأنه ما الذي نعرفه مثلا من الحوادث العديدة التي تكون بين أولادنا وبين بعض رفاقهم في المدرسة بين الجهر والخافتة أثناء طريقهم إليها أو في فنائها ، وكيف ينبغي أن يبقى أولادنا محفوظين خصوصا في المدن الكبرى من كل الأدناس التي تكون في الأقوال والصور المعلنة على الأعمدة المخصصة للإعلان والمعرضة في وجوه الحوانيت ؟ اننا نكاد دائما نكون عاجزين إزاء هذه المخالطة عن مقاومة تأثيرها .

إذن حسبنا حقا ما للترية من الحدود الباطنة والظاهرة وما أعظم ما فيها من المشاق . على أن هذا الأمر لا يُعفى المربين والوالدين خصوصا من شيء من تبعاتهم بل هو إلتزامهم حيث يكون عملهم أقوى وتأثيرهم أفعال .

الوراثة والبيئة هما على الجملة خارجان عن دائرة قدرتهم ومراقبتهم ولكنهم يجانب البيئة أو معها يفعلون أيضا في نفس الطفل من حيث هم مربوط فهم أيضا كأئهم من ضمن هذه البيئة بل هم أقرب شيء فيها إليه من جهة نفسه وجسمه وهم أهم العوامل التي تحاطه ولذلك كان مما ينبغي العناية به عناية غير عادية أن يُعرف أي صنف من الناس يوكل إليهم تربية الطفل . فينبغي بل يجب أن يكونوا ممثلين عن علم عدلا<sup>(١)</sup> لما للبيئة من ضروب التأثير المختلفة الضارة والمخاطر المتنوعة التي تنشأ من أنواع الاستعداد الموروثة غير الصالحة ، وينبغي أن يستقر عمل التربية على هذا الأساس قبل كل شيء ، وها هنا تقع التبعة الكبرى على الوالدين وبما أنهم من حيث أشخاصهم من البشر كانت تبعاتهم كلها واقفة عند هذا الحد ، فينبغي لكل والد ووالدة أن يتساءل دائما هل أحدث في نفوس أولاده التأثير النافع الذي يمكن أن ينبعث من شخص ناضج مملوء قوة فاذا عمل

(١) العدل نصف الجمل يعادل النصف الآخر حتى يترن على ظهر البعير والمراد به هنا قوة المقاومة لما تحدهم البيئة من الاثر السيء في النفس لمنع نفس الطفل من السقوط .

الوالدان كل ما في وسعهما ليكون أولادهما مثلهما في النضوج والقوة الكاملة والخلق الحسن والسلطان الحقيقي وان يكونوا ينبوعا للخير والحسن مستمرا لا ينضب اذن يكونان قد عملا ما استطاعا فعله من حيث هما والدان بل هما على الأقل ان اقتصر ا على المجاهدة بكل ما في أنفسهما من قوة في سبيل ذلك كانا قد أديا ما عليهما من الواجب من حيث كونهما مربيين لانه لا يمكن أن يطلب من بشر أكثر من أن يكون دائم العمل جاهدا فيه .

قلت آنفا ان الوالدين هما أهم العوامل في مخالطة الطفل وان التأثير الذي يحدث منها في نفسه يكون من أجل ذلك أقوى ضروب التأثير، غير أن هذا لا يتأتى الا إذا خصصا لولدهما الوقت الضروري لتربيته فبذلك وحده يشب الوالدان والأولاد في الواقع معا في أحوالهم النفسية ومن الطرق الموصلة لهذا الغرض المحاورة الليلية التي تكون بين الأم وولدها فكم لهذه المحاورة من الاثر في توثيق الرابطة بينهما ودونك مثلا واحداً لذلك من أمثال عدة : حكّت امرأة فاضلة في مدينة برمين<sup>(١)</sup> ذات مرة هذه القصة :

قالت كانت أخت زوجي لا تقصر قط في الصلاة مع ولدها من نعومة أظفاره وكانت ساعة هذه الصلاة لكليهما في كل مرة ساعة مشهودة وكان الطفل يفضى بكل ما يتعاور قلبه في النهار من ترح وفرح الى والدته وبذلك صارت الام خير صديق له ولما كبر الولد خُصِصَتْ كذلك آخر ساعة في النهار للصلاة بالاشتراك مع والدته وكثيرا ما كانت تنتهي هذه الساعة بتبادل الحديث بينهما في كل ما وقع أثناء النهار فاذا ألمّ بقلبه شيء من الغوايات والفتن اعترف به مساء لوالدته لأنها كانت تجدها سبيلا الى كل نواحي قلبه. وكان ابن أخي—وقد أدى امتحان الضرورة<sup>(٢)</sup> للشهادة الثانوية في شهر أغسطس سنة ١٩١٤ ثم انطلق في شهر سبتمبر الى ميدان الحرب ممتلئ القلب بحبة وطنه المتقدمة فيه—يوجه كل يوم حتى ساعة وداعه عند ما يُلقَى تحية المساء على جماعة أسرته يوجه هذا السؤال الى أمه قائلا أى أماء ألا تحيين للصلاة معي ؟ وقد كان فوق ذلك شابا نشيطاً ذكي الفؤاد ينتمى بكليته الى الشباب العصري ، وكان قد أنشأ يشتغل بالتأليف وهو لا

(١) ويقال لها بالفرنسية بريم — هي إحدى المدن الثلاث الحرة في شمال المانية

(٢) أما سمي امتحان الضرورة لانه امتحان غير عادي الجأت اليه ضرورة التجنيد للحرب العامة

يزال طالباً في المدارس الثانوية فمن ذلك أنه كان قد التزم للجريدة المسماة همبورجر فرمدن بلات « جريدة الأجانب الهمبورجية » أن ينتقد لها الروايات التمثيلية التي كانت تمثل في مدينة بريمن .

ثم انه لما جرح جر حاً بليغا في ميدان القتال وهو ضابط وعاد الى أهله ليعنوا بعلاجه كان خلقه كما عهدناه لم يتغير منه شيء ، ولا أزال أذكر وأنا مكتئبة حديثاً هادئاً شهياً وقع بيني وبينه قبل رجوعه آخر مرة الى قتال العدو ولقاء الموت في آن واحد ، فمن قوله في ذلك الحديث : اى عمته ما أعظم شكرى لوالدتي لأنها كانت كل ليلة تجدد وقتاً لتصلنى معى فيه .

الوالدان اللذان يصلان الى الظفر يمثل هذه العلاقة بينهما وبين الطفل ويصيران أحسن أصدقائه يكون لهما دائماً أبقى تأثير في نفسه لأننا نعلم بالتجربة أن الإنسان صغيراً كان أو كبيراً يتأثر لمن نال منه أعظم ثقة به أن يؤثر في نفسه أسهل ما يكون . وبما أن التربية في أصلها ليست شيئاً آخر سوى التأثير كما وصفناها فيما سبق فلا يستطيع المربي أن يعمل أحسن من أن يحظى ممن يربي به بثقته المطلقة به فان كسبها كفته أحياناً إشارة قصيرة من ناحيته في التأثير في نمو الطفل نمواً موافقاً له كما تدل عليه الحادثة التالية التي روتها ذات مرة طالبة من جامعة لايبزيغ <sup>(١)</sup> لاستاذها قالت :

من الأمور التي لا أنساها الطريقة التي بها فتحت أُمى عيني ذات مرة بإشارة حاذقة لادرك ما هو عظيم في حياة الإنسان الخلقية وما هو حقير وما هو لذلك جوهرى وما هو غير جوهرى .

كان ذلك في أول سنة لى بالمدرسة .

نسيت ذات يوم أسفنجة لوحى الاردوازى وسجل ذلك علىّ في دفتر المكتب وبما أننى كنت عادة مجتهدة ويقةظة الوجدان ألتنى ذلك إيلاًما بليغا فكنت أتلسل من الخجل وأتقى الحاظ والدتى المستفهمة كما لو كنت قد ارتكبت خطأ جسيماً . ثم انه لما أقبل الليل لم أستطع الصبر على احتمال ذلك فلما جاءت والدتى للصلاة عند مضجعى اعترفت لها وأنا

أنتحب بما يخامر قلبي من الغم والحزن فجلست حينئذ الى وقالت لى هذا القول الذى ملؤه المحبة والعطف: أظنين ان نسيانك أسفنجة اللوح قد أسف ربك فأجبتها مترددة مستغربة قائلة لا. فقالت اذن لا موجب لأسفك انت أيضا فلو أنك كنت كذبت لكان لحزنك هذا موجب فحسبك فى مستقبلك أن تجتهدى فى أن لا تنسى مرة أخرى. هذه الكلمات خلصتني من الوزر الذى كان يضايقني وأحدثت فى نفسى أثرا كان من نفوذه فيها بحيث انى كنت اهتدى به فى مثل هذه الحالات وغنمت بذلك قاعدة أجرى عليها فى حكمى على الأخلاق. نمت البذرة التى بذرتها والدتى وآتت ثمرتها مضاعفة.

فى هذه الكلمة تسلية لنا: ذلك اننا نظن غالبا ان كل جهودنا ضائعة وان كلمائنا لا يلتفت اليها الطفل وأنها ستنسى ولكن من هذا المثل نرى ان كثيرا من البذر الذى نبذره ينمو فى قلوب الأطفال من غير أن نشعر به ولذلك لا ينبغي أن نبدى فى عمانا كلالا ونصبا.

وعلينا أيضا من هذه الجهة الخاصة بنا: أن لا نكف عن العمل ولا ينبغي لنا قط نحن معاشر الوالدين والمربين أن نكون ضعفاء ولا كسالى ولا غير مباليين فيما يتعلق بأحوالنا الانسانية وصفاتنا اللازمة للتربية ولن يستطيع أى والد ولا أية والدة أن يتخلى من حصر كل قوته فى هذا الأمر وفى تعرف صفة أحوال نفسه ومن اشتغاله على الدوام باصلاحها فترية المرء نفسه واجب على كل فرد من شأنه أن يصير مريبا أن يمارسها فلا يصلح أمر التربية دون تضحية وتنازل أعنى بدون ترك كثير من محاب النفس وشهواتها من أجل اصلاح الطفل أو كما قال غوث <sup>(١)</sup> ذات مرة « من جد فى ارشاد غيره ارشادا حسنا عليه أن يستعد لحرمان نفسه من كثير من محابها »

وعلى ذلك تكون القوى التى تتضافر فى العمل على توجيه نمو الناشئ ثلاثا وهى : أولا — ضروب الاستعداد الموروثة . وثانيا — المخالطة . وثالثا — ذات المربي فهذه العوامل الثلاثة تؤثر فيه مشتركة من أول يوم من حياته فصاعدا تأثيرا لا يكون بدرجة واحدة من القوة فتارة ترجح احداها وتارة ترجح أخرى ومن أجل هذا لا يمكن

تحميل الوالدين وحدهما تبعة مساوى الطفل كما انه يكون من الخطأ من جهة أخرى نسبة جميع المحاسن التي تكون له فيما بعد الى التربية وحدها فالمرء وحده لا يصير المرء ما هو لأن للوراثة والمخالطة في ذلك أيضا حظا وافرا .  
عبد العزيز محمد

## الطرف والملح

قال الأصمعي : قال لي الرشيد أول يوم عزم فيه على تأنيسي : يا عبد الملك . انت أحفظ منا . ونحن أعقل منك . لا تعلمنا في ملاء<sup>(١)</sup> . ولا تسرع الى تذكيرنا في خلاء . وتركنا حتى نبتدئك بالسؤال . فاذا بلغت من الجواب قدر استحقاق فلا تزد . وإياك والبدار الى تصديقنا وشدة العجب بما يكون منا . وعلمنا من العلم ما نحتاج اليه على عتبات المنابر وفي فواصل المخاطبات . ودعنا من رواية حوشي الكلام وغرائب الأشعار . وإياك واطالة الحديث الا أن نستدعي ذلك منك . ومتى رأيتنا صادفين عن الحق فأرجعنا اليه من غير تقرير بالخطأ . ولا اضجار بطول الترداد . — قال الأصمعي : فقلت له يا أمير المؤمنين : أنا الى حفظ هذا الكلام أحوج مني الى كثير من البر .

وقال أبو الحسن علي بن هذيل : ومن الواجب على من عرى من الأدب . وتحلى عن المعرفة والفهم . ولم يتحلّ بالعلم : أن يلزم الصمت ويأخذ نفسه به . فان ذلك حظ كبير من الأدب . ونصيب وافر من التوفيق . لأنه يأمن من الغلط . ويعتصم من دواعي السقط . فالأدب رأس كل حكمة . والصمت جُماع الحكيم — قال الشاعر :

وفي الصمت سترٌ للعِيِّ وانما صحيفة لب المرء أن يتكلما

وقال آخر : لسان المرء ينبئ عن حجه وعي المرء يستره السكوت

وقال بعض العلماء : اتق مصارع الدنيا بالتمسك بجبل المروءة . واتق مصارع الأخرى بالتعلق بجبل التقوى . تفز بجير الدارين . وتحلّ أرفع المنزلتين .



## المسلمون في روسيا

١ — حالتهم من الوجهة الداخلية

(١) الأدوار التي مروا بها

سياسة الحكومة القديمة <sup>(١)</sup>

بدأ خضوع شعوب التتر المختلفة لدولة روسية باستيلاء الروس على قازان في سنة ١٥٥٢م وتم اخضاع تلك الشعوب لسلطانها في أواسط القرن التاسع عشر من الميلاد، حيث بلغ عدد رعاياها من المسلمين ما يزيد على عشرين مليون نفس، وامتدت حدود ملكها الى يامير في الكتشك والارارات .

هذا ونستطيع أن نلخص فيما يلي المعاملة الخاصة التي عاملت بها الحكومة المركزية رعاياها المسلمين تبعاً للأدوار التي مروا بها :

الدور الاول—وهو عهد الردة القهرية الذي استمر حتى حكم كاترينا الكبرى حيث كانت ترغب الحكومة طبقة الملاك من التتر على التدين بالمذهب الارثوذكسي من الديانة المسيحية والا تصادر جميع أموالهم وتسلبهم كل امتيازاتهم ، وقد بلغت نسبة من ارتدوا عن عقيدة آبائهم نحو ثلاثة في المائة من طبقة الملاك من التتر ، واما الأغلبية الكبرى منهم فلم تدعن لتلك التهديدات ،

هذا : وزيادة على أنها اندمجت من الوجهة الاجتماعية في عامة الشعب فانها بقيت متمسكة بدينها محافظة على عقيدتها ، حتى أنه كثيراً كان يقع بينها وبين الطوائف الأخرى من المنازعات ما كانت تسيل بسببه الدماء الغزيرة في المجتمعات الدينية مما جعل حياة المسلمين مهددة بالخطر على الدوام ، واستمر التتر كذلك مضطهدين زمناً من جانب الحكومة التي كانت تذكره كثيراً من القرى على أن تبقى قرى أرثوذكسية بأجمعها

الدور الثاني — بعد أن أمضت الحكومة المركزية مدة في اتباع سياسة الشدة وارغام المسلمين على ترك دينهم بالقوة وبجميع أساليب التهديد ، تلك السياسة التي لم تفلح في تحقيق أغراضها منها — بعد ذلك — لجأت الى سلوك سياسة أشد خطورة على حياة التتر القومية ، وهى سياسة اللين التي كانت ترجو من ورائها قتل الروح الوطنية في نفوس التتر ، وصبغهم بالصبغة الروسية ، وللوصول الى هذه الغاية عينت الحكومة فئة خاصة من مفتشى المدارس كان يطلق عليهم في أوساط التتر اسم « مضطهدى العلم » الذين كانت مهمتهم أن يراقبوا الكتب الدراسية ودور الكتب مراقبة شديدة يستحيل معها دراسة اللغة التترية ، الا أن التتر أفسدوا على الحكومة سياستها واتخذوا ازاءها خطة كان من نتائجها عكس ماكانت ترمى اليه الحكومة . وقد كان رد الفعل عنيفا ، اذ أن تجاوز حدود السلطة لم يؤد الا الى ايقاظ الروح القومية وانعاشها . وكان في أوائل من جاهدوا في سبيل المحافظة على لغة التتر الاصلية ونشر التعليم بينهم اسماعيل بك جاسيرنسكى اكبر محرر في جريدة « ترجمان » التي كانت تحرر باللغتين التترية والروسية في بلاد القرم وكانت منتشرة بين التتر والروس انفسهم . واسحاقوف الشاعر الروائى الذائع الصيت ، وصدرى نظام أوغلى ، وكريموف وشاهتا ختنسكى مدير « شرقى روس » وغيرهم

وقد بنى جميع هؤلاء النابهين دعايتهم الوطنية على فكرتين أصليتين جعلوهما كشرط أولى وأساس ضرورى لنجاحها :

أولاهما — المحافظة على قوميتهم على الرغم من كل المحاولات التي ترمى الى صبغها بالصبغة الروسية ، وذلك بالعمل دائما على ايقاظ الروح الوطنية

ثانيهما — السعى باستمرار الى نشر التعليم بين أفراد الشعب التترى والعمل على رقيه وسعادته حتى يصبح عضوا عاملا لرق الانسانية بصفة عامة ، الا أن أولئك المتعلمين النابهين قد صادفوا كثيرا من العقبات في سبيل نشر دعايتهم وتحقيق أغراضهم سواء أكان ذلك من جهة رجال الادارة باتهامهم بأنهم داعون الى الجامعة الاسلامية للخروج على الحكومة ، أم من جانب بعض مواطنيهم الذين كانوا يرون في دعوتهم

الى التعليم خروجا على الدين ، ومن هنا نشأ العراك بين انصار طريقة التعليم القديمة وأنصار الطريقة الجديدة في المدارس والكتاتيب وبدأت المنافسة بين «أصول القديم» و«أصول الجديد» الآن مما يجدر ذكره هنا أن الطريقة الحديثة المسماة «الصوتية»<sup>(١)</sup> هي التي انتصرت بسهولة على الطريقة القديمة في المقاطعات التركية التترية التي انضمت أخيرا لروسية ، وانه بفضل ما اظهره أولئك المتعلمون من الغيرة وثاقب الفكر أمكنهم أن ينشئوا أدبا تتريا كان سببا في نشر الاراء الوطنية بين الشباب ، وان يضعوا الكتب التي استطاع بها النشء التتريون تلقى الدروس بلغتهم الاصلية.

الدور الثالث — سهل هذه المهمة على رجال الحركة العلمية الادبية من التتر ما ابداه من التشجيع والمساعدة لهم الموظفون المسلمون في «الرفتوس» (الادارة المحلية في المديریات والبلديات) الذين مالوا أن انضموا الى الصفوف المعارضة الشعبية فوحدا جهودهم وأخذوا يقاومون ولايات الحكومة الادارية فصاروا يحتجون بشدة على نفى اساتذة المدارس والقبض عليهم بدون ذنب اللهم الا بشهم روح الوطنية في نفوس النشء ، وعلى تقييد الكتب وجعلها تحت الرقابة الشديدة ، وعلى السياسة الاستبدادية التي كانت متبعة في المقاطعات الاسلامية لاسيما في الستب والكرغيز .

وقد ظهرت عقب ثورة سنة ١٩٠٥ عدة جرائد ومجلات قيمة وألف الكثير من الكتب باللغة التترية فساعدت على نشر الروح القومية كما أن مؤتمر مسلمي روسية الذي انعقد في ذلك الحين ببلدة «نجنى نوفوجرود» والسياسة التي اتبعها النواب المسلمون في مجلس «الدوما» بالاتفاق مع نواب الشعب الروسى قد ساعدت على تنمية الحركة الوطنية وزاد في قوتها وجعلها جهود الوطنيين اكثر انتاجا حتى تمكنوا من اصدار أول قانون انتخابي ينص على انتخاب ممثلين عن تركستان، وما كانوا ينتخبون قبل ذلك . وعلى ذلك اتفق جميع انصار الحرية في روسية ومن بينهم رجال السياسة من المسلمين — وتم هذا الاتفاق بثقة متبادلة — على أن يعملوا للتخلص من نير الحكم الاستبدادی

وعلى أثر ثورة مارس سنة ١٩١٧ م التي اهتزت لها جميع أركان روسية عقد المسلمون مؤتمرا للنظر في شئونهم السياسية والاجتماعية وقد ظهر في ذلك المؤتمر تياران مختلفان يعبران عن رأى فئتين انقسم اليهما أعضاؤه الذين انفضوا على أن يتركوا البت في تقرير مصيرهم الى الجمعية التأسيسية حيث يتاح لجميع الشعوب المكونة منها الدولة الروسية التعبير عن امانيتها القومية .

(يتبع)

هليل مذكور

## الطرف والملح

روى ان الرشيد قال يوما لابنه أبى عيسى وهو صبي : ليت جالك لعبد الله . يعنى المأمون . فقال له : يا أمير المؤمنين على أن حظك منك لى . فعجب الرشيد من جوابه على صباه وضمه اليه وقبله .

خرج شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي على عبد الملك بن مروان في خلافته وحاربه . والحجاج أمير العراق يومئذ . فخرج بالموصل وهزم عساكر الحجاج وحصره في قصر الكوفة وضرب باب القصر بعمود فنقبه . وبقيت الضربة فيه الى أن خرب قصر الأمارة . وكانت زوجة غزالة نذرت أن تصلى في مسجد الكوفة ركعتين . تقرأ فيهما بسورة البقرة وآل عمران . ففعلت . وكانت شجيعة . قيل فيها :

وَفَتْ غَزَالَةُ نَذْرَهَا يارب لا تغفر لها

وهرب الحجاج في بعض حروبه مع شبيب من غزالة . فعيره عمران بن قحطان السدوسي بقوله :

أَسْدُ عَلَىَّ فِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ فَتَحَاءُ<sup>(١)</sup> تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ  
هَلَّا كَرَّرْتَ إِلَى غَزَالَةَ فِي الْوَغَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ

قَدْ جَاءَ كَرِيمًا أَهْلَهُ لُورُوكًا بِمَنْ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِرَاسَتَ رِضْوَانِهِ لِيُجِيبَ السَّلَامَ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \*

# بَيْتُ الْأَنْبِيَاءِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تصديرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

عبد المحمّد بن  
عبد الحليم

مدير ادارة المجلة :

السبر محمد الخضر حنين من علماء الأزهر

رئيس التحرير :

مكتب المجلة بالادارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمى رقم ١٩

« تليفون : ٣٥٠٧ بستان »

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

٤٠	داخل القطر المصرى
٢٠	لطلبة المعاهد والمدارس
٥٠	خارج القطر المصرى
٣٠	لطلبة المعاهد والمدارس

قيمة الاشتراك السنوى

يعامل أئمة المساجد والمأذنون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

وثن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### « المدينة الفاضلة في الاسلام »

أخذ نبهاء الأمم الخاملة أو مهضومة الجانب يسعون الى أن تكون أمهم في رقي وسعادة ، وخطوا في هذا السبيل خطوات قصيرة أو واسعة ، ووضعوا أسسا متينة أو واهية ، والذي يعيننا في هذا المقام أن نقول كلمة في وسائل نهوض الشعوب الاسلامية ان كانت خاملة ، أو ظفرها بالحرية الصادقة ان كانت محرومة من التمتع بحقوقها التي أوصى بها دينها الحنيف .

لا نفتأ نذكر ذلك السلطان الكريم الذي بسطه خلفاء الاسلام الراشدون على المعمورة ، فعلم الناس كيف يعيشون أحرارا ، والملوك كيف يقيمون عروشهم على قواعد العدل والمساواة ، ورجال الدين كيف يدعون الى الحقيقة والفضيلة في سماحة ووقار ، ولا نجحد مع هذه الذكري أن الشعوب الاسلامية قد وقعت منذ عهد بعيد في وهدة من الخمول ، وانقطعت الصلة بينها وبين الأمم فلم تدر ماذا يصنعون ، حتى تراءى لها ما نبهها من غفوتها وحشها أن تنهض من كبوتها ، فسك بقيادتها فريق كانوا على بصيرة من هداية الاسلام ، وان شئت فقل : تقدم لقيادتها رجال مستثيرون من أبناء المعاهد الاسلامية وآخرون مهتدون من القائمين على جانب من العلوم الكونية ، فمن يتحدث عن النهضة المصرية — مثلا — لا يجيد عن ذكر رجال استنارت عقولهم بين جدران الجامعة الأزهرية ، ومن يتحدث عن النهضة التونسية ذكر في مقدمة رجالها فريقا تلقوا معارفهم بين جدران الجامعة الزيتونية .

ولو استمر العمل لرقينا المدني بأيدي طوائف تجمع بين رجال الدين المصلحين ورجال العلم الحديث المهتدين ، لقطعنا في سبيل السعادة شوطا أبعد مما قطعنا ، ولكننا أثبت

موقفاً وأقرب الى أن يهابنا الذين يعملون لشقائنا ، ولكن حركة تقدُّمنا لم تستمر على ما وصفنا ، ومسها مرض اذا لم نبادر الى انقاذها منه كان شرها أكبر من خيرها ، وخبثها أقرب اليها من نجاحها .

بليت نهضتنا المدنية بعلمتين :

(اولاهما) ان بعض نشئنا المتخرجين من مدارس غير اسلامية قد وقفوا موقف الدعوة الى الاصلاح ولم يصبروا أنفسهم على تعرف آداب الدين فحدوا عن طرق الاصلاح النقية ولم يبالوا أن يجهلوا على الدين ويحدوا أن يكون له في الحياة المدنية سلطان كبير أو صغير .

(ثانيهما) ان كثيرا ممن درسوا العلوم الاسلامية تقاعدوا عن أن يخوضوا في شؤون الحياة المدنية ، فكان أنزواؤهم وزهدهم في منصب الارشاد العام فرصة لظهور الدعايات المنحرفة عن الطريق المستقيم .

ان الأمة التي تأخذ بنصائح الدين وتقتدى بآدابه في السر والعانية لهي الأمة التي يمكنها أن تتحد وتتآزر في صفاء ، وهي التي تستطيع أن تبني عظمة وتحوط أكنافها بمنعة ، فلا تجد الأيدي العادية الى هضم حق من حقوقها منفذا .

سنواصل بتوفيق الله القول في نصائح الدين التي تأخذ بيد الجماعة الى هضبة الشرف القصوى ، ونقفى على أثر النصيحة بأخرى حتى يستبين لك أن الاسلام صنع الله الذي أتقن كل شيء ، وانما أذكر في هذا المقام خصالا كالدعائم يقوم عليها صرح الحياة المدنية بهي المنظر شامخ البناء ، وما هذه الدعائم الا العلم الصحيح والعمل النافع والخلق الرفيع . أما العلم فقد غنى به الدين فيما غنى ، ونوه بذكره فيما نوه ، فقال تعالى ( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ) ومن دلائل أن الاسلام ينظر الى العلم باقبال ويعده في أكبر النعم التي يتقلب فيها الانسان انك ترى في أول ما نزل به الروح الأمين قوله تعالى ( اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ) وقد اندفع المسلمون الى اقتناء ما لغيرهم من العلوم برغبة حريصة وهم كبيرة ،



وتناولوا بحثها بعقول راجحة علاوة على العلوم التي استمدوها من الكتاب والسنة كأحكام الفقه وأصوله ، أو العلوم اللغوية كالنحو والبيان .

فالإسلام ينصح لأوليائه أن يبتغوا العلوم أينما كانت ، ويحضهم على أن ينظموا شؤونهم الحيوية على مقتضى ما علموا ، ولم يحجى الإسلام في عقائده أو أخباره بما يخالف العلم الصحيح ، ولم يحجى في نصائحه بما ينقص الرغبة في العلم على اختلاف فنونه ، فشأن الأمة التي تبتغيه ديناً أن تكون أصنى الأمم بصائر ، وأغزرها معارف ، وأبعدها في البحث نظراً .

وإذا اضاف أحد على جهالة أو سوء قصد الى الدين شيئاً لا يقبله العلم ، فالإسلام كله حقائق ، وهو من تبة ما يلصقه به الجاهلون أو المفسدون براء ، وإذا صدر من بعض المنتمين الى الدين كلمة تصرف الناس عن علم مادي أو أدبي فاقضى مصدر هذه الكلمة ذهن صاحبها ، وليس بينها وبين الدين من صلة ، بل شأن الدين أن لا يكون عنها راضياً .

ولم يبق اليوم بعد أن ظهر من نتائج العلوم الكونية من أمثال هذه الغواصات والطائرات والمقذوفات ووسائل المخبرات — من لا يرجع الى قوله تعالى ( وَأَعِذُوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ) ويتفقه فيها أكثر مما كان يتفقه ، ويشهد بأن العلوم التي يسمونها الطبيعية والرياضيات هي من فروض الكفايات التي يجب أن تقوم عليها طائفة من الأمة فان الله لا يرضى لها الا حياة العزة والكرامة ، وهي لا تحيي هذه الحياة الا أن تكون على بيئة مما يعلم أو يصنع خصومها .

وأما الاخلاق الشريفة فان الإسلام لم يدع مكرمة الابن على مكانها وندب على التجل بجليتها ، وقد غنى بمزايا هي أساس رقي الأمة وانتظام حياتها الاجتماعية ، كالصدق والأمانة والعفاف والحلم والعفو والتراحم والعدل وعزة النفس والشجاعة وحرية الضمير والاقدام على قول الحق وبذل المال في وجوه البر ، وسنبحث في هذه المزايا ببسط القول واقامة الشواهد في مقام آخر ان شاء الله .

وأما العمل النافع فان الدين يحث على العمل لهذه الحياة كما يحث على العمل للحياة

الأخرى ، وجعل لعمل الشخص في هذه الحياة نصيباً من ثواب الآخرة فوق ما ينال من منفعة عاجلة متى كان قصده من العمل خالصاً .

ولما نسميه أعمالاً أخروية وهى العبادات الأثرُ الطيب في الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة ، أليست الصلاة المقرونة بحضور القلب وعمارتها بجلال الله تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتكف يد صاحبها عن أن يعمل سوءاً فتحميه من جرائم شأنها أن تجره الى عقوبات بدنية أو مالية ، وفيها بعد هذا غنى عن طائفة من الشرط والسجون ينفق عليها أولو الأمر أموالاً طائلة .

أو ليس في الصيام رياضة النفوس وتدريبها على احتمال المكاره والصبر عن الشهوات حتى لا تكون أسيرة في ملاذها ، وفي النفوس التى اعتادت الصبر عما تشتهى وهو حاضر لديها قوة وجلادة لا تجدها في النفوس التى لا تكف عن المشتبهات الا عند فقدانها ، فالصيام بحق يشفى النفوس من علة الانحطاط في الشهوات كلما عرضت ، ويسبكه في صورة النفوس القوية التى يسهل عليها أن تنصرف عن ملاذها ساعة ترى الخير في الانصراف عنها .

أو ليس في الحج فوائد اقتصادية واجتماعية لو وجه اليها زعماء الحجاج عنايتهم لعادوا الى أوطانهم بما ينفعهم في الأولى بعد أن قدموا للآخرة من العمل الفاضل ذخراً باقياً .

ولا أرى حاجة الى أن أذكر في هذا النسق فريضة الزكاة فان أثرها في سد حاجات كبيرة من حاجات الأمة ظاهر ظهور الشمس في كبد السماء . وقد أتى مقال فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى المنشور في الجزء الثانى على جانب من حكمها الاجتماعية والاقتصادية ولم يشرع الدين من العبادات ما يضييق به وقت العمل للحياة مقدار أنملة ، فنحن نرى الذين هم عن الآخرة غافلون يشغلون جانباً من أوقاتهم في راحة وهو ، أفلا يحق للمؤمن أن يقضى جزءاً من وقت راحته في الوقوف بين يدي الخالق وابتغاء رضوانه ، وهذا الجزء لا يزيد على ساعة في اليوم واليلة اذا شاء ، ليفعل هذا وليقس حياته بحياة من يصرف أوقاته في جمع المال واذا انتقل عنه فالى راحة وهو ، فانه يجد من طمأنينة القلب وارتياح النفس

ما يجعل عيشه أهناً وحياته أطيب مصداق قوله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

لا أدري كيف حدث خاطر أن قلة أقبال المسامين على العمل لجمع المال وتقضى الفقر في شعوبهم آتيان من ناحية دينهم ، وهؤلاء علماؤنا يقررون أن كل صنعة تحتاج إليها الأمة فرض كفاية لا تخلص الأمة من واجبها حتى تقوم بها طائفة منهم ، وقالوا ان نحو التجارة هي مباحة بالنسبة للأفراد أى يجوز للرجل أن يتخذها حرفة يستمر عليها، وله أن يختار غيرها في بعض الأحيان ، ولو تركها الناس جميعا لأثما بتركهم لما هو من الضروريات المأمور بها<sup>(١)</sup> . وهذا الزركشى يقول في بحث فرض الكفاية من قواعده « الدينوى كالحرف والصنائع وما به قوام المعاش كالبيع والشراء والحراثة وما لا بد منه حتى الحجامة والكنس » ثم قال : « ولو فرض امتناع الخلق منها أثموا »

والتوكل في لسان الدين انما يراد به توجه القلب الى الخالق حال العمل واستمداد المعونة منه ، فلم يكن داعية الى البطالة والاقلال من العمل البتة ، بل كان للتوكل الأثر العظيم في اقدم عطاء الرجال على الأعمال الجليلة التي يسبق الى ظنونهم أن استطاعتهم وما لديهم من الأسباب الحاضرة يقصران عن ادراكها ، واذا فسرتة فئة غير عالمة بقبض اليد عن العمل وطرح الأسباب جملة ، فذلك تفسير لا يقره الدين الذي يقول (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ أَخِيلٍ يُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) ويقول (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ)

فالشريعة الاسلامية تأمر بالعمل لهذه الحياة وتجعل السعى على العيال والعمل للتعفف عما في ايدي الناس أو للاتفاق في سبيل الخير من قبيل العمل الذي يستحق صاحبه ثواب الله في الاخرى ، وتكره للرجل ان يوصى بما فوق الثلث وتقول له ( انك أن تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم )

(١) انظر بحث «المباح بالجزء المطلوب بالكل» من موافقات الشاطبي

ان شريعة هذا شأنها لشريعة مدنية تجمع الى تهذيب النفوس الذى هو القوة المعنوية أسباب البسطة فى المال الذى هو القوة المادية، واذا جمع قوم بين القوتين فقد أحرزوا الكفاية لان يعيشوا كما ولدتهم امهاتهم احرارا .

فلاسلام ينادى أممه الى ان يتعلقوا من العلم بكل فن ، وينوه بشأن الاخلاق أبلغ تنويه، ويجعل كل ماتدعو اليه حاجة الجماعة من العمل النافع أمرا واجبا، فاما من أمة تريد ان تصعد الى أفق السيادة الاعلى الاوجدت فى مبادئه اجنحة تطير بها الى حيث تطمح همتها، وعلى قدر ماتنفق من عزمها، وكذلك قص علينا التاريخ الصادق ان الاسلام اخرج للناس أمة بهرت العالم بعلومها الزاخرة واخلاقها الزاهرة واعمالها الفاخرة، واذا شاءت الشعوب الاسلامية ان تكون المثل الأعلى للمدنية الفاضلة فى استطاعتها ان تتحرى نصائح الدين الحنيف ، وفى احترام رؤسائها وزعمائها لاحكام الدين ونصائحه أخذ بالسياسة الرشيدة وهى التصرف فى شؤون الامة على مقتضى ارادتها

محمد الخضر حسين

## الطرف والملح

روى أن العِماد الكاتب والقاضى الفاضل اجتماعا يوما فى مؤكِب السلطان وقد انتشر من الغبار ما سدَّ الأفق . فأنشد العِماد الكاتب :

أما الغبار فانه مما أثارته السَّنابك <sup>(١)</sup>  
والجوّ منه مظلم لكن أنارَ به السَّنابك <sup>(٢)</sup>  
يا دهرُ لى عبدُ الرحيم فلستُ أخشى مَسَّ نابك <sup>(٣)</sup>

وهذا التجنيس فى غايه الحسن . توفى العِماد فى مستهل رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق . ودفن بمقابر الصوفية — وتوفى القاضى الفاضل فى سابع شهر ربيع الثانى سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة . ودفن بتربة بسفح المقطم . وهو صاحب بستان الفاضل المسمى باسمه فى حَيِّ الناصرية . رحمهما الله تعالى .

# النفس

## تفسير قصة شعيب عليه السلام

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أسلفنا لك أن مما أبلغه سيدنا شعيب عليه السلام قومه نهيهم عن نقص المكيال والميزان ، وأمرهم بإيفائهما ، ونهيهم عن البخس وعن أخش الفساد الذي كانوا عليه مقيمين وأن مما أبلغه إياهم أيضا خوفه عليهم عذاب يوم يحيط بهم ، وأن ذلك اليوم يومان ، يوم في الآخرة ويوم في الدنيا وأنهم ان آمنوا واتتهوا عما نهوا عنه واثتمروا بما أمروا به فان لهم أجر احسننا يعجل الله تعالى لهم بعضه في الدنيا ويدخر لهم بعضه الأكل الأوفى في الآخرة ، وهو ( بقية الله . ) على ما بيناه فيما سبق .

فاما اليوم المحيط في الآخرة فهو اليوم الذي فيه ( يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه . وصاحبه وبنيه . لكل أمرى منهم يومئذ شأن يغنيه . وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قتره . أولئك هم الكفرة الفجرة . )

وأما اليوم المحيط بهم في الدنيا ، فهو اليوم الذي ينطبق عليهم فيه المثل الذي ضربه الله تعالى لهم ولا شياعهم ممن كانوا قبلهم ومن سيكونون بعدهم اذ يقول ( وضرب الله مثلا قرية كانت ءامنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون . فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون )

لقد كانت مدينٌ كغيرها هذه القرية . آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، كما ذكرهم به رسولهم شعيب عليه السلام في قوله ( إِنِّي أَرَأَيْكُمْ بِخَيْرٍ ) وقوله ( وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ) .

فارجع البصيرة كَرَّتَيْنِ إِذَا فِي ذَلِكَ الرزق الرغد الذي كان يُجْبَى الى القرية من كل مكان ، هل تحيط به كيفاً . أو تُخصيه عدداً ؟ ان الذي يحيط بذلك انما هو الله الذي أنعم به ، وهو علام الغيوب .

ان الرزق الرغد الكثير يُجْبَى من كل مكان عاقبته طيبُ الحياة الدنيا ونُعمَةُ عيشها ، فان به تكثرُ الاموالُ وتُعظمُ الثروة ، فاذا أحسنتِ الأمةُ تصرُّفها في ذلك الرزق فأمنتُ بالله الذي أنعم به عليها ، وشكرته سبحانه فوضعتُ كلَّ نعمة فيما وهبتُ لأجله ، فبشَّرها بدوام ذلك الرزق وزيادته كما وعدَ سبحانه الشاكرين بذلك اذ يقول ( لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ) و ( لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ) .

اذ ذاك يكثرُ النسلُ ويعظمُ عددُ الأمة ، وتعمُّها الصحةُ والسلامةُ من الآفات ، ويقوى سلطانُها ويعزُّ جانبُها ، ويجلُّها من عداها ، ويتقَّى بطشُها من عاداها ، ويُغرسُ فيها العلمُ وينمو ، وتعمُّ المعرفةُ وتثمر ، فتكثرُ الصناعاتُ وتروجُ التجاراتُ وتعمُرُ البلدانُ ويجوبُ أهلُها الأرضَ جلبُ المنافعِ براً وبحراً ، فيعمُّ الخصبُ ويرغدُ العيشُ وتتمتعُ الأمةُ متاعاً حسناً الى أجلٍ مسمى .

هذا هو الخير الذي رأى سيدنا شعيب عليه السلام قومه فيه وهذه هي الكثرة التي ذكرهم بها ، ولذلك نهامُ عن نقص المكيال والميزان وأمرهم بايفائهما ووعظهم بما وعظهم لان ما هم فيه من ذلك الخير يُمنِّيهم عن تلك المعاملة الفاحشة التي زعموها مجلبةً للربح والغنى وغفلوا عن أنها مجلبة الفقر والخسران ونذير العذاب في ذلك اليوم المحيط .

أَنْذَرَهُمْ نزولَ العذاب في ذلك اليوم المحيط بهم ، وأخفَّهُ ما يصيبهم منه في الدنيا وهو اذافة الله تعالى لهم لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فيسلُبهم النعمة الواسعة

الفضفاضة والأمن الشامل والقوة والمهابة التي أسبغها عليهم حتى شملتهم ، ويبدلهم من كل تلك النعم اضدادها ، فيعمهم الجوع بذهاب الثروة ونفاد الأموال وضعف القوة واندثار العلم والصناعة وخسارة التجارة وسائر ما كانوا يتقبلون فيه من الخير .

وحينئذ يصيرون أذلاء بعد عزتهم أسراء لغيرهم بعد اطلاقهم أرقاء بعد حريتهم الى غير ذلك مما يطيب له الموت وتُكره له الحياة .

هذا بعض ما يصيبهم في الحياة الدنيا من العذاب اذا عصوا الله فيما أمرهم به واجتروا سيئات ما نهوا عنه ( وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ) .

كل هذا العذاب الكثير العظيم في نفسه بعض قليل مما هو أكثر وأعظم منه في الدنيا ( وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُونَ ) وما جرّه عليهم وأوقعهم فيه الا ما أركسوا فيه أنفسهم من نقص المكيال والميزان وعدم استغنائهم بما اغناهم الله تعالى به من صنوف النعم وضروب الخير الذي أفاضه سبحانه عليهم .

هل يظن ظان أن هذا العقاب الأليم وذلك العذاب الموحج انما هو جزاء لأهل مدين خاصة دون من سواهم ولو فعل كما فعلوا واساء كما اساءوا ؟

ان ظن ذلك احد فانه يكون من المخطئين الغافلين كما اخطأ وغفل اهل مدين من قبله لأنه ظن كما ظنوا أن ما يسلبُ بنقص المكيال والميزان وعدم ايفائهما خير في زعمه وهو نهاية الحمق والجهل بمعنى الخير والشر ، وذلك أن الخير الحقيقي انما هو ما كان حسنا محمودا في كل العقول مرغوبا فيه عند جميع الناس في كل حال من الأحوال ، وهو المسمى بالخير المطلق ، وما عدا ذلك فهو شر ذميم وان زعمه بعض الناس خيرا ومنفعة لانه وافق شهوة باطلة في نفسه .

اما الذي ظنه هذا الظان كأشياعه من قبل فانه الشر كل الشر كما علمت ولكنه لما وافق هوى مطاعا عندهم خدعتهم أنفسهم فزينت لهم سوء اعمالهم فأروه حسنا فأقدموا عليه اغترارا بهذه الخديعة وطمعا في النعم الذي هو بذور الخسار والغرم ولم يكثرثوا بما

يَلْحَقْ غَيْرَهُمْ مِنَ الْعَبْنِ وَالضَّرِّ وَضِيَاعِ الْحَقُوقِ عَلَى مُسْتَحِقِّهَا مَا دَامُوا يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ فِيهِ خَيْرًا لِنَفْسِهِمْ . كَمَا أَنَّهُ كَانَ هُوَ وَاهِلٌ مَدِينٍ مِنَ الْخَطَّائِينَ فِيمَا ظَنُّوا ، كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ كَانُوا جَمِيعًا مِنَ الْغَافِلِينَ عَنْ أُمُورٍ إِغْفَالُهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ .

تِلْكَ هِيَ السَّنَنُ الْأُلهِيَّةُ وَالْأَدَلَّةُ الْكُونِيَّةُ الَّتِي نَصَبَهَا اللَّهُ الْحَكِيمُ لِعِبَادِهِ فِي الْآفَاقِ ، وَكَذَلِكَ الْعُقُولُ وَالْمَدَارِكُ وَالْوُجْدَانِيَّاتُ الَّتِي رَكَّبَهَا اللَّهُ الْقَدِيرُ فِي الْفِطْرَةِ الْآدَمِيَّةِ الَّتِي كَرَّمَهَا ، وَمِثْلُهَا الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ الَّتِي أَتَمَّ بِهَا النِّعْمَةَ عَلَى عِبَادِهِ فِيمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ عَلَى السَّنَةِ رِسْلَهُ مِنْ كِتَابِهِ السَّمَاوِيَّةِ .

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ نِعْمًا عَظْمَى تَفَضَّلَ بِهَا سَبْحَانَهُ عَلَى الْعِبَادِ لِتَكُونَ بِهَا زَكَاةُ أَنْفُسِهِمْ وَطَهَارَتُهَا مِنْ رِذَائِلِ الْأَخْلَاقِ ، وَلِيُمَيِّزُوا بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالنَّافِعِ وَالضَّارِّ وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، وَيُقِيمُوا عَلَيْهَا مَصَالِحَهُمُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْآخِرَوِيَّةَ لِتَحَسِّنَ شُؤْنَهُمُ الْفَرْدِيَّةَ وَالْاجْتِمَاعِيَّةَ .

أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ سَبْحَانَهُ بِتِلْكَ النِّعْمِ ، ثُمَّ ارْشَدَهُمْ إِلَى اسْتِعْمَالِهَا وَالِاتِّفَاعِ بِهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ( سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى . ) وَكَمَا قَالَ فِيمَا حَكَى عَنْ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا قَالَ لِفِرْعَوْنَ مِصْرَ ( قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى . ) ثُمَّ زَادَ سَبْحَانَهُ فِي إِرْشَادِهِمْ فَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ فِي شَرَائِعِهِ أَمْرًا لَا هَوَادَّةَ فِيهِ وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَتَصَرَّفُونَ فِي تِلْكَ النِّعْمِ وَالْمَوَاهِبِ وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ( قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) وَقَوْلُهُ ( إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْتِثُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ . فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ) وَقَوْلُهُ ( وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ . أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ ) وَقَوْلُهُ ( وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) .

اهْتَدَى الَّذِينَ قَدَرُوا تِلْكَ النِّعْمَ حَقَّ قَدْرِهَا ، فَوَصَلُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا خَلَقَتْ لَهُ ،



فاستدلوا بها على ما جعلت أدلة عليه وربطوا الأسباب الصحيحة بسبباتها والوسائل المشروعة بمقاصدها وميزوا الأشياء النافعة بغاياتها الحميدة وعرفوا الأمور الضارة بنهاياتها الذميمة فوقفوا عند الحدود التي هدام إليها العقل والشرع واستقاموا على الطريقة التي يصلون منها إلى خيرى الدنيا والآخرة وتقرّبوا إلى الله بامثال أوامره واجتناب مناهيه شكراله على نعمه وأدّوا ما وجب عليهم من الحقوق لأربابها فوفّوا المكيال والميزان بالقسط ولم ينقصوها ولم يبخسوها الناس أشياءهم ولم يعثوا فى الأرض مفسدين وتمتعوا متاعا حسنا بالخيرات الدنيوية التى عجلها الله تعالى لهم واحتسبوا عنده عز اسمه بقية اجرهم الحسن الذى ادّخره لهم فى الآخرة (والآخرة خير لمن اتقى)

أما أهل مدين ومن ظنّ مثلهم ظنّ السوء فانهم لم يقدرّوا هذه النعم حقّ قدرها ، بل لم يقيموا لها وزنا ، فأهملوها ولم ينتفعوا بها ولم يصلّوا بينها وبين ما توصّل اليه من الخيرات الدنيوية والأخروية . ولهذا وعظّم رسولهم عليه السلام وخاف عليهم وحذّرهم عذاب ذلك اليوم المحيط لأنهم بارتكابهم هذه الآثام العظام كانوا ممن قال الله عز وجل فيهم (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) .

لعل فى ذلك الذى ذكرناه عظة وذكري لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ليعلم أنّ هذا العقاب عام ، قضى الله عز وجل به على كل أمة من أمم الأرض وقعت فى ما ثمر الله ومعاصيه وعتت عن أمر ربّها ورسله فانتهكت محارم الله وزهدت فى حسن ثوابه واستخفت بأليم عقابه وجنت على الفضائل وزيّنت الرذائل واستهانت بصيانة الأعراض واستحلّت الحقوق وأكل أموال الناس بالباطل وطففت المكيال والميزان وبخست الناس أشياءهم ، وأفسدت فى الأرض بعد إصلاحها وزعمت أن استقامة الحياة الدنيا ورفعها إنما هى فى تبدل شرائع الله تعالى والقضاء عليها وفى عصيان ما ترشد إليه العقول السليمة وتجارب الأمم التى عرّكتها رحى الدهر ، كل ذلك منهم

إِعْجَابُ بَانْفُسِهِمْ وَاغْتِرَارُهُ بِمَازَعْمُوهِ عِلْمًا (وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ) (وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا)

وَبَعْدُ : فَانْنَا نَضْرِبُ صَفْحًا عَنْ سَرْدِ أَحْوَالِنَا الْآنَ عَلَيْهَا عَاكِفُونَ وَفِي الْمَسَارَعَةِ إِلَيْهَا وَالتَّنَافُسِ فِي ارْتِكَابِهَا وَالثَّنَاءِ عَلَيْهَا مُجِدِّدُونَ وَفِي السَّخَاءِ بِالْأَعْمَارِ وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ وَتَكْذِيبِ الْوُجْدَانِ وَاسْتِغْضَابِ الرَّحْمَنِ مُتَسَابِقُونَ .

نَضْرِبُ عَنْ هَذَا صَفْحًا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ثُمَّ نَسْأَلُ : هَلْ هَذِهِ الْمُخَازِي الَّتِي خَالَفَتْ بِهَا مَدِينُ أَمْرٍ رَبِّهَا وَعَصَتْ رُسُلَهُ وَفَسَقَتْ بِهَا عَنْ حُكْمِ الْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ السَّالِمَةِ حَتَّى كَانَتْ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ الْحُكْمُ الْعَدْلُ فِيهِمْ (وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُسْكَرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا) هَلْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتُ مِنَ التَّطْفِيفِ وَالْبَخْسِ وَالْأَفْسَادِ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا قَدْ تَبَيَّنَ لَنَا الْآنَ نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ غِيْثًا وَضُرُرُهَا وَقُبْحُهَا فَرَبَّانَا بَانْفُسِنَا أَنْ نَقَعَ فِيهَا كَمَا وَقَعَ أَهْلُ مَدِينٍ مِنْ قَبْلِنَا حَتَّى نَأْمَنْ غَضَبَ اللَّهِ أَنْ يَنْزِلَ بِنَا، فَيَسْلُبُنَا نِعْمَتَهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا وَلَمْ نَشْكُرْهَا بِحَسَنِ التَّصَرُّفِ فِيهَا كَمَا عَذَرَ الْيَنَابِذَ فِي قَوْلِهِ (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ أَمْرَهُمْ) (وَفِي قَوْلِهِ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ أَمْرَهُمْ) وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ . وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) ؟

هَذَا سُؤَالٌ لَا يَخْفَى الْجَوَابُ الصَّحِيحُ عَنْهُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ بَلْ كُلُّهُمْ بِهِ عَالِمُونَ وَكُلُّهُمْ أَجْمَاعٌ عَلَى أَنَّهُ جَوَابٌ وَاحِدٌ لَا يُخَالَفُ فِيهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَا يُتَارَى فِيهِ مِمَارٍ مُخَالَفٍ وَلَكِنْ قَدْ أَبَى الْقَلَمُ أَنْ يَبْرُحَ بِهِ لَا كِتْمَانًا لِلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ، بَلْ طَمَعًا مِنْهُ أَنْ نَغَيِّرَ مَا بَانْفُسِنَا مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَنَتَقَى شَرَّ الْمَالِ لِيَرْفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ نَقْمَتَهُ وَيُتِمَّ عَلَيْنَا

نعمته ففسار عَ اذ ذاك الى تبشير اخواننا المسلمين باستقامة الأمور وصلاح الشؤون ان شاء الله تعالى ، ونُذِّنِي على الله المنعم بما هو أهله .

لقد تبين للمستمع المتدبر فيما قدمناه أنَّ جميع ما جاء في شريعة سيدنا شعيب عليه السلام هو بعينه ما جاء في الشريعة الحمديدية لم يتبدل منه شيء ولم يُنسخ منه حكمٌ . وتوضيح ذلك ، أنَّها احكامٌ اتفقَ الشرعُ والعقلُ معاً على أنَّها خيرٌ دائماً في كل زمان وفي كل حال محمودَةٌ عند جميع العقلاء على وجهِ الدهر ، ومن البداهة ان كلَّ ما كان شأنه ذلك فانه حكم لا يتغير ولا ينسخ ، ولهذا كان دين الله تعالى واحداً لا يعتريه تبديل ولا نسخ في الأحكام المتعلقة بالله تعالى كنعوته الألهية مثل القدرة والارادة وسائر كمالاته وكأحكام النبوات من الصدق والأمانة وتبليغ وحى الله تعالى وكالفضائل مثل الوفاء بالوعد والصدق في القول وأداء الأمانات الى أهلها والبر بالمحتاجين الى غير ذلك ، فدينُ الله تعالى واحد لا تبديل فيه ولا نسخ كما قلنا في كل زمان ومكان لاى أمة من الأمم على لسان أى رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام .

نعم قد دخل النسخ بعض الاحكام الفرعية العملية ككيفيات الصلاة وكأكل ما له ظُفر من الحيوان مثلاً وكان مُحَرَّماً على الذين هادوا ، أما الأحكام الأصلية العملية كنفس الصلاة والزكاة وكإيفاء المكيال والميزان بالقسط وغير ذلك فان النسخ لا يلحقها ، بل هى مقررة محتمة فى كل شريعة الهية .

أما الفرعية فانها كما سلف تُنسخ فتُقرَّر تارة فى بعض الأزمنة لبعض الأمم ثم تتبدل فى بعض آخر ويشرعُ الله الحكيمُ غيرها ، لانه سبحانه علِمَ أنَّ غيرها أوفقٌ لهذا الزمان الأخير وأصلحُ لأهله ، وهو سبحانه انما يريد بعباده اليسر . ولا يريدُ بهم العسرَ (يريدُ الله ان يُخَفِّفَ عنكم وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا)

قلنا ان ما أمر الله تعالى به رسوله شعيباً هو ما أمر به رسوله سيدنا محمداً عليهما

الصلاة والسلام، وذلك هو قوله سبحانه ( وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ <sup>(١)</sup> الْمُسْتَقِيمِ . ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا <sup>(٢)</sup> ) .

ولقد يحسن هنا أن نقف على ما سبق بكلمات وجيزة تتجلى فيها بعض حكم ديننا الحنيف ومحاسن التشريع الألهى الحكيم مما تضمنته هذه الآية الكريمة فنقول :  
أمر الله تعالى في شريعتنا الحمدية بإيفاء المكيال فيما يكال وإيفاء الميزان فيما يوزن كما أمر بذلك في شرائع مَنْ قَبْلَنَا من الرسل ، والحكمة الألهية البالغة في ذلك أَنَّ عدم إيفائهما إذا كان نقصا <sup>(٣)</sup> ، هو من قبيل اتلاف المال وإضاعته على الشخص الذى لأجله الكيل أو الوزن وهو المُستَو فى كالمشتري — وإذا كان زيادة فهو من قبيل اتلاف المال وتقويته على المكتال منه وهو الموفى كالبائع . وأيضا هو خيانة ونكث للعهد الذى تقتضيه المبادلة بين البائع والمشتري مثلا . وقد قال الله عزت أسماءه ( إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ) .

ثم انه سبحانه أرشد عباده الى الحكمة الألهية التى لأجلها أوجب الإيفاء فى الكيل والوزن ، فاخبرهم أَنَّ ذلك لأمرين جليين ( الأول ) أَنَّ إيفاءهما خير ، أى وصف حميد يرغبه العقلاء أهل الفضائل والأمانة والمروءة كفاة فى كل حال وأن ( الثانى ) أَنَّهُ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا ، وَأَحْمَدُ مَالًا وَأَطْيَبُ عَاقِبَةً فى الدنيا والآخرة .

أما فى الدنيا فانه يُكْسِبُ صاحبه الشهرة بين الناس بالأمانة وإيتاء كل ذى حق حقه ولا جدال أَنَّ ذلك يجعل له الذكر الجميل بين الناس ويُوجب الرغبة الصادقة فى معاملته ، ولا يخفى عليك ما يعود عليه من ذلك من الرواج والربح الحلال العظيم .

أَضَفَ الى هذه الفوائد الخاصة التى عادت عليه ، تلك الفائدة العامة التى تعود على الناس ، وهى عدم ضياع أموالهم عليهم بنقص المكيال والميزان ، ثم اتخاذهم له قدوة

(١) بالميزان العدل السوى

(٢) مالا وعاقبة

(٣) راجع ما سبق فى تفسير الآية للتقدمة .

يقتدون بها وجعلهُ اما ما لهم يَأْتُون به في هذا الفعل المشكور لِيَرْجُوا كَمَاراج وَيُسْتَفِيدُوا كما استفاد .

وأما في الآخرة التي هي خير وأبقى ، فانه يَكُون مرضياً عنه من الله تعالى الذي وَصَفَ نَفْسَهُ بانه لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، وَأَنَّهُ سَيَجْزِي الْعَامِلِينَ لِلصَّالِحَاتِ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

هذا : وانه لَيَجْزُنَا مَا تَكَرَّرَ سَمَاعُنَا لَهُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِينَ ، إِنَّ غَيْرَ الْمُسْلِمِ عَدْلٌ أَمِينٌ لَا يَغْدُرُكَ وَلَا يَخُونُكَ فِي مَعَامَلَةٍ مِنْ كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ مِثْلًا ، وَلِهَذَا كَانَتْ مَعَامَلَتُهُ أَفْضَلَ وَإِنْ كَانَتْ بَعُوضٌ أَكْثَرُ .

أما المسلم فانه لَا يَعْرِفُ لِلْأَمَانَةِ قَدْرًا وَلَا يُقِيمُ لِلوَفَاءِ وَزَنًا فَهُوَ إِذَا كَالَ أَوْ وَزَنَ طَفَفَ وَإِذَا عَامَلَكَ خَانَكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا .

لَمْ نَحْزَنْ لِهَذَا الْقَوْلِ ضَنْنًا مَنَا عَلَى غَيْرِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا أَوْ حَسَدًا لِهَذَا أَنْ يَكُونَ ذَا فَضِيلَةٍ وَمُرُوءَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِثْمٌ حَرَّمَ عَلَيْهِ عَلَى الْمُسَامِينِ شَرِيعَتُهُمُ الْخَفِيَّةُ السَّمْحَةُ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَدَبَ الْمُسَامِينَ وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَعْمَلُونَ غَيْرَهُمْ إِذْ قَالَ ( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ) لَمْ نَحْزَنْ لِهَذَا ، بَلْ إِنَّمَا كَانَ حَزْنُنَا مِنْ أَنَّ الْمُسَامِينَ قَدْ نَبَذُوا قَرَاهِمَ ظُهُرِيًّا وَنَسُوا اللَّهَ بِتَرْكِهِمُ الْعَمَلَ بِتَعَالِيهِمْ وَأَحْكَامِهِ الْحَكِيمَةَ ، بَلْ بِتَعْطِيلِهَا وَذَمِّهَا وَالصَّدِّ عَنْهَا ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ تَطْفِيفُهُمُ الْمَكِيلَ وَالْمِيزَانَ وَخِيَاةَتُهُمُ الْأَمَانَةَ وَنَكْثُهُمُ الْعَهْدَ وَتَقْضِيَتُهُمُ الْمَوَاقِيقَ اسْتِخْفَافًا بِأَوَامِرِ الدِّينِ وَنَوَاهِيهِ وَزُهْدًا فِي الرِّيحِ الْحَلَالِ الَّذِي يُشْمَرُهُ امْتِثَالُ مَا وَجَبَهُ اللَّهُ ، وَتَرَاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ الْآمِرُ النَّاهِيَةُ ( لَوْ أَرَأَوْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ )

لَيْتَ الْأَمْرَ وَقَفَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ ، وَلَيْتَ هَذِهِ الشُّرُورَ وَالْمَذَامَ حَاقَتْ بِهِمْ وَحَدَّهُمْ

بل ان الأمر ادهى من ذلك وأمرٌ ، فان سيئات ما كسبوا وجرأئ ماعملوا ، قد طوّقتُ  
بدين الله تعالى ، فزعم الجاهلون به أنه اصل جهل المسامين و مرجعُ فسادِ احوالهم  
وشؤونهم الدنيوية ومنشأُ خولهم وخمودهم وجودهم على ما هم فيه ، وأنه لارجاء في  
تدارك ما فاتهم من صلاح احوالهم ولا طمع في استقامة ما التوى من شؤونهم ماداموا  
يقاومون كلَّ اصلاح دنيوى بما يحتجّون به من احكام دينهم الذى هو للدنيا عدوٌ مبين .

هكذا ادّعى الجاهلون بحقيقة الاسلام واحتجوا على انه كما قالوا بأمرين ( اولهما )  
أعمالُ اهلِه المؤمنين به فان أعمالهم شاهدة عليه بهذا ، فلو كانت حقيقته غير ذلك لظهرتُ  
ثمرتها في اعمال الذين يدينون به ( ثانيهما ) انه دين كبقية الأديان لاسطان له الا على  
الارواح يُذكرها بالها . اما الحياة الدنيا وشؤونها من العلم بها والعمل لها ومعرفة  
طرق اصلاحها واساليب الانتفاع والتمتع بها وسائر وجوه النفع والانتفاع التى يقوم  
عليها صلاح المجتمع الانسانى على كثرتها وتنوع فنونها ، فان الاسلام كغيره لاشأن له بها  
ولاشئ من ذلك بمستفاد منه فكان لذلك ديناً روحياً لاجتماع دنيويها ، هكذا زعموا  
وقلدهم منا المقلدون ، وكلّهم جميعاً مخطئون وخاطئون .<sup>(١)</sup>

نحن الآن بعد ما بسطنا ذلك فيما سلف لسنا فى حاجة الى الأفاضة فى بيان خطأ  
هؤلاء الزاعمين والذين شايعواهم فى زعمهم واتهامهم عمداً او جهلاً دين الله تعالى بانه دين  
جُرُر<sup>(٢)</sup> عقيم ليس للحياة الدنيا وشؤونها فيه مرعى صالح ولا ما تقوم عليه نظمها من  
أحكام دنيوية تناسبها وتسير الى جانبها الى غير ذلك مما يرمى به العدو وعدوه والصديق  
الجاهل صديقه وجميعهم قد ضلوا عن سواء السبيل وقذفوا بالغيب دين الله تعالى من مكان  
بعيد . وان تعجب فعجب قولهم : ( اننا نؤمن بالله رب العالمين الذى له العظمة والكمال )  
ثم تراهم يتبعون مقالاتهم هذه بالظعن فى دينه ورميه بما ينافى ربوبية الله العلى الكبير  
ويناقض عظمتة وكماله سبحانه .

(١) الخاطي متعدد الخطأ بخلاف المخطي فانه لم يتمم (٢) اصله الأرض الفاحشة لا نبات فيها ولا ماء

ان هذا لا يصدر الا عن احد رجلين ، رجل كاذب يُظهِرُ خلافَ ما يُبْطِنُ ،  
ويُبْدِي غير ما يُعِيدُ ويقول ما لا يفعل ، وقد غفل عما يَنْبَغُ به ثوبُ رِيائِهِ ومِرَائِهِ ، ورجل  
جاهل بالله الذي يَدَّعِي الأِيْمَانَ به لا يعرف لربوبيته سبحانه للعالمين معني ولا يقدِّر  
لعظمته وكِماله قَدْرًا ( وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) .

فاما هذا الكاذب المُرَائِي فانه مُسْتَهْتَرٌ<sup>(٣)</sup> مَاجِنٌ<sup>(٤)</sup> ، قد كَفَى الْعُقَلَاءَ مَوْثِقَةً  
تَكْذِيبِهِ وَتَشْهِيرِهِ ، أَمَّا تَرَاهُ وَهُوَ فِي كَذِبِهِ وَرِيائِهِ قد اسْتَعَشَى ثوبًا من نَسِيجِ كَذِبِهِ وَرِيائِهِ  
وقد غاب عنه ان ثوبَهُ هذا يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ وَيَنَادِي عَلَيْهِ بَيْنَ الْمَلَأِ أَنَّهُ مُرَاوٍ كَذَّابٌ .

وأما ذلك الجاهلُ فانتا نرشدُه الى الصواب ونعلِّمُه ما جَهِلَ فنقولُ له ان رب  
العالمين جَلَّتْ أَسْمَاؤُهُ وَنَمُوَتْهُ هُوَ اللهُ خَالِقُ الْعَالَمِينَ وَمَالِكُهُمْ وَهُوَ الَّذِي يُرَبِّي أَبْدَانَ  
الْعِبَادِ بِمَا يَرْزُقُهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ وَبِمَا يُفِيضُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
حَلَالًا طَيِّبًا ، وَهُوَ الَّذِي كَمَا يُرَبِّي أَبْدَانَهُمْ بِهَذَا يُرَبِّي نَفُوسَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ الصَّحِيحَةِ وَيَهْدِيهَا  
بِأَنْصَافِ الْمَعَارِفِ الصَّادِقَةِ النَّافِعَةِ وَيُؤَدِّبُهُمْ بِضُرُوبِ النِّقَمِ وَالْحَوَادِثِ الدُّنْيَوِيَّةِ تَذَكُّرَةً  
لَهُمْ وَزَجْرًا لَهُمْ عَمَّا يَفْرُطُ مِنْهُمْ ثُمَّ يَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَرْسَالِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ عَلَيْهِمُ  
السَّلَامُ لِيُبَلِّغُوهُمْ عَنْهُ سُبْحَانَهُ دِينَهُ الْقَوِيمَ الْكَافِلَ لِمَصَالِحِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرِيَّةِ مِنْ  
الْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ وَالْعِبَادَاتِ الْمَشْرُوعَةِ الَّتِي يَشْكُرُونَ اللهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى نِعْمَتِهِ وَيَتَقَرَّبُونَ  
بِهَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ زُفْلَى وَهُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَكَذَلِكَ الْأَحْكَامُ الدِّينِيَّةُ الْعَمَلِيَّةُ  
الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا مَنَافِعُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ وَمَعَامِلَاتُهُمُ الدُّنْيَوِيَّةُ يَعْلَمُ كُلُّ هَذَا حَقَّ الْعِلْمِ ( الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا<sup>(٣)</sup> إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ<sup>(٤)</sup> ) ( أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ) ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ) .  
لَقَدْ جَنَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الطَّاعِنُونَ فِي دِينِ رَبِّهِمْ بِالْبَاطِلِ ، وَفَرَطُوا فِي أَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ ،  
كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَطْعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِطَعْنِهِمْ فِي دِينِ اللهِ ظُلْمًا وَزُورًا أَنْ يُحِيطُوا بِهَا  
عِلْمًا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَمْرِ عَلَى بَيِّنَةٍ .

( الْأَمْرُ الْأَوَّلُ ) أَنْ يَقْدِرُوا رَبَّهُمْ حَقَّ قَدْرِهِ فَيَعْرِفُوا لَهُ سُبْحَانَهُ عَظَمَتَهُ وَكِبَالَهَ كَمَا

(١) متبع لِهواه لا يبالي بما فعل (٢) هازل . (٣) يخلطوا (٤) بما يظلمون به أنفسهم من الآثام .

ادْعُوا وَأنه تنزه حكمته تعالى أنه يخلق خلقه ثم يذُرهم في طغيانهم يعمهون دون أن يبين لهم على السنة رسله ما يقوم اعوجاجهم فيعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويأخذ بأيديهم الى ما يصحح معتقداتهم ويرشدهم الى صلاح معاشهم ومعادهم دنيا وأخرى ، تلك هي السعادة الحقيقية العامة التي يبينها الله تعالى للناس في دينه القويم ولكن الذين يطعنون فيه بجهلهم لا يزالون في حقيقة معنى السعادة يعمهون .

( الأمر الثاني ) ان يسيروا سيرة الباحثين المنتقدين المنصفين فيطلعوا على الدين جملة وتفصيلا فيسبّروا غوره ويجوبوا خلالة ويستقبوا في مناحيه ويتدبروا آياته ويفطنوا الى اشاراته ويقفوا على مبادئه ليصلوا منها الى غايته ومقاصده الى غير ذلك مما يجب على الباحث الذي يريد الوصول الى الحقيقة من صراطها المستقيم .

اننا نحسن الظن بهؤلاء المجترئين على الطعن في دين الله ، فنحمل طعنهم هذا على تقصيرهم المعيب في حقه وتام جهلهم الشائن به وبعدمهم عنه ، ولا نحمله على أنهم قد عاموه ولكن فرط عنادهم واستكبارهم عن قبوله واصرارهم على المجادلة في الحق بعد ما تبين هو الذي لوى من اعتناقهم فولوا عنه وجوههم أنفة واستنكفا .

وأياماً كان أمرهم بازاء هذا الدين الحكيم ، فانا ننصحهم النصيحة الخالصة ان يتوبوا الى رشدهم وينبئوا الى فطرتهم ويتوبوا الى ربهم ليتعرفوا هذا الدين تعرف الباحثين المخلصين ، فعسى ان يعرفوه ويكونوا من المهتدين ، والله يهدي من يسلك للهداية سبيلها المستقيم .

هذا : واننا رغبة في تيسير الأمر عليهم وتقريبهم الى طريق الحق السوي نأخذ بأيديهم الى ما قدمناه من تفسير هذه الآية الكريمة . عسى أن يقيموا وجوههم له مخلصين ويعرفوا الحق حقاً فيدعوه مدعين ويكونوا من (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) . أولئك الذين هداهم الله . وأولئك هم أولوا الألباب . من منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا



# اصول الدين

## سوانح ومقتبسات

ليس الشأن أن تتكلم في كل علم انما الشأن أن تكون راسخا فيه تعرف عته من سمينه ، كثير من الناس يتلقف فقرات من العلم من غير أن يعرف حقيقتها فيردها ويطنطن بها ولا يعرف مافيا ، فهو أشبه شيء بما ورد في الحديث في شأن المنافق حين يُسأل حيث يقول : سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، وقد أصبح المتعلمون عندنا يقدسون كل ما يسمعون عن أوربة بلا بحث ولا تمحيص . ويعتقدون أنهم أصبحوا علماء وقد يكون ذلك محل نزاع كبير عندهم . ولكنهم كالاطفال الذين اذا سمعوا شيئا لم يخالجهم فيه شك ولم يعترهم فيه حيرة ، خصوصا اذا كان ذلك من آبائهم أو اسانذتهم ، وليس الفضل في تلك الوثبات الحقاء ، فانها ضارة لنافعة ، وانما الفضل في البحث والتمحيص بحيث يحيط باطراف المسائل ويقارن بينها وبين ما جاء في الديانات مقارنة صحيحة .

أما هؤلاء فلا يعرفون ما قيل في تلك المسائل العقلية نفيا واثباتا، ولا ما كان لها من مراحل البحث العلمي . ولا ما وصلت اليه من درجة الظن أو اليقين أو الشك أو التخمين ، كما لا علم لهم بما قيل في تلك المسائل الدينية وما قرره العلماء فيها وما كان لهم من أنظار وأفكار وتأويل وتعليل ، وقد كان يجب أن يعرفوا أولا أهى من القطعيات أم من غيرها ، وهى مما جاء في الكتاب المجيد والسنة الصحيحة . أم من عمل الاجتهاد الذى هو معترك الانظار ومزدهم الافكار ، فان هذا القسم قد يدخله وهم كثير، شأن البشر في كل أبحاثهم وأفكارهم - قيل لا بد للناس من فلسفة أودين ولكن فرق كبير بينهما ، فان الفلاسفة يستمدون من أفكارهم التى تختلف ونزعاتهم التى تتضارب وتتناقض . ومنهم من اقتضت فلسفته الاكباب على الشهوات ، وفرق بين الرسول الذى يفزع الى الله ، والفيلسوف الذى يفزع الى فكره وعقله .

الفلسفة تدخل في كل شيء حقا كان أو باطلا ، لأن مدارها على قوة الخيال وفصاحة اللسان وحسن الاسلوب والقسرة على التلاعب بالكلمات والتفنن في العبارات ، وليس مدارها على كون الشيء حقا ولا كون الدعوى صادقة ، ولديك السفسطائيون المعروفون. ولكل فلسفة قوم يعتقونها واذواق تقبلها وعقول تصطبغ بها .

ان الله قد أوجد العالم على نظام محكم ليدل على حكمته ، وقد يخرق هذا النظام المشاهد أو يتصرف في نواميسه ليدل على قدرته ، ولكن الماديين اذا رأوا اتقان النظام ، قالوا ان العالم سائر على سنن لا تتبدل ، فلا حاجة الى اله . كأن القوانين تغنى عن المقنن ، وكأن النظام يغنى عن المنظم ، أو وضع الخواص في الاشياء يغنى عن الواضع ، واذا رأوا مالا يدر كون سره ، قالوا ان ذلك فوضى لا تليق بالحكيم ، فاما يريد هؤلاء الذين لا يتفهمون نظام ولا غيره ، ولكن اذا فسدت معدة الانسان وجد كل شيء مرا ، وفي بعض الكتب ان الطاهر يجعل كل شيء طاهرا ، والدنس يجعل كل شيء دنسا ، والمريض الذى اختل مزاجه لا ينفع معه شيء .

العالم لانهاية له وهو منظم غاية النظام ، ففيه قوة لاحد لعلمها وحكمتها وقدرتها والمادة وجه من وجوهها . وأثر من آثارها . لاسبب في أصل وجودها ، ان وراء العالم المادى عالما خفيا ، هو عالم الادراكات والرغبات والانفعالات والعواطف ، ولا يدر كون كنهه . ولا يمكن أن يعلل بتعليل مادى ، وأصول علم النفس الآن ليست أقل من أصول علم الطبيعة .

الاسلام يعطى الارواح الامان والاطمئنان ، وقد جعل تحيته السلام . وكلما لاقيت رجلا بدأته بالسلام فرد عليك السلام فشعار المسلمين السلام وامته جديرة أن تسمى أمة السلام وأما عصبيته للحق فمن أكبر فضائله ولو صدق الأوربيون المستعمرون المتعصبون في أنهم أنصار الانسانية المعذبة ومنقذوها مما هى فيه ورافعوها الى ذرى السعادة لقابلنا ما يفعلون في الناس بالاستحسان والابتهاج ولكنها وسيلة من وسائل الاستعمار أيضا ، وما كان ذلك الا لأمة الاسلام حينما

كانوا متمسكين بعبادته عاملين بتعاليمه التي أصبحوا بها ملوك الشرق والغرب في أقل من قرن يقيمون موازين العدل (ولا يخشون في الله لومة لائم)

قال الفيلسوف تولستوى : ولعل المبادئ العظيمة السامية السماء التي تضمنها القرآن في بسط قوة الله وجهه وعظمته ورحمته لامثيل لها ولا ضريب في أى دين آخر من الاديان ، تراها تتدفق في آيات من أبلغ آيات البيان وأشدّها اثارة للارواح وهزة للنفوس ، ثم لاتزال الروحانية تعمل عملها في الحياة وفيضها ونورها . مبادئ لا ينتهى الانسان منها . ولا تجد في دين الاسلام كله من أوله الى آخره أثرا من آثار الاستبداد الفكرى والسفسطة التي تراها في تلك النظريات ، ولا من السفسطة واللجاج والحاجة والثثرة ، بل لايزال هذا الدين ينعش الارواح . وينادى الضمير العميق في الانسان ويناجى الفؤاد والوجدان ، ويمشى مع الصوت الخارج من حبة القلب الصادر من سويداء الروح ، ولا يقبل الا منطق القلوب وعقل الغريزة والقطرة .

الكلام على الاسلام يجب أن يكون في مقامين : مقام النظر في أصول الاسلام وتعاليمه وسيرة من جاء به ومقام رد الشبه عنه وما يخالج بعض العقول الصغيرة مما لا يدركون له سرا ولا يفقهون له تأويلا ولا بد من هذا ، فان الناس مختلفون اختلافا كبيرا في الاستعداد وفي التربية والنزعات والاهواء ، حسبما أحاط بهم من الأوساط المختلفة والبيئات المتنوعة ، وهم بعد ذلك في معلوماتهم متفاوتون تفاوتاً لا يعلمه الا الله ، فحال ان يتفقوا . ولو فرضنا انك ذكرت ما يفكر فيه كبار الرجال وما يرمون اليه من مرام بعيدة وانظار سديدة للأطفال ، واعطيتهم الحرية فيما يقولون وفيما ينتقدون لذهبوا مذاهب شتى ، ولاعترتهم شكوك وأوهام تناسب حالهم وخيالهم ، فهكذا الجهلاء مع العلماء والسفهاء مع الحكماء ، لانهم لا يعرفون لهم قدرا ولا لما يقولون معنى ، فاذا انضم الى ذلك تبجح وعناد مع تقديس الجهلاء أنفسهم كانت الطامة الكبرى والداهية الدهياء ، ومن جهل شيئا عاداه ، وما أصدق قول الله تعالى وأصماه لكبد الحقيقة ( بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ) .

لا يجوز أن يكون العالم بلا اله بالأدلة القطعية ولا يجوز أن يكون له اله ثم يهمل

خلقه ، فلا يرسل اليهم من يرشدهم الى طريق السعادة ، ولا يجوز أن يترك من يكذب عليه بلا انتقام ، كما في القرآن وغيره من كتب الأنبياء ، وقد قال الله في كتابه العزيز ( وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ) - ينكرون الشياطين وقد آمنت بهم أوربة عند ما شاع استحضر الأرواح ، ويطلبون السفور وهم يئنون منه هناك ، ولكننا اعتدنا . أن نهزأ بكل ما ورثناه عن أسلافنا ، فاجتهدنا في هدم كل معتقداتهم وعالومهم .

أريد في هذه السوانح أن ألقت نظرك الى شيء بديع جدا في الاسلام ، لا تكاد تجده في غيره خدمة للحقيقة وتحقيقا للحق لاطعنا ولا تعصبا ، وقد أصبح البحث والتمحيص شهوة من شهوات العصر الحاضر والوقوف على الحقائق كما هي نزعة من نزعات العقول العصرية ، فتحليل الاشياء تحليلا علميا حتى المسائل الادبية والتاريخية الآن هو فوق كل شيء ومقدم على كل شيء ، وبهذه الابحاث الحرة التي لا يقصد منها الا خدمة العلم كان للاسلام شهادات كثيرة من منصفى الاوربيين وفلاسفتهم ، وقد كانوا يشوهونه غاية التشويه في القرون الوسطى فنقول .

ان الاسلام لا يعرف الافراط ولا التفريط ولا غرو فهو الصراط المستقيم الذى هدانا الله اليه ، ولا يكون مستقيما الا اذا سلك الجادة والتزم الوسط ، فتراه لم يجيء بالزهد البالغ الذى يترتب عليه خراب الدنيا وذل المؤمنين به مما هو منافر للطباع البشرية تمام المنافرة . وموجب لسقوط الامة واستذلالها فلم يقل «من ضربك على خدك اليمين فأدر له خدك الايسر» ولم يقل لا يدخل الغنى ملكوت الله ، مما لا ينبغى أن يستعمل الادواء وقتيا لمرض خاص في وقت خاص ، ثم لا تجده مع هذا يذكر الدنيا مرغبا فيها لافتنا الانظار اليها بجعلها جزاء على الاعمال كما في الشريعة اليهودية (ولكن كان بين ذلك قواما) وكذلك لا تجده حتم القصاص كالتوراة ، ولا العفو كالانجيل ، لانه يعلم أن الطباع في ذلك تختلف اختلافا كبيرا فمن الناس من لا يشفيه

الا القصاص ، ومنهم من كرمت نفسه فيسمح بالعفو ابتغاء وجه الله تعالى ، ومنهم من تسمح نفسه بالعفو في نظير شيء يأخذه من الجاني ، فجاءت الشريعة الاسلامية بذلك كله بعد أن رغبت في العفو كثيرا وكذلك تجد الشريعة الموسوية أمرت بقتل النساء والاطفال في بعض الامم وجاءت الشريعة الاسلامية بتحريم ذلك وترى الديانة المسيحية بجانب هذا لاجهاد فيها فأكبر مخالفيها على وجه الارض اليوم هم المدعون لاتباعها المجتهدون في التبشير بها .

تجد الاسلام يحث على التوكل ويجعله لازما للايمان فيقول :

(وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) وبجانب هذا يقول (فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) ويقول (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ) ويقول (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) ويأمرهم الا يكونوا عالة على الناس وهو القائل (كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) يريد أن يجعلهم معطين لا آخذين وهو القائل : اليد العليا خير من اليد السفلى . ويقول في حفظ الجامعة الاسلامية ودرء الشرور عنها ورد عادية أعدائها (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ) ثم يأمرهم أن يحتفظوا بفضيلة الاعتدال في جميع الأحوال ويطلب منهم ألا يأسوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم ، يريد أن يجعلهم رجالا عظاما لا يطيشون عند ورود نعمة أو حلول نقمة

يقول (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولا يدعها حتى يتلافها بقوله (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا) (وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى) ويقول (فَإِذَا مَنَّاعُ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ) ثم يقول في الجزاء (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) دلالة على طريق العدل ثم يدل على طريق الفضل فيقول (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) ومثل ذلك قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) الى آخر ما يرشدك اليه بحثك الصادق وذهنك الثاقب

يرمون الاسلام بانه دين التأخر والجمود ، وانه لايمكّنتأن نجارى الامم الراقية في  
 ميادين الحياة ونحن متمسكون به حريصون عليه ، يريدون أن يجعلونا ماديّين نخدم  
 الاجسام والالوهام وأن نقتل الوجدان ولا نصغى الى البرهان ، وأن نخنق أنفاس  
 الارواح ونحصر جهودنا كلها في مطالب الاشباح ، على أنى وأبيك لأعرف لذلك  
 معنى ولا أذوق له سرا فان الدين يوجب علينا أن نكون أرقى الامم وأن لا نحتاج الى  
 غيرنا، حتى أنه جعل الصنائع كلها مهما تجددت بتجدد العصور من فروض الكفاية  
 التى تأثم الأمة جميعها بترك أصغرها وأحقرها ، فلا يبيح لنا الدين أن نجعل صنع  
 ابرة نحتاج اليها فكيف بالمدفع أو الطائرة . . . الخ فما أدرى كيف يفهمون أن  
 الدين أخرهم وما تأخروا الا بترك أوامر الدين وتعاليمه ، وانا ننادى باعلى صوت  
 أن المسلمين اليوم كلهم آثمون بهذا التكاسل الذى يحرمه الدين تحريما باتا وينهى عنه  
 نهيا بليغا ، وهم محتاجون بعد هذا الى أن يكونوا مخلصين فيما يعملون ، قد طهرت  
 نفوسهم من الاثرة والانانية والتشاحن والتكالب على حطام الدنيا الذى تجاوزوا  
 به حده ، ولم يعرفوا أنه وسيلة لاغاية ، وأن مقاصد الانسانية أسمى من ذلك واكبر  
 مما هنالك ، ومعلوم أنه لايمكن الاعتدال في طلب الدنيا ، ولا الاخلاص الصحيح  
 ولا محبة الفضائل واجتناب الرذائل الا بالخوف من سلطان الله والرغبة فيما عند الله،  
 فاذا خضت غمار الدنيا وازت متمسح بسلاح الدين وراقبت الله تعالى فيما تفعل وما تترك  
 حفظت من مكاييد الشيطان وآثار الطغيان ، واذا كنت أعزل من هذا السلاح  
 تخطفتك الشياطين وضلت في تلك الميادين فارتكبت الموبقات ، ووقعت في الهلكات  
 فكنت شرا مستطيرا على نفسك وعلى أبناء جنسك فالتاس في الحقيقة في حاجة الى  
 الدين لاصلاح الدنيا قبل الآخرة، واجدى مسوقا الى أن أقول أنه لايمكن الانسان  
 أن يعيش في راحة بال وصفاء حال ولأن يشعر بلذة انسانية حقيقية الا اذ كان ذا دين  
 قوييم وقلب سليم ، فانه يجد من النور وشرح الصدور ومن برد اليقين ونفحات رب  
 العالمين ما يفوق نعيم الملوك والسلاطين ، فان نعيمهم جسمانى لا روحانى وبهمى  
 لا انسانى على أن قلوبهم دائما في قلق واضطراب وخوف ووجل مما يتوقعون أو

يتوهمون ، لأنهم لا يتغذون الا من زقوم المادة (وهى شجرة الهموم والغموم) ومحال أن يكون للشئ غير ظواهره الطبيعية ولوازمه الخلقية ، فالسعادة لا تجيء من هذه الناحية وانما تجيء من ناحية أخرى يعرفها المؤمنون وقد رسخ فيها الروحانيون واما أهل الدنيا فلا أثر لذلك الا في ظواهرهم لا غير .

لا تغتر بنعيمهم فحسومهم في جنة وقلوبهم في نار ،

يوسف الدموي  
من هيئة كبار العلماء

## الطرف والملح

من أمثال العرب المشهورة قَوْلُهُمْ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ . وهو مما زعمته العرب على السنة الحيوان — قالوا : ان الأرنب التقت طمرة . فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان الى الضب . فقالت الأرنب : يَا أَبَا حَسَلٍ <sup>(١)</sup> . قال : سَمِعَا دَعَوَتِ . قالت : اتيناك لنختصم اليك . قال : عادلا حكما . قالت : فاخرج إلينا . قال : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ . قالت : انى وجدت طمرة . قال : حلوة فكليها . قالت : فاختلسها الثعلب . قال : لنفسه بَغَى خَيْرَ . قالت : فاطمته . قال : بِحَقِّكَ أَخَذْتَ . قالت : فاطمنى . قال : حُرْتُ لِنَفْسِهِ . قالت : فاقض بيننا . قال : قد قَضَيْتُ — فذهبت أقواله كلها أمثالا . عتبت مولاة على بن هشام عليه مرة قتمادى عَثْبُهَا . فترضاها فلم ترض . فكتب اليها : الإِدْلَالُ يَدْعُو إِلَى الْمَلَالِ . وَرُبَّ هَجْرٍ دَعَا إِلَى صَبْرٍ . وَاِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ قَلْبًا لِتَقْلِبِهِ — وقد صدق عندى العباس بن الأحنف حيث يقول :

سَأَرَانِي إِلَّا سَاهَجْرُ مَنْ لِي — سِيرَانِي أَقْوَى عَلَى الْمَجْرَانِ  
مَلَّنِي وَاتَّقَا بِحَسَنِ وَفَائِي — مَا أَضَرَّ الْوَفَاءَ بِالْأَنْسَانِ  
فخرجت اليه من وقها ورضيت .

# السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

التفقه في الدين وأثره في المسلمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي ، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ » (١)

## الشرح

الدِّينُ الأسْلَامِيُّ هو الأحكامُ التي وَضَعَهَا اللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ لعباده مُشْتَمَلَةً عَلَى جَمِيعِ مَا تَصْلُحُ بِهِ حَيَاتُهُمُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالْآخِرَوِيَّةُ صَالِحَةً لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ لِأَيِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمُؤَيَّدِينَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ .  
شَرَعَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْأَحْكَامَ وَفَصَّلَهَا تَفْصِيلًا وَأَقَامَ الْأَدْلَةَ النَّاطِقَةَ الْبَاهِرَةَ عَلَى صَحَّتِهَا وَمُوَافَقَتِهَا لِمَصَالِحِهِمْ وَأَرَدَفَ ذَلِكَ بَيَانِ الْمَنَافِعِ وَالثَّمَرَاتِ الطَّيِّبَةِ الْعَائِدَةِ عَلَيْهِمْ مَا دَامُوا عَامِلِينَ بِهَا وَاقِفِينَ عِنْدَ حُدُودِهَا . يَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ مَارَسَ هَذَا الدِّينَ وَنَظَرَ فِيهِ نَظَرَ الْمُتَدَبِّرِ الْمُنْصَفِ الْبَاحِثِ عَنِ الْحَقِّ حَتَّى إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ اتَّبَعَهُ وَكَانَ بِهِ مِنَ الْمُهْتَدِينَ .  
شَرَعَ جَلَّتْ حُكْمَتُهُ لَنَا هَذَا الدِّينَ وَأَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَلِّغَهُ لَنَا فَأَخْبَرَنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ عِلَامَةَ ارَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْخَيْرِ لِلْعَبْدِ أَنْ يُفَقِّهَ فِي الدِّينِ وَأَنْ يَهَبَهُ مِنَ الْفِطْنَةِ وَالذِّكَا مَا يُوصِلُهُ إِلَى ادْرَاكِ حَقِيقَةِ هَذَا الدِّينِ وَحَقِيقَتِهِ ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ مَا



فيه من الأسرار والحِكَمِ البالغة والى العلم بأنه الوسيلة العظمى الى نيل السعادة الكاملة في الدنيا والآخرة ، فمن كان متفهما في دين الله تعالى هذا التفقه فهو ممن أراد الله به خيرا كثيرا ينال حظه في دنياه وآخرته ، ومن لم يكن كذلك فهو من المحرومين الذين ذكروا بآيات ربهم فأعرضوا عنها وتولوا مستكبرين وضلوا عن سواء السبيل .

بعد ذلك أُرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ( وإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ ) الى أنه عليه الصلاة والسلام انما هو مُوزعٌ عليهم جميع علوم الدين وموصلها اليهم مع التسوية بينهم في تبليغها لهم لا يَخْصُ فريقا بشيء دون فريق ولا تأثير له في تعيين مقدار نصيب كل واحد منهم بل انما ذلك التعيين لله سبحانه ، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم ( وَاللَّهُ يُعْطِي ) اى أن التفقيه في الدين انما هو من الله وحده لأن نعمة الذكاء والفطنة التي بها يكون التفقه والفهم الكامل انما يَقْدِرُ عليها الله تعالى دون سواه فهو سبحانه الذى يجعل نصيب فلان من التفقه في الدين بمقدار معين فيكون هو قِسْمُهُ ونصيبه الذى يوصله اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغه كل على قدر ادراكه وذكائه الذى وهبه الله له ، وأعتبر هذا الذى ذكرناه بما تعلمه من أمر المعلم مع من يعلمهم يظهر لك معنى الحديث الشريف واضحا جليا ، ألا ترى أن المعلم يلقى على المتعلمين المسائل محدودة مضبوطة من قبل القاء رتب أجزاءه ترتيبا ونسق جملة تنسيقا وأسمعهم عبارته جميعا وسوى بينهم في الإِعلام والتعليم <sup>(١)</sup> . وبذل ما استطاع من أساليب الإِفهام والتفهيم ، ثم بعد ذلك يكون حظ كل متعلم مما تلقاه عن معلمه بقدر استعداد فطرته وذكاء عقله وصفاء نفسه الذى فطره الله تعالى عليه ووهبه إياه . فما أشبه هذا المعلم المُخْلِصَ حينئذ بالزارع الخبير المُجِدِّ ! يُهَيِّئُ الأسبابَ ويُعِدُّ الوسائلَ ويمهّد المزرعة ثم يَبْذُرُ الحبَّ وينثره فيها بالتساوى والقِسْطِ ثم يُسَلِّمُ الأمر ويَفُوضُ العاقبة الى الله الذى جعل لكل شيء قَدْرًا وَخَصَّ مِنْ فَضْلِهِ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ مِنْ نِعْمَتِهِ وهو العليم الحكيم .

(١) الاعلام مرة بعد أخرى . ومنه ( قل اتعلمون الله بدينكم ) . ومثله التفهيم .

هذا : ثم ان الفقه في اللغة. هو <sup>(١)</sup> أن تتوصل بالأمر الذي تعلمه الى الأمر الذي تجهله فتجعل الشيء المعلوم لك الحاضر في ذهنك وسيلة تتوصل بها الى إحضار الشيء الغائب عنك فمن هذا يتبين لك أن الفقه اخص من مطلق العلم ، ويكون معنى تفقيه الله تعالى لمن يريد به خيرا هو انه سبحانه يُفيض عليه من لدنه فيوفقه لصحة ترتيب ما في نفسه من المعلومات ويلهمه نظم ما هو حاضر عندها من صحيح المقدمات ليُعبّر بها الى العلم بما هو مجهول له ويستنبط منها ما يتناسب معها ويشاركها في حكمها وحكماتها .

فاذا تلقى المتعلم عن معلمه مسألة وعلم حكمها . فعلى قدر ادراكه الغريزي يكون قدر فهمه لها ، فان كان ضعيف الفطنة فإنه يفهمها ويقف ادراكه عند فهمه لما ظهر له منها لا يتجاوزُه الى ما يائئها من مسائل أخرى لم يسمعها من المعلم ، واذا كان قوى الفطنة ذكيا فإنه يتخطاها وقيس عليها امثالها ويستنبط منها اشباهها والناس في ذلك متفاوتون تفاوتوا لا يتناولوه عدو ولا احصاء .

على هذا السّنن وأمثال منه وأحكم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم المساميين ويُلقّنهم أحكام الله تعالى التي علمه اياها ويرشدّم الى تفهّم ما أنزله عليه في كتابه العليّ الحكيم . كان يُلقّي عليهم ما يراه انسب بحالهم الحاضرة ويقدم اليهم ما هم احوج اليه من غيره ، يعدل بينهم في التعليم ويسوى بينهم في التقسيم والتوزيع ولكل منهم نصيب من عناية النبي صلى الله عليه وسلم وتبليغه يعادل نصيب اخيه الآخر ، وهذا كما قد مناه لك معنى قسمته عليه الصلاة والسلام في قوله ( وأما أنا قاسم ) أى مؤزّع بينكم بتبليغ دين الله تعالى بالعدل وموصله اليكم على المساواة بعد أن تتساوى أنصبتهم في قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم التبليغ بينهم وفي فهمهم لها فهما صحيحا تفاوت حظوظهم فيما فهموه قوة وغيرها قلة وكثرة تفاوتوا نشأ من تفاوتهم الخلفي في الاستعداد والذكاء والافهام ، لا من تفاوتهم في التبليغ والتعليم والافهام ، لذلك كان منهم من يفهم المعنى

الظاهر الجليّ فيها سديدا من تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم لا يتعداه الى ما هو خفي عليه لأن استعدادَه لا يَقْوَى على الوصول اليه ، ومنهم من اذا فهم ما سمع تأمل فيه وتدبر وجال فكره فيه وأمعن في نواحيه حتى يدرك ما فيه من رموز واشارات صحيحة ويعرف ما اشتمل عليه من أسرار وحكم بالغة وتتجلى له المعاني التي هي وراء ما سمعه فيقيس<sup>(١)</sup> الأشباه على الأشباه ويلحق النظائر بالنظائر ويستنبط من أصول دين الله الصالح لكل أمة في أي زمان ما يوافق المصالح الحاضرة مبيئا للناس ما فهمه وما استنبطه موضحا لهم من أين استنبط وكيف استنبط لا يهتم بعد ذلك أنه شرع لهم ما لم يأذن به الله فاذا أصاب فيما اجتهد فيه قبلوه منه وله عند الله أجران وان لم يُصِبْ ردّوه الى الصواب وله أجر ، وعلى الجملة كانوا في تعرف أحكام الدين واستنباط ما ينطبق على مصالحهم المشروعة الحاضرة مؤتمرين بقول الله تعالى ( وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ) وقوله ( وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَخُصِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ) وقوله ( فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . ذَلِكَ خَيْرٌ<sup>(٢)</sup> وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا<sup>(٣)</sup> ) .

هذا هو الصراط المستقيم الذي سار عليه الصحابة رضي الله عنهم ، ثم اقتدى بهم في ذلك خلفهم الصالحون من التابعين وتابعيهم ، ثم جاء من بعدهم الأئمة المجتهدون فاهتدوا بهديهم واستنوا بسنتهم ، إمامهم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي جمع كل صلاح الدين والدنيا كما قال عز وجل ( مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) .

وكذلك كانت قدوتهم الحسنة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسر لهم كتاب الله تعالى وترشدهم كيف يتعلمون ويعلمون كما قال الله تعالى جل ذكره ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) .

(١) إعلام المرقفين

(٢) عمل صالح مشكور عند الله والناس أجمعين

(٣) ما لا وعافية .

لعل الذين اجترأوا على الدين الاسلامي فاتهموه عمداً أو جهلاً بأنه كغيره من الأديان إن صلح فانما يصلح للأرواح . أما الحياة الدنيوية الزمنية فانه لا صلة بينه وبينها . لانه خلوه مما يصلحها ويقومها ، وأن ما يدعيه له أنصاره فانما هو أشياء جافة جمدوا عليها وأنما إن ناسبت كما زعموها له فانما هي أمور قد عهدها كانت لزمن سلف وأمة قد خلت ، لعلمهم تبينت لهم مما شرحناه حقيقة ذلك الدين فعلموا أنهم في اتهاهم له بذلك كانوا عن صراط الحق ناكبين ، ولعلمهم اعترفوا لدين الله تعالى بأنه دين حرية العقل المشروعة وأنه سبيل الإصلاح الديني والأخروي مذعنين .

نقول أمّا أن حقيقة الاسلام الحنيف قد تبينت لهم فانه لا شك فيه ولا جدال على أنها ما خفيت على بصائر أولى الألباب منذ أن أشرقت شمسها وبلغت الدعوة إليها مشارق الأرض ومغاربها ، كما قال عز اسمه ( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ) . وأمّا أنهم علموا أنهم كانوا عن سواء السبيل منحرفين فانه كذلك لا نزاع فيه ولا وراء فان المبطل اذا أخذته العزة بالإثم فأنكر على الناس علمه بالحق فانه لن يستطيع إنكاره على نفسه التي بين جوارحه .

وأمّا اعترافهم بان دين الاسلام هو وحده دين الله الذي لن يقبل من احدي دين سواه كما قال سبحانه ( ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ) فان كان هذا الاعتراف منهم بالسنتهم ترجاناً لما في قلوبهم فقد آمنوا بمثل ما آمنتم به وكانوا مهتدين وإن كان الاعتراف منهم على غير ذلك الوجه ا ولم يعترفوا اصلاً ( ولا نخال صدورهم عن جعل الله لهم سمعاً وأبصاراً وافئدةً يقدرونها قدرها ) فاننا لانأمن من رجوعهم الى الحق وقتاً ما ، فان الباطل لا يتراءى<sup>(١)</sup> للنفوس الا في اشتغال الحق عنه فاذا فرغ له دمه<sup>(٢)</sup> فاذا هو زاهق<sup>(٣)</sup> . ( إن الباطل كان زهوقاً ) .

هذا . ثم أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك العاقبة الحسنى لمن اعتصم

(١) لا يتصدى ولا يعرض للنفوس لتراه (٢) اصاب دماغه . والمراد ازهقه (٣) ذاهب زائل .

بهذا الدين الحنيف واطاعه والعاقبة السوءى لمن أعرض عنه وعصاه فأخبر أن هذه الأمة المحمدية التى اكرمها الله المتفضل بهذا الدين القويم ستستمر قائمة على امر الله سائرة على تعاليم دينه ممثلة أو امره مجتنبه نواهيه منفذة أحكامه حافظة لشرائعه وحينئذ يكافئها الله تعالى فى الدنيا بان يحفظها ممن يخالف دينها فيرد عنها كيد اعدائها ويدفع عنها شرورهم ولا يسلطهم عليها ولن يجعل الله لهم عليها سبيلا بل يجعلها مهيبة ملء قلوبهم واعينهم ويجعل الفوز والنصر العزيز ونفاذ الكلمة وعزة السلطان وقوة الجانب لها عليهم . ولكن هذه المكافأة الحسنى من الله تعالى لهذه الأمة المحمدية انما تكون مادامو امعتصمين بعروة دين الله الوثقى ، عاملين بتعاليمه اما اذا نبذوه وراء ظهورهم وعصوا او امره وارتكبوا محارمه فاذا ذلك يأتى أمر الله وهو حكمه على من يعرضون عن دينه ويعصون أو امره وينتكهون حرّماته بالذلة والصغار والفقر والحاجة وتسليط غيرهم عليهم جزاء وفاقا ( وما كان ربك ليهلك القرى بظلم أهلها مصلحون ) وقال سبحانه ( وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون ) فلينظر المسامون بعد ذلك ليعلموا من أى شطر من شطري هذا الحديث المبشر المندبرهم ؟ فان كانوا من شطره الأول قائمين على امر الله شكروه سبحانه أن هداهم للإيمان ووفقهم لما يرضيه عنهم ويرضيهم عنه واستوهم بوجه دوم اتوفيقهم وشكرهم له حتى يزيدهم من فضله كما وعد الشاكرين فى قوله ( لئن شكرتم لأزيدنكم <sup>(١)</sup> )

واذا كانوا من شطره الثانى الذين نسوا <sup>(٢)</sup> الله فسيهم <sup>(٣)</sup> واستهتروا لأمر الله يأتهم بغتة وهم فى خوضهم <sup>(٤)</sup> يلعبون ، نفيهم أن يتقوا الله وينظروا ما قدّموا لغيره ان الله خبير بما يعملون ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكوؤا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير

(١) لا يفتن عليكم النعمة ثم لأضعفها (٢) تركوا ذكره والعمل بدينه (٣) تركهم وخذلهم وحرّمهم موهوته (٤) فى خوضهم والباطل وسيرهم فى المعاصى وامعانهم فيها لاعين غافلين عن العوانب (٥) الم يجيء الوقت الذى تخشع فيه قلوبهم لذكره تعالى فيمثلوا او امره ويتبها عما نهوا عنه

مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ<sup>(١)</sup> وَالْأَنْصَابُ<sup>(٢)</sup> وَالْأَزْلَامُ<sup>(٣)</sup> رَجَسٌ<sup>(٤)</sup> مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ<sup>(٥)</sup> وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ . فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ؟ )

حسن منصور  
وكيل دار العلوم العليا سابقاً

## الطرف والملح

كل ما نشر وما ينشر تحت هذا العنوان فهو من مختارات فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور  
سأل ابو العيناء الجاحظ كتابا الى محمد بن عبد الملك في شفاعته لصاحب له . فكتب الجاحظ الكتاب وناول له الرجل ، فأخذه ورجع به الى ابى العيناء وقال : هاهو الكتاب ، فقال له ابو العيناء : هل قرأته ؟ قال لا ، لأنه محتوم قال : ويحك ! فضّه لا يكون صحيفة المتامس ، ففضّه فاذا فيه « مُوصِّلُ كِتَابِي سَأَلَنِي فِيهِ أَبُو الْعِيْنَاءِ وَقَدْ عَرَفْتُ سَفَهَهُ وَبَذَوْتُ لِسَانَهُ ، وَمَا أَرَاهُ لِمَعْرُوفِكَ أَهْلًا ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ فَلَا تَحْسُبْهُ عَلَى يَدَايَ وَإِنْ لَمْ تَحْسِنْ إِلَيْهِ لَمْ أَعِدْهُ عَلَيْكَ ذَنْبًا . وَالسَّلَامُ » فركب ابو العيناء الى الجاحظ وقال له : قد قرأت الكتاب يا ابا عثمان فحجّل الجاحظُ وقال : يا ابا العيناء . هذه علامتي فيمن أعتنى به . قال ابو العيناء ، فاذا بلغك ان صاحبي قد شتمك فاعلم انها علامته فيمن شكر معروفه . قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : اتقوا المزاح فانها حُمُقَةٌ تورث ضغينةً .

(١) المقامرة ايا كانت (٢) جمع نصب . وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبجون عليها ويمدون ذلك قرينة (٣) جمع زلم . وهي قطع رقيقة من الخشب . كتب على احدها ( امرنى ربي ) وعلى الثانى ( نهائى ربي ) والثالث لا كتابة عليه . ثم توضع فى كيس . ويخرج صاحب الازلام واحدا منها . فان خرج الزلم المكتوب عليه ( امرنى ربي ) مضى الشخص فيما اراد . وان خرج الذى فيه النهى لم يمض . وان خرج المهمل من الكتابة اعدوا العمل مرة بعد مرة حتى يخرج الامر او النهى . وغرضهم من ذلك معرفة ما قسم لهم أخير هو ام شر ؟ (٤) اقدار تعافى الطبايع الركية والعقول السليبة الراجحة (٥) البغضاء هنا تأثر النفس وانفعالها انفعالا غير حميد . فهي ضد المحبة واثرها الناشئ عنها العداوة . وهي هنا التعدى واساءة المعاملة . فذكر البغضاء بعد العداوة من ذكر السبب بعد المسبب (٦) استفهام معناه الامر بالانتهاء .

# مجلة نور الاسلام

تحية وتقد

ملخص مقال من فضيلة الاستاذ صاحب التوقيع في تحية المجلة وتقد كلمة  
جاءت في مقال ( الهجرة ) المدرج في الجزء الأول من هذه المجلة

عند ما قرأت في الجرائد ذلك النبأ السار الذي بشرنا بظهور مجلة نور الإسلام حمدت الله كثيراً على ظهور هذا النور ورجوت الله سبحانه أن يبدد به ظلمات الشبهات التي أحاطت بالمسلمين من كل جانب وكنت في شوق إلى رؤية هذه المجلة التي يشرف على تحريرها نخبة من العلماء الأجلاء وقد كان الواجب أن تكون في عالم الوجود من ربع قرن على الأقل بل كان الواجب أيضاً أن يكون لنا معشر المسلمين المصريين عشرات من أمثالها إذا أردنا أن يكون لنا وجود يشعر به أهل الأديان الأخرى :

وقد أسعدني الحظ بالعثور على العدد الأول منذ يومين اثنين فقرأته وعند ذلك ذكرت قول القائل « أول الغيث قطر » ودعوت الله أن يوفق القائمين بأمرها حتى تأخذ المكانة الخليقة بها إذ هذه المجلة منسوبة إلى أكبر جامعة دينية إسلامية في العالم وعلى هذا الاعتبار سينظر إليها العالم الإسلامي في جميع أقطار الأرض وحبذا لو تمكن القائمون بها من نشرها بلغات أخرى حتى يعم النفع بها

قرأت فيما قرأت من بحوثها القيمة الكلمة التي كتبها حضرة مولانا الاستاذ الكبير الشيخ إبراهيم الجبالي تحت عنوان الهجرة النبوية التي اختتمها بقوله ( ولما سمع أهل المدينة بخروجه إليهم « أي النبي عليه السلام » غلبهم الفرح والشوق إلى رؤية نبيهم فكانوا يخرجون كل يوم يرقبونه خارج المدينة حتى يشتد الحر فيعودوا إلى دورهم حتى كان اليوم الذي وصل فيه صلى الله عليه وسلم كان أول من رآه رجل من اليهود فصاح بأعلى صوته هذا جدكم الذي تنتظرون قد جاءكم ( يريد بالجد الحظ ) فاقبلوا عليه مرحبين وأخذ البنات يغنين

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع  
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

والذى لاحظته على ذلك أن فضيلة مولانا الاستاذ جارى فى قوله هذا بعض أهل السير الذين رووا هذه الأبيات وقالوا أن بنات المدينة تغنين بها عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا اليهم من مكة والصحيح أن هذه الايات أنشدها النساء والبنات والولائد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من غزوة تبوك الى المدينة قال ابن القيم فى كتابه زاد الميعاد فى ذكر هذه الغزوة ولما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ولم يذكر غير هذين البيتين ثم قال وبعض الرواة يهيم ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه المدينة من مكة وهو وهم ظاهر لأن ثنيات الوداع هى من ناحية الشام ولا يراها القادم من مكة الى المدينة ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام أى فى رواية من روى أنها قيلت عند مقدمه المدينة مهاجرا من مكة غلط مادى ظاهر كان سببه عدم معرفة مواقع الطرق والجبال المحيطة بالمدينة هذا ما رأيت بيانه فى هذه الكلمة القصيرة وهى تحيى لهذه المجلة التى أرجو لها حياة مباركة طيبة ان شاء الله تعالى

محمود عرنوس  
قاضى محكمة بنى مزار  
الشرعية

« الجواب عن ايراد ابن القيم »

نشكر لفضيلة الاستاذ علو همته وعنايته بالتحرى والتحقيق مع أدبه الجم ، فذلك هو ما ينتظر من مثل فضيلته .



ثم نقول: ان الذى ذكرناه هو ما درج عليه أهل السير، وقد أجاب صاحب السيرة الحلبية عن اعتراض ابن القيم فى ( زاد المعاد ) الذى نقله الاستاذ بان دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة من هذه الجهة كان بعد اقامته أياما بقاء، ونقل أيضا عن بعضهم ما يفيد أن العادة كانت جارية بان دخول المدينة كان من هذه الجهة، وكان فيما يزعمون أن من لم يعبر منها مات قبل أن يخرج من المدينة لوبائها، ومثل هذا الزعم مهما كان كافى فى جعل تلك الثنية هى الطريق المألوف للقادمين الى المدينة، فجرد كون ثنية الوداع ليست فى جنوب المدينة لا يكفى فى توهيم الرواة على ما زعم ابن القيم .

هذا وقد قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان عن ثنية الوداع ( انها ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة ) وقال ( واختلف فى تسميتها ثنية الوداع فقليل لانها موضع وداع المسافرين من المدينة الى مكة وقيل غير ذلك ) وعبارة القاموس ( ثنية الوداع بالمدينة سميت لان من سافر الى مكة كان يودع ثم ويشيع اليها ) فمن هذا يظهر أن ثنية الوداع كانت هى الطريق المألوف فى دخول المدينة فلا محل لتوهيم من روى ذلك .

وأما انشاد بنات الانصار هذين البيتين عند مقدمه عليه الصلاة والسلام من تبوك فلا يمنع سبق انشاد الايات الثلاثة عند مقدمه من مكة فكلمات الترحيب ملحقة بالاغاني تتكرر ولا تمل والله أعلم .

ابراهيم الجبالى

مدرس بقسم التخصص بالأزهر

### تذميه

وردت ادارة المجلة رسائل فى مسائل شتى وسيشرع فى الجواب عنها فى الجزء

القابل ان شاء الله تعالى

# أُصُولُ الْفِقْهِ

الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان

الاصول النظرية الشرعية

الاستصحاب

يجد الانسان في نفسه انه اذا تحقق عدم شيء أو وجوده كان على ظن من استمرار ذلك الشيء على ما تحقق فيه من عدم أو وجود ، ويبنى على ذلك الظن اعمالا ليس من شأنه أن يفعلها في حال ما اذا كان في شك من استمرار الشيء على عدم أو الوجود ، فاذا ناقش أحد في مراسلة الشخص ممن عرف وجوده ، وزعم أن مثل هذه المراسلة يكفي فيها أن يكون على شك من استمرار وجوده ، فانه لا يستطيع أن يناقش في أن من اشترى حيوانا غالبا مثلا كان قد رآه من قبل ، ودفع ثمنه أنه اعتمد على ظن استمرار حياته ، ولا يستطيع أن يناقش في أن من اقتحم بصيئته مفازة مغبرة الأرجاء دون أن يحمل معه ماء كافيا انما اعتمد على ظنه بقاء ماعرفه فيها من آبار نابعة ، ولولا ما يغلب على ظن الاب العطوف من حياة ابنه الغائب في سفر لما كان يبيت الا في قلق وحيرة ، وانك لتجلس الى الانسان العاقل وتسأله عن شخص عرف أحواله ثم انقطع عنه شهرا أو سنة فيتحدث عنها بكلام من لا يشك في أنها واقعة في الحمال ، فيقول : هو موسر أو بائس ، له ولد أو لا ولد له ، بينه وبين فلان عداوة أو صداقة .

وظن الانسان لاستمرار ما تحقق عدمه أو وجوده منه الى أن الأصل في عدم الشيء أو وجوده الاستمرار حتى يقوم الشاهد على انقطاعه ، وهذا الأصل مما نظر اليه الفقهاء عند تقرير الأصل الذي يسمونه «الاستصحاب» .

الاستصحاب : أصل من أصول الشريعة التي تجعل العلماء في فسحة ، وتخلصهم

من مواقف الحيرة ، وهو أصل متفق على العمل به في الجملة وان اختلفوا في بعض ضروبه ، قال القرطبي «القول بالاستصحاب لازم لكل أحد لانه أصل تنبئ عليه النبوة والشريعة ، فان لم نقل باستمرار حال تلك الادلة لم يحصل العلم بشيء من تلك الامور» واستمرار حال أدلة النبوة والشريعة من الاستصحاب الذى لا يختلف العقلاء في صحته ولا يتطرق اليه الريب في حال

ونحن لانقصد في هذا المقام الى بسط القول بذكر مذاهب الفقهاء في الاستصحاب وتقرير أدلتها ، فوضع ذلك كتب الاصول ، والقصدان نتحدث عنه بمقدار مايستبين القارىء حقيقة أصل من الاصول التى جعلت مجال الاجتهاد فسيحا ، وطريق الفتوى ممهدة ، ولا تنجلي حقيقته الا ببيان أقسامه وضرب المثل لكل قسم منها ، وذلك مانتجراه في هذا المقال

الاستصحاب : ثبوت أمر في الزمن الحاضر بناء على ثبوته فيما مضى ، فالامر الذى علم وجوده ثم طرأ الشك في عدمه فالاصل بقاءه ، والامر الذى علم عدمه ثم عرض الشك في وجوده فالاصل استمراره في حال العدم ، فمن تزوج فتاة على أنها بكر ثم ادعى بعد البناء بها أنه وجدها ثيبا لم تقبل دعواه الابينة ، لان حال البكارة ثابت من حين نشأتها ، فيستصحب الى حين البناء حتى تقوم على عدمه البينة ، ومن اشترى طائرا أو كلبا على أنه يحسن الصيادة ، وادعى بعد أنه وجده غير متعلم لها ، سُمعت دعواه هذه الا أن تدفع ببينة ، لان حال الحيوان في الاصل عدم معرفة الصيادة حتى يعلمها ، فاذا وقع فيها تردد استصحب الاصل حتى يقوم الشاهد على ثبوتها .

والاستصحاب كسائر الاصول التى يستخلصها المجتهد من استقراء جزئيات كثيرة من موارد الشريعة ، ويرجع بمقتضى ما ذكره علماء الأصول الى أربعة أقسام (أحدها) استصحاب ماهو حكم الاشياء في الأصل حتى يقوم الدليل على ما يخالفه وبيان هذا أن كثيرا من أئمة الشريعة ذهبوا الى أن الاشياء في الاصل خالية من

الحكم ، أى أنها لاتوصف بشئ من الاحكام الشرعية من الوجوب والحرمه والندب والكراهة والاباحة ، ومقتضى هذا رفع الحرج والاثم عن الفعل والترك ، ورجح فريق انها على الاباحة ، ومآل القولين واحد فان الحرج في الفعل والترك مرفوع على كلا المذهبين ، وانما يمتاز مذهب الاباحة بانه صريح في التخيير ، أما مذهب انتفاء الاحكام فغاياته رفع الحرج ، ورفع الحرج لا يستلزم التخيير في الامر لاحتمال أن يكون مكروها ، ورأى آخرون أنها على المنع ، وأدلة هذه المذاهب مبسطة كما ذكرنا في كتب الاصول

وتظهر فائدة الخلاف في الاشياء التى لايجد المجتهد على حكمها من دليل ، أو الاشياء التى تتعارض عندها الادلة ولا يبدو له في جانب أحدها وجه من الترجيح . فهذه الاشياء يرجع بها كل فريق من أصحاب هذه المذاهب الى استصحاب مايراه أصلا للأشياء ، فهذا يستصحب فيها انتفاء الحكم فتلحق بما لاهرج فيه ، وذلك يستصحب فيها الاباحة فتكون من قبيل الخير في فعله وتركه ، والاخر يستصحب فيها المنع فتدخل فيما لايجوز الاقدام عليه ، وقد يسبق الى ظنك أن القول بانتفاء الاحكام واستصحاب هذا الانتفاء فيما لايطلع له المجتهد على حكمه يجعل بعض الافعال خالية من أحكام الشريعة ، فيدفع هذا الظن بان المجتهد يصل به الدليل المعتمد به في نظر الشارع الى أن مالا يجد له حكما في نص أو قياس ، يستصحب الأصل الذى هو انتفاء الاحكام الخمسة المقتضى رفع الحرج ، فيرجع الى أن حكم الشارع فيه رفع الحرج في الفعل والترك ،

هذا : وقد اختار كثير من المحققين أن الاصل في الاشياء الاباحة ، فهى على التخيير حتى ينهض الدليل على ماسواه من كراهة أو حرمة أو ندب أو وجوب ، فاذا عرض لهؤلاء أو للقائلين بان الأصل انتفاء الأحكام أمر اجتهدوا في تعرف حكمه من الأدلة السمعية أو القياسية ، فان لم يظفروا به هناك استصحب الاولون فيه الاباحة واستصحب الآخرون رفع الحرج والاثم . ومقتضى هذا الأصل ان كل مايوجد في

هذا الكون من جماد أو نبات أو حيوان ولم يرد في الشرع ما يقتضى النهى عن تناوله واستعماله ، يكون من قبيل المأذون فيه .

ذلك ضرب من الاستصحاب ، وهنا ضرب آخر وهو استصحاب مادل الشرع على ثبوته كملك الارض أو البضاعة عند تحقق القول المقتضى له ، وحل النكاح بعد امتلاك العصمة وشغل الذمة عند التزام مال أو اتلافه فاذا عرض شك في الملك أو حل النكاح أو شغل الذمة ألغى الشك وقضى باستمرار الملك حتى تقوم البيئة على نفيه ، وببقاء العصمة حتى يعلم انقطاعها ، وببقاء الذمة مشغولة بما التزمت بقيمة ما اتلفت حتى تثبت براءتها باقرار أو بينة

والقضاء ببقاء الملك أو العصمة أو شغل الذمة مع عروض الشك فيها ، يستند الى استصحاب مادل الشرع على ثبوته قبل حال الشك ، فصار بعد حال الشك بمنزلة المعلوم . ولم يختلف أهل العلم في العمل بهذا الضرب من الاستصحاب الا أن يقوم تجاهه ما يراه المجتهد أقرب دلالة واظهر حكما .

ذانك ضربان من الاستصحاب وهنا ضرب ثالث وهو استصحاب العدم الاصلى كان يدعى الشريك أو المضارب أن المال لم ينتج عنه ربح ، فتقبل دعواه استصحابا للأصل الذى هو عدم الربح الا أن يثبت الربح ببينة ، ومن مثله أن يشتري المضارب صنفا من البضائع فيدعى صاحب المال أنه نهاء عن شراء هذا الصنف ، وينكر المضارب ، فالقول للمضارب استصحابا للأصل الذى هو عدم النهى ، وهذا الضرب من الاستصحاب لا يخالف في العمل به أحد من أهل العلم الا أن يصرفه عنه دليل أظهر منه وأقوى .

تلك ثلاثة أضرب من الاستصحاب ، وهنا ضرب رابع منه وهو أن يعلم ثبوت أمر عقلى أو حسى باحدى طرق العلم ، ثم يقع الشك في زواله فيستصحب بقاؤه وتجربى الاحكام على هذا الاستصحاب حتى يحصل العلم أو الظن بزواله ، ومن أمثله الدائرة أن يفقد شخص فيقوم بعض من شأنه أن يرثه مدعيا وفاته ومطالباً بقسم ماترك من

مال ، فترد دعواه بان حياة ذلك الشخص كانت قبل الفقد معلومة فتستصحب فيما بعد حتى يقوم الشاهد بوفاته .

وهذا الضرب من الاستصحاب يعمل عليه كثير من أئمة الفقه ، وخالف في حجتيه أئمة آخرون ، وذهبوا فيه مذاهب وسعتها كتب الاصول بحثا واستدلالا . تلك أربعة أضرب من الاستصحاب وهنا ضرب خامس يسمى استصحاب الاجماع ، وهو أن يكون الامر بحالة ويتفق فيه على حكم ثم يتغير الى حالة أخرى ، فيستصحب حكم الاجماع في الامر بعد تغيره حتى يقوم الدليل على أن له حكما غير ما انعقد عليه الاجماع ،

والمثال الذى يوضحه : مناظرة جرت بين أبى سعيد البردعى وداود الظاهرى في بيع أم الولد ، قال داود الظاهرى : قد اتفقنا على جواز بيعها قبل العلوق بالحمل ، فمن زعم أن بيعها بعد الولادة لا يجوز فعليه الدليل ، فقال أبو سعيد : قد اتفقنا على منع بيعها حاملا ، فمن زعم أن يبيعها بعد الوضع جائز فعليه الدليل ، فسكت داود ولم يحر جوابا ، وهذا النوع من الاستصحاب قبله بعض أهل العلم ورده آخرون .

ذلك الاستصحاب وتلك أقسامه ، وقد استنبط الفقهاء استصحابا آخر هو على عكس الاول ويسمى الاستصحاب المقلوب ، وحقيقته ثبوت أمر في الزمن السابق بناء على ثبوته في الزمن الحاضر ، وللمالكية فتاوى مبينة على رعايته ، كمسألة الوقف الذى لا يدرى بعد البحث أصل مصرفه وشرط واقفه ، ولكننا نجد في الزمن الحاضر يصرف على حالة : اذ قالوا : ان هذه الحالة تستصحب فيما قبله ويحمل على أن مصرفه في الاصل هكذا ، وتكون الحالة التى يصرف عليها صحيحة حتى تقوم البينة على عدم مطابقتها لما صدر من الواقع . وكمسألة الزوج يغيب عن زوجته دون أن يترك لها نفقة ثم يقدم فتطالبه بما أنفقت في غيبته ، فيدعى أنه كان في مدة الغيبة معسرا وتدعى هى أنه كان موسرا : اذ قالوا : انه ينظر الى حال قدومه من عسر أو يسر وتستصحب في زمان الغيبة ، فان قدم موسرا عد في الغيبة ذا يسار وقضى عليه بما تطلب الزوجة من النفقة ، فهنا ثبت أمر وهو يسار الزوج في الزمن السابق أعنى زمن الغيبة بناء

على ثبوته في الزمن الحاضر أى زمن قدومه بالاستصحاب .  
وانما يعتمد المجتهد على الاستصحاب بجميع أقسامه بعد أن ينظر في الحادثة  
ولا يجد لها حكما في نص أو قياس ، قال الخوارزمي في كتاب الكافي «الاستصحاب  
آخر مدار الفتوى فان المفتى اذا سئل عن حادثة يطلب حكمها في الكتاب ثم في السنة  
ثم في الاجماع ثم في القياس ، فان لم يجده يأخذ حكمها من استصحاب الحال في النفي  
والاثبات ، فان كان التردد في زواله فالاصل بقاؤه ، وان كان التردد في ثبوته  
فالاصل عدم ثبوته» .

هذا صفوة مايقوله أهل العلم في الاستصحاب ، وقد رأيت كيف يفتح للفقهاء  
طرقا يصدرون بها الفتوى في يسر، وينفذون منها الى فصل القضايا في سرعة، علاوة  
على ما فيه من الدلالة على ساحة الاسلام وانه دين الفطرة الذى لا يشعر أولياؤه  
بمخرج فيما شرع من أحكام .

(يتبع) محمد الخضر حنين

## الطرف والملح

وقال ابو الحسن الماوردى : الفرق بين العقل والمروءة ان العقل يأمر بالأنفع .  
والمروءة تأمر بالأجل ولا ينقاد للمروءة الا من سهلت عليه المشاق . رغبة في الحمد .  
ولذلك سيد القوم أشقاهم .

قال ابو الطيب :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقرُ والإقدام قتال  
وقال ايضا :

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام  
وقال شاعر حكيم :

الماء يغسل ما بالجسم من دنس وليس يغسل قلب المذنب الماء

# اصْبُوا لِلدِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الاسلام دين الفطرة

قال الله تعالى ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ) وقال تعالى ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ )

وعدنا في العدد السابق أن يكون الكلام في الاحكام العملية وما فيها من مسابقة الفطرة السليمة ومظاهر الرحمة ، ووفاء بما وعدنا نذكر اليوم بعض ما تضمنته أحكام الشريعة الغراء من بالغ الحكمة ووفائها بمصالح البشر على وجه يكفل سعادة الحياتين ونعيمهما فنقول .

الاحكام العملية ثلاثة أقسام (الأول) الاحكام المتعلقة بما بين العبد وخالقه و (الثاني) الاحكام الراجعة الى الانسان في خاصة نفسه و (الثالث) الاحكام المنظمة للعلاقات بين المرء وسائر الناس أو وسائر الخلائق .

نقسمها هذا التقسيم وان كانت جميع الأفعال متى قصد بها الوقوف عندحد ما أذن الله فيه كانت مرضاة لله موجبة للمثوبة، وإذا تعدى بها حدود ما نهى الله عنه كانت موجبة لسخطه ، وكذلك بعض أفعال العبادات راجعة الى تنظيم العلاقات بين الناس بعضهم وبعض .

( فالقسم الاول ) وهو ما يعرف بالعبادات قد جمعه الحديث الشريف « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » رواه البخارى ، وقد سميت أركان الاسلام وقواعده ، فانظر اليها واطل التأمل والتفكير تستجمل ما حوت من معان وحكم ، ألا ترى عمادها الاول وركنها الاقوم شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، أنظر في التعبير بكلمة شهادة



وقد عُرِفَتْ في التحدُّث بما تعامه علم الشهود ، علما لا شك فيه ولا ريبه ، علما يجعلك كأنك تحدث عما تشاهد ، لا أنك سمعت الناس يقولون قولاً فقلته ، ثم انظر الى الشطر الاول منها تجد الاعتراف والاذعان بأنه ليس في الوجود من له الهيمنة والتصرف ويده وحده مقاليد كل شيء ومن له الخلق والامر ومن وسع كل شيء رحمة وعلما ومن بيده قلب القلوب وتصريف الامور وتقدير الشؤون ومن هو الضار والنافع وهو على كل شيء قدير ، سوى واحد أحد هو الله لا شريك له في الملك وليس لأحد معه في الامر شيء فلا ينبغي أن تخضع النفوس الاله ولا ترجو ولا تخشى سواه ، أنظر كم فيها من اطلاق نفس الانسان من العبودية للانسان بله الجداد والحيوان ، أنظر ، كم فيها من السمو بالنفس الى مرتبة السيادة والاستقلال والرجوع الى من هو مرجع الجميع ، لا فضل لاحد على أحد إلا بالزنى لديه والتقرب اليه ، أنظر ، كم فيها من الاشعار بأنه هو الاله الذي يعلم السر وأخفى ، ويعلم خواطر النفس وما تخفى الصدور ، الذي يطاع عليك في خلوتك ويعلم دخيلة نفسك وهو قابض على ناصيتك ومالك زمام قوتك وأنت الغارق في نعمته السابح في بحر رحمته ( وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ) ( وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ) ، انظر وتأمل كثيرا ثم حدثني بالله أليس من أكبر العجب كما قال الحريري « ان تتواري من مملوكك وأنت برأى من مليكك وان تجاهر بمعصيتك مالك ناصيتك ؟ » ألا تشهد معنى قوله صلى الله عليه وسلم ( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ) أليس صحيحاً أنه لو استحضر معنى ما ينطق به كل ساعة ويعتقده اعتقادا تاما وإن كان يغفل عنه أحيانا — وهو أن القوة التي يحارب بها ربه هي هبة من ربه وأنه مطلع عليه كما يطلع الرجل على الرجل بل أكثر وأكثر ؟ ! — لو استحضر ذلك لكان على صفة صهيبي التي وردت في الأثر الشريف « نعم العبد صهيبي لو لم يخف الله لم يعصه <sup>(١)</sup> » بلى ان أمر الانسان لعجب ؟ ؟ يستخفي من مملوكه الذي لا يقدر له على شيء وهو برأى مليكه الذي بيده مقاليد كل شيء ، وما أصدق قوله صلى الله عليه وسلم ( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ) فلو استحضر معنى ما هو مؤمن به وأجراه على قلبه لكان ان لم

(١) المراد أن لديه من الاجلال لربه والحياء منه ما يحول بينه وبين معصيته ولو لم يخف منه

يمنعه الخوف من عقاب الآخرة منعه الحياء من اطلاع سيده الذى وهبه نعمته ليستعملها فى طاعته فقلب على نفسه النعمة وصيرها تقمة ( فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ ) .

وأما الشرط الثانى وهو « وان محمد رسول الله » فهو الوصلة العظمى والعروة الوثقى بين ما يفهم من الشرط الاول وبين جميع أحكام الشريعة الغراء ، فتنى أذعنت النفس واعترفت بما تعلمه علم اليقين والمجاهدة ، حتى صبح لها أن تقول أشهد واحداً بما أعلم أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو من عند الله أرسله إلينا بالبينات والهدى ، فما أمرنا به فانما أمرنا به ربنا وما نهانا عنه فهو جل شأنه النهى فى الحقيقة كما قال تعالى فى الكتاب العزيز ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) — كان ذلك مدعاة للنفس التى يصح أن يقال لها نفس انسانية تميز ما ينفعها مما يضرها أن تأخذ بقدر استطاعتها من هذه الامور التى هى تجارة رابحة وموجبة للزلفى عند الله وباب مرضاته وأن يرتدع ارتداعاً تاماً عما يوجب غضبه ، وأنه ليكفى العاقل فى المسارعة الى امثال هذه الاوامر علمه أنها من أمر ربه موجبة لرضائه ، وأن مخالفتها موجبة لسخطه وغضبه ، يكفى هذا لدى العاقل ولو فرض أنه لا يترتب على امتثالها أو مخالفتها ثواب أو عقاب ، فان النفوس الشريفة ليس شئ أحب اليها من أن تعمل عملاً يبلغ مرضاة من له عليها منة ما ، فما بالك بمرضاة من هو صاحب المنزل كلها فى الحقيقة ، وما كانت منة أحد على أحد إلا لأن المنعم الاعظم جعل بعض عبادته طريقاً لتوصيل نعمته الى بعض ، والكل من الله وحده فلا اله الا الله ولا متصرف فى الكائنات سواه : أجل يكفى هذا وحده فى اقبال النفوس على الطاعة وارتداعها عن المعصية ، فكيف اذا علم أن الطاعة موصلة الى جنة عرضها السموات والارض ، وان المعصية قائدة الى نار وقودها الناس والحجارة ؟ أليس هذا يجعل من أكبر العجب أن يحارب المرء بمعصيته مالك ناصيته ؟ أو ليس هذا مما يشرح لنا قوله صلى الله عليه وسلم ( لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ) الى آخر الحديث وفوق هذا فقد اقتضت حكمته جل شأنه أنه لم يتعبنا الا بما فيه مصلحة عاجلة لنا .

لم يمتحن بما تعيا العقول به حرصا علينا فلم ترتب ولم نهم  
وان كان هو السيد المالك يكفي في وجوب المسارعة الى امتثال أمره ان ذلك  
موصول الى رضاه وهو صاحب النعمة حتى في أصل الوجود والتكوين .  
نقول لم يتعبنا الا بما فيه مصلحة واضحة لنا سواء في العبادات وهو ظاهر في  
أصولها وجملتها وان خفي علينا في بعض تفاصيلها ، وفي المعاملات وهو ظاهر واضح في  
جملتها وتفصيلها وان غم على بعضهم انقيادا للنظرة العجلى في مستحدثات الشؤون ومجارات  
الاهواء ، وفي الاخلاق وهو أظهر وأوضح .  
واليك البيان في بقية أقسام العبادات .

الصلاة : الصلاة عماد الدين فمن ضيعها فهو لما سواها أشد تضييعا . أجل ، فانها جماع  
أركانها ، فقد اشتملت على الشهادتين وانفق المصلي بعض ماله في العبادات ، وهو بذل الماء  
للطهارة ، وأمسك عن كل ما يمسك عنه الصائم ، واتجه نحو البيت الحرام تنسكا وتعبدا ،  
وقد غنى الشارع بها حتى جعلها تتكرر في اليوم حتما خمس مرات ، وجعل أعمالها مكررة  
في كل مرة مثنى وثلاث ورباع تثبيتها وتمكينها في النفس ، بل جعل بعض أعمال الركعة  
الواحدة متكررة فيها كالسجود مبالغة في اخضاع النفس لخالقها وحده ، ولقد شبهها صلى  
الله عليه وسلم بالنهر يكون أمام بيت الرجل يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فلا يبقى فيه  
من درن وبلغ من عناية الشارع بأمرها أنه لن يديحها لشخص حتى يستعد لها الاستعداد  
اللائق بها فيتطهر من الحدث والنجس فيطهر ثوبه وبدنه ومكانه ، وكأنه وهو يتطهر  
يقول بلسان حاله . رب قد طهرت ظاهري من الادران والافذار استعدادا لمناجاتك  
والوقوف بين يديك فأعني على تطهير باطني من كل ما يدنسني ويمعني عن الوصول لمرتبة  
الصديقين ، رب قد غسلت في الماء فاجعل ذلك تكفيرا لما جرى به لساني مما لا ترضاه لي ،  
رب وقد غسلت وجهي وهو مجمع حواسي فاجعل ذلك تطهيرا لها مما افترفت مما أشعر به  
ومالا أشعر ، وكذلك غسل يديه التي هي مظهر بطشه ومرجع عمله ثم مس رأسه الذي  
هو مستودع قوة تفكيره ، فكأنه يقول اللهم هذا مبلغ طاقتي في تطهير نفسي فأعني على  
ما بقى خفياعني ، فاذا غسل رجليه فلن يسهي بهما طاهرتين الى خير ما تسعى اليه القدم ،

ذلك هو الوقوف بين يدي ربه خاشعا خاضعا مستحضرا عظمته وجلاله وصغر كل ماسواه  
قائلا بلسانه وقلبه « الله أكبر » أليست هذه الكلمة بعد هذا الاستعداد العظيم كافية  
للنفس التي تعرف قيمتها أن تنصرف عن كل ما سواه وكل ما سواه صغير حقير والله  
أكبر؟؟ أليس ينبغي له وقد وقف بمرآى من ربه أن يقبل عليه فيذكر نعمته ويشكرها  
ويثنى عليه بانه هو صاحب الحمد وحده في كل نعمة ، فما من نعمة الا وهى منه وأنه هو  
رب العالمين خلق كل شىء فسواه وأعطاه كماله اللائق به ، ثم هو مصدر الرحمت  
والواهب لجميع العطايا ، فان لم يكفه هذا ليجذب نفسه نحوه رغبة في فضله واعترافا  
بشكره فهو مالك يوم الدين ( يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) ( يَوْمَ تَجْدُ كُلُّ نَفْسٍ  
مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا )  
وهنا تجد نفسك بين الرغبة العظمى والرهبة الكبرى فلا تجد مناصا من افراده بالعبادة  
وحده فتتجه اليه مستحضرا عظمته وتخطبه كأنك تشاهده ( إِيَّاكَ نَعْبُدُ ) ولما لم يكن  
للنفس قدرة الا منه ولا معونة الا به تخصه بطلب المعونة ( وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ) وهنا تشعر  
بأن التوفيق والهداية ليس لهما باب الا رحمته الواسعة فكم من عقول كانت راجحة فزلت  
وضلت لانها لم تدركها هدايته فيتهل المصلى الى ربه طالبا منه الهداية الى الطريق الاقوم  
طريق المتقين وأن يباعده عن سبيل المنكرين المعاندين والضالين الزائنين فيقول ( اهْدِنَا  
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ )  
وبعد هذا فسواء أقرأ بعد ذلك ما تيسر من القرآن أم اقتصر على أم الكتاب فان  
هذا المقدار كاف في أن يخضع لجلال الله ، ويطأطأء هامته أمام عظمته مسبحا حامدا معترفا  
بلسان حاله أنه هو الجدير وحده بأن يخضع له ويخشع أمام هيئته ، وتحنى الهامات تعظيما  
لقدره ، فاذا ما اطمان لهذا طلب اليه أن يرفع قامته استعدادا لامثال ما يطلب منه والقيام  
بما يؤمر به ، فيطلب اليه بعد هذا أن يخز ساجدا لله وأن يضع جبهته وهى أعز شىء لديه  
على الارض خضوعا لله وحده ليحرر نفسه من العبودية لغيره ، وهنا يحىء « أقرب ما  
يكون العبد من ربه وهو ساجد » ثم يكرر ذلك تثبيتا وتمكينا لمعلم الذلة لله وحده التي  
هى باب العزة للنفس ، فاذا ما كرر هذا العمل مثنى فى الصبح وثلاث فى المغرب ورباع

في باقي الاوقات قائماً باستحضار تلك الاسرار ، فكم يكون مطهرا لنفسه ؟ وكم يكون للصلاة من أثر في تهذيب النفوس وتطهيرها من الادران كما يغتسل المرء في نهر أمام منزله خمس مرات كل يوم فلا يبقى فيه من درن كما في الحديث الشريف . أو لم يتضح لنا بذلك قوله تعالى ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ) أو لم يظهر صدق قوله صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي قيل عنه أنه يفعل كيت وكيت وقد سأل أليس يقيم الصلاة ؟ قالوا بلى فقال ان صلاته ستنهيه .

اجل . ان الصلاة على هذا الوجه وبهذا الاستحضار عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع ولا يفوتك ان تتأمل بنفسك مغزى كلمات التشهد في آخر الصلاة أو وسطها وما فيها من توجيه التحيات والتعظيمات لله ثم اهداء السلام للواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم ، ثم السلام على نفسك وعلى عباد الله الصالحين والعودة الى الاساس الأكبر شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ثم الصلاة على النبي وعلى آله لانه الوسيلة الى هذا الخير كله .

واما التوجه الى القبلة فليشعر بانه واخوانه المؤمنين جميعاً متجهون الى جهة واحدة هي أول مهبط للوحى فينبغى ان تتحد قلوبهم كما اتحدت وجبهتهم .  
ناشدتك الله ايها المصلي ان تروض نفسك المرة بعد المرة على أن تستحضر في صلاتك هذه الاسرار حتى تتمكن من نفسك وتصبح ديدنك وعادتك ، فانك بلا شك ذائق حلاوة الأيمان وشاهد مصداق قوله صلى الله عليه وسلم ( وجعلت قرّة عيني في الصلاة ) ومصداق قوله تعالى ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ) وبالعنّة درجة الاحسان وهي « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »

الزكاة : قد جعلها الشارع الحكيم قرينة الصلاة في غير ما آية من الكتاب العزيز وذلك ان المال أعز شيء على النفس حتى قالوا المال شقيق الروح ، اذ يشعر المرء أنه مامن غرض يبتغيه الا وجد المال وسيلة اليه ، فامر هذه صفته ومنزلته في النفس كم يكون الخروج عنه بلا مقابل عاجل صعباً على النفس وشاقاً ، فلا جرم ان جعل الشارع بذله وهو على هذه الصفة ابتغاء مرضاة الله علامة الانقياد لطاعته والرغبة في مرضاته ، وكان

جديرا بالنفس التي ربيضة على التهذيب الدائم حتى اصبحت سلسة القياد لطاعة مولايها ان يكون اول مظهر هذا الانقياد الاقبال على بذل النفيس العزيز حبا في احراز المطلب العزيز وهو رضا الرحمن ، فانظر كيف ان العبادات يأخذ بعضها بحجز بعض حتى تكون هيكل عظيم وبناء شامخا ، وقد افردنا في الجزء الاول للزكاة مقالا في هذه المجلة شرح بعض مالها من مزايا وان كانت اسرار التشريع اوسع من ان يستوفى مثل هذا القلم القاصر .

الحج: جاءت الشريعة الاسلامية المطهرة لتكون الاممة وتوحد صفوفها وتجمع شملها وتقوى كتلتها وتمتد بنيتها كما كفلت تهذيب الفرد وتطهير نفسه ورفعته عن الدنيا والدنس وعن الخضوع خضوع العباد لغير ربه ، والامة الاسلامية لا يحويها صعيد واحد ولا يحصرها اقليم واحد ، وانما هي تعمر الارض مشارقها ومغاربها ، ولكل امة مزاياها ورزاياها ورب امة ممتعة بمزاياها قد حرمت مزية كبرى امتازت بها امة تعيش بمنأى عنها وكذلك رب رزية حلت بقوم وقد نجا منها غيرهم بما هداهم الله اليه .

ولما كان الاسلام قد جعل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وجعل المؤمنين في توادهم وتراحهم كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى — كان تشريع امر الحج تشريعا عجبا يهدي الى الرشده وينقذ من الضيم ويعين البعض على مساعدة البعض ويجعل التراح بين المؤمنين والتساند حقيقة لاخيالا ففرض على المؤمنين ان يحج منهم من استطاع ليشهدوا منافع لهم وليطوفوا بالبيت العتيق الذي هو قبلتهم ورمز وحدتهم ووجهتهم في عبادتهم لحكم جليلة لان الله في مكان فسبحانه عن ان يحويه مكان ، وقد تضمن بما شرع فيه من التجرد عن متاع الحياة الدنيا ذكرى يوم البعث والنشور ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وكان الحجاج يقولون بلسان حالهم ربنا اننا تجردنا من كل شئ لنقبل عليك فلييك اللهم لييك . وقد اقتضت حكمته جل شأنه ان يجعله في واد غير ذي زرع تجبي اليه ثمرات كل شئ لينجو من ان يكون مثار التنازع على الملك من حيث احتوائه على زخرف الحياة الدنيا ومتاعها ، فاذا ماتنوزع على الأمر فيه فليس الا للقيام بخدمة عباد الله ، واقامة شعائر

الله وهكذا كان وهكذا يبقى الى ما شاء الله، وقد نفرد للحج مقالا نبغ فيه جهد المستطيع ان شاء الله .

الصوم : اما الصوم فما احوج النفوس التي غرقت في لذائذ الحياة وانغمست في الترف والنعيم ان تشعر ردحا من الزمن بالحاجة الى المربي الاعظم وتذكر نعمته عليها ولا يذكر بالنعمة الاقفدها كما قالوا « الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى » وليس هذا قاصرا على نعمة الصحة ، فالانسان دائما مولع بالنظر الى ما حرم منه غافل عن الاعتداد بما متع به ، ولذلك جاءت الايات تترى حاثثة على تذكر النعم للقيام بشكرها ، ومن اعظم نعم الله على عباده المؤمنين التي تكررت حتى اصبحت كأنها امر طبعي مألوف لا يحس به ، هو الاطعام من جوع ، فاقتضت حكمة العليم الحكيم ان يكلف الانسان ان يجمع نفسه جزأ من الزمن ليشكر نعمته عليه وليذكر حال من حرم من هذه النعمة بسبب الفقر فيعطف عليه ، وليهذب نفسه ببيان عجزها وضعفها حتى ترجع الى خالقها ، ثم تعويد النفس على ضبط عواطفها ، وتربية ملكة الصبر والامانة فيها .

نسأل الله تعالى ان يرزقنا التوفيق لطاعته ، ويباعد ما بيننا وبين معصيته . فانظر الى هذه الاحكام وما احتوت من اسرار وحكم عقلك فيما اذا كشف لك الغطاء وكنت من انور الناس بصيرة وارجحهم عقلا وهديت الى ما لم يهتد اليه غيرك ، ثم كلفت ان تضع للناس قانونا يهذب من طباعهم ويسلس من قيادهم ويلين شكيמתهم ويزيل الاحقاد من نفوسهم حتى يتم تراحمهم أفكنت واجدا خطة أهدي تتبعها ام انت معترف بان الكمال لله وحده ، وان هذا هو الدين الحنيف ( فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ) وسيكون كلامنا فيما يلي على القسمين الباقيين ، قسم الاخلاق ، وقسم المعاملات فلا يأخذك الضجر والسأم ، فانما هو نور الاسلام يُجلى بين يديك لينير البصائر ويظهر السرائر ويصفي الضمائر والله المستعان .

ابراهيم الجبالى

مدرس بقسم التخصص بالازهر

## الجن

موضوع غريب . واغرب منه الخوض فيه . وما كنا لتتصدى له لولا أن مهمة هذه المجلة محاربة الشبهات والرد بالتى هى أحسن على ما يوجه من المطاعن نحو الاسلام والمسلمين . خصوصا ونحن في عصر قد فشا فيه الاحاد وانتشر فيه الزيف والفساد . واصبح القابض على دينه كالقابض على الحجر . والتمسك بآدابه وسننه يرمى بالجمود والتأخر . وترمقه الاعين بالازدراء والسخرية

نقول هذا لمناسبة ما نشرته مجلة العالم الاسلامى (The Moslem World) محررها القس زويمر في عددها الصادر في أبريل الماضى عن اعتقاد المسلمين في بلاد الفرس في الجن وكيف أنهم ينسبون اليهم كثيرا من خوارق العادات وغرائب الأفعال . وبعد أن استرسل الكاتب في سرد ما يقوله الفارسيون عن الجن وتأثيرهم في كثير من نواحي حياتهم اليومية ختم مقاله بما يأتى :

«ان السواد الأعظم من مسلمى فارس يؤمنون بوجود الجن ايمانا راسخا ويجعلون لهم علائق وثيقة بجميع شئونهم البيتية وحياتهم الدينية بحيث يعتقدون أن الجن ملازمون لهم من المهد الى اللحد . وليست عقيدتهم هذه وليدة الخرافات الموروثة منذ الجاهلية الأولى بل هى مستمدة من القرآن والسنة وكلام الأئمة . لذلك أصبحت هذه العقيدة عاملا ذا شأن في عقلية المسلمين من الشيعة»

والقارىء لتلك المقالة يستخلص منها أمرين : أولا أن الكاتب يعيب على الفرس تمسكهم بكثير من الخرافات التى تدور حول الجن وعلاقتهم ببنى الانسان . والاثر الثانى أنه يسخر من وجود ما يسمونه بالجان وينسب تعلق الفارسيين بتلك الاوهام الى ماورد في القرآن والسنة من الآيات والأحاديث الدالة على وجود أولئك المخلوقات .

أما عن خرافات الفارسيين فلن نبحث فيها من حيث الصحة والبطالان . لأنه مامن



أمة على وجه الأرض الالهة خرافات ويتناقلها افرادها جيلا بعد جيل ولا يؤثر فيها انتشار العلم واتساع نطاق المدنية والحضارة ، ولكن الذى نريد أن نبحث فيه هو أن انكار وجود الجن والاستهزاء بمن يقول بوجودهم أمر لا يوافق النظر الصحيح والبحث الحالى من التعصب والتحزب ، ومما يؤسف له أن كثيرا من شباب المسلمين يرون رأى ذلك الكاتب بغير علم ويزعمون أن ماجاء في القرآن من ذكر الجان إنما هو على سبيل المجاز لا الحقيقة . وانا نسائلهم أن يدلونا على المجاز في قوله تعالى « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » كذلك أين المجاز فيما ورد في سورة النمل فى قصة سيدنا سليمان وبلقيس فى قوله تعالى « قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أُمِينٌ »

واذا أردنا أن نحصى الآيات والأحاديث الدالة على وجود هذا الخلق لضاق بنا الحصر . الا انه لا يفوتنا أن نذكر أن القرآن الكريم أثبت فى كثير من الآيات أن الجان يختلفون فى أصل خلقهم عن بنى آدم « خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ » . « قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . » « وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ » الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن هناك خلقاً مغايرين للبشر وهم بحكم طبيعتهم محبوبون عن العيون « إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ »

هذا ما يصح توجيهه الى المنكرين من المسلمين . أما غيرهم من أهل الملل الأخرى فلا يجدى أن نسوق اليهم الأدلة على وجود الجان من كتاب لا يؤمنون به ولا يعترفون بصحته بل نحتكم نحن وهم الى العقل والاستدلال الصحيح وما دلت عليه الابحاث العلمية الحديثة وما كتبه بعض كتاب الافرنج انفسهم فى هذا الموضوع !

أما من حيث العقل فأى غريب فى وجود خلق يختلف عن بنى آدم فى التكوين ؟

أليست الروح الآدمية التى تحتل هذا الهيكل الجسمانى لاتقل غرابة عن الجان من حيث كنهها وما يكتنفها من الاسرار ؟ ورب معترض يقول أن ليس هناك مايسمى بالروح الانسانى بل الحياة انما هى تفاعل كيمائى فى الجسم أو نتيجة للدورة الدموية . الا أن مثل هذه النظريات قد أثبتت المشاهدات الحسية فسادها وبطلانها . ولا يقول بها الا نفر قليل من المكابرين المعاندين ، ونجد الآن كثيرا من أساطين علماء الغرب يسلمون بوجود الروح ويعترفون بأن وراء هذا الحجاب المادى الكثيف عالما آخر يختلف اختلافا كبيرا عن عالمنا وما يحتويه .

ومع هذا أليس فى التنويم المغناطيسى وعجائبه مايكفى لأن ينهض دليلا على أن الإنسان ليس مجرد كتلة من اللحم والدم والعظم ؟ . أضف الى ذلك مايقوم به بعض طوائف الهنود من خوارق العادات كتحكمهم فى الدورة الدموية فيمنعون سيلان الدم ويوقفون ضربات القلب ويمشون حفاة على أرصفة من الحديد تكاد تكون فى حالة الانصهار ويدفنون أنفسهم تحت الثرى مدة شهور بدون طعام أو شراب ثم يقومون بعد ذلك أحياء ، ولقد توصلوا الى القدرة على هذه الأفعال برياضة أنفسهم رياضة خاصة غايتها التغلب بقدر الاستطاعة على شهواتهم المادية وقهر ميولهم النفسية .

فاذا ثبت أن هناك روحا تسكن الجسم الانسانى وتأتى بالمعجزات من الأفعال فما الذى يمنع من وجود أرواح أخرى طليقة لاتقيدها الاجسام ؟ أيريد الانسان الا يصدق الا بما يلمسه بيديه أو يراه بعينه أو يسمعه بأذنيه ؟ نحن الآن فى عصر ارتقت فيه المخترعات الى حد يخالها الانسان سحرا ، ومع ذلك ننظر اليها نظرننا الى الشئ المألوف . فهل كنا نصدق اذا قيل لنا قبل عشرين عاما أن الانسان سيظهر فى يوم واحد مقدار ماقطعته السفن فى عشرات الايام . وأن الواحد سيتكلم مع الآخر من قارة الى أخرى فى بضعة دقائق !! وهل تصدق الآن اذا قلنا لك أن الهواء سيحل قريبا محل الشاشة البيضاء فى الحيازة (السينما) أى أننا سنشاهد فى هواء الحديقة

أو الغرفة ما يمثل من الروايات في نفس الوقت الذى تمثل فيه في لندن أو باريس مثلا ونرى أشخاص الممثلين بل نسمع أصواتهم فعلا<sup>(١)</sup>»

فإذا كنا نسلم بوقوع هذه المدهشات في عالمنا المادى فلماذا نجادل في وجود ما يماثلها في عالم تجرد عن المادة ؟؟ ألم يثبت العلم الحديث أن المادة التى يتكون منها العالم ترجع نهائيا الى أصل لطيف جدا دائم الحركة وهو المسمى بالألكترونات أو الذرات الكهربائية ، والكهرباء — كما نعلم — شىء يرى أثره ولا يدرك كنهه . وناهيك بما استفاده العالم من خدمات ذلك الشىء المجهول — الكهرباء

على أن القول بوجود الأرواح متقمصه أشكال الآدميين لم يكن من عند الشرقيين فقط بل قاله الغربيون أيضا وكتب فيه الباحثون من علماء النفس وبنوا إبحاثهم على مشاهدات حسية لا ينكرها الا كل مكابر ، وانا لناقلون هنا بعضا من تلك المشاهدات لا نغزى بها البرهان على وجود الجان لأن وجودهم كما اسلفنا يسلم به العقل والبحث الهادى فضلا عما ورد بشأنهم في جميع الكتب السماوية . وانما غرضنا من ايراد امثال تلك الوقائع أن نلفت نظر كاتب تلك المقالة الى أن هناك من بنى جلدته من أهم أولى بالتقريع والنقد من المسلمين اذا صح له أن يكذبهم في دعواهم التى يتحدثون كل من تعرض لأنكارها .

والكتاب الذى نقل عنه المشاهدات الآتية موضوع باللغة الانجليزية تحت عنوان «الاشباح التى رآيتها وتجارب سيكولوجيه أخرى<sup>(٢)</sup>» . وهو يقع في اكثر من ثلثماية صفحة وطبع مرتين منذ الحرب العالمية . وقد جاء في الفصل العشرين ص ٢٦٠ ما يأتى :

« عرفنا قصرا كانت تسكنه أسرة ثم هجرته مدة طويلة ولما عادوا اليه صاروا يسمعون في بعض نواحيه صراخا يصم الآذان ويشعرون في بعض الأحيان بوقع أقدام تجمى وتذهب ويسمعون صوت أبواب تفتح وتغلق . ومن الغريب أن لتلك

(١) قد صرح بذلك شيخ المختبرين المستر اديسون الى احدى الجلات العلمية ووعده بأن مايقوله سيصير حقيقة واقعة في سنة ١٩٣١

(٢) The Ghosts I have Seen and other Psychi Experiences .

الاسرة كلها كان يشاهد دائما في حالة انزعاج فيهر من وقت لا آخر كأنه يرى أمامه أشخاصا لا يراهم سواه . كما أن الحيل كثيرا ما كانت تأبى دخول الاسطبل الا بعد أن تدفع اليه دفعا»

وجاء أيضا في ص ٢٧٢ ما يأتي :

« في ليلة من ليالى شتاء سنة ١٩١٧ كنت في مأمورية تتعلق بالحرب وكانت الأوامر العسكرية تحتّم اذ ذاك على السكان ولاسيما القريين من السواحل بأطفاء الأنوار. فكان الظلام دامسا . وفي أثناء رجوعي مررت في طريق بذلك البيت المهجور السابق ذكره واذا بي اسمع قرعا عنيفا على احدى النوافذ المطلة على الطريق وصوتا يقول «قف . أريد أن أحدثك . » فجمدت في مكاني ووددت لو أن انسانا مر بي في ذلك الوقت ليكون شاهدا معي على مارأيت . ولكن للأسف لم تتحقق أمنيته . ولما حاولت السير سمعت ضحكا من أفواه متعددة أعقبه وقع أقدام مختلفة الحركات . فمكثت في مكاني نحو عشر دقائق ثم عزمت على المسير فسمعت ثانية قائلا يقول «قف. لا تذهب بالله . قف» فلم أطلق صبرا واطلقت لساقى العنان»

وجاء في موضع آخر ص ٢٧٨ ما يأتي :

حدثتني شقيقتي أن زوجها—وهو ضابط كبير بالجيش—استأجر منزلا للصيد في مكان منعزل في احدى قرى الريف. وبينما هما نائمان اذ سمعا وقع أقدام في المطبخ فظنا أن اللصوص قد سطوا عليهما . ولكنهما عجا من شدة الجلبة والضوضاء التي يندر حدوثها من قوم يريدون السرقة ليلا . فأشعل الزوج شمعة وتسلح بمسدسه وكذلك شقيقتي واتجها نحو الأصوات بكل خفة وسكون . ولما اقتربا من المكان لم يجدا شيئا مطلقا . وفي اليوم الثاني في الساعة الرابعة بعد الظهر سمعا ضجة منبعثة من حجرة مقفلة الباب . فاسرعا نحوها ووقفا هنيئة يتعجبان من جرأة أولئك الاشخاص الذين يقدمون على احداث جلبه كهذه بدون اكرثاث بأصحاب المنزل . واخيرا دفعا الباب لياغتا اللصوص ولكنهما دهشا اذ وجد الغرفة خاوية . وأخذ كل منهما ينظر الى الآخر وقد تملكهما الرعب والفزع

وبعد عدة أيام من هذه الحادثة وقع ماهو أغرب اذ كانت شقيقتي جالسة بالليل وحدها في حجرة الاستقبال منكبة على قراءة رواية . فسمعت حركة شخصين في الطرق المجاورة يتصارعان بشدة ويتدافعان ويزجران كأنهما سبعان مفترسان . ثم رأت أن كليهما النائم تحت قدميها قد استيقظ وشخص ببصره نحو الباب وكان يرتعد كالقصب في مهب الريح . ولم يلبث أن قفز من مكانه هاربا . فاستولى الرعب على شقيقتي فتناولت مصباحا ومشت خلسة نحو الباب تريد الصعود الى غرفة نومها . واذا بها تسمع وقع أقدام ورائها فارتدت نحو الحائط مذعورة . وفي اللحظة نفسها مرت بها عاصفة من الأقدام اصطدمت بمصباحها فأطفأته . ولم تصل الى غرفتها الا بعد أن كادت تموت هلعاً ورعباً . وبلاستفسار فيما بعد من السكان المجاورين عن تاريخ هذا المنزل اتضح أنه كان يسكنه فلاح أرمل وله ابن وحيد . ولما تزوج الأب بفتاة حسناء وقع الولد في شرك غرامها واتصل أمرهما بأبيه فما كان منه الا أن طعنه بدية طعنة كانت القاضية عليه .

والكتاب مملوء بمثل هذه الحوادث وسواء أكانت صحيحة أم مبالغاً فيها فانا لانزال نكرر أن العقل السليم لا يأبى التصديق بوجود مخلوقات تغاير بنى آدم في الخلق والتكوين . وانما الذى يدعو البعض الى الانكار هو الاندفاع وراء المادة وانهماك العقول والقلوب في الحصول عليها . فعميت البصائر ووهنت العقائد . وكلما توغل الناس في هذا السبيل ضعف تمسكهم بحبل الدين وصاروا يعدون السمعيات من نعيم وجحيم وجن وملائكة أساطير الأولين .

محمد الحسيني رفا

مفتش الآداب بالمعاهد الدينية

## الذبيح اسماعيل لا اسحق

بعث الينا حضرة الفاضل صاحب الامضاء هذه الكلمة

طالعت كلمة فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى فى السيرة النبوية ونسب المصطفى صلى الله عليه وسلم المنشورة فى العدد الثالث من المجلة وترجيحه أن (الذبيح) هو سيدنا اسماعيل لا سيدنا اسحق عليهما الصلاة والسلام مفسرا لآيات سورة الصافات بما يخالف بعض المفسرين معتمدا على القرينة وسياق الالفاظ الدالة على أنه بعد ذكر الذبيح فى الآيات الكريمة ذكرت البشارة بمولد سيدنا اسحق عليه السلام فهو غير (الذبيح) المذكور قبله ومن حيث أن هذا الاستنتاج هو الظاهر أرجو التكرم بنشر ما يأتى تأييداً للاستنتاج من نفس التوراة الموجودة الآن وهو ما يؤخذ منه أن الذبيح هو (اسماعيل) لا (اسحق)

نصت التوراة أن اسماعيل ولد وعمر أبيه (سيدنا ابراهيم الخليل) ست وثمانون سنة وان اسحق ولد وعمر أخيه (اسماعيل) أزيد من ثلاث عشرة سنة أى لما كان عمر سيدنا ابراهيم تسعا وتسعين سنة

ومن حيث ان الله تعالى قال لابراهيم كما فى التوراة «خذ ابنك وحيدك الذى تحبه (اسحق)» فتكون كلمة (اسحق) زائدة لأنه لا يمكن أن يكون اسحق وحيد سيدنا ابراهيم لأنه مسبق باسماعيل الذى هو وحيد سيدنا ابراهيم قبل ولادة (اسحق) فكيف يكون اسحق وحيد ابراهيم

أما لفظة اسحق التى بعد كلمة وحيدك فقد قال عنها العلماء المحققون أنها (الحاقية) أى أنها زيادة إما للتفسير كما يقولون عن كل ما هو الحاقى أو لغرض آخر كبغضهم لاسماعيل لانهم ليسوا من نسله وكى يفتخروا أنهم من نسل (الذبيح) اسحق (راجع سفر التكوين ص ١٦ ع ١٦ وص ١٧ ع ١ وص ٢٢ ع ١)

ومن جهة أخرى أن اختبار الله لابراهيم بذبح الأبن الوحيد أشق على النفس من ذبح الأبن الذى يوجد غيره عبد العزيز نصحى

# الْصُّوْلُ الْإِلَهِيَّةُ

## حرية الانسان

تكليفه — القضاء والقدر

نكتب اليوم في القضاء والقدر وهو من اعوص المسائل سرا وأبعدها غورا وقد اضطربت فيه الأفهام وزلت فيه الأقدام واكثر في خوض عسابه المسلمون والمسيحيون وان كانوا يرموننا الآن بالتأخر والجود والتكاسل والتواكل من جراء مانتقده من القضاء والقدر ونسوا ان تلك العقيدة عندهم كما هي عندنا بل يجب أن تكون في كل دين من الاديان لأنها حق لامية فيه وليس ذلك منافيا للحرية الانسانية كما سيتضح لك أجلى اتضاح ، ولقد كان يكفي لادحاض مارموا به المسلمين نظرة واحدة لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أتوا من جلائل الأعمال ماغير وجه البسيطة وقلب نظام العالم .

هذا ما أرشدنا اليه عمله مما امتلأ به التاريخ ، وقد عضده الكتاب والسنة ولكن الأمر كما يذكرون هم عن سيدنا المسيح عليه السلام «ان الانسان يرى القذى في عين أخيه ولا يرى الحشبة في عين نفسه» على ان ذلك جهل بحقيقة القضاء والقدر عندنا وعندهم كما ستقف عليه ، ولنجتهد في توضيح ذلك حتى تجعله على طرف الثمام وان كان من معترك الأفهام ومزالق الأوهام ولعل ذلك هو ميزة المجالات العلمية في هذا العصر ، توضح الحق وتقرب البعيد وتطلع الجمهور على ماكان لا يتحدث به الا بين الخاصة وسط المعاهد العلمية أو المعابد الدينية معرضين عن الاصطلاحات المذهبية والعبارات الفنية ما استطعنا الى ذلك سبيلا فنقول :

من البدهى اننا نختار الفعل على الترك والترك على الفعل فنرجح ماشئنا متمتعين بالحرية ، وقد كان يجب أن يكون هذا كافيا في الجزم بحريتنا واختيارنا ، وقد تعلم أن كل ما يعارض البدهى أو المحسوس يجب الا يلتفت اليه ويكفى في سقوطه مصادمته للبدئية ، حتى اننا لو عرفنا أن هناك دواعى تدعو الى ذلك الفعل لم نشك في أن لنا

تدخلا في الفعل بالتفكير والترجيح بعد الموازنة والتروى ، فاذن لنا شيء في العمل  
 لاحالة وان كنا نعتقد أن مايسره الله كان وما لا فلا ، واذا كانت الاسباب الجمادية  
 لها تدخل في الأشياء كما قال تعالى في حق الماء (يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ  
 وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) فجعل الانبات به كما جعل الاحياء به في الآيه  
 الأخرى ، فكيف لا يكون لنا تدخلا فيما يكون منا ، هل السبب الآلى أقوى من  
 السبب المفكر المختار الذى يستطيع أن يقلب الأسباب الآلية ويسيرها في أى طريق  
 شاء وهو أعظم منها ، فانها مسخرة له وهو مليكها فكيف لا يعطى ما أعطيته من  
 الأحكام وهو أقوى الأسباب وأعظمها ولماذا لا يجعلون من الأسباب التى يتوقف  
 عليها الفعل نظر الانسان وارادته واختياره وترجيحه ، هل يكون لغير العاقل المقهور  
 من التدخل في الفعل ما ليس للعاقل المختار ، اللهم ان ذلك غير معقول فلم يبق الا  
 التحديد وبيان مقدار مالمعبد من ذلك وهو غير ضرورى للعلم الانسانى بل غير ممكن  
 فان اكتناه الأشياء كما هى غير مستطاع للانسان ولا داخل في متناول قدرته ،  
 فهذا الغذاء الذى هو من أظهر الاشياء لانعرف من أمره الا الظواهر التى لا تسمن  
 ولا تغنى من جوع ، أما كيفية انقلابه أعضاء مختلفة فلا نعرفها ولا نستطيع أن نعرفها ،  
 وكذلك ماتبت الارض من أوضح الواضحات من حيث أطواره المعروفة . ولكن  
 كيف تكون هذا النبات من التراب وكيف استحال التراب أزهارا بهية . واثارا  
 شبيهة فذلك مما لاسيل الى الوصول اليه وهكذا الاشياء كلها ، ومما يجب أن يلتفت  
 اليه أن كل شيء نستطيع البحث فيه الى حد محدود ، فاذا تجاوزنا ذلك الحد استغلق  
 علينا وانسدت أبواب الفهم فيه فأخذنا نضرب في متاهات الخيال ونخبط في مهامه  
 من الظنون والاهوام ، فتضاربت الأقوال وتناقضت الآراء ولعلك رأيتهم كيف  
 تنحطوا في الوجود وهو أظهر الأشياء عند ماتعمقوا فيه وكذا العلم والنور الخ  
 مارأيت ولو عرفنا هذه الحقيقة فلم نجاوز قدرنا ولم نتعد طورنا نزال هذا العناء وذهب  
 ذلك الشقاء وهى حقيقة يجب أن تقرر وتكرر حتى تملأ الرؤوس وتتبت في النفوس .



ومن العجيب أنهم أطالوا القول في هذه المسألة (مسألة أفعال العباد) منجدين ومُتهمين مشرقين ومغربين فكانت من أعوص المسائل بين الفرق الاسلامية والمسيحية ولو تأملوا عرفوا أنه لافرق بينها وبين غيرها فكل شئ عويص اذا أردنا أن نقف على كنهه وحقيقته فما بالنا نتجاوز قدرنا ثم نكثر من الصراخ والضوضاء .

وبعد فالقول بكون الانسان مجبرا لا مختارا قول باسقاط كل تبعة وكل مزية وجراءة على التسوية بين الخبيث والطيب وهو أمر يناقض العلم اليقيني وينافي البدهيات الأولية ، ويعجبنى قول من قال كيف تزعم انك جبرى مع انك تجرى لاحضار الطيب لمريضك وتدافع عن وطنك وتستدعى رجال المطافئ لاطفاء حريق بيتك وتعمل على وقف النار التى بدأت تشب من شرارة أصابت أوراقك في حجرة عملك ، وان لديك عقلا وانك لتتتفع به فيما تريد ولا سبيل الى انكار ذلك . فالاشياء تقع باسبابها ومنها الارادة الانسانية، فهى بعض الأسباب العاملة في سير الحوادث في هذا الوجود ، ثم نقول يوجد اعمال كبيرة لكبار الرجال فمن الذى يستطيع أن يقول انهم لافضل لهم في احداثها أو ليس لهم تدخل فيها ، وبعبارة أخرى ليسوا من أسبابها ، أو هم أعظم أسبابها من حيث كونهم رجالا ذوى عزيمة صادقة وارادة قوية وافكار حرة لامن حيث كونهم الآت مسخرة لاتستحق حمدا ولا شكرا ، ولا تستطيع أى سفسطة أن تزيل منا ذلك الاعتقاد الذى يملك كل نفس وكل عقل حتى نفوس الاطفال وعقول الجاهل فان كل واحد منا يعتقد اعتقادا لايدافع أن له أثرا أو تسببا في كثير من الاشياء فنحن نعمل ونعتقد أننا فاعلون لا منفعلون ونعتقد أننا بنى بايدنا صرح المستقبل في الدنيا والآخرة ، وان كان ذلك على حد محدود وعلى قدر ما وهبنا الله تعالى فكيف يصح أن يقال أننا كمية مهملة في الوجود مع أننا أكبر عوامله التى تعطيه الرواء والبهاء ؟ ؟

والنتيجة لهذا كله أن للانسان تأثيرا في وجود الاشياء فانه حلقة كبيرة من حلقات سلسلة الوجود بل هو أهم حلقاتها ، ولكنه غير مستقل استقلال تاما في المسألة فيجب أن يكون عليه من المسؤولية بقدر ماله من الأثر في ذلك الفعل

والتدخل فيه حتى اذا صار مكرها أو ملجأ كان غير مسئول بالمرء ، فليس العبد مجبرا ولا آلة صماء كما يحس بذلك احساسا لا يعارض عند ما يعرض له أمر خطير بل عند ما يسعى لرزقه وجاهه ووظيفته وشهادته .

ومن العجب أنه في أموره الدنيوية يكون معتزليا متطرفا . وفي أموره الدينية يكون جبريا متطرفا «اتباعا لما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى» ومع كوننا نقول انه غير مجبر نقول أيضا انه لاغنى له عن الله تعالى ، فان علمه قاصر وقدرته قاصرة ولا سلطان له على الأمور الخارجية ولا على تميم الموجبات لما يريد . ولا منع الموانع عما يريد فمن الموانع التي يجوز أن تحدث ما لا يدخل تحت علمه وقدرته وانت تعرف انك حر ههنا ولكن كونك حرا لا يقتضى أن تكون غير مقيد بالقوانين ولا خاضع للدساتير الى آخر ما تعلم ولا تجهل فالاشياء ، يجب أن توضع في مراكزها ولا تتعدى حدودها فان الاستقلال التام يستتبع القدرة القاهرة والعلم المحيط وذلك ليس الا لله تعالى .

لسنا ننكر أن هناك أسبابا خارجية تؤثر في مجرى الحوادث ولكن أنت من الأسباب أيضا ولك عملك الخاص في دائرتك الخاصة عندما يجرى دورك وقد رأيت بعضهم يشبه الانسان في هذه الحياة براكب في سفينة قصى عليه أن يركبها وأن يسير فيها فليس مختارا في ركوبها ولا في السير فيها ولا هو طليق يذهب حيث شاء ويسير حيث أراد ، ولكن له مع ذلك حرية تامة فيما يفعله في تلك الدائرة المحدودة فيتصرف في شئونه الخاصة كما يشاء يذهب ويحى فيها كما يريد بشرط ألا يتعدى مقدم السفينة ولعل هذا معنى قول سلفنا الصالح (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين) . ثم أننا نرى أن الأفعال كلها قد اسندت الى العباد في كتاب الله تعالى ولذلك كلفوا وما كان الله ليكلفهم ما هو خارج عن استطاعتهم ومتناول قدرتهم (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) فقد منحك الله القدرة والارادة فجعلك قادرا مريدا ولو شاء لجعلك عاجزا مقهورا ثم وكل اليك تصريف تلك الارادة بمحض اختيارك الى أحد الجانبين من الفعل والترك ، والترجيح شأن من شئون الارادة الذاتية ، والتصرف أمر

اعتبارى يرجع اليك الفصل فيه حتى انك قد ترجح المرحوح تقدما للشهوة على النظر العقلى أو تمتعا بلذة الحرية التى تجدها من نفسك ومع ذلك مالنا والتعمق والتحديد بعد ما أريناك أن تحديد الأشياء على ماهى عليه يختص بالله تعالى والا تساوى علمك وعلمه ، وأين العبد من المعبود ، وأين المحدود من غير المحدود ، وهذا جار فى كل شئ لافى خصوص أفعال العباد ويعجبني قول بعضهم اننا نعرف أننا أحرار فى حركاتنا وسكناتنا وذلك محسوس لدينا لا يمكن أن نشك فيه كما نعلم بالبرهان العقلى أن الأمور راجعة الى الله تعالى وهو مالك زمامها وصاحب التصرف فيها على ما تقتضيه الالهية «وَالِيهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ» وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلنؤمن بهاتين الحقتين الأولى والأخيرة ولنعد ما بينهما من الحلقات .

هذا : وقد علمت أنه شاء أن يعطيك الإرادة والاختيار ، ولتقف عند هذا الحد من الكلام على أفعال العباد ولنتكلم على القضاء والقدر الذى يظن كثير من الناس أنه ملزم ومجبر فنقول :

## القضاء والقدر

هما راجعان الى علمه تعالى وقدرته فالقضاء فى رأى حكماء الاسلام - وليس بلازم أن نوزع قلبك بين شعاب الخلاف ونسلك بك مسالك الاعتساف - هو عبارة عن وجود الأشياء على الوجه الاكمل فى علمه تعالى على وجه كلى والقدر إيجاد تلك الاشياء فى عالم الظهور على وجه تفصيلي يوافق القضاء السابق ، وهنا شبهة صعب حلها على كثير من الناس : قالوا ان ماسبق فى العلم الالهى لا بد منه ويستحيل نقيضه فاذن الأشياء مرسومة مقررة قبل أن يوجد الانسان فهو اذا مقهور لا مختار ومن الغريب أن الامام فخر الدين الرازى (وهو هو) كثيرا ما يذكر ذلك فى الزام المعتزلة بالجبر واسقاط الاختيار مع أن ذلك غلط واضح لا أدرى كيف وقع فيه الامام الرازى وغيره من الأعلام ذلك أن العلم لاعلاقة له بالجبر والاختيار فانى اذا علمت بأى وسيلة من وسائل العلم انك تسافر غدا وكان ذلك علما حقا لم يكن له تدخل فى

سفرک الذى سيقع بحض ارادتک واختيارک ، والعلم ليس من صفات التأثير ،  
وتخلف المعلوم أو عدم تخلفه ليس مبنيا على كون العلم مؤثرا بل على كونه صحيحا  
أو غير صحيح وهذا من أظهر الظاهر وأوضح الواضح فان من الجلى أن العلم لا أثر  
له في المعلوم وان المعلوم يوجد بأسبابه وسلسلة علله لا بعلم العالم أو جهل الجاهل .  
والخلاصة أن الله تعالى قبل أن يخلقک يعلم انک ستكون مريدا مختارا لأنک  
انسان لاجماد (بل الحيوان الاعجم له ارادة واختيار أيضا) ويعلم بالضرورة ماتختاره  
بحض ارادتک وما ستصرف اليه عزمک من خير أو شر ، وقد اقتضت حکمته أن  
يهبک تلك الارادة الحرة التى تصرفها كما تشاء کى يحقق لك الحرية التى اقتضت  
حکمته أن ينحک اياها ثم يجازیک بعد ذلك على ماکان منك في يوم عصيب تؤدى  
فيه الحساب عن کل ما کسبت يداک ولولا ذلك لم يكن هناك معنى للحرية والاختيار  
ولا للتکليف والثواب والعقاب ، ولسنا ننکر أنه لو شاء لسلبک تلك الارادة ولو  
أراد لجعلک آله صماء لا ارادة لك ولا تکليف عليك ولكنه لم يفعل لأنه يريد أن  
يجعلک انسانا فأى جبر يقتضيه القضاء بعد ذلك ؟ وان کان لابد من حصول ماسبق  
به القضاء ولا يتأتى تخلفه ولكن ذلك مبنى على صحة العلم لاعلى تأثيره كما قلنا وقد  
سأل الامام عليا کرم الله وجهه شيخ بعد انصرافه من صفين فقال : اخبرنى عن  
مسيرنا الى الشام أکان بقضاء الله وقدره فقال (والذى خلق الحبة وبرأ النمسة ماوطئنا  
موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلة الا بقضاء الله وقدره) فقال الشيخ : عند الله  
احتسب عنائى ما أرى لى من الامر شيئا، فقال له (مه أيها الشيخ عظم الله أجرکم في  
مسيرکم وانتم سائرون وفي منصرفکم وانتم منصرفون ولم تكونوا في شىء من  
حالاتکم مکرهين ولا اليها مضطرين) فقال الشيخ : فكيف ساقنا القضاء والقدر ؟  
قال (ويحک لعلک ظننت قضاء مجبرا وقدرا قاسرا لو کان ذلك لبطل الثواب والعقاب  
والوعد والوعيد والامر والنهى ولم تأت لائمة من الله للذنوب ولا لمحمدة لمحسن ولم يكن  
المحسن أولى بالمدح من المسىء ولا المسىء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان  
وجنود الشياطين وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الامة ومجوسها،

ان الله أمر تخييرا ونهى تحذيرا ، وكلف يسرا ، لم يعص مغلوبا ، ولم يطع مستكرها ، ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا ، ولم يخلق السموات والارض . وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، وقال الامام الرضا : ان الله هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم فان أثمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادرا وان أثمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وان لم يحل وفعلوا فليس هو الذى أدخلهم فيه .

والخلاصة أن هنا غلطين الاولى أن علم الله بالأشياء يوجبها بطريق الجبر لابطريق الاختيار ولا أدرى كيف يفهمون ذلك مع أن العلم لم يتعلق بفعلك الا على وجه الاختيار منك فهو اذن يؤكد الاختيار ولا يعارضه

والثانية اخراج الارادة الانسانية من سلسلة الأسباب وجعلها لغوا في البين وقد اختصرنا لك الطريق واهدينا اليك لباب التحقيق ،

هذا : وهنا شيء آخر لابد أن نبه عليه تنميا للمقام وازالة لما عسى أن يكون من شبه الأوهام ، ذلك أن بعض الناس قد يعطى من المواهب مالا يعطاه غيره ويجد من المعونة الالهية مالا يجده سواه فلماذا ؟ ؟

لنا عن ذلك جوابان الأول ان ذلك يرجع الى سر القضاء والقدر أو نقول الى الحكمة الكبرى التى دبرت العالم ووضعت نظام الوجود ولا نستطيع أن نصل اليها تماما مهما بلغ علمنا واتسعت مداركنا ، وفي قضية موسى مع العبد الصالح التى قصها الله علينا في سورة الكهف أكبر شاهد ان كان له قلب أو التى السمع وهو شهيد .

الجواب الثانى . ان ذلك من باب الفضل ، والاعتراض لا يكون على ترك الفضل وانما يكون على ترك العدل وذلك غير موجود بل هو محال في حق الله تعالى ، وقد أعطى كلا من عباده ما يمكنهم من القيام بما كلفهم به حتى اذا عجزوا رفع عنهم التكليف ففتح كل انسان من المواهب ما يستطيع أن يفعل به ما طلب منه ، فهذا القدر مشترك بين الجميع ، واما تفضيل بعضهم على بعض فذلك راجع الى فضله الذى يعطيه من يشاء ويمنحه من يريد ولا اعتراض عليه في ذلك ( ما على المحسنين من سبيل )

ولو فتحنا هذا الباب لوجب الا توجد هذه المخلوقات ولا تظهر تلك المبدعات ،  
فقد كان للجاهل بناء على هذا أن يقول لم جعلتني جاهلا ؟ وللناقص في أى شىء أن  
يقول لم خلقتني ناقصا؟ بل كان للحمار مثلا أن يقول لم لم تخلقني حصانا؟ وللحصان أن  
يقول لم لم تخلقني انسانا؟ والانسان أن يقول لم لم تخلقني ملكا؟ بل والارض بلسان  
حالتها أن تقول لم لم تخلقني سماء؟ وللسماء أن تقول لم لم تخلقني عرشا؟ النخ النخ فانت  
ترى أن فتح هذا الباب يوجب أن ينسد باب الخلق بالكلية (وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ  
لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) ولعل للمقام متمات ولعلنا نأتى عليها في  
فرصة أخرى انشاء الله وبعد هذا فلا يسعنا الا أن نقول ما قال الله تعالى (وَمَا أُوتِيتُمْ  
مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) أو ما قال جار الله الزمخشري رحمه الله

العلم للرحمن جل جلاله      وسواه في جهلاته يتقمقم<sup>(١)</sup>  
مالمالتراب وللعالموم وانما      يسعى ليعلم أنه لا يعلم

يوسف الدرموي  
من هيئة كبار العلماء بالأزهر

## الطرف والملح

انشد ابو بكر الاسماعيلي .

واذا جلستَ وكان مثلك قائما      فمن المروءة أن تقوم وإن أبى  
واذا اتكأتَ وكان مثلك جالسا      فمن المروءة أن تُزيل المتكا  
واذا ركبْتَ وكان مثلك ماشيا      فمن المروءة أن مشيتَ كما مشى  
وقال حكيم لابنه : يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالْمِزَاحَ ، فَانْهَ يَذْهَبُ بِبِهَا الْوَجْهَ وَيَحْطُ مِنْ  
المروءة .

(١) يقال تقمقم اذا ذهب في الماء وغمر به حتى غرق

## مثال من عناية الألمان بتربية أولادهم

— ٢ —

تجارب وأفكار فيها فضل استقصاء

الأب الشغل وواجبه في التربية

« بقلم « روبرت اشتاين » بمدينة ليبزج . من حديث له مع أب »

لصاحب التوقيع

قال لي الأب : — الا ترى ياسيدى الاستاذ أنى لا أستطيع الاهتمام بشؤون طفلى وأعماله المدرسية لأنى أفضى عامة يومى منهمكا في أعمالى ولا يسعنى ألا أن أعترف أسفا بأن زوجتى مفرطة في الرحمة بالولد فلا غرابة اذا كان قد قصر مرات كثيرة في عمل واجباته على الوجه المطلوب . ثم انى لا أحب أيضا اذا رجعت مساء الى بيتى مبهورا من التعب أن لا يكون لى عمل سوى الانذار بالعقاب والضرب . فقلت : — كلا — اياك أن تفعل هذا فانه لا يجديك ولكن ألا تتشاور مع زوجتك في أمر الاطفال ؟

فقال لى : بالضرورة — وقد قلت لها كثيرا انه ينبغي أن تكون في معاملتهم أشد مما هى عليه . فأما معاملة بنتنا «جرترو» بالرحمة فهى في محلها وأما الغلام فهو في حاجة الى يد قوية . فقلت له . وكيف اذن تساعد زوجتك ؟ فقال لى : وماذا تعنى بمساعدتى لها ؟ فقلت : أعنى بذلك أنك من حيث أنت والد لا بد لك أيضا من تحمل قسطك من عناء التربية .

فقال لى : قد قلت لك آنفسا اننى أكون في المصنع من الصباح الباكر حتى آخر النهار واننى لمت زوجتى على تهاونها . فقلت له : حقا قلت لى ياسيدى «بندر» ولكن بما أنك سألتنى رأى أريد أيضا أن أصارك به مصارحة بينة فأقول :

ان انتقادك على الأم تهاونها لا يغنى فتبلا بل يجب عليك أن تتدخل بنفسك في الأمر فان الطفل اذا لاحظ أنك لم تدع كل ما يتعلق به لأمه وأن أباه يهيمن عليه بنفسه—ولا حاجة لذلك كل يوم—أصبح تهاون الأم غير خطر وربما شددت بذلك أزر زوجتك . ولا شك في أن هذا يصلح من حال ولدك فانه ليس سيء الخلق مطلقا وإنما فيه نزق . ثم ان لى كلمة أخرى أقولها لك وهى انك من الآن فصاعدا اذا أحضرت ولدك أمامك أحيانا فتخل ما أستطعت عن كدرك الناشئ من عملك ودعه خارج الباب . وإياك والهيج ان لم تواف رغبتك حال الطفل من أول وهلة فانك باهتمامك المنبعث عن الطمأنينة والسكون ومثابرتك وعطفك — ولا حاجة الى الاكثار من نصحك فانه ولدك وبضعة منك—بكل أولئك تصل قطعا الى نتيجة . واذا وصلت اليها فلها على تفاهتها شئ من القيمة وربما صرت بذلك أشد تسامحا في تهاون زوجتك وأحسست بأن الوالد الشغل ينبغي له أيضا أن يصرف شيئا من وقته للعناية بولده .

## لا اجد وقتا

بقلم « أدلهيد كلوزه » بمدينة جودسبرج على الراين

ما اكثر ما يسمع أولادنا هذه الكلمة وما أكثر ما يضطرون أن ينتظروا من أهمهم قضاء مطالبهم لانها لاتجد وقتا لقضائها !  
ولست أتكلم هنا عن الأمهات اللاتي لسن في الواقع أمهات مطلقا واللاتي لاتجدن وقتا لمجرد أن باحات التمثيل ودور الغناء والمقاهى والنوادرى أحب اليهن وأعظم شأنا من فلذ اكبادهن ، لا أقصد أولئك بل أيا كن أعنى أيتها الأمهات الصالحات اللاتي لاتفكرن عامة يومكن في شئ سوى أن تجعلن المعيشة راضية هنيئة لأزواجهن وأولادكن فأنتن تطهين وتخبزن وتمسحن البلاط وتجلون الآنية فتصيرن كل جزء منها أبيض لامعا والطعام الذى تقدمنه على المائدة للأسرة تصنعهن بكثير من طيبة النفس والعناية والتدبير، على أنكن تنسين أهم الأمور وأعظمها شأنا!



ذلك أننا لم نوجد في الدنيا من أجل القوت اليومي وإنما وجدنا من أجل اصلاح النفوس البشرية، فاذاجاء أحد أولاد كنى الى والدته يرجوها قائلاً هيا نلعب قالت ماذا تقول ان طعام المساء لم يهين بعد أوقال لها اقرئى لى شيئاً أجابته أن على رفى الجوارب ما أكثر ما أرى عبوساً يغشى وجوه الأطفال كأن حياتهم ليست شيئاً سوى الهم وأسمعهم يرددون بروية مبتسرة ما يسمع كثيراً وهو : نعم ان أمننا لا تجد وقتاً لأننا لاخلادمة لنا فهى دائماً مشغولة . نعم ان من الحق أن ليس الأمر فى خدمة البيوت يسراً على الامهات فى هذه الأيام غير أن هذا يذكرنى دائماً عهد طفولتى فقد كنا نساكن بيتاً برمتة وكانت حالتى الصحية تقتضى ألا أختلف الى المدرسة ولكى يوجد لى عمل مناسب لهذه الحالة ، سرحت والدتى الخادمة وكنا نستأجر امرأة لتنظيف البيت فى كل أسبوع مرة ولم تكن مساعدتى فى الخدمة بالضرورة ذات بال فكانت والدتى تطهى الطعام وتنظف وتخيظ كل مامن شأنه أن يفسل لى ولأخى الصغير وتعلمنى بعض الدروس ورغمما من ذلك كله كان لايموزها وقت فكانت تلعب بالكرة معنا فى الحديقة وكانت مستحضرة لكل تافه وحقير من أجل ألبابنا وأنى لا أزال اليوم أجد أمهات كأمى ولكنهن أصبحن نادرات .

أنى وجدت العزيمة وُجدت الوسيلة ومعنى هذه الوسيلة أن الاقتصاد فى عمل البيت خير من الضن على الأولاد بشئ من الوقت .

أقول ذلك وأنا أرى سمات الخوف بادية على وجوه صواحب البيوت ولكن أى الشئتين أفضل لديكن ؟ أطفالكن أم بيوتكن وأى الغبارين أسوأ مغبة الغبار الذى يصيب الغرفة أم الغبار الذى يصيب نفوس الأولاد

نحن لم نخلق لمجرد العناية بشئون البيوت وأهمال تربية الأطفال وما هذه الحياة الا مجلبة للأكدار والهموم، وأما السرور وانسراح الصدر فلا يحصلان الا بالسعى وما هو بعفة يصعب اقتحامها فانك تستطيعين أيتها الأم أثناء ارتقك الفتوق فى ثياب أطفالك أن تحكى لهم حكايات أو تركبى معهم فى قطار السكة الحديدية المفتخر الذى صنعوه لأنفسهم من الكراسى ممثلة لهم حال جدتهم، اذا ركبت معهم فهو هين عليك جدا

وليس عليك في مثل هذه الحالة الا وضع عمارتك <sup>(١)</sup> على رأسك ومنظارك على عينيك وطرحتك على كتفيك فترين الأولاد باللعب معهم . واذا لزمك أعداد طعام المساء في نفس الوقت الذى أرادك أولادك فيه على مشاركتهم في اللعب فانظري الى الساعة وأحسبي الزمن اللازم لاعداده ثم قولى لهم نعم يا أولادى اذا أنتم ساعدتموني في اعداد الطعام فأنى أستطيع أن أشارككم في اللعب أيضا عشر دقائق فبذلك يدخل الأولاد فيما تعرضين عليهم فرحين متحمسين ويخرجون منه وقد ربجوا أمرين أولهما لعبهم مع والدتهم الذى هو أشهى لهم من اللعب مع غيرها بكثير . وثانيهما أن ملابستهم أمور التدبير المنزلى فيها خير كثير للبنين والبنات . أنا أعلم أنه ليس من الأمور الهينة وجود الوقت وأنه يقتضى كثيرا من الصبر وبذل النفس وقوة الجنان ولا بد أن يفهم كيف يقسم وقته وعمله ولا بد أيضا أن تكون ضروب ممارسة العمل مفهومة من نفسها للأطفال .

على أنى لا أستطيع مهما أهتممت بدعوة الأمهات والنساء دعوة تبلغ الأعماق من قلوبهن أن أبلغ الغاية التى أرغبتها اذا قلت لهن أوجدن الوقت وأجعلن قول «لأنجد وقتا» قليل الخروج من شفاهكن فما أكثر ما رأيت من انفصام العرى البيتية من جراء الافراط في الشغل ، أو ليس أقدس شئ للنساء والامهات أن يخصصن وجودهن للعناية بشؤون العزيزين عليهن .

### ( لا تميز بين الأطفال في المعاملة )

من الفضائل الخطيرة الأخرى التى ينبغى أن يتحلى بها الوالدان العدل بين أولادهما في المعاملة ، فلا يصح تفضيل أحدهم على الآخر ، فما أبلغ الجرح الذى يمكن أن يصيب نفس المفضل من جراء ذلك ! خذ لذلك مثلا واحدا :

كانت أمنا تربيانا تربية مناسبة في الشدة وكنا خمس أخوات غير أنها كانت تختص صغراننا بفضل حجة ، وكان أبى قد مات لما بلغت السادسة من عمرى وكان

عمر الصغرى اذ ذاك سنتين ولا أزال أذكر ذكرا قويا كيف كنا نجلس كثيرا مع  
أما مستأنسين بها ليلا عند طلوع القمر وظهور نوره من الشباك وكيف كانت تأخذ  
صغرا في حجرها وتحكى لنا سيرة أبينا وتقول أنه يشرف علينا من خلال القمر  
وكنت حينئذ في غاية الخضوع والاستسلام لأُمى على أن عدم احتضانها لى حتى  
ولا مرة واحدة في مثل هذه الساعات ملأ صدرى حنقا على أختى الصغرى ولكنى  
كنت من فرط عزة نفسى بحيث أنفت أن أسألها ذلك وقد صار الأمر فيما بعد أسوأ  
من هذا فقد كنا ملزمات أن ندع للصغرى كل لقمة شبيهة من الطعام ولو كنا  
مختارات فيه لفعلناه جميعا طيبة به نفوسنا ولكن اليسير من الاكراه الذى كان فيه  
كان يفضنا وقد صرت أنا في ذاتى من السوء بحيث أن أختى لما توفيت فيما بعد وهى  
في الثامنة من عمرها وكنت أنا في الثانية عشرة قلت لأُمى وأنا في غاية الانخراط  
عسى أن أصير الآن يأمامه أحب بناتك اليك .

وكان من شأن هذه الكلمة أن تحدث في نفسها ندما بليغا كما أخبرتنا بذلك من  
بعد وقد تداركت أيضا كل خطئها بالأصلاح . عبد العزيز محمد

## الطرف والملح

قال نصر الله بن مجلى وكان من الثقات وأهل السنة : رأيت على بن أبى طالب رضى  
الله عنه فى المنام . فقلت له : يا أمير المؤمنين . تفتحون مكة فتقولون : من دخل دار أبى  
سيفان فهو آمن . ثم يثم على ولدك الحسين ما تم . فقال لى : أما سمعت آيات ابن  
الصيفى فى هذا ؟ فقلت لا . فقال : اسمعها منه . ثم انتبهت فبادرت الى حىص ينص .  
فذكرت له الرؤيا . فشبهق وبكى وحلف بالله لم تخرج من فيه ولا خطه الى أحد . وما  
نظمها الا فى ليلته . ثم أنشدنى قوله .

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً      فَلَمَّا مَلَكَتُمْ سَالٍ بِالْدمِ أَبْطَحَ  
وَحَلَلْتُمُو قَتْلَ الْإِسَارَى وَطَالَمَا      عَدَوْنَا عَلَى الْإِسْرَى فَهَفُو وَنَصَفَحَ  
وَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوْتُ بَيْنَنَا      وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالذِّى فِيهِ يَنْصَحَ

## المسلمون

في

### يوغوسلافية<sup>(١)</sup>

صدر أخيرا في يوغوسلافية قانون يحدد النظم الدينية التي يخضع لها مسلمو تلك البلاد نأتى فيما يلي على أهم قواعده :

« يكون جميع مسلمي يوغوسلافية طبقا لهذا القانون — طائفة دينية مستقلة لها رئيس ديني أعلى يطلق عليه لقب « رئيس العلماء » ، ولهذه الطائفة الحق في اعلان معتقداتها واقامة شعائر دينها علنا وفي ادارة وتنظيم جميع شئونها الدينية والعلمية التي لها مساس بالدين وكذا المسائل الخاصة بالاوقاف

ويمثل هذه الطائفة الدينية الاسلامية الهيئات الآتية :

أولا — مجلس الجمعية Djemat ويرأسه امام الجمعية

ثانيا — لجان ادارة الأوقاف والمعارف وعلى رأسها القاضي الشرعى

ثالثا — مكاتب الافتاء

رابعا — مجلسا العلماء في اسكوبلي وساراييفو

خامسا — مجلسا الاوقاف والمعارف في ساراييفو واسكوبيل

سادسا — الادارة الدينية العليا وعلى رأسها رئيس العلماء .

هذا ويحدد القانون الأساسى لهذه الطائفة الدينية الاسلامية طريقة تأليف تلك

الهيئات وكذلك يبين بالتفصيل دائرة اعمالها وحدود اختصاصاتها

أما الطريقة الخاصة بانتخاب رئيس العلماء واعضاء مجلسي العلماء وانتخاب رجال

الافتاء فتحدد بقانون خاص .

(١) عن مجلة رسائل الشرق « CORRESPONDANCE D'ORIENT » التي تصدر في باريس عدد مايو سنة ١٩٣٠

وأما رئيس العلماء وأعضاء مجلس العلماء ورجال الافتاء فيعينون بمقتضى مراسيم ملكية طبقا لما يعرضه وزير الحفانية وبموافقة رئيس مجلس الوزراء .

ويتلقى رئيس العلماء الاذن «المنشور» بتأدية وظيفته الدينية من مجلس يعقد خصيصا لهذا الغرض في بلغراد . ويتكون هذا المجلس من جميع أعضاء مجلس العلماء ومن ثلاثة مندوبين من كلا مجلسى الاوقاف والمعارف ومن جميع أعضاء المحكمتين الشرعيتين العاليتين .

وتقوم الطائفة الدينية الاسلامية بإدارة جميع املاكها الدينية وأوقافها مستقلة في ذلك تمام الاستقلال من أية سلطة أخرى وتتصرف فيها كيفما تشاء في حدود هذا القانون وفي دائرة قانونها الاساسى وتحت اشراف الحكومة .

وللسلطات الدينية الاسلامية المختصة أن تقرر مع تمام الاستقلال قبول الأعيان التى توقف لأغراض دينية . وان الهيئة الدينية الاسلامية هى التى تقوم بواسطة ممثلها المختصين بالاشراف على وارداتها ونفقاتها طبقا للوائح التى تقرر بمرسوم وان هذه الطائفة الدينية الاسلامية بجميع هيئاتها التى نص عليها قانونها الاساسى هى عبارة عن أشخاص معنويين يتمتعون بجميع الحقوق التى يخولها القانون للأشخاص المعنويين .

وأما التعليم الدينى الاسلامى في مدارس الحكومة وفي المدارس الخصوصية فانه يؤدى بالاتفاق مع السلطات الدينية الاسلامية المختصة — ويقرر برنامج التعليم وزير المعارف العمومية الذى يحل محل الاعتبار الاقتراحات التى يقدمها في هذا الموضوع مجلس العلماء الذى له أن يبدى رأيه في قيمة الكتب المدرسية ولا يحضر التلاميذ المسلمون الحفلات الدينية البحتة التى تقام فيها شعائر الديانات الأخرى سواء أكان ذلك في داخل المدرسة أم خارجها

وجميع المدارس الدينية الاسلامية التى لها ادارات مستقلة توضع تحت اشراف السلطات الدينية الاسلامية وهى التى تقرر انشاءها وتضع برنامج التعليم لها بعد تصديق وزير المعارف العمومية

هذا وعند انشاء كلية للشريعة أو كلية دينية اسلامية أو أية مدرسة عليا من هذا القبيل لها درجة كليات الجامعات تقوم الادارة الاسلامية العليا بالاشراف على الدروس التي تلقى فيها وتحرص على أن تكون طبقا لتعاليم الدين الاسلامي وان مجلس العلماء هو الذي يبت في كفاية ومقدرة المدرسين الذين يعينون في تلك المدارس»

## الطرف والملح

تابع لصفحة ٣١١

واسم الحيصَ يَيْصُ . سعدُ بنُ محمدَ أبو الفوارس التميمي . شاعر مشهور . ويعرف بابن الصيفي وُلِّقَ بِالْحَيْصَ يَيْصُ . لأنه رأى الناس يوما في حركة مزعجة وأمر شديد . فقال : ما للناس في حَيْصَ يَيْصَ ؟ فبقيَ عليه هذا اللقب — ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط — وتفقه على مذهب الإمام الشافعي .

وغلب عليه الأدب ونظم الشعر . وكان مُجيدا فيه وكان اذا سئل عن عمره يقول : انا عيش في الدنيا مجازفة : لانه كان لا يحفظ مولده — وتوفي سنة اربع وسبعين وخمسمائة هـ

ومن شعره

أَنْفَقْتُ وَلَا تَخْشَ اقْلَالًا فَقَدْ قُسِمْتُ      على العباد من الرحمن أرزاق  
لَا يَنْفَعُ الْبَخْلُ مَعَ دُنْيَا مَوَلِيَّةٍ      وَلَا يَضُرُّ مَعَ الْإِقْبَالِ انْفَاقُ  
وقال سعيد بن العاص لولده : يَا بُنَيَّ اقْتَصِدْ فِي مَرْحِكْ فَإِنَّ الْإِفْرَاطَ فِيهِ يُذْهِبُ  
الْبَهَاءَ وَيُجَرِّئُ السَّفَهَاءَ ، وَيَقَالُ الْمَرْاحُ أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرَحُّ .

## تحية

### الازهر ونور الاسلام

(الازهرُ) المعمور أغلى درةٍ      في تاج هذا العالم الاسلامي  
المعهد الأسنى المبارك في الوري      ماحى الضلال مبدد الاظلام  
في الهند والصين القصيَّة ذكره      عطره يقدسه ذوو الأحلام  
نسلت قرونٌ وهو بحرٌ زاخر      ماغاض من علمائه الأعلام  
وأثمة الاسلام منه تخرجوا      زمرأ وأهل الفضل والاقلام  
(ومجلةٌ) أضحت منار هداية      فهي الدواء لعلة الائلام  
في عهد مولانا المليك (وشيوخه)      أعظم به من مصلح علام

محمود سكري

رئيس ادارة البحيرة سابقا

هذا هو الاسلام أشرق نوره      فليهن مرتاد الصلاح سروره  
نهض الهداة لنشر هدى محمد      فارتاح للعمل الحكيم ضميره  
ولعالم الأسلام تمت رغبة      فشدأ بألحان الفلاح بشيره  
هذى (المجلة) نفحة من مصحف      فاضت بآيات الرشد سطوره  
سطع الهدى فيها بكل محقق      لم يُلَف بين المصلحين نظيره  
بهر الكرام الكاتبون عقولنا      فجميعهم علم البيان أميره  
أتخاف بعد اليوم نزغة ملحد؟      كلا، فدين الله تم ظهوره

مصطفى أبو على

# العلوم والآداب

## نشأة الحروف الأبجدية<sup>(١)</sup>

قد عاد الباحث من جديد إلى اقتفاء أثر الحروف الأبجدية للوصول إلى المكان الذى نشأت فيه وكلنا يعلم أن هذا الأثر اتخذ طريقه إلى رومة من زمن بعيد ومن هناك عرج — كما يظهر جلياً — إلى شواطئ البلاد الاغريقية وولاياتها القديمة ، ومن الثابت أن بعض العلماء قد تتبعوا هذا الأثر إلى فينيقية بلاد تلك الجماعات المتفرقة التى ملأت البحر الأبيض المتوسط بسفنها التجارية ، وهناك فى فينيقية انقطع ذلك الأثر، ويقول الاغريقون إن الفضل فى انشاء تلك الحروف يرجع إلى كادمس الحكيم الفينيقى الذى ذكرته الأساطير ولا ينكر علماء الآثار القديمة الحديثون صحة هذا القول فقد أجهدوا أنفسهم فى اكتناه الحروف الهيروغليفية المصرية وأجهدوا أذهانهم فى تفهم أسرار النقوش التى عثروا عليها فى كريت ولم يتمكنوا بعد كل ذلك من أن يأتوا بتفسير مقبول كالذى قال به الاغريق من الفى سنة ، غير أن هناك ثغرة صغيرة أو حلقة مفقودة بين الكتابة التصويرية المصرية والرموز الصوتية الفينيقية . وقد عاد ذلك الأثر للظهور فى الوقت الحديث فى فيافى سينا البعيدة حيث اكتشفت بعثة جامعة هارفارد الأمريكية الموقع الجغرافى الذى التقت به كتابة المصريين ( اليكتوجرافية ) التصويرية وكتابة الشعوب السامية التى كان الفينيقيون شعباً فيها بلاجدال حيث عثروا على رموز مصرية منقوشة على جدران معبد متهدم أقيم «لمبودتهم» هاتور ووجدوا فى الآكام والكهوف الصخرية على مقربة من ذلك قطعاً من الصخور عليها نقوش لاشك فى أنها سامية وقد ثبت أن تلك الكتابة على الجدران وعلى قطع الصخور ترجع إلى عصر واحد حوالى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد . ويظهر أن السيرفلنדרز بترى عالم الآثار القديمة المشهور عثر على نفس هذه الصخور المنقوشة التى كشفت عنها البعثة الأمريكية حيث صور ضمن النقوش الهيروغليفية التى صورها

(١) مترجمة عن مقال للكونت مرزاوف بمجلة العلم والاختراع الأمريكية



في ذلك الوقت رموزاً تشبه الهيروغليفية ولكنها لا تقبل الترجمة إلى اللغة المصرية القديمة. وانقضت عدة أعوام أذاع بعدها عالمان انجليزيان أن هذه الرموز لا تفك طلاسمها بطريقة الكتابة (الپكتوجرافية) أو التصويرية بل بطريقة الكتابة الصوتية. وقد اتخذ عالم ألماني ذلك التفسير أساساً لبحثه وترجم جل هذه النقوش وبين العلاقة بينها وبين الحروف الأبجدية السامية التي عرفت بعد ذلك. وبإعادة الفحص والتحصيل في هذه النقوش ظهر أن مصدر الاشكال الأولى للرموز الأبجدية التي نستعملها اليوم هو الهيروغليفية القديمة. ولكن ليس ذلك كل ما في الأمر فالسؤال الهام في الموضوع لا يزال قيد البحث وهو كيف تسنى للساميين أن يهتدوا إلى طريقة الرموز التي تقوم مقام الأصوات الأصلية في لغتهم كما ينطقونها بالذات وهي الطريقة التي سهلت الكتابة تسهيلاً كبيراً وجعلتها أكثر دقة ومرونة في الاستعمال من أي طريقة تصويرية أو اصطلاحية أخرى يمكن اختراعها. فقد جاء المصريون بالرموز أو ببعضها ولكن ذلك العمل مع أنه شأنه من الوجهة التاريخية ليست له قيمة كعمل فكري خطير حيث أن أي رموز أخرى كان يمكن أن تؤدي مهمة التعبير ولكن الطفرة الكبيرة من الرموز التصويرية إلى الرموز الصوتية تلك هي بحق ضرب من التفنن لا يكفي لتفسيره مجرد القول بتطور كل شيء بطبيعته كما يقول البعض. فالرموز ليست لها قيمة تذكر ولكن الفكرة هي الكل في الكل. وقد طفر الساميون تلك الطفرة وبقى المصريون يرسفون في قيود كتابتهم التصويرية العقيمة التي ينقصها الكثير من الصقل والتهذيب.

هذه إذن هي الحقيقة الجوهرية في الموضوع. أما الدافع الأصلي في اتباع المصريين والساميين ذلك المكان الذي وجدت به تلك الآثار فهو وجود الفيروزج به وقد أقامت كل من الأمتين المعابد الدينية على مقربة منه ويمكن التفرقة بسهولة بين آثار كل منهما على حدة. وهنا قد ينسأل الإنسان لماذا لم يعقن المصريون الفرصة التي سنحت لهم لاتباع طريقة الساميين السهلة في حين أن الساميين اقتبسوا الرموز منهم.

إننا نجد الجواب على ذلك في نظم الأمتين السياسية والاقتصادية فقد كانت طريقة الكتابة التصويرية تلائم بلا شك نظام الاقتصاد القطاعي السائد بمصر في ذلك الوقت

ولكن قبائل الساميين الرحل وجدوا من ضروريات الحياة البدوية ما شعروا معه بحاجتهم إلى طريقة دقيقة مرنة للتعبير عن أفكارهم وهكذا نشأت الطريقة الصوتية بضرورة الظروف القاهرة.

ويظهر أن الفينيقيين وجدوا هذه الطريقة مما تدعوا اليه أعمالهم التجارية الواسعة النطاق فمن المعقول اذن أن هذا الشعب الجرىء هو المنشئ الحقيقي للحروف الابجدية الصوتية حيث لم يكن هناك شعب آخر في ذلك الوقت في حاجة ماسة إلى واسطة دقيقة للتفاهم او شعب يسعى وراء الرزق بطريق يشحذ البصيرة والقرينة أو توفرت له اسباب الحث في العمل المنتج كالفينيقيين .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الاغريقين الذين أخذوا الحروف الابجدية عن الفينيقيين كانوا كالفينيقيين شعب يشتغل بالملاحة والتجارة والقرصنة وقد واجهوا نفس الصعاب التي واجهها الفينيقيون مما جعلهم يستبينون فوائد تلك الطريقة .

## الطرف والملح

وقال ابو العتاهية

مَنْ سَلَّمَ النَّاسَ سَلِمَ	مَنْ شَتَمَ النَّاسَ شَتِمَ
مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ أَسَا	مَنْ رَحِمَ النَّاسَ رُحِمَ
مَنْ طَلَبَ الْفَضْلَ إِلَى	غَيْرِ ذَوِي الْفَضْلِ حُرِمَ
مَنْ حَفِظَ الْعَهْدَ وَفَى	مَنْ أَحْسَنَ السَّمْعَ فَهِمَ
مَنْ صَدَّقَ اللَّهَ عَلَا	مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ عَلِمَ
مَنْ خَالَفَ الرِّشْدَ غَوَى	مَنْ تَبَعَ الْغَى نَدِمَ
مَنْ لَزِمَ الصِّمْتَ نَجَا	مَنْ قَالَ بِالْخَيْرِ غَنِمَ
مَنْ عَفَا وَاكْتَفَى زَكَا	مَنْ جَعَدَ الْحَقَّ أَثِمَ
مَنْ مَسَّ الضَّرَّ شَكَا	مَنْ عَضَّ الدَّهْرُ أَلَمَ
لَمْ يَعُدْ حَيًّا رَزَقَهُ	رَزَقُ امْرِئٍ حَيْثُ قُسِمَ

## نقد

ورد ادارة المجلة من فضيلة الاستاذ صاحب التوقيع خطابا ذكر فيه أنه عثر في الجزء الثالث من المجلة على خطأ في ثلاثة مواضع فقال : ولقد مررت على العدد الثالث من المجلة — ولما أقرأه قراءة انعام وتدقيق — فلفت نظري هذه العبارة التي وردت في الصفحة (٢٤٠) وهي :

وهرب الحجاج في بعض حروبه من غزاة فعيه عمران بن قحطان السدوسي بقوله  
أسد على وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر  
هلا كررت الى غزاه في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر  
وفي هذه العبارة خطأ في ثلاثة مواضع منها ( الأول ) كلمة ( قحطان ) وصوابها ( حطان ) بكسر الحاء وتشديد الطاء وأصله التيس فسمى به والد عمران ( وانظر الأغاني .  
والقاموس وشرحه في مادة — ح ط ط — ) (الموضع الثاني) كلمة (السدوسي) وليس عمران سدوسيا ولكنه ذهلي من ذهل بن ثعلبة ثم من بكر ، وهو عمران بن حطان بن ظبيان أحد شعراء الشراة ودعاتهم (الموضع الثالث ) في رواية البيتين وأنا أرويهما مع بيت ثالث لهما وهي

أسد على وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر  
هلا برزت الى غزاه في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر  
صدعت غزاة قلبه بفوارس تركت مدابره كأمس الدابر

محمد محيي الدين

مدرس بالقسم الثانوى بالازهرى

٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ

## تصحیح

اطلع فضيلة الأستاذ الشيخ حسن منصور على هذا النقد الموجه الى بعض مختاراته من الطرف والملح فكتب ما يأتي .

أما كلمة قحطان فاني كنت كتبت الى ادارة المجلة بعد ظهور العدد الثالث بتاريخ ٢٢ ربيع الأول أن كلمة ( قحطان ) كتبت خطأ وصوابها ( حطان ) بكسر الحاء وتشديد الطاء وطلبت الى الادارة نشر ذلك التصحيح في العدد الرابع .

وأما كلمة ( السدوسي ) فهي صحيحة مثل كلمة ( الذهلي ) فان عمران بن حطان . هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوزان بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل الى آخر نسبه . هذا الذي ذكره صاحب الاغانى في الصفحة ١٤٩ من الجزء ١٦ طبع الساسى ، وذكره المبرد في الكامل ونسبه الى سدوس ( انظر الصفحة ٣٥٤ من الجزء الأول طبع أوربة ) وفي نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي قال في الصفحة ٢٣٥ : وسدوس بفتح السين بطن من ذهل بن شيبان من العدنانية وهم بنو سدوس بن ذهل بن شيبان اه

فن هذا تعلم أن نسبة عمران بن حطان الى سدوس صحيحة كنسبته الى ذهل .  
وأما كلمة (فتخاء) فانها جاءت هكذا في رواية كمال الدين الدميرى في ترجمة الغزاة وكذلك في كتب البيان قال الفزرى في حواشيه على المطول ( الفتخاء المسترخية الجناحين والمراد من قوله تنفر من صفير الصافر أنها تنزعج من مجرد الصوت ) (انظر الحاشية المعروفة بالتجريد على شرح المختصر للسعد في بحث التشبيه ) وفي رواية ثانية لصاحب الاغانى في أخبار عمران بن حطان هكذا ( ربداء تحفل من صفير الصافر - هلا برزت الخ ) وفي رواية ثالثة ذكرها صاحب (مروج الذهب ) هكذا ( فزعاء تقزع من صفير الصافر - هلا برزت الخ ) راجع الصفحة ٩٠ من التاريخ المذكور طبع الحلبي .

ومن هذا تعلم أيضا ان ماجاء في مجلة نور الاسلام هو احدى الروايات المذكورة . وقد اقتصرنا على احداها لأن المقام لا يقتضى أكثر منها وكل صحيح مروى

حسن منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا



قَدْ جَاءَ كُرُومُ الْقَصْرِ نُورٌ وَكَانَ مُنِينَ يَهْدِي بِرَأْسِهِ مَنْ أَسْمَعَ رُضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَكَانَ ثَوْبَهُ قُضِيَّتُهُ إِلَى جَنَّةِ نَارٍ مُسْتَقْبِلِهِ

# بُحْرَانُ الْأَسْئَلَةِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

عبد المحسن بن عبد الله

مدير إدارة المجلة :

السيد محمد الخضر حسين من علماء الأزهر

رئيس التحرير :

مكتب المجلة بالإدارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمي رقم ١٩

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكملة باسم مدير المجلة

٤٠	داخل القطر المصري
٢٠	للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس
٥٠	خارج القطر المصري
٣٠	طلبة المعاهد والمدارس

قيمة الاشتراك السنوي

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

وثن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه



وقع سهوا تحريف في عزو بعض المقالات بالفهرست والصواب هكذا

فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الجبالي	٣٤٤	الاسلام دين الفطرة
» » » يوسف الدجوى	٣٥٣	حكم شرب الدخان في مجالس القرآن
رئيس التحرير	٣٥٥	البابية أو البهائية
فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الجبالي	٣٧٠	أجوبة عن أسئلة شرعية
حضرة الأستاذ على الجندي	٣٧٥	خلاعة النساء تقودنا الى الهاوية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### أصول سعادة الأمة

سعادة الامة أن تستنير عقولها وتسمو أخلاقها ، وتفتبط بالنظم التي تساس بها ، وترضى عن طرق تطبيقها وترتاح الى تنفيذها ، وتأمين أن تمتد يد غريبة الى حق من حقوقها .

اما استنارة عقولها فباقامة معاهد كافية للتعليم، فان الامة التي تتألف من متعلمين وغير متعلمين يصعب على قادتها متى أرادوا توجيهها نحو الحياة الصالحة أن يجدوها لينة القياد خفيفة الخطا، والتعليم الصحيح ما يؤخذ فيه بأرق النظم وأحكم الاساليب، وتلقى العلوم بأساليب غير مهذبة هو العلة في تباطؤ النهضة العلمية وعدم انتظام طرق البحث والتفكير .

ولا سبيل الى أن يفتبط الشعب بنهضته العلمية حتى يتربى نشؤه على أن يطلبوا العلم بداعى اجتلاء الحقائق والحرص على اسمى الفضائل ، ومما يقعد بهم عن مرتبة النبوغ والابتكار في العلوم ان يجعلوا لطلب العلم غاية مادية حتى اذا أدركوها انقطعوا .

والتعليم الذى تؤمن عاقبته وتزكوا ثمرته ما هتدى فيه الطلاب الى طريقة نقد الاراء وتمحيها حتى لا يقبلوا رأيا الا أن يستينوا رجحانه بدليل ، وقد رأينا رأى العين ان طائفة من ابنائنا قد انحرفوا عن طريق الرشد ، ولو كانوا ممن يرد الاراء الى قوانين البحث المعقولة لاستقاموا على هدى الله وما كانوا من المفتونين .

وأما سمو أخلاقها فلتستقيم أعمالها وتنظم المعاملات بينها ، والاعمال الخطيرة انما تقوم على نحو الصبر والعزم والكرم والاقدام، والمعاملات الراجحة لاندوم في تماسك وصفاء الا ان تكون محفوفة بنحو الصدق والامانة والحلم وسماحة النفس ورقة العاطفة ،

وهذا الوجه من وجوه السعادة ملقى في عهدة من يتولى أمر التربية كالامهات والاباء ورجال التعليم ، ولا يكون في الامهات والاباء والمعلمين كفاية لان يخرج الطفل أو الفتى من بين أيديهم طاهر السريرة مستقيم السيرة حتى يكون التعليم الدينى ضاربا بأشعته في جميع مدارسنا أولية كانت أو عليا ، واذا وصلت التربية الدينية الى النفوس من طريقها الصحيح فلا ترى منها الا حياء وعفافا وصدقا وأمانة واستصغارا للعظائم وغيره على الحقائق والمصالح ، وما شئت بعد من عزة النفس وكبر الهمة ، تلك خصال لا تثبت أصولها وتعلو فروعها الا أن يتفياً عليها ظلال الهداية ذات اليمين وذات الشمال .

واما توافر وسائل الثروة فلتكون مرافق الحياة بين يديها ، والعيش ميسورا لكل فرد من أفرادها وما أبعد الامة عن سعادة الحياة اذا كثر فيها أولئك الذين يتكففون الناس في أيديهم ، وأولئك الذين يترددون على المقاهى والنوادي في الصباح كما يترددون عليها في المساء .

من حقوق الامة أن يهيء لها ولاية أمورها الوسائل للاعمال العامة وينظروا في ترقية الصناعة والزراعة والتجارة وتوسيع دائرتها ، يعنون بها من الوجهة العلمية بفتح مدارس لتلقى ماله اختصاص بهذه الاصول الاقتصادية من علوم وفنون ، ويعنون بها من الوجهة العملية بانشاء مصانع وتشجيع الزراعة وتبدير الوسائل لرواج البضائع الوطنية ما استطاعوا ، وبمثل هذه المساعي تجدد الايدى العاطلة مجالا للعمل ، ولا تخرج اثنان ملابسنا وامتعة منازلنا وسائر مرافق حياتنا عن حدود أوطاننا .

وليس تبعة الحالة الاقتصادية ملقاة على عاتق أولى الامر وحدهم ، بل على الموسرين حظ من هذه التبعة عظيم ، اذ في ميسورهم تأليف شركات تراعى في نظمها أصول الدين الخفيف فتفيض بربح مبارك غزير ، ويعيش من العمل بها خلق كثير

أقيمت في عاصمة المانية وبعض مدنها وقراها زمنا غير قصير ، فلم أر قط سائلا سليم البنية ، بل لم أر في تلك المدة متكففا غير نفر قليل هم ما بين رجل مقطوع اليد



أو الرجل ، أو عجز بلفت من الكبر مافت في عضدها ، لم أر سليم البدن يتكفف اذ لا يعدم سليم البدن أن يجد هناك عملا حيويا اذا شاء ، والتعليم وهو هنالك الزامى يقبح لصاحبه أن يقف موقف الاستجداء .

وكثير من أمراء الاسلام كانوا ينظرون الى الامة برأفة ويجتهدون في أن يخففوا عنها متاعب الحياة ماقدروا ، وهذا طاهر بن الحسين يقول في كتابه الذى بعث به الى ابنه عبد الله حين ولاء المأمون مصر والرقعة وما بينهما «وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقا من بيت المال ، وانصب لمرضى المسلمين دورا تأويهم ، وقوِّاما يرفقون بهم ، واطباء يعالجون أسقامهم ، واسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال»

وفي فتح طرق العمل للمستطيعين ، واقامة مستشفيات وملاجئ للمرضى والعاجزين ، انقاذ للامة من أن تقود الحاجة طائفة من ابنائها الى نواد أو مستشفيات يفتحها من يقصد الى افساد عقائدها الدينية ، أو اطفاء غيرتها الوطنية .

واما الاغتياب بالنظم المدنية فذلك ما يدعوها الى أن تحترمها من صميم اقتدتها فتراعيها في السر كما تتقيها في العلانية ، فيكتفى الناس في اكثر الخصومات بمعرفة الحق من طريق الاستفتاء . وأولو الامر هم الذين يقررون النظم المدنية ويقومون على تطبيقها ، فالولو الامر على اختلاف طبقاتهم وتفاوت مقاماتهم طائفة من الامة تولوا النظر في شؤونها العامة ، فيجب أن يتجلى فيهم روح النيابة عنها ولا يتجلى هذا الروح الا أن يعملوا على مايكفل مصالحها ، ومقتضى هذا أن تساس بنظم تراها أحكم وضعا وأرعى للمصالح ، والامة الاسلامية انما تشهد للنظم بالحكمة ورعاية المصالح متى وافقت أصول شريعته ولم ينتهك بها شيء من حرمتها .

واما الرضا عن حال التطبيق فلان صحة النظم انما يظهر أثرها على أيدي من يوكل اليهم أمر تطبيقها ، وما مزية القانون العادل اذا وكل العمل به الى من لم تحسن المدرسة أدبه ؟ فتطبيق القوانين على الحوادث يرجع الى أدب الحاكم ومبلغه

من العلم والفهم ، فمن حق الامة أن لا يتولى الحكم فيما شجر بينها الا ذو ثقافة يجيد بها عمل التطبيق ، واستقامة يقف أمامها القوى والضعيف على سواء ، وهذا ما يدور عليه فضيلة العدل المأمور به في قوله تعالى (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) وقوله تعالى (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

واما الارتياح لطرق التنفيذ فيعود الى السلطة الاجرائية كادارة الشرط ، وحق الشعب على هؤلاء أن تأخذهم به الرحمة ويشعروا بأنه جسد هم بعض أعضائه ، أقت في بعض البلاد الشرقية فكنت أرى بين بعض رجال القوة المسلحة وسائر الوطنيين جفاء يتطاير شرره لادنى مخطابة تدور بينهما ، ثم رحلت الى عاصمة أوربية وطففت في بعض المدن والقرى ، فكنت أرى تعاطفا واثلافا بين الجند والشرط وبقية الشعب ، ولا يكاد الناظر يفرق بينهما الا بما يحمله الاولون من هيئة رسمية أو سلاح ، كنت أشاهد سائق العجلة يجادل الشرطى مدة غير قصيرة واصواتهما في الارتفاع متساوية ، ولا يكون بعد هذا الا أن يقنع أحدهما الآخر ويفترقا .

نحن نعلم ان انتشار التعليم في الشعب يساعد رجال الامن وغيرهم على تنفيذ النظم العامة بكلمة ينهون بها من يروم مخالفتها ، ولكن المحروم من التعليم هو في حاجة الى أن ينظر اليه بشفقة ويعالج بشيء من الرفق الا أن يخرق النظام متمردا ، قال معاوية بن أبى سفيان «لا أضع سيفي حيث يكفينى سوطى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لساني»

وتطبيق النظم على الوقائع وتنفيذها بعدل حق من حقوق الامة على ولاية أمورها ، واذا توقف على شيء يرجع الخطاب فيه الى بعض أفراد الامة كاداء الشهادة على وجهها كانت تبعته على أولئك الذين يستطيعون أن يشهدوا بحق ويكتمون الشهادة وهم يعلمون .

واما أمن الامة من أن تسطو يد غريسة على حق من حقوقها فلتطمئن على

عزتها وكرامتها ، ولتشعر بان من تلدهم سيعيشون كما تعيش الامم ذات الشوكة  
احراراً ، ولا تأمن بأس خصومها ولا تنظر الى مستقبل أبنائها فتراه أغر محجلاً الا  
أن يكون ما بينها وبين رعاتها عامراً بالنصح من ناحية وبحسن الطاعة من الناحية  
الآخري ، فبالنصح ترقى معاهد التعليم فتستغنى بعلم أبنائها وكفايتهم للعمل عن أن  
تستمد وسائل الدفاع والمنعة من وطن غير وطنها ، وبحسن الطاعة ينتظم أمر الجند  
وتبلغ القوة المالية غايتها .

وقد عني الاسلام فيما عني بهاتين الحصلتين العظيمتين : اخلاص ولاة الامور  
للأمة ، وطاعة الأمة لولاة أمورها ، فوجب على الولاة أن يقيموا سياستهم على  
رعاية الحقوق والمصالح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يسترعيه  
الله رعية فلم يحطها بنصحه الا لم يجد ريح الجنة <sup>(١)</sup> » ثم التفت الى الرعية فأمرهم بحسن  
الطاعة ، ومن شواهد هذا قوله عليه الصلاة والسلام « السمع والطاعة على المرء  
المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة <sup>(٢)</sup> »

فالحق أن سعادة الأمة في أيدي رؤسائها، فاذا استقاموا على الطريقة وساسوها  
برفق وحرص على مصالحها وكرامتها ، سارت بجانبهم مستقيمة فلا تلبث أن تنجح  
في سيرتها وتظفر ببغيتها ( الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي  
الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ )

محمد الحضر مبین

# النفس

تفسير قصة سيدنا شعيب عليه السلام

— ٤ —

قد قدمنا لك القول مفصلاً في تفسير دعوة سيدنا شعيب عليه السلام لقومه أهل مدين ، ونحن الآن نُجْمِلُهَا لك في دعوتين .

« أولاهما » دعوتهم الى اصلاح دينهم بأن يعبدوا الله الذى لا اله لهم غيرُه فتركوا ما ورثوه عن آبائهم وأسلافهم من عبادة ما لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عنهم شيئاً « ثانيتهما » دعوتهم الى اصلاح دنياهم بأن ينتهوا عن نقص المكيال والميزان وأن يُوفُواهما بالقسط وأن يَكْفُوا عن بَخْسِ الناس أشياءهم وعن العَثْيَانِ فى الأرض مفسدين مع تبشيرهم بحسن العاقبة اذا تابوا وآمنوا واندأروهم بسوء المآل ان عاندوا واستكبروا . هذا ما دعاهم اليه عليه السلام ، ولكنهم أساءوا اليه كما أساءوا الى أنفسهم وبخسوا أشياءهم كما بَخَسُوا الناس أشياءهم فلم يقابلوا دعاءه بما كان يجب عليهم أن يقابلوه به من التروى والبحث والتدبر .

وذلك أن العقل السليم يوجب فى كل أمر جديد لم تَعَهْدَهُ النفوس من قبل — خصوصاً اذا كان مخالفاً لما أَلْفَتْه من المعتقدات ولا سيما أمر الدين — أنها تُنْصِتُ له وتستمع اليه ، ثم تجول فيه جولة المُنْقَبِّ فى ارجائه ، الباحث فى ثناياه ومناحيه ، الناظر فى أدلته ، الناقد لمقدماته ونتائجها ، حتى اذا تبين لها أن الحق فى جانبه والرشد فى أتباعه قَبِلَتْه عن رضا ودانت له عن بينة ورفضت ما ورثته عن أسلافها الأولين ونَبَذَتْ ما كانت عاكفة عليه من التقاليد والضلالات ظَهْرِيّاً

أما ان بادرت الى الرفض وسارعت الى التكذيب والانكار من قبل أن تتبصر فى أمر ذلك الداعى وفيما دعاها اليه ، بل تجاهلت أو جهلت خلاله الكريمة وفضائله الكاملة

ودفعها حرصها على ضلال أسلافها ، وعَزَّ عليها هجرُ ما أنست به من ضروب النقيّ والفسوق فصَمَتَتْ آذانها عن الاستماع له وعَمِيَتْ أَبصارُها أَنْ تنظرَ ماذا في السموات والأرض من الآيات المصدّقة له وكسَفَتْ شمسُ فطرتها فلم يَبْقَ فيها بصيص من نور الاهتداء .

اذ أُصِيبَتْ نفوس الأمم بذلك فانها لا تقابل دعاء المصلحين الصادقين الا بالتكذيب بل بالجحود<sup>(١)</sup> بديء بديء ، لا تُصْنِى اليهم ولا تقيم لدعائهم وزنا ، معرضة عما أتوا به من الأدلة الصحيحة والآيات اليينات ، كما حكى الله عز وجل عنهم اذ يقول (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا) وقال (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلَمُوا فِيهِ يَعْزُبُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) .

هذا هو شأن الحق اذا أتى الأمم مخالفًا لما هم عليه مقيمون ، وهذه هي معاملتهم لرسول ربهم حينما يبلغونهم عنه سبحانه دينه ويهدونهم الى صراطه المستقيم ، فلم تَنْجُ أمة من الأمم الخالية الا وقد وسوس اليها شياطينها فأعرضت عما ذكّرت به من شرائع الله واتخذت آياته ورسله هُزُؤًا .

وذلك كما أخبرنا الله صَدَقَ خبرُه بذلك في كتابه العزيز اذ قال في شأن الذين كذبوا رسوله سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) .

هكذا أخبر الله تعالى ولكنه سبحانه قد أوضح لنا السبب الذى لأجله قابلت كل أمة رسولها بما قابلته به من الكفر والتكذيب ، فذكر أن منشأ ذلك هو الطغيان وهو تجاوز الحد فى العصيان حتى يُودَى ذلك بالطاغين الى أنهم يكذبون بعقوبة طغيانهم .

ولما كان هذا المرض الويلُّ وهو الطغيان قد أصاب كلَّ الأمم الخالية . كانوا جميعا سَوَاسِيَةً متماثلين فى الاصابة به كأنهم قد أجمعوا عليه وأوصى به بعضهم بعضا وذلك هو

(١) هو التكذيب مع تبين الحقيقة كما فى الآية ( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم )

قوله سبحانه (أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) وقوله (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

في هذا الطريق المَوْجَّ سار أهلُ مدينَ ففترقتُ بهم سُبُلُ الغواية والضلال عن سبيل الله المستقيم الذي دعاهم اليه رسولُ الله سيدنا شعيب عليه السلام فكانوا في عنادهم واستكبارهم عما جاءهم به مثلُ أشياعهم الذين قال الله فيهم (جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ).

بمثل هذا الرد والتكذيب الشنيع قابلَ أهلُ مدينَ دعوةَ رسول الله شعيب عليه السلام، وهو ما قصه الله تعالى عنهم في قوله (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) الآية .

قد تضمنت هذه الآية الكريمة ثلاثَ مقالاتَ لهم كلٌّ منها كافٍ كلَّ الكفاية في الدلالة على ان أهل مدينَ قد مُسِخَتْ نفوسُهُم وعَمِيَتْ بصائرُهُم وَكَمِهَتْ أَبْصَارُهُمْ ، فكَرِهُوا الْحَقَّ وَسَخَرُوا مِنْ جَاءِهِمْ بِهِ فَضَلُوا بِذَلِكَ ضَلَالًا بَعِيدًا .

المقالة الأولى قولهم (أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ؟ ) الثانية قولهم (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) الثالثة قولهم (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) .

فأما المقالة الأولى فإنها قد اشتملت على عدَّةٍ من شناعاتهم وخروجهم عن حدود آداب المعاملة مع أصناف الخلق ولا سيَّما رسل الله المصطفينَ الأخيار .

فإنها هذا الاستفهام الصَّوْرِيُّ الذي قصدوا به التَّهْكُمَ والاستخفافَ برسولهم الكريم وهو أَرْجَحُهُمْ عَقْلًا وَأَزْكَاهُمْ نَفْسًا وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَقِّ وَأَعْرِفُهُمْ بِرَبِّهِمْ وَأَخْشَاهُمْ لَهُ وَأَعْظَمُهُمْ اخْلَاصًا وَنَصْحًا لَهُمْ وَأَدْرَاهُمْ بِمَصَالِحِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ .

ومنها أنهم جعلوا صلاته التي يعتقدون بطلانها لأنها غير آلهتهم هي التي تأمره أن يدعوهم إلى ما دعاهم إليه ، فيكون ما دعاهم إليه باطلا لكونه انما صدر عن صلاته الباطلة في

زعمهم لا عن وحى من الله تعالى كما يدعى ولا عن عقل سليم . بل انما كان ذلك منه اتباعا لما سؤلت له به نفسه ( حاشى لله ) .

جعلوا هذه المقالة الفاحشة اجابة عن امره عليه السلام لهم بعبادة الله تعالى وحده وترك ما ورثوه عن آباءهم من أنواع الضلال والشرك بالله فاطر السموات والأرض يدعواهم ليغفر لهم من ذنوبهم ويؤخرهم الى أجل مسمى ( سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) .

حسن منصور — وكيل دار العلوم سابقا

يتبع

## تربية اللؤلؤ في اليابان

مترجمة عن الألمانية من مجلة Woche

يشتهر خليج آجو في المياه اليابانية بوفرة اللؤلؤ لوقوعه في ناحية مستترة آمنة تكفل غو المحار لهدوء مياهها . ولا يبعد هذا الخليج عن معبد أيزا بنحو ٢٠ كيلو متر جنوبا .

ولتربية اللؤلؤ في مثل هذه النواحي التي تكثر بها ديدان المحار تلقى قطع من الاحجار الصغيرة في الماء خلال شهرى يوليه واغسطس ، فلا يلبث أن يعلق بها بويضات المحار . ولقلة غور هذه الجهات تنقل الاحجار بما علق بها الى مياه أكثر عمقا خوفا على المحار من العدم والهلاك لو تركت في المياه الضحلة ابان فصل الشتاء . فتوضع في أعماق بعيدة داخل مهاد أعدت لهذا الغرض ولا ينتزع المحار منها الا في السنة الثالثة حيث يعالج بطرق خاصة لتكوين اللؤلؤ في باطنه ، ويستعان على ذلك بادخال لآلى صغيرة واطقة القيمة أو حييات مستديرة من الصدف تصلح لأن تكون نواة للؤلؤ . ثم يلقى المحار في البحر ثانية حيث يستقر في جوفه أربع سنين على الأقل . وعند استخراجها توجد اللآلى بباطنه .

ولو أن هذه الطريقة في تناول كل انسان لما شق على غير اليابانيين ممارستها .

# اصْبُوا لِكُلِّ الْبَلَاءِ

## الدين ضرورى للعمران

— الفرق بين المؤمن وغيره —

قلنا فى مقالنا السابق ان الانسان مركب من جزء علوى سماوى وجزء مادى أرضى وانه لا بد له بمقتضى هذا الجزء أن يتغلغل فى المحسوسات ويوغل فى وادى اللذائذ الجمائيات ولاشئ عليه فى هذا بل بذلك تحصل سعادته وتم راحتة ، وقد اعتنت الشريعة بذلك أتم اعتناء ولكن رسمت له قواعد وحددت له حدودا .

غير أن المؤمن لا يتفانى فى تلك المطالب البدنية ولا يتهالك عليها بل يراعى حدود الله فيها وبذلك يصفو عيشه وتم راحتة .

وأما غير المؤمن فيعدو وراء الأوهام وينخدع بأضغاث الأحلام ويفر لمعان السراب فيحسبه من لذيذ الشراب فيشقى شقاء لا سعادة فيه ويكد كدا لراحة معه . قد عظم فيه الشره . فهو يطلب أن يستأثر بكل شئ فتراه يثب وثوب الوحوش على أخوانه وبني نوعه يفترسهم اقتراس الذئب الضارى نائمة الغنم ويستلب منهم ما استطاع اليه سبيلا حتى يكون له من رفعة الحياة ووفرة المال وضروب اللذات ما ليس لأحد سواه فى بلده أو قطره أو الدنيا كلها على حسب ما تسمح به درجته وتوصله اليه قدرته ، وهو الذى فى نفسه من التكالب الحيوانى على جمع المال والحرص على قتل غيره لينفرد بالحياة وما ركب فيه من ذلك الشره الذى لا يتناهى حتى لا يساويه أحد ولا يدانيه انسان فيكون وحيد دهره وفريد عصره على ما يزعمه شيطانه ( ولو أنصف لعرف أنه وحش أخوانه ومفترس أقرانه ) كل ذلك الذى يدور بنفسه ويطلبه على موجب شرهه وجهله هو بعينه فى نفس كل واحد من بني نوعه بمقتضى الغريزة البشرية فلا يلبث أن يقوم فى وجهه قومة الأسد فى وجهه من يريد أشباله فلا يزالان يتصارعان حتى يصرع أحدهما



الأخر بفضل غلبة الأهواء وعدم معرفة حقيقة السعادة والشقاء ، وأذن تنحلّ الروابط الانسانية بل علاقات القرابة الأبوية كما شاهدنا ونشاهد فتفتك أجزاء الأمّة ويكاد ينهار بناء المجتمع الانساني لولا لطف الله تعالى به ووجود الكاملين فيه ، ولا غرو فالانسان مجبول على محبة الدنيا وعلى الافراط فيها كما قال تعالى « وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا » وقال « كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ » وقوة المحبة غير المعتدله ينشأ عنها التحاقد فالتحاسد فالتدابر فالتنازع فالتقاتل « تتأجج طبيعية يستلزم بعضها بعضا » وهذه حقيقة مأموسة تراها بين الدول والأفراد وناهيك بالحرب الكبرى وما تفعله دول الاستعمار وما تراه من عمل المرائين ومحبي الأثرة في كل أمة ودولة ، ولذا كان غرس مكارم الأخلاق التي تقف النفوس عند حدها وترسم لها طريق السعادة الحقيقية وتنفع فيها روح الانسانية ويرشد اليها الدين ويعلو بها عن الصفات البهيمية من أول الضروريات التي يتوقف عليها صلاح الكون وبقاء النوع الأنساني حتى لا يذهب فريسة الشره وضحية الأطماع . لا فرق بين الأفراد وبين الأم في ذلك

المؤمن يطلب الدنيا ليتوصل بها الى سعادته الباقية وليسير على راحلتها الى محل قراره فهي في نظره لا تتجاوز رتبة الوسائل التي تراد لغيرها ولا ترتفع الى درجة المقاصد التي تراد لذاتها وإن كان لا بد منها ، وقد اثمر هذا النظر للمؤمنين أن يتمتعوا بقلوبهم وتنام حريتهم اذ لم تستعبدهم الدنيا بحببتها كما استعبدت ابناءها المتعشقين لها المتهالكين عليها ولم تأخذ من قلوبهم الا كما تأخذ الوسيلة من قلوب ذوى العقول السليمة ، ومن أجل ذلك قلّ فيهم الخصاص وتم بينهم الوئام ، ولا تظن — أيديك الله — أنا نرى أن المؤمن لا يتوسع في الدنيا ولا يكون بعيد النظر فيها فانه هو العاقل الحكيم بحكمة دينه وتعليم سيده الذي جعل له العزة وأوجب أن تكون أمته خير الأمم . وقد بسطنا ذلك في مقال آخر

والمؤمن من أرفع الناس همّة وعلى قدر همّة الرجل تكثر واجباته وتكبر مروءته فتعظم أثقاله وهو الذي لا يزال لسان حاله يقول :  
أريد ببساطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعلاقلي

ولكنه يعمل كل ما يعمل فيه الله على سنن الاعتدال غير غافل عن مقصده الذى يريد به فيتوسل بكل شىء فيها الى فعل الخير واكتساب الأجر .

المؤمن يتعاطى الأسباب المشروعة ولكن لا يذل لها ذل العاشق لمعشوقته ولا يخضع لها خضوع العابد لمعبوده . لأن قلبه مع مسبب الأسباب لأمع الأسباب فهو دائماً يستمد منه الرشد والمعونة فيما يريد علماً منه أن بيده مقاليد الأمور فان شاء أضله فى السير وأوجد له من العقبات ما يحول بينه وبين مطلوبه ، وان شاء هداه السبيل ويسر له من الأسباب ما يعلم وما لا يعلم ولديه تعالى من الأسباب الخفية ما لا يصل اليه علمك وتديرك وان عامته فلا تصل اليه قدرتك وليس لتصريفه تعالى حد يقف عنده أو قانون لا يخرج عنه بل ما لا تعلمه من الأسباب الخفية أكثر مما تعلمه ولست تدبر الا على حسب علمك وقد ينقلب ما دبرت ولا يكون ما قدرت ، وكثيراً ما كانت المقتضيات موانع والمضار منافع ، واذا لم تكن قد اهتديت الى ذلك بما وصلت اليه من العلم فلعلك اهتديت له بما حصل لك من الحوادث .

المؤمن لا يعوت أسفاً ولا ينتحر غيظاً اذا فاته شىء من الدنيا مهما كان لأنها ليست كل المقصود عنده ولا تمام السعادة فى نظره ولأنه يعلم أن الله على كل شىء قدير فان شاء أعطاه أضعاف ما ضاع منه وان لم يعلم له سبباً ولم يعرف اليه طريقاً فليست الأسباب منحصرة فيما علم ولا الطرق مقصورة على ما عرف ولانه كثيراً ما وجد الخير فيما كان يظنه شراً وكثيراً ما وجد الشرف فيما كان يظنه خيراً ، وطالما استتبعت الأفراح الأتراح والشور السور فغلب عليه الركون لله عز وجل والثقة به والتوكل عليه وتقليد كتابه العزيز فيما قال « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » فعزاه هذا الخطاب فهان عليه المصاب فتبلغ منه الصدر وخف عليه الأمر .

أما الموازنة بين المؤمن وغيره من حيث نعيم النفوس وصفائها وبهجة القلوب وشقاؤها فهي أعظم وأهول ، ذلك أن المؤمن تراه دائماً فرحاً مسروراً مبتهجاً محبوراً حتى انه فى احرج ظروف البلاء والعناء يكون فى غاية الصبر ونهاية الرضى ، لأنه يعتقد

أنه ما يشاك بشوكة فما فوقها الا كان له بها أجر ، وقد نقل عن اويس القرني أنه كان يبكي مسرورا اذا اشتد به الحال ويقول ان هذه منزلة المقرين المحبوبين ولست منهم فبأى شئ نلت هذه المنزلة عند ربى ، بل كانوا يفرحون بالموت فضلا عما دونه ثقة بما يلاقون بعده عالمين بأن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة هي الدار الحيوان وان كان أكثر الناس لا يعلمون وقد تبسم بلال رضى الله عنه عند ما شارف الموت فسئل عن ذلك فقال غدا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه ، وكان علىّ يقول لا أبالى اسقط علىّ الموت أم سقطت عليه ولقد صدق القائل

لا تهتدى نوب الزمان اليهم ولهم على الخطب الشديد لجام  
وقد قال الله تعالى لليهود « قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَيْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ » فأفاد أن هناك فريقا من الناس يفرح بالموت حتى أنه يتمناه ولهم بعد ذلك من اللذة الروحانية والبهجة النفسية ما لا يعلمه الا الله تعالى وقد قال قائلهم :

أيا صاحي قف بى مع الحق وقفة أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا  
وقل للملوك الأرض تجهد جهدها فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

ولعل في قراء المجلة من المؤمنين الكاملين من ذاق شيئا من تلك اللذة الروحية التي لا يائلها لذة أخرى ، وقد قال ابراهيم بن أدهم نحن في لذة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف . وقال غيره عجبت لمن يخرج من الدنيا وما ذاق الذّ شئ فيها وقد قالوا ان هذه اللذائذ المحسوسة تشاركك فيها البهائم ولا قيمة لشئ تكون أنت والبهائم فيه سواء ولقد بلغت تلك اللذة الروحانية من بعض ذويها أن قال فرحا وتبجعا .

أتية فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسى  
أتية على جن البلاد وانسها فأن لم اجسد شخصا تيه على نفسى

فقدان بين هذا وبين من أحاطت به الظلمات من جميع جهاته ، فهو يتخبط فيها ليلاه ونهاره لا يدري كيف السبيل الى انقاذه من حيرته وخلاصه من شدته وليس لديه من العقيدة ما يخفف من بلائه أو يهون من لأوائه ، فهو يعالج أهوال الموت في كل حين

وحاله على ما وصف الله كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب  
ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها وقد صرح بعضهم بتلك الحقيقة  
عند ما امتلأت نفسه بهاففاضت منه قهر اعنه يقول

ظلمة فوق ظلمة أنا فيها      أبدا مصبح كما أنا ممسى

فهذا رجل مسكين فقد النور والسرور غشيته الظلمة وأحاطت به الحيرة وقد قال الله تعالى  
في مثله «وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ  
يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» حتى أنه اذا لم يكن له بلاء ظاهر ولا شقاء  
حاضر أملت عليه مخيلته المظامة ما هو كفيف بازعاجه وعدم طمأنينته وكفى بذلك شقاء  
وبلاء، وانظر الى قوله في هذه القصيدة :

تعتري جسمي هزة كلما فكـسرت أنى يوما سأفقد حسى

يخاف الموت ذلك الخوف البالغ وجدير به أن يخاف لانه ذاهب الى فناء أو شقاء ، أما  
المؤمن فلا ينزعج من الموت كما سمعت لانه يعتقد أنه انتقال من دار الشرور الى دار  
السرور ومن موطن الفناء الى محل البقاء حتى قال بعضهم وهل الخير كله الا بعد الموت  
ولكن ذلك الذى لا يؤمن بالآخرة لاحياة عنده الا هذه الحياة ولذلك يحبها حبا جما كما  
يقول فى القصيدة نفسها :

لم أزل بالحياة صبا وأن نؤ      ت بستين من سنى وخمس

الى أن يقول :

أعما الدنيا جنة لسعيد      وجحيم لذى شقاء وبؤس

لك فيها الحياة ما طبت عيشا      كل شىء فلا تبعها ببؤس

الى أن يقول :

قيل لى احمد على الشدائد والأو      صاب ربا يهدى الورى ويُدسى

قلت هذا ما لست أفعل شيئا      منه حتى أردى فدعنى وتعسى

والرجل منصف يعترف بتعسه ونكسه ، لا بل هى الحقيقة تظهر بقوة سلطانها على  
لسان صاحبها وان حرص على كتمانها .

ومن هذا القبيل قول من يقول مناجيا لنفسه أو مناجيه له : —

قالت : سئمت من الحيأة ومفرق كالليل حالك  
فأجبتها انى كذلك

قالت : وأملت السعاة فاثنت بغير ذلك  
فأجبتها انى كذلك

قالت : ويرهبني الفناء يومه باك وضاحك  
فأجبتها انى كذلك

قالت : وأجزع حين أذكر أنني احدى الهوالك  
فأجبتها انى كذلك

انى كذلك مثل غيرة حائر أنى كذلك

ولا تعجب من ذلك الذى سمعت من حديث الظلمات التى بعضها فوق بعض وتلك  
الحيرة التى أحاطت بذلك الملحد الذى لا يدري من أين جاء ولا الى أين يذهب مع ما  
للمؤمن من لذة الأنوار وبهجة الأسرار « اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى  
الظُّلُمَاتِ » والخلاصة أن التربية على غير مبادئ الدين ترمى بالانسان فى هوّة لا يستطيع  
منها مفرا ولا يجد فيها مستقرا فان سنع له من نتوء تلك الهوّة ما يضع عليه احدى  
رجليه زلقت به الأخرى فهوى أبعد مما كان واذا تنسم بعض النسيم الذى يصل اليه أحيانا  
لم يلبث أن يزول ذلك عنه ثم يحتنق بهوائها الفاسد ولا يزال كذلك يعانى صنوف  
العذاب ( يأتية الموت من كل مكان وما هو بميت ) حتى يذهب حيث شاء الله أو يعمد  
الى الانتحار تحلصا من ذلك الشقاء كى يصل الى مركز يستقر فيه وما هو بواصل اليه  
( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ) لا يجد من نور اليقين  
ما يتسع به صدره فيهون عليه أمره وتستقر روحه فى مركزها الذى تحن اليه من عالمها  
الأعلى تنزل عليها السكينه وتحفها الطمأنينة فتعيش هادية مهدية وراضية مرضية بل

أخذته الدنيا فلم تدع منه شيئاً حتى مات أسيراً في يديها وهو متلف عليها فهو معها (كباسط كفيّه الى الماء ليلبغ فاه وما هو ببالغه) وهى معه (كسر اب بقيعة يحسبه الظمان ماء احتى اذا جاءه لم يجده شيئاً) افضاع منه نصيب قلبه وبدنه جميعاً وناهيك قول الله تعالى « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى » ويقول في مقابلهم « وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ويقول « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ »

وأما تربية الدين فهى التربية التى يعيش بها الانسان هادئاً مطمئناً يتبادل المودة والهناءة هو واخوانه المؤمنون قد اتحدت مبادئهم فلم تختلف أهواؤهم (كحالنا اليوم) فضلاً عما له من السعادة الروحية التى هى أصنى وأرفع من السعادة البدنية .  
وأما غيره فليس له من تلك اللذة شىء لأنه مشغول عنها منكس القلب نحو العالم الأدنى — وليتك تصدق أن المؤمن يجد من لذة الأكل والشرب وهبوب النسيم وازهار الرياض ونفحات الطيور ما لا يجده غيره لأن له نصيباً روحانياً لا يعرفه غير أهله .

ولعلك بكلامنا هذا يهيج منك خالص الايمان ويتحرك لديك صادق الوجدان فتفهم ما يشير اليه قوله تعالى « وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ » وان كنت لاتذكر تلك اللذة الروحانية التى كانت لك زمن الصحة وسلامة الفطرة عند ما يهب نسيم الأصيل أو يفوح شذى الأزهار أو يشرق نور الصباح وما كنت تجده اذ ذاك مما يكاد يسكرك بخمرة ذلك الجمال حتى يجعلك مبهوتا مستغرق القلب لا على النحو الذى تعرفه الآن مما يجعلك تتحرك وتفكر . بل مما يلقى عليك سباتاً لذيذاً يملأ القلب نوراً ويفيض الدمع سروراً وهذه هى اللذة الحقيقية والحررة الروحية التى قال فيها بعض ذائقيها :

على نفسه فليبك من ضاع عمره      وليس له فيها نصيب ولا سهم  
يوسف الرموى — من هيئة كبار العلماء

# السُّنَنُ

بسم الله الرحمن الرحيم  
النفاق وعلاماته ومضاره

## الحديث

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آيةُ المنافقِ ثلاثٌ ، اذا حَدَّثَ كَذَبَ ، واذا وَعَدَ أَخْلَفَ . واذا أَوْثَمَنَ خَانَ .<sup>(١)</sup>

## الشرح

الآية هي العلامة والامارة ، المنافقُ هو الذي يُظْهِرُ شَيْئاً وَيُخْفِي فِي نَفْسِهِ ضِدَّهُ . الفضائل النفسية محمودة عند الله تعالى وعند العقول الراجحة الزكية ، وقد أثنى الله عز وجل عليها ووعد المتخلقين بها وعدا حسنا ، فمن تلك الفضائل مطابقة ظاهر الانسان لما في باطنه وموافقة أقواله وأفعاله لما يُكِنُّه في نفسه ، وعلامة هذه الفضيلة فيه أنه اذا حَدَّثَ صَدَقَ ، واذا وَعَدَ وَفَى ، واذا أَوْثَمَنَ أَدَّى الأمانة .

هذه الفضيلة المحمودة تُقابِلُها رذيلةٌ مذمومةٌ ، وهي النفاق ، وهو أن يُظْهِرَ الشَّخْصُ للناس شَيْئاً وَيُخْفِي فِي صَدْرِهِ مَا يَخَالِفُهُ وَتَخْدَعُهُ نَفْسُهُ فَيُظَنُّ أَنَّ النَّاسَ يَخْفَى عَلَيْهِمْ مَا أَبْطَنَهُ وَأَنَّهُمْ لَا يَقِفُونَ عَلَى حَقِيقَةِ مَا أَضْمَرَهُ .

ولكن الأمر بخلاف ما زعم ، ولهذا أُرْشِدُنَا الرسولُ صلى الله عليه وسلم الى بعض من العلامات التي تَبَيَّنُ بها نفاقُ المنافقين .

العلامة الأولى : أنه اذا حَدَّثَ غَيْرَهُ حَدِيثاً كَذَبَ فِيهِ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ بما يترتب على الكذب من المذام والمفاسد .

أَلَمْ يَعْلَمْ هَذَا الْكَاذِبُ أَنَّهُ يُجْرَأُ عَلَيْهِ عَلَى الْكَذِبِ قَدْ امْتَهَنَ نَفْسَهُ وَاحْتَقَرَهَا بِهِ كَمَا أَنَّهُ  
أَيْضًا امْتَهَنَ مِنْ يَحْدُثُهُمْ وَاسْتَخَفَّ بِهِمْ ، فَانْه لَوْ أَكْرَمَ نَفْسَهُ وَأَنْفُسَهُمْ وَقَدَّرَ لَهُمْ قَدْرَهُمْ  
لَا سَتَحْيَا أَنْ يَدْنُسَ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الرَّذِيلَةِ وَأَنْ يُقَدَّرَ لِسَانَهُ بِهَذِهِ الْفَاحِشَةِ وَأَنْ يَضَعَ نَفْسَهُ  
وغيره موضع المقت والصغار وازدراء العقلاء به .

أَلَمْ يَعْلَمْ أَيْضًا أَنْ كَذَبَهُ هَذَا قَدْ يُوَدِّي إِلَى ضَرَرٍ عَظِيمٍ وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ كَتَلَفَ نَفُوسٍ  
أَوْ ضَيَاعَ أَمْوَالٍ أَوْ تَقْطِيعَ أَرْحَامٍ أَوْ خَرَابَ دِيَارٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ وَالْمَضَارِ الْخَاصَةِ  
وَالْعَامَةِ .

العلامة الثانية : أَنَّهُ إِذَا وَعَدَ غَيْرَهُ وَعَدًا أَخْلَفَهُ وَلَمْ يَفِ بِهِ - وَهَذِهِ أَيْضًا رَذِيلَةٌ مَمْقُوتَةٌ  
تَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهَا لَا قَدْرَ لَهُ وَلَا مَرْوَةَ ، ذَلِكَ أَنَّ اخْلَافَ الْوَعْدِ بِغَيْرِ عَذْرِ صَحِيحٍ دَلِيلٌ  
عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمُخْلَفَ لَا يُقِيمُ لِنَفْسِهِ وَلَا لغيره وَزَنًّا وَلَا يَجْعَلُ لَذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي أُوجِبَهُ عَلَى  
نَفْسِهِ قِيمَةً وَلَا يُبَالِي بِمَا يَعُودُ عَلَى مَنْ ارْتَبَطَ مَعَهُ بِالْوَعْدِ مِنَ الضَّرَرِ وَفَوَاتِ الْمَنَافِعِ وَضَيَاعِ  
الْفُرْصَةِ وَالْوَقْتِ بِدُونِ فَائِدَةٍ

العلامة الثالثة . أَنَّهُ إِذَا ائْتَمَنَهُ أَحَدٌ عَلَى أَمَانَةٍ خَانَهَا وَلَمْ يُرَاجِ حَقَّهَا ، ثُمَّ أَنَّ الْأَمَانَةَ هِيَ  
كُلُّ شَيْءٍ لَهُ قَدْرٌ . يَجْعَلُ فِي عَهْدِهِ آخَرَ لِيَقُومَ عَلَيْهِ بِمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْحِفْظِ وَالرَّعَايَةِ .  
وَذَلِكَ يَشْمَلُ عِدَّةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَمَانَةِ ، فَمِنْهَا الْأَمَانَةُ الْإِلَهِيَّةُ . وَهِيَ شَرِيعَةُ السَّمْعَةِ  
الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا رَسُولُهُ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَفِظَهَا وَرَعَايَتُهَا يَكُونَانِ  
بِالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ فِيهَا مِنَ الْعُقَائِدِ الصَّحِيحَةِ وَفِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ وَخِيَاثَتِهَا تَكُونُ  
بِنَبْذِهَا وَالِاسْتِخْفَافِ بِهَا وَتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ وَالْوُقُوعِ فِي الْمَنْهِيَّاتِ وَعَدَمِ الْاِكْتِرَافِ بِمَا أَوْعَدَ  
اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ . وَمِنْهَا الْأَمَانَةُ الْخَاصَّةُ بِالْإِنْسَانِ نَفْسِهِ وَهِيَ حَيَاتُهُ وَعَرْضُهُ  
وَمَالُهُ وَنَسَبُهُ وَعَقْلُهُ وَصَحَّتُهُ ، خَفِظَهَا يَكُونُ بِالْحِرْصِ عَلَيْهَا وَوَقَايَتِهَا مِنْ كُلِّ مَا يَضُرُّهَا أَوْ  
يَشِينُهَا أَوْ يُضَيِّعُهَا وَخِيَاثَتُهَا تَكُونُ بِالتَّفْرِيطِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ

وَمِنْهَا الْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ . وَهِيَ الْحَقُوقُ الَّتِي يَضَعُهَا أَصْحَابُهَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ لِيَحْفَظُوهَا لَهُمْ



وَيَرْعَوْهَا ثُمَّ يُوَدُّوْهَا إِلَيْهِمْ إِذَا طَلَبُوا رَدَّهَا ، وَذَلِكَ كَمَنْ يَأْتِمُنْ غَيْرَهُ عَلَى مَالِهِ أَوْ عَرْضِهِ أَوْ سِرِّهِ مِنْ أَسْرَارِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَحَفِظْ مَا ذَكَرَ وَرِعَايَتُهُ يَكُونَانِ بِمَا قَدَّمَ مِنْهُ لَكَ فِي الْأَمَانَةِ الْخَاصَّةِ ، وَخِيَانَتُهُ بِضَدِّ ذَلِكَ

وَمُلَخَّصٌ مَا سَبَقَ . أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورِينَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ مُنَافِقٌ ، لِأَنَّ الْكَاذِبَ فِي حَدِيثِهِ قَدْ أَوْهَمَ النَّاسَ أَنَّ حَدِيثَهُ بِلِسَانِهِ مُوَافِقٌ لِمَا فِي قَلْبِهِ ، وَلَكِنْ ظُهُورُ كَذِبِهِ كَانَ عَلَامَةً عَلَى أَنَّهُ أَظْهَرَ تَقْيِضَ مَا أَخْفَاهُ ، فَكَانَ لِهَذَا مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَنَظِيرُهُ فِي ذَلِكَ الْمُخْلَفُ لَوَعْدِهِ وَالْخَائِنُ فِي أَمَانَتِهِ فَإِنْ عَدِمَ وَفَاءَهُمَا بِمَا قَطَعَاهُ عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْ انْجَازِ الْوَعْدِ وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ أَمَارَةٌ صَادِقَةٌ عَلَى أَنَّهُمَا كَانَا يَضْمُرَانِ خِلَافَ مَا أَظْهَرَاهُ مِنْ إِيفَاءِ الْوَعْدِ وَرِعَايَةِ الْأَمَانَةِ وَذَلِكَ هُوَ النِّفَاقُ الَّذِي مِمَّنْ أَنْتَصَفُوا بِهِ يَقُولُ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ : ( إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا ) .

حسن منصور

وكيل دار العلوم سابقا

## الظرف والمحل

كل ما نشر وما ينشر تحت هذا العنوان فهو من مختارات

فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور

قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : مَا انْتَفَعْتُ بِكَلَامِ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا انْتَفَعْتُ بِكَلَامِ بَعْثَةٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . كَتَبَ إِلَيَّ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يَسْرُهُ إِدْرَاكُهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ، وَيَسُوؤُهُ فُوتُهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا وَمَا نِلْتَ مِنْ أَمْرٍ دُنْيَاكَ فَلَا تَكُنْ بِهِ فَرِحًا ، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا ، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

# حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

## شيخ الجامع الازهر

بمناسبة مسألة مسامى البربر في المغرب الأقصى

أذاعت الصحف مسألة تدخل دولة فرنسة في شؤون البربر الدينية، ووردت رسائل من نواح متعددة تطلب من مشيخة الأزهر بما لها من حق الدفاع عن حقوق المسلمين الدينية أن تقول كلمة في هذه المسألة

فأخذ حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأ كبر يستكشف حقيقة أمرها من مصادر يطمئن إليها، ثم أبدى رأيه في حديث تلقاه عنه مندوب صحيفة المقطم في الاسكندرية ونشر في عددها الصادر في ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٩هـ (١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٠) وهذا نصه: « لقد ارتحت الى ما تضمنه بيان المفوضية « الفرنسية » من أن فرنسة واقفة في المسائل الدينية على الحياد .

وان البربر مسامون وسيبقون مسلمين، وأنه بتشجيعها رمت مساجد كثيرة في بلاد المغرب الأقصى ولكني لم أرفيه ما يكشف الحقيقة من جميع وجوها ولا ما يرد على كل تلك التفاصيل التي وردت بها الانباء وكانت سبباً في هياج الرأي العام الاسلامي، فهو لم يتعرض لما قيل من ارسال نحو الف راهب الى تلك النواحي لتشجيع التبشير المسيحي ولا ما قيل من الغاء المكاتب القرآنية والمحاكم الشرعية، ولم يبين ما هو نظام الارث الذي أقر الآن لأمة البربر ولا ما هي الاحكام الشخصية التي أقرت اليهم الآن ايضا مع أنهم ما داموا مسلمين لا يجوز شرعاً أن يكون لهم نظام ارث غير نظام الارث الشرعى ولا نظام أحوال شخصية غير النظام الاسلامي وتلك هي النتيجة المنطقية لأنهم مسامون وسيبقون مسلمين .

وان المسلمين فيما يوجهونه من الاحتجاجات موقفهم دفاعي محض ولا يقصدون أكثر من بقاء الأمور على ما كانت عليه قبل حماية فرنسة، ولا يرضيهم جعل العادات القديمة لبعض القبائل نظاماً مشروعاً مادام في ذلك مساس بالمسائل والشعائر الدينية .

وفي أفريقية عادات متبعة منذ القدم وهي استرقاق الأحرار والاتجار بهم ، ولم يقل أحد ان مثل هذا الاسترقاق ينبغي أن يكون مشروعاً مادام موجوداً وان المعروف عن فرنسة وغيرها من جماعة الأمم أنها تعمل على توطيد دعائم السلم وإبعاد دواعي الاضطرابات . فالأموال منها بناء على ذلك أن تستأصل الداء من مكانه الخفية ، فلا تساعد ولا تقر المبشرين على أعمالهم في البلاد الاسلامية فان ذلك ممكن عظيم من مكان الخطر ، وعليها أن تفصل بين نشر الثقافة والتبشير .

وانى بصفتي الدينية التي أعمل بها على توطيد دعائم السلم ومعاملة الأجانب من أى دين أو جنس بالحسنى وبالتسامح آمل من القائمين بالامر ان لا يساعدوا على ما يشير حفاظ النفوس وأن يعملوا على إعادة الاطمئنان الى تلك البلاد الاسلامية »  
« نور الاسلام »

لمشيخة الأزهر اسمى منزلة دينية بين العالم الاسلامى ، ومن حقها أن تنصح للدول التي ترفع رايتها على شعوب اسلامية وتدعوهم الى أن يحترموا محكمهم الشرعية ولا يتدخلوا في شئونهم الدينية ، وحادثه تدخل فرنسة في شئون البربر من الحوادث التي اهتز لها العالم الاسلامى بالاستياء والانكار وقد اطلعنا على بلاغ المفوضية الفرنسية بالقاهرة وعلى ما يبعث به مراسلو بعض الصحف من باريس فلم نر فيهما ما يدفع عن فرنسة تبعة هذا التدخل بعد أن اعترفت بالظهير السلطاني الذي اتخذته وسيلة الى التصرف في شئونهم الدينية ، واعترفت بأنها ستقيم بينهم محاكم غير اسلامية ونود من صميم قلوبنا أن تتلقى الدولة الفرنسية نصيحة مشيخة الأزهر الجليلة بالاصغاء وحسن القبول ، فتدع البربر بالمغرب الأقصى يتمتعون بواجباتهم الدينية ويتقاضون حقوقهم بمحاكم شرعية اسلامية ، فذلك ادعى لسكينتهم وانتشار الامن بين ربوعهم

# أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام دين الفطرة

— ٥ —

(لايسأم الانسان من دعاء الخير) وما كان له أن يسأم من أن يهدى اليه الخير، وهل وراء هذا الهدى الذى يصل بك الى سعادة الدارين الدنيا والآخرة من خير. لقد سقنا لك جملة صالحة في الجزء الماضى في بيان بعض من أسرار العبادات وحكم التشريع ووعدنا أن نزيدك في هذا الجزء مايفتح الله به من أبواب الخير والحكم البالغة في احكام المعاملات وفي الاخلاق الاسلامية الكريمة التى بعث صلى الله عليه وسلم لتتميم مكارمها .

المعاملات : تنقسم روابط الانسان باخيه الانسان الى ثلاثة أقسام .

(الاولى) الرابطة المنزلية و(الثانية) الرابطة المدنية و(الثالثة) الرابطة الانسانية العامة ، وقد جاءت الشريعة الاسلامية الغراء حافظة لهذه الروابط أتم حفظ وأكملها ، فابدعت نظمها واكملت أحكامها وحسنت وجوهها .

أما الرابطة المنزلية فقد سنت لها من أحكام النكاح والاحتياط في تربيته على وجه يكفل له الدوام ويصونه من الانفصام مايجعله سببا لسعادة الحياة وهناءة المعيشة ، فيتلوه ضمان بقاء النسل وعمار السكون على الوجه النافع الكفيل بقيام المصالح على وجهها الأكمل ، فشرعت فيه تقديم الخطبة مثلا لتكون فرصة تهيأ فيها تقرب القلوب وغرس الالفة والمودة رويدا رويدا حتى تؤتى ثمرها حين اللقاء ، وابتاحت فيها النظر المجرد بمقدار مايعرف كلا الزوجين سن الآخر الى أظهر أجزائه

وما يقع عليه النظر غالبا ، وذلك هو الوجه والكفان ، ثم حظرت ما وراء ذلك من خلطة ضررها اكبر من نفعها حذرا من جريان الشيطان بينهما بما يدفعهما للتعجل في أمرهما بما يفسد عليهما حياتهما المستقبلية ، وتكون عاقبة أمرهما خسرا ، والهوى دائما يقظان والعقل كثيرا ماتلحقه الغفلة وتتيمة الشهوة ، فجعلت الشريعة الامر في ذلك وسطا بقدر ، فلم تحل بين تعرفهما ولم تلق لهما الجبل على الغارب ليخطر بينهما الشيطان خطراته المفسدة ، ثم ناطته بعقد موثق بحضرة شهوده العدول ، وفي ذلك من التنويه بامرہ واحترام مقصده ما يبعده عن أن يكون العوبة وقتية يتلهى بها حيناً ثم تنصرف النفس عنه نزقا وطيشا فيجنى ورده ولا يصبر على شوكه فلا يقوم عليه نظام التكوين وبناء الاسر ، وهو مقصد الشارع منه ، ثم شرعت فيه تقديم المهور من أقوى الطرفين لضعفهما ، واوجبت النفقة كذلك ليكون كل منهما لصاحبه سكنا يأوى اليه ويطمئن له ولتكمّل المودة والرحمة بينهما على ما من الله به على عباده في قوله جل جلاله ( وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ) فان عطف أقوى المتعاشرين على أضعفهما بنفحه (أولا) ما يطيب له خاطره وتعهده (ثانيا) بإيفائه كل ما يحتاجه وتطلبه نفسه ضمان قوى لاخلاص الطرف الضعيف في محبته وتقانيه في جلب السرور والسعادة لنفسه وما يوفر الهناءة في معيشته ، ثم كرر التوصية بان تكون العشرة بالمعروف والاحسان ولو على كره ما قال تعالى ( فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ) وذلك لكي تدوم هذه الرابطة فتؤتي ثمرها المقصود منها وهو بقاء عمار الكون على الوجه الأكمل ، وحاط هذه الرابطة العظيمة . بحياطة الحراسة الكاملة ، فتعهد ماعساه يحصل بين الطرفين من نزاع لامفر منه بالاحكام التي تزيله من تأديب الرجل الذي هو اكمل عقلا وابعد نظرا وأوسع صدرا لامراته التي هي في الغالب فريسة الانفعالات النفسية والتهيجات العصبية حتى تسكن حدتها وتخضع لما

فيه مصلحتها ، وجعل ذلك التأديب بحد معتدل لا يتجاوزه ورتبه بحسب ماتدعو اليه الحالة ، فبدأ بالوعظ ثم ثنى بالاعراض وهو مؤلم لها فاذا لم يجد ذلك أباح له أن يضرب ضربا لا تبريح فيه ولا غلو وقد قال الفقهاء يضربها بنحو اليد لابعضا وسوط حيث ظن الفائدة في ذلك والا فلا فاذا ماتمادى النزاع بينهما فقد شرع أن يدخل بينهما من أهلهما من ينظر في شأنهما ويحكم بالعدل والحق بينهما ، وان عشرة بنيت على مصلحة متبادلة لا بد أن يشمر أحد هذه الامور ثمرة فيها ، فان تفاقم الشر واشتد الامر وتعذر الصبر واصبح اجتماعهما عقيا وتبدل نعيمهما جحما فقد رفع الحرج عنهما في أن يتفرقا بمعروف كما تعاشرنا بمعروف ، ولم ينس للضعيف حقه الذى يعوضه مافاته من عشرة كرس لها حياته وعلق عليها سعادته ففرض لها عليه النفقة الى أجل ، بل لم ينسهما التشريع من التدارك الذى تتطلع اليه نفوسهما بعد أن يسكن غضبهما ويعاودا الفكرة في سابق أمرهما ، فاباح لهما العودة مرة وثانية فاذا جاءت الثالثة حظر عليهما أن يعودا حتى لاتتخذ تلك الرابطة المقدسة العوبة يمزقانها كلما هاجا ويرتقانها كلما أرادا فيختل نظامها ويزول احترامها اللهم اذا تبدلت عشيرا آخر بزواج صحيح مقصود به العشرة الصحيحة ، فعرفت به شأن الرجال معرفة أوسع وانكسرت حدة زوجها الاول ونعرت الكاذبة ، ثم خلت من ذلك الذى تبدلته فقد اباح الشارع لهما أن يعودا بعقد جديد ، فهل بعد هذا النظام المحكم والخططة المثلى طريق هو أقرب لسعادة الحياة وضمن لهناء المعيشة واكفل بتوثيق هذه الرابطة وصيانتها وحراستها والعمل على ادامتها من هذا الطريق الذى سنته الشريعة الاسلامية لاقدس رابطة انسانية هى أضل ماوراءها من الروابط ؟

قارن بربك بين هذه النظم وبين ماتراه في اضدادها ثم احكم بوجودك غير متأثر بفكر غيرك هل ترى الامر سواء ؟ ؟ بل هل يستوى الظلمات والنور ؟ ؟ قد ترى أقواما يبيحون للخطيين أن يتجاوزوا الحدود فيتعاشران ويتسامران ويخرجان للتنزه في الحلوات والجلوات بحجة أن كلا منهما يصح أن يتعرف طباع الآخر واخلاقه ، نقول لهم فليكن ثم ماذا ؟؟ هل يجب على كل أن يمضى في طريقه ولو عرف مالا يجب

ولا يوافقها فما الفائدة اذن ؟ ام هل له أن ينكص على عقبيه أو يعرض عنها بعد أن كانت بين يديه على طريق التجربة والاختبار ، واذن فما ظنك بالضرر اللاحق بها وما هو ذلك الشر المستطير بينهما والعداء المستحكم بين اسرتيهما ، ثم مامقدار هذه التجربة التي يغذيها الهوى ، ويستغلها الشباب ويستترها التصنع الطبعي في هذه الحال: أيصح أن تكون مقياسا لعشرة تقاسى فيها هموم الحياة ويتجرع فيها غصص المعيشة وهل صحة تجربة الخطبة المبنية على اللهو واللعب حجة على صحة تجربة الحياة المبنية على النصب والتعب ؟ اللهم لانخصى ثناء عليك تأمر بالرشد فيتركه الناس الى الغى ، ثم لا يقفون عند هذا بل يزيتون باطلهم الضار بهم على الحق النافع لهم .

وقد ترى أقواما يعييون على الشريعة السمحة اباحة الطلاق المخلص من الحرج بعد ما شرحناه من تلك الرابطة المقدسة وبعد ماورد في الحديث الشريف (ابغض الحلال الى الله الطلاق) يعييون على الشريعة انقاذ الاسرة من حرج مستحكم وعشرة جهنمية ويحتمون على عشرين دب الشقاء بينهما حتى فسدت قلوبهما أن يتعاشرا رغم أنوفهما على هذه الحالة التي قد يتتليان بها ولا يستطيعان التخلص منها وطبيعة الحياة قد تفضى الى ذلك حتما ، فهل في شيء من المصلحة العامة أو الخاصة أن يحكم عليها بنكد الدنيا الذي قال فيه ابو الطيب

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له مامن صداقته بد

حكما مؤبدا لانهاية له الا بنهاية الحياة دون أن يقتربا جرما أو يجنيا ذنبا عن سبق أصرار وانما هي ظروف أدت بهما الى هذا المركز الحرج ، اللهم ان الحق أبلج ولكن بعض الناس لا يبصرون .

يعيب أناس على الشريعة الغراء سماحها بتعدد الزوجات الى حد محدود في أحوال مخصوصة ، ويزعمون أنهم بذلك رحماء بالمرأة ، وليت شعري لماذا أدركتهم الرحمة بامرأة تزوجت وشملتهم القسوة على أرملة في شبابها أو عانس خانها الحظ ولم تجد من يوافقها ؟ !! فهل الرحمة بالمرأة أن تقذف الحير كله على فرد وتترك البقية؟؟

أم أن الرحمة بالمجموع أفضل من الرحمة بالفرد ؟ ! ويزعمون أن في التعدد افسادا للرابطة بين الاخوة لما يجرى من التحاسد والتحاقد ، ونقول لهم ماجاء التحاسد والتحاقد من أجل التعدد ، وانما يجيء مايجيء منه من اهمال ماطلبه الشارع الحكيم في ذلك من العدل بينهما وعدم تفضيل احدهما عن الاخرى في الحقوق والواجبات ، فابحثوا عن علة الداء تعرفوا حقيقة الدواء .

ولو انك نظرت الى أن تكوين الرجل يدعو الى أنه هو الذى يخوض غمار الحروب ويشق عباب المهالك ويقارع خطوب الزمان ويغالب أهوال الحداث، فتارة ينجو وتارة يعطب وهو بذلك عرضة للانتقاص في العدد ، والى انه هو القائم بأعباء الزوجية المكلف بنفقاتها الحامل لكل المطالب بتنظيمها والقيام عليها بما يصلح أمرها وكل ذلك متاعب ومتاعب تحول بينه وبين الاكثر منها الحاجة تدعوه الى ذلك، فيكلف حينئذ بان يكون بين الزوجين عادلا ، ثم في تعهد الابناء بصحيح التربية ، وفي خضوع المرأة لحكم ربها العادل المتضمن مصلحتها ومصلحة غيرها وعلمها أن الرجل لم يستعمل الا حقه الممنوح له من ربه ما يمنع تلك المضار الموهومة ، وان في ذلك الرحمة بكل الرحمة بجنس المرأة ، فاذا نقص بعض من الاولى فقد شاركتها واحدة من بنات جنسها ممن ينشدون الرحمة لهن ، فزال عنها الحرمان الكلى .

اذا نظرت الى ذلك كله تبينت مافي هذه الاحكام من إحكام ، وما في هذا النظام من اتقان وكلها عامدة الى حراسة تلك الرابطة المقدسة وصيانتها مما يعترض طريقها من حوادث الحياة .

وان تعجب فعجب أمر أولئك الثرارين الذين يعيرون تعدد الزوجات تعددا مشروعا بينما هم يقرون ويستبيحون انتهاك حرمت الاعراض بلا حذر وذلك في الزواج غير الشرعى الذى أصبح مستفيضا بلا نكر بينهم .

وقد تعهدت الشريعة الغراء سائر أفراد الاسرة بما يضمن لها الحفظ والمصلحة ، فناطت بالآباء نفقة الابناء حتى يقتدروا على أن يعولوا أنفسهم ، واوجبت عليهم



تربيتهم بما يؤهلهم للرق في دنياهم والسعادة في اخرهم ، و اوجبت على الابناء القادرين البر بالانفاق على الآباء الفقراء العاجزين والبر بهم واحترامهم ، ونهتهم أن يهينوهم أو يسيئوا اليهم ، وكذلك حتمت على القادر من باقى الاسرة أن يقوم بشأن العاجز حتى يكمل بينهم التساند والتساعد وحتى تتأسس الاسر على روابط متينة ، والاسرة من الامة بمنزلة اللبنة من البناء ولا يقوى بناء تكون لبناته رخوة مفككة ، ثم اوجبت للعاجزين حقا على القادرين اما في مجموع مال الامة أو على الاقرب فالاقرب أو على جماعة المسلمين وهكذا تأسست قاعدة (التاجى يأخذ بيد أخيه) ، كل أولئك ليكمل بنيان الاواصر بين الناس ليكون بعضهم لبعض ظهيرا أو يكونوا كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

وأما الرابطة الثانية وهى الرابطة المدنية فقد تكفلت الشريعة الغراء بحفظها على أكمل الوجوه وأوفرها قسطا من العدالة والرحمة معا ، نظر الشارع الحكيم الى أنه لابد للانسان من أخيه الانسان وأن الانسان مدنى بطبعه لا يستطيع أن يعيش وحده لانه لا ينهض بأعباء حاجاته كلها لتنوعها وتشعبها من مأكل وملبس ومسكن وتعلم وعلاج وترفيه وترقية وهلم جرا، بينما يستطيع الفرد منه أن يقوم باحد هذه الشؤون وحده اذا اتجه له ويستفيد أكثر مما يحتاج اليه ويكون ذلك أسهل له وأهون عليه من أن يوزع نفسه بين جميع حاجاته كان لابد له من أن يتبادل المنافع بينه وبين بنى جنسه فيقوم كل فريق بتحصيل حاجة من حاجات المجموع تكفى نفسه وتعود على غيره حينما يقوم فريق آخر بحاجة أخرى على هذا الوجه فيغذى كل فريق صاحبه من جهة ويتغذى منه من جهة أخرى ويحىء هنا قول الشاعر

الناس للناس من بدو ومن حضر      بعض لبعض وأن لم يشعروا خدم

وهذا التبادل في المنافع الذى قضت به طبيعة الانسان وكيفية تكوينه لا يجوز أن يترك فوضى بلا نظام يضبطه ولا قانون يقيم العدل فيه والا وقع التواكل والتناهب فالفوضى فالفناء

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية في هذا الباب بالعجب العجيب مما يكفل سعادة الفرد والمجموع فشرعت أصل المعاملات التي لا بد منها من ييوع واجارة وضمان ورهن وغير ذلك واشترطت لكل باب من ذلك ما يضمن سيره على وجه العدل والصواب والحق ، فصانت للضعيف حقه وفتحت للقوى أبواب المنفعة على وجه لا يرهق غيره ، فنفت الجهالة في المعاملات حتى تكون على طريق نير ونفت الغرر حتى لا تعقب الشحنة والبغضاء وينقلب مآشرع للهتأة الى موجب للشقاء ، واشترطت التراضى الصريح حتى تبقى النفوس هادئة مطمئنة متساعدة متساندة ، ومع ذلك جاء في أشياء تمس الحاجة إليها فاعتفر يسير الغرر تجنباً لكثير الحرج ، فأباح السلم مثلاً ولا يخلو عن نوع جهالة وغرر تيسيراً للمعاملات بأوسع ما يمكن مع حفظ روح العدالة وكثيراً ما يعتفر الشيء اليسير اذا كان لا بد منه للخير الكثير ، وكذلك حظر على الناس ما يغلب شره خيره أو ما يستفيد منه القوى فائدة عظمت بطريق ارهاق الضعيف واستنزاف دمه وجهوده وحياته وذلك مثل الربا فانك مهما نظرت الى دواع قد تقتضيه في ظروف خاصة فاعلم أن اباحتها تفتح على الناس من أبواب الشر مابه يأكل قويعهم ضعيفهم فلا يكاد المرء يقترض الا وهو عاجز عن وفاء حاجاته واذا عجز اليوم عن أصل ما يحتاج اليه فن له غدا بالقيام به وبأرباحه وبحاجات الغد أليس الشأن أنه لا يدخل فيه الا وهو مخدوع بالأمانى والأحلام التي ان صدقت مرة فانها تكذبه مائة مرة ، فلا يزال في تدهور وتأخر حتى يغلب على أمره فيفنى مادة وصورة ولعل في الابقاء عليه رحمة بذلك الموسر الذى ترتبط مصلحته بمصلحته فلا يكاد المنفرد باليسار بين قوم معدمين يستمتع بنعمته أو يجد باباً لتنميتها ، وقد قرر علماء الاقتصاد أن من الخطل أن يعمل أرباب الأموال على تنمية أموالهم بوجه يقفل أبواب غيرهم ففي ذلك جنابة على أنفسهم بفقد من يتبادل معهم الأعمال والأموال فوق الجنابة على غيرهم ، ولا يكاد التاجر يضمن الثبات لمتجره الا بين موسرين يبادلونه ويقايضونه ، فمن صالح الموسر أن يكون بين موسرين لا أن يحبس في وسط المعسرين ، ففي الربا المستنزف

(وكله مستنزف) جناية على المعطي نفسه فوق مافيه من جناية على غيره .  
وقد يقول قائل ان من المشروعات مالا يستطيع واحد أن يقوم به وحده اما  
لقصور ماله أو لتمتعه بالكفاية العملية مع فقد المال وقد يكون ذلك المشروع مفيدا  
ونافعا لصاحبه ولغيره فلو اشترطنا تمسكنا بالقرض بلا فائدة للمقرض فمن يضمن لنا  
أنه يجود بماله على من يستخدمه في عمل يعود عليه وحده بالفائدة ، واستنهاد العطف  
والرحمة لا يقوى على القيام بالمشروعات الخطيرة التي تعود على النوع الانساني بأكبر  
الفوائد فضلا عما تجره على ذوى الهمم العالية من الربح الوفير ، واذن لابد من إباحة  
القرض بفائدة حتى يفتح أمام الهمم العليا باب النفع العام لنوع الانسان وحتى  
لاتتوقف الشؤون الحيوية الكبرى على حساب المحسنين .

وجواب ذلك واضح جلي فقد ضمنت الشريعة الغراء لهذا الباب أن يفتح على  
الطريق الصحيح ومنهج الصواب فباحث «القرض» «المضاربة» وهو أن يتعاون  
العمل والمال على القيام بالاعمال على وجه يفرض فيه المتعاقدان لكل من العمل والمال  
حصّة من الربح والخسارة ، ولهما الحرية التامة في التقسيم ، فلو جعلنا للمال ١ / ٠ .  
واحدا في المائة وللعمل ٩٩ / ٠ . تسعة وتسعين في المائة فلا حرج ولو عكسا فلا عليهما  
ولو سويا فلهما فيزيدان ويتقصان حسبما يبدو لهما ، واذن يكون التعاون بين العمل  
ورأس المال تعاون الشريكين الكافلين لكل حصته من الغنم وعليه نصيبه من الغرم  
ان قليلا وان كثيرا لا تظلمون ولا تُظلمون ، فقل بربك أى الطريقين أهدي سبيلا ؟  
أهذا النهج الواضح المعتدل الذى جعل الركنين القائم عليهما المشروع وهما العمل  
والمال متساويين متعادلين في النجاح والفشل أم ذلك الطريق الملتوى الذى ضمن  
لواحد شيئا معينا قد يكون حظه أكبر منه أو أصغر في نظر العدل وترك الثانى يعانى  
مايعانى ؟

تالله ماضرنا الا استقاء أحكامنا من تفكير غيرنا وولوعنا بالجديد وشغفنا بالتقليد  
ففسدنا جواهرنا الكريمة وفتنا بجزر براق وزجاج لامع وذلك من قصر النظر وفقد  
احترام الذات والقومية ، قل ان الهدى هدى الله .

ربى ان الهدى هداك وآيا      تك تهدى بها من تشاء  
وللكلام بقية يتجلى بها نور الاسلام فيما شرع من الأحكام والله المستعان .

ابراهيم الجبالى

مدرس بقسم التخصص بالازهر

## الطرف والملح

وقال ابن مقلة :

واذا رأيتُ فتى بأعلى قِمةٍ      فى شامخ من عزّة المترفع  
قالت لى النفسُ العروفُ بفضلها      ما كان أولانى بهذا الموضع !  
قال بعض الحكماء : من تمام ما يجب للأبناء على الآباء . تعليمهم الكتابة والحساب  
والسباحة .

وقال الحجاج بن يوسف لمعلم ولده : علّم وَلَدِي السَّباحةَ قبل تعليم الكتابة .  
فانهم <sup>(١)</sup> يجدون من يكتبُ عنهم . ولا يجدون من يسبِّحُ عنهم .  
قال سُفيانُ الثَّورى : لَأَنْ أَرْمِيَ عَدُوِّي بِسَهْمِي خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ أَرْمِيَهُ بِلِسَانِي لِأَنْ  
رَمَى اللِّسانُ لَا يُخْطِئُ . وَرَمَى السَّهْمُ . يُصِيبُ وَيُخْطِئُ .  
وقال الشاعر :

ورُبَّ كَلامٍ قد جرى من مُمازِح      فساق اليه سهمَ حَتَفٍ مُعجَلٍ  
وقال ابن مسعود : لسانك سيف قاطع يبدأ بك . وكلامك سهم نافذ يرجع عليك .  
فاقتصر في المقال . وإياك وما يُوغرُ صدورَ الرجال .

خطب أمير بالبصرة فقال اتقوا الله فانه من يتقى الله فلا هَوَارةَ عليه . فلم يدروا ما  
قال الأمير . فسألوا أبا سعيد يحيى بن يَعْمَرَ العَدَوانى فقال : الهَوَارةُ الضِّياعُ . كأنه قال :  
من اتقى الله فلا ضياعَ عليه وحَدَّثَ الاصمَعى بهذا الحديث فقال : ان الغريب لو اسع  
لم أسمع بهذا قط .

# الفتاوى والأحكام

حكم شرب الدخان في مجالس القرآن

جاءنا من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتى :

.... نرجو أن تفتونا في حكم شرب الدخان في مجالس القرآن على صفحات «نور الاسلام» ولكم منا الشكر ومن الله جزيل الثواب .

محمد عبد الرحمن

مدرس بدمهور

## الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله واصحابه أما بعد فقد سألت عن حكم الدخان في مجالس القرآن ، ولندكر قبل ذلك حكم الدخان في نفسه ثم تتبعه بما سألت عنه فنقول : ان الدخان من الاشياء المستحذثة التى لم تكن معروفة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد السلف الصالح والمتقدمين من الأئمة المجتهدين واتباعهم ، وانما ظهر في آخر القرن العاشر الهجرى كما نص عليه اللقانى في رساله وضعها فيه ، لهذا لم يكن لتناوله حكم منصوص في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو الشأن في كثير من الوقائع المعروفة في عهد الوحي والتنزيل ، ولم يستنبط الأئمة المجتهدون ولا المتقدمون من أصحابهم حكمه من الكتاب والسنة كما هو شأنهم في تعرف أحكام الجزئيات التى عرضت مما لم ينص عليه لعدم وجوده اذ ذاك .

وقد وقع للمتأخرين خلاف في حكم تناوله، فمنهم من قال بحله، ومنهم من قال بحرمته والحق في ذلك أنه لا ينبغي اطلاق القول بالحل والحرمه فان الحكم باحد الامرين

على الإطلاق لا يخلو عن افراط أو تفريط ، فاذن يجب النظر لحال شاربہ وما يترتب على شربه ، فمن كان يضره شرب الدخان ويؤثر في صحته حرم عليه شربه للاجماع على تحريم كل ما يؤذى البدن ، فان حفظ البدن من الكليات التي أجمعت الشرائع كلها على وجوبه ، ومن لا يضره شربه ولكن يحتاج لثمنه في ضرورياته المعيشية سواء أكان ذلك لنفسه أم لمن تجب عليه نفقته كزوجته وذوى قرابته حرم عليه شربه أيضا ، وان لم يكن هناك ضرر بدنى أو مالى فلا وجه للحرمة ويمكن الرجوع في تعرف الضرر البدنى الى الاطباء ، واما الضرر المالى فأمر يعرفه الانسان من نفسه .

ومن الناس من يزعم أن شرب الدخان حرام على الإطلاق مستندا في ذلك الى كونه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، وهو في ذلك مخطئ ، فان البدعة المنهى عنها شرعا هي الامر المحدث الذى لم يشهد بجوازه أصل من كتاب أو سنة أو اجماع أو قياس الى آخر ماقرره العلماء ، وكيف يسوغ القول بان كل محدث محرم وكثير من الملابس والازياء وغيرها لم يكن معروفا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة والتابعين ، ولا يصح الحكم عليه بالتحريم لمجرد كونه محدثا .

هذا حكم الدخان في ذاته .

أما شربه في مجالس القرآن فهو حرام ، فان المطلوب شرعا من حاضرى مجلس القرآن الاصغاء اليه والتدبر لمعانيه قال تعالى ( وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) وقال ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ) ومعلوم أن زيادة الايمان بسماع ما يتلى من القرآن انما يكون بالاصغاء اليه والتدبر لمعانيه ولا يتم هذا مع التلهى بشرب الدخان على انك تعرف ما في شربه من الاخلال بالتوقير والاحلال وهو لا يشرب في حضرة الأمراء والعظماء اجلالا لهم فكتاب الله أحق بالاحلال والتوقير ، مع ما في شربه من الايذاء لغير من يشربه من الحاضرين فإن له رائحة كريهة يتضرر بها من لم يتعود شربه نظير ما قالوه في حرمة حضور المجمع والمجالس لمن

أكل ثوماً أو بصلاً ولم يجد ما يزيل به رائحته حتى اباحوا له التخلف عن الجمعة نظراً لما يترتب على ذلك من تأذى الناس وضررهم فضلاً عن تأذى الملائكة الذين يحضرون مجالس الخير التي من أفضلها مجالس القرآن .

والخلاصة أن شرب الدخان في مجلس القرآن محرم للايذاء ومناف للأدب المطلوب من الحاضرين والتدبر لسماع الذكر الحكيم .

وأما شربه في غير ذلك فقد يكون محرماً وقد لا يكون إلا أنه لا يصل إلى الإباحة الصرفة على ما يقول بعضهم ، فتركه حينئذ من الورع وقد قال صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك . »

يوسف الدموي

من هيئته كبار العلماء

## البابية أو البهائية

وحاءنا من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتي :

ما البهائية ؟ وما اعتقاد مؤسسيها وأتباعهم ؟ وهل يعتقدون في الحشر والجنة والنار ؟ وهل يعتقد البهائيون بنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ؟ وإذا كانوا يعترفون بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يعتقدون بنبي بعده ودين غير دينه ؟ وما الواجب عمله لأحباط مساعيهم حتى لا يقع أحد في شر اكهم ؟

مصطفى محمد عبد الفتاح

بور سعيد

### الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله « أما بعد » فقد احتوى هذا الخطاب مسائل متعددة ، ونحن نورد كل سؤال ونقفي على أثره بالجواب عنه مستندين فيما نكتب إلى مؤلفات<sup>(١)</sup> للبهائيين أنفسهم ، وكتب<sup>(٢)</sup> ألفها بعض من اطلع على كتبهم المؤلفة باللغة

(١) كتاب الدرر البهية وكتاب عبد البهاء والعصر الجديد .

(٢) كتاب مفتاح باب الابواب

الفارسية والعربية بقصد بيان أمرهم نصيحة للأسلام والمسلمين .  
س ما البهائية ؟

ج البهائية نسبة الى بهاء الله لقب يدعى به ميرزا حسين على وهو الزعيم الثانى للمذهب الذى تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية ، وتسمى هذه الطائفة البابية نسبة الى « الباب » وهو لقب ميرزا على محمد ذلك الذى ابتدع هذه النحلة واليك ملخص القول فى نشأتها .

أصل نشأة هذه النحلة أن ميرزا على محمد الملقب بالباب نشأ فى شيراز بجنوب ايران وأخذ شيئاً من مبادئ العلوم ثم اشتغل بالتجارة ، ولما بلغ من العمر الخامسة والعشرين ادعى أنه المهدي المنتظر ، وكان أعلنه بهذه الدعوة سنة ١٢٦٠ هـ ، ذمق بهذه الدعوة فأخذها بالتسليم طائفة من الجاهلين ، وأرسل بعض هؤلاء الى نواح مختلفة من ايران للاعلام بظهوره وبث شئ من مزاعمه ، وتنبيه العامة لهذه الدعاية فقاموا فى وجهها ، وعقد بعض الولاة بينهم وبين ميرزا على هذا مجالس للمناظرة فرأى بعضهم ما فى أقواله من غواية وخروج عن الدين فأفتى بكفره ، ورأى آخرون ما فيها من لغو وسخافة فنسبه الى الجنون واختلال الفكر .

واعتقل فى شيراز ثم باصفهان ، وساقته الحكومة الايرانية فى عهد الملك ناصر الدين شاه الى تبريز واثارت بين أشياعه وبين المسلمين فتن وحروب سفكت فيها الدماء ، وكانت عاقبته أن أعدمته الحكومة فى تبريز صلباً عام ١٢٦٥ هـ

وقعت بعد قتله فترة كان أتباعه فيها على اختلاف فى شأن من ينوب عنه الى أن دبوا اغتيال الملك ناصر الدين انتقاماً لزعيمهم ، فهجم عليه اثنان منهم نخاب سعيهم وأخذت الحكومة تنقص أثر البايين وتسوق زعماءهم الى مجلس التحقيق ، وكان الميرزا حسين على الذى لقبوه بعد بـ ( بهاء الله ) من شيعة الباب ودعاة نحلته ، فقبض عليه وسجن بطهران بضعة أشهر ثم أبعد الى بغداد سنة ١٢٦٩ هـ .

لما أدركت الحكومة الايرانية خطر هذه الفئة وما يبيتونه من فتن جعلت ترقبهم بحذر واحتراس ، فالتحق طوائف منهم ببغداد ، واجتمعوا حول ميرزا حسين الملقب



بهاء الله ، ثم حدث بينهم وبين الشيعة ببغداد شقاق كاد يفضى الى قتال ، فقررت الحكومة العثمانية وقتئذ ابعاد البايين من العراق فنقلتهم الى الاستانة وفتهم الى أدرة . قام المسمى ( بهاء الله ) لهذا العهد يدعو الى نفسه ويزعم أنه هو الموعود به الذى أخبر عنه الباب <sup>(١)</sup> ، وقبل دعوته أكثر البايين وتسموا حينئذ بالبهايين ، ومن رفض دعوته أخوه ميرزا يحيى الملقب ( صبح ازل )

ثم ان الحكومة العثمانية أمرت بابعاد الفريقين من أدرة فنفت الميرزا يحيى واتباعه <sup>(٢)</sup> الى قبرص ، ونفت البهاء وأتباعه الى « عكة » بفلسطين ، وبقي البهاء بعكة الى أن هلك عام ١٣٠٩ هـ فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس الذى لقبوه بـ ( عبد البهاء ) فأخذ يدعو الى هذا المذهب ويتصرف فيه كما يشاء ، ولم يرض عن صنيعه هذا أصحاب البهاء فانشقوا عنه والتفوا حول أخيه الميرزا على وألفوا كتباً بالفارسية والعربية وطبعوها فى الهند يطعنون بها فى سيرة عباس ويصفونه بالمروق من دين البهاء .

س — ما اعتقاد مؤسسيها واتباعهم ؟

ج — ليست البهائية بالنحلة المحدثه التى لم يتقدم لها فى النحل المارقة من الاسلام ما يشابهها أو تتخذها أصلاً تبني عليه مزاعمها ، وأما هى وليدة من ولائد الباطنية ، تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية ، ثم اخترعت لنفسها صورا من الباطل وخرجت تزعم انها وحى سماوى ، ولولا أن فى الناس طوائف تتعلقون بذيل كل ناعق لما وجدت داعياً ولا محيياً لندائها ، وهانحن أولاء نسوق اليك كلمة فى مذهب الباطنية ونحدثك عن البابية أو البهائية حتى تعلم أنها سلالة من ذلك المذهب الاثيم .

تقوم دعوة الباطنية على ابطال الشريعة الاسلامية ، وأصل نشأة هذه الدعوة « ان طائفة <sup>(٣)</sup> من الجوس راموا عند شوكة الاسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود الى

(١) يزعم البهائية أن الباب كان يشير الى شخص يظهر بعده وكانوا يعبرون عنه بلفظ ( من يظهره الله )

(٢) يسمى هؤلاء البابية ( الازلية ) اذ يزعمون أن يحيى هذا هو مصداق ما أشار اليه الباب فى كتاب « البيان » باسم « من يظهره الله » وهؤلاء يكفرون بالبهاء ويتناولونه واتباعه باللعن فى السر والعلانية ، ول يحيى هذا كتاب أراد أن يحاكي به القرآن الكريم فى ترتيب الآيات والسور ، وحاول أن يماذى به أسلوبه الحكيم فافتضح أمره وظهر سخفه ( والله لا يهدى الخائنين )

(٣) كتاب الموافق وشرحه للسيد الجرجاني

قواعد أسلافهم ، وذلك أنهم اجتمعوا فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك ، وقالوا :  
لا سبيل لنا الى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك ، لكننا نحتال بتأويل  
شرائعهم الى ما يعود الى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فان ذلك يوجب اختلافهم  
واضطراب كلماتهم »

وقد رسموا لهذا المذهب خطة دبروها بنوع من المكر ، وهو أنهم جعلوا الدعوة مراتب .  
(١) تفرس حال المدعو أقابل هو للدعوة ام لا؟؟ (٢) استهواء كل احد بما يعيل اليه من  
زهداو خلاعة (٣) التشكيك في اصول الدين (٤) اخذ الميثاق على الشخص بان لا يفشى  
لهم سرا (٥) دعوى موافقة اكابر رجال الدين والدنيا لهم ليزداد الاقبال على مذهبهم  
(٦) تمهيد مقدمات يراعون فيها حال المدعو لتقع لديه موقع القبول (٧) الطمأنينة الى  
اسقاط الاعمال البدنية (٨) سلخ المدعو من العقائد الاسلامية ثم يأخذون بعد هذا في  
تأويل الشريعة على ما تشاء اهوأؤهم .

اتخذ هذه الخطة وسيلة الى محاربة الدين الاسلامي طوائف كانوا يتظاهرون بانهم  
من شيعة آل البيت ، وهم لا يؤمنون بنبي من الانبياء ولا بشيء من الكتب المنزلة ،  
ولا بيوم الجزاء ، ولا ان للعالم خالقا ، وتراهم يستدلون بالقرآن والحديث ، ولكن يحرفونهما  
عما اراد الله ورسوله منهما .

ومن الباطنية المتظاهرين بالتشيع لآل البيت من ادعى النبوة لبعض آل البيت  
كفرقة الاسماعيلية قالوا بنبوته محمد بن اسماعيل بن جعفر ، بل زعمت هذه الفرقة انه  
لا يخلو زمان من نبوة نبي الى يوم القيامة ولم يقفوا عند دعوى النبوة بل تجاوزوها الى  
القول بالاهية جماعة من آل البيت وغيرهم فقالوا بالاهية على عليه السلام والهيبة كثير من  
اولاده واحفاده .

وكم احدث هؤلاء الذين يدعون المهديّة او النبوة او الالهية من قتن وكم جروا على  
العالم الاسلامي من بلاء ، وكان اهل العلم يقاومون باطلهم ، ويهتكون استارهم ، وممن  
تصدى للرد عليهم ابو حامد الغزالي فآلف كتابه المسمى « حجة الحق »<sup>(١)</sup> وكتابه المسمى

« فضائح الباطنية <sup>(١)</sup> » وذكر في مقدمة هذا الكتاب انه طالع الكتب المصنفة فيهم فوجدها مشحونة بفنين : فن في تواريخ اخبارهم واحوالهم من بدأ امرهم الى ظهور ضلالهم وتسمية كل واحد من دعائهم في كل قطر من الاقطار وبيان وقائعهم فيما انقرض من الاعصار، وفن في ابطال تفاصيل مذاهبهم وعقائد تلقوها من الثنوية والفلاسفة وحر فوها عن أوضاعها وغيروا الفاظها قصدا للتغطية والتليس ، ثم بين أنه قصد في كتابه الى الاعراب عن خصائص مذهبهم ، والتنبيه على مدارج حيلهم ، والكشف عن بطلان شبههم .

ولابی بكر بن العربي مع بعض زعمائهم مناظرات ذكرها في كتاب « القواصم والعواصم » وتناول الشيخ ابن تيمية مذهب الباطنية ورد على بعض فرقهم في بعض مؤلفاته . عرفنا تاريخ الباطنية وقرأنا بعض كتب البابية والبهائية فوجدنا روح الباطنية حلت في جسم ميرزا علي وميرزا حسين علي ، فخرجت باسم البابية والبهائية .

الباطنية يستدلون بكلام النبوة ويحرفون كالم القرآن والحديث عن مواضعه كما فسروا حج البيت العتيق بزيارة شيوخهم ، والبابية أو البهائية يستدلون بالقرآن والحديث ويذهبون في تأويلهما الى مثل هذا الهذيان نفسه ، ولميرزا علي المسمى بـ (الباب) تفسير لسورة يوسف مشى فيه على هذا النمط فقال في قوله تعالى ( إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيِّهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ) المراد من يوسف حسين بن علي والمراد بالشمس فاطمة ، والقمر محمد ، وبالنجوم اثمة الحق فهم الذين سيكون علي يوسف سجدا .

وهذا أحد دعائهم المسمى ابا الفضل الجرفادقاني قد اورد في كتابه المسمى « الدرر البهية » قوله تعالى ( بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَيُحْطِطُوا بِعَاقِبَتِهِمْ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ) وقوله تعالى ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ) وقال « ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها اللغوية ، بل المراد المعاني الخفية التي اطلق عليها الالفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه

(١) ألفه باللغة العربية وطبع في لندن وفي ادارة هذه المجلة نسخة منه

والسكينة: « ثم قال بعد هذا » قرر الله تنزيل تلك الآيات على السنة الانبياء ، وبيان معانيها وكشف الستر عن مقاصدها الى روح الله حينما ينزل من السماء » وقال « انما بعثوا عليهم السلام لسوق الخلق الى النقطة المقصودة ، واكتفوا منهم بالايمان الاجالى حتى يبلغ الكتاب اجله وينتهى سير الافئدة الى رتبة البلوغ فيظهر روح الله الموعود ويكشف لهم الحقائق المكنونة في اليوم المشهود » وقال « وفي نفس الكتب السماوية تصريحات بان تأويل آياتها الى معانيها الاصلية المقصودة لا تظهر الا في اليوم الآخر ، يعنى يوم القيامة ومحجى مظهر أمر الله ، واشراق أفاق الارض ببهاء وجه الله » ثم قال « ولذلك جاءت تفاسير العلماء من لدن نزول التوراة الى نزول البيان <sup>(١)</sup> تافهة باردة عقيمة جامدة ، بل مضلة مبهمة محرفة مفسدة »

كنا نود أن نصرف القلم عن ثقل مثل هذا السخف ونصون صحف المجلة عن أن تحمل لقراءها شيئاً من الزيغ والاحاد في آيات الله والاعتداء على علماء الاسلام الذين رفعوا منار الحق واذاقوا بحججهم اعداء الانسانية عذاباً أليماً ، ولكن دعاة هذا المذهب قد استهوا فريقاً من أبناء المسلمين ، واصبحوا يدعون الى مذهبهم في النوادي ، ويتحدثون عنه في الصحف ، والفوا كتباً تقع في أيدي بعض الشباب فذلك ما اضطرنا الى أن نبسط القول في بيان نحلتههم وسرد اقوالهم حتى يكون المسامون على بينة من أمرهم .

لهج البابية البهائية مقتفين أثر اخوانهم الباطنية بهذا النوع من التأويل ليدخلوا منه الى العبث في تفسير القرآن والحديث وصرفهما عن ما يراد بهما من حكمة وهداية ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ )

انزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين ، ودلنا على ان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يقوم ببيان ماخفي على الناس علمه فقال تعالى ( وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ) وما زال السلف من الصحابة والراسخين في العلم من بعدهم يفسرون القرآن بما يروونه عن الرسول عليه الصلاة والسلام وبما يفهمونه منه على مقتضى

استعمال لغتهم وأساليب بلاغتهم فخواً بعلم كثير وأدب غزير ، وتركوها حكماً رائعة وشريعة سمحة باهرة وقوانين اجتماع طاهرة ، حتى قام جماعة من أوشاب الناس يزعمون ان هذا القرآن الذى انزله الله بلسان العرب لم يוכל بيانه الى من كان يقرؤه على الناس بكرة وعشياً ولم يفهم المراد منه اولئك الذين يتجدون به فى الاسحار سجداً لله وبكياً ، وانما وكل بيانه الى أمثال ميرزا على محمد وميرزا حسين وعباس وابى الفضل الجرفادقانى ليخوضوا فيه بلغوا من القول ويعثوا فى تأويله مفسدين .

قال ابو بكر بن العربى فى كتاب ( القوصم والعواصم ) يرد على اخوانهم الباطنية قولهم : ان خليفة الله هو الذى يبلغ عنه ، « الخليفة هو النبى الذى بين ثم استأثر الله به ولا معصوم بعده ) .

وفى كتاب « فضائح الباطنية » بسطة فى رد ما يدعونه من ظهور الامام المعصوم وحصر مدارك الحق فى أقواله ، وقد عرفت ان الامام المعصوم الذى يدعيه الباطنية هو ما يسميه البائية والبهائية بـ ( من يظهره الله ) يزعمون انه هو الذى يعرف تأويل ما جاء به الرسل عليهم السلام ، ويصرح هذا الايرانى فى كتابه هذا بأن قصص القرآن غير واقعة وقال ( لا يمكن للمؤرخ ان يستمد فى معارفه التاريخية من آيات القرآن ) وقال ( ان الانبياء عليهم السلام تساهلوا مع الامم فى معارفهم التاريخية واقاصيصهم القومية ومبادئهم العالمية فتكلموا بما عندهم ، وسترُوا الحقائق تحت استار الاشارات ، وسدلوا عليها ستائر بليغ الاستعارات ) .

دعوى ان فى القرآن قصصاً غير واقعة بزعم انها رمز الى معان خفية ، ليس لها من داع سوى ما يضره اصحابها من الكيد للقرآن الكريم وادخال الريب فى أنه تنزيل من لدن حكيم عليم .

لم يبق حتى الآن دليل تاريخى او نظرى يطعن فى صحة قصة ساقها القرآن الحكيم ، ونحن نستند فى صحتها الى الآيات الدالة على ان المبعوث به لا ينطق عن الهوى ، فالمؤرخ المسلم ومعلم التاريخ لا بناء المساميين يستمد فى معارفه التاريخية من آيات الذكر الحكيم ،

وهي عندنا اصدق قيلا وأقوى سنداً مما يقصه المؤرخ من حوادث تقع في عصره او قريب منه ، وهذه الثقة بالطبيعة لا تحصل لمن ينكر او يرتاب في أن القرآن حجة الله على العالمين ، فلا نطالب المجوسى او البهائى بأن يدخلوا في مؤلفاتهم التاريخية ما جاء في القرآن من أنباء الاولين وهم لم يطمئئنا الى ان محمداً صلى الله عليه وسلم رسول صادق امين .

يزعم هذا الايراني ان الرسول ينطق ببعض المبادئ العامة مجازاة لقومه وهي في الواقع غير صحيحة ، وهذه جهالة غبي وجراءة غوى ، والرسول عليه الصلاة والسلام وان لم يبعث لتقرير المسائل العامة التي تدركها عقول البشر بسهولة او بعد جهد كالطبيعيات والرياضيات لا يتحدث عن شيء منها حديث من يصدق بها الا ان تكون صواباً ، ودعوى ان لها رموزاً انما اخترعها الايراني وامثاله ليستروا بها وجه جحودهم ، والبرقع الشفاف لا يحجب ما وراءه .

ولم يكن تأويل البهائية وأسلافهم الباطنية لنصوص الشريعة على هذا الوجه الناقض لاصولها بشيء ابتدعوه من أنفسهم ابتداءً ، وانما هو صنع عملوا فيه على شاكلة طائفة من فلاسفة اليهود من قبل ، فانا نقرأ في ترجمة « فيلون » الفيلسوف اليهودى المولود ما بين عشرين وثلاثين قبل ميلاد المسيح انه الف كتاباً في تأويل التوراة ذهب الى ان كثيراً مما فيها رموز الى أشياء غير ظاهرة ، ويقول الكاتبون في تاريخ الفلسفة ان هذا التأويل الرمزى كان موجوداً معروفاً عند أدباء اليهود بالاسكندرية قبل زمن ( فيلون ) ويدكرون امثلة تأويلهم انهم فسروا آدم بالعقل ، والجنة برياسة النفس ، وابراهيم بالفضيلة الناتجة من العلم ، واسحاق عندهم هو الفضيلة الغريزية ، ويعقوب الفضيلة الحاصلة من التمرين ، الى امثال هذا من التأويل الذى لا يحوم عليه الا الجاحدون المراءون ، ولا يقبله منهم الا قوم هم عن مواقع الحكمة ودلائل الحق غافلون ، وابو الفضل هذا من ابد دعاة البهائية في الهذيان شأوا ، واشدهم لعاء الاسلام ضغينة واذا اخذ في شتمهم لا يشفى غليله الا أن يصب كل اجل التي يعرفها في المعنى الذى اراد شتمهم به ، انظروا الى قوله في صفحة ١٤٧ من ذلك الكتاب المسمى بالدر

البية ( قتمادوا في غيهم ، وأصروا على باطلهم ، وتاهوا في ضلالتهم ومردوا في جهالاتهم وعموا في سكرتهم وانهمكوا في غوايتهم ) فالرجل حفظ جملا التقطها من بعض الصحف السائرة او من الكتب الغابرة وصار يلقيها فيما يكتب من غير وزن ، حاسبا ان هذا الصنيع من تزويق القول ينقل الناس من الجد الى الهزل ومن الحق الى الضلال

في الباطنية من يدعى انه نبي او يعتقد في آخر انه نبي يوحى اليه ، وميرزا على الملقب ( بالباب ) يدعى انه رسول من الله ووضع كتابا ادعى ان ما فيه شريعة منزلة وسماه ( البيان ) وقال في رسالة بعث بها الى الشيخ محمود الالوسي صاحب التفسير المشهور المسمى ( روح المعاني ) يدعوه فيها الى مذهبه ( انني انا عبد الله قد بعثني الله بالهدى من عنده ) وسمى في هذه الرسالة مذهبه دين الله فقال ( ومن لم يدخل في دين الله مثله كمثل الذين لم يدخلوا في الاسلام )

وكذلك يدعى زعيمهم المسمى ( بهاء الله ) في كتاب بهاء الله والعصر الجديد ( وقرر بهاء الله ان رسالته هي لتأسيس السلام على الارض ) . وقال صاحب هذا الكتاب يتحدث عن الباب والبهاء ( من المستحيل ايجاد اى تغيير لعظمهما الا بالاعتراف بانهما انما عملا بوحى من الله )

يدعى الباب الرسالة ويزعم أن شريعته ناسخة للشريعة الاسلامية فابتدع لاتباعه احكاما خالف بها احكام الاسلام وقواعده ، فجعل الصوم تسعة عشر يوما من شروق الشمس الى غروبها ، وعين لهذه الايام وقت الاعتدال الربيعي بحيث يكون عيد الفطر عندهم هو يوم النيروز على الدوام ، وفي كتابه البيان ( أيام معدودات وقد جعلنا النيروز عيدا لكم بعد اكمالها ) وجعل ميرزا حسين الملقب ببهاء الله الصلاة تسع ركعات في اليوم واليلة ، وكان عبد الله ابن الحراب الكندى الذى اعتقد الاهيته كثير من أشباه الناس قد جعلها تسع عشرة صلاة في اليوم واليلة وقبلة البهائيين في صلاتهم التوجه اين يكون ميرزا حسين المسمى ببهاء الله فانه يقول لهم « اذا أردتم الصلاة فولوا وجوهكم شطرى الاقدس » وقال ابنه عباس

«يلزمنا التوجه الى مركز معلوم وهو مظهر الله، ومظهر الله في زعمهم هو هذا المسمى بهاء الله .

أما الحج فقد أبطله البهاء وأوصى بهدم بيت الله الحرام عند ظهور رجل مقتدر من أشياعه .

ومن الباطنية من منع العوام من مدارس العلوم والخواص من النظر في الكتب المتقدمة حتى يبقوا في عمية وهو الحسن ابن محمد الصباح ونجد ميرزا على المسمى الباب قد حرم في كتابه «البيان» التعلم وقراءة كتب غير كتبه ، فكان كل من يؤمن بالباب يحرق القرآن الكريم وما وقع في يده من كتب العلم ، ولكن الميرزا حسين المسمى بهاء الله ادرك ما في هذا التحجير من خطأ مكشوف وانه مما يصرف عنهم ذوى العقول النابهة فأتى في كتابه الذى سماه «الافدس» بما ينسخه فقال «قد عفا الله عنكم مانزل في البيان من محو الكتب واذناكم بان تقرأوا من العلوم ما ينفعكم»

وفي الباطنية من يدعى حلول الآله في بعض الاشخاص كما قال القرامطة بالاهية محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهذه الدعوى أعنى دعوى الحلول تظهر في بعض مقالات البهائية

قال عباس الملقب بـ ( عبد البهاء ) « وقد اخبرنا بهاء الله بان محبى رب الجنود والاب الازلى ومخلص العالم الذى لا بد منه في آخر الزمان كما انذر جميع الانبياء عبارة عن تجليه في الهيكل البشرى كما تجلى في هيكل عيسى الناصرى الا أن تجليه في هذه المرة أتم وأكمل وأبهى ، فعيسى وغيره من الانبياء هيأوا الافئدة والقلوب لاستعداد هذا التجلى الاعظم .

يريد بهذا ان الله تجلى فيه باعظم من تجليه في أجسام الانبياء على ما يزعم ، وقال مهذارهم أبو الفضل الايرانى «فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويستند الى الله من العزة والعظمة والقدرة والعلم والحكمة والارادة والمشيئة وغيرها من الاوصاف والنعوت انما يرجع بالحقيقة الى مظاهر أمره ومطالع نوره ومهابط وحيه ومواقع ظهوره»  
ويظهر هذا من اللوح الذى كتبه المسمى (بهاء الله) في التنويه بشأن ابنه



عباس فانه قال « ان لسان القدم <sup>(١)</sup> يبشر أهل العالم بظهور الاسم الأعظم <sup>(٢)</sup> الذى أخذ عهده بين الامم أنه نفسى ومطلع ذاتى ومشرق أمرى من توجه اليه فقد توجه الى وجهى واستضاء من أنوار جمالى واعترف بوحدانيتى واقر بفردانيتى . . . الخ » وقلد البهائية الفلاسفة فيما يدعون من قدم العالم ، ففي كتاب بهاء الله والعصر الجديد « علم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ زمنى فهو صادر أبدي من العلة الاولى ، وكان الخلق دائماً مع خالقه وهو دائماً معهم » وقد تصدى أهل العلم الراسخ لتزييف ماتعلق به هؤلاء في الاستدلال على هذا رأى ، وحققوا ان المعلول لا بد أن يتأخر عن العلة في الوجود ، اذ معنى العلة ما افاض على الشئ الوجود ، والمعلول ما قبل منه هذا الوجود ، ولا معنى لافاضة الوجود على الممكن الاخر اجه الى الوجود بعد كان في عدم ، وذلك معنى الحدوث .

ومن عجيب أمر هذه الطائفة انهم يدعون النبوة والرسالة وما فوق الرسالة وينكرون المعجزات بدعوى انها غير معقولة ، تجدون هذا الانكار في كتاب داعيتهم المسمى ابا الفضل فقد ذكر انفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر لموسى عليه السلام ، وابراء عيسى عليه السلام للاكمة والابرص واحيائه الموتى باذن الله ، ونبع الماء من بين أصابع محمد صلى الله عليه وسلم وقال : وكثير من أهل الفضل وفرسان مضمار العلم اعتقدوا بان جميع ماورد في الكتب والاخبار من هذا القبيل كلها استعارات عن الامور المعقولة والحقائق الممكنة مما يجوزه العقل المستقيم ، ثم أخذ يؤول ماورد في تلك المعجزات من قرآن وحديث ويحملة على معان لا يقبلها منه الا من فقد عقله قبل أن يفقد ايمانه ، وانكارهم للمعجزات ينبشكم أن القوم يمشون مكبين على وجوههم وراء الفلسفة التى لا تؤمن بان لهذا العالم خالقاً فعالاً لما يريد .

وملخص القول في البابية والبهائية أنه مذهب مصنوع من ديانات ونحل وأراء فلسفية ، قال صاحب كتاب مفتاح باب الابواب يصف البابين « لهم دين خاص

مزيج من أخلاط الديانات البوذية<sup>(١)</sup> ، والبرهمية الوثنية<sup>(٢)</sup> ، والزرادشتية<sup>(٣)</sup> ،  
واليهودية والمسيحية والإسلامية ، ومن اعتقادات الصوفية والباطنية»

وما زالت البهائية مذهبا قائما على اطلال الباطنية يحمل في سريره القصد الى هدم الاسلام بمعول التأويل ودعوى الرسالة والوحي بشريعة ناسخة لاحكامه ، حتى جاءعباس عبد البهاء الى هذا المذهب المصنوع واراد أن يكسوه ثوبا جديدا فخلطه باراء التقطها مما يتحدث به بعض الناس على انها من مقتضيات المدنية أو مما كشفه العلم حديثا ، نحو التساوى بين الرجال والنساء في التعليم ونزع السلاح ، واتفاق الامم على لغة واحدة تدرس في العالم كله ، وتأسيس محكمة عمومية تحل مشاكل الامم وان الانسان تدرج بالارتقاء من أبسط الانواع حتى وصل الى شكله الحالى (نظرية دروين) ولهجوا بعد هذا بكلمة نشر السلام العام ، ونبد التعصبات الدينية .

وقد تخيل عباس أنه بادخال مثل هذه الآراء في مذهب البهائية يستدرج المولعين بالجديد من النابتة الحديثة ، ولهذا الطمع ترونه يقول «تحتوى تعاليم بهاء الله على جميع أمال ورغائب فرق العالم سواء كانت دينية أو سياسية أو أخلاقية وسواء كانت من الفرق القديمة أو الحديثة فالجميع يجدون فيها دينا عموميا في غاية الموافقة للعصر الحاضر»<sup>(٤)</sup> واعظم سياسة للعالم الانساني» وصرح في مقال آخر بانه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ويجمعهم على أصول نواميس موسى عليه السلام الذين يؤمنون به جميعا <sup>(٥)</sup> .

ولا أحسب عبد البهاء عباسا يقصد من هذا الحديث الا التزلف لليهود والتظاهر بمولاتهم ليجعلهم من أشياعه ، والا فكيف يقع في خاطر من عرف القرآن أن يعمل على صرف الناس عن شريعة الاسلام ويرجع بهم الى شفا حفرة من النار بعد أن أنقذهم الله منها .

(١) دين الصينيين واليابانيين (٢) أصل ديانة الهندو (٣) ديانة قديمة تنسب الى ابراهيم زرادشت الايراني ولا يزال لاتباعها طائفة بالبلاد الهندية وأخرى بالبلاد الايرانية (٤) كتاب عبد البهاء والبهائية ص ٨٧ (٥) » » » » » ٩٣

يذكر الشيخ ابن تيمية أن الباطنية «هم دائماً مع كل عدو للمسلمين» وقال «إن التتار مداخلوا بلاد الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك الاسلام الابعاضونهم» وكذا نجد في الباطنية تحيزاً إلى أعداء المسلمين ، وانظروا إلى عباس عبد البهاء كيف يتحيز إلى اليهود ويبشر بأن فلسطين ستصير وطناً لهم فقال «سيجتمع بنو اسرائيل في الارض المقدسة وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة» وقال «تأتي طوائف اليهود إلى الارض المقدسة ويزدادون تدريجاً إلى أن تصير جميعاً وطناً لهم» .

فالبهائية شأنهم شأن الباطنية في بغض الاسلام وموالاة خصومه ، ولنا الأمل الوثيق في أن العرب وسائر المسلمين من ورائهم سيقفون في وجه الاستعمار الصهيوني والدعاية البهائية التي تظاهرها وتسعدها حتى تبقى فلسطين وطناً عربياً اسلامياً على الرغم من عبد البهاء والبهائيين .

س — هل يعتقدون في الحشر والجنة والنار ؟

ج — لا يؤمن البهائيون بالبعث ولا بالجنة والنار ويفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمجيء مرزا حسين الملقب بهاء الله قال في كتاب بهاء الله والعصر الجديد «وطبقاً للتفسير البهائية يكون مجيء كل مظهر الهى عبارة عن يوم الجزاء الا أن مجيء المظهر الأعظم بهاء الله هو يوم الجزاء الأعظم للدورة الدنيوية التي نعيش فيها» وقال «ليس يوم القيامة أحد الأيام العادية بل هو يوم يتبدى بظهور المظهر ويبقى بقاء الدورة العالمية» .

هذا ما يفسرون به يوم الجزاء ويوم القيامة ، ويفسرون الجنة بالحياة الروحانية والنار بالموت الروحاني قال في هذا الكتاب «إن الجنة والنار في الكتب المقدسة حقائق مرموزة فعندهما (أى البهاء وابنه عباس) الجنة هى حالة الكمال والنار حالة النقص ، فالجنة هى الحياة الروحانية والنار هى الموت الروحاني» .

هذا ما يقوله البهائية ، وكذلك ينقل لنا أبو حامد الغزالي أن الباطنية يقولون «كلما ورد من الظواهر في التكليف والحشر والأمر الإلهي فكلها أمثلة ورموز إلى

بواطن، وساق بعد هذا أمثلة من تأويلهم الفاسق عن قانون اللغة والعقل، وقال «هذا من هديانهم في التأويلات حكيانها ليضحك منها ، ونعوذ بالله من صرعة العاقل وكبوة الجاهل،

وقد قلدوا في انكار البعث طائفة الدهريين وأخذتهم شبههم التي لا تستطيع أن تنهض أمام أدلة القرآن الحكيم قال تعالى « أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ »

س — هل يعتقد البهائيون نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟

ج — مخالفة البهائيين لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من معتقدات وأحكام وتهجمهم على تأويل القرآن والحديث بمثل ما نقلناه عن زعمائهم شاهد على أن قلوبهم جاحدة لرسالته ، وإذا تحدثوا عنه في بعض كتبهم متظاهرين بتصديق نبوته فاهم الا كسائر الأفراد أو الطوائف الذين يعملون لهدم الاسلام تحت ستار ، ومن خبال زعيمهم الأول دعواه في تفسيره لسورة يوسف أنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلل هذا الكلام بما لا يفهمه الا من يفهم لغة المبرسمين اذ قال «لأن مقامه «الباب» هو مقام النقطة ومقام النبي صلى الله عليه وسلم مقام الالف» وقال «كما أن محمداً أفضل من عيسى فكتابه «البيان» أفضل من القرآن» وقال «ان أمر الله في حق أعجب من أمر محمد رسول الله من قبل لو أنتم فيه تتفكرون» ولسنا في حاجة الى الرد عليه في دعوى أنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في دعوى أن كتابه البيان أفضل من القرآن ، فعامة المسلمين كخاصتهم يعلمون أن هذه الدعوى من صنف الدعاوى التي تتادى على نفسها بالزور والهذيان وألو العقول من غير المسلمين يعرفون عظمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وما بثه في العالم من اصلاح فمن يدعى أنه مثل محمد أو أنه أتى بكتاب يحاكي القرآن كان في حاجة الى علاج يعيد عليه شيئاً من رشده ويجعله على بصيرة من نفسه .

س — اذا كانوا يعترفون بنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فكيف يعتقدون بنبي بعده ودين غير دينه ؟

ج — البهائيون لا يعترفون بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا سهل على زعمائهم أن يدعوا النبوة من بعده قال تعالى « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » ومعنى الآية الذى لا يذهب الفهم إلى خلافه انه النبى الذى انقطع به وصف النبوة فلا يتحقق فى أحد من الخليفة بعده .

وورد هذا مبينا فى صريح السنة الصحيحة فى صحيح الامام البخارى وصحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا بناء فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين » وقد انعقد اجماع المساميين على هذا جيلا بعد جيل وأصبح معلوما من الدين بالضرورة فمن أنكره وادعى لنفسه أو لغيره النبوة بعد رسول الله فقد انسلخ من الإسلام وكان من الغاوين ، وإذا شهد لسانه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهو من أولئك الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم، فالباييون لا يدخلون فى المعترفين بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال .

وقد ذكرهم العلامة الألوسى فى تفسير قوله تعالى « وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » فقال « وقد ظهر فى هذا العصر عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبايية لهم فى هذا الباب فصول يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم فى سلك ذوى العقول، وقد كاد عرقهم يتمكن فى العراق لولا همة واليه التجيب الذى وقع على همته وديانته الاتفاق حيث خذلهم نصره الله تعالى وشتت شملهم وغضب عليهم رضى الله عنه ، وأفسد عملهم فجزاه الله تعالى عن الاسلام خيرا ، ودفع عنه فى الدارين ضيا وضيرا »

س — ماهو الواجب عمله لاجباط مساعيم حتى لا يقع أحد فى شراكمهم ؟

ج — لو كان التعليم الدينى فى الشعوب الاسلامية الزاميا ومقررا فى جميع

مدارسها ، لم يجد اشباه الباطنية الى ازاغة قلب الفتى المسلم طريقا ، وترك كثير من أبناءنا لا يعرفون من الاسلام الا أسماء أو لا يلقنون الا مبادئ مقطوعة عن حججها العقلية او النقلية ، قد يسر لامثال البهائية أن ينصبوا حبالهم بين المسلمين ويصطادوا من النفوس الجاهلة قليلا أو كثيرا .

ولا ننسى أن الذى ساعد البهائية على أن تستهوى فريقا من المسلمين تظاهرها بانها فرقة اسلامية ، واحتجاجها بالقرآن والحديث وكتمها بعض معتقداتها المنكرة على البدهاة ، وعدم انتشار كتبها ، فكثير من أهل العلم لم تصل اليهم كتب هذه الطائفة حتى يستبينوا منها حقيقة نحلتهن ويحذروا الناس من الوقوع في شراكهم . أما اليوم فقد أخذهم الغرور وصاروا يذيعون شيئا من أسرار نحلتهن على المنابر وعلى صفحات الجرائد ويتحدثون عنها في مؤلفات تطبع وتعرض على الناس في المكاتب ، فهي بما تحمله من مقالات ملفقة ودعاوى غير معقولة قد بحثت عن حثفها بظلفها ، فلا نخشى على من له نباهة أو فطرة سليمة أن يعتقد بنوبة ميرزا حسين أو عباس عبد البهاء ولا نخشى على من وصل الى نفسه أثر من هداية الاسلام أن يتبدل بها مزاعم أبى الفضل الايراني ، واذا جاز أن يكون في طبقة العامة أو أشباههم من لا يتنبه لما في البهائية من كيد للاسلام واغواء عن شريعته الغراء ، فان العلماء والوعاظ انما كانوا سيكشفون للناس عن بطانة هذا المذهب ليحترسوا من دعائه ويحذروا أن يسمهم شيء من نزغاته .

وقد علم طائفة من دعاة الاباحية والخروج على الدين ما ينطوى عليه هذا المذهب من مناوأة للدين الحق فقاموا يظاهرونه في النوادي والصحف ويزينونه في أعين الناس ظلنا منهم أن علماء الاسلام مازالوا عن سريرة هذا المذهب غافلين .

### مَجَلُّ الْحَضَرِ حُسَيْنٍ

وورد من حضرة الشيخ عبدالحفيظ ابراهيم اللاذقي أسئلة ستة نذكرها مع أجوبتها

(١) س— هل يجوز للمرأة أن تظهر صوتها ووجهها ويديها وغيرها أمام الرجال

الاجانب والاطباء .

(١) ج — قد نهى عن كل ما ادى الى الفتنة يقينا أو ظنا درءا للمفاسد وتجنباً للشبهات وقد قال صلى الله عليه وسلم (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه الا ان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب)

وسد الذرائع ودرء المفاسد أصل محكم في الدين ينبغى أن يصير المرء اليه في كل ما شبه عليه وان افتوك وان افتوك .

اما اذا أمنت الفتنة فصوت المرأة ليس بعورة واما جسمها فكله عورة على الرجل الاجنبى يحرم نظره اليها بلا حاجة داعية فاذا مست الحاجة للنظر كخطبتها أو معاملتها من بيع وشراء أو تحمل شهادة عليها أو نحو ذلك حل نظر الوجه والكفين بقدر تلك الحاجة لا أن يطيل النظر ويتبع النظرة النظرة فقد ينزلق الى الوقوع في المعصية وهو لا يشعر .

أما الطيب العدل الموثوق به فيجوز أن تظهر له وان يرى مامس اليه حاجة العلاج ولو العورة المغلظة رفقا بالمرضى ومراعاة لصحة الابدان . والله عليم حكيم رؤف رحيم ، فمن مقتضى حكمته ومظاهر رحمته أن حاط الاعراض وصان الشرف بسياج منيع وحمى واسع بقدر ماله من عظيم الخطر في شأن الأسر ، وان مانراه اليوم ونسمع به مما تذوب القلوب حسرة له ويسيل عرق الحجل حياء من التحدث به وتنفطر قلوب من ابتلوا بشيء منه فتتكسر نفوسهم وتتدهور بين الناس منزلتهم لهو أثر لتساهل الناس في هذا الامر العظيم الذى اعتنى به الشارع فجعل من ورائه سورا وسورا وسورا فنسى الناس هدى ربهم واتبعوا مقلدين غي غيرهم فاذا بهم يصابون ولا يشعرون فيحيط بهم الندم ولات ساعة مندم والله أعلم

(٢) س — هل يجوز للرجل أن ينظر الى جميع بدن محارمه من النساء ومعانقتهن وضمهن وتقبيلهن ولمسهن بلا حائل .

(٢) ج — أولاً أمن الفتنة قاعدة محكمة باضطراد فتى خشيت الفتنة في شيء من ذلك بان علم أو ظن أن شيئاً من هذا يؤدي الى الوقوع في المحرم حرم ذلك الشيء فان الامتناع عن المحرم واجب والمقدمة لها حكم ماتؤدي اليه حتماً .

فاذا أمنت الفتنة فللرجل أن ينظر من محرمه ما عدا ما بين السرة والركبة واما اللبس فهو تابع للنظر فما حرم نظره حرم لمسه وما حل نظره حل لمسه حيث أمنت الفتنة كما سبق واما التقييل فللشهوة محرم ومثله العناق والضم واما تقبيل الشففة فلا بأس به وعلى العموم فكل ما افضى الى محرم فهو محرم واستفت قلبك وان افتوك وان افتوك (والحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات كراعى يرى حول الحمى يوشك أن يواقعها الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مرضعة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب)

(٣) س - هل يجوز للرجال والنساء تحسين الثياب والهندام ولبس جميع الالوان والازياء كالبرنيطة والطربوش والمعطف والسترة والبنطلون وغيرها والحرير والساعات والسلاسل والحواطم وغيرها أم لا .

(٣) ج — اما النساء فيلبسن ماشئ ويترين كما أردن لاحجر عليهن في لون ولازى ولا حرير ولا ذهب مادامت لا يراها الا من يحل له رؤيتها من زوج ومحرم وامرأة مسلمة وان كان يحرم عليها لبس ما اختص بلبسه الكافرون كشد زنار ونحوه أما أن تعرض لرؤية من لا يحل له رؤيتها وان تترين في الطرقات فليس لها ذلك ويحرم عليها بتاتا كما يحرم عليها أن تعرض لما يوجب الفتنة ولو مع أحد محارمها فلها من تحسين زيها وهندامها واختيار الازياء التى تعجبها والالوان التى تروقها مالا حد له متى لزمت حدود الله في عدم التعرض لرؤية الاجانب .

واما الرجال فيحرم عليهم لبس الحرير والتختم بالذهب والتجلى به في سلسلة أو ساعة أو مامائل ذلك واجاز بعض الفقهاء حمل الساعة من ذهب أو فضة مالم توصل بثوبه بنحو سلسلة واما الالوان فلهم ما يشاؤون منها الا أنه نهى عن المعصفر وهو ذو اللون الاصفر الذى يشبه لون المعصفر لما فيه من شدة التبرج واما أشكال



التياب فقد كرهوا منها ما يحدد العورة وباقي الاشكال لاجراج فيه من معطف وسترة  
وبنطلون غير محدد وطربوش وغيرها ما لم يتشبه بالكفار في زي قاصر عليهم معروف بهم  
(٤) س - هل تقبل توبة التائب اذا تاب من جميع الذنوب الصغيرة والكبيرة  
كالقتل والزنا واللواط وشرب الخمر والديون والسرقة والحيانة والكذب والغش  
والظلم وغيره ولا يعذب في القبر ولا في الآخرة

(٤) ج - الله هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ولا فرق في  
التوبة عن الذنب بين الصغيرة والكبيرة بل الاسلام بعد الكفر وبعد الردة من قبيل  
التوبة عنهما ويجب ما قبله ولكن للتوبة شروط لا تتحقق الا بحصولها ومنها رد المظالم  
لاصحابها فلا توبة مع الاصرار على الذنب والبقاء على اغتيال الحقوق فمن غصب أو  
نهب أو سرق مال أخيه فذلك المال حق لصاحبه على ذلك الآخذ فمهما تاب وهو  
مخترنه عن صاحبه فلا معنى لتوبته والتائب وهو مصر على ذنبه كالمستهزئ بربه  
وحقوق العباد مبنية على المشاحة لا تبرأ ذمة المرء منها الا برضا صاحب الحق  
رضاء صحيحا فمتى كان في امكانه رد الحق لصاحبه فلا توبة له قبل رده فان عجز وتعذر  
رده وسامحه صاحب الحق فيه مسامحة حقة قبلت توبته فان كان الحق مما يترتب على  
افشائه وطلب المسامحة فيه ضرر اكبر وتقوم عليه فتنة أشد منه وعلم ذلك فربما يكون  
الاستسماح المجلل مع الاكثار من الاستغفار لصاحب الحق والدعاء له بينه وبين ربه  
وكثرة الندم والاقلاع الصحيح من صميم القلب ربما يكون ذلك مما يرجى منه أن  
يقبله الله تعالى يوم القيامة بترغيب صاحب الحق في مثوبة تسهل عليه المسامحة في حقه  
وذلك كله في مثل القتل والسرقة والغش والظلم وامثالها .

أما حقوق الله كشرب الخمر والكذب الذي لا يفوت مصلحة على أحد فمتى  
ندم ندما حقيقيا على ما فرط منه وعزم على الا يعود واستغفر ربه من قلبه فذلك جدير  
أن يقبل الله منه ومتى قبلت التوبة فلا عذاب عليها لافي القبر ولا في الآخرة .

(٥) س - هل يجوز التشاؤم أو الوهم من الاعداد والسنين والشهور والايام  
والاوقات وغيرها ولبس ثوب أو دخول بيت أو قراءة سورة أو آية أو ورد أو

فائدة أو غيرها بان فاعل ذلك يصاب بضرر كمرض أو موت أو غيره

(٥) ج— قال صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا هامة ولا طيرة ولا صفر ،  
العدوى معروفة والهامة كانت العرب تزعم أن من قتل ينجى طائر يصيح على قبره  
اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثارده ، والطيرة أن يعمد المسافر أو ذو الحاجة الى الطيور  
في أوكارها أو على شجرة فيشيرها فان أخذت مينا تفاعل أو شمالا تشاءم وتطير، وصفر  
كان العرب يتشاءمون من حلوله لانه يتلو الاشهر الحرم المتواليه ذا القعدة وذا الحجة  
والحرم فيتعطشون للقتل والقتال على ما فطروا عليه فتكثر فيه الحروب والقتلى فانسبوا  
الشؤم له

ولقد تمكنت الحرافات من نفوس كثير من الناس لضعف نفوسهم ونسبتهم مايصيبهم  
الى أسباب خفية لا يعرفونها فتذهب أوهامهم كل مذهب في تكيفها ولو عقلوا لعلموا  
أن الكل من الله رب العالمين وقدسن للكون نظاما عجبا وقانونا محكما وربط كل شيء  
بسببه الذى دلت عليه المشاهدة والتجارب المتكررة وعقلت الصلة بينه وبينه فاما  
هذه الاشياء التى لاصلة لها بما يتفق حصوله بعدها كعدد احد عشر أو شهر صفر أو  
السنة الفلانية أو وقت كذا من يوم كذا فكلها أوهام لا أصل لها ولا يجوز شرعا  
التعويل عليها ولا الالتفات اليها ومثل ذلك بل أولى منه قراءة سورة أو آية أو ورد  
أو مثلها ، أما ما يصادف حصوله في بعض الاحيان في دار أو دابة أو ما يماثل ذلك  
فهى مصادفات تقوى بالتفات الناس اليها واعطائها ما ليس لها لقوة هلع وجزع  
أصاب أصحابها وما من أحد في الدنيا الا هو عرضة للمصايب من مرض وموت  
وغيرهما ولا يحصل ذلك الا في يوم من الايام لافرق بين يوم ويوم ولا يحدث  
الا في مكان من الامكنة لافرق بين دار ودار فالناس يموتون لاجلهم وفي دورهم  
وكل يوم يحصل ذلك ولكل أجل كتاب ( قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ  
كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ )

ابراهيم الجبالى

مدرس بقسم التخصص بالازهر

# الأخلاق والعادات

(خلاعة النساء تقودنا الى الهاوية)

« ماتركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء »

حديث شريف

لست أعجب لشيء من شئون حياتنا عجبي لهذا الداء الدوي الذي غشى كل دار ، وغزا كل أسرة ، وسرى في بيئتنا المصرية سريان النار في الهشيم ، ووقف إزاءه المصلحون حيارى مشدوهين ، لا يدرون ماذا يصنعون ؟ وأعنى به تلك الخلاعة الفاضحة ، وذلك التبرج المشين الذي هتك الحجال عن المصونات ، وأبرز من الخدور الخبثات ، وسوى بين الحرة والأمة ، وأقام من النساء في الشوارع والميادين سوقا حافلة تنتهك فيها الحرمات جهارا ، وتباع الأعراض بيع السباح ، إنك في أى مكان من تلك المدينة التي هى حاضرة الشرق العربى ، وأنفم مدن الإسلام ، ومقر أكبر معهد للتحفيظ البيضاء ، لا ترى إلا ما يقذى العين ، ويصدع الفؤاد من مظاهر للسفور والاستهتار ، لا تبرأ منها الطفلة اللعابة ، والفتاة الفاتنة ، والمرأة النصف ، والعجوز الشمطاء ، كأن ذلك مما أوجبه الشرائع السماوية ، وفرضته القوانين الوضعية ، وأكده العرف العام حتى يعد الخروج عليه معرّة تندى لها الجباه ، وتنكس الرؤوس . لقد دالت دولة الثياب السابغة الباترة لأطراف السيدات ، واختفى على اثرها اللثام الكثيف ، وحل محله نقاب كشوب الرياء يشفّ عما تحته ، فلا يمكن هو السفور بعينه فهو أشد منه فتنة ، ولم يقف النساء عند هذا الحد فقد نزع السواد الأعظم منهن الحمار ، وخلعن العذار ، وبرزن للناس شبه عاريات أما التأطر في المشى ، والتخلع في الحركات ، وغشيان الملاهى والمرافص ، والاختلاط بالرجال ، فشيء يطول وصفه ، ويستفيض حديثه . فيالك فتنة سافرة كصاحباتها تهدد بالشر المستطير ، وتنذر بالويل والثبور .

ومما كان ضِعْفاً على إبَّالة أن فسدت المشاعر ، وماتت الضمائر ، وسقمت العقول ، فأصبح الفتى وقد كان حريّاً أن يتحدث بنعمة الله عليه (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يفاخر بالفسوق ويجاهر بالعصيان ، ويعدّ من التمدّن أن يصاب بالزهري والسيلان هذا بعض ما تعانيه الفضيلة في هذه الأيام القائمة التي غاض خيرها وفاض شرها فسمى الخليع ظريفاً والماجن لطيفاً والفانك متمديناً والتقى الورع متأخراً والناسك العفيف بليداً جامداً والعالم العامل وضيعاً خاملاً فلا حول ولا قوة الا بالله . ولقد كان لذلك أثره السيء في شئون الأمة عامة : ففشت الأمراض السريّة ، وانحطت الأخلاق وضعفت النخوة والحميّة وأضرب الشبان عن الزواج لتيسّر قضاء الإربّة وعدم الثقة بطهر الفتيات ، وبذا أصبحت الأمة مهددة بضيايع الثروة وذبول الصحة وانحلال الأسرة وتصدع المجتمع وما بقاء أمة أصيبت في كل عناصر حياتها .

أما تأثير التبرج في شئوننا الاقتصادية فحدث عنه ولا حرج : فلقد حدا النساء إلى الإكثار من الازياء ، والتفنن فيها الى حد مدهش ، واستنزفت تبعاً لذلك الأموال المعصرية ، لتعمر بها الجيوب الأجنبية ، ورأينا في كل يوم بل كل لحظة نوذجا جديدا (مودّة) تُتخفنا به (باريس) . وهكذا انصرف النساء عن القيام بتربية الأولاد ، وتدير المنازل الى الخلاعة ومقتضياتها ، والهيام على وجوههن في كل واد . ومن الفكاهة أن أقص عليك هذه الطُرْفَة لتبين ما ينوء به الرجال من أعباء النفقات السكّلية . فقد ذكروا أن رجلا اشترى لزوجته معرّضا (فستانا) اقترحته عليه ، وما إن جاوز باب المحل حتى أخذ يعدو عدو الظليم مُيمّما منزله ، فاستوقفه أحد أصدقائه (وقد أخذ العجب منه كل مأخذ) فقال له لا تعجب فإنني اشتريت الساعة هذا (الفستان) وأخشى أن تظهر (مودّة) جديدة قبل أن أصل إلى البيت ، من هذه الحكاياه سواء أكانت حقيقية أم خيالية . تعرف مبلغ تعلق السيدات بسفساف الأمور ، وإرهاقهن للزواج بما لا طائل تحته . تلك حال شاذة تجب على الأمة إزالتها بما تملك من حول وطول ، لأنها مخالفة للشرع والعقل والذوق ، وفي بقائها ضيايع الأموال والأنفس والثمرات : أما الشرع فلا نه يحرم على المرأة أن تبدى زينتها لغير من ذكرهم الله في كتابه ، والحكمة في ذلك جلية واضحة . وقد

وصى تعالى نساء نبيه وهن في الذروة العليا من الطهارة والصون بقوله عز من قائل (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) وقال صلى الله عليه وسلم وهو من آيات رسالته (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) .

وأما العقل فلأن العقول في أدنى الدرجات ، وأحط الدرجات ، تستقبح أن تصير المرأة وهي في حوزة رجل خاص يرض بها الضن كله ، ويحرص عليها حرص الجبان على مهجته ، متاعا مشاعا ونهبا مقسما بين النواظر والأبصار . فحسن أن تنزيا المرأة لزوجها في خلوتها وجلوتها بما تشاء ، وتتخطى بما تريد ، ولكنه قبيح ومُستبشع أن تهجر خدرها لتقيم من نفسها معرضا منتقلا يشهده العامة والخاصة ، ومن الغريب أنها في بيتها قد تكون غير آبهة للزينة ولا حافلة بالتجمل ، بل قد تكون مثالا لقذارة البدن والثياب ، حتى اذا همت بالخروج لم تدع شيئا من ألوان الأصباغ ، ولا ضربا من ضروب التطرية والتصنع إلا أفرغته عليها .

وأما الذوق فلأنه رُكِّز في الطباع الكريمة والأذواق السليمة أن المرأة مكان الصيانة والحرز والمنعة ، وعلى هذا درج الشعراء قديما وحديثا في وصفها : فشبهوها بالدر المصون ، واللؤلؤ المكنون ، وقالوا بيضة الخدر ، وربة الصون وذكروا تمنعها بالحراس والرقباء والأسنة والقنا ، واحتجابها حتى عن النسيم والشمس والقمر ، فتبذل النساء إلى درجة يزعم الرجال فيها بالملنا كب ، ويأخذن الطريق على الغادى والرائح من غير ضرورة إلا شهوة التبرج والسفور ، مما يعجه الذوق ويأباه الطبع وتنفر منه الفضيلة . وقد خسرت المرأة بذلك أضعاف ما تظنه ربحته ، فقد مضى عهد كان فيه أصلب الناس وجها وأخشنهم طبعا يرى المرأة فيغض طرفه إكراما للأثوثة الطاهرة وينعقد لسانه أن ينطق بكلمة فحش أو بداء ، حياء منها ومهابة لها ، فأصبح النساء الآن هدفًا للألفاظ الجارحة تسيل بها

السنة السفلة والأوغاد (والجزء من جنس العمل) وأمسى الرجل بعد أن كان يحل الأنثى فيفسح لها الطريق إذا مرت ويُنحلي لها مكانه إذا حلت ، لا يعنى بشأنها ، ولا يحفل بأمرها .

والحق أن هذا الأمر قد أهمَّ أرباب الشرف والكرامة ، لأنه نذير الإباحة وطليلة الفوضى الخلقية التي تأتي على ما ورثناه من دين قيم وخلق كريم وعادات شرعية حميدة . وإذا كان هذا نصيبنا من مفاسد المدينة الغريبة في تلك السنين القليلة التي تم فيها الاختلاط فما الظن إذا توالى علينا الأحقاب والأجيال ؟

على أننا لا نقلد الأجانب إلا في المساوىء والمثالب ، فأما حسناتهم فنحن عنها معرضون ثم لنسأل أنفسنا في عجب ودهشة أليس لتلك الدثي الإنسانية السادرة في غيها قيم أو كفيل من أب أو أخ أو زوج أو قريب ؟ ألا يحدث الرجل نفسه بما يراه في الطرقات من مخازير بدّ لها وجه الفضيلة فيحفره ذلك إلى أن يحمي حريمه ويمنع حماه ؟ ألا يجد فيما يشاهده صباح مساء وما يسمع به من أسرار القصور وأنباء الدور مقنعا يجعله يمسك بعرضه أن يزج به في هذا المعترك الضنك والمأزق المتلاحم ؟ ولا يطوفن بعقل القاريء الكريم أننا نريد للمرأة أن تقبع في بيتها كالسجين المصفد ، فلا تشمّ الهواء ولا ترى الخضرة والماء ، ولا تتمتع بما أبدعته يد القدرة والصناعة مما يُقر العين ويبهج الفؤاد ، فالمرأة مخلوق محترم بل هي نصف الإنسان وربة المنزل وأم الولد ووزير الرجل ولها حقوق على الزوج لو نالتها لعاشت في عز سابغ وسعادة وارفة الظلال ، فلتخرج المرأة للزيارة والتنزه والاستراحة ، ولكن ليكن معها حارس ذو حرم محرم منها ، يدرأ عنها النظرات الحادة والكلمات الساقطة والمغازلات السمجة ويحميها من هجمات اللصوص لصوص الجمال لا الجمال وسُرّاق الأعراض لا العروض وقُناص الخُود لا النقود أولئك الذين يقعدون كل مرصد لختل الصيد واقتناص الفريسة ، فلا تكاد تخلو منهم بقعة حتى أما كن العبادة ومزارات الأولياء فتبألهم وسُحقا .

ومن نكد الأيام أن نشأت في هذا الجيل نابتة هم زمانة الأمة ودأؤها العُقام ، نبذوا فضائل الشرق وجعلوا آداب الغرب . أخذوا يدعون جبهة الى الإباحة ويبذرون بذرها

الخليث ، مظهرين المرأة بمظهر من فقد حرّيته ومُلب إرادته ، وما بهم (شهد الله ) حب المرأة والعطف عليها ، ولكنهم يبعون وراء ذلك ما يطفئ شهوتهم الثائرة ويشبع ذكورتهم الجامعة ولو كان في ذلك خراب البلاد وشقاء العباد . ولا تعدم منهم فيلسوفا سوفسطائيا يحاجّك بأن سفور المرأة واختلاط الجنسين يقتل الشهوة ويزرع العفة ( وحب شيء إلى الإنسان مامنع ) ومادري ( أزال الله خباله ورد عليه عقله ) أن هذا لا يطبق في كل الأحوال فكما أن رؤية الطعام الشهى والشراب العذب تُثير الرغبة فيهما ، فكذلك النظر إلى وجوه الغير يبعث على الفتنة ويحثّ على الصبابة . وشتان بين امرأة متحجبة لا يبدو منها ما يدل على حسن وجمال ، وبين أخرى سافرة عن محيا صبيح ووجه مُقسّم ، فأين يذهب بكم أيها الناس لقد كانت تلك المرأة البدوية أبعد منكم نظرا وأرجح عقلا وأعرف بموطن الداء فإن الأصمعي يحدثنا أنه ورد بعض مياه العرب ، فوجد فتيانا مجتمعين وإذا بشاب منهم قد لوح بيده قائلا ها هي ذا قد أقبلت ، قال فنظرت حيث نظروا فإذا فتاة قد أسفرت عن بدر تمام على غصن بان ، فلما رأتهم يحدون النظر إليها أسدلت خمارها على وجهها ، فكانما أسبلت الظلام على الضياء ، فتقدم منها شاب وقال لم تمنعينا النظر إلى هذا الوجه الحسن . فكان جوابها : —

وطرفك إن أرسلته لك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر  
رأيت الذي لا كاله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر  
ولعل لنا عبرة فيما فعله ( الفاتيكان ) فإن البابا حرم على النساء دخول الكنائس بالملابس الخليعة ، وسمعنا عن جمعيات نسوية قامت في أوروبا ( أوروبا المتهتكة ) تدعو السيدات إلى اطراح الأزياء المستهجنة والجنوح إلى سبيل القصد والحشمة .

هذا وإني أدعو الرأي العام لمقاومة تلك البدع الضارة الهدامة . والرأي العام في كل عصر ومصر له صولة تهزم الجبابة فلو أن الناس يستنكرون هذه الموبقات ، ويظهرون سخطهم على كل امرأة تخرق سياج الفضيلة وتتهك حرمة الآداب لا تحت تلك العادات السيئة من البيثة المصرية . والله الهادي إلى أقوم سبيل على الجندي  
المدرس بمدرسة الناصرية الأميرية

# العلوم والآداب

## الاسلام في بلاد الانجليز

جاء بمقال لمراسل الصنداي بوست <sup>(١)</sup> بلندن أنه قام بأبحاث مستفيضة عن ازدياد عدد البريطانيين الذين يدخلون في دين الاسلام—وهم بمعدل واحد في اليوم— استطاع بها أن ينشر عدة حقائق ممتعة عن تقدم الإسلام في بريطانيا . قال :

في أنحاء الجزائر البريطانية ما يقرب من الف مسلم بريطاني بينهم رجلان من ذوى الألقاب أحدهما اللورد هدلى المعروف باللورد المسلم والآخر السير أرشيبالد هاملتن الذى يمت بصلة القرابة إلى چاميس الثانى . ملك اسكتلندة . وهناك آخرون من رجال الأعمال المعروفين الذين اتخذوا الاسلام ديناً في السنوات الأخيرة . كما أن هناك مسجداً في وكنج يؤدى به المسلمون الانجليز مع إخوانهم الشرقيين المقيمين بالجلترا فرائض الصلاة ويستمعون إلى خطبة الإمام وهو شيخ المسجد .

أما فيما يختص بنظام الطبقات الاجتماعية في الاسلام فيعتبر الغنى ظهيراً للفقير ويجلس بجانبه إلى مائدة الطعام كما يستوى كلاهما أمام الله . فليس هناك فارق شخصى في المجتمع الاسلامى بين غنى وفقير .

وشيخ جامع وكنج هو المحترم الاستاذ نظير أحمد وقد دار بينى وبينه حديث فهمت منه أن الشيخ في الدين الاسلامى يسمح له بمزاولة مهنة مدنية أخرى وأنه هو نفسه كان مدرهاً ومهندساً (معمارياً) وأنه يتقاضى مرتباً اسماً بصفته شيخ المسجد .

ويحتفل بعقود الزواج في هذا المسجد ومن احتفل بعقد زواجهم به المستر چون بارلنجتون فيشر أو عثمان المهدي كما سمي نفسه حيث تزوج من الأنسة مارجريت روس أو « رشيدة » على الشريعة الاسلامية وقد تلى إمام الجامع خطبة القران المعتادة وهى جدرة



بالاعتبار إذا قورنت بتلك التي تتلى بالكنيسة المسيحية الانجليزية . وقد أوصى الزوج فيها بقوله « أن لا تضرب زوجتك الكريمة ضربك للأمة الحقيرة وأن تطعمها إذا أطعمت نفسك وتكسوها إذا كسوت نفسك وأن تقبض يدك عن صفعها على وجهها أو تسيء معاملتها أو تفترق عنها وقتاً طويلاً » . وخطب العروس بقوله « يجب أن تكوني الزوجة الصالحة التي ترضى بعلمها إذا تطلع إليها وتطيعه إذا أرشدها وتحافظ على ما يملك إذا غاب عنها » وبعد انتهاء الخطبة استخرج الإمام وثيقتين وقع عليهما الزوجان وأعطى العروس واحدة والزوج أخرى .

وذكر لى اللورد هدى فى حديث دار بيننا أنه كان مسالماً بقلبه من عدة سنين ولكنه لم يعلن ذلك جهاراً حتى السنوات الأخيرة وهو الآن رجل متقدم فى السن لم يزل قويا تبدو عليه سماء المهابة والجلال . وقد تلقى علومه فى كلية ترينتى بكامبردج حيث يوجد اليوم - كما يوجد بأكسفورد - كثير من الطلبة المسلمين .

وقد قام اللورد هدى برحلات واسعة النطاق فى الشرق واشتهر كمهندس (معماري) وكان لدخوله الاسلام - الذى درسه إبان إقامته فى الشرق - شئ من إثارة الخواطر فى بلاد الإنجليز وقد تسمى كما تسمى غيره من الإنجليز الذين اتخذوا الاسلام ديناً - باسم اسلامى هو الشيخ عبد الرحمن الفاروق

وحجج الى مكة من زمن غير بعيد وهى المدينة التى يقدهسها المسلمون والى بها قبر النبى العظيم<sup>(١)</sup>

وقد أولت زيارته للشرق فى تلك المرة تأويلاً خاطئاً فى بعض الدوائر حيث قيل انه أرسل فى مهمة سياسية . وذكر لى اللورد هدى أن دخوله فى الاسلام كان نتيجة أعوام طويلة من البحث والتفكير وقال أظن أننى أول بريطانى مسلم حجج إلى مكة وقد قمت بذلك علانية على أننى أعلم أن البعض قد حججوا إليها متكررين فى زى رعاة الابل وأخبرنى محدث آخر أن كثيراً من الغربيين قد ضحوا تضحيات مالية واجتماعية كبيرة حين خرجوا على كنائسهم ودخلوا فى دين محمد « عليه السلام » . والمسلمون هم

(١) قبر النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة لا بمكة

أكثر من أى طائفة دينية أخرى عدداً فى العالم . واستطرد محدثى القول بأنه يعرف واقعة حال جرت لضابط كان يؤدى الخدمة فى الشرق فى غضون الحرب الكبرى وقد درس الاسلام دراسة عميقة ثم اتخذ ديناً وما علم رؤساؤه بالأمر حتى استدعى فى الحال وأقيل من الخدمة . وهناك وقائع أخرى اضطر فيها الكثيرون لترك أعمالهم على أثر دخولهم فى الاسلام .

وليس فى الإسلام فارق جنسى ( قومى ) فقد يكون بين الجمع المحتشد بالمسجد صينيون وروسيون وزنوج وهنود .

وهناك أسباب مختلفة يذكرها البريطانيون لدخولهم فى هذا الدين فبعضهم يقول انهم سئموا موقف الجود والتعصب الذى تتفقه الكنيسة المسيحية والبعض الآخر يشعر أن فى الاسلام عاطفة انسانية تدخل فى حياتهم اليومية وتمتزج بها فالمسلمون فى أنحاء العالم يتجهون كل يوم خمس مرات نحو مدينة الاسلام المقدسة <sup>(١)</sup> ويسيرون الصلاة لله . ويجب على كل مسلم يملك مقدار « نصاب » من المال أن يتصدق باثنين ونصف فى المائة منه للفقراء .

هذا : وشرب الخمر ولعب الميسر وأكل الخنزير محرم فى الاسلام . أما السير أرشيبالد هاملتن الذى يقيم فى صسكس الغربية فقد قال فى إيراد أسباب اتخاذه الاسلام ديناً « يظهر لى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يلائم جميع أجناس البشر فهو يعترف بالديانات الأخرى ولا ينكر فضل مؤسسيها العظام ، وإن مما أنكره على المسيحيين ما أراه من أنهم يقيمون شعائر دينهم يوماً واحداً من الاسبوع وينسون كل ما يتعلق به بقية أيامه » ويأمل السير أرشيبالد أن يحجج إلى مكة قريباً .

وقد علمت بعد تحريات أخرى أنه إذا استمرت زيادة المسلمين فى اسكتلندة على ما كانت عليه فى السنة الماضية فثمت أمل كبير فى بناء مسجد بها فى وقت قريب .

(١) مكة المكرمة التى بها البيت الحرام المقدس وهو قبلة المسلمين فى صلاتهم

# أخلاق محمد

(صلى الله عليه وسلم)

من كتاب « حياة محمد » للسير وليام ميور  
(دمانة الاخلاق)

ومن صفاته الجديرة بالتنويه الرقة والاحترام اللتان كان يعامل بهما أتباعه حتى أقلهم شأنًا . فالتواضع والرافة والأناة وانكار الذات والسماحة والسخاء تغلغلت في نفسه ووثقت به محبة كل من حوله .

وكان يكره أن يقول لا فان لم يمكنه أن يجيب الطالب لسؤله فضل السكوت عن الجواب وقد قالت عنه عائشة أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا اساءه شيء تبتناه في أسارير وجهه أكثر من كلامه ولم يمس أحدا بالضرر الا في سبيل الله . ويؤثر عنه أنه كان لا يمتنع عن اجابة دعوة الى بيت مهما كان حقيرا أو يرفض هبة مهداة اليه مهما كانت صغيرة واذا جلس الى صاحبه لم يرفع نحوه ركبتيه تشاخصا منه وكبرا وكانت له تلك الخلعة النادرة التي يجعل بها كل فرد من صحابته يظن أنه المفضل المختار . وكان يرثى كثيرا للشكلى والمنكوبين كما كان سهلا لين العريكة مع الأطفال لا يأنف اذ مر بطائفة منهم يلعبون ان يقرئهم تحية الاسلام . وكان يشرك غيره في طعامه حتى في أوقات العسر والاملاق ويهتّم جهد الطاقة بتوفير أسباب الراحة لأنصاره وتابعيه . وكان صديقا وفيا أحب أبا بكر محبة الشقيق الودود وعليها محبة الأب الرؤوف ومما يذكر أن زيدا الذي كان عبد خديجة كان متعلقا بالنبي تعلقا شديدا لعطفه عليه حتى أنه أثر البقاء بمكة على أن يعود لبلده مع أبيه وتعاقد بأهداب النبي قائلا لست تاركك وقد كنت لى أبا بارا عطوفا وقد بقيت صداقة محمد هذه الى ما بعد موت زيد حيث عامل أسامة ابنه معاملة ممتازة اكراما لأبيه . كذلك كانت علاقته بعثمان وعمر مشبعة بروح المودة والولاء . وكان محمد عليه

الصلاة والسلام، في استعماله الحكم المطلق عادلا مقتصدا فلم يكن يعوزه الرفق باعدائه اذا مادانوا له بالطاعة وقد كان دفاع مكة العتيد الطويل المدى ضد دعوته مما كان يحمله عند فتحها على أن يعبر عن سخطه بآثار لاثمحي من دم ونار ولكنه أصدر عفوا عاما ملقيا بذكريات الماضي بما فيها من سخرية واهانة واضطهاد في زوايا النسيان وعامل حتى ألد أعدائه بكل كرم وسخاء ولم تكن الساحة التي ابداهها لعبدالله<sup>(١)</sup> وأهل مكة الخارجين عليه بأقل من ذلك ظهورا وهم هم الذين ناصبوه العداء سنين وامتنعوا عن الدخول في طاعته . كما ظهر حلمه وصفحه حتى في ساعة الظفر والانتصار وقد دانت لطاعته القبائل التي كانت من قبل أكثر مناجزة له وأشدّ عدا .

## الطرف والملح

أدخل على المنصور رجل<sup>١</sup> أراد أن يوليّه قضاء ناحية من العراق قد جعل السجود بين عينيه كركبة الجمل . فقال له المنصور : ان كنت أردت الله بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه ، وان كنت أردتنا فما ينبغي لنا أن ننخدع لك ، ولم يؤلّه شيئا .  
قال شاعر حكيم :

إذا أعجبتك خلال امرئ فكفه تكن مثل من يعجبك  
وليس على المجد والمكرّمات اذا جمعتها حاجب يحجبك

قال قدامة : حسبكم دلالة على فضيلة العدل أن الجور الذي هو ضده لا يقوم الا به ، وذلك أن اللصوص اذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم احتاجوا الى استعمال العدل في اقتسامهم والا أضرت ذلك بهم .

قال سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه : ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته .  
لاني كنت أضيق صدرا حين استودعته منه حين أفشاه .

# استرشاد الانسان بالمملكة النباتية والحيوانية

في مخترعاته

مترجمة عن مجلة Woche الألمانية

قليل من الناس من يدرك أن في مثل شجرة أو شجيرة أو ورقة من الحشيش أعجوبة من أعاجيب التكوين في الصناعة والكيمياء وأن كل مانسجته يد الانسان يتضاءل أمام كمالها ويظهر بعيدا عن الاتقان . فمن حامض الكربونيك والماء — أى من مواد يمكن الانسان الحصول عليها بكميات وافرة — تقوم في المملكة النباتية صناعة المواد النشوية التى تعد أساسا للتغذية . ويستفيد النبات من حرارة الشمس وضوئها منذ آلاف السنين للقيام بهذه العملية ولم تقو الصناعة الحديثة على الاستفادة منها الا في أمور صغيرة والى حد محدود . وتعد هذه الكفاءة في النباتات أعلى مما وصل اليه العلم والصناعات الحديثة حيث ان الانسان لم يوفق بعد الى أن يجعل من حامض الكربونيك والماء «نشاء» صناعيا وهو الذى عليه تقوم الحياة فهو لذلك أهم التراكيب الكيميائية ولا بد أن يكون أول ماصنعتة المملكة النباتية منذ بدأ نشأتها .

وقد يضطر الانسان لكسب عيشه الى قتل النبات أو سلبه ثمره فيسخر نفسه في فلاحته بعرق جبينه ولا ينفك يستمطر السماء ماء ويرجو من الشمس حرارة وشعاعا وانما يفعل ذلك لجهله وقصر يده وعجزه أمام علم استاذة القدير «النبات» وليست المملكة النباتية بالاستاذ المتمكن الذى لايشق له غبار في أصول الكيمياء فحسب بل انها في عالم التراكيب الآلية والفنية مثالا حسنا ونموذجا بديعا أتقن صنعه ودق تركيبه

نظرة واحدة الى جميع المخترعات التى أدهشت العقول زمنا طويلا تكفى لتبيان مصدر اشتقاقها من النماذج الطبيعية في المملكتين النباتية والحيوانية . أليست آلة التصوير صورة بسيطة من عين الانسان والمسرة تحاكي الأذن ؟ وألا

تشبه المباني الحديدية المرتفعة في قوامها وقواعد نصبها تركيب العظام في الانسان والساق في القمح وما شاكله من النبات ؟ أفلا يرتد أمام هذا المهندس والمعماري باستكانة واتضاع لحقارة وغلاظة ما صطنعاه من مستحدثات ومبتكرات المقلدة لما صنعته يد الاله عز وجل ؟ وأفلا يتبين لهما أن صناعتها لازالت مفتقرة الى الصقل والتهديب بعيدة عن الاتقان والكمال . ؟

نرى أن كل ما أعد للجر والسحب صور على شكل شريط وما أعد للارتكاز لابد له من عمود لارتكازه وكل ثاقب لابد من صنعه لولبيا ، جذوع كأنها عمد تحمل الشجرة فلا تنوء تحت ثقل غصونها وتستند السنبلة على الساق كما يتكأ الشيخ الهرم على عصاه أو كما يرتكز السقف على الأعمدة ، تندفع الجرثومة في قطرة الماء تشق طريقها لولبيا فما أشبهها بباخرة حديثة الطراز تسير بمساعدة المحرك اللولبي الى جانبيها وما أشبه الداسر <sup>(١)</sup> اللولبي في الطيارة بورق شجر الاسفندان <sup>(٢)</sup> .

لم يكن الانسان بالمتحرج لسير الدولاب الا الى أو أعمدة الارتكاز أو الداسر اللولبي . وانما هي أعضاء المملكة النباتية التي كشفت لنا خبايا النظريات وأصول القواعد .

تبين المهندسون والفنانون أن الحركة في اتجاه دائري انما تتغلب على المقاومة بأقل جهد عن الحركة في اتجاه مستقيم فبنوا تصميماتهم وجعلوا قواعدهم مصطنعين بذلك قانون المقاومة البسيطة والاقتصاد في المجهود ، ولكن ألم تكن المملكة النباتية هي صاحبة الاولوية في الابتكار واليها يرجع الانسان حيثما بدأ عمله وفنه .، يظهر لنا من ذلك وغيره أنه ليس من مبتكر أو مستحدث الا وقد أوجدت المملكة النباتية أو الحيوانية قواعده ورسمت أصوله وأحكمت قوانينه وأظهرت النماذج الدقيقة فيه . ولتأمل قليلا من هذه الوجهة دقة صنع ومهارة تركيب بعض أعضاء المملكة النباتية ولناخذ اعشاب البحر الصخرية مثلافنرى أنها عبارة عن مراكب دقيقة . لايزيد طول أحدها عن ١/٢ مليمتر وعرضها عن ٣/٤ من المليمتر تنتشر على قاع الغدير كل

ربيع كبساط من القטיפه تعلوه قشرة ذهبية أو تملأ الطبقات العليا من مياه البحار فتجعل أديمها أخضر ولكن ليس هذا أو ذاك بمقرها الطبيعي بل يغلب وجودها بطبقات الارض الطينية بين الشقوق المائية الضيقة فاذا ماجف أديم الأرض درء عنها خطر الهصر والتحطيم سياج منيع من بلورات صخرية به تجمعات تزيده حصانة لمقاومة الضغط ، فلها بعبارة أخرى في أشكالها السطحية جميع ما اتخذته الانسان نقلا عنها في تراكيبه وبنائاته المعرضة لتحمل الضغط الشديد . وقد تطفو هذه الاعشاب المائية في احد أطوار حياتها على سطح المياه ولذا تركت تجمعاتها خاوية ، ليس بهيكلها الخارجى سوى مراكز المقاومة لتحمل الضغط . ألم ينح نحوها وينسج على منوالها أساتذة فن المعمار في المباني القوطية بقبابها وقلة مسطحاتها وتحويلها الى أشكال منمقة من أساطين وقباب ؟ أليست التراكيب الحديدية الحديثة في مناعتها ومقاومتها كثيرة الشبه باعشاب البحر الصخرية وان تعددت أشكالها واختلفت صورها لازالت نموذجاً هندسياً فائقاً لمقاومة الضغط مع الاقتصاد في المادة . أمام هذا كله لا يتكف المهندس أو الفنان عناء البحث والاستنباط فله في القواعد الطبيعية الثابتة الصحيحة كل معين ومرشد .

وبين الاحياء المائية ذات الخلية الواحدة ما يسمى «فلاجيلات» وهى سوطية الشكل قد زودها الله عز وجل بأشكال تساعد على السباحة فكانت خير نموذج لاستنباط حل لمسألة الاجسام الطافية ، فذنبها الدائرى أكبر معين لها على الحركة السريعة التى اذا نسبت الى سرعة البواخر العظيمة لفاقها ببضعة آلاف المرات . ففى هذه الأعجوبة الفنية التى لايزيد حجمها عن ذرة من الرمال نجد نموذجاً آلياً لم يستطع الانسان بعد أن يجاريه . ألم يك فى هذا كله مايكفى لاستنهاض الانسازة ودفعه لدراسة أصول علم الحياة وفنونه حتى يسترشد بما كنه من قواعد ونظريات في مخترعاته ومبتكراته على شكل أوفى ونظام أكمل مما قد أتيح له الى الآن .

فكل ورقة من أوراق النبات تتسع لدراسة فن كامل على أصوله الصحيحة فهى تحوى منشآت صناعية على أحدث منوال ، آلات لاستغلال القوى الضوئية

تلتقط فيها المادة الملونة الكاوروبيلييه بطرق عدسية دقيقة ضوء الشمس اذا ما واجهته .  
وتندفع المياه والحوامض الكربونية في طبقات التهوية داخل أنابيب كما تجرى في  
ثناياها المواد الأولية والعصارات . وتقوم جهازات الرفع المائية في المملكة النباتية  
بعملها بطريقة محكمة دقيقة فتحمل مواد التغذية وتدفعها الى منتهى الفروع العليا  
والغصون الدقيقة والعروق الشعرية . ولاداة الرفع المائى في المملكة النباتية أهمية  
عظمى تستوجب اعجاب الفنان . ففي الأوراق الخضراء وبين شقوقها المائية نجد  
فراغا كبيرا تصله عروق شعرية غاية في الدقة بالانبوبة المائية الرئيسية فيتضاعف  
فيه بذلك كل ضغط ينشأ في الجذع الى عشرات ومئات أمثاله وينتج عن ذلك أن  
تعلو السوائل على قشرة الأشجار الخارجية — وهو ما يطلق عليه ادماء الشجر —  
وبه تصعد العصارات في الكروم كل ربيع ، وقد عجزت بالرغم من هذه الظواهر  
جميعها ابطال الزمن الغابر عن استنباط المضخات المائية الرافعة ولا زالت مجهولة حتى  
قيل الجيل الحاضر ، ومنها اشتقت المطارق والمضاغط والروافع المائية على اختلاف  
أنواعها .

فاذا خطونا في هذا المضمار خطوة أبعد نجد أن النبات هو المثل الأعلى في احتمال  
الضغوط الجوية على سطوحه . فبينما لا تقاوم أحدث المراحل أكثر من ٢٠ الى ١٠٠  
ضغط اذا لم يقل سمك جدارها عن  $\frac{1}{3}$  من قطرها نجد أن في بعض النباتات ما تقاوم  
خلاياها ما هو أزيد من ذلك بكثير . فقد يزيد الضغط داخل خلية البنجر عن ٢٠  
ضغط جوى مع رقة غشائها الذى يبلغ  $\frac{1}{3}$  من المليمتر (أى لا يكاد يبلغ  $\frac{1}{3}$  من  
قطرها) . وقد اثبت العالم الألمانى بففر استاذ علم الحياة أن خلايا الطحلب تقاوم  
الى ١٦٠ ضغطا جويا . أليست هذه الارقام وحدها كافية لأن نأملنا على النظر بشك  
الى ما يدعونه العصر الذهبى للآلات . ألم يحن بعد الوقت الذى يتمكن فيه عقل  
الانسان من السيطرة على جميع القواعد والقوانين التى ضمنها المخلوقات لاستخدامها  
في عمرانها وحضاراته الصناعية .

فاذا ما قامت حجة عند بعض المكابرين بأن العقل البشرى لم يك يوما مقيدا



بالقوانين الطبيعية بل انه ابتكر من الاشياء ما ليس له شبيه بأى المملكتين النباتية أو الحيوانية مثل بركام الكهرباء أو الدراجة أو الآلة الكاتبة . فلا ينبغي أن يغيب عن ذهن هؤلاء المكابرين من أن السباحة في الماء وفي الهواء أوفق حالا لمشكلة الحركة من المحرك البخارى أو الكهربائى اللذين لن يستطيعا أن يسيطرا على القوة أو النشاط الكامن في الفحم الا بقدر جزئى بسيط وأن اليراعة وعيش الغراب المنير وأسماك الطبقات السفلى فى البحار تولد ضوءاً بدون حرارة وأن الآلة الكاتبة أو الدراجة ليست الا تحويراً لقواعد الروافع في جهايزات الحركة في الحيوان .

## الطرف والملمح

قال بعض الشعراء :

وَلَمَّا أَبَتْ عَيْنَايَ أَنْ تَكْتُمَا الْبَكَاءَ      وَانْ تَحْبَسَا سَحَّ الدَّمْعِ السَّوَاكِبَ  
تَنَاءَبْتُ كَيْ لَا يُنْكَرَ الدَّمْعُ مُنْكَرُهُ      وَلَكِنْ قَلِيلاً مَّا بَقَاءُ التَّائِبِ  
أَعْرَضْتُمَانِي <sup>(١)</sup> لِلْهَوَى وَنَمَمْتُمَا      عَلَى لِبْسِ الصَّاحِبَانِ لِصَاحِبِ

روى القالى أن هند بنت عتبة قالت وهى تُرَقِّص ابناً معاوية رحمه الله :

أَنْ بُنِيَ مُعْرِقٌ <sup>(٢)</sup> كَرِيمٍ      مُحِبَّبٌ فِي أَهْلِهِ حَلِيمٍ  
لَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلَا لَثِيمٍ      وَلَا بِطَخْرُورٍ <sup>(٣)</sup> وَلَا سَثُومٍ  
صَخْرَ بَنِي فِهْرٍ بِهِ زَعِيمٍ      لَا يُخْلِفُ الظَّنَّ وَلَا يَخِيمُ <sup>(٤)</sup>

قال بعض الشعراء

كَمْ مِنْ فَتَى تُحَمَّدُ أَخْلَافَهُ      وَتَسْكُنُ الْعَافُونَ <sup>(٥)</sup> فِي دَمَتِهِ  
قَدْ كَثُرَ الْحَاجِبُ أَعْدَاءَهُ      وَأَحْقَدَ النَّاسَ عَلَى نِعْمَتِهِ

(١) خطاب لعينه (٢) أصيل فى الفرف (٣) الطخروور الذى لا جلد عنده ولا نبات (٤) لا يجبن

(٥) السائفون المستعطون

## مثال من عناية الألمان بتربية أولادهم

ترجمة صاحب التوقيع

العدل في معاملة الأطفال



ان لم يكن للمرء الا طفل واحد كان العدل في حقه عبارة عن معاملته دائما معاملة متناسبة على أصول واحدة والوالدان الصالحان يتوقيان مايحول دون ذلك من الأغلاط الجسام ولكن هذه المسألة قد تتعلق في بعض الأحيان أيضا بأمور دقيقة رقيقة وقد كتب أب مرة في هذا الموضوع مايلي :

كم تجرى دموع الأطفال من جراء عدم العدل في معاملتهم أحيانا والامور التي سيكون من أجلها تكون عادة من التوافه لانعيرها نحن الكبار في العادة أدنى اهتمام على أن ماليس بشيء في نظرنا قد يكون في نظر الطفل شيئا عظيما فاذا أردنا أن نكون عادلين في حقه وجب علينا قبل كل شيء أن نحاول النظر الى الامور بعينه والحكم عليها بقلبه فالعدل في التربية لا يكون من قبيل العدل المطلق دائما وانما هو عدل نسبي ولا يمكن أن يسمى عدلا فيها الا مايشعر الطفل في كل حالة على حياها بأنه عدل .

يبين لك ما أعنيه بذلك حادثة وقعت لى مع بنتى الصغيرة وهى طفلة ذكية حسنة الخلق بفطرتها ومطبعة على الجملة غير أنها سليمة القلب الى درجة غير مألوفة وقد تزيد في قوة احساسها شيئا قليلا عما أحبه وانها ماضرت قطء، وانما في السنتين الأوليين الى الثالثة مستها لطمات كان لا بد منها وما سمعت منا أبدا كلاما عنيفا الى أن حصلت الحادثة التي أريد أن أقصها عليك لأننى جريت معها على مبدأ ألا ألومها ولا أنذرهما دائما الا بهدوء وسكينة وأن أقنعها بالأسباب والحجج وأصلح حالها فنجحت في ذلك نجاحا مطردا — ففي مساء ذات يوم مذ كانت في نحو السادسة من

عمرها كانت في غاية الافراط في السرور والابتهاج حتى ساعة الانصراف الى النوم فكانت من لعبها في حالة تشبه الجنون بعد أن أخذت الى سريرها فنصحتها أن تلتزم السكنينة غير أنها مالبثت بعد أن تركت غرفتها أن عادت الى لعبها الجنوني وصخبها فحاولت تسكينها مرة أخرى فذهبت محاولتي عبثاً أيضاً ولما اضطرت الى الذهاب الى غرفة نومها للمرة الثالثة زایلنى صبرى فوبختها توبيخاً شديداً مؤلماً فاندفعت الصغيرة تبكى بكاء مهيجاً للقلب حتى صار جسمها الضئيل يرتجف منه ارتجافاً . ولم يسبق لها قط أن بكت بهذه الشدة فسألتها وأنا في غاية الدهش عن سبب بكائها فكان جوابها بعد تردد طويل منها وهى تنتحب أن قالت لائىك عنفتنى هذا التعنيف الشديد ووضح لى من جوابها أن العقاب الذى أصابها لم يكن بينه وبين الذنب في نظرها أى تناسب وأنها لذلك أحست بأنه غير عادل لأنها لم تكن الا مسرورة مبتهجة ومن أجل ذلك ماكانت تستحق في رأيها مثل هذا العقاب .

ومن ذلك الحين أجتنبت—وقد مضى على ذلك أكثر من أربع سنين—ارتكاب مثل هذا الجرم ولا أستطيع أن أذكر أن أبنتى عادت من ذلك العهد الى مثل هذا البكاء الذى وقع منها تلك الليلة .

## تخالف الاخوة والأخوات فى الأخلاق والصفات

— مع اتحادهم فى التربية —

من المسائل التى جاء دور الكلام عنها فى محاضرتى ضمن مسائل أخرى التخالف الكثير الذى يوجد بين الاخوة والأخوات والذى يتضح سببه من امكان تركيب عوامل التوارث امكاناً للاحد له . فما أكبر الفروق التى تكون فى كثير من الأحيان بين الاخوة والاءخوات . خذ لذلك مثلاً : —

فمن ناحية قابلية نفوسهم وارادتهم للتأثر توجد بينهم فروق ذاتية ذات شأن كبير ، وهأنذا أسوق لك مثلاً مينا لهذا فى المقارنة بين ولدين من أولادنا .

ذلك أن ابننا «غونتر» ربما كان أقوى أخوته من حيث قابلية نفسه للتأثر فاستعداده للتحسس عند لقائه لكل حسن خصوصا محاسن الخليقة لم يبلغ أقصى درجته في الحدة فقط بل كان فيه أيضا ثبات نادر بالنسبة لسنه الصغير ولكن قابليته للتأثر كانت تكون أقوى من ذلك أيضا اذا صادفته أمور مهيجة تنبؤ عنها نفسه ، فمن ذلك أن كل سفر لنا الى برلين لزيارة أقاربنا كان يحدث دائما في نفسه هزة مؤلمة فالوجوه الغريبة التي كان يراها في هذا السفر والأحوال المتغيرة والسرير الذي لاعد له به وغياب لعبه عنه كل أولئك كان يخرجها عن توازنه النفسى فكان يبكى كثيرا ويفعل قبل نومه من الأفعال التي لا تليق ما يدعش — وصار يميل الى العصيان أكثر من ذى قبل وكانت قابليته للتأثر هذه تظهر أيضا لا سباب منفردة وكان يبدو منه فوق ذلك عناد واستبداد ولكن كان يتلوها من الندم والعطف المنبعثين من أعماق قلبه ماهو أبلغ مما كان يصدر من غيره من الأطفال وقد أدى رد الفعل الشديد في نوبة من نوب تأثره الى صدمة كان لها عاقبة باقية طويلة . ذلك أننا كنا في مصيفنا وفي ذات ليلة تركت الأولاد مربيتهم غير الوفية وحدهم بعد أن أغلقت عليهم باب الغرفة فشهد «غونتر» تلك الليلة سهدا ما كان متوقعا وكان عمره اذ ذاك سنتين وأربعة أشهر وطلب المربية ولما لم يجدها تأثر تأثرا شديدا فسمعنا صراخه ولكننا لم نستطع اسعافه فورا لأن الباب كان موصدا عليه فأضطرت الى كسر لوح من زجاج الشباك واقتحامه اليه وكان كل ذلك في الظلام وكانت هذه الحادثة سببا في اختلال توازن القوى النفسية للغلام زمنا طويلا حتى لقد صار مجرد الفكر في الذهاب الى النوم سواء أكان نهارا أم ليلا من بواعث الخوف عنده فاذا اضطجع في سريره انتابته حالات الصراخ الشديد فلا تزياله الا اذا بقيت أمه عنده حتى يفشاه النعاس وقد جربت معه الشدة مرة واحدة فساءت حالته ولم تتحسن الا بنقل سريره الى جانب سرير والدته وبقائه بجوارها وقد حصلت هذه الحادثة بتمامها «لهلدة» أخته وهى أكبر منه بسنتين ونصف ولكنها لم تبد أثناء وقوعها خوفا ولا تخلف لها بعده عاقبة سيئة وليس هذا بالتأكيد راجعا الى أنها أكبر منه سنا فقط بل هو راجع أيضا الى قلة قابليتها للتأثر النفسى وأما «حوا»

فانها من طرز آخر بالكلية فكانت قابليتها للتأثر بالأُمور المؤلمة في درجة منخفضة انخفاضاً مدهشاً وليس معنى هذا أن فيها من عدم الاحساس العام لآنها من الناحية المبهجة للعالم فيها احساس بالسرور والفرح فزاجها صاف رائق فهمي تضحك وتفرح لأدنى سبب كما هو مسطور في دفتر يوميتها من عهد أن كان عمرها سنتين ونصفا وكان يتكرر في الدفتر دائما ذكر ملاحظات شبيهة بهذه فيما بعد وكنا اذا سافرنا الى برلين لزيارة أقاربنا نشعر على العكس من « غونتر » أنها في بيتها وقد صيرها مزاجها المحبوب السني حبيب لجميع الأقارب وكان كل البيت مفتونا بها ولم تبك مرة واحدة تقريبا أثناء الاسابيع الأربعة التي قضيناها في « برلين »

هذه البنت المرحّة الشبيهة في مرحها بالفراشة البيضاء كانت تستهين أيضا بكل ما قد يسبب لغيرها من الأطفال ألما شديدا فمن ذلك مثلا الزيارات المتكررة التي كانت تذهب فيها الى طبيب الأسنان فانها كانت في انتظار هذا الطبيب تكون في أتم السرور والابتهاج وكان عمرها اذ ذاك أربع سنين ونصفا وكانت تجعل الزيارة لنفسها في أعلى درجة من اللذة فكانت تجلس على كرسي العلاج ضاحكة وتبعث فينا جميعا أشعة بهجتها وتفتح فيها الصغير لتدع العدة تدخل فيه كأنها قطعة من الحلوى البنية اللون (الشكولاته) وتسمح للطبيب بمحشو عدة من أسنانها دون أن يهتز لها هذب. فاما اذا شرع أبواها في استصحاب أخويها الاكبرين للتنزه أو زيارة المتحف فانها لا تلبث أن تتكدر بل ربما بكت أيضا ولكن ماهي الا اشارة منها لها بأنها لا تزال صغيرة جدا ودعوتها لها الى نوع من اللعب لذيق حتى ترضى بقسمتها تمام الرضى وأما « غونتر » فكان يشعر دائما في مثل هذه الأحوال بأنه في غاية من نكد الحظ. هذا الاستخفاف من الأطفال بالأُمور في الحالات المذكورة وان كان سارا فقد يتأتى في أحوال أخرى أن يكون ناشئا من عدم التأثر فقد رأى الأطفال ذات مرة وهم في المصيف دودة من دود الفراش كان وضع فيها زنبور بيضه ثم أبصروا الديدان الصغيرة تخرج منها بالئات وهي لا تزال على قيد الحياة فكان هذا المشهد

بالنسبة لنا نحن الكبار كما كان في نظر «هلدة» التي كانت في منتصف الحادية عشرة من عمرها مؤثرا تأثيرا يقشعر منه البدن ووجده «غونتر» أيضا رائعا على أنه قد غلبه حب الاستطلاع فأخذ يرقب الحادثة بمنظاره المسكبر وأما «حواء» (وكان عمرها اذ ذاك خمس سنين وثلاثة أرباع سنة) فقد بقيت في معزل عنها غير آبهة لها وانما كانت تنظر اليها تقليدا لغيرها بل كانت تتكلم معهم أيضا بشأنها قائلة أنها رائعة ولكننا لم نكن نشعر مطلقا بأنها كانت تشاركنا في التأثير بهذه الحادثة \*

## أكاذيب الأطفال

ليس كل قول للطفل مخالف للواقع يعتبر كذبا بل لا يمكن أن يعتبر كذبا الا ما كان مقترنا بعلم مخالفته للواقع وبقصد غش الغير — فاذا استعمل هذا المعيار في تقدير أقوال الأطفال نتج منه أن كثيرا من أقوالهم المخالفة للواقع التي تسبب في كثير من الأحيان لوالديهم شغلا شاعلا ليست على الجملة من قبيل الكذب مطلقا لخلوها من خاصتيه وهما العلم بعدم صحة القول والقصد الى الغش فيه .

كيف يتأني أن يصدر من الأطفال مثل هذه الأقوال المخالفة للواقع بلا قصد ؟ لابد أن تعد من هذه الأقوال أولا الطائفة الكبرى من أوهام الذاكرة التي يعتبرها الوالدون غير المحجرين — ويؤسفنا أنهم لا يزالون مفرطين في كثرتهم — أكاذيب حقيقية ويعاملونها على مقتضى هذا الاعتبار .

كثير من أوهام الذاكرة خصوصا عند الأطفال مبني على نقص العلم بزم من الحوادث فان الطفل في السنين الأولى من حياته لا يكون قد بلغ بعد أهلية ارجاع أية حادثة وقعت بالفعل الى وقت وقوعها من الماضي بالضبط فان الأطفال في هذه السنين لا يزالون يعوزهم ادراك أى معنى للوقت فهم لا يستطيعون بعد اذا وقع لهم

أمر من الأمور أن يميزوا ان كان وقع أمس أو كان قد وقع قبل ذلك بأسابيع فأما اذا بدا النظام والوضوح في ذاكرة الطفل فقد يكون ذلك أمارة على نضوج عقله فيه وينشأ من عدم العلم بالوقت هذا بالضرورة أقوال مخالفة للواقع لاحصر لها .  
وليست أوهام الذاكرة في الأطفال مبنية على نقص العلم بالوقت فقط بل تنشأ أيضا من أن كثيرا من الحوادث لا تنطبق في نفوسهم الا انطبعا ناقصا ويرجع معظم هذا الى نقص الملاحظة في الطفل .

فمن لوازم الأطفال أن يكون فيهم الى ما يقارب السنة العاشرة من عمرهم نوع من الخفة والطيش فما تتلقاه نفوسهم في مثل هذا الطور غير المطمئن من حياتهم لا يرسخ فيها بالضرورة ولا يعقب أية صورة مستقيمة له مالم تكن الحادثة والذكرى المتعلقة بها ساريتين سرورا واضحا على وجه خاص ، غير أن معظم آثار الحوادث التي تكون من نوع لا يؤبه له لا تعقب في نفس الطفل أثارا بليغة ومن ذلك يصدر كثير من الأقوال المخالفة للواقع عن غير قصد سيء حتى ممن صاروا كبارا من الأطفال وتتوارد أمثلة وافرة العدد لمثل هذه الأقوال المخالفة للواقع بلا قصد في حياة الأطفال المدرسية حتى الكبار منهم من ذلك ما حكاه مرة الاستاذ « والتر كلوجه » الحائز للقب مستشار المعلم بأحدى المدارس المركزية في محاضرة له قال : ان غلاما في الثامنة من عمره من تلاميذ فصله أخبره يوما أثناء الدرس وهو متأثر جدا أن مقلته سرت وأنها كانت لا تزال موجودة عنده الى ما قبل الدرس حتى لقد أخذ منها قلم رصاص وزعم ستة من الاولاد الجالسين على مقربة منه زعما مؤكدا قويا أن هذا الأمر قد حصل ، فأرسل الغلام الى بيته ليبحث فيه أولا فربما كان قد نسي المقلمة هناك فصح الظن ووجدت في البيت بسلام فوق خزانة المطبخ، وقد يوجد مثل أوهام الذاكرة الظاهرة هذه أيضا حتى عند البالغين الرابعة عشرة من عمرهم فقد ورد في مجلة المعلمين اللايزيحية، في مجموعتها السابعة عشرة بالصحيفة ٣٧١ ذكر للحالة التالية وهى : أنه قد استقر النظام في مدرستنا على أن يسلم جزء من أدوات التعليم لبعض فتيات موثوق بهن من الفصل الأول ففي هذه الأيام أشتكت احدى التلميذات

(وهى الثانية عشرة من سبع وأربعين) أنها فقدت محفظة كتبها في الصباح من مخزن الأدوات ولما سألتها هل هى متيقنة من أحضارها معها كان جوابها بالايجاب مؤكدة مصرة على قولها بل قالت أيضا لو أن أمها كانت رأت المحفظة في البيت لكانت بلا شك أحضرتها الى المدرسة وعلى ذلك سألت البنات الباقيات هل في استطاعتهم أن يؤكدن أن التلميذة المذكورة كانت أحضرت معها المحفظة فبرزت لى اثنتان منهن فسألتهما هل رأيتما يقينا المحفظة في بكرة اليوم مع هذه التلميذة فقالتا نعم فقلت لهما أنتما تعلمان أن الشهود يجب عليهم أحيانا أن يحلفوا أمام المحكمة فهل تستطيعان تأدية اليمين على أن المحفظة كانت معها لما قابلتماها صباح اليوم فترددت أحدهما وقالت الأخرى في ثبات وكانت أذكرى منها نعم وبعد انقضاء فترة الاستراحة قيل لى أن أولادا آخرين رأوا المحفظة أيضا في يد التلميذة . ولما كان اليوم التالى جاءت الفتاة تحمل محفظة كتبها كماداتها وقالت أنها كانت نسيته في البيت .

فمعظم أوهام الذاكرة هذه تتعلق كما قلنا آنفا بنقص الملاحظة الناشئ من نقص التعلم والتجربة وانما الذى يصير كسبا لنفس الانسان حقيقة ويكون من عملها الخاص هو الذى تتلقاه عن بيئة وفي حالة تجمع الفكر فهذا هو الذى يرسخ في الذاكرة رسوخا قويا جليا وفي هذه الحالة وحدها يصح له أن يقول أقوالا غير أنه قلما يكون في الكبار أنفسهم من يستطيعون ملاحظة الأمور ملاحظة صحيحة بفكر مجتمع ولا يقولون الا مايكونون على يقين تام بصحته فكم يكون الأطفال أقل منهم في ذلك . كثير من الناس لا يعرفون مطلقا كيف أننا معاشر الآدميين نخطئ في ملاحظتنا للأمر وندعى حصولها بلا روية خصوصا اذا حملنا على ذلك بتوجيه أسئلة موضوعة وضعا خاصا وهى المسماة بالاسئلة المشعرة بالجواب وقد أجريت تجارب متكررة في ذلك العهد الحديث من علماء أحوال النفس على الأطفال والبالغين فأفضى معظمها الى حوادث مدهشة . خذ لك منها على الأقل مثلا واحدا — كتب المعلم البرسلوى «قوزوق» في مقال له طويل في الصدق والكذب عند أولاد المدرسة نشر في مجلة المدرسة الألمانية سنة ١٩٠٧ من صحيفة ٦٥ الى صحيفة ٧٨ ضمن موضوعات أخرى



تكلم فيه عن التجربة الأولى التى دبرها مرة في فصله فقال : وضعت يوما قبل البدء في الدرس ثلاثة أشياء هى قلم ومبراة وقطعة من الطباشير على حافة مكتب المعلم بدرجة من القرب يستطيع فيها جميع التلاميذ أن يروها رؤية مستيئة وبعد أن خرجوا الى فناء المدرسة في فترة الاستراحة نحت هذه الاشياء عن مواضعها لأسألم قبل البدء في الدرس الثانى عما عسى أن يكونوا رأوه فوق المكتب أثناء الدرس الأول فمع أنهم لم يكونوا مشغولين في هذا الدرس لابقراءة ولا بكتابة بل كانت أبصارهم دائما متجهة الى المكتب قد غابت هذه الاشياء عن ملاحظتهم غيابا تاما غير أن اثنين منهم دون غيرهما وهما من أضعفهم فطنة قالوا انهما كانا لاحظا وجود المبراة وفي اليوم التالى جربت تأثير الاشعار بالجواب في السؤال بأن جعلت المكتب أثناء الدرس الأول خاليا من كل شىء والقيت عند بدء الدرس الثانى على التلاميذ نفس السؤال الذى القيته في اليوم الماضى فأجاب عنه ٢٦ . / . منهم بأنهم رأوا المبراة و ٥٧ . / . بأنهم رأوا الطباشير و ٦٣ . / . بأنهم رأوا القلم فليتصور ما عسى أن ينجم من الضرر للغير ممن تنقصهم الملاحظة الى هذا الحد فيتكلمون كلاما غير مطابق للواقع بهذا القدر (بدون أى قصد سيئ منهم) اذا اقتضى الحال استشهادهم أمام المحكمة وسألتهم شهودا في قضية مهمة .

فالتربية على الصدق في الملاحظة والصدق في القول هى من الأمور التى كان ينبغى حتى على معظم الكبار أن يعنوا بها فيجب علينا قبل كل شىء أن نرشد أولادنا الى أن يأخذوا أنفسهم بالمران عليهما فالتجارب التى من قبيل التجربة السالف ذكرها من شأنها مثلا اقناع الطفل بضرورة مثل هذا المران واذا كان في المربى شىء من الحذق فلا يبعد عليه أن يبرزه في صورة من صور اللعب .

وتمت ينبوع آخر لكثير من أغاليط الذاكرة وهو عالم الأحلام فقد يحصل عند الكبار أنفسهم أحيانا أن حوادث شديدة الجلاء والظهور لم تكن حصلت لهم الا حلما وتكون قد أنطبت صورها في ذاكرتهم أنطباعا شديدا يعتبرونها فيما بعد حوادث واقعية حتى أنهم في مثل هذه الأوقات لو أرادوا أن يحكموا عليها حكما يقينيا هل

هى صورة ناشئة من أمر واقع أو أنها لم تنشأ الا في حلم لما استطاعوا أحيانا الى ذلك سيلا . فقد حكى لى أحد معارفى مرة الحادثة التالية التى وقعت لزوجه قال : حلمت زوجتى أنى أعطيتها ٢٥٠ ماركا وأنها وضعتها في المحفظة التى كان من عاداتها أن تحفظ النقود فيها وفي اليوم التالى زارها ضيوف ففى أثناء حديثها معهم رأت المحفظة المذكورة موضوعة على المعزف (البيانو) فقالت في نفسها ياله من طيش عسى أن تكون النقود باقية فيها الى الآن وخطت خلسة الى المعزف وفتحت المحفظة فلم تجد فيها (طبعاً) المائتين والخمسين ماركا المتحدث عنها فانتابها من جراء ذلك أشد الرعب ولم يتجل لها الأمر الا رويدا فذكرت أن قصة النقود لم تكن الا حلما .

فمثل هذه الأحوال التى تكون فيها الحدود بين الحلم والواقع غير مستيئة تكون عند الأطفال بالضرورة أكثر من ذلك بكثير وتولد (بغير ارادة منهم مطلقا) من أقاصيص الكذب مالا يصدر الا عن جنون ودونك مثلاً لذلك مؤثرا بوجه خاص روته لى مرة أم عن بنتها التى فى الرابعة من عمرها قالت : فى بكرة يوم عانقتى طفلى ودموعها تسيل على خديها وكانت لاتزال فى درع نومها وأبتدرتنى بهذا الاعتراف قائلة : أماء انى كسرت طستك الكبير المزخرف بالجداىل الوردية كسرتة كله بالاختصار فضحكت وقلت لها حسبك أيتها المرائية الصغيرة لأنى فى هذا الوقت نفسه اغتسلت فى هذا الطست ولكنها رغما من ذلك أصرت على زعمها وهى تنتحب من ألم الندامة ، عندئذ انطلقت بها الى غرفة النوم وأريتها الطست سليما فلم تكن نتيجة ذلك الا بلوغ تأثرها غايته واستمرارها فى الانتخاب وقولها انى مع ذلك كسرتة وبعد قليل قصت على أيضا قصة كلها مصطادة من الهواء وكان ذلك فى بكرة اليوم أيضا فعاقبتها هذه المرة على كذبتها بعدم الاذن لها فى التزه معى فلما سمعت العقاب حذقت فى بعينين عنيدين وقالت ولكن مع ذلك قولى صحيح ولم تجد الأم حلا مطمئنا لهذا الغز الا فيما بعد اذ أصيبت البنت بحمى خفيفة وكانت تتكلم فى حلمها كما يتكلم اليقظان .

فماذا ينبغي على المربي أن يعمل في مثل هذه الأحوال — يجب عليه قبل كل شيء أن يتحامي عقاب الأولاد بل عليه أن يعينهم على أن يعرفوا رويدا كيف يميزون بين الحلم والواقع .  
عبد العزيز محمد

## الجرائم تكتمس حتى لا ترى

يقول الدكتور فليب هادلى بمدرسة الطب بجامعة متشيجان ان تحليل الجرائم قد أصبح أكثر صعوبة الآن عما كان عليه من قبل فالجريمة العادية صغيرة جدا اذا بلغت تمام نموها حتى أنه يمكن للألف منها أن تثب على رأس دبوس بدون أن تعترض واحدة طريق الأخرى . وقد أثبت الدكتور هادلى أن الجرائم فى بعض أدوار حياتها تكون متناهية فى الصغر حتى أنه يتعذر تبينها بأقوى مجهر وقد تمكن من تحويل بعض الجرائم الى أجسام دقيقة جدا لا ترى بلغ من دقتها أنها تستطيع أن تقحم نفسها فى مسام شمعة المرشح الخزفى وبعد أدوار خاصة تعود الى حجمها الطبيعى .  
وتقول الدوائر العلمية أن هذه الأستكشافات سيكون لها شأن خطير فى عالم الطب فإذا كان من الممكن للجرائم أن تنتقل خفية فى نصف حجمها الطبيعى حتى لا يمكن تبينها بالمجهر فليس هناك وسيلة من وسائل الكشف الطبى الحالية لكشفها فى سائل أو جسم مصاب . كذلك ليس هناك سبيل لمعرفة ما اذا كانت هذه الجرائم تتراعى فى صورة الميتة أو هى ميتة حقا . وإن مثل هذا الإيهام مما يجعل التشخيص الطبى الدقيق من الصعوبة بمكان كبير .

## نقد

ورد من حضرة الاستاذ صاحب التوقيع ما يأتي — :

عُثِرَ على جملة بها كلمة محرفة عند قراءتي في الجزء الرابع من المجلة ، وهذه الكلمة توجد تحت عنوان الطرف والملح ص ٢٦٧ وها هي الكلمة في العبارة الآتية .

« فقالت الأرنب يا أبا حسن قال سمعنا دعوت قالت أتيناك لنختصم إليك قال عادلا حكما » هنا وقفت على كلمة حكما وتأملت معناها جيدا فوجدته لا يتفق والامثال المضروبة فجزمت بتحريفها ثم عدت إلى صحيفة صواب الخطأ فلم أجدها بها ففكرت مليا ولما تيقنت بتحريفها مرة ثانية علمت بانها سهوة من الكاتب وتحريف مطبعي صحته هذا — :  
« قال عادلا حكمتما » أليس كذلك ؟

وأیضا توجد في صفحة ٢٧٤ من هذا الجزء نفسه توجد هذه العبارة ( فيمن شكر معروفه ) وصحتها ( فيمن شكر معروفك )

محمد كيلاني سالم

أرجو الافادة في الجزء الخامس والله الموفق

مدرس بطنطا

## الجواب

جاءت العبارة ( عادلا حكما ) في الجزء الرابع تحت عنوان ( الطرف والملح ) فكتب حضرة الفاضل الى ادارة المجلة يحزم بانها محرفة وصوابها ( عادلا حكمتما ) بتشديد الكاف .

ونحن نرى أن الأنسب والأكثر في رواية هذه العبارة هو كلمة ( حكمتما ) بالكاف المشددة ولكن لا نستطيع الجزم بتحريف العبارة التي وردت في المجلة وهي التي رأيتموها للكمال الدميري في ترجمة الأرنب .

أما العبارة الثانية الواردة في ص ٢٧٤ من الجزء الرابع نفسه وهي ( فيمن شكر معروفه ) فلورجع حضرة الفاضل الى سياق الحديث لجزم بصحتها كما وردت دون توقف والتوفيق

حسن منصور — وكيل دار العلوم



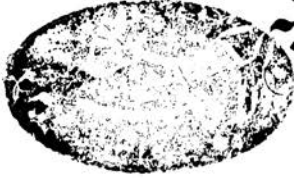
قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ نَاصِرًا مُبِينًا سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \*

# بَيْتُ الْأَزْهَرِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية

تصديرها مشيخنا الأزهري الشريف

أول كل شهر عربي



المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً  
ومن أعضاء مجلس الأزهري الأعلى

عبد المحسن بن عبد  
الغني

مدير ادارة المجلة :

السيد محمد الخضر حسنين من علماء الأزهري

رئيس التحرير :

مكتب المجلة بالادارة العامة للمعاهد الدينية بشارع الدواوين رقم ٤٧

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل بكمونه باسم مدير المجلة

داخل القطر المصري . . . . . ٤٠

للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس ٢٠

خارج القطر المصري . . . . . ٥٠

لطلبة المعاهد والمدارس . . . . . ٣٠

قيمة الاشتراك السنوي

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

وثنى الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### صدق العزيمة - أو قوة الارادة

يخطر في النفس أمر فتشق بأنه حق أو نافع ، فتحرص على حصوله ، فاذا اضافت الى هذا الحرص النظر في وسيلة بلوغها اياه ، وبدلها أنه في حدود استطاعتها ، فسرعان ماتقبل عليه وتبذل سعيها للوصول اليه ، وذلك مانسميه بالعزم او الارادة .

فما يخطر في النفس مما تعتقد حقيقته او نفعه ، وتود أن يكون حاصلًا لديها ثم لاتسعى له سعيه ، ولا تضع لبلوغه خطة ، فانما هو التمني الذي لايفرق بين المحال والمستطاع ، والذي يخطر في نفوس القاعدين كما يخطر في نفوس المجاهدين ، وما مثله الا كمثل الشرر الذي يلمع حول النار ثم يتصاعد هباء .

واذا تحدثنا في هذا المقال عن قوة الارادة وذهبنا في حديثها مذهب خصال الحمد ، فاننا نغني الارادة المتوجهة الى ما هو خير ، ومن أفضل مايسدح به الرجل ان يتوجه بعزمه القاطع الى اظهار حق او اقامة مصلحة .

تنشأ قوة الارادة من التجارب ، فمن تعلق همه بأمر كان قد عرف بطريق التجربة أنه ميسور وأن عاقبته سلامة ونجاح ، انقلب همه في الحال عزمًا صادقًا ، أما من لم تسبق له تجربة فقد يتخيل الامر بمكان لاتناله يده ، او يخشى من أن يلاقي وراء السعى اليه خيبة ، فيقف في تردد واحجام ، فذو العمر الطويل من أولى الالباب قد يكون أسرع الى بعض الامور وأشد عزمًا عليها من حديث السن ، لما تفيده التجارب من امكانها ونجاح السعى لها .

وتنشأ قوة الارادة من درس التاريخ ، فالذي يخطر في باله أمر قرأ في سيرة شخص أنه كان قد هم بمثله وعمل لحصوله فنجح عمله وصلحت عاقبته ، شأنه أن

يعزم على ذلك الحاطر ويجمله بعد العزم عملاً نافذاً ، فمن يخطر في باله ان يدعو الحاكم الجائر بالموعظة الحسنة ، وقد قرأ سير العلماء الذين كانوا يأمرهم بعض الجبارين بالمعروف فيأثمرون ، او يكظمون في الأقل غيظهم ولا يبطشون ، يكون أقوى عزماً على الدعوة ممن لم يقرأ في هذا الشأن خبراً ، لما عرفه من أن للحق الذي يخرج في أسلوبه الحكيم سطوة على النفوس وان كانت طاغية ، فيقدم على وعظه في رفق وحسن خطاب ، فان لم يهده سبيل الرشد قضى حق النصيحة له ، وما على الذين أوتوا الحكمة الا البلاغ .

وتنشأ قوة الارادة من أدلة خاصة تجعل الرجل على يقين من نجاح العمل وحسن العاقبة ، واعتبروا في هذا بتصميم أبي بكر الصديق رضى الله عنه على قتال أهل الردة ومانعى الزكاة ، فانه كان عالماً بأنه على حق من قتالهم ، وكان على ثقة من أنه سينتصر بفئته القليلة على جموعهم الكثيرة ، ومما دله على أنه الظافر وأن المرتدين عن الدين لا يفلحون قوله تعالى ( هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ) ولو تقاعد أبو بكر عن جهاد تلك القبائل وخلي الردة تتفشى في جزيرة العرب وباء فاتكالا انفصمت عرى الوحدة العربية الاسلامية ولم يستقم أمر تلك الفتوح التي كانت عاقبتها ظهور دين الحق على سائر الاديان .

وتنشأ قوة الارادة من كمال بعض السجايا الاخرى وبلوغها غاية قصوى ، كسجية ابناء الضيم تهز الضعيف وتثير في نفسه العزم على أن يدافع القسوى عن حقوقه ما استطاع دفاعه ، وكذلك خلق الشجاعة يجعل الرجل أمضى عزماً وأسبق الى الحروب من الجبان الذي يتمثل له الموت في كل سبيل .

ومما يساعد الرجل على صدق العزيمة خلق التعفف وشرف الهمة ، فلتجدن أنزه القوم نفساً وأبعدهم عن الطمع وجهة ، أشدهم عزماً على أن يقول حقاً أو يعمل صالحاً وان لم يرض عن قوله الحق او عمله الصالح ذو مال او سلطان .



تفاوتت الارادة في القوة ، وتفاوتتها على قدر قوة شعور الرجل بما للشئ من حقية أو نفع ، وعلى قدر ثقته من تيسره وامكان حصوله ، فالذى اتقن علما فأحاط باصوله وغاص على أسراره يكون عزمه في الدعاية الى الأعمال المرتبطة به أقوى من عزم ذلك الذى وقف في دراسته عند حد لا يجعله من أعلامه . والرئيس العادل يكون أقوى عزمًا على حرب اعدائه من الرئيس الجائر ، لأن العادل يثق من قومه بحسن الطاعة أكثر مما يثق الجائر ، ومن ظفر من قومه بحسن الطاعة فقد ظفر بأكبر أسباب الفوز والانتصار .

نقرأ في التاريخ أن المنصور بن أبى عامر الذى جذب عنان الملك من يد هشام ابن الحكم في قرطبة قد غزا ستا وخمسين غزوة دون أن تتكس له راية أو يتخاذل له جيش ، أو يصاب له بعث ، او تهلك له سرية ، ومن درس سيرته لم يعجب لهذا الانتصار المطرد ، اذ يجد فيها عدلا ومساواة يأخذان النفوس الى أن تلقى اليه بالمودة والامثال ، ومن الأخبار الشاهدة بما وصفنا أن رجلا من العامة وقف بمجلسه وقال له: ان لى مظلمة عند ذلك الوصيف الذى على رأسك، وأشار الى الفتى صاحب الدرقة،<sup>(١)</sup> وكان للفتى فضل محل عنده ، فقال المنصور : ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية ، ثم نظر الى الفتى وقال له : ادفع الدرقة الى فلان وانزل صاغرا وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك ، ثم قال لصاحب شرطته الخاص به : خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ مايوجبه الحق من سجن أو غيره ، وبعد أن جازاه القضاء بما يستحق أبعده المنصور عن خدمته ، وصاحب مثل هذه السيرة حقيق بأن يكون له متى هم بالحرب عزم لا يختلج بتردد فمن وضع أمامه غاية شريفة ورام من قومه العمل لها بعزم لا يخالطه فتور ، فما عليه الا أن يريهم بالاسلوب السائغ والدليل المقنع وجه شرف تلك الغاية ، ثم يصف لهم طريقها الناجح ، فلا يكون منهم الا أن يتسابقوا اليها ويقترحوا كل عقبة تلاقيهم في سبيلها .

فاذا رأيت قوما يذكرون في صباحهم ومسائهم شيئاً من معالى الأمور ولم ترهم يسعون له سعيه ولا يتقدمون اليه بخطوة فاعلم أن العزم لم يأخذ من قلوبهم مأخذه ، فهم اما أن يكونوا عن حقيقته وشرف غايته غائبين واما انهم ضلوا طريقه وما كانوا مهتدين .

واذا ذكرنا العزم النافذ في خصال الشرف فانما نريد الاقدام على الأمر بعد استبانة عاقبته ولو على وجه الظن الغالب ، وذلك مايعنيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قوله « ولكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكث » والمكث من لا يخفف الى الهجوم الا بعد روية وتدبير .

ولا يعد في قلة العزم أن يستين الرجل الحق أو المصلحة ويقف دون عزمه مانع ، كأن يعلم أن عقول الجمهور لا تتسع لقبوله ويخشى الفتنة فيرجئه ريثما يمهده بما يجعله مقبولا سائفا ، قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر يا أبت مالك لا تنفذ الأمور ؟ فوالله لا أبالى فى الحق لو غلبت بى وبك القدور ، فقال له عمر : لا تعجل يا بنى ان الله تعالى ذم الخمر مرتين وحرمها فى الثالثة ، وانى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه وتكون فتنة .

ولا يعد فى قلة العزم أن يرى الرجل رأيا ويعقد النية على انفاذه ثم يبدوا له على طريق الحجة أنه غير صالح فينصرف عنه ، وقوى العزيمة هو الذى تكون ارادته تحت سلطان عقله ، فيقبل بها على ما يراه صوابا ، ويدبر بها عما يراه فسادا .

واذا قال الشاعر مادحا .

إذا همّ التى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

فانما يريد الهمّ الناشئ عن رجاحة رأى ، وقوى العزم متى بصر بالامر ووثق بأنه سداد قطع نظره عن العواقب ونهض له فى قوة ، أما ضعيف العزم فانه يترك نفسه مجالا للخواطر وذكر العواقب ، هذه تغريه على العمل ، وهذه تصده عنه حتى تفوت الفرصة ويذهب وقت العمل ضائعا .

ومن صرامة العزم أن تفرغ فؤادك من كل داعية شأنها أن تلحق بعزمك وهنا أو تصرف وجهك عنه صفحا ، وتتمثل هذه الصرامة في عبد الرحمن الداخل (صقر قريش<sup>(١)</sup>) إذ خرج من البحر أول قدومه على الاندلس وأهديت له جارية بارعة الجمال ، فنظر إليها وقال : ان هذه من القلب والعين بمكان ، وان أنا شغلت عنها بما أهم به ظلمتها ، وان أنا اشتغلت بها عما أهم به ظلمت همتي ، فلا حاجة لي بها الآن ، وردها على صاحبها .

وكثيرا مايحيى التردد في الامر من ناحية الشهوات والعواطف ، كالذى يثق بما في طلب العلم من خير وشرف ويقعده عنه حب الراحة وايشار ماتنزع اليه النفس من اللذات الحاضرة ، والذى يقول

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فان فساد الرأى أن يترددا  
انما ينبه على التردد الناشئ عن نحو الشهوات والعواطف ، فذلك هو التردد المفسد للرأى والموقع في خسر .

لقوة الارادة أثر في انقلاب حال الافراد والجماعات عظيم ، فكم من فتى يساويه في نباهة الذهن وسائر وسائل السؤدد فتیان كثيرون ، ولكنه يجد من قوة الارادة مالا يجدون ، فيكون له شأن غير شأنهم ، ويبلغ في المحامد شأوا أبعد من شأوهم ، ولو نظرت الى كثير ممن ظهوروا أكثر مما ظهر غيرهم ، وأقت موازنة بينهم وبين كثير من لداتهم لم تجد في اولئك الظاهرين مزية يرجح بها وزنهم غير انهم يهمون بالامر فيعملون .

واذا جعلت تتقصى أثر دولة الموحدين التي وضعت قدمها في فاس وبسطت اجنحتها على الأندلس والجزائر وتونس ، وجدت أقصى هذه الدولة همة طفحت بها نفس محمد بن تومرت بعد انصرافه عن مجالس أبي حامد الغزالي وأبي بكر الطرطوشي وغيرهما عائدا الى بلده بالمغرب الأقصى .

(١) قال أبو جعفر المنصور لاصحابه يوما : اخبروني عن صقر قريش ، فذكروا له طائفة من الخلفاء وهو يقول (لا) فقالوا : من يا أمير المؤمنين فقال : عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر وقطع الفقر ودخل بلدا أعجيبا مفردا فصر الأمصار وجند الأخاد ودون الدواوين وأقام ملكا بعد انقطاعه ، لحسن تدبيره وشدة شكيمة .

وكم من أمة أودرلة لم ينقذها ممن يبتغي بها سوء سوى قوة الإرادة ، وقد يكون فيما صنع هرون الرشيد بالبرامكة غلو في الانتقام وسرف في القتل ، ولكن تنقية مناصب الدولة منهم لم تكن الابنت اليقظة والارادة التي لا يأخذها التردد في قطع المكر السيء من جذوره ، وإذا صح ما يصفهم به بعض أهل<sup>(١)</sup> العلم من أنهم كانوا يكيّدون للإسلام كيد الباطنية ، كان لهرون الرشيد موقف خير من موقف المنتقم للملكه او ملك أسرته من بعده .

فإذا كان صدق العزيمة من أفضل خصال الشرف وأجلها في الإصلاح أثرا ، فجدير باساتيد التربية ان يعطوه من عنايتهم نصيبا وافرا ، وحقيق بالرجال القوامين على الشؤون العامة ان يأخذوا به انفسهم ، ويقيموه شاهدا على كفايتهم ، فان ما بيننا وبين المدنية الفاضلة والحياة الآمنة مسافة طويلة المدى ، صعبة المرتقى ، اذا لم نقطعها بالعزم الصارم والعمل المتواصل ظلمنا أنفسنا ، ولم نقض حق الأجيال بعدنا ، فمن واجبهـم علينا أن نبني لهم صروحا من العز شاذخة ، فان لم نستطع هيئنا لهم أسسا ليرفعوا عليها قواعد الشرف والمنعة ، فاذا هم أحرار في أوطانهم حقبا ، مكرمون لنزلائهم طوعا .

وما اقترن العزم الصحيح بأدب التوكل على من بيده ملكوت كل شيء الا كانت عاقبته نجاحا ورشدا ( فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ) .

محمد الخضر حسين

# النفسي

تفسير قصة شعيب عليه السلام

٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد عرفت مما قدمناه في العدد الخامس أن قول أهل مدينَ لرسولهم عليه السلام ( يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ) قد تضمن ثلاث مقالات شنيعة ، فالمقالة الأولى قولهم ( أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ) والمقالة الثانية قولهم ( أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ) والمقالة الثالثة قولهم ( إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ) .

فأما المقالة الأولى فقد مضى الكلام فيها مفصلاً ، وأما المقالة الثانية فإنها جوابُ سوءٍ عن أمره عليه السلام لهم بإيفاء الحقوق ونهْيهم عن النقص والبخس ، وهي كسابقتها قد دلت على ركاكة عقولهم وفساد متأصل في نفوسهم ، فإنهم كما فرطوا في حق الله تعالى عليهم بأشراكهم غيره معه في العبادة كذلك فرطوا في حقوق الخلق واستهانوا بها واستحلوا أكلها بالباطل وسوَّغوا لأنفسهم تطفيف المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم .

أمرهم عليه السلام أمراً تلقاه عن وحى الله عز وجل مؤيداً له بالبرهان القاطع ، فكان من عنادهم وعتوهم أن اتهموه عليه السلام بأن صلاته التي يعتقدون بطلانها هي التي تأمره بذلك وتزيته له ، يريدون أنه ليس صادراً عن الله تعالى وليس من وحيه سبحانه في شيء .

هذا هو مرادهم بقولهم (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) . أى أصلاً تلك الفاسدة التى تتقربُ بها الى غير آلهتنا تُخَيَّلُ اليك وتوسوس لك أن نترك فعلنا فى أموالنا وأن نعدلَ عن تصرفنا فيها على حسب مشيئتنا وعلى طبق اختيارنا وأن نهجرَ ذلك الى ما تأمرُك به صلاتُك ؟ تريد بذلك الحجرَ علينا فيما نملكُ والتضييقَ علينا فيما لنا فيه السَّعةُ والحرية المطلقةُ ، لكننا لن نستجيبَ لك ، بل إن رأينا مصلحتنا فى الإيفاء أوفينا وإن رأيناها فى غيره عملنا لها ، فغايئنا مصلحتنا التى نراها ، وهى تبررُ الوسيلةَ أيّاً كانت وإن زينتُ لك صلاتُك ما زينتُ .

هكذا زعمَ أهلُ مدين ، وقد جهلوا أو تجاهلوا ما يترتب على سوء أفعالهم هذه من أنواع الضرر وصنوف المفسد وانتشار الفوضى والارتباك فى المعاملات وزوال الأمانة واستحكام الخيانة وضياع الحقوق الى غير ذلك من ضروب الفساد واختلال نظام هذه الحياة .

لقد اخطأ أهلُ مدينَ اذ زعموا أن مِلْكَ المال يُخَوِّلُ لِمَالِكِهِ أن يتصرف فيه كيفما شاء ، بلى إن المِلِكَ انما يُسَوِّغُ التصرفَ فى المال على وجه المصلحة التى يُجِيزُها العقل والشرع الالهى وعلى طبقِ السَّنَنِ الذى يُحْفَظُ به نظامُ المجتمع الانسانى ويؤدى الى المنفعة الخاصة والعامة معا .

بهذا قضت العقول السليمة التى لم تتدنس بِرِجْسِ الطمع الممقوت ، ثم جاءت الشرائع الالهية الحكيمة على وَفْقِ حُكْمِ تلك العقول موضحة للناس الصراط السويَّ الذى يجب عليهم أن يسلكوه فى التصرف فى أموالهم واضعةً لهم الحدودَ التى يقفون عندها فى معاوضاتهم ومبادلاتهم زاجرةً من يخالفها ويحيدُ عنها ومنذرةً له بسوء المآل . شاكرةً مَنْ وَقَفَ عندها وحرصَ على العمل بها ومبشرةً له بالجزاء الاوفى فى الدنيا والآخرة .

كل ذلك رحمةٌ من الله تعالى بعباده حتى اذا استقاموا على شرائعه وعملوا بتعاليمه حفظوا أموالهم من الضياع ووصلوا بحسن التصرف فيها الى نيل منافعهم ومطالبهم وكان تصرفهم فيها كما أمرُوا قربةً الى الله عز وجل لِيُدَيِّمَهَا عَلَيْهِمْ ويزيدهم منها ويشكرهم

عليها ، واذ ذاك يقدر الناس نعمة الله تعالى عليهم بالأموال حقَّ قَدْرَها ويعلمون أنه انما جعلها قياما لهم وأساسا متينا تقوم عليه مصالحهم وتنتظم به معاشهم اذا التزموا العملَ بما شرعه لهم فيها .

ثم انظر بعد ذلك الى عظم رحمة الله تعالى بالعباد وعنايته سبحانه بهم فيما يتعلق بأموالهم أنه جعل أموال الواحد منهم كأنها ملكٌ لهم جميعاً نظرا الى أن الانتفاع بها قد رُشِرَ مشتركٌ بينهم ، ولهذا أضاف سبحانه الأموال اليهم في الآية الآتية ، ولهذا ايضا نهاهم عن أن يدفعوا أموال السفهاء اليهم ما داموا سفهاء لا يؤمنون على حيازتها ولا يحسنون التصرف فيها وذلك قوله عزّت أسماؤه ( وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ) وقوله في شأن اليتامى ( فَإِنْ اِنْسَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ) . وأما المقالة الثالثة فهي خاتمة سيئاتهم في ردّهم على رسول الله شعيب عليه السلام بدّءوا ردّهم على رسولهم بتكذيبهم وكفرهم بما بلّغهم عن ربهم من أحكام دينه القويم التي هي قوامُ سعادتهم وصلاحهم . ولكنهم لم يقيموا على ما ارتضوه لأنفسهم ديناً من الشرك والاخلال بحقوق العباد دليلا من عقل أو نقل ، وكفى بذلك برهانا على عجزهم وفساد عقولهم وبطلان دينهم .

ثم ختموا ردّهم هذا ببسط السننهم بالسوء في حق رسولهم سيدنا شعيب عليه السلام فلمزّوه بما عصمه الله تعالى منه ووصفوه بما يعلمون أنهم فيه كاذبون .

وصفوه عليه السلام بوصفين هما الحِمُّ والرشد ، فأما الحِمُّ فهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب ، وهو فضيلة ممدوحة لا ينالها الا من كان كاملاً العقل راجحه كسيدنا شعيب عليه السلام ، ويقابله الحمق وضعف العقل ، وأما الرشد فهو الهداية الى ما هو خير وصلاح ومنفعة وضده النى والضلال .

ان أراد القوم بوصفهم له عليه السلام بهذين الوصفين أنه موصوف بهما حقيقةً حينما بلّغهم دينهم لزمهم أن يكونوا مؤمنين به عملاً باقرارهم هذا ، ولا شك أن ذلك مناقض لما أصرّوا عليه من الكفر والتكذيب وأنه غير صادق فيما بلّغهم وأنه انما أمرهم ونهاهم انقيادا لما سوّته له نفسه ، فعلى هذا يكون مرادهم انه عليه السلام ليس موصوفاً بشيء

من هذين الوصفين حقيقة وقت التبليغ وأنهم انما قصدوا التهمك والاستهزاء به ورميه بما يضادها شرفه الله تعالى .

وان أرادوا أنه عليه السلام كان موصوفا بهذين الوصفين قبل أن يبلغهم ، فلما بلغهم صار غير حليم ولا رشيد فقد كذبوا وجاءوا أمرا إذا ، وكان مثلهم في ذلك مثل ثمود اذ قالوا الرسولهم صالح عليه السلام لما جاءهم ( يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ) . كيف يصفونه بضد ذلك وقد أمرهم بما يزكى أنفسهم ويصلح شؤونهم كما أنه نهاهم عما تنفسد به حياتهم الدنيا وتسوء له حياتهم الأخرى ( كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ . إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ) .

قلنا فما سبق إن أهل مدين قوم قد مسخت نفوسهم وفسدت طباعهم ، وهذا قول الحق لا مرأ فيه ، ألا ترى أن رسولهم الكريم قد دعاهم الى ما يجمع لهم أنواع الخير والصلاح دينا ودنيا وأثبت لهم صحة ذلك بما لم تبق معه شبهة لمشتبه ، وكل ذلك مع مزيد التلطف بهم والتودد اليهم والعطف الصادق عليهم في قول هو الأدب الجم الذي لا يصدر الا عن تولى الله تعالى تأديبه واصطفاه لرسالته ؟ بل .

هذه المعاملة الحسنة هي سنة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أدبهم الله تعالى بها ثم كلفهم أن يبلغوا عباده شرائعه وأن يدعوه الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة وان جادلوه فبالمجادلة الحسنى ، فان ذلك أرجى أن يكبح من جراح الجاحين وأن يرد من إباق الآبقين وأن يكسر من شكيمة المتعنتين المعاندين .

فمن تأديبه سبحانه قوله لسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) وقوله ( خُذِ الْعَصَا وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ) ومن تأديبه لموسى وهارون عليهما السلام قوله لهما حينما أرسلهما الى فرعون ( فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ) .

بهذا الأدب الألهى الأفضل عامل سيدنا شعيب عليه السلام قومه ، فانظر اذا بم عاملوه ؟ وبأي مقابلة قابلوا دعوته الصادقة ونصيحته الخالصة ؟ كذبوه وجحدوا بآيات



رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رَسُولَهُ وَاتَّهَمُوهُ وَلَمَّا عَصَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ وَنَعْتُوهُ بِنَعْتِهِمْ أَنفُسَهُمْ إِلَى أَرْكَسَتِهِمْ فِيهَا أَوْلِيَائُهُمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ، فَلَقَدْ جَاءُوا شَيْئًا فَرِيًّا ، وَ (إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) .  
 هذا التأديب الذي أدب الله تعالى به رسله المصلحين الداعين إلى الحق وأمرهم أن يعاملوا به أمتهم حينما يبلغون رسالته إليهم ويدعونهم إلى الدخول في دينه له حكمتان الهيئتان جليتان .

فأما الحكمة الأولى فهي أن الدعوة على هذا السنن القويم أقرب إلى استماعها وأدعى إلى قبولها كما قدمناه لك ، وهذا هو قول الله الحكيم لرسولنا صلى الله عليه وسلم (أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقوله : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقوله لموسى وهارون عليهما السلام (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) وقوله لموسى عليه السلام (فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَزَكَّى . وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى) .

وأما الحكمة الثانية فهي أن يقتدى الداعون إلى الحق القائلون بالأصلاح مؤتسرين بالرسول الكرام سالكين سبيلهم في هداية الخلق وتعليمهم وإرشادهم إلى صلاح أحوالهم واستقامة أمورهم ، وهذا هو قول الله عز شأنه لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن قص عليه من الرسل من قص : (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ) وقوله سبحانه تعليمنا لنا (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) .

إذا كان هذا هو التأديب الإلهي الذي أدب الله عز وجل به رسله الكرام . وأمرنا أن نجعلهم أئمة لنا فيما نأتى ونذُرْ وجب على الهداة المتصدّين لهداية الخلق الميّنين لهم الرشد من الغي والحق من الباطل أن يسلكوا سبيل هؤلاء الهداة من المرسلين والذين اتبعوهم بإحسان من السلف والخلف الصالحين .

ان الذين تصدّوا الهداية الناس وتعليمهم أصنافٌ عدّة ، فمنهم خطباء المساجد والجامع وكتّابُ المجلّات والصحف والمؤلفون والمستدرّكون على هؤلاء ما فاتهم في خطبهم وكتاباتهم والمتقدّون عليهم ما قالوا وما كتبوا .

كل هؤلاء يتحمّ عليهم تحمّ لا هوّادة فيه ، أن يقتفوا أثر المرسلين والصالحين في الهداية والارشاد والتعليم وأن يتجنّبوا الإغلاظ في القول وأن يتجافوا عن تلمس الخطأ وأن يطهروا ألسنتهم من السوء من القول وأن ينزهوا أقلامهم عن الهجر من الكلام والتشهير بالقائلين أو الكاتبين .

انهم ان لم يفعلوا ذلك فقد لبسوا الثوب منكوساً وتقصّوا غزله من بعد قوة أنكاثاً ، ولربما كان ذلك مدعاةً للمخطيء أن يُصرَّ على خطئه . وللمصيب الذي ظلمه المنتقد أن يدفعه غضبه الى الانتقام ومقابلة السيئة بالسيئة . فيحتدم الجدل ويحتمى وطيس النزاع وتحف الأقلام في تسويد السباب ، وما لا يحبه الله من الجهر بالسوء من القول صدقاً أو كذباً .

( وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلَمَنْ آتَتْكُمْ بَعْدُ ظُلْمُهُ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَن سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) .

من منصور

يتبع

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

# أَصُولُ الدِّينِ

نبوته صلى الله عليه وسلم

— ٢ —

نريد أن نتكلم اليوم في براهين عقلية ودلائل وجدانية وسنتكلم بعد في معجزاته الحسية فنقول

ان من نظر بعقله السليم ورجع الى وجدانه الصحيح ، علم أن رفع الأمة العربية من حضيض الجهل الى أوج العلم ومن دركات الذل الذي كانت فيه الى أعلى درجات العز وتربيتهم بأحسن التعاليم وأخذهم الى مكارم الأخلاق من كل باب حتى صار الواحد منهم أمة وحده بعد أن كانوا أشبه شيء بالوحوش الضارية ، يأكل قويهم ضعيفهم ويثدون بناتهم الى غير ذلك من الفظائع التي لاتفعلها الحيوانات <sup>(١)</sup> ثم يصيرون بعد ذلك علماء حكماء من اكبر الساسة وأعظم القادة في أقل قليل من الزمن، ثم ينشر ذلك النور في كل أنحاء المعمورة ، ذلك كله لدى الوجدان الصحيح والفطر الطاهرة أكبر دليل على أن مصدره هو مثال الخير وشخص الكمال ، والفضائل لاتفيض من الانسان على غيره الا على قدر رسوخه فيها وتوافرها لديه .

ان مرمى الاديان الالهية كلها انما هو تخليص أفراد النوع الانساني من مخالب الشرور التي أحاطت بهم ، وغرس مكارم الأخلاق في أعماق نفوسهم ومراقبة الله تعالى في سرهم وعلايتهم ، فان ذلك جماع الخير وأساس السعادة ، ونبينا صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء في ذلك كله ، وهو برهان ساطع على نبوته لدى من يطلب البراهين العقلية الوجدانية من ذوى الفطر السليمة والقرائح النيرة ، وأما غيرهم فنحيلهم على البراهين الحسية والحوارق الكونية ، اذ لايعرفون مقدارالحقائق المعنوية التي يدور عليها فلك السعادة من ارتفاع الانسان الى الأفق الملكي وترقية مقام

(١) لا يهولنك ما أشتهر من منع جمع الحيوان وأمثاله بالالف والتاء فقد صرح الشهاب في شرح الشفاء بجوازه في كل ما لا يعقل ما لم يكسر .

البشر الى أعلى عليين ومعرفة الله تعالى والكشف عن حقائق الأشياء ورقة الاحساسات وتنعيم الأرواح بما تشرئب اليه من العالم الأعلى حتى تتم للانسان المدنية الارضية والمدنية السماوية، فلا برهان عند ذوى البصائر أكبر من أعمال مدعى النبوة وصفاته النفسانية وكمالاته الخلقية وآثاره الخارجية التي ترقى للأمم وتسعد الشعوب وتجعلهم ملوكا في الارض ملوكا في السماء، كما كان ذلك في الأمة الاسلامية حين تمسكها بدينها وشريعته، ولا شك أن هذه الآثار الجليلة يستحيل أن تكون عن غير قوة سماوية، وقد رأينا تاريخ الفلاسفة وغيرهم من أبواب القوة البشرية، فلم نجد فيه مايمثل هذا أويقاربه، فضلا عن كون النبي صلى الله عليه وسلم قد نشأ بين قبائل العرب المتوحشة وطوائفها الجاهلة مما يكتفى دليلا وحده على أن الأمر ليس عاديا ولا بشريا.

كفالك بالعلم في الأمى معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتيم  
انه لا يتأتى الكذب من مثل تلك النفس الكاملة التي فاض منها الكمال حتى عم العالم شرقا وغربا، وقد بعث صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق.

وان مثل هذه النفس التي فاض منها الخير حتى عم العالم بأثره يستحيل أن تكون معدنا للشر أو محلا للكذب على الله تعالى، والكذب كما تعلم أشد الأخلاق افسادا للنفوس ودلالة على سقوطها ونقصها، ومن المقرر أن فاقد الشيء لا يعطيه، وأن الطباع لا بد أن تظهر مقتضياتها طوعا أو كرها، وأن نفس كل انسان تتجلى للبصائر في أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته، كما تتجلى الألوان للأبصار على صفحات الوجوه، وقد قال بعض العرب عند مارأى آثار ذلك الكمال الذي امتلأ به باطنه ففاض على ظاهره (والله ما هذا الوجه بوجه كذاب) ثم آمن به على مقتضى ذلك، وكان بودى لولا ضيق المقام أن أسهب في أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم قبل نبوته الى حيث سمته قريش بالأمين (وما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله كما قال هرقل قيصر الرومان) وأن أقيم الدليل على انه لم يعرف في السنن الالهية أن الله يؤيد الكاذبين في دعوى النبوة، بل يستحيل على عدالة الله تعالى وحكمته أن ينصر المبطلين في ذلك لما يترتب عليه من الضرر العظيم،

وقد قال عيسى عليه السلام « سيظهر بعدى أنبياء كذبة » ف قيل فما علامتهم . فقال علامتهم أن الله لا يؤيدهم وقال تعالى ( وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ) وقد علمت أنه تعالى نصر نبينا عليه السلام بما لم يكن مثله لأحدهم المرسلين ، فإن الانقلاب الذى حدث من بعثته صلى الله عليه وسلم لا يعرف له مثل فى تاريخ الانبياء السابقين ، فمن ظن أن الله نصره وأيده مع كونه مبطلا كاذبا فقد جهل ما يليق بصفات الله تعالى وسنته فى خلقه وأساء الظن بعدالته وحكمته أساءة كبرى ان الغاش الكاذب لا يستطيع أن يخفى حاله جميع حياته على كل الناس حتى على أخص أصحابه ، وأنه يستحيل أن لا يزول الستار عن ذلك الغش وتلك المرااة ، وللصدق خاصة لا تكون للرياء أبدا ، فإن الرياء طلاء كاذب لا يلبث أن يذهب بنيران حوادث الأيام ، ولا سيما من له أعداء أشداء وخصماء الداء ، مثل النبي صلى الله عليه وسلم ، على أن تاريخ أصحابه مثل أبى بكر وعمر وغيرهما من أساطين الأمة أدل دليل على رفعة حاله وعظم كماله ، فإن النفوس لا تتفق الا على قدر ما بينها من التناسب ، وأن الطباع تسرق من الطباع ، لا سيما التابع من المتبوع وخصوصا مع المحبة الكاملة ، هذا : مع ماله من الخوارق الحسية التى نقلت إلينا بالأسانيد الصحيحة بل بالتواتر . وسنخوض فيها بعد انشاء الله .

ولو أنصف المبشرون الجاهلون المتعنتون لعلموا صدق القرآن الذى يكرر فى الآيات العديدة قوله ( الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ) ويقول مخبرا عنهم ( يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ) ويقول مخاطبا لهم ( تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْهَلْ <sup>(١)</sup> ) فَنَجْعَلَ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ) ثم لم ينبسوا ببنت شفه ( وما أقوى الصادق وأضعف الكاذب ) وكان ذلك من البراهين عند منصفهم فآمن كثير من أكابرهم وأحبارهم ، مثل عبد الله بن سلام وأضرابه ، وليس يعقل أن يعتقد مثل بن سلام وهو من

(١) الإبهال هو التضرع وقد روى أن أحبارهم قالوا لهم تعلمون نبوته وأنه ما باهل قوم نبيا ألا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا ففعلوا ذلك وجعلوا له الجزية

علماء التوراة كذب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ثم يؤمن به أو يعتقد نصارى نجران كذبه ثم لا يجيبوه الى المباهلة ، بل ليس من المعقول كما قلنا في مقالنا السابق أن يقيم صلى الله عليه وسلم برهانا على كذبه فيخاطبهم - والتوراة بين أيديهم - بمثل ذلك الخطاب ، ثم يوبخهم ويقرعهم ويشافهم بأنهم يحدونه فيها وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولا من المتصور أن يجترىء على ذلك وهو يعلم كذب نفسه مما ينفرهم منه غاية التنفير ويضعفه لديهم ويهون شأنه عليهم « والكاذب ضعيف حتى عند نفسه » وهو اذا لم يكن نبيا في زعمهم فهو أكبر سياسى باعترافهم ، ولو فعل ذلك من غير أن يكون له حقيقة لكان أول السفهاء وأكبر الجهلاء ولطمعت فيه أعداؤه وما أسرع ما كان ينتقض بناؤه .

وقد ذكرنا في العدد الأول من هذه المجلة من آيات الاخبار بالغيب ما لا يدع ريبه لمرتاب مثل قوله تعالى ( غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصَرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) ولفتنا نظرك الى ما في هذه الآية من الجزم الذى يستحيل أن يكون من كاذب ، والى تقليل المدة وتحديدها في قوله « فِي بَضْعِ سِنِينَ » والى تأكيد ذلك في قوله ( وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ) وكذا قوله ( وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصَرَ اللَّهِ ) مما يستحيل أن يكون من عند نفسه أو بنات حدسه ، ولا يتصور أن تصدر هذه المبالغة وصاحبها ليس على يقين من أمره ولا مستند فيه الى وحى من ربه الا من احق الحق الذى لا يستطيع أن يسوس نفسه فضلا عن أن يسوس أمة دهش لها التاريخ وقد راهن أبو بكر رضى الله عنه أنه بن خلف على مائة فلوس <sup>(١)</sup> وأخذ القلائص من ورثته عند ما نصرت الروم على فارس .

وبعد فننظر في أحواله صلى الله عليه وسلم وجده غريقا في بحر التوحيد ناظرا

الى الله تعالى في كل شىء قد امتزج خوفه من الله ومراقبته اياه بلحمه ودمه مما يستحيل أن يكون من رجل تلعب به الشهوات أو تحيط به الظلمات ، فاذا صادفك الرشد وبحث في أحواله عليه السلام وجدته رجاءا الى الله في كل شىء (شأن الانبياء والمرسلين) فكان يقول اذا جاءه أمر يحبه : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات : واذا جاءه أمر يكرهه قال : الحمد لله على كل حال : وان أراد أمرا قال : اللهم «خرلى واخترلى» وان أراد سفرا الى قوم قال «اللهم بك أصول وبك أجول» وان أراد نوما قال «اللهم باسمك وضعت جنبي وباسمك أرفعه» وان استيقظ قال «الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور» وان لبس ثوبا جديدا قال «الحمد لله الذى رزقنى ما أتجمل به في حياتى» وان أكل قال «الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» وان شرب قال «الحمد لله الذى جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا» واذا أفطر قال «الحمد لله الذى أعانى فصمت ورزقنى فأفطرت» واذا انقلب من الليل في فراشه قال «لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار» واذا هب من نومه ليلا قال «رب اغفر وارحم واهد للسبيل الأقوم» واذا خاف قوما قال «اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم» واذا خرج من بيته قال «بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله . اللهم انى أعوذ بك أن أضل أو اضل أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على » واذا رأى الهلال قال « هلال خير ورشد . آمنت بالذى خلقك» واذا رفع بصره الى السماء قال «يامصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك» واذا حلف قال والذى نفس محمد بيده» . واذا عصفت الريح قال «اللهم انى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به . وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به» وهكذا في شأنه كله كان غريقا في النظر الى الله والاستمداد من الله والالتجاء الى الله . لا يرى لنفسه ولا لغيره حولا ولا قوة . ولذلك كان يقول اذا أصابه هم «حسبي الخالق من المخلوقين . حسبي الرازق من المرزوقين . حسبي الذى هو حسبي . حسبي الله ونعم الوكيل»

ولنختم هذه الكلمة بكلام جليل في هذا الموضوع للكونت هنرى دى كستري

الفرنسي وهو يشتمل على احد عشر وجها يشهد بها الذوق السليم والطبع المستقيم قال «١» لسنا نحتاج في اثبات صدق النبي محمد الى أكثر من اثبات أنه كان موقنا في نفسه بصدق رسالته وما الغرض من رسالته الا اقامة عبادة اله واحد بقام عبادة الأوثان التي كانت عليها قبيلته في ابتداء ظهوره «٢» لما كانت نفس ذلك النبي مفضورة على التشبع بالدين تكيف هذا المذهب في وجدانه حتى صار عقيدة لم تصل اليها نفس قبله وهو ذلك الاعتقاد المتين الذي أحدث انقلابا كليا في النوع البشرى .

«٣» كان محمد «عليه الصلاة والسلام» لا يقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مرارا نبيا أميا وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه . فلم يقرأ كتابا ولم يسترشد في دينه بمرشد متقدم عليه . «٤» لقد نعلم أنه مرت به متاعب كثيرة وقاسى آلاما نفسية كبرى لأن الله خلقه ذا نفس تمحضت للدين من أجل ذلك احتاج للعزلة عن الناس لكي يهرب من الأوثان ومن مذهب تعدد الآلهة وكان هذان المذهبان أشبه بآبرة في جسمه (صلوات الله عليه) ولكي ينفرد بما أنزل عليه من توحيد الله اعتكف في غار حراء . «٥» العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات (القرآن) عن رجل أمي وهي آيات يعجز فكري بنى الانسان عن الاتيان بمثلا لفظا ومعنى ، آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار في جمالها وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة (مريم) وما جاء في (يحيى) فلما كان اليوم الثاني أشار عليه بتلاوة ما في القرآن عن المسيح ففعل . وأستغرب الملك لما سمع أن المسيح عبد الله ورسوله وروح منه ، ثم تناول قضيبا دقيقا كان أمامه وقال لجعفر : ان الفرق بين ماسمعنا به منك الآن وبين ماتقوله ديانتنا عنه لا يزيد عن سمك هذا القضيب ، وأقول قد قوى ذلك القضيب فمنع الحبشة من الاسلام وجعلها مسيحية الى الآن . «٦» من الصعب أن يظن الانسان أن الفصاحة الانسانية تؤثر ذلك التأثير ، كيف وهي فصاحة تصدر بغير ضعف أبدا وتتجدد رفيعا معجزة يقصر دون تمثيلها رجال الأرض وملائكة السماء فهي الهية «٧» أتى محمد بالقرآن دليلا على صدق رسالته وهذا القرآن لا يزال الى يومنا هذا سرا من الاسرار التي لا يقدر أحد على



فك تلامسها ولن يسبر سرها المكنون الا من صدق بأنه منزل من عند الله سواء توصلنا الى معرفة الوحى وحقيقته أم لا . « ٨ » لا ينكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر نبوة بالفعل لأن النبوة من حيث هى عبارة عن قيام رجل من الناس بأمر ربه وأن يعتقد أن مايقوله من عند ربه حق فمحمد « صلى الله عليه وسلم » يعتقد أن روحا من الله استولت على لبه فلم يعد يعتقد أن له فكرا خاصا بل أنه أوتيته من عند ربه ، واختفت في نظره ذاتيته ومن الصعب أن تقف على معرفة سماعه للصوت الالهى هل كان في الحلم أو في غيبته عن عالم التصورات والصدق حاصل على كل حال - « ٩ » كانت الانفعالات تظهر على وجهه بادية فظن بعض الوثنيين أن به جنة وهو ظن باطل لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين ولم يشاهد عليه قبل ذلك أى اختلال في الجسم ولا أدنى ضعف في القوة المادية وليس في الناس من عرف الناس جميع أحواله في حياته كلها مثل النبي محمد « صلى الله عليه وسلم » فقد وصل المحدثون عنه الى أنهم كانوا يعدون الشعر الأبيض في لحيته ولو أنه كان مريضا لما خفى مرضه (ولا أمكن أن تكون له تلك الآثار الباهرة) فليست حالة محمد في انفعالاته وتأثيراته حالة ذى جنة . أذن ليس محمد من المبتدعين ولا من المتحليين للكتاب . نعم نرى تشابها بين القرآن والتوراة في بعض مواضع الا أن سببه ميسور المعرفة اذ لا عجب اذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضع خصوصا اذا لاحظنا أن القرآن جاء متمما كما جاء النبي خاتما لاسيا ونفس محمد كانت متأثرة بما تأثرت به نفوس الانبياء من بنى اسرائيل وكان يعبد الله الذى يعبدونه فلا عجب اذا تشابهت ألفاظ التصرفات وتجانست أصوات الدعاة « ١٠ » ما كان محمد يميل الى الزخارف ولم يكن مستكبرا ولا شحيحا بل كان يستدر اللبن من نعاجه بنفسه ويجلس على التراب وكان قنوعا خرج من هذه الدار ولم يشبع من خبز الشعير مرة في عمره ولم تكن له حاشية ولم يتخذ وزيرا ولا حشما ، قد احتقر المال وقد بلغ من السلطان منتهاه ولم يكن له من علامة الملك سوى قضيب . « ١١ » أتى محمد صلى الله عليه وسلم فهدم الوثنية بعزم واحد طول الحياة ولم يتردد لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الأحد

وإيمانه كان حقا ثابتا على الدوام لم تفتر حميته فقد انتهى كما بدأ . لم يرغب طول حياته في المال بل كان كلما جمع إليه شيء منه أنفقه في الصدقات ولقد أعطى عائشة زوجته مالا يسيرا لتحفظه ، فلما حضره المرض أمر بانفاقه على المعوزين لساعته ، فلما وزع عليهم قال الآن استراح قلبي لأنني كنت أخشى أن ألاقى ربي وأنا أملك هذا المال ولقد خطب في أمته قائلا أيها الذين يسمعون قولي ان كنت ضربت أحداكم على ظهره فدونه ظهره ، وان كنت أسأت سمعة أحد فلينتقم من سمعتي وان كنت سلبت أحدا ماله فدونه مالى وهو في حل من غضبي فان الغل بعيد عن قلبي .

انتهى كلام هذا النصف الكبير ولنقتصر اليوم على هذا ولنا اليه عودة ان شاء الله .

يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

## غاز مرطب لمنازل المناطق الحارة

كثير من الغازات التي تستعمل في صناديق التبريد من نوع سام أو على الأقل من نوع حريف يهيج الحياشيم اذا انبثق من الأنابيب الملتوية التي تحتوى عليها

وقد اكتشفوا غازا جديدا قيل عنه في الجمعية الكيميائية الأمريكية انه غير سام وأظهرت التجارب أنه يمكن تنفس كميات كبيرة منه بلا أدنى ضرر هذا فضلا عن أنه غير قابل للالتهاب وقد توصلوا الى هذه الخواص من التركيب الخاص لهذا الغاز الكيميائي فهو مزيج من ثلاثة عناصر معروفة هي الكربون ( غاز الفحم ) والكلورين ( غاز الكلور ) والفلورين ( غاز الفلور ) واسمه العلمى فلورد - كلورد - ميثين .

ويستعمل هذا الغاز علاوة على استعماله المنزلى في ترطيب غرف النوم بمنازل المناطق الحارة ومهاوى المناجم العميقة التي تشتد بأعماقها الحرارة وفي الغواصات وغيرها من المنشآت التي تحتاج الى جو بارد رطب

# السُّنَنُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إيتاكم والجلوس على الطُّرُقَات، قالوا: يا رسول الله مالنا بُدُّ من مجالسنا نتحدث فيها قال: فأما إذا أيتم فأعطوا الطريق حقه قالوا: وما حقه؟ قال: غَضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر. (١)

## الشرح

نحن نعلم أن الطُّرُقَ إنما جعلت لیسلكها الناس في ذهابهم وإيابهم وترددهم لقضاء مصالحهم وسائر أعمالهم، فلم تكن الغاية منها أن تكون مجالس يجلس فيها الناس للحديث أو غيره، وحينئذ يكون اتخاذها لغير السير والمروء فيها استمالة لها في غير المنافع الأصلية المقصودة من إنشائها، بل قد يجرُّ اتخاذها مجالس إلى أضرار ومفاسد كثيرة.

لهذا أرشد النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين إلى عدم اتخاذها مجالس لهم. بعد هذا اعتذر المؤمنون إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه. فينبؤ له أنهم لم يقصدوا بجلوسهم في الطرقات شراً ولا أمراً مُنكراً، بل أنهم قد اضطروا إلى ذلك عدم وجود مجالس أخرى يجتمعون فيها للحديث في شؤونهم ومهام أمورهم، فلهذا لم يكن لهم غنى عن هذه المجالس.

علم عليه الصلاة والسلام صحة هذا العذر وقبلة منهم، ولكنه لم يتركهم يجلسون دون أن يرشدهم إلى ما يفعلونه وما يتقونه أثناء جلوسهم، فبين لهم أن للطريق حقوقاً

يؤدونها وليس من شأن المؤمنين الأخلاق بها ولا التفريط فيها .

علمهم من حقوق الطريق خمسةَ حقوق الأول غَضُّ البصر وصرْفُه عن النظر الى ما لا يحل النظرُ اليه من كل ما يترتبُ عليه الفتنةُ وفسادُ الأخلاق وانتهاكُ الحُرُمات والآداب .

الثاني كفُّ الأذى ومنعُ الضرر عن المارِّين في الطريق سواءً أكان ذلك بالقول كأن يغتابهم أو يسبهم أو يحتقرهم بكلام يحطُّ من أقدارهم أم بالفعل كأن يضرهم أو يقذفهم بشيء أو يُشير اليهم إشارةً اِمتِهانٍ وسُخْريةٍ .

الثالث ردُّ السلام على المارِّ الذي سلَّم على الجالس في الطريق ، فإن من آداب السلام أن يسلمَّ المارُّ على الجالس ، فالسلامُ من المارِّ تحيةٌ وتوقيرٌ وتأمينٌ منه للجالس ، والردُّ من الجالس إجابةٌ منه للمارِّ ومعاملةٌ له بمثل ما عمل ، وحينئذ تتوثق بين المارِّ والجالس صلةُ الأخوة الدينية وتقوى بينهما الرابطةُ الاسلامية .

الرابع الأمر بالمعروف ، أى أن يطلبَ الجالسُ الى المارِّ في الطريق أن يفعلَ الفعل الحمودَ النافعَ الذى يرضاه الله تعالى ويعرفُه الفضلاءُ ذوو المُرُوءاتِ والتقوى ويحمَدونه ، أما الأمرُ المنكرُ الذمِّيمُ فانهم يجهلونهُ لأنه مرذول ممقوت وهم عنه مُبْعَدُونَ مثلاً ، اذا مررتَ به فأدركْ أنك من طلاب العلم أَمْرُك أن تبالغَ فى طاعة والديك اللّذين يُرَبِّيانك وفى طاعة رؤسائك ومعاميك وأن تتأبَّرَ على الجِدَّةِ والاقبالِ على علومك فعسى أن الله تعالى يجعلُ لك من كل ذلك ما ينفعُك وينفعُ أُمَّتَكَ الاسلامية ان شاء الله تعالى .

الخامس النهي عن المنكر ، وهو أن يطلبَ الى السائر في الطريق أن يكفَّ عن الأمر المستقبَح الذى ارتكبه مبيئاً له ما يعودُ عليه وعلى غيره من الضرر والأذى سواءً أكان ذلك الضرر عاجلاً فى الدنيا أم آجلاً فى الآخرة .

من منصوص

وكيل دار العلوم العليا سابقا

# اصْبُوا لِلدِّينِ

## الاسلام دين الفطرة

### ٦

قال تعالى ( وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ) أجل والحمد لله ولا نعبد الا اياه  
لقد كنا خشيناً أن نكون وقعنا في إطالة أوجبت سامة وملالة ، ولكننا والله الحمد  
رأينا في الاقبال على تتبع ما يقال في هذا الموضوع ما شرح صدرنا لزيادة الشرح وقوى  
عزمنا على نوع من التبسط في الايضاح غير مسرفين ولا باخلين .

لقد كان كلامنا في بيان أسرار الشريعة الغراء وحكمها البالغة في تنظيم علاقة الانسان  
بأخيه الانسان ، وكان كلامنا في العلاقات المدنية وذكرنا مثالا مما نبا فيه وهم الناس عن  
حكمة الشرع ودرجوا على خلاف حكمه ، وذلك أمر الربا وبيننا أن ضرره أكبر من  
نفعه وأن ضرره للضعيف المحتاج غالبا يقصم الظهر ويخلى اليد ويوهن العظم فيعلا القلوب  
حقدا والنفوس غلا ، ولا تلبث البغضاء في نفس المغلوب أن تنتج مثلها في نفس الغالب ،  
فالغلوب كالمرآيا المتقابلة ينعكس في كل منها ما انطبع في الآخر فيعيش الناس متباغضين  
متحاquدين متدابرين ، ونفعه للقوى الغنى غالبا وهو الذي ركن الى الدعة واطمأنت نفسه  
للسعة فلم يغامر في المتاجر التي تحتاج للسكد والجد وإعمال الفكر فيما يعود على المجتمع  
بالنفع ، بل تعد يستثمر ماله فينزف دم الحياة ممن رمته اليه الحاجة وما كان المال الا وسيلة  
لتبادل الحاجات بين الناس ، فهو مقصود لتحصيل المنافع وليس هو في ذاته منفعة حقيقية  
ونفع المجتمع نفعاً صحيحاً هو في تقريب المنافع الحقيقية اليه ليسهل نيلها على من يحتاجها ،  
وإن كنت في شك من أن المال ليس في ذاته منفعة حقيقية وانما هو وسيلة لاحتراز  
المنافع فانظر الى ما قاله علماء الاقتصاد من تقسيم الثروة الى قسمين ثروة حقيقية وهي ثروة  
الأعيان كالزراع والمعادن وثروة اسمية وهي ثروة الأموال وقولهم إن الأمة الغنية هي

التي تتسع ثروتها الحقيقية لا التي تتسع ثروتها الاسمية ولو أنك تتبعت حال الأمم التي ملكت ناصية المال لوجدت قيمته لديها ضئيلة وآثار انتفاعها به قليلة فلا يكاد المرء منهم ينال القليل من حاجاته الا يبذل الكثير جدا من المال فعادت عليه الكثرة في الكم بالقلة في النفع ، وهذا مما يشرح أثر كونه وسيلة للمنافع لا منفعة حقيقية ونفع المجتمع حقا هو جلب المنافع الحقيقية لا الوهمية وكذلك لو حبست ذا المال الكثير أياما أو يوما واحدا مع ماله ما أغنى عنه شيئا ولقد يفضل وهو في آخر رمق جرعة من الماء على كل هذا المال . فهذا الذي قعد لمجرد استثمار ماله دون أن يكلف نفسه مشقة المتاجرة الصحيحة يجلب حاجات الناس الحقيقية مما يدعو للسكد وإعمال الفكر في حسن الاختيار ومراقبة الاسعار وتجشم الأسفار، انما قعد لينزف أموال الناس بأغتنام فرص احتياجهم بل ليمتص دم حياتهم فكان حربا على العالمين ، فلا غرو ان آذنه الله بحرب وإن من حارب الله لمخذول .

ولقد بينا كذلك أن الله الحكيم العليم الذي حرّم الربا لم يترك أمر الناس سدى ، بل تداركهم برحمته فشرع لهم من الأحكام ما يغنيهم عن اللجأ الى الحرام وذلك باب القرض الحسن فيما اذا لم يحضر النفوس الشح وباب القراض والمضاربة وهو أن يجعل للمال حصة فيما يستخدم فيه من كبريات الأعمال وعظائم المشروعات ، وذلك في المال الكثير الذي لا تسمح النفس فيه عادة بالاقراض بلا مقابل ، وذلك كالمتبّع في بعض شركات المساهمة . أبنا بعض ذلك في الكلمة المنشورة في العدد السابق ولا ضرر في إعادة الكلام عليه مرة ثانية فقد تغلغل في نفوس بعض المفكرين حتى ظنوه من ضروريات المعاملة بين الناس .

ونزيد في هذا المقال ذكر مثالين مما اختلفت فيه أنظار الناس ودرجوا على غير هدى الشارع الحكيم وهما « ١ » بعض أنواع البيوع الفاسدة المستفيضة في دار التجارة العامة ( البورصة ) . و « ٢ » شركات التأمين - السيكورتاه - وأما الأحكام التي اتفقت فيها آراء الناس وما جاءت به الشريعة السمحة من صحيح البيع والاجارة والضمان والرهن وأمثالها فحسبك في حسنها اجماع العالم على تقريرها وألا غنى لهم عنها ، فهي رحمة من

الله شرعها على لسان نبيه داخلة في مضمون قوله جل شأنه ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ )

أما البيوع الفاسدة في نظر الشرع وقد أولع الناس بتعاطيها فكثيرة نجتزئ منها بمثلين « ١ » البيع على المكشوف « ٢ » والبيع على الوجه أما الأول فيشبه السلم وليس منه فقد اشترط في السلم ان يكون المسلم فيه مما يوجد غالبا وقت التسليم ، واشترط فيه ألا يباع قبل قبضه فلما تجاوز الناس هذين الشرطين أدى بهم الحال الى ما نسمع به كل يوم من خسائر فادحة يتبعها اقبال محال تجارية كبرى مما يؤدي الى انتحار رجال عظام أو موتهم كمداء ، ويتبع ذلك تدهور أسر وغرقها في لجج المذلة بعد أن رتعت حيناً في بحوحة الغرور غد العيش ، نعوذ بالله من الحرمان بعد العطاء ومن الفقر بعد الغنى ومن الذل بعد العز

هذا : الى فتح باب العبث بأموال الناس وعقولهم والتلاعب بالاسعار الموجب للدمار مما نسمع به من ضجيج الشكوى من آن لآن ، ومما اضطر المفكرين الى البحث فيما ينقذ الناس وثرواتهم من هذه المغامرات والمقامرات .

والثاني البيع على الوجه ، وهو عقد البيع بدون معرفة الثمن وتسليم المبيع في مقابلة تعجيل حصّة من الثمن مع انتظار الأسعار في المستقبل ليدور عليها ثمن المبيع ، ولقد شوهد من ضرر هذه الحال بالنسبة للبائع ما حقه أن يكون رادعا ، فان التاجر انما يدفعه الى زيادة السعر حرصه على احراز المبيع ، ومتى وصل الى ما يريد فما الذي يدفعه الى زيادة الأسعار ، فالأسعار مع كونها بيد الله تجدها تابعة لقانون العرض والطلب ، ولكنها الحاجة الى تعجيل حصّة من الثمن تدفع البائع الى تسليم ما في يده فيتعجل بالقليل ويتعلل بالأمانى والأمانى رأس مال المفلسين .

وأما شركات التأمين على الأموال والأرواح فقد تغلغل الميل اليها في نفوس الكثير من الناس خصوصا من المستديرين الى حد يصعب معه اقتلاعه من عقولهم ، وأقوى حجة لهم في تبريرها أن يقول لك أحدهم : إنى أدفع القليل ليطمئن قلبي على الكثير فأنا راجح الطمأنينة حال السلامة والعوض اذا ما طرأ ما أخشاه ، والشركة رابحة المال الذي تأخذه مني

ومن سواى فكلما الطرفين مستفيد . ونقول له : اليس أمرك دأرا بين أن تدفع بلا مقابل وذلك إذا قدرت لك سلامة المال أو تأخذ ما لا حق لك فيه وترزأ غيرك ممن دفع وهو لم يمن عليك فيما إذا عطب مالك ؟ أو ليس الامر على كلا التقديرين أن هناك دفعا وغرما من أحد الجانبين بدون مقابل من الجانب الآخر ؟ فانه لا قيمة لما دفعه المؤمن بالنسبة لما يأخذه على فرض عطبه ، كما أن طمأنينة قلبه التى زعم أنه استفادها فى حالة سلامة ماله لا دخل لشركة التأمين فيها اذ لم تكن حارسه عليه ، ولا تستطيع أن تقف فى وجه المقادير وتصاريق الزمان .

وأما التأمين على الحياة فهو أبعد عن العقل السليم وأوجب للدهشة والاستغراب ، فما كانت الشركة لتطيل لهعمرها ، وما كانت لتبعد عنه قدرا ، ولكنها التعللات بالأمانى ، وما أشبهها بشؤون الدجالين والمشعوذين ، سيقول لك قائلهم نفس المقالة الأولى أو قريبا منها ، سيقول إنى متى دفعت ولو قسطا واحدا فاذا فاجأتنى المنية استحق ورثتى ما أمنت به على حياتى ، فكان لهم بذلك عزاء وسلوة عن فقدى ، واذا بقيت المدة المضروبة لى استرجعت كل ما دفعت بأرباحه ، فانا مستفيد على كلتا الحالتين وللشركة فائدتها أيضا وهى التصرف فى تلك الأموال مما يجتمع لها منى ومن غيرى ، فيتكون لها رأس مال عظيم تستغله فيما ترى من المشروعات التجارية ، ومفاجآت العطب قليلة فغرمها نادر لا يؤثر فيها لأن كل امرئ حريص على حياته وماله محافظ عليها جهد استطاعته فكل واحد يعمل لمصلحتها من حيث يعمل لمصلحة نفسه فكلما الطرفين مستفيد ، ونقول له ليكن كل ما تقول فإخرجت عن أنها معاملة فيها غرم أحد الطرفين حتما بلا مقابل ، وما كانت العدالة الا فى المعاوضة وأن يكون من كل طرف عوض يعادل ما استفاده ، وأن يكون بين العوضين مناسبة تحقق المعادلة ولو التقريبية حتى تستقيم روح العدالة ، فأما وأحد الطرفين غارم حتما بلا غرم أو غانم حتما بلا غرم فلا عدالة بل هى المقامرة والميسر ، غير أنه لبس ثوبا للماعا وجاء عن قوم أوليناهم ثقتنا العمياء وأخذنا عنهم كل ما قالوه بالتقليد الأعمى ، وما منشأ ذلك الا أن جماعة منهم بهروا الناس بقوة استخدامهم للمادة واستنباطهم لقوى الطبيعة مما لانعمطهم حقهم فيه ، فكان لمجموعهم فى النفوس عزة الغلبة فأسلم الناس القياد لهم شأن كل غالب مع



كل مغلوب ، والا فتى وزنت تلك التصرفات بميزان العقل السليم والنقد النزيه وجدت ضررها أكبر من نفعها وهكذا شأن أغلب المضار المنهى عنها لمصلحة المجتمع تجدر ضررها أكبر من نفعها فلا تكاد ترى شيئا تمحض للضرر بدون وجه نفع ولا تمحض للنفع بدون وجه ضرر حتى أن الخمر والميسر وهما ما هما في الضرر لم يخلوا عن نفع ما ولكنه ضئيل اذا قيس بكبير ضررها كما قال جل شأنه (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْ تَأْتِغُ النَّاسِ وَأِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) وشأن التشريع الصحيح أن يعتمد على الموازنة بين النفع والضرر فما غلب نفعه أحله وما غلب ضرره حرّمه والله عليم حكيم.

الحدود : ومما اختلف نظر جمهور الناس عن نظر الشارع الحكيم في شأنه من العلاقات المدنية أمر الحدود ، فقد زعم بعض الناس أن في الحدود الشرعية نوعا من القسوة لا يحتمل ولا مبرر له ، فان في قطع يد السارق تشويها دائما بدوام حياته وتشهيرا مستمرا ملازما له ، وفي ذلك القسوة كلها عليه وسد باب الرحمة عنه بخلاف سجنه أو تشغيله ردحا من الزمن ففيه مع تأديبه رحمة به ، ونقول لهم : أما الرحمة فحسنة جميلة ولكن نحن بين رحمتين متعارضتين رحمة بالجمهور البريء ورحمة بالفرد المجرم فأى الرحمتين أحق بالاتباع ؟ هل تدركنا الرحمة بواحد مجرم فنشفق عليه من الأذى والتشويه والتشهير الدائمين ولا تدركنا الرحمة بمجموعة الأمة فلا نحميها من تعدي ذلك المجرم عليها ولا نزرجه أكبر زجر وأبلغه ، على أن سن تلك العقوبة التي تلزمه الخزي طول حياته أكبر زاجر لمن حدثته نفسه أن يكون على شاكلة أو يسير في طريقته وهذا الزجر من أكبر مظاهر الرحمة للنفس التي فيها استعداد ما للشر كما قال القائل :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم

وهل هناك رحمة لمن تراه سيتدري في هاوية أعظم من أن تدفعه في صدره ولو القيته على ظهره ويكفيه منك أنه نجا بعمره ؟ وهل للنفس الجاحدة للشر زاجر أبلغ من أن يلزم أحدها الخزي فتشوب نفوس نظرائه الى رشدتها وتبتعد عن غيها ؟ وأين هذا مما نراه الآن من استقبال المجرمين حين خروجهم من السجون بمظاهر التفرح بل بمظاهر

التبجيل التي ينفخ بها الشيطان في أنف أحدهم فتحدثه نفسه بأنه غامر مغامرة الرجال ، بل جازف مجازفة الابطال فاستحق هذا التكريم والاجلال ،

إن هذا هو واقع الحال لا املاء الخيال ومن جال في بلاد الريف جولة رأى ما للسجين بعد خروجه من هيبة وصوله فيندفع لمعاودة الاجرام فمعاودة السجون فيكون من معتادى الاجرام ، أفليست رحمتكم بهم نقمة كبرى عليهم ، ومن شاء فليرجع الى سجل أرباب السوابق ليرى معاودتهم للاجرام حتى اصبح عادة متأصلة في نفوسهم ولم يردعهم زيادة العقوبة حتى سن قانون معتادى الاجرام فكان من أثره أن يمكث المجرم في السجن أطول مدة ، وقد يستغرق عمره في السجون ما لم يؤذن له بالخروج ، أفلا يكون ردعه من أول الأمر بالتشهير رحمة به ؟ والله يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه

أغرب من هذا وأبعد عن مقتضيات الفطر السليمة والكرامة الانسانية اهدار حدود الزنا دفعة واحدة وعدم التعرض للزانية والزاني متى كان ذلك باختيارهما بل حمايتهما حتى مما يؤذيها أوييس شأنهما ماذا تقول في هذا ؟ لقد بحثت أصوات الغيورين وتعرضوا لهمز الهامزين ولمز اللامزين بل لسب وشتم السفهاء وغير السفهاء ،، استغفر الله ،، فإيسب من يحار بوجوب الاصلاح الا السفهاء وإن زعموا أنهم عقلاء أو زعماء تقول بحثت الأصوات وسالت العبرات على أعراض تبذل وحرمت انتهكت وكان جواب اولئك الأقوام . . . . . لم نفهم لهم جوابا ، ولو فهمناه لقررناه قالوا إن اباحة الزنا طريق سلامة الجماهير من ضرره بحصره في دائرة معلومة محدودة ، وما علمنا يوما أن وضع بذرة فاسدة في أرض منبثة طريق للقضاء على نباتها وسلامة الناس من آفاتهما ، اللهم إنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

هذه مثل متشورة في أبواب مبعثرة مما اختلف فيه نظر الناس وزاغت فيه بصائرهم حتى ضلّوا في ظلماتها ولم يهتدوا الى نور الشريعة الغراء التي جاءت شفاء لأدواء الأمم ودواء لأمرضاها الفتاكة بالجماعات ولكن

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وانما عرضنا لهذه المثل لنبين لك محاسن الشريعة الغراء فيما حاد عنه الناس واستخفوا خلافه ، فكيف بما أقبلوا عليه وتمسكوا به من أنواع المعاملات التي لم تستطع الشياطين أن تصرفهم عنها ، ولو استطاعوا لما ونوا لحظة ، فقد يكفي في صرف بعض النفوس عن الحكم أن الشرع أمر به فيقول لك القائل مالنا وللشرع والتقيده به ؟ اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

هذا شيء من محاسن أحكام الشريعة في المعاملات المدنية ونريد بالمعاملة المدنية معاملة المسلم لأخيه المسلم مهما اختلفت بهم الأوطان والأقاليم فالمسلم أخو المسلم في مشارق الأرض ومغاربها ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ) وكذلك معاملته لمن دخل في ذمته من أهل الكتاب اصحاب الأديان الأخرى ، فلهم مالنا وعليهم ما علينا نحميهم مما نحمي منه أنفسنا وكذلك معاملته مع من دخل دار المسامين مستأمنًا وعاشرهم مطمئنًا فلاحكام في المعاملات واحدة في الجميع غالبًا .

أما حكم الشريعة الغراء في شأن الروابط الانسانية العامة ، وهي التي تتجاوز ما بين المسلمين بعضهم وبعض أو من يلحق بهم ويجرى عليه حكمهم من ذمى ومستأمن فتتلخص في أمر بسيط ونهيج واضح نير هو الرحمة كل الرحمة والحكمة كل الحكمة فواجب المسلم مع من يخالفه في دينه ولم يرتض أحكامه أن يعرض عليه هدى ربه وأن يرشده بالحسن ليدخل في دينه ، وحسبه رحمة وعطفا أنه يختار له ما اختاره لنفسه فان أجاب فقد سعد كلاهما سعد المستجيب بالفوز الأبدى والسعادة العظمى وسعد الداعي بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من <sup>(١)</sup> حمر النعم » فان لم يستجب له وغلبت عليه شقوته ونكص عما بينه له من آية واضحة وحجة بالغة فلا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ . ) ومن الاهتداء أن تقوم بهداية غيرك ما استطعت وترشده الى الطريق المستقيم ما قدرت في حدود قوله تعالى ( اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ) ولعلك تقول

(١) كانت الأبل الحمراء أنفس أموال العرب فيضرب بهم المثل بما ألفوا .

واذن فكيف جاء الجهاد في الاسلام؟ ما جاء الجهاد لجل الناس على الايمان كرها وقهرا فالله يقول (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) ويقول (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) ويقول (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وانما جاء الجهاد لدفع من يتصدى للمسلمين ويتعدى عليهم فيمنعهم من أن يدعوا أخوانهم في الانسانية الى هدى ربهم الذي اطمانوا اليه ورضوه لأنفسهم ديناً وعلموا أنه السعادة الحقة لكل العالمين، فالمسلم مدفوع بدافع الرحمة لأخيه في الانسانية أن يدعوه الى اعتقاد الحق الذي اعتقد وسلوك الصراط المستقيم الذي سلك، ومن حق كل انسان أن يعطف على أخيه الانسان يدعوه الى الخير الذي اهتدى اليه، فمن تصدى له وتعدى عليه ومنعه من أن يدعو بالحكمة وبيّن الحجة بواضح الحجة فقد منعه حقه بلا وجه حق، فاذا جاهد لتكون كلمة الله هي العليا أى الدعوة الى الله آخذة طريقها لا يصدها صاد ولا يردها راد فاعا جاهد في طريق ايصال الخير الى الغير وهل بعدهذا من نبل في القصد وشرف في الغاية؟

فأين هذا الحق الصريح والرحمة بالانسانية العامة مما يزعمه الطغام الجاهلون من ان الاسلام بنى على الجهاد وقام على السيف، وان تعجب فعجب أن تروج هذه التهم وتلك الترهات على قوم بين أيديهم كتاب الله وفيه هذه الآيات التي تلونها عليك آثفا وقوله جل ذكره (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا بَدَّاهُمْ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبْرَأُوهُمْ وَتُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ولعلك بهذا استجلبت نموذجاً من محاسن الشريعة الغراء في المعاملات بأنواعها الثلاثة وهي (١) ما ينظم العلاقات المنزلية (أحكام الأسرة) و (٢) ما ينظم العلاقات المدنية (أحكام المعاملات بين المسلمين ومن لهم حكمهم) و (٣) ما ينظم العلاقات الانسانية العامة (أحكام المجتمع الانساني العام) وتكون قد تبينت بما تلوناه عليك أنها دين الفطرة السليمة وأن صاحبها رسول الرحمة ففهمت قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)

وسنتلو عليك في مقال آت ان شاء الله محاسنها في باب الأخلاق التي بعث عليه الصلاة والسلام ليتمم مكارمها والله المستعان

ابراهيم الجبالى

مدرس بقسم التخصص

## المحصل على الصوف بطريقة صناعية

تقول جمعية الابحاث البريطانية انه سيصبح من الممكن الحصول على الصوف بطريقة صناعية خاصة وتتلخص هذه الطريقة في أن يقطع جلد الأغنام شرائح ويوضع في أحواض بها محلول كيميائى خاص تتغذى منه هذه القطع وتؤتى محصولها من الصوف عاما بعد عام .

هذا ما تقول به الجمعية بعد اجراء عدة تجارب قامت بها لإئماء وبر الحيوانات ويؤكد كيميائيو الجمعية أن ليس هناك ما يمنع من إئماء جلد البقر بمثل هذه الطريقة ،

## الجراثيم وهرائق المزارع

مما ينسب الى الجراثيم علاوة على نشرها الأمراض جراثيم الاحراق فقد اتضح أن الحرائق الكبيرة التي تشب في المزارع وتنشأ مما يسمونه « الاحترق الذاتى » — أى أنها تشب من تلقاء نفسها — قد تنشأ من تفاعل الجراثيم ، وتقول بهذا رأى مصلحة الزراعة بالولايات المتحدة التي تقوم الآن بأبحاث في هذا الموضوع وقد أنشأت مزرعة لإجراء التجارب في بلدة بلتسكيل حيث يمكن تهيئة الظروف والأسباب الخاصة التي تؤدى الى شوب هذه الحرائق .

وتشب الحرائق في يابس النبات والعلف والمخضبات والأسمدة بلا سبب معروف ولكن اتضح أن الجراثيم التي تنكثر في مثل هذه المحاصيل قد تولد حرارة تصل أحيانا الى ١٦٠ درجة فهرنهايت وقد يكون التفاعل الكيميائى الذى تحدثه سببا في شوب الحريق .

## « كلمة تثير محبة الله في القلوب المستعدة »

يقول الله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) ويقول (قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) <sup>(١)</sup> ويقول فيما روى عنه «حبوا الله الى عبادته يحبكم الله» ويقول بعض من تخلص من الأوهام ورسخ في هذا المقام :

بادر لدرك الذي قد فات من عمرك ولتتخذ زادك التوحيد في سفرك  
فيامليك الورى يامنتهى أملى ما أشوق الواله المضنى الى خبرك  
ما ظل لى أمل فى غير مشهدكم ولا قرأت كتابا ليس فى سيرك  
إذا كنت تحب أحداً لما يبهرك من علمه وسعة نظره من علماء الأمم فأحب الله  
تعالى الذى أتعن هذه العوالم كلها وأودع فيها من الأسرار ما أدهش فلاسفة أوربا وإشراق  
شعاع من نور شمسه ، وقد ذكرنا فى بعض ما كتبناه أن سبنسر الانجليزى كان يقول  
« ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر الطبيعية وإنما الغرض الأسمى أن  
يشرف الانسان على ذلك السر الباهر ويستطلع تلك العظمة الالهية من وراء تلك الحدود  
التي ينتهى اليها علم الطبيعة » ويكفيك ما اشتمل عليه الانسان من الأسرار المدهشة  
التي تكفل بها علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء مما بهر علماء الفسيولوجيا (علم وظائف  
الأعضاء) فطأطئوا له الرؤوس وعشوا أمامه كما يعشوا الخفاش أمام الشموس

(١) ويقول صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه  
ما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يذف فى النار »

وأن كنت تحب أحداً لمزيد شجاعته وعظيم قدرته وحسن تديره من القادة  
والساسة فأحب أحكم الحاكمين وأقدر القادرين وقيوم السموات والأرضين ورب العالمين  
ومدبر الخلق أجمعين ، من أمره بين الكاف والنون ، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له  
كن فيكون .

وأن كنت تحب أحداً لاحسانه ومزيد انعامه وعظيم تميزه في باب الفضائل والمكارم  
فأحب منبع النعم ومعدن الكرم ، وأن كل ما تتخيله اذا قسته بقطرة من بحار فضله ،  
وماذا نعد لك من نعمه أو نسرده عليك من آثار كرمه بعد ما علمت أنه المفيض لكل نعمة  
في الوجود وأنه رب الكرم والجود . ( وَمَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا  
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) ولعمري الانصاف إن هذا المقام  
يجب أن تتكسرفيه الأفلام وتخرس فيه الألسن فان تطبيق شرح نعمة من نعمه وانظر  
ان شئت لنعمة الهواء التي يتوقف عليها وجود كل حي الى آخر ما يتفرع منها ويتشعب  
عنها وان شئت فانظر الى نعمة الضياء أو الماء وما أودعه في الأشياء من الكهرباء بياهر  
حكيمته وعظيم تديره ( ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ) . « وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا  
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ » وقد أحس بتلك العظمة المدهشة وذلك الانعام الفائض على  
كل من في الوجود ذلك الرجل العظيم صاحب النفس المطلقة من القيود الفيلسوف لينة  
الفسيولوجي الفرنسي الذي كان يدعو وجدانه فيحييه ويناجيه شعوره الحى فلا يتغافل  
عنه قال ( ان الله الأزلى الكبير العالم بكل شىء قد تجلى لى ببديع صنائعه حتى صرت  
مدهوشاً مبهوراً فأى قدرة وأى حكمة وأى ابداع أودعه مصنوعات يده سواء اكان فى  
أصغر الأشياء أم أكبرها ان المنافع التي نستمدّها من هذه الكائنات تشهد بعظيم رحمة  
الله الذي سخرها لنا كما أن جمالها وتناسقها ينبىء بوسع حكيمته وكذلك حفظها عن التلاشى  
وتجدها ينطق بجلاله وعظمته ) ولنرجع الى أصل الموضوع فنقول .

اذا كنت تحب نفسك وكلها فأحب من أوجدها فى أحسن تقويم وشق سمعها  
وبصرها وأسبغ عليها نعمه ظاهرة وباطنة ولم يقتصر كرمه على اقامته الضروريات

والحاجيات ، بل أعطاك من الكماليات ما تنوع به لذاتك وتم به بهجتك فليس من الوفاء أن تعرض عنه وقد غمرتكم نعمائهم وأشرك عليك ضيائهم وعذب مأوهم ولطف هواؤهم وأنعشتكم بدائع أكوانه من رياض غناء وصحارى فيحاء وأثمار شهية ونفحات شجية ومناظر تطير بالقلوب الى حضرة علام الغيوب من شمس وأقمار وأطياف وأزهار وليل ونهار .  
أما يجب أن تقول عند رؤية تلك الآيات المدهشات والدلائل الناطقات والنعم الفائضات ما قال ذلك البدوى الذى لم تشغله المدنية وزخرفها عن أن يرجع إلى قلبه ويسمع من حديث لبه حيث يقول

هاج للقلب من هواه أدكار      وليالٍ خـلا لهن نهار  
وجبال شوامخ راسيات      وعيون مياهن غزار  
ونجوم تلوح فى جنح ليل      مشرقات فى كل يوم تدار  
وشمس مضيئة للبرايا      فى نهار وفى الدجا أقمار  
ورياح تهب من كل فج      وبروق وراءها أمطار  
ان شأن الاله شأن كبير      جل ربا وجلت الآثار  
والذى قد ذكرت دل على الله      نفوساً لها هدى واعتبار

أو تقول كما قال غيره مخاطباً نفسه مستحثاً لها على العبرة وإطالة الفكرة حيث يقول فى تخميس أبي نواس ( بتصرف وزيادة )

تبصّر حيث كان لك التبصر      وفى ذات الاله دع التفكر  
وأن ترد المهيمن حين تذكر      تأمل فى نبات الأرض وانظر  
الى آثار ما صنع المليك

فأنوار المهيمن ساطعات      وأفكار الخلاق حائرات  
ولكن الأدلة واضحات      أصول من لجين زاهرات  
على أغصانها ذهب سبيك



شموس في البرية مشرقات      نجوم في الدياجي لامعات  
تطول الدهر دوماً سابحات      الى ما لست أدري طائرات  
يطير بها له الجرم السميك

رياض موتقات منعشات      وألوان لعينك مدهشات  
وأزهار تروفق مبهجات      على قضب الزبرجد شاهدات  
بأن الله ليس له شريك

أو يقول كما قال ذلك القائل

يقولون أين الله أين عجائبه      وذا الكون سفر واضح وهو كاتبه  
يَشْكُونُ والأيمان ملء قلوبهم      ويسدون ما تلك القلوب تكذبه  
فأى أمرىء في الجو يرسل طرفه      اذا ما بدت أقماره وكواكبه  
وليس يقول الله في عرش مجده      وهذى حواشيه وهذى مواكبه  
وأى أمرىء ما سبج الله مرة      اذا راقب الأزهار وهى تراقبه  
عجائب ربي في الأنام كثيرة      ولكن جهل المرء لا شك غالبه  
أو يقول وقد امتلأت نفسه بأنوار وجود الحق الذي ظهر في جميع الأشياء وتجلي نوره في عوالم الأرض والسماء وان غاب عن الأبصار وجل أن يدرك بالانظار .

ظهر الوجود الحق في الأشياء      متجلياً جهرًا بغير خفاء  
ان الوجود عن البصائر غائب      من حيث ما هو ظاهر للرأى  
والفى يكشف أن ثمت شاخصا      متحكما فيه بغير مرأى  
فرايته من حيث لم تعلم به      وعلمته في رتبة الأسماء  
والشمس لا تستطيع رؤية ذاتها      لتألق فيها وفرط ضياء  
أو يقول مقال ذلك الرجل الذي رآه ظاهراً في آثاره ظهور الشمس وان تعالى بحقيقته عن العقول :

حسن تراءى في المرأى      وبه تحيّر كل رأى  
والكون عرس زينت      ذى الأرض فيه مع السماء

بكواكب ومراكب والنجم خفاق اللـواء  
وصدى جميع الكائنات أختي من أشهى الغناء  
هو باطن هو ظاهر فاحذره من وجه الخفاء  
واطلبه من وجه الظهور رتبه في كل المراء  
شمس وكل الخلق في أنوارها مثل البهاء  
يا قوم كيف عقولنا لا تضمحل من الهباء

أويقول عند ما يرى الأشجار تهادى في حلل الأوراق والأزهار معجبا برويتها  
متعجبا من قدرة خالقها

يا صاحبي تعجبا لملايس قد حاكها من لم يد لها يدأ  
فقل لي بعيشك هل من الحياء (والحياء خلق كل كريم) أن تتمتع بما خلق الله لك  
من الأضواء والأصباح والامساء وما أوجد لك من بديع الأشياء وسخر لك من الأرض  
والسماء وكان الأمر على ما يقول عز وجل (وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)  
ثم لا تؤدى شكره ولا تعرف قدره

أنى لأعجب ممن قد رأى طرفا من فرط لطفك ربى كيف ينساك  
فان كان لا يؤثر في نفسك فأنس إنعامه ومزيد إحسانه ولا ماهو عليه من قدرة يتحير  
فيها الناظرون وعظمة لا يصفها الواصفون ، وعلم لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض  
ولا في السماء وحكمة أتقن بها جميع الأشياء ولا ماهو متصف به عز وجل من نعوت  
الجمال وصفات الكمال وكان لا يستولى على نفسك إلا سلطان الحسن الذى تشاهده  
بعينك أو تلمسه بيدك ، فاعلم أن كل جمال يقع عليه حسك أو يتصل به لمسك فانما هو  
ظل من ظلال ذلك الجمال المطلق الذى يجلب عن الحدود ويتعالى عن القيود وليس يعطيك  
أى مظهر من مظاهره إلا بعض سرأره ولا تمثل لك أى مرآة من مراياه إلا بعض مزاياه  
وأنى يسع المحدود من لا يقبل التحديد وكيف لا يضيق المقيد بمن لا يدخل في سجن التقيد،  
فطوبى لمن شم عرف شذاه أو شام برق سناه وهنيئا لمن شرب قليلا من مدامه ولو مزجا  
فاذا لم يدر ما هو تائق اليه ومتلهف عليه قال :

شيء به فتن الورى وهو الذى يدعى الجلال ولست أدري ما هو  
وقد قال بعض الحكماء لتلاميذه : ان الناس كلهم يشتاقون الى الله أتدرون لماذا :  
لأنهم يتوقون الى صلاح لا يتناهى وكمال لا يتناهى وجمال لا يتناهى وليس ذلك إلا  
لله تعالى .

فارجع الى سلامة فطرتك وحق بصيرتك وطالع ذلك الجلال الالهى الذى  
تجلى على صفحات الموجودات وأقرأه بين سطور تلك المبدعات ثم انظر رعاك الله الى  
أى حد انتهيت ولا أظنك ان كنت رقيق الوجدان لطيف الشعور قوى الاحساس بالجمال  
الا وقد وصلت الى معنى يصغر بجانبه اسم الحسن اذ تجددك أحسست بجمال لا يكيف  
وغرقت فى بحر من الجلال لا يحد ولا يأتى عليه التعبير

فظورا فى الجلال على التذاذ وطوراً فى التذاذ بالجمال  
وعند ذلك ينطق لسان حالك منشداً

عجبت لعاقل فى الناس أضجى يرى هذا الجمال ولا يهيم  
ويتزعم بلبل روحك مغرداً

لعمرك كل الحسن من بعض حسنه وماحسن كل الحسن الا جماله  
فأستجل هذا الحسن رعاك الله فى كل شيء تراه من العلويات والسفليات  
إن شئت فى فلك أو شئت فى ملك أو شئت فى مدر أو شئت فى حجر  
فالكل ينطق أن الله خالقـه وهو المليك ورب النفع والضرر

وهل الشمس وهى أظهر ماعامت وأبهر مارأيت وأجل ماوقع عليه البصر وأبهى  
ماوصل اليه النظر الا أثر من آثاره ونور من أنواره وقد كتبت عليها سطور البهاء  
والجمال والعزة والجلال ، فنحن نقرأ فيها قدرة نخر لها ساجدين وحكمة تقف أمامها  
مبهوتين وجمالاً يذوقه الوجدان وان كان لا يكيفه وتمتلى به النفوس وأن كانت لا تعرفه  
ونطالع فيها رحمة تجعلنا قائلين بلسان الشاكرين تبارك الله أحسن الخالقين ، وحقه وما  
أكبر حقه لو تفرغت من الشواغل التى أخذتك ولم تدع منك شيئاً لعشقت فذقت  
فنطقت فقلت :

تراه ان غاب عنى كل جارحة      فى كل معنى لطيف رائق بهج  
وفى مساقط أنداء الغمام على      بساط نور من الأزهار منتسج  
وفى مسارح غزلان الخمائيل فى      برد الأصائل والاصباح فى البلج  
وفى مساحب أذبال النسيم إذا      أهدى الى سحيراً أطيب الأرج

عظم والله البرهان وأمتلاً الوجدان ووصل الأمر الى حد العيان وليس بعد العيان بيان، ولكن قويت الأنوار فعشيت الأبصار فهى آيات أعتدت مشاهدتها وتكررت رؤيتها وسقط عن القلب وقعها وان عظم نفعها ولكن الهمة أن تكون من المستبصرين لا ممن أخذ الى الأرض من الغافلين الجامدين .

خليلى قد طال المقام على القذا      وحال على ذا الحال يا قوم أحوال  
فاطلب رعاك الله مرافقة سكان الملوك وعشاق الجبروت ، فان كنت تحب أحدا لما بينك وبينه من التشاكل والتناسب فأحب الملائكة الأعلی سكان ملكوت الله تعالى فان فيك ما يشاكلهم تمام المشاكلة ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ) وليس غذاء هذا الجوهر النفيس الا العلوم والمعارف ولا مطلبه الا السرور والجور ولا أمنيته الا الاطلاق من جميع التقييدات والاطلاع على جميع المغيبات وهو من عالم التقديس والتطهير، ولكنك نسيت عالمك الأول منذ فارقته وأشتغلت بمطالب هذا الهيكل الجثمانى الذى لا بد له من الفناء فأنست بالظلمات وتمرت على احتمال الآفات .

من يهن يسهل الهوان عليه      ما الجرح يميت ايام  
ولذلك يصف القرآن من هذا حاله بالموت لأنه أمات أفضل غريزه فيه بل أمات خاصته التى هو بها انسان على الحقيقة فيقول ( أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ) وقد استولت عليك هذه المطالب الجسمانية حتى أنستك عالم البهجة والبهاء فصرت لاتعرفه ولا تحس به وانه لموطن روحك ومحل أنسك وليست الروح تحب هذه الملاذ الجسمانية الا لأجل بدنائها لا لأجل ذاتها وأما مطلبها الذائق وغذاؤها الأسمى فهو الأسرار والأنوار ولما طال بها

العهد وهى فى سجن الظلمات ومحل الآفات نسيت ماهى مستعدة له ومخلوقة لأجله وهو فى الحقيقة نسيان لنفسها ( نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ) فكأن لم يكن لها عهد بالصفاء ولا علاقة بعالم الجمال

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر  
أسأل الله أن يعيد لأرواحنا صحتها الأولى ويخلصها من أمراضها التى أضعفت منها تلك الحاسة العليا التى هى مناط لذتها الكبرى وشرفها الأعلى وخاصتها الأولى ويرزقنا محبة الله ومحبة الانبياء الذين هم أطباء الأرواح وأساتذة النفوس بمنه وكرمه

يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

## شباك طبيعية لصيد الأسماك

يوجد فى غابات غينا الجديدة نوع غريب من العنكبوت لا يزيد حجمه عن البندقة الصغيرة يحيك نسيجه بين غصون الأشجار . وتستعمل أهالى هذه البلاد هذا النسيج لمتانته ومناعته ضد البلل فى صيد الأسماك . وتبلغ مساحة هذه الشبكة حوالى أربعة أمتار مربعة وتتسع حلقاتها عند محيطها الى ٨ س م<sup>(١)</sup> ثم تأخذ فى الضيق نحو الوسط حيث لا تزيد عن السنتيمتر المربع الواحد . وكثيراً ما تقيم الأهالى سيقان الغاب فى النواحي التى تكثر فيها هذه العناكب لتنسج عليها شباكها ثم تنتزعها من بينها بسهولة .

(١) نقلا عن مجلة العلم الشائع الأمريكية

## قضية البربر بالمغرب الأقصى

كانت الصحف قد نشرت أن الفرنسيين بالمغرب يتدخلون في شؤون البربر الدينية ، ويعملون لإخراجهم من الاسلام الى النصرانية ، وقام لهذه الحادثة العالم الاسلامي بالانكار والاحتجاج ، وكان الريب بخسالج بعض الناس في هذا النبأ لا اعتقادهم أن ليس في أولى القوة اليوم من تحدّثه نفسه بالتعرض لعقائد القوم وحرمانهم من التمتع بحقوقهم الدينية، وقد قامت لدينا شواهد كثيرة تدل على صحة ذلك النبأ وتثبت أن الفرنسيين بالمغرب قد وجهوا قصدهم في غير موارد الى فصل البربر عن بقية اخوانهم المسلمين وتحويلهم الى الديانة المسيحية .

ومن هذه الشواهد الظهير الذى صدر من سلطان مراكش في اليوم السابع عشر من ذى الحجة سنة ١٣٤٨ — ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ ونشرته «الجريدة الرسمية للدولة المغربية» في ٨ المحرم سنة ١٣٤٩ — ٦ يونيه سنة ١٩٣٠ .

ومقتضى هذا الظهير تنازل سلطان المغرب عن حقوقه الدينية في البربر لفرنسة وتحويلها النظر في شؤونهم المدنية والجنائية واحوالهم الشخصية ، ومن فصول هذا الظهير المختص بشؤون البربر ما يأتى :

«مع مراعاة القواعد المتعلقة باختصاصات المحاكم الفرنسية بآلاتنا الشريفة فان الدعاوى المدنية أو التجارية والدعاوى المختصة بالعقارات أو الثغولات تنظر فيها محاكم خصوصية تعرف (بالمحاكم العرفية) ابتدائية أو نهائية كما تنظر المحاكم المعروفة في جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أو بأمور الارث وتطبق في كل الأحوال العوائد المحلية»

«ان المحاكم الفرنسية التى تحكم في الأمور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها ، لها النظر في الزجر عن الجنايات التى يقع ارتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حال مرتكبها .

صدر هذا الظهير فاضطرب له المغرب الأقصى وقاموا بمظاهرات في المساجد وبعض الشوارع فاخذت الحكومة تسوق المتظاهرين الى السجون ، ولم تمنعهم هذه الشدة أن يقدموا الى السلطان خطابا مصحوبا بلائحة<sup>(١)</sup> طالبوه فيها بالنظر في أمر هذه الفتنة الرائعة، ولدينا نسخة من هذا الخطاب وأخرى من هذه اللائحة مأخوذتان بالآلة المصورة وعليها توقيعات جمع عظيم من أعيان المغاربة، ومما يقولون في الخطاب «وكان الأمير الجليل يوسف بن تاشفين وهو من صميم البربر ينشر دعوة الاسلام ومعالمه ويستصحب لكافة القبائل أجله العلماء استرشادا لهم في اجراء الشعائر الاسلامية دون توان أو فتور أو تراخ أو قصور، واقتفى أثره في ذلك ملوك البربر كالموحدين وبنى مدين حينا بعد حين ، واستمر لواء الشريعة على عهدهم منشورا ، وجند الخفية السمحة مؤيدا منصورا في جميع انحاء المغرب : مدنه وقراه ، عربيه وبربره» .

اما اللائحة فتحتوى ثلاثة عشر مطلباً وهى :

- (١) احترام نفوذ جلالة السلطان بالمملكة وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية .
- (٢) اصدار ظهير يجعل سائر الحواضر والبادى خاضعين لحكم الشريعة الاسلامية .
- (٣) تنظيم المحاكم الشرعية واصلاحها وتعميمها في جميع القطر المغربى .
- (٤) توحيد برامج التعليم في سائر المدارس التى تؤسس لتعليم الأهالى سواء في المدن أم في القبائل وتعميم اللغة العربية التى هى لغة القرآن وتعميم تعليم الدين الاسلامى .
- (٥) احترام اللغة العربية لغة البلاد الدينية والرسمية في الادارات كلها .
- (٦) إيقاف حركة المبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم ومنعهم من التجول بالقبائل ونشر أى شىء يمس كرامة الاسلام وكرامة النبي صلى الله عليه وسلم .
- (٧) عدم منح أى اعانة من ميزانية الدولة أو ملك من أملاكها للجمعيات التبشيرية وللساعين في تشييد الكنائس ومنشآت التبشير في أطراف البلاد المغربية .

(٨) عدم السماح للمبشرين باحداث ملاجىء للايتام واللقطاء ومدارس صناعية أو علمية للبنين أو البنات ، والاتفاق على ذلك من المال المعد للمصالح العامة وأموال جماعة المسلمين كما هو مقرر في الشريعة الاسلامية ، أما ماسبق تأسيسه فاما أن تقوم به الحكومة واما أن يقفل ، وعلى أى حال لا يبق تحت تصرف المبشرين .

(٩) لا يعين الرهبان والمبشرون في مدارس الحكومة للتدريس أو المديرية بها .

(١٠) عدم التعرض لفقهاء المكاتب والشراطين<sup>(١)</sup> بالقبائل واعطاء الحرية للوعاظ والعلماء وشيوخ الطرق للتجول بالانحاء المغربية بقصد تعليم الناس أحكام دينهم وحثهم على شعائره .

(١١) اسقاط جواز التنقل بداخل الايالة المغربية التى يحصل بها بعد الحضر عن البدو ، ويتعذر بسببها التفقه في الدين .

(١٢) اعتبار جميع السكان الموجودين بالبلاد المغربية ماعدا الاجانب تحت رعاية مولانا السلطان وسلطته خاضعين للمحاكم الشرعية والمخزنية التى تؤسس باسمه الشريف ، وكذلك اعتبار جميع المغاربة مما عدا اليهود مسلمين بمعنى أنه لا توجد ملة ثالثة للمغاربة الوطنيين .

(١٣) منح العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين في سبيل هذه القضية وعدم التعرض لكل من خاض فيها .

نأخذ من هذه المطالب صحة أمور يعزوها المراسلون والواردون من بلاد المغرب الى الفرنسيين هنالك فان قولهم في المطلب السادس «ايقاف حركة المبشرين» يدل على صحة مايلفنا من طرق شتى ان لرجال الكنيسة حركة تبشير يقومون بها في المغرب عامة وفي القبائل البربرية خاصة والفرنسيون يساعدونهم بما يستطيعون من قوة ، وقولهم في المطلب السابع «عدم منح أى اعانة من ميزانية الدولة أو ملك من

(١) الذين يكتبون الشروط ويشهدون بين الناس على مقتضى الفقه الاسلامى



أملأها للجمعيات التبشيرية» ناطق بصحة ماذاع في الشرق من أن القوة المحتلة تقطع من مال الدولة المغربية أموالا تصرفها لرجال الدعوة الكاثوليكية مساعدة لهم على نشر النصرانية بين المسلمين ، وما كان ينبغي لها أن تأخذ جانبا من أموال المسلمين وتنقصه في مناوأة دينهم الحنيف والقضاء على شريعتهم الغراء ، وقولهم في المطلب العاشر «عدم التعرض لفقهاء المكاتب والشراطين وإعطاء الحرية للوعاظ وشيوخ الطرق الصوفية للتجول بالأنحاء المغربية الخ !! ؛» يصدق ماوردت به الرسائل من أن فرنسة سدت في وجه هؤلاء طريق التجول في بلاد البربر ، وهى لاتسد في وجوه هؤلاء طريق التجول الا حين تريد أن تقطع عنهم الدعوة الاسلامية ، وقولهم في المطلب الحادى عشر «اسقاط جواز التنقل بداخل الايالة المغربية» يحقق لنا أنها تريد أن تقطع الصلة بين قبائل البربر وبقية المدن فقررت لهذا الغرض الا ينتقل أحد من بلد الى بلد الا بتصريح حتى لاتأذن لأحد في دخول بلاد البربر الا أن يكون من أوليائها أو لاتخشى منه أن يقوم بدعاية خلاف دعايتها . وقولهم في المطلب الثالث عشر «منح العفو العام . عن جميع المسجونين والمنفيين الخ» يؤيد ماتتابعت عليه الرسائل من أنها كانت تسوم كل من يظهر منه انكاره عقاب النفي أو السجن .

قضية تنصير القبائل البربرية اندفع اليها الفرنسيون في صراحة بعد أن كتب فيها كتابهم وحشهم عليها بعض قسهم ، والاّن بين أيدينا مقالات متعددة لبعض كتابهم يرسمون فيها خطة قطع البربر عن تعاليم الاسلام وتحويلهم الى مسيحيين فرنسيين ، منها مقال بقلم المسيو كيو محرر جريدة الصليب بباريز نشرته مجلة «المروك كاثوليك» (المغرب الكاثوليكي) في عددها الصادر في نوفمبر سنة ١٩٢٣ وقالت : انه بحث في هذا المقال بحثا دقيقا في العنصرين (العرب والبربر) المتناقضين التناقض الكلى .

ذكر صاحب هذا المقال شيئا من تاريخ البربر وأورد وجوه التناقض في زعمه بينهم وبين السكان من العرب وقال . «ولذلك فهم المشير<sup>(١)</sup> ليوتى أن ذلك التناقض

البعيد بين العنصرين كفيل بجلب المصالح لدولة فرنسة ، مدفوعا الى تلك الحقيقة بما له من سرعة الذكاء الذي يريه رأى العين جانب المنفعة التي يستغلها من الرجال والاشياء ، ولما شاهد من الاشياء التي تصدر من سكان الأطلس تحقق أن تلك المقاومات البربرية ليست تتجه نحو فرنسة ولكن نحو السلطان ، واستخلص من ذلك أن تلك القبائل تطيع بسهولة حكومتنا أكثر مما تخضع لسلطة السلطان» وذكر أن ليوتى هذا «أنعم على البربر بشبه استقلال داخلى وسمح لهم باتفاق مع السلطان بعدم ذكر السلطان نفسه في صلواتهم وعدم أداء الضرائب» وقال «ان البربر أميل الى الخضوع لنفوذنا أكثر مما يميلون الى الخضوع لسطوة السلطان لما لهم من المشابهات الكثيرة بفلاحى فرنسة الا مشبهات تقربهم من العرب الرحالة ، ولذلك فاندماجهم فينا (في الفرنسيين) يكون سهلا كثيرا» ونقل صاحب هذا المقال عن الجنرال مانجار أنه قال عن أهل المغرب «ان تشبثهم بعقائد الدين يفوق تشبثهم بشعائره فاذا لم نصادمهم في العقيدة تمكنا من هدم بناء القرآن وتعاليم محمد» ثم قال صاحب المقال «وهذه هى حالة البرابرة نفسها» وقال «فان طريق استيلائنا على البلاد البربرية صارت ممهدة ، وسيكون ذلك الاستيلاء باسم فرنسة لا باسم السلطان ، ويكون ذلك الاستيلاء بوسيلة المدرسة ونعنى المدرسة التبشيرية لا المدرسة المدنية الملحدة ، ومما لاشك فيه هو اتخاذ احتياطات لان التبشير علينا يتسبب عنه ايقاظ تعصب المسلمين ، ولكن لنا اليقين بان الاستيلاء مع طول المدة سيتم أمره» .

وقال «فاذا كان المغاربة يبعثون بابنائهم الى مدارس اليسوعيين ببيروت وغيرها من مدارس الكاثوليك فلماذا لا يبعث البربر بابنائهم لمدارس النصرانية التي تؤسس في نفس بلادهم ، ويكون ذلك مثلما هو واقع بالقبائل في الجزائر المسكونة ببرابر لافرق بينهم وبين برابرة المغرب» وقال «ان عزم المسيو ليوتى على تأسيس كنيسة جامعة بالرباط على رأسها أسقف كاثوليكي فرنسي يعينه رهبان من طريقته في عمله وتنشيطه لمدارس الرهبان ، كل ذلك يشعر بأنه يقدر نفوذ هؤلاء الرهبان العظيم

حق قدره ، ذلك النفوذ الذي سيظهر أثره في المسلمين»

فقد رأيت هذا المقال كيف يلهج بدعاية الفرنسيين الى تنصير البربر ، ويصرح بأن المشير ليوتي قد ابتدأ في تنفيذ هذه الخطة اذ اعطى للبربر استقلالهم الداخلي وأمرهم باسقاط السلطان من خطبة الجمعة ، واذا قال الكاتب : فعل ذلك باتفاق مع السلطان : فاننا نعلم مامعنى اتفاق السلطان مع فرنسة وهى باسطة على رأسه سلطانها وأما اعطاؤه للبربر استقلالهم الداخلي فلا نفهم له معنى غير أنه انتزع زمام أمرهم من يد السلطان وابقاه في يده ليديره على ما يوافق مآرب الاحتلال .

ويقول المسيوليوتي في منشور أرسله الى رؤساء الاستعلامات «لأحاجة لنا في تعليم العربية للمستغنين عنها (يعنى البربر) والعربية رائد الاسلام، ومصلحتنا تأمرنا بأن نمدن البربر خارج طور الاسلام» وقد تتابع رجال السياسة الفرنسية بالمغرب على قصد تجريد التعليم البربرى ماله صلة بالاسلام، وهذا المسيومارقي المستشار بوزارتي العدلية والصدارة الآن يقول في كتابه (مغرب الغد) يصف سياستهم في البربر «فالمدرسة الفرنسية البربرية هى فرنسية باعتبار ما يقرأ فيها ، وبربرية باعتبار تلاميذها ، ولا حاجة لنا الى وسيلة أجنبية حيث أن التعليم العربى وتدخل الفقهاء وكل المظاهر الاسلامية ستبعد عنها قطعاً ، واننا سنجذب الينا بوسيلة هذا التعليم الصبيان البرابرة ، وبذلك نبعدهم جبراً عن كل ما يطلق عليه لفظ «اسلام»

هذا قليل مما تحت أيدينا من مقالات معربة من مجلاتهم ومؤلفاتهم وجميعها يحقق أن مانشرته الصحف وجاءت به الرسائل وتحدث به القادمون من المغرب هو واقع لامية فيه .

ولم يبق بعد هذا الا أن يعرف رجال فرنسة ما يثيره هذا العمل من فتنة زيادة على أنه خارج عن قانون العدل ، فيأخذوا على ايدى القائمين به ويتركوا البربر وسائر بلاد المغرب يقومون بشعائهم الدينية ويتمتعون بحقوقهم الاسلامية .

محمد الخضر حنين

# الفتاوى والأحكام

ورد ادارة المجلة السؤال الآتى :

يهمنى أن تتكرموا بعرض المسألة الآتية على قلم التحرير لتمحيصها وبحثها على مقتضى مذهبي الامامين الشافعي والحنفي لكثرة الجدل حولها وعدم الوقوف على حقيقتها ، وهى :

هل يسوغ لشافعي أو حنفي الاقتداء بالكي تحقق لهما أنه تَوْضُأً بقاء مستعمل ؟  
ثم هل يصح للشافعي أو الحنفي أن يقلد المالكي في الوضوء بالماء المذكور «المستعمل» ويصليا على مذهبهما أم لا .  
شبرايس ابراهيم محمد راشد

## الجواب

اقتداء تابع أحد المذاهب في الصلاة بمخالف له في المذهب من المسائل التي جرى فيها الخلاف بين أهل العلم من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة ، واليك البيان :  
مذهب الحنفية — : الأصح في مذهب الحنفية أن الحنفي اذا تحقق من الشافعي مثلاً أنه أدخل بشيء مما يراه الحنفي شرطاً أو ركناً في الصلاة لم يصح اقتداؤه به ، قال الشيخ الشرنبلای في حواشيه على الدرر «واما الاقتداء بالمخالف فان كان مراعيًا للشروط والاركان عندنا فالأقتداء به صحيح على الأصح ، ويكره والا فلا يصح أصلاً» فالحنفي اذا رأى من الشافعي ما يفسد الصلاة في مذهبه لم يصح اقتداؤه به .

وذهب أبو بكر الرازي من الحنفية الى جواز الاقتداء بالمخالف في الفروع باطلاق فقال «يجوز للحنفي الاقتداء بمن يخالف مذهبنا من المجتهدين وتقليدهم وان رأى فيه ما يبطل الصلاة على رأيه ومذهبه» ونقل ابن الهمام عن شيخه سراج الدين الشهير بقارى الهداية : أنه كان يعتقد قول الرازي حتى أنكر مرة أن يكون فساد الصلاة بذلك مروياً عن المتقدمين . وللشيخ محمد عبد العظيم بن فروخ رسالة اعتمد فيها قول الرازي وبني رسالته عليه حيث قال «هذا (يعنى قول الرازي) هو المنصور دراية وان اعتمدوا خلافه رواية وهو الذى أميل اليه ، وعليه يتمشى مذهبنا اليه في هذه الدقائق

فاذا تحقق حنفى من مالكى أنه تَوْضُأً بقاء مستعمل لم يصح الاقتداء به في المشهور من مذهب الحنفية وساغ له الاقتداء به في قول أبى بكر الرازى .

مذهب الشافعية — : الأصح في مذهب الشافعية — كما في المجموع للإمام النووى — أن المأموم اذا تحقق ترك الامام لشيء هو في اعتقاد المأموم معتبر في صحة الصلاة لم يصح اقتداؤه به ، وان تحقق اتيانه به أو شك في ذلك صح الاقتداء .

وذهب أبو بكر محمد بن على القفال من أكابر علماء الشافعية الى ان العبرة باعتقاد الامام فيصح اقتداء الشافعى بالحنفى أو المالكى اذا أتى بالصلاة على الوجه الصحيح في مذهبه وان لم تكن صحيحة على مذهب المأموم وتحقق المأموم ذلك ، فلو مس حنفى امرأة أو ترك الطمأنينة في الصلاة مثلاً لم يصح اقتداء الشافعى به على ما هو الأصح في المذهب، وصح الاقتداء على قول أبى بكر القفال، فاقْتَدَاءُ الشافعى بمالكى تحقق له أنه تَوْضُأً بقاء مستعمل ينعى جمهور الشافعية ويجيزه القفال .

مذهب المالكية — : المقرر في مذهب المالكية : أن الاقتداء بالخالف في المذهب صحيح ولو لم تكن صلاته صحيحة على مذهبهم كأن يترك الدلك أو مسح الرأس في الوضوء ، قال الشيخ خليل في مختصره «وجاز اقتداء بمخالف في الفروع الظنية ولو اتى بمناف لصحة الصلاة كمسح بعض رأسه»

مذهب الحنابلة — : يجيز الحنابلة الاقتداء بالخالف في الفروع كالمالكية قال الشيخ ابن تيمية في فتاويه «وكان أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الحجامة والرعاف ، فقليل له فان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ ، أفصلى خلفه ؟ فقال كيف لأصلى خلف سعيد بن المسيب ومالك ؟»

ومعنى هذا الجواب أنه يصح للحنبل أن يصلى وراء المخالف في المذهب وان تلبس بما ينافي الصلاة في مذهب الامام احمد بن حنبل ، فان سعيد بن المسيب ومالك ابن انس لا يريان الوضوء من خروج الدم وقد أنكر احمد بن حنبل على من تردد في الاقتداء بمن يرى رأيهما وقد خرج منه الدم ولم يتوضأ .

وجه صحة الاقتداء — : قد عرفت ان المالكية والحنابلة وأبا بكر الرازى من الحنفية وأبا بكر القفال من الشافعية يميزون الاقتداء بالمخالف في الفروع الظنية على الاطلاق،

ووجه هذا المذهب أن الأصل صحة اقتداء المسلمين بعضهم ببعض ، ومن ذهب الى عدم الصحة فعليه اقامة الدليل ، ولم نر للقائلين بعدم الصحة الا دليلا هو اعتقاد المأموم أن امامه على خطأ ، وهذا غير كاف في الاستدلال ، لأن المأموم يعتقد مع ذلك أن عمل الامام صحيح عند الله اذ كل مجتهد مطالب بان يعمل على مقتضى اجتهاده ومن قلده انما يعمل على مقتضى هذا الاجتهاد ، واذا كان عمل المجتهد أو من يقلده صحيحا عند الله فما المانع من الاقتداء به ؟

ثم ان السلف من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين كانوا يختلفون في الفروع ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تخرج من الاقتداء بمن يخالفه في اجتهاده .  
تقليد الشافعى أو الحنفى للمالكى :-

يجوز لأحد اتباع الأئمة المجتهدين تقليد مذهب امام آخر اذا لم يقصد التلاعب ، وهذا ما كان في عهد الصحابة رضى الله عنهم ، فانه لم يرد انهم انكروا على العامة تقليد أحدهم في بعض المسائل وآخر في غيرها ، والمدار على أن يكون قاصد الانتقال من مذهبه على بينة من صحة الحكم في المذهب المنتقل اليه ، كان يتلقاه من عالم أمين ، وصحة الوضوء بالماء المستعمل ثابتة في مذهب مالك ، فاذا توسأ الشافعى أو الحنفى بالماء المستعمل مقلدا مذهب الامام مالك فصلاته صحيحة .

هذا مايقوله المحققون من علماء الاصول غير أن منهم من يذكر للانتقال شروط وأهم هذه الشروط ان لا يحصل بالانتقال صورة يقع الاجماع على بطلانها كأن يتزوج بغير صداق ولا ولى ولا شهود ، وان لا يكون شأنه التقاط رخص المذاهب أينما وجدها .

وهذا الحكم واضح فيما اذا لم يعمل في الحادثة بمذهب امامه قبل الانتقال الى مذهب غيره ، اما الانتقال في حادثة سبق له العمل فيها بمذهب التزم تقليده فقد حكى فيه ابن الحاجب والامدى الاتفاق على المنع ، وأنكر ابو عبد الله الزركشى في كتابه «البحر المحيط» هذا الاتفاق وذكر أن الخلاف جار في الانتقال بعد العمل أيضا أى أن من أهل العلم من يجيز للعامى ان ينتقل في الحادثة الى مذهب آخر ولو سبق له العمل فيها بمذهب امامه

# العلوم والآداب

## المسلمون في الروسية<sup>(١)</sup>

١ - حالتهم من الوجهة الداخلية

٢ - أول المهاجرين من المسلمين

دعاة الانفصال - الاتحاديون - « البيض »<sup>(٢)</sup>

ان فكرة الانفصال لا ترجع فقط الى عهد اعتلاء البلشفية منصة الحكم كما يتوهم البعض في فرنسا ، ولا يجب ان يتسرب الى الذهن أنها وليدة ذلك الانقلاب المريع وحده الذى لم يكن الا احد عواملها وسببها من الاسباب التى نشأت عنها لأن تلك الفكرة فكرة الانفصال ليست بجديدة العهد بل دعى اليها قبل أن يعرف الناس شيئاً عن الشيوعية. تلك ظاهرة اجتماعية لها مثل من الظواهر الطبيعية اذ نرى ان القوى الدافعة تظهر طلائعها قبل أن نلمح المركز الذى تنبعث منه ، مثال ذلك النداء الذى رفعه مسلمو روسية الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية عند انعقاد مؤتمر الجنسيات بلوزان (سويسرا) في شهر مايو عام ١٩١٦ من الميلاد حيث جاء به ما يأتى :

« نحن مسلمى روسية من تاتار وبشكير وسارت وطاجيك وتركان من شعوب القوقاز الجبلية البالغين خمسة وعشرين مليون نفس نحتج بشدة على اضطهاد حكومة روسية لنا ممانيه فينا شعور التضامن والتعاون ذلك الشعور الذى لم نكن نعرفه من قبل ان تلك الحكومة تحول بيننا وبين اقامة شعائر ديننا الذى هو اقدس تراث لنا وقد حاول الروس عام ١٨٩٢ من الميلاد أن يدخلوا في القرآن بعض التحريف والتعديل واستهانوا بحقوقنا السياسية المعترف بها قانوناً ولم يقيموا لها وزناً أو يحترموا لها شأناً هذا الى ما قاموه من العقبات ونصبوه من العراقيل في سبيل تقدمنا المادى والفكرى فضلاً عن أنهم قيدوا توظفنا في الجيش والادارة والمحاكم وضيقوا علينا

(١) مترجم عن الفرنسية من كتاب البلشفية والاسلام لجوزيف كاستنيزيه

(٢) « البيض » هم الروسيون المعارضون للحكم الشيوعى كما أنه يطلق على الشيوعيين اسم « الحمر »

سبل الاحتراف بالمهن الحرة واغتصبوا اراضيها واعطوها غنيمة باردة لكبار المقربين منهم ، ومنذ أن أقامت الحرب لم يبقوا للعدل ظلا ولا للعدالة أثرا وأخذوا يسوموننا سوء العذاب ويذيقوننا أشد العقاب بدون تحقيق وبلا دفاع.

وختم النداء بهذه العبارة :

«فهللوا الى اغائتنا وتعالوا الى نجذتنا من الهلاك والدمار !! »

ووقع عليه بالنيابة عن المسلمين اصحاب الامضاءات الآتية :

قازى عبد الرشيد ابراهيم -- اغا اوغلى احمد بك -- اختشورا اوغلى يوسف -- حسين زاده

ليس المجال هنا مجال بحث تلك المطالب وتمحيصها بل كل ما نرمى اليه من سردها هو أن نبين أن العناصر المعارضة للحكم الروسى والداعية لفكرة الانفصال ليست بحديثة العهد أو أنها وليدة الانقلاب الروسى الاخير ، ولا تخلو الاشارة اليها من فائدة من الوجهة التاريخية

اما المهاجرون المسلمون انصار فكرة الاتحاد فيمثلهم حزب يدعى «تورك عدى ومركزيت فرقة زه» ويرمى الى انشاء دولة روسية متحدة تؤسس على مبادئ جديدة ولنبحث الآن مبادئ ذلك الحزب حسب ما جاء ببرنامجه الذى نشره بمدينة اليزا ابتول في ابريل سنة ١٩١٧ : اعلن اعضاء هذا الحزب في برنامجهم أن يكون شكل الحكومة جمهوريا اتحاديا (لامركزيا) وارادوا بذلك أن يمنح الاستقلال الذاتى للمقاطعات التى يسود فيها العنصر التترى وأن تمنح الجزر الواقعة بعيدا عن الروسية وفيها اقلية من التتر استقلالاً ذاتيا اهليا .

فأما المقاطعات ذات الاستقلال الذاتى المحلى فيكون لها السلطة التشريعية والتنفيذية وتؤلف منها الولايات المكونة لدولة الروسية الاتحادية وتشارك معها في نظام الجيش وخطط الدفاع عن كيان الدولة وفي السياسة الخارجية وسك النقود ونظام الضرائب المقررة على البضائع (الضرائب الجمركية) وتكون تلك المقاطعات مستقلة في كل المسائل المتعلقة بسياساتها الداخلية .



واما الطوائف التى تتمتع باستقلال ذاتى أهلى والموجودة خارج روسية فانها تتحد تحت ادارة عامة وترتبط برابطة مليه ووطنية ويوضع لها نظام يحدد فيما بعد .  
واما المسألة الدينية فانها تحل بطريقة يكون أساسها حسن التفاهم والتسامح المتبادلين بصرف النظر عن الخلاف القائم بين السنيين والشيعيين .

من ذلك نرى أن هذا البرنامج برنامج شعبى وتغلب عليه روح الافكار الحديثة وانه وان لم يكن برنامجا اشتراكيا الا أن الحزب الاتحادى قد قرر في ختامه انه يعتمد لتحقيقه على هيئات العمال .

ويلاحظ عند درس هذه الوثيقة السياسية التى وضعت في العهد الاول من الثورة أن واضعيها لم يتنحوا كثيرا عن المبادئ التى اعلنها منذ زمن بعيد أول الداعين لفكرة الحكم الشعبى (الديموقراطى) في الروسية وكان يمثلهم حزب «الزراع الاشتراكيين» الذى كان يدعو دائما الى مبدأ الحكم الاتحادى (اللامركزى) والى تأسيس ولايات روسية ذات استقلال ذاتى .

الا انه لم يتبع هذا البرنامج الحزب الدستورى الشعبى (الديموقراطى) الذى تأسس وتسمى باسم مختصر دعاه «الشاب» وكان مكونا من أصحاب الاموال والجاه وقويا بنفوذه الفكرى والادبى وذلك بفضل الصفات البارزة التى كان يتحلى بها اعضاؤه المنتخبون من صفوة رجال العلم والأدب وقد كان هذا الحزب بطبيعة تكوينه ذا ميول ظاهرة لتأييد مبدأ الحكم المركزى ولا يرى اعضاؤه تطبيق مبدأ الحكم الذاتى على بولونيا وفنلندا .

قد يخيل لنا ان تلك الافكار قد أكل عليها الدهر وشرب واصبحت عتيقة لا يعمل بها الآن ولا تستحق الدرس والبحث ولكن لكى يتسنى درس هذا الموضوع من الوجهة التاريخية لم نر بدا من أن نأتى بموجز عن تاريخ الحركة الوطنية الاسلامية قبل الحكم الشيوعى وعن اوجه الشبه ونقط الخلاف التى بينها وبين الآراء التى قامت عليها حكومتنا الشعبية (الديموقراطية) .

ان مجال هذا الموضوع لا يتسع لسرد تاريخ الحركة التى قام بها «البيض» الا أنه يجب ألا ننسى أن اهم ادوار ذلك العراك الذى دارت رحاه بين «البيض» و«الحمر» كانت مبادئه فى كثير من الاحيان المقاطعات الالهة بأغلبية من التتر الذين كانوا بطبيعة مركزهم مضطرين الى الاشتراك فيه اشتراكا فعليا اما بصفة ضحايا معتدى عليهم واما بصفة فاعلين أصليين معتدين .

اما الاشتراكىون الثوريون (الزراع الاشتراكىون) اعضاء الجمعية التأسيسية المنحلة فقد اشتركوا فى صيف سنة ١٩١٨ مع بعض العناصر الشعبية (الديموقراطية) فى تنظيم حركة ضد البلاشفة واتخذوا ميدانا لها فيما وراء الفولجا ، وكونوا لهم لجنة ادارية دعوها «اوقا» وكان التتر يشدون ازهم فى هذه الحركة وجعلوا قازان أهم هدف وجهوا اليه جهودهم كما كان يسعى اليها فى نفس الوقت الجيش التشيكوسلوفاكى وكان الا تامان دوتوف قائد قوزاق اورنبرج من اهم مساعدى امير البحر (الاميرال) قولتشاك الذى قام بحركة فى بلاد البشكير .

واذا انتقلنا الى جهة جيوش «البيض» فى الجنوب لألفينا أول نواة للمقاومة حيث تأسست فى عام ١٩١٨ حكومة شعبية من تتر بلاد القرم تحت رئاسة القائد سولكيفيتش احد تتر ليتوانيا وبجانبه المسيو فيناور احد زعماء الحزب الدستورى الشعبى (الشاب) وكان وزيرا للخارجية والمسيو نابو كوف من اعضاء الحزب المذكور وتقلد وزارة الحفائية ، وكان القائد دينكين يعتمد على قوقاز الشمال ، وقد التف حول الراية الثلاثية الالوان كثير من المسلمين الذين يقطنون الجبال .

وفى مايو سنة ١٩١٩ اقيمت حكومة اسلامية فى الداغستان تحت رئاسة القائد خليلوف حليف دينكين الا أنها لم تدم طويلا بسبب ملاقته من مقاومة الانجليز . واما الحكومة المعارضة للبلاشفة فكانت حكومة شعبية باوسع معانى الكلمة ومكونة من رجال السكك الحديدية فى اسخاباد وكان التتر كمان أهم قوة حربية تعتمد عليها وتقلد اوراز سردار وزارة حريتها .

ان تلك الملاحظات الوجيزة تتيح لنا بأن نقرر مايشهد بالفخر لمواطنينا المسلمين<sup>(١)</sup> الذين لم يقفوا ازاء الحركة الاستقلالية التي قام بها مسلمو الروسية موقف الحياد بل لعبوا فيها دورا مهما واشتركوا اشتراكا فعليا في النضال الذي قام به اخوانهم في الدين ببلاد الروسية، نعم ربما يكونون قد اخطأوا في اشتراكهم ولكن ليس هذامهما وانما المهم انهم شاركوهم في البأساء والضراء . هذا ولا يمكن ان ننسى الدور المشرف الذي لعبه المسلمون في الحركة التي قام بها البيض في دورها الأول واتخذت شكلا شعبيا حماسيا .

## موجز

### تاريخ مصر والاسلام

وضع الاستاذان الفاضلان الشيخ محمود ابو العيون مفتش العلوم العربية والدينية ، ومحمد الحسيني افندي رخا مفتش الادب بالمعاهد الدينية، كتابا في تاريخ مصر والاسلام ، يتألف من أربعة أجزاء ، وقد ظهر منها الآن جزآن : الأول يشتمل على السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين ، وبه خريطتان لبلاد العرب وبعض مافتح الاسلام من البلاد ، وصور فوتوغرافية لجبل عرفات ومكة والكعبة والمدينة وجبل حراء والحجر الاسود وغير ذلك من المشاهد العربية الاسلامية .

والجزء الثاني يشتمل على تاريخ قدماء المصريين وفتح مصر والدولتين الأموية والعباسية وبه كثير من الخرائط والصور الخاصة بالآثار المصرية .

طبع الجزءان بمطبعة المعارف طبعا متقنا للغاية ، وثن الجزء <sup>٢</sup> ٦ قروش وسيظهر باقى الأجزاء في الشهر المقبل ان شاء الله تعالى .

وموضوعات هذا الكتاب محررة بعبارات سلسلة ، مع شرح المفردات وضبط اسماء الأعلام . فتحت أهل العلم والأدب على اقتنائه .

وتطلب الأجزاء من المؤلفين بادارة المعاهد الدينية بشارع الدواوين بالقاهرة

## القسر والحرية في التربية

للاستاذ الدكتور جرارد بوده

مترجمة عن الألمانية



اختلفت الآراء في الوقت الحاضر اختلافاً بيناً في وسائل التربية لاعداد نشئ، قوى الأخلاق وأفراد حرة الرأي قوية الآداب، ويتنازع في ذلك مذهبان متضادان المذهب الأول هو المذهب القسرى الذى يرى أن لا وسيلة الى التربية الحلقية القوية الا بالضغط الشديد . والمذهب الثانى هو المذهب الاختيارى الذى يرى أن الحرية المطلقة هى أعظم كفيل لتربية نفوس مستقلة كثيرة الاعتماد على نفسها .

ويرجع المذهب الأول الى ما كان متبعاً في القرن الماضى في المدارس من النظام العسكرى الاجبارى ويرى أن في تقييد الحرية الطريقة المثلى لتربية رعايا مطيعين وساعد على انتشار هذا المذهب في التربية وقتئذ انتصار «هيجل»<sup>(١)</sup> له وتبريره اياه في كتابه «السلط الاستبدادى على العقول في المائىة» الذى قال فيه : (ان الطفل بفطرته لا يعرف الخير ولا الشر فمن الحماقة أن نعتبر هذا الجهل البرىء مثلاً أعلى نتطلع اليه فلا قيمة له ولا بقاء ، اذ سرعان ماتظهر بوادر العناد والشر في الطفل ولا سبيل الى تبديد العناد ودفع الشر الا بالتربية القسرية)

ويرمى هذا المذهب الى غرس روح الخضوع والاستسلام المطلق في الناشئين لئلا تسود بينهم الوقاحة والسلطة ويتحكم فيهم الغرور .

تنبه علماء التربية الى ما في ذلك المذهب من خطر على تكوين اخلاق النشئ فان الاشراف الكلى عليهم ومضايقتهم بوضع حدود للمباحات والمحظورات والارتياح في السماح لهم بالحرية الكافية لتدريبهم على الشعور بالمسئولية الشخصية يكون عقبة في

(١) هو د جورج فلهلم فريدرش هيجل ، ( ١٧٧٠ - ١٨٣١ م ) أحد كبار فلاسفة الالمان

سبيل تكوين نفوس حرة تعتمد على نفسها .  
ولقد صرح «البارون فون شتين»<sup>(١)</sup> في حديث له بأن الثقة بالمرء تعلو من قدره  
كما أن الرقابة الشديدة تعوقه عن بلوغ كماله .

هذا الى أن التربية القسرية تغري النشء بالاحتيال على التخلص من قيودها  
المرهقة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا معتقدين أن الغرض يبرر الوسيلة . فلا ينتظر  
لهذه الطريقة الخطرة على التربية الحلقية من النتائج الا الخضوع وعدم الشرف .  
ولطالما ارتفعت شكوى أصحاب الرأي السديد في القرن المنصرم من نقص  
الأخلاق الناتج عن مثل هذه القيود التي كثر ادخالها في المدارس العالية .  
ولذا فان إعادة مثل هذا النظام الاستبدادي في التربية في الوقت الحاضر يعد  
عملا عقيا اخرق .

ولما ظهر فساد هذا الرأي في التربية القسرية رأى الفريق الآخر من علماء  
التربية أن الحرية المطلقة ونبد الانقياد والطاعة أعظم كفيل لتكوين نشء متين  
الأخلاق كثير الاعتماد على النفس .  
وهكذا يذهب كل من الرأيين مذهبا متطرفا وينظر الى التربية من جهة واحدة  
فالأول يقتضى الطاعة المطلقة ويقتضيها في كل أمر على حين أن الآخر يرى أنها  
عقبة كؤود في سبيل النشوء الطبعي .

وقد انتصرت للمبدأ الأخير المربية «بركنز ستسون» في كتابها «تربية الأطفال»  
اذ قالت ان في الخضوع والانقياد تلف للأخلاق فبه يتعود النشء على عدم الثبات  
على رأيه والاستسلام الى تضحية ارادته، وأيدها في ذلك الكاتبة المعروفة «ألن كاي»<sup>(٢)</sup>  
فوضعت على هذا المنوال منهجا في التربية في كتابها المشهور «جيل الطفل» الذي  
اشارت فيه الى «جوته»<sup>(٣)</sup> الذي أوضح في مؤلفه «فتر» أن قوة الارادة في

(١) هو «البارون هيرش فريدرش كارل فون شتين» (١٧٥٧ - ١٨٣١ م) أحد كبار رجالات السياسة الألمان

(٢) «ألن كاي» (١٨٤٩ - ١٩٢٦) كاتبة سويدية مشهورة

(٣) هو يوهان فلغناج فون جوت (١٧٤٩ - ١٨٣٢ م) أكبر شعراء الألمان

الرجل انما هى وليدة العناد في الطفولة وأن جميع مساوئ هذا العهد تعد خواص مميزة للأطفال لا يجب القضاء عليها لما تحويه من بذور خير وانما ينبغي تعهدها بتحويل وتنويع مستمر حتى تصبح عديمة الضرر ، فيجدر بالمربي أن يجتهد في تحويل عناد الطفل الى متانة في اخلاقه وقوة في ارادته ومكرد الى نباهة وافتتانه بحب الظهور الى لطاف في المعاشرة وقلقه وتأثره الى نشاط وحب في العمل .

يجب أن يغمض المربي عينه عن غلطات الطفل في غالب الأحيان كما يجب عليه أن يحذر أن يتدخل فيها مباشرة تجنباً للزلل ، وانما المهارة في التربية الطبيعية هى في استرعاء يقظة الطفل الى من نشأ وترعرع بينهم .

وبذلك لاغير يتأتى للطفل أن يصل الى ادراك معنى الاعتماد على النفس والاستقلال في الرأى .

وترى «ألن كاي» أن النظام القديم القسرى يفرضه على الطفل الطاعة المطلقة والانقياد الكلى انما يقضى عليه بفناء ذاته في ذل واستكانة بخلاف النظام الجديد الاستقلالى القائم على الحرية فإنه ينهض بالنشء ويقومه فلا يكون على المربي الا أن يعينه حتى لايدب اليه الاضمحلال بسبب ما في نفسه من ضروب الضعف .

أن معارضة زعماء التربية الاستقلالية لمذهب غلاة التربية الاستبدادية القسرية التى تقتضى الانقياد والطاعة العمياء مما ينبغي أن تتلقى بالقبول والاستحسان ، ولكن التربية المطلقة من كل قيد المراد ادخالها هى أشد خطراً على تكوين اخلاق النشء من مجرد تقييده، فان التطور الذاتى المطلق البعيد عن الطاعة يقود النشء الى الانقياد لأهوائه المتقلبة ونزعاته الجارحة وذلك أضر أنواع العبودية ولا يمكن معه وجود معيشة مشتركة بين الناس تسود فيها الآداب المرعية وفضلاً عن ذلك لاينشأ عنه اشخاص أقوياء الاخلاق اذ أن مثل هؤلاء الاشخاص لايتكونون الا اذا كبحت جماسح الشهوات والملاذ الشخصية فيهم وهذا مصداق لحكمة «جوتيه» القائلة (مت لتجيا) يتضح من هذا كله أن الحرية المطلقة كالضغط المطلق كلاهما ضار بالتربية ولايجب أن ننصح باتباع أحدهما بل ينبغي أن نجتمع بين الاثنين. فلا يقال القسراً والحرية

بل القسر والحرية . فلا تستغنى التربية عن الضغط كما لا يجب أن تبتعد عن الحرية في بعض الأحيان ، فيجب على المربي أن يضغط على الطفل كما ينبغي عليه أن يترك له الحرية اللازمة .

ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟

هذا هو ما أجاب عنه «الدكتور بريفر» مفتش التعليم في المانية بكتابه « كيف نربي أولادنا ،

يجب ارغام الطفل على الطاعة عند ما تمرد أثرته على الآداب العامة المرعية والناموس الطبعي وتركه في حرية عند انقياده لها مختارا لا بد أن يدرك الطفل معنى الآداب العامة والناموس الطبعي السائر على جميع البشر كما وأنه لا بد أن تترك له الحرية حيث تقوده خبرته المستنبطة دون الاضرار بحقوق رفاقه ، كما يجب تركه مستقلا في حياته الوجدانية فلا ينبغي أن نسعى في حمله على حب أى انسان أو بغضه فان الميل والنفور نحو الناس أو الاشياء لا يمكن التأثير فيهما بل ينشآن من تلقاء نفسيهما وليكتف المربي مؤونة ذلك ، وذلك على الأخص في الامور الظاهرة التى لاقية لها ، فلا يجب مطالبة الطفل بالطاعة الجازمة حيث لاداعى لها وأن لا يصير المربي على أمره بشىء اذا كان عدم تنفيذه لا يسبب ضررا جساميا أو نفسيا .

وأما حيث يقتضى اجبار الطفل على أمر فينبغى على المربي أن يجتهد ما استطاع في تنبيه شعوره الى أن هذا الأمر لا يمكن مخالفته وأنه مقصود به المصلحة وبذلك يتمكن من ايجاد الثقة في النشء وبدونها لا يمكن تربية سلطان حقيقى بالوسائل الظاهرة الكاذبة التى يدعو اليها أصحاب مذهب التربية القسرية .

فالطاعة التى لا بد منها في التربية الصحيحة يجب أن تصبح تدريجيا طاعة اختيارية ولا سبيل الى ذلك الا بتجنب طلبها في صيغة الأمر المجرد . وانما يجب حمل النشء باطنا على مراعاة الطاعة وشروطها بطريق المجاملة بواسطة الثقة ، وبذا لا يشعر النشء بأن التربية عبء ثقيل بل يقوم بتنفيذ قواعدها طيبة بها نفسه .

وهكذا تحل محل الطاعة الظاهرة طاعة أخرى باطنة يتلائم فيها الضغط مع الحرية .  
وعلى هذا الاساس السليم تتكون التربية الخلقية القوية .  
وينطبق على الطاعة الباطنة قول «جوتيه» (بالطاعة أشرف في نفسى بأكبر معانى الحرية) .

## انقضاء عصر المنظار

( مترجمة عن مجلة « Die Umschau » الألمانية )

اخترع الدكتور هيننه الاستاذ في أمراض العيون بجامعة كيل في ألمانيا زجاجا جديدا يلتصق بسطح العين تحت الجفن وقامت معامل زيس الألمانية بأعداد المقاييس المختلفة من هذا الزجاج الذى ينبىء بانقضاء عهد المنظار العادى .  
ولقد استغرقت المباحث الطبية في عيادة طب العيون بالجامعة الألمانية بمدينة كيل سنين طويلة للتحقق من مزايا هذا النوع من الزجاج المثبت على المنظار العادى المستعمل الآن ، فانه علاوة على منظره الجميل حيث يكاد لا يرى فان الانسان يستطيع الاستعاضة به في قصر النظر الى ٢٠ وحدة من مقياس النظر « Dioptrie » وفي كل أنواع طول النظر كما يمكن بواسطته ضبط احدى العينين للنظر الى مسافات طويلة ، والاخرى الى مسافات قصيرة وبحركة مثل هذه الزجاج المثبتة حسب حركات العين تتسع بها دائرة الرؤية بخلاف المنظار العادى الذى يحدد مثل هذه المناطق، هذا فضلا عن حفظ النوع الجديد من الزجاج لدرجة الحرارة ومقدار الرطوبة ولا تعلق الغشاوة .

أما ميزاته في الالعب الرياضية وقيادة السيارات والاستحمام والعموم فلا تنكر ثم هو بالرغم من وضعه الداخلى يفضل المنظار العادى اذا ما أصيب بعطب أو كسر ، فان العين تسلم من قذى الشظايا كما دلت على ذلك التجارب العديدة المختلفة وقلما تسلم عند كسر المنظار العادى .



## مبادئ عامة

في الاقتصاد السياسى<sup>(١)</sup>

### الحياة الاقتصادية (١)

« النشاط الاقتصادى »

الحاجيات : يشعر المرء بحاجيات كثيرة ويسعى جهده لسدها ، فمنها ما هو خاص بكيانه الجثمانى وقوام وجوده وهى من المساس بحياته بحيث لا يستطيع أن يعيش بدون سدها كالحاجة للأكل والشرب والنوم .

اما الحاجيات الأخرى وهى ما تسمى احيانا بحاجيات المدنية أو بالكماليات فانها لا تبلغ من شدة لزومها لنا مبلغ الحاجيات الأولى الضرورية ، ولا يقصد من سد الحاجيات الكمالية سوى زيادة هناء بنى الانسان ووفرة راحتهم وتنمية اجسامهم وتوسيع مداركهم وتحسين أخلاقهم بقدر الامكان .

الخدمات : يسعى الناس لسد حاجياتهم بواسطة الخدمات التى يمكن أن يؤديها لهم بعض الاشياء ، او التى يقوم لهم بادائها بعض الاشخاص ، فالدار مثلا تؤدى لساكنها خدمة بأن تقيه البرد والحر والمطر ، والأغذية والملابس تؤدى لنا خدما لاغنى لنا عنها ، وكذلك نحن في حاجة لخدمات الأطباء والمحامين والمدرسين والعمال والفنيين ولقنات كثيرة من الناس لاعد ولا حصر لها ، وانا نرى طبقة الاغنياء تشكو من أنها لا تحصل على خدمات الخدم الا بكل صعوبة .

الأموال : ان لفظ « الأموال » في لغة الاقتصاد يطلق على الاشياء المادية التى من شأنها او التى نعتقد أن من شأنها ان تسد حاجيات الانسان اما مباشرة

(١) مترجم من الفرنسية من كتاب « موجز في الاقتصاد السياسى للاستاذ ب ريبوه ( P REBOUD )

كالماء الذى يطفىء الظمأ أو غير مباشرة كالمجارى الذى تجلب الماء ، ويطلق كذلك على تلك الأشياء في كثير من الأحيان اسم «ثروات» فيقال مثلاً: يدرس الاقتصاديون طرق انتاج الثروات ووسائل تبادلها ونشرها وتوزيعها واستهلاكها. ولكن لا يؤدي أحد اللفظين (الأموال أو الثروات) تماماً المعنى المراد التعبير عنه للفكرة المقصودة لأنه لم يجر العرف بأن يطلق على القارورة لفظ «مال» أو على الخيط (الابرة) لفظ «ثروة» إلا أن الاقتصاديين قد قنعوا بهاتين الكلمتين لعدم وجود ما هو خير منهما لكننا نفضل استعمال لفظ «أموال» على كلمة «ثروات» التي لامراء في أنها تؤدي معنى الرخاء والثراء .

هذا ويجب علينا أن نفرق بين نوعين من الاموال : أموال لأملاك لها كالهواء والنور والشمس ، واموال لها مالك خاص وهذا هو الحال في جل الأموال الموجودة بالدول القديمة الغاصة بالسكان كبلادنا (فرنسة) وتسمى باسم (أموال اقتصادية) وهى التي يعنى بها رجال الاقتصاد ، فعند الكلام في هذا الموضوع عن لفظ «أموال» يجب أن يفهم منه «الاموال الاقتصادية»

هذا وان الناس بدافع حاجياتهم يسعون للحصول على خدمات يزعمون — بحق أو بغير حق — أنها تسد تلك الحاجيات ، فاذا كانوا يتوقعون الحصول على تلك الخدمات من أشياء مادية فانهم يبذلون جهدهم لجنيها أو لصنعها بأنفسهم أو لشرائها أو لاستعارتها أو لاكترائها ، ولو كانت الخدمات يقوم بها غيرهم من الناس فانهم يدفعون ثمنها كالخدمات التي يقوم بها الخدم والعمال والأطباء والمحامون وأصحاب المصارف وكل من يمكنهم أن يؤدوا لهم خدمات ما وهم يدفعون ثمنها اما نقدا واما نوعا بأن يقوموا لهم في نظير تلك الخدمات بخدمات أخرى أو أن يعطوهم أموالا غيرها في مقابلها .

النشاط الاقتصادي : النشاط الاقتصادي هو شكل من أشكال النشاط الانساني الذي بواسطته يحصل المرء على الخدمات التي تؤديها الاشياء أو التي يقوم

بها الأشخاص وينتظر منها أن تسد حاجيات الانسان . وبهذا النشاط تتجلى مظاهر «الحياة الاقتصادية» لفرد من الافراد أو لجماعة من الجماعات ، وهذه الحياة تتلخص كلها في ثلاثة الفاظ: «حاجيات» (ومنها تتولد الرغبات) «وجهود» (للحصول على الشيء المرغوب) «وسد الحاجة» (الناشئ عن تحقيق الرغبة)

الاقتصاد : ان مجموع الأعمال الاقتصادية والشروط التي تؤدي فيها تلك الأعمال والنتائج التي تنجم عنها كل ذلك يكون النظام الاقتصادي لفرد من الأفراد أو لجماعة من الجماعات هذا اذا اعتبرنا أن الناس يعيشون في هيئات اجتماعية وان كل ظاهرة معدودة جزءا من أجزاء الاقتصاد هي ظاهرة اقتصادية .

فاذا كان الناس يعيشون في عزلة عن بعضهم كما عاش سلكيرك ( SELKIRK ) في جزيرته غير الاهلة بالسكان لما وجدت سوى ضروب فردية من الاقتصاد حيث يمكن فقط أن يروى تاريخ كل فرد منهم على حدته وتكتب سيرهم الشخصية ولما وجد علم الاقتصاد ، واذا كانوا يعيشون جماعات مجتمعة في بلاد واحدة لكنهم مستقلون بعضهم عن بعض تمام الاستقلال وقام كل فرد منهم بسد حاجياته بمفرده لما وجد كذلك الا أنواع فردية من الاقتصاد يمكن أن تكون موضوعا لدراسة سير شخصية أو لدراسة احصائية ولما وجد اقتصاد سياسى .

افتقار الناس بعضهم لبعض : ان أمثال روبنسون ( Robinson ) شواذ لا يقاس عليهم لأن الناس ينتمون لهيئات اجتماعية مرتبطة ببعضها وذات نظم مختلفة اختلافًا كثيرا أو قليلا وتتكون منهم تلك الهيئات . هذا وليس الناس مندمجين في تلك الجماعات مجرد اندماج لا تربطهم أية رابطة بل هم على العكس متضامنون تضامنا وثيقا ومفتقر بعضهم لبعض .

ففي بعض الهيئات الاجتماعية التي بلغت درجة ما من الرقي والتقدم يرى أن حاجيات كل فرد فيها أصبحت من الكثرة والتشعب بحيث يعجز عن القيام بها

وحده . فالزارع يأكل حنطته ويكتفى بشروبه ولكنه لا يصنع ملابسه ولا آلات حصده وزرعه ولا عجلات نقله ولا معدات ركابته .

فلكى نستطيع الحصول على «الاموال» التى نحن فى حاجة اليها والخدمات الشخصية التى لاغنى لنا عنها يجب على كل فرد منا أن يطلبها الى من يستطيعون اداءها ويدفع ثمنها اما من أمواله الخاصة واما أن يؤدى فى مقابلها خدما لغيره فحاجيات الفرد يمكن اذن أن تسد اما بواسطة أموال أو بخدمات الآخرين .

من ذلك تتكون علاقات اقتصادية عديدة بين أعضاء كل هيئة اجتماعية كالعلاقات التى بين البائع والمشتري أو بين صاحب المصنع والصانع أو بين المعير والمستعير وكذا علاقات بين المنتجين وبعضهم وبين المستهلكين وبعضهم وبين العمال وبعضهم وغير ذلك من العلاقات العديدة التى لاعداد لها .

( يتبع )

## الظرف والملح .

سمع يونس بن حبيب رجلاً يُشَدُّ :

إِسْتَوْدَعَ الْعِلْمَ قِرطاساً فَضِيعَةً      وَبُسَ مُسْتَوْدَعَ الْعِلْمِ الْقِرطاسُ

فقال يونس :

قاتله الله . ما اشدَّ صيانتَه للعلم وصيانتَه للحفاظ ؟ انَّ علمك من روحك . وانَّ مالك من بدنك . فصُنْ علمك صيانتَكَ رَوْحَكَ . وصُنْ مالك صيانتَكَ بدنَكَ .

قال شاعر حكيم :

اذا ما الحى عاش بذكر ميته      فذاك الميت حى وهو ميت

ومن يك يته يتا رفيعا      وهذمه فليس لذاك يد

## اللاسلكى وكيف يصل الى الاسماع

جاء بمجلة العلم الشائع الأمريكية ( Popular science ) فى وصف كيفية وصول اللاسلكى الى الاسماع أن مقدارا وافرا من الآلات الكهربائية المعقدة التركيب تعمل بلا انقطاع لتبرز غشاء مكبر الصوت الذى لايزيد وزنه على أوقية أو أقل .

فاذا علمت أن ملايين من مكبرات الصوت تعمل كلها بنظام واتساق فى وقت واحد وأن الاذاعة اللاسلكية لا يكون نصيبها النجاح الا اذا بلغت أقصى مراتب الدقة الفنية اتضح لك أنه يستحق مايبذل فيه من الوقت والمال والمجهود الآلى العظيم وفيما يلى وصف لكيفية وصول الصوت اليك بالمنزل .

ان التيارات الكهربائية الضعيفة التى تسرى فى متلقى الصوت بالمكان الذى تعزف به الموسيقى أو يخاطب به الخطيب تصل الى لوح تجتمع فيه الأصوات يطلق عليه اسم مُجمّع الأصوات حيث تتألف وتنسجم وقد تستعمل عدة متلقيات للصوت لتلقى أصوات جوقة واحدة ويقوم مراقب مجمع الأصوات بضبط درجة الصوت الصادر من كل متلق من حيث الارتفاع والانخفاض ويجعل منها كلها وحدة كاملة الانسجام.

وترسل الاهتزازات الكهربائية الناتجة بعد مضاعفتها وتكبيرها الى غرفة الارسال الرئيسية حيث تنقسم قسمين قسم يرسل الى محطة الارسال التى تقوم باذاعة البرنامج والقسم الآخر يسرى فى اسلاك الى محطات أخرى . وفى كل مائة وخمسين ميلا محطة تقوم بتكرار البرنامج وتضاعف قوة الاهتزازات ، ومن ثم ترسلها الى المحطة التى تليها وهكذا دواليك .

وكلما وصلت الاهتزازات الى محطة من محطات الاذاعة تلقتها جهازات الارسال واندفعت منها الى القوائم الهوائى <sup>(١)</sup> فتنتشر فى الجو بقوة هائلة ويلتقطها موصل الجهاز اللاسلكى الذى يكون بالمنزل ، ويقوم جهاز الاستقبال بتكبيرها وتحويلها الى موجات صوتية تصل الى سمعك بواسطة مكبر الصوت .

(١) سلك موصل للأمواج الكهربائية .

## أسرار البيضة

مترجمة عن مجلة Woche الألمانية

ليضة الطيور استدارة خاصة فلا تديرها الأمهات وقت الحضانة الا حول محورها الطولى . ولا يتكون فيها الجنين الا وظهره الى أعلى وبطنه الى أسفل مهما تغير وضع البيضة على هذا المنوال وقت الحضانة .

وذلك يرجع الى تركيب مخصوص بداخلها كثير الشبه بالمنصباح المعلق في السفن . وهذا التركيب عبارة عن خيوط لولبية من الزلال الكثيف مثبتة في نهايتي القشرة المنبجعة ومعلق بها الصفار من نقطتين فوق محور ثقله وبذلك لا يتغير وضعه مهما دارت البيضة حول نفسها في المحور الطولى ، وبما أن تكوين الجنين بداخل البيضة يبدأ من نقطة على سطح الصفار العلوى وظهره الى أعلا يبقى كذلك مهما اختلف وضع البيضة وقت الحضانة والفقس .

ولهذا الترتيب فضل في تكوين الفرخ تكويننا صحيحا سالما ، فقد لوحظ أنه لو وضعت البيضة رأسيا مثلا داخل صندوق التفريخ الصناعى وأفسد بذلك عمل الجهاز السابق لأفرخت فرخا مشوها لم يكمل فيه تكوين حائط البطن وانكشفت امعاؤه ، ومن ذلك يتضح أن هذه الخيوط الزلالية اللولبية انما وضعت لوقاية أجزاء الفرخ من هذا التأثير السىء الناشئ من الضغط ، فان أعضاء المكونة من خلايا رقيقة جدا لاتتحمل ضغط أحدها على الآخر بل لابد من صيانة وضعها في الوضع الطبيعى أو بعبارة أخرى لابد من تكوين الجنين وظهره الى أعلى وبطنه الى أسفل . ويتنفس الجنين داخل البيضة كما يتنفس كل حيوان فيستنشق الاكسجين ويطرد الغاز الفحوى فلو صقلت القشرة بدهان يسد مسامها وفتحاتها — وما هى الا فيفساء من قطع الجير — لاختنق الجنين بداخلها وهو في بدء نشوئه .

يبدأ الجنين باستنشاق الهواء الموجود داخل فراغ الطرف المنبطح ثم لايلبث أن يتمص الاكسجين خلال مسام القشرة اذا ما نفذت كمية الهواء بداخلها .

وتوجد لهذه الاسباب أدوات جلب الهواء داخل صناديق التفریح الصناعي وبدونها يفسد الهواء بداخلها ويحل محله ثانى اكسيد الكربون ، أما عضو التنفس في الجنين فهو الامعاء وبها عدد كبير من الاوعية الدموية وتلتصق بالسطح الداخلى للقشرة.

## الطرف والملح

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا مشعر القراء . استَبِقُوا الخيراتِ وابتغوا من فضل الله . ولا تكونوا عيالا على الناس .  
وقال الشاعر الواعظ :

افضل من ركعتي قنوت      ونيل حظ من السكوت  
ومن رجال بنوا حصونا      تصونهم داخل البيوت  
غدو عبد الى معاش      يرجع منه بفضل قوت

قال الامام الحافظ يوسف بن عبد البر : وهذا مما لاخلاف فيه بين علماء المسامين قديما وحديثا .

قال شاعر

وقد تغدُر الدنيا فيُضْحِي غنيها      فقيرا وَيَغْنِي بعد بؤس فقيرها  
فلا تقرب الامرَ الحرامَ فانه      حلاوته تَفْنِي وَيَبْقَى مريرها  
فكم قد رأينا من تكدُّر عيشة      وأخرى صفا بعدا كدرارٍ غديرها  
كتب بعض الشعراء الى أخيه يعزيه على ابن له يقال له محمد :

إصبر لكل مصيبة وتجلد      واعلم بان المرء غير مُخلد  
واذا ذكرت محمدا ومصابه      فاذكر مُصابك بالنبي محمد

قال شاعر حكيم :

ليس الكريم بمن يدنس عرضه      ويرى مروءته تكون بمن مضى  
حتى يشيد بناءهم بينائه      ويزين صالح ما أتوه بما أتى

## الوراثة<sup>(١)</sup>

من المسلم به اجمالاً أن الوراثة البشرية ثابتة لايعتريها التغير والتبدل وأن الخواص الجديدة لا تتكون الا بطريق المصادفة أو بالرياضة أو بمضى آلاف السنين . وقد بحث الاستاذ أروين باور بألمانية امكان تعديل الطبايع باستعمال مقويات كيميائية وعضوية .

وأظهرت الأبحاث التي أجريت في الحشرات والنبات أنه من الممكن احداث ضروب من التغير فيها بتعديل خاص في الجزء الملون من الخلية ( الكروموزوم ) وتوصل البحاث الأمريكيون الى أن المادة المشعة (الرايوم) تحدث تغييرا في نواة الخلية -- كما نجح الاستاذ باور في تغيير النبات -- ليس بتعديل تركيب نواته فقط بل بتعديل المادة الأولية بالخلية (البروتوبلازم) أيضا .

وقد لوحظ أن النبات استمر على نموه وازدهاره بعد غمره في محاليل ساخنة أو باردة أو بعد تعريضه لفعل المخدرات كالأثير أو الكحول ولم يطرأ على أعقابها أى تغيير . الا أن عوارض القصر والانحلال وانشاء الوريقات والزهور بدأت تظهر عليه فيالعقب الثالث . ويتضح من ذلك أن العوامل التي تؤثر في الخلية البشرية لايمتد تأثيرها الى الجيل الثالث فحسب بل أنها تبدأ فعلا من هذا الجيل . وقد صرح الاستاذ أرنست رودن أمام جمعية تقدم العلوم الألمانية أن كثيرا من ابناء المصابين بمرض الخوريا<sup>(٢)</sup> الوراثة قد أصيبوا بهذا المرض في دور الطفولة وأن ٣٣ في المائة من ابناء المصابين بنوبات انقباض النفس الجنونية يمتابهم هذا الضرب من الخبال و١٠ في المائة من ابناء المصابين بالصرع يصرعون به . و١٣ في المائة من ابناء المصابين بالتشنج العصبي (الهستريا) يعرفونهم هذا التوتر في الأعصاب .

فمن الواضح أن حالة الطفل العقلية هي صورة جلية من الحالة التي كان عليها والداه ، وان النتائج التي وصلوا اليها لتعديل خواص الحيوان والنبات قد تؤدي يوما الى تخفيف وطأة الوراثة في الانسان .

(٢) مرض عصبي من عوارضه تقلص عضلات الجسم

(١) مترجمة عن مجلة العلم الأمريكي



# تفسير لبعض الألفاظ العلمية

المصطلح عليها في الكهرباء

مترجمة عن مجلة Gruene Post الألمانية

كثيرا ماتخبط على الانسان معانى المصطلحات العلمية في الكهرباء وهى لشيوعها في العالم جميعه رأينا ضرورة ايضاحها تذليلا للصعوبة ومنعا للالتباس :

القلت « Volt » — ان التيار الكهربائى في سريانه كثير الشبه بالمياه داخل الانابيب . فكما يجب ضغط المياه لرفعها وجريانها يستلزم سريان التيار الكهربائى الضغط أيضا ، ويسمى هذا الضغط بالطاقة أو الجهد في التيار ووحدته قياسه هى ( القلت ) . فيدل بذلك عدد القلت على مقدار الضغط الذى يدفع التيار الكهربائى في الاسلاك الموصلة .

الأمير « Amqere » — ينتج عن الضغط على أى مادة اندفاعها ، فتقاس كمية المياه مثلا التى تنبثق بتأثير ضغط مخصوص بالترتات وتزداد هذه الكمية بازدياد الضغط ، وأما وحدة القياس في الكهرباء فهى ( الكولومب ) . و ( الأمير ) هو عبارة عن كولومب واحد في الثانية الواحدة ويدل بذلك على قوة التيار الكهربائى .

الأوم « Ohm » — تتوقف كمية المياه المنبثقة بتأثير ضغط مخصوص على نوع وشكل الانبوبة التى تجرى فيها المياه ، فكما كانت الانبوبة خشنة وضيقة عاقت سريان المياه فيها ، كذلك يصادف التيار الكهربائى مقاومة في الأسلاك الموصلة ويتوقف مقدار هذه المقاومة على نوع وشكل الأسلاك ، ووحدته قياس هذه المقاومة هى ( الأوم ) وهو عبارة عن المقاومة التى تسمح بمرور تيار قوة أمير واحد اذا كان الضغط قلتا واحدا أيضا .

الوات « Watt » — لا يمكن الانتفاع عمليا بالتيار الكهربائى مهما عظمت طاقته ( أى الضغط المسبب سريانه ) اذا لم تكن له قوة كما لايمكن الانتفاع به

ايضا مهما زادت قوته اذا قلت طاقته ، فلا بد للتيار الكهربائى من هذين العاملين حتى ينتفع به في الأغراض العملية وتقاس كفاءة التيار وقدرته العملية بالوحدة المسماة (وات) وهى عبارة عن الكفاءة العملية لتيار قوة امبير واحد تحت ضغط قلت واحد ايضا .

كيلو وات في الساعة — : وهو عبارة عن شغل ١٠٠٠ وات في ساعة زمنية .  
وبعددها تقدر مصاريف استخدام التيار الكهربائى .

قوة الحصان — هى القوة اللازمة لرفع ٧٥ كيلو جرام الى ارتفاع متر واحد في ثانية زمنية واحدة ، وقوة الحصان الآلية تقابل الكيلو وات في الكهربائية الا أنها تقل عنها بقدر الربع تقريبا

الشمعة — : لاتستعمل في الكهرباء الآن ، وانما تقدر قوة اضاءة المصابيح الكهربائية بالوات ، ولكن مازال بعض علماء الطبيعة يستعمل الشمعة كوحدة للقياس . وقوة اضاءتها تعادل على وجه التقريب ثلث قوة اضاءة الشمعة الدهنية العادية . ويعبر بالشمعة المترية عن الاضاءة التى ترسلها الشمعة الى مسافة متر .

كيلو هرتز « Kilo Hertz » — وهو اصطلاح فى الآلات اللاسلكية ( الراديو ) ويدل على ١٠٠٠ ذبذبة فى الثانية الواحدة .

## الطرف والملح

قال الشاعر:

كُن حَيِّياً إِذَا خُلُوتَ بِذَنْبٍ	واحذر السخطَ من عِلَى مَجِيدٍ
وَيَكْ بارِزَتَ من يراك عُتُوراً	وتواريت عن عيون العبيدِ
وبجلم الأله عُدتَ الى الذنـ	ب ولم تحش غِبَّ يومِ الوعيدِ
أقرأت القرآن ام لست تدرى	أن ذا العرش دون حبل الوريد

## (١) الأجسام المتحجرة

كانت المركبات الحجرية التي على صور حيوانات سببا في انتشار الخرافات والحزعلات في الأجيال الغابرة ، وكان الاعتقاد السائد حتى القرون الوسطى أنها اما مصادفات طبيعية لاعلاقة لها بالحيوان أو النبات واما أنها نتيجة صنع الشيطان في سعيه لمحاكاة صنع الخالق جل شأنه مع عجزه أن يبعث فيها الحياة .

ولم يتنبه الى حقيقة أمرها وكنه أصلها الا نفر قليل من العلماء الباحثين أمثال «ليوناردو دافينسى»<sup>(٢)</sup> كما فطن لها فلاسفة وعلماء الأغريق من قبل واعترفوا لها بأنها بقايا حيوانات ونباتات شهدت يوما الحياة ثم ماتت وتركتها شاهدة على سابق وجودها وتحجرت بتأثير عوامل خاصة في أزمان سحيقة .

أصبحت هذه المركبات الحجرية — أو بعبارة أصح الأجسام المتحجرة — الآن بفضل تقدم العلوم واستيعاب الابحاث معروفة الا لنفر قليل من جهلة العامة مازالوا يعدونها سرا من الاسرار ويتوهمون فيها رموزا للتفأول أو التشاؤم .

وقد يسهل على الانسان أن يتخيل أشكال الاجسام المتحجرة مثل الأصداف والقواقع أو الآثار النباتية في الفحم وخلافه من الأحجار الا أنه يعسر عليه ادراك كيفية تحجر هذه الأحياء . ولم يهتم العلم بهذه الابحاث اهتماما جديا الا منذ زمن قريب فسهل البحث والاستقصاء الطريق للاهتمام الى غالب الظواهر والأدوار التي اجتازتها هذه الكائنات الى أن أخذت في النهاية الشكل الحجرى والتي يرجع اليها الفضل في حفظ هذه الأجسام ووقايتها من الاندثار مدى هذه الأزمان السحيقة والتي مازالت تعمل عملها لحفظ ووقاية أجزاء الكائنات النباتية والحيوانية للأجيال القادمة .

وبما أن النبات والحيوان يختلفان في تكوينهما من حيث المادة فدهى أن

(١) للاستاذ الدكتور سفن . مترجمة عن مجلة « Kosmos » الألمانية

(٢) هو ليوناردو دافينسى (١٤٥٢ — ١٥١٩ م) العالم الايطالى المشهور

الأدوار التي مرت بكل منهما تختلف باختلاف مواد تكوينهما ، ولذا يحسن بنا أن نأتى على تفصيلها بالنسبة لكل منهما على حدة .  
(تحجر الملكة النباتية)

قد يبدو لأول وهلة التباين الواسع بين النبات والأحجار إلا أن خيوطا خفية تصلهما في الدورة المادية الدائمة ، فيستمد النبات غذاءه من الأحجار وقد يكون مصيره إليها بعد الممات ، كما أن كثيرا من أعضاء الملكة النباتية يحتوى في تكوينه على بعض المواد المعدنية فإذا ما بلبت المواد العضوية بها بقيت هذه محفوظة على مدى السنين .

وقد يترك النبات أثرا ظاهرا في الطبقات الحجرية الفحمية أو الأوردوازية وذلك بتحوله تدريجيا إلى فحم بتأثير احتجاب الهواء عنه إذا دفن في الطبقات الطينية فتبقى المادة الفحمية في حين أن الطين يتصلب إلى أن يصير حجرا فيترك به النبات علامات وآثارا فحمية واضحة ، وما هذه الآثار في الحقيقة إلا النبات ذاته في صورة فحم وقد مهد له مرقدا في الحجر قبل يبسه وقد يتمكن الإنسان من رؤية مميزات ودقائق تكوين النبات في هذه الآثار ظاهرة .

وقد يبلى لب الشجرة قبل انحلال قشرتها الخارجية فيمتلأ جوفها بالطين والرمل عند سقوطها في باطن الأرض ويزداد هذا المزيج صلابة مع مرور السنين وتأخذ قشرة الشجرة الخارجية في الانحلال أو تتحول إلى فحم فيظهر الجذع كأنه سبيكة من الحجر تعلوها آثار مطبوعة من السطح الداخلى لقشرة الشجرة .

وكثيرا ما تبقى النباتات الحفرية <sup>(١)</sup> محفوظة بسبب ما يعلوها من المواد المعدنية في باطن الأرض التي تقيها من عوامل الانحلال ، ولا يوضح هذه الظاهرة عمليا يؤخذ محلول مشبع بالملح ويدلى به خيط ثم يركز المحلول بإضافة كمية من الجبس إليه فتعلق بلورات الملح بالخيط <sup>(٢)</sup> . ويقابل هذا المحلول المركز الرواسب الحجرية

(١) الحفرات هي الاجسام النباتية أو الحيوانية المدفونة باطن الارض وهى ضد الحديثة في تاريخ الكرة الارضية.  
فالاحياء الحاضرة تسمى الحديثة والمنقرضة يطلق عليها الحفرية  
(٢) تعرف هذه العملية بتجربة « جوتان »

في الطبقات الطينية أو الرملية الموجودة في المياه العذبة أو المملحة لما تحويه من مواد مذابة وهي التي تعلق ببقايا النبات أو ماشاكلة من الاجسام الغريبة كما تعلق بلورات الملح بالحيط ، ويعلق بالاجسام النباتية عادة الجير والدولوميت<sup>(١)</sup> والتراكيب الحديدية فتحمل بها ، وأوضح مثال لذلك وجود ما يسمى بالاعشاب الدولوميتية في طبقات الفحم الحجري وتظهر فيها أنسجة الأجزاء النباتية بكل وضوح كما يمكن فحصها ميكروسكوبيا مع أن الدولوميت لا يوجد في الواقع بطبقات الفحم الحجري . وقد تتسرب مثل هذه المواد الى داخل جسم النبات فتملأ فراغ خلياته وذلك عند وجوده في الأحواض الرملية وتسمى هذه الظاهرة بالتحجر الحقيقي وتغلب في تحجر جذوع الاشجار والاعشاب الأخرى وتعرف عندئذ باسم «الغابات المتحجرة» . ويرجع السبب في نشوئها الى كثرة وجود البلورات الصخرية في الرمال التي تعلق بسطح النبات وتتسرب الى باطنه كما تحل محل أجزائه البالية المتحللة .

وقد يكون أهم أدوار تحجر المملكة النباتية تحولها بالذات الى أحجار وهو المعروف بظاهرة تكوين الفحم ، وما زالت هذه الظاهرة تعمل عملها بأكثر معانيه أمام أعيننا في الوقت الحاضر ، فما تراكم المواد النباتية في الأراضي الملق والمستنقعات التي تربو على مليون كيلو متر مربع في وقتنا هذا الا بداية في تكوين الاحجار الفحمية وأول طور في تحويل النبات الى أحجار .

فهنا يأخذ النبات في الانحلال تحت تأثير عامل «التأكسد» البطيء مع احتجاب الهواء فتزداد مواده الكربونية وتقل جزيئاته الأخرى — خصوصا الأكسجينية — وبذلك يفقد شكله الخارجي وتتغير أنسجته شيئا فشيئا وتقل كتلته وتزداد صلابته ويأخذ لونه في التغمص وبذلك تتحول الاعشاب النباتية تدريجيا الى فحم حجري وانتراسيت<sup>(٢)</sup> خصوصا اذا ساعدت على ازدياد سرعة هذا التحويل عوامل أخرى

(١) الدولوميت كربونات الجير المشبعة بالمغنسيوم

(٢) الفحم الاسمر هو أول طور في تكوين الفحم لخداثة عهده في باطن الارض . والفحم الحجري هو أقدم أنواع الفحم عهدا . وأما الانتراسيت فهو نوع خاص من الفحم الحجري اللامع يحترق ببطء بدون لهب ولا رائحة ولا دخان ويقرب أن يكون من الكربون الخالص

مثل ضغط الطبقات الصخرية أو حرارة باطن الأرض .

يفقد النبات مميزاته مع قـدم عهده في باطن الأرض كما أسلفنا . الا أنه ليس من الصعب الاستدلال على قرابة الطبقات الفحمية للاراضى الملق حتى ليمسر على الانسان في بعض الأحيان التمييز بين طبقات الفحم الأبيض — وهى أحدث طبقات الفحم عهدا — والاراضى الملق . ويمكن تتبع أوجه الشبه هذه في جميع أطوار انتقال الفحم المختلفة كما يمكن الاستدلال عليها مباشرة دون الاحتياج الى اقتفاء أثر حلقات أوجه الشبه وذلك بوجود طبقات من الطين المتعفن أو من الرمل أو الطفل على صورة ألواح اردوازية أو أحجار رملية بين مناطق الفحم الحجرى كالتى نصادفها في الأراضى الملق الحالية .

وتتسع الاراضى الملق والمستنقعات الحاضرة بما عليها من أعشاب ونخائل لدراسة أكبر ظاهرة في تحويل النباتات الى أحجار كما تكشف لنا عن أسرار تكوين المناطق الفحمية في العصور الغابرة . « يتبع »

## الطرف والملح

قال يحيى بن طالب :

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَاضِرًا	إلى قَرْقَرَى يَوْمًا وَأَعْلَامُهَا الْخُضِرُ
إِذَا ارْتَحَلْتُ نَحْوَ الْهَيْمَةِ رُفْقَةً	دَعَاكَ الْهَوَى وَاهْتَاكَ قَلْبُكَ لِلذِّكْرِ
كَأَنَّ فَوَادِي كُلِّهَا مَرَّ رَاكِبٍ	جَنَاحُ غَرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وَكْرِ
فِي أَحْزَانٍ مَاذَا أَجْنُ مِنْ الْهَوَى	وَمِنْ مُضْمَرِ الشَّوْقِ الدَّخِيلِ إِلَى حَجَرٍ <sup>(١)</sup>
تَغْزِيَتْ عَنْهَا كَارَهَا فَتَرَكْتُهَا	وَكَانَ فِرَاقُهَا أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ
أَقُولُ لِمُوسَى وَالدَّمُوعِ كَأَنَّهَا	جَدَاوِلُ مَاءٍ فِي مَسَارِبِهَا تَجْرَى
أَلَا هَلْ لَشَيْخٍ وَابْنِ سَتِينَ حِجَّةٌ	بَكَى طَرَبًا نَحْوَ الْهَيْمَةِ مِنْ عَذْرِ

منقولة من كتاب الأستاذ ف. أسترن. العنوان : « الحالة النفسية للطفولة في عهدها الأول » المطبوع في ليبزج سنة ١٩١٤ بمطبعة كويله وماير — انظر صفحتي ٢٨٣ — ٢٨٤ .

## التربية الصامتة

تابع مقال

( مثال من عناية الالمان بتربية أولادهم )

المنشور بالعدد الخامس ص ٣٩٠

كنا أربع أخوات وقد عودنا من صغرنا أن نرتب ثيابنا بأنفسنا وكنا نتعاون في ذلك فكانت الكبرى منا ترشد الصغرى ففي يوم من أيام الاحاد وقبل أن يحين وقت الخروج للتنزه المعتاد عصرا أمرنا أبونا أن نأخذ أهبتنا له وحضنا على الاسراع لأنه مع تعويده لنا الترتيب كان يستمسك أيضا بالمحافظة على رعاية المواقيت فبادرنا فورا الى ارتداء أكيستنا وكانت آخرتنا في اللبس أختنا التي كانت في نحو الخامس عشر من عمرها ولكن واندم . . . فان رداءها الأسود كان مفتوق الحياطة في كميته وأحد جانبيه فتقا فاحشا فحاط لها أبي الفتق الخارجى غرزا صغيرة متقاربة بخيط أبيض خياطة غربية جدا فأضطرت أختي في هذه الحالة لا الى أن تفك الخياطة المصنوعة باهمال فقط بل الى تحمل التعب في فك الغرز المخيطة بالحيط الأبيض أيضا وأن تتنازل عن تنزهها معنا (وهي الآن تدير مشغل خياطة كبير خاصا بها ذا شهرة عظيمة بمهارة وحق)

ولا أظن أن واحدة منا نحن الأخوات لبست من ذلك العهد قطعة من ثيابها مفتوقة الخياطة لأن هذه القاعدة التي تلقيناها في التربية من غير كلام كانت من قوة الايضاح في نفوسنا بحيث أن هذه الحادثة وقد مضى عليها الآن نحو ثلاثين سنة مازالت تتمثل أمام عيني تمثيلا جليا في أكثر الأحيان خصوصا اذا رأيت خياطة مفتوقة .

## مثال من عناية الالمان بتربية أبنائهم

ترجمة صاحب التوقيع

( ٢ )

السيدة التى تكلمت عنها آنفا انتهت من هذا الى أنها لما كان أحد أولادها فيما بعد يبتدىء في حكاية مخترعة كهذه كانت تقول له وهى ضاحكة واهيا للقمر القديم الوفي فقد حكى لك في النوم حكاية مضحكة فأفادهم ذلك أن تعلموا الالتفات لأنفسهم وتدرجوا وحدهم في التمييز بين الحلم والواقع حتى أن أصغرهم وكان قد بلغ الثالثة من عمره تيقظ من نومه يوما ضاحكا وهويناديها بقوله : أمامه اليوم عرفت لأول مرة أنى حلمت حقا أنه لمضحك

قد انتقلت بنا الأقوال المخالفة للواقع الناشئة من عالم الحلم الى طائفة أخرى ثلاثة من هذه الأقوال الصادرة عن غير قصد يقال لها أكاذيب الخيال فان الأطفال الى أن يبلغوا الثانية عشرة من عمرهم يعيشون معيشة خيالية تخالف معيشة الكبار مخالفة تامة فتحشد في نفوسهم صورة مبينة لا يعرفون البتة معرفة واضحة ان كانوا انتزعوها من الواقع أو أنها ليست الا نتائج لأفكارهم ورغائبهم ومشتياتهم ، فمن ذلك أن رجلا من معارفي ذا مركز سام حكى لى ذات يوم أنه لا يزال يذكر ذكر جليا كيف أنه وهو في العاشرة من عمره بعد العطلة المدرسية الكبرى التى كان يقضيها في اقليم تورنجين قريبا من قصر لأحد الأمراء كان معدا لاقامة صاحبه كان يحكى لرفاقه عند عودته الى موطنه أنه كان أثناء هذه العطلة يمارس مع صغار الأمراء ألعاب الفروسية في فناء القصر وكانوا يلبسون الدروع الفضية من مستودع السلاح التابع لهذا القصر (وهذا المستودع العامر بأنواع الأسلحة وآلات الحرب كان قد أذن للغلام أن يتفرج فيه أثناء اقامته الصيفية فأحدث في نفسه أثرا قويا) وأن الأفراس المخصصة لتلك الألعاب أخرجت من اصطبل الأمير وغير ذلك وكان هذا الرجل





يستطيع ارتكاب كل شيء ، فقد وقع لى أن سمعت هذه الكلمات الجريئة من فتاة فيها شيء من العناد وهى فى السابعة من عمرها عند مانصحتها بالتزام الأدب اذ قالت أنا أستطيع أن أفعل ما أريد اذا اعترفت لوالدى بما أفعل فانه لايفعل بى شيئا .

وهنا مسألة يقف الربى فيها أمام حكم صعب بوجه خاص ذلك أن الثقة المطلقة بالطفل والصراحة التى لاحد لها بينه وبين والديه مهما كان مرغوبا فيهما ومهما كان فيهما من الحسن فهما لا يكفيان فى التربية ، فان ارادته الصغيرة فى حاجة الى موانع تقف دونها فاذا أريد تنشئته على الخير فلا يصح أن يطلق له العنان فيما يأتبه من العمل فادامت تعوزه الفطنة الراقية كانت العقوبات هى الزواجر الوحيدة وهى من أجل ذلك لابد منها له فلا يمكن الربى أن يستغنى عنها بالكلية ولا يسوغ له رعاية لمصلحة الطفل أن يهرب منها حتى ولو كانت صراحة المجرم الصغير أسرىء لديه لأن صراحة الطفل نفسها قد يعمل لها الطفل حسابا وقد أصاب الربى القديم الذكى الرقيق الشعور جان بول حينما قال ذات مرة فى كتابه المعنون « لثانا » بالصحيفة ٣٣ منه : كلما زادت التربية اطلاقا ازداد الطفل صدقا وانما لايجوز مع ذلك أن يترك العقاب ولا سيما حال تكرار الذنب فان عدم العقاب بالكلية باعتباره جزاء على صراحة الطفل ومكافأة له لا يصيره صالحا ولا صادقا ، أما أنه لا يصيره صالحا فلا أنه لايساعده على تذليل ارادته وقعها وأما أنه لا يصيره صادقا فلا أنه لا يعلمه الصدق الا بقيد أن لا يحصل له شيء بسببه وهذه المعاملة قد تكون صالحة مفيدة الى درجة ما فى الأطفال الصغار جدا وأما الأطفال المتقدمون فى السن الأذكاء فينبغى على العكس من ذلك أن تكون فى حقهم محدودة وأن لا تستعمل الا بتبصر .

غير أن الأكاذيب التى يدفع الطفل عليها الحظ والمنفعة لا تقتصر على أكاذيب الضرورة فقط بل تشمل أيضا الأكاذيب الحقيقية الصادرة عن ادراك وعلم ومنها الأكاذيب التى يحاول الأطفال بها أن يغشوا عن علم والديهم ومربيهم فهاذا يكون عملنا ازاها ؟ أحسن وسيلة فى هذا أن تقابل أكاذيب الطفل من أول الأمر بمبلغ

من الحزم والسلطان يزيل منه الاقدام على استئناف الكذب نعم ان هذا انما يكون ممكنا في أول عهد الطفولة وعند أول محاولة للكذب ومبلغ ما يمكن أن ينتج من الأثر من سلوك الوالدين هذا المنهج في معاملة أطفالهم يستتج من التجربة التالية في التربية فقد حكى والدان ما يأتي :

قالا تيقظنا فجأة ذات ليلة على صراخ بنتنا التي كانت اذ ذاك في نحو الخامسة من عمرها فدهشنا كثيرا من هذا القلق لأنها كانت من قبل تنام نوما متواصلا فقامت أمها فورا وأضاءت النور وأسرعت الى الغرفة المجاورة لغرفتنا حيث كانت البنت في سريرها الصغير فوجدتها في غاية التأثر وقالت لها البنت انها رأت في منامها الطائر الخيف الذي يأكل الدود .

عندئذ تذكرنا أننا قبل ذلك ببضعة أسابيع قرأنا لاطفال قصة النحلة «مايا» وحوادثها من كتاب «والدمار بونسلس» وأنه مذكور فيها أن الطائر آكل الدود الذي يستطيع منقاره أن يتدخل في كل شيء كان يتلنس جعارين قشور الأشجار من تحت هذه القشور ويأكلها وكانت بنتنا عند سماعها هذه القصة ترثى للجعارين المسكينة جد الرثاء وكانت تحكى لوالدها وهي على المائدة تفصيل ما وقع لهذه الجعارين الجديرة بالرثاء والرحمة وكلها عطف عليها غير أنه من ذلك الوقت لم يجر ذكر لهذا الطائر الشرير بل ان الطفلة كانت في هذه الأثناء قد سافرت لزيارة جديها ولبثت عندهما ثمانية أيام . على أنه كان من المستغرب أن تقلقها هذه القصة في نومها الصبحى بعد زمن طويل من قراءتها . ولكن بما أن البنت في الواقع كانت متأثرة تأثرا شديدا أخذتها أمها معها الى سريرها لتسكن روعها فرقدت بجوار والدتها في غاية السكون على خلاف عاداتها السابقة وقبضت عليها بيدها قبضة المتشنج الى أن عاد اليها النوم بعد زمن طويل .

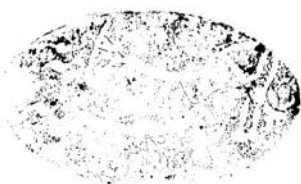
وفي الليلة التالية طلبت منا قبل الانصراف للنوم أن نعدّها بأن تتعهدّها أمها أن عاودها الخوف ليلا فوعدها بذلك غير أننا أكدنا لها مع ذلك أن لن يحصل لها

في هذه الليلة في منامها مايفزعها وسواء أكان تأكيدنا هذا قد أثر في نفسها من طريق الوهم أم أنها بقطع النظر عنه لم تحلم بشيء مفزع فقد نامت على كل حال طول ليلها نوما هادئا ولم يعد في اليوم التالى ذكر لأكال الدود الخفيف .

وما كان أشد تعجبنا لما حصل في نحو الساعة الرابعة من بكرة الليلة التالية من استصراخ الصغيرة والدتها فجأة فقامت وذهبت اليها ولما سألتها عن سبب استغاثتها كان جوابها أنها كانت خائفة فطلبت اليها أن تأخذها معها الى سريرها فأجيب طلبها غير أن البنت في هذه الدفعة لم ترقد هادئة في سرير أمها كما فعلت في الدفعة الأولى ولم تقبض على يدها بل كان سلوكها كله يدل على أن فيها بعض الطيش فاستنتجنا من كل هذا أن بنتنا في هذه المرة لم تكن قد خافت وانما اتخذت دعوى الخوف وسيلة للمجيء الى سرير أمها ورغما من ذلك لم نكلمها كلمة في هذا الموضوع .

وفي الليلة التالية تكررت اللعبة نفسها غير أنها جعلتها قبل سابقتها بنحو ساعة فقد نادى البنت أمها في نحو الساعة الثالثة صباحا وقد تبينا من هيئة صوتها أنها لم تستصرخ أمها لخوف ولا لتأثر ولذلك أجابها أبوها بصوت فيه شيء من الجفاء أن عليها أن تبقى في سريرها فزعمت حينئذ أنها خائفة خوفا شديدا ولما رأت أن هذا لم يجدها أنشأت تصرخ فصاح بها بشدة قائلا ليس هذا الذى تعملينه الا حيلة منك للمجيء في سرير أمك فتحولت الصغيرة الحبيثة الى الاستجداء محتجة بوحدها وغيرها ولكن هذا كله لم يجدها شيئا فقد بقينا ثابتين على رأينا ، ولما لم ترد أن تكف عن صراخها قامت أمها وأضاءت المصباح وذهبت اليها وأخذت معها قضيبا واقتربت من سريرها وهددتها بالضرب ان لم تسكت في الحال فأخذت تتضرع اليها وتقول لاتضربينى يأماء الرحيمة ولا أرجو منك الا أن تسمحن لى بالكلام فأجابتها أمها اذن قولى . « يتبع »

عبد العزيز محمد



قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اسْتَشَارَهُ سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \*

# بَيْتُ الْأَسَاسِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تَصَدَّرُهَا مَشِيخَةُ الْأَزْهَرِ لِشَرِيفٍ

أول كل شهر عربي

المستشار بمحكمة الاستئناف  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

عبد المجيد بن عبد العزيز

مدير ادارة المجلة :

المدير محمد الخضر حنين من علماء الأزهر

رئيس التحرير :

مكتب المجلة بالادارة العامة للمعاهد الدينية بشارع الدواوين رقم ٤٧

« تليفون : بستان ٣٥٠٧ »

الرسائل تكونه باسم مدير المجلة

- |    |   |
|----|---|
| ٤٠ | داخل القطر المصري                           |
| ٢٠ | للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس |
| ٥٠ | خارج القطر المصري                           |
| ٣٠ | لطلبة المعاهد والمدارس                      |

فيم: الاشتراك السنوي

يعامل أئمة المساجد والمأذنون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

وتمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه



## الغيرة على الحقائق والمصالح

متى نظر الانسان أو تدبر أمراً ووثق بأنه حقيقة أو مصلحة وجد في نفسه ارتياحاً عند ما يلاقي شخصاً يشاركه في الشعور به ، ويكون ارتياحه أشد حيث يراه يعمل على مقتضى هذا الشعور ، كما أنه يتألم حينما يشاهد أمراً ينكر تلك الحقيقة أو المصلحة ، ويكون تألمه أشد حيث يراه مجداً في مناوأتها سالكا غير سبيلها ، وهذا التألم الذي يشتد فيدفعك الى أن تسهب في ايضاح وجه الحقيقة أو المصلحة ، أو تعمل على أن تكف يد من يبغي عليها ما أمكنك هو مانعنيه بالغيرة .

فاذا حدثك الرجل في أمر وأراك أنه مطمئن الى أنه حق ثم لا تلبث أن تراه متحيزاً الى من يكيد له ويدعو الى من ينقضه ، فاعلم أنه خالي القلب من الاطمئنان اليه ، وانما أراك ظاهراً يخالف ما يمكنه صدره وتطمئن اليه نفسه ، والعقل السليم لا يستطيع أن يفهم كيف يجتمع الايمان بالحق مع موالاته من يحاربه في السر أو العلانية ، فالغيرة على الحق من مقتضيات الايمان به تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه ، وتفقد حيث لا يكون القلب مؤمناً .

وفي الناس من يلهج بكلمة «التسامح» يلاً بها فمه حتى لا تنكر عليه حين تراه قد اتخذ من المضلين أو المفسدين في الأرض أولياء يطيل التردد على أعتابهم ويغمس لسانه أينما جلس في أطرائهم ويجهد نفسه في تمويه باطلهم ، والتسامح المعقول أن لا تؤذى من خالفك في العقيدة فتنسب اليه زوراً ، أو تنفى عنه مكرمة ، أو تهضم له حقاً أو تنكث له عهداً أو تخلف له وعداً ، ومن التسامح المقبول أن تبره وتقسط اليه وتمتد اليه يد التعاون على المصالح المشتركة ، وقد حرمت الشريعة الاسلامية الاساءة الى المخالفين الذين لم يخرجونا من ديارنا ولم يطعنوا في ديننا ولم يوقدوا ناراً لحربنا ، ووردت أحاديث تنهى عن مس الناس بشيء من الاذى ، فحمل الفقهاء النهي فيها على وجه نعم المخالفين المقيمين في ظل الاسلام ، كما قالوا في حديث «لا يبيع بعضكم

على بيع أخيه» ان النهى شامل لبيع المسلم على بيع غير المسلم لما ينشأ عن صرف المشتري عنه من تقاطع وشحناء، وأذنت في أن نبرهم ونقسط اليهم قال تعالى ( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ )

وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندارى من ينتمون الى الاسلام ونعاشرهم بالمعروف وان عرفنا في لحن أقوالهم أو غيره من الدلائل الخفية أنهم من طائفة المنافقين

أما الرجل يملك قلما أو لسانا أو حساما أو جاها فيصرفه في نقض أساس ماهو دين حق أو شريعة صالحة، فذلك مالا يتولاه الا غبي لا يفرق بين الأعمى والبصير . أو زائع عن سبيل الرشده فإله من نور ، وقد أنكر الله على من يتزلف لاشياع الغبي فقال ( أَيْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ) وفي الآية شاهد صدق على أن العزة بيد الله يخلعها على من يغار على الحقائق غير مكترث بمن يناوئونها وإن كانوا أولى جاه أو سلطان .

فمن الغيرة على الحق أن تقاوم المبطلين أو المفسدين قاطعا النظر عن كل صلة وعاطفة ، ومن التسامح المقبول أن تدفعهم بالتي هي أحسن حتى كأنك لاتعرف شيأ من شؤونهم غير ماتصديت لمناقشتهم فيه ، وذلك مايستين به الناس أنك لاتقصد الا أن تكف بأسهم وتحمي النفوس من وباء دعايتهم .

تفاضل الحقائق والمصالح من ناحية مايتصل بها من خير ، فوجود الخالق أو صدق محمد صلى الله عليه وسلم في رسالته مثلا — يقوم على الايمان به من سعادة الأفراد والأقوام أكثر مما يقوم على الايمان بعدل أبي بكر وعمر بن الخطاب ، واقامة الصلاة وإيتاء الزكاة يترتب عليها من الفلاح فوق ما يترتب على زيادة أخ أو عيادة مريض .

وكذلك الغيرة على الحقائق والمصالح تكون على قدر تفاضلها فيما يترتب عليها



من العواقب ، فالغيرة الصادقة أن يتألم الرجل من الجهل على مقام الالهية أو الرسالة العظمى أشد مما يتألم للطعن في نفسه أو في أخ له أو صديق ، ويتألم لهدم مسجد أو الغاء مدرسة أشد مما يتألم لهدم بيت أو اهمال حديقة .

بعيد من الغيرة عن الحقائق ذلك الذى يسمع سوء القول في الله أو في رسوله فلا يجد في نفسه لسماع هذا السفه أثرا ، وإذا مُسّ جانب من يتصل به نسباً أو يمد له من متاع هذه الحياة سبباً ، هاج غضبه وارتعدت فرائضه .

بعيد من الغيرة على المصالح ذلك الذى يكون تحت يده مال فيخل به على بناء مدرسة يستنير فيها الناشئون ، أو إقامة ملجأ يأوى اليه البائسون ، وييسر به يده في انشاء مرقص أو ملهى يتخذ فيه الفتيان والفتيات أنصبا يسفكون عليها دم الفضيلة

ضعف الغيرة على الحق أو فقدتها نقيصة تنزل بصاحبها الى الخضيض ، وكذلك ينبغى للانسان أن يملك الغيرة عند ثورتها فلا يخرج في معاملة المنتهك حرمة الحق عن حدود العدل ، فالذى يغار على أمر جعل الشارع لمنتهكه حدا مفروضاً لا يحل له أن يتجاوز ماحده الشارع استرسالاً مع طغيانها ، فإن كان الجزاء موكولاً لاجتهاد القاضى اجترأ القاضى بالمقدار الذى يكفى للردع ، وليس من الغيرة المحموده أن يتعدى في جزاء السيئة مايكفى للزجر عن اقترافها ، والغيرة الصادقة هى التى تنهض بصاحبها الى مكافحة المبطل أو المفسد وتقويم عوجه في تثبت وحزم .

الغيرة تبعث الرجل على الجهاد في الحق بأى وسيلة استطاعها ، فالرئيس الغيور يزود عن الحق بما في يده من قوة متى كان الهاجم عليه في غشاة تمنعه من أن يفقه الحجة ، والعالم الغيور لا يفتأ يذب عن الحق بلسانه أو قلمه ، ولا يسوقه طمع أو رهبة الى الخمول أو الصمت ، وما خمول العالم وصمته سوى قلة الثقة بما وعده الله به أنصار الحق من فوز وحياة طيبة ، والموسر الغيور ينفق في سبيل الإصلاح باليمين واليسار ، ومن كان صافى البصيرة يرتاح لظهور الحق وقيام المصلحة العامة أكثر مما يرتاح لان ينكز ذهباً أو تكون له قصور فيحاء وحدثات غناء .

واذا أردت أن تميز فاقد الغيرة على المصالح ممن ينادون عليها فهو الذى يجرى وراء منافعه الخاصة أينما رآها أو تخيلها ، يراها بجانب مصلحة عامة فيظهر في زى الداعى الى هذه المصلحة ويملاً الجو نداءً للتعاون عليها، حتى اذا تراءت له منفعة لا يصل اليها الا أن يقضى على ماينفع الناس جميعا داسه بكلكا قدميه ، وذهب الى منفعته توا لايلوى على شئ .

قد يسلك الرجل طريق العدل محافظة على المنصب أو رغبة في حسن الأحداث . ولكن الغيرة على الحق هى التى تجعل الحاكم عادلا في كل قضية ، فالغيرة على الحق هى التى تقف بالقاضى في حدود الانصاف حين ترفع اليه خصومة بين ذى سلطان واشعث أغبر ذى طمرين فلا يسالى أن ينصف ذا الطمرين <sup>(١)</sup> ويقضى على ذى السلطان وكذلك يفعل القضاة العادلون ، دعى العلامة محمد بن بشير الى قضاء قرطبة فاستشار صديقا له في قبول الولاية فقال له : كيف حبك لمدح الناس لك وثنائهم عليك ؟ وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل ؟ قال : والله ما أبالى من مدحنى أو ذمنى ، وما أسر للولاية ولا استوحش للعزل ، فقال : اقبل الولاية ولا بأس عليك . وفي سيرة ابن بشير هذا مايشهد بصدق غيرته على الحق ويحقق ماوصف به نفسه من أنه لايسر للولاية ولا يستوحش من العزل .

ومن الخطر على الحقوق والمصالح أن يتولى أمرها محروم من الغيرة عليها ، وكمن حق أهمل ومصلحة أميتت والسبب في اهمال ذاك واماتة هذه أن ألقى أمرهما الى من لم يذق للغيرة عليهما طعما ، ماذا يكون العمل في قضية الاعتداء على هتك عرض الفتاة اذا اسندت الى من تقلب في بيئة لاتعرف للعفاف سيلا ؟ وما ذا يكون العمل في قضية الاعتداء على الدين اذا وضعت بين يدى من لايرى له حرمة ولايرعى للأمة التى تعتصم به ذمة ؟ وكيف تدار مدرسة ترجع نظم التعليم فيها الى من يؤثر اللهو على الجسد ويفتنه زخرف الحياة عن طرق الرشدا التى تخرج رجالا يعملون صالحا ويبتكرون عظيما ، ونحن نرى في الشعوب من حيل بينها وبين واجبات دينها

وأكرهت على التعامل بغير ما تأذن به شريعتها ، واستبد عليها في طريقة تعليم أبنائها ، ذلك لأنها وقعت تحت ذى قوة استضعفها ، ولم يكن له نصيب من الغيرة على شريعتها ان أمة لها دين قيم وشرع حكيم ومجد لم يصف التاريخ له من نظير ، لا يستقيم أمرها الا لمن يغار على شرعها أو يتودد لها باحترامه والمحافظة على أصوله .

وإذا حكى لنا التاريخ أن ذالسلطان آذى أمة اسلامية في دينها أو قهرها بالسيف أو بوسيلة التعليم على أن تنسلخ من هداية ربها ، فلا أنه انما وضع سلطانه على رؤوس جماعات متفرقة غافلة ، أما الأهم المتيقظة التي تقدر الحق قدره فليس من السهل على ذى القوة أن يؤذيها في دينها ، ويستخف بالحقوق التي قررها شرعها الا أن يكون جهولا بالعواقب ، أو غير راغب في أن يكون سلطانه ثابت القواعد .

الغيرة على الحق تتمثل فيمن ينظر الى الدليل ويصدع بما أراه الله وان كره الغيرة على الحق تتمثل فيمن ينظر الى الدليل ويصدع بما أراه الله وان كره السائلون .

حضر لدى ابن هبيرة الحسن البصرى فاستفتاه ابن هبيرة في كتب تأتيه من عند يزيد ابن عبد الملك وفيها من الأمر بما يأذن به الله ، وقال «ان اتفدتها وافقت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي» فقال الحسن «يا بن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، يا بن هبيرة ان الله مانعك من يزيد ، وان يزيد لا يمنعك من الله ، يا بن هبيرة لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله تعالى فأنفذه وما خالف كتاب الله فلا تنفذه ، فان الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتابه» فضرب ابن هبيرة على كتف الحسن ، وقال «هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة»

وتتمثل الغيرة على الحق فيمن يفسح له بعض الوجهاء في الاكرام مكانة ولا يمنعه ذلك من أن ينظر الى ما أكرمه الله به من عقل ورفعه به من علم فلا يسكت لذلك الوجه عما يأتي من منكر ويذهب في تقويمه كل مذهب ممكن ، واضرب المثل لهذا بابراهيم بن محمد بن طلحة اذ قربه الحجاج وعظم منزلته وقدم به على عبد الملك بن مروان

وقال له : قدمت عليك برجل الحجاز لم ادع له بها نظيرا في الفضل والأدب والمروءة وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة ، ولكن ابراهيم بن طلحة قال لعبد الملك : عندي نصيحة لا أجد بدا من ذكرها ولا أقدر على ذلك الا وأنا خال ، فصرف عبد الملك الحجاج من المجلس وقال لابن طلحة : قل نصيحتك ، فقال «تالله ياأمير المؤمنين لقد عمدت الى الحجاج في تغطرسه وتمجرفه وبعده عن الحق وقربه من الباطل فوليته الحرمين وهما ماهما ، وبهما من بهما من المهاجرين والانصار والموالى والأخيار ، يسومهم الخسف ويحكم فيهم بغير السنة بعد الذى كان من سفك دمائهم وما انتهك من حرمةهم» ولم يخبر عبد الملك الحجاج بما قال ابن طلحة ولكنه عزله عن الحرمين وولاه العراقيين واعتذر لابن طلحة عن توليته العراقيين بان فيها من الامور مالا يدحضها الا مثله .

وفصل القول في هذا أن الغيرة على الحق والمصلحة ماغلبت على نفوس الأمة الا استقامت سيرتها ، وعلت في الأُمم سمعتها ، وحسنت في كلتا الحياتين عاقبتها ، ولاحق أجلى مما يدعو اليه الخلاق العليم ، ولا مصلحة أعظم مما تهدى اليه أصول شرعه الحكيم ، فاذا لم نرسم في نفوس نشئنا الغيرة على حقائق الدين وما أرشد اليه من مصالح وما سنه من آداب ضلوا عن أسمى الحقائق وأضاعوا أكبر المصالح ، وتجردوا من أسنى الآداب ، وهل غير هذه العاقبة من خسران ميين . فن أهم واجباتنا أن نربي نشأنا على الشعور بعظمة الله ثم لانفتؤ نذكر لهم آيات نبوه محمد صلى الله عليه وسلم حتى يطمئنوا الى صحتها ، ولا ندع أن نقرر لهم أصول الشريعة على وجه يجعلهم على بصيرة من حكمتها ، وهذا مايربى فيهم الغيرة المهذبة ويعددهم لان يكونوا للحقائق والمصالح أنصارا .

محمد الخضر حسين

# النفس

نفسه قصة سيدنا شعيب عليه السلام

٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد قص الله تعالى شأنه فيما سبق ما كان من أهل مدين في ردهم على رسولهم سيدنا شعيب عليه السلام وإفراغهم جهدهم في محاولتهم إحقاق ما هم عليه من عبادة غير الله، وهو رب كل شيء، ومن أكل أموال الناس بالباطل والسعى في الأرض بالفساد ومن زعمهم أن ما جاءهم به رسولهم عليه السلام ليس وحياً منزلاً من عند الله سبحانه وأنه إنما هو مما سولته له نفسه وخيَّله إليه وهُمه، ومن دعواهم أيضاً أن لهم الحرية المطلقة في أموالهم يتصرفون فيها كما يشاءون متى رأوا في ذلك مصلحتهم وإن كانت لغيرهم ضرراً بليغاً، ومن جرأتهم كذلك على رسولهم، شرفه الله، حتى استخفوا بمقداره العظيم واستهزؤا متهمين به ساخرين منه ما قدروا أن يتكلموا ويسخروا (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ)

اجترح القوم هذه السيئات فخاروا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً وامتنوا الحق والعقل والآداب وظلُّوا في طغيانهم يعمهون .

لم يقابلهم رسولهم الحليم الرشيد بما قالوه ولم يكافئهم بما كفتوه مثلاً بمثل ونظيراً بنظير، بل سار على ما دَّبه الله الذي اصطفاه للرسالة وسلك بهم طريق الهداية إلى الله تعالى كما بيناه لك فيما سلف، فشرع يقرب من بعدهم عنه ويُضعف من نفورهم منه ويرد من إياهم من دعوته ويُبصِّرهم بحقيقة رسالته مع الاعراض عن تكذيبهم له والحلم عن سفاهاتهم والصفح عن قبيح جهالاتهم وجنایاتهم، وذلك كما قصه الله تعالى عنه في قوله ( قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ) الآية .

عاد عليه السلام مرة ثالثة الى تذكيرهم بما بينه وبينهم من صلة القرابة وعاطفة الارحام فانها اقرب الى الاخلاص وأدعى الى الاحاض في النصيح وارادة الخير وابعد من الغش والتدليس وتبييت المكر السيء ، كل ذلك منه عليه السلام ليخفف من غلوائهم ويُطْفِئ من جذوة عداوتهم له ولاحق الذي يدعوه اليه ، وذلك قوله عليه السلام لهم (يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ) الآية .

يقول لهم عليه السلام : إِنْ كُنْتُ<sup>(١)</sup> عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي أَلْخَ فَأُخْبِرُ نِي : هل يصح مع اتصافى بهذه الأوصاف ان تقولوا في شأنى ما قلتم وتكذبوا ما بلغتكم عن وحي ربكم وتصمؤنى بما انا منه برآء وممعصوم ؟

ثم اعلم أن الرؤية كما تكون بالبصر تكون بالبصيرة ، فهي وسيلة صادقة من وسائل العلم الصحيح ، ومن الواضح أن من علم علما صحيحا ا كتسبه من وسائل صحيحة كالرؤية فانه يستطيع ان يخبر بذلك العلم اذا استخبره عنه مستخبر ، مثال ذلك قول المعلم لتلميذه : هل علمتَ الدرسَ الماضى ؟ فان التلميذ يفهم من هذا الاستفهام ان معلّمه يستخبره عن ذلك الدرس ، فكأنه قال له : اخبرنى ان كنت قد علمت .

وعلى هذا يكون معنى قوله عليه السلام : (يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ) هل علمتم علما صادقا مُسْتَمَدًّا من رؤية صحيحة بصرية او قلبية حتى تستطيعوا ان تخبرونى اذا استخبرتكم ؟ فاذا كنتم قد علمتم هذا العلم فأخبرونى : هل ينبغى لكم بعد هذا العلم أن تكذبوا بآيات ربكم وتتخذوا دينه ورسوله هُزُوءًا ؟

ومن هذا يتضح لك أن الغرض من هذا الاستفهام هو توبيخهم وتبكيّتهم والانكار عليهم فيما رموه به من الأوصاف التى عصم الله تعالى منها رسّله الكرام ، ويكون الاستفهام فى الظاهر استفهاما عن الرؤية ولكنه فى الباطن متصل ومُنْصَبٌ على ماقلوه فى حقه عليه السلام من المفتريات التى نزهه الله تعالى عنها .

ثم انه عليه السلام أرشدهم الى عدة أمور اذا رأوها حقَّ رؤيتها وعُنُوا بالتدبر

(١) اشارة الى أن (أَرَأَيْتُمْ) بمعنى اخبرونى . وجواب ان محذوف يدل عليه قوله أَرَأَيْتُمْ بمعنى اخبرونى . ومفعول أَرَأَيْتُمْ محذوف هو جملة هل يصح الخ ، وقيل غير ذلك

فيها حتى علموها علم اليقين فانهم حينئذ يتبين لهم الرشيد من النقي ويعلمون أنه عليه السلام قد صدقهم القول فيما بلغهم عن ربهم وانه انما ادعاهم الى الله الحق المبين وانهم كانوا فيما اتهموه به مخطئين وعن صراط الحق السوي ناكبين ، ارشدهم رسولهم الحليم الرشيد عليه السلام الى أنهم اذا حكموا وجب عليهم ان يكون حكمهم صحيحاً مبنيّاً على اسباب صادقة ومقدمات سليمة مسامة تدرّكها ابصارهم وتعلّقها بصائرهم ويساموا لها تسليماً ، اما ما عدا ذلك فانها احكام باطلة زينتها لهم الأوهام والوساوس وأوحىها رغبات النفوس والهواجس ، وقد حذر الله عز شأنه عباده ذلك واوجب عليهم الأخذ بالبرهان الناطق والدليل القاطع ونهى على اولئك الذين استعبدوا الخيال ورضوا لانفسهم ان يكونوا للأوهام وهوى النفوس أتباعاً .

وفي القرآن العظيم كثير من الآيات السكرية في ذلك ، فمنها قوله تعالى ذكره ( قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ) وقوله ( إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ) وقوله ( إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ) وقوله ( قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ )

ثم شرع عليه السلام يبين لهم الأشياء التي يجب عليهم ان يروها ليصلوا بعد رؤيتها والتدبر فيها الى العلم الصحيح ، وحينئذ تتجلى لهم حقيقة رسولهم الكريم ورسالته الصادقة الالهية ويعلمون أنهم قد ارتكبوا بما زعموه اثماً مبيهاً .

الأمر الأول : البيّنة من ربه سبحانه ، والبيّنة هي ما يدل على الشيء دلالة واضحة من نطق أو كتابة أو إشارة أو سيرة عقلية كانت الدلالة او غير عقلية

والبيّنة التي خص الله عز وجل بها رسله الكرام هي ما اوحاه اليهم من شرائعه واحكامه وما أيدهم به من المعجزات الغالبة الناطقة بصدقهم فيما بلغوه عن ربهم سبحانه وما ادبهم به من فضائل النفوس ومكارم الأخلاق والاحسان في معاملة الامم والصبر على ما يلاقونه منهم من التكذيب والمشاقة وانواع الأذى وما علمهم من طرق التعليم

واساليب التبليغ وترية النفوس وارشاد الجاهلين وتنبيه الغافلين وغير ذلك مما افاضه عليهم من الحجج والبراهين والقول الفصل والاخلاص في القول والعمل ومن انواع العلوم والهدايات التي هي اساس صلاح الدين والدنيا .

كل ذلك داخل في البيئة التي كان حاصلها عليها رسول الله سيدنا شعيب قائما عليها بالقسط في اتباعها وفي دعوة قومه الى الايمان والعمل بما اوحاه الله اليه .

لا ريب أن رسول الله شعيبا عليه السلام كان على هذه البيئة من ربه جل ذكره ، وكذلك لا ريب أن قومه كانوا يرونها بأعينهم ويدركونها بعقولهم ، فلو كانت رؤيتهم لها رؤية إيمان صادق وتدبر نافذ لاستمعوا لما يقولوا واستجابوا الى ما يدعواهم اليه ولكانوا جميعا كاخوانهم الذين آمنوا به وكانوا معه من الناجين ، ولكن الاستكبار عن الحق ثنى صدورهم ليستخفوا منه ولوى وجوههم أن يقيموا لدين الله بغضا فيه ، ولقد تمكنت في نفوسهم الغواية وطاعة الهوى والشراسة على الدنيا بالافساد فيها وأكل أموال الناس بالباطل وتأصلت فيهم حتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، فلم يجد نور رسالة سيدنا شعيب عليه السلام الى قلوبهم سبيلا .

هذا هو شأن أهل مدين بأزاء البيئة الالهية التي كان عليها رسولهم شعيب عليه السلام ، وهكذا كان ويكون شأن كل أمة بازاء بيئة رسولها الذي أرسل اليها ، فما من أمة الا وقد أصيبت بما أصيبت به أمة شعيب عليه السلام فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من أطاع ومنهم من عصى ومنهم من أبصر ومنهم من عمى ( فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ) .

ان من السهو الذميمة أن يظن أحدنا أننا قد سلمنا مما أصاب غيرنا من الالم الخالية التي عميت عن بينات رسلها ولم تقدرها قدرها وأن العقوبات الدنيوية والأخروية التي قضى الله الحكم العدل بها عليها جزاء لها على اهمالها وتفريطها فيها انما هي خاصة بها دوننا .

ان من كان يظن ذلك فانه يكون ممن جهل الاسلام جهلا لا يقبل معه عذر ويكون قد اخطأ في فهم دينه خطأ مبينا .



ان من جاءته آياتُ ربه بيناتٍ على يد رسولٍ من رسله صلوات الله وسلامه عليهم فأعرض عنها ونأى بجانبه ولم يعلمها حق العلم ولم يؤفها قسطها من الايمان والعمل بها بل طعن فيها واتهم من جاء بها كأهل مدين فانه لاملجأ له من الله الا اليه ، ولا محيص له من العقاب الذي أعده الله في الدنيا والآخرة للذين يخالفون عن أمره لافرق بين هذا وذاك ، ولا بين أمة وأخرى ( قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ) ( فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ . فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا )

لا يُنكرن أحد علينا اذا قلنا جهاراً : إن اناساً ممن ينتمون الى هذه الأمة المحمدية قد بسطوا السنتهم بالسوء والطعن في الاسلام وفي كتابه وفيما جاء فيه وفيمن أتى به .  
ان هؤلاء الذين طعنوا في الاسلام وفي رسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم ممن ينتسبون الى هذه الأمة هم كاخوانهم الذين سبقوهم بالطعن في رسلهم من الأمم الأولى كأهل مدين قد تشابهت قلوبهم وطفئ نور عقولهم فمسخت فطرثهم وصاروا كالأنعام بل أضل سبيلاً وكانوا جميعاً قوماً عَمِينَ .

أخذتهم العزة بالآثم ووسوست اليهم شياطينُ الأنسِ والجن وزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم من الاوهام والمفتريات فاستبدلوا بالحقائق خيالاتهم وبالحق باطلهم وباليقين شكوكهم ( وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ )  
كرهوا ما أنزل الله وان كان هو الحق المبين وكرهوا من جاءهم بما أنزل الله وان كان هو الصادق الأمين فأخذتهم الأنفة أن يستمعوا ما يتلوه عليهم من الآيات والذكر الحكيم وجعلوا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية أن تخضع أعناقهم للحق بعد ما تبين وصموا أن يستجيبوا لرسولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إذ يناديهم ( يَا قَوْمِ مَنْ أَعْجَبُكُمْ دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ . أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ )

لو أنصفوا أنفسهم لرَّحُّوها ولم يُؤْبِقوها مَوْبِقَ الجَهلِ والشَّقَاءِ ولو عَصُوا أهْواءَهُمْ  
وَنَزَغَاتِ طَوَاغِيَّتِهِمْ لَاسْتَبَانَ لَهُمْ صَدَقَ رَسُولُهُمْ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ قَدْ  
جَاءَتْهُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ  
لِلْمُؤْمِنِينَ .

انْهَمِ قَوْمٌ قَدْ اسْتَجَبُوا الْعَمَى عَلَى الْهَدَى وَالْإِبَاطِيلَ وَالشُّكُوكَ عَلَى الْحَقِّ وَالْيَقِينَ  
فَاسْتَكْبَرُوا أَنْ يَنْظُرُوا وَيَتَدَبَّرُوا مَا دَعَاهُمْ إِلَى الْإِيْمَانِ بِهِ وَلَمْ يَرَوْا آيَاتِ الْيَنَاتِ الَّتِي هُوَ  
عَلَيْهَا مِنْ رَبِّهِ سَبْحَانَهُ حَتَّى يَعْمُوا الْعِلْمَ الْيَقِينِي بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ مُؤَيِّدًا  
بِحُجْجِ اللَّهِ الْبَالِغَةِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ بِشِيرَا وَنَذِيرَا .

بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ السَّوْءِ الَّتِي رَضُّوْهَا لِأَنْفُسِهِمْ عَادُوا رَسُولَهُمْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَوَاتُ  
اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَأَوْحَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَاخْتَدَا يُطْعَمُونَ فِي  
الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَفْتَرُونَ عَلَيْهِ الْكَذِبَ زُورًا وَبِهَتَانًا لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ عِقَابًا  
وَلَا لِلْعُقَلَاءِ تَأْنِيبًا وَلَا عِتَابًا وَلَا لِأَنْفُسِهِمْ وَخَزًّا وَلَا مَلَامًا غَافِلِينَ أَوْ مُتَغَافِلِينَ أَنْ يَتَدَبَّرُوا  
قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ شَهَادَةً مِنْهُ وَهُوَ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ بِصَدَقِ هَذَا الرَّسُولِ الْأَكْرَمُ وَتَنْوِيْهَا  
بِجَلَالِ قَدَرِهِ الْعَظِيمِ ( أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَبِيْئَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ  
مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ قَالَتَارُ مَوْعِدُهُ  
فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ . إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ . )

مَا أَجْدَرَ هَؤُلَاءَ الطَّاعِنِينَ مِنْ أَدْعِيَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي رِسَالَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَحَقَّهُمْ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ كَمَا قِيلَ لِأَهْلِ مَدِيْنَةِ : ( يَا قَوْمَنَا ارْأَيْتُمْ إِنْ كَانَ  
رَسُولُ اللَّهِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى يَبِيْئَةٍ مِنْ رَبِّهِ سَبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ وَفَعَلَهُ وَسَيَّرَتِهِ  
وَإِخْلَاقِهِ وَمَعَامَلَتِهِ لِلْخَلْقِ وَتَبْلِيْغِهِ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَرِجَاحَةَ عَقْلِهِ وَصَدَقِ عَزِيْمَتِهِ وَثِقَابَةُ  
فِكْرِهِ وَحَسَنِ صَبْرِهِ وَإِخْلَاصِهِ فِي دَعْوَتِهِ وَارْشَادِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نَعُوْتِهِ وَشَمَائِلِهِ  
الْجَلِيلَةِ إِنْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ فَأَخْبَرُونَا كَيْفَ سَوَّغْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ مَعَ اتِّصَافِهِ  
بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ أَنْ تَطْعَمُوا هَذَا الطَّعْنَ وَأَنْ تَتَّهَمُوا هَذَا الرَّسُولَ الْكَرِيمَ بِمَا

اتهمتموه به مع انكم لم تتبعوا في ذلك الا الظنَّ الباطلَ ( وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ) ؟ ( قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ )

واننا سنختتم الكلام في هذا الأمر الأول بذكر أدب من الآداب النبوية التي أدب الله تعالى بها نبيه سيدنا شعيبا ، ولا سيما وقت المحاضرة والمحاورة ، كما أدب بذلك أخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ، ذلك أنه عليه السلام يقول لقومه ( إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي ) دون أن يقول اذا كنت على بيعة من ربي ، والعربي يأتي بأن حينما يكون شاكا في مضمون الكلام ، أما اذا كان جازما به فانه يأتي باذا لا يان ، ومن المعلوم أن سيدنا شعيبا عليه السلام كان جازما موقنا بأنه على بيعة من ربه سبحانه ، فالحكمة البلاغية التي هي من آدابه عليه السلام أنه جاري قومه المتعنتين وأرخص لهم عنان عنادهم استنزالا لهم عن كبرياتهم وكبحا لجاحهم ونفورهم ومراعاة لحسن المحاورة مع الخصم اللدود عسى أن ينصتوا له ويستمعوا ( وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهِدْ لَهُ وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا )

على أن هذا الأسلوب الحكيم البلاغي لا يزال يجري على ألسنتنا الى اليوم ، انك تكون على علم بما تقول ، ولكن آدابك مع من تخاطبه تجعلك على أن تجامله في الخطاب والتلطف معه في بيان الصواب وردّه عن خطئه ، فتقول له أظن أن الأمر كذا أو لعل الأمر كذا .

قلنا ان الله عز اسمه كما علم رسوله شعيبا آداب التخاطب مع أمته خصوصا المجادلين المعاندين منهم ، كذلك علم سائر أخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، فمن ذلك قول سيدنا نوح عليه السلام لقومه ( يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ) الآية وقول سيدنا صالح عليه السلام لقومه ( يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ) الآية وقول رسولنا صلى الله عليه وسلم كما أمره سبحانه ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِنْ هُوَ فِي شِقَاقِ

بَعِيدٍ) وقوله كذلك (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

قد يقول لنا قائل : لا غرابة إذا قلتم إن رسل الله ساداتنا محمدًا وصالحًا وشعبيًا عليهم صلوات الله وسلامه عدلوا وقت حاجتهم لامهم عن لفظ إذا الى لفظ ان للحكمة التي ذكرتموها لان هذين اللفظين عربيان وهم عليهم الصلاة والسلام عرب بلغاء ، اما سيدنا نوح عليه السلام فانه ليس بعربي والكلمتان المذكورتان ليستا في لغته حتى يفضل احدهما على الأخرى لتلك الحكمة التي شرحتوها فكيف يتم ما ذكرتموه بالنسبة اليه عليه السلام . نقول: ينبغي الا يكون السؤال مقصورا على هاتين الكلمتين بل ينبغي ان يكون عنهما وعن سائر ما حكاه الله تعالى عنه عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم من الكلمات بينه وبين ابنه وقومه ، بل ينبغي ان يكون عن جميع ما قصه الله عز وجل عن الرسل عربا وغيرهم ، وكذلك عن الملائكة والأمم الذين جاء ذكر محاوراتهم في القرآن العظيم في الدنيا مع رسلهم وفي الآخرة حين البعث وبعده .

والجواب . ان ما اراده الرسول او الملك او غيرها عبر عنه كل منهم بما استطاعته قوة المخلوق من الكلمات والعبارات في لغته ، ثم ان الله القادر الذي احاط علمه بما قالوا وبما ارادوا قص علينا قصصهم في قرآنه العظيم كاملا لم يفرط فيه من شيء مما ارادوه بكلمات وعبارات عربية مجيدة من عنده تعالى ، قصرت دون ترتبها فصاحة الفصحاء في نظم فصيح بديع فائق من لدنه واسلوب رائع معجز خرت له جباه البلغاء من العرب ساجدين واقرت بعلوه وتفوقه السنة المنكرين وعجزت الأنس والجن عن ان يأتوا باقصر سورة منه وظللت اعناقهم له خاضعين (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)

والخلاصة أن أي قصة في القرآن الكريم خصوصا اذا كانت عن غير عربي فان كلماتها وجملاها وآياتها واسلوبها كل ذلك من كلام الله تعالى ومن عنده (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

# اصْوَافُ الْإِسْلَامِ

نبوة صلى الله عليه وسلم

معجزاته الحسية

— ٣ —

نريد أن نتكلم في مقالنا هذا عن المعجزات الحسية التي هي طريق من طرق اثبات النبوة على ما ذكرنا في مقالنا المنشور في العدد الأول وأن خصومنا اليوم فريقان ، فريق الماديين الذين وقفوا عند الظواهر ولم يصلوا الى رتبة التحقيق في الأشياء حتى في علم الطبيعة نفسه الذي يدعون أنهم علماءه ويبدعهم لواؤه ، والفريق الثاني هو شردمة تنتمي لعلماء الدين وما هم منهم في كثير ولا قليل ، يريدون أن يُعرفوا بالتجديد وعدم الجُمود على ما يزعمون فيتظاهرون بأنهم عرفوا ما يقول العصريون فتراهم يلهجون بذكر ما يلوكة الماديون على غير علم ولا بصيرة من ذكر النواميس وإنه لا يمكن خرقها ويزيدون على ذلك ما لم يحسنوا فهمه من نصوص القرآن الشريف مثل قوله تعالى « وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ » فذكر أنها عند الله ولم يقل أنه جاء بها» وستعلم الجواب عن ذلك « وقد قلدوا في هذا جهلة المبشرين الذين يرددون ذلك في جميع كتبهم التي يلبسون بها على ضعفاء العامة ، فهم في هذه النزعة وهذا الاستدلال مقلدون للمبشرين من حيث يشعرون أولا يشعرون ، كما كانوا في تلك مقلدين لجهلة الطبيعيين حبا في الظهور وطلبا للشهرة فهم غريقون في التقليد لشرائط الطوائف من حيث يظنون أنهم مجتهدون أو مجددون وهكذا الحركات كلها عندنا في الشرق معكوسة عكسا سار بنا إلى الاضمحلال الذي جعلنا في أخريات الأمم أو على حافة العدم

## « الفريق الأول »

أما الفريق الأول وهو فريق الماديين الذين جمدوا على القشور وظنوا أنهم عرفوا كل شيء ووصلوا إلى كل شيء فقد أنكروا المعجزات الحسية لأنها تناقض النواميس الطبيعية المقدسة التي لا يجوز خرقها وهي أزلية أبدية على ما يزعمون ، دعاوى خيالية لم يعضدها الحس ولا قام عليها البرهان ولكنها نزعات نفوس حتماء ، وخيالات رءوس طائشة لم تستمد من الوجود ولا استندت إلى البرهان ، وإنما استمدت من عقول أربابها المنحرفة واستندت إلى ما يخيله استعدادهم الناقص ، لأنهم لا يأخذون معلوماتهم إلا مما شاهدوه وألفوه ، وإذا تخيلوا كان خيالهم مرتكزا على تلك المعلومات التي انتزعوها من الحس ، ويعجبني قول بعضهم ، « ان الخنفساء لو تخيلت خالقها لتخيلته خنفساء كبيرة » وأنا نقول لهم أولا هل أحظتم بكل النواميس علما ؟ أليس من الجائز بل الواقع أن يكون هناك ناموس أو نواميس لم تحموا بها ؟

ألم يكن من قبلكم من علماء القرن السابع عشر والثامن عشر يتبعجون تبجحكم ويدعون دعاويكم غير حاسنين للمكتشفات التي اكتشفت بعدهم وما أكثرها حسابا ، بل نقول ألم يكن الأقدمون يزعمون أن العناصر أربعة وأن الأجسام مركبة من الجواهر الفردة وكانوا يحلون بذلك كل شيء في الوجود وما كان يدور بخلدكم أن العناصر تصل إلى السبعين أو الثمانين ، ومن يدري ما يحىء به المستقبل فلعلها تصل بعد إلى أكثر من ذلك بكثير وما كانوا يظنون أن نظرية الجواهر الفرد ستكون موضع الهزؤ والسخرية في القرن العشرين وأن ستحل محلها نظرية الالكترونات الجديدة ، وعلى كل حال فمن ذا يستطيع أن يدعى أنه أحاط علما بكل نواميس الكون وما فيه ، ولو كان كذلك لبطل الاكتشاف والبحث ووقف تقدم العلم الذي لا آخر له ولماذا لا يقولون ما يقول « نيوتن » مكتشف الجاذبية وأحد أساطين العالم في الفلك « لسنا إلا كالأطفال في جزيرة على شاطئ بحر العلم نلتقط ما يقذفه البحر من الصدف والقواقع على حين أن الجواهر النفيسة في قعر ذلك البحر » أو ما يقول غيره ممن عرفوا قدر العلم « الفرق بيننا وبين آبائنا أنهم كانوا يعتقدون

أنهم علماء، أما نحن « فنعتقد أننا جهلاء » الى آخر ما اعترف به المنصفون من اكابر علماء الطبيعة المخلصين الذين ليسوا فيه زعانف ولا مقلدين ولا يريدون أن يغشوا أنفسهم أو يغشوا الناس وربما أفردنا لذلك مقالا خاصا ان شاء الله

ثم نقول لهم من أين لكم أن النواميس هي المؤثرة في هذا العالم وما شاهدتم الاحداث بعض الأشياء عقيب بعض ، أفيدل ذلك على التأثير والفاعلية ؟ أم هذه مقارنة او معاقبة لاغير ؟ أما العلة الصحيحة أو الفاعل الحقيقي فشيء وراء ذلك كله وما تلك النواميس إلا قوانين قد وضعها الخالق في مخلوقاته لتسير عليها حتى يتم ما أرادها منها ، ولا يعقل تقدمها على الأشياء حتى توجد لها ولا قيامها بنفسها حتى تكون فاعلة فيها وقد يحسون بذلك فيعبرون بكلمة السنن بدل النواميس وستسمع كلام أكابرهم بعد في مقال آخر ، فما الذى يديرهم أن قوة الفاعل المختار تقف عند ذلك الحد ولا تتعداه مع أنهم يعتقدون أن في الطبيعة قوى لا تحد ولا تعد ويحسن في هذا المقام أن نورد لك تلك الحادثة التى لو ذكرها أحد الشرقيين لقالوا انها خرافة وهالك ما جاء بدائرة المعارف البريطانية

## كريستيان هينريش هيذنيكن

طفل عجيب ولد في ٦ فبراير سنة ١٧٢١ بمدينة لوبره <sup>(١)</sup> استطاع الكلام فى سن عشرة أشهر ولما بلغ من العمر عاما واحدا حفظ قصص البنتاتوش <sup>(٢)</sup> عن ظهر قلب ، وفى سن سنتين اتقن التاريخ المقدس ، وفى سن ثلاث سنين أجاد معرفة التاريخ والجغرافيا القديم منها والحديث والدين والديوى فضلا عن تكلم الفرنسية واللاتينية ، وفى سن الرابعة أخذ فى دراسة الدين والتاريخ الكنىسى ، وقد هرع الناس أفواجا الى لوبره لرؤية هذا الطفل العجيب الذى يباحث فى مختلف العلوم التى درسها ولكنه مات فى ٢٢ يونيه سنة ١٧٢٥ فى سن الرابعة من عمره <sup>(٣)</sup> فعلى أى شيء ينكرون المعجزات !! ، وهب

(١) مدينة لوبره بشمال ألمانيا بمقاطعة لوبره المناخه لوفنشتين

(٢) البنتاتوش اسم للاجزاء الخمسة الاولى من التوراة

(٣) ويشبه هذا ما ذكر فى جرائدنا المصرية منذ سنتين تقريبا من أن غلاما فى تركيا طلب أن يتزوج وبعد فحص الاطباء سمح له بذلك على خلاف القانون التركى وما وجدوه فى ذلك الغلام خارقا للعادة أن قلبه كان فى الجهة اليمنى وكبدته كانت بالجهة اليسرى مما حير الاطباء هناك

انهم عرفوا شيئاً مما شاهدوه في تلك الأرض التي هي من اصغر العوالم ، ألم يبق مما لم يعرفوه الشيء الكثير أو الذي لا نهاية له ؟ فان العوالم لا يدرون لها نهاية ( باعتبارهم ) وقد ذكروا في سير النور وسرعته - وأنه مع تلك السرعة المدهشة لا يصل إلينا من بعض الكواكب الا بعد مئات السنين أو الوف السنين - ما يوجب الدهش الكلى والقبوع التام في احدى زاويا تلك الأرض الصغيرة التي هي أقل من جحران الحشرات والديدان بالنسبة لهذا العالم الذي لا يعلمه غير خالقه ، أفلا يجوز بل يجب أن يكون قد فاتهم من العلم ما يناسب حقارتهم المتناهية وعظمة ذلك الكون غير المتناهي على ما يقولون هم انفسهم على أن علماء الأرواح بأوربة اليوم أصبحوا لا يعبأون بتلك الطنطنة الكاذبة ويثبتون من خوارق العادات ما يقلل من غلوئهم ويقضى على كبريائهم ، وفي أهل الهند من وصلوا بالرياضة الى خوارق العادات والتفنن في أنواع المدهشات لأن الارواح الانسانية كلها مخلوقة من عالم آخر له حكم آخر ولا تشبه أحكامه أحكام هذا العالم المادى وان كان بين الارواح الكاملة والارواح الناقصة أبعد مما بين السماء والأرض وبين المعجزات وتلك الخوارق فروق من وجوه عديدة وإنما نريد بهذا عند ما نتكلم مع الماديين الذين لا يقولون الا بالمادة ونواميسها أن نفل من سلاحهم ونسفه من احلامهم حتى ينتقض بناؤهم من أساسه بقول من يحلونهم ولا يخرجون عليهم .

ولنكتف من الكلام مع هذا الفريق اليوم بهذا ولنا اليه عودة ثم عودة ان شاء الله

## « الكلام مع الفريق الثانى »

أما الفريق الثانى وهو فريق المجتهدين من اخواننا المجددين المصريين المتشبهين بالماديين الذين يتذبذبون بين علماء القرن السابع والقرن العشرين وبين نصوص الدين ونزعات الماديين ، فلا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فلنا معهم فى الرد طريق آخر يزيد على ما رددنا به على الماديين فنقول لهم وهم ممن يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ان كنتم ترون أن النواميس مقدسة لا يجوز خرقها رضاء بما قال الطبيعىون أو تقليداً لهم فالقرآن الذى تؤمنون به يرد عليكم فى مثل تلك الايات « فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصَاهُ كَذَلِكَ



يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » « فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ  
فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا » « وَقَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ  
قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ » فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ » « وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا  
فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ » « وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ  
وَرَوْاحُهَا شَهْرٌ » ويقول لعيسى عليه السلام « وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي  
فَتَفْخُحُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى  
بِإِذْنِي » الى غير ذلك مما هو معلوم لحضراتكم فان أنكرتموه فقد أنكرتم صريح القرآن،  
وان اعترقم به وقتلتم إن ذلك جائز في نفسه ولكن لم يقع لبنينا صلى الله عليه وسلم وفرقم  
بينه وبين الأنبياء وهو أكبرهم وأعظمهم على غير معنى معقول ولا نص منقول : قلنا لكم  
ان معجزاته صلى الله عليه وسلم ثابتة بالتواتر الحقيقي أو المعنوي في مجموعها بل في كثير من  
آحادها ولا معنى لأن تساموا ذلك في حق الأنبياء ثم تتوقفوا فيه بالنسبة لبنينا صلى الله عليه  
وسلم وإذا اردتم ما في صحاح كتب السنة من ذلك بعد اعترافكم بجواز الوقوع وبحصوله  
للأنبياء السابقين على ما ينطق به القرآن وهو فرق لانقله قلنا لكم أن تلك النزعة توجب  
عدم الثقة بما رواه أولئك الأكابر وذلك يفتح باب فساد كبير وشر مستطير بل يوجب الخروج  
من الشريعة جمعاء وإبطال كل ما جاء عن الرسول من الأوامر والنواهي وهو انفلات من  
الدين كله فاننا اذا طعنا في البخارى مثلاً ولم نثق بروايته وهو أصح الكتب لزم ألا نثق بمن  
هو أقل منه وما وصلتنا الشريعة الا على يد هؤلاء حتى عدد الركعات وكيفية الصلوات فيكون  
الدين كله غير موثوق به وهى نزعة من شر النزعات وجناية من أكبر الجنايات التى تفتح  
بابها المبشرون ونخشى أن يتممها المجددون المجتهدون العصريون وأى فرق بين هؤلاء وبين  
الباطنية الذين أرادوا أن يخرجوا الناس من دين الله بتأويلاتهم وتشكيكاتهم فكلها راد  
الشريعة . أولئك في معناها وهؤلاء في نصوصها على أننا لا نأبى طريق سلفنا الصالح من  
علماء الحديث في النقد والتحصيل والتعديل والتجريح ولكن الذى نعتقه هو تلك النزعة  
الحقهاء وذلك الميزان المقلوب الذى لا يحركه سوى النزعات الضالة ولا يرجح احدى

كفتيه غير الأهواء الفاسدة التي يجازف أربابها على غير علم صحيح ولا بصيرة نيرة ، على أن القرآن نفسه أثبت تلك الخوارق له صلى الله عليه وسلم في مثل قوله « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى » وقوله « اقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » وقوله « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى » وقوله « وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى » الخ الخ فلم يبق الا الاحتمالات السوفسطائية وستسمع فيها ما يكفي المنصف ويخجل المتعسف فكيف يتسنى بعد ذلك إنكار الخوارق له صلى الله عليه وسلم والقول بأنه ليس له فيها غير القرآن تمسكاً بما تمسك به المبشرون تليسا وتضليلا من مثل قوله تعالى « وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ » مما ورد في الآيات المقترحة التي جرت سنة الله في خلقه أن يهلك من اقترحوها إذ لم يؤمنوا بها ، والله لا يريد ذلك بالأمة المحمدية ، على أن أولئك المقترحين لو أرادوا الأيمان لوجدوا عليه دلائل نيرة وآيات باهرة ولكنهم متعنتون في كفرهم فلا ينفع معهم شيء ، وقد قال الله تعالى في حقهم « وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ » فمثل هؤلاء لا تنفعهم الآيات المقترحات وإنما توجب استئصالهم وهلاكهم والله لا يريد ذلك فعسى أن يؤمنوا أو تؤمن ذريتهم فلم يبق بعد ذلك الا المكابرة الممقوتة أو الاحتمالات الفارغة التي تفسد كل معقول ومنقول ، وقد منينا اليوم بمن يبدى من الاحتمالات ما يعقل وما لا يعقل دفاعا عن نزاعه الخاصة واهوائه المتغلبة وكثيراً ما رأينا أرباب تلك النزاعات عند ما تقام الحجة لا يصغون اليها ولا يعرضونها على العقل والمنطق وإنما يفكرون فيما يقاومون به تلك الحجة ويدحضون به ذلك البرهان بمثل تلك الاحتمالات السخيفة فهذه وجهتهم التي يتوجهون اليها لا معرفة الحق ولا الاذعان له ( ومن لا يقنعه إلا أن لا يقتنع فلا سبيل لأن يقتنع )

ولنقل كلمة عن تلك الاحتمالات الزائفة التي راج سوقها وعز سلطانها بفضل غلبة الأهواء وكثرة الجهلاء فنقول

## « الاحتمالات وأثرها المبهوت »

اننا لو استرسلنا في الاحتمالات التعصبية لما أمكن أن نصدق بخبر ملك من الملوك ولا نبي من الانبياء ولا حديث واقعة من الوقائع ولبطل التاريخ واختلت المصالح والنظم بناء على تلك الاحتمالات على أن مسألة المعجزات متواترة تواترا يستحيل معه الاجتماع على الكذب من تلك الألوف المؤلفة شرقاً وغرباً ممن لا يعقل تواطؤهم على الكذب مع تبين أممهم وبلادهم ولو فرضنا أن كل واحد منهم ذكر خارقة من الخوارق فهناك أمر مشترك وقع عليه الاجماع من تلك الطوائف كلها وهو أنه ظهر على يديه عليه السلام خوارق على الجملة بقطع النظر عن أعيانها مع ملاحظة أن كثيراً من المعجزات قد رواها العدول الثقات عن العدول الثقات المجمع على حفظهم وضبطهم وأمانتهم مما لو انفرد بروايته طريق واحد من تلك الطرق الصحيحة لوجب قبوله فكيف وقد تعاضدت وتضافرت كلها على شيء واحد حتى بلغت مبلغ التواتر الذي لا يمكن رده ولا الشك فيه كما بينته كتب الصحيح في دلائل النبوة « ومن يتبع الاحتمالات ويسترسل فيها مع الشك فقلما يصل الى ايمان أو يظفر بايقان » وقد أنكر الملحدون وجود الله تعالى بناء على تلك الاحتمالات وهو جل وعز أصل كل شيء وأظهر من كل شيء ولا يعقل بدونه وجود شيء ، وفي الناس فريق يطعن في المحسوسات وهي هي ويقول إنها لا تفيد العلم بناء على أن الحس كثيراً ما يغلط ، فانك اذا كنت في الباخرة رأيت الشاطئ جارياً وترى حبة العنب في الماء كبيرة . إلى امثال ذلك من غلط الحس ، وفي الناس فريق آخر أنكروا وجود كل شيء ، وقال ان الاشياء لاحقيقة لها بل هي خيالات وقد تعرض علمائنا للرد عليهم في كتب الكلام ، ومنهم من اختلط عليه الأمر وكثرت عليه الاحتمالات فقال في كل شيء لا أدري ويسمون عندنا باللاأدرية ولو أتيح لك أن تطلع على كتب المذاهب والآراء لرأيت أنه قد احتدم الجدل وعظم النزاع في حقيقة العلم وهو المعلوم بذاته الذي يعلم به ما سواه ، ولسكنه لما دخلته الاحتمالات ولعبت الوساوس بنفوس الناظرين فيه كثر القيل والقال حتى أصبح الناس فيه على طرفي نقيض

فقائل يقول هو بدهى لا يحتاج الى تعريف وقائل يقول لا يمكن تعريفه لصعوبته وبعد حقيقته ، وفريق يقول أنه هو المعلوم بعينه فالعلم بالنار هو عين النار ، والعلم بالماء هو عين الماء ، ولكن اذا حلت في الذهن كان لها أحكام أخرى ، وكذلك الخلاف في الوجود والموجود الى غير ذلك مما منى به هذا النوع الانسانى بناء على هذه الاحتمالات التى أوجبها الاسترسال مع الشكوك والأوهام مما يضحك الشكلى ويكيى الحليم بل مما يسلب العقل الانسانى خاصته والفطرة البشرية صفاءها وقد قال بعض الحكماء ( ان من الناس من تفسد انسانيته فيصبح غير انسان ) وإذا لا تكون له فطرة سليمة يرجع لها ولا وجدان صحيح يتحاكم إليه وإنى أناشدك الله « وأرجوا الأتسأم » لو قال لك قائل أنا لاثق بخبر من الأخبار لأنه يجوز أن يكون المخبر كاذبا ويجوز أن يكون قد اعتقد خلاف الواقع ويجوز أن يكون قد سها فقال غير ما يريد ويجوز أن يكون قد تجوز فأراد غير الحقيقة إلى غير ذلك ولا وثوق مع وجود تلك الاحتمالات التى يجوزها العقل ، بل لو قال أنا لاثق بشئ من تلك القواعد العامة مثل علم النحو واللغة والصرف وأمثالها لأن ثقلها عن واضعها رجال معدودون يجوز عليهم الكذب والخطأ والنسيان ، وهكذا نسبة كل قول إلى قائله وكل رأى إلى مرتئيه ، فإذا يكون خطابك إياه ؟ وماذا يكون جوابك له ؟ وهل ترجو لمثل هذا فلاحا أو تنتظر له صلاحا ؟ وماذا يكون الحال إذا أجرينا تلك الاحتمالات فى الأمور الحرية والمسائل التجارية والأحوال الادارية والانظمة الاجتماعية ؟ بل أسألك — ولا أحسبك الا محبا لتحقيق الحق — لو كنت فى حال يقظتك وعلى غاية ما يكون من صحتك وكانت الشمس على أتم ما يكون من ضيائها وبهائها وأنت تراها بعينى رأسك ولا تستطيع أن تحدد النظر فيها لعظيم ما يبهرك منها فجاءك سوفسطائى فقال لك : هل تستطيع أن تقيم دليلا على صحة ما تدعيه من طلوع الشمس ووجود النهار فأخذت تصيح انى أراها وأنت تراها وكل الناس ينظرون اليها وهى أظهر من كل دليل يقام عليها ، فأخذ يقول لك يحتمل أنك نائم وان تلك الرؤية منامية وان اجتماعى بك ومجادلتى إياك وكل ما يحيط بنا من شجر وحجر وماء وضياء كله حلم فى حلم وخيال فى خيال ، محتجا عليك بأن النائم

قد يرى في منامه أكثر من هذا وهو لا يشك في نومه أنه حق لامية فيه حتى أنه يرى أنه قد رأى مناماً ثم يقيظ ثم قصه على بعض المعبرين إلى غير ذلك مما يراه النائمون ولا يشكون في نومهم أنهم متيقظون<sup>(١)</sup> فعل حالك هو حال هذا النائم واعتقادك اعتقاده وأنت في منام لا يقظة ، يقول لك ذلك كله بغير تهيب ولا خجل فقل لي « رعاك الله » ماذا يكون حالك مع هذا السوفسطائي صاحب الترهات وحليف الاحتمالات ، ألا يصعب عليك جداً إقناعه مع كونك قاطعاً بفساد ما يبيديه من هذه الاحتمالات ، ولئن كان العقل يقول بجوازها فالوجدان قاطع بعدمها ، ولو اعتمد الناس على التجويزات العقلية في أمورهم لاختل نظامهم وفسد حالهم ، وكان الحيوان اذ ذاك أقرب إلى الرشد من الانسان وقد أشار الله إلى قوم هذا شأنهم بقوله « ( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْخُورُونَ ) » فبين أنهم كانوا يدفعون تلك الآية الكبرى التي شاهدوها باحتمال أنه حصل خلل في أبصارهم أو سحر في عقولهم . وإنه ليقع في قلبي أن الله خلق أقواما ليس فيهم استعداد لليقين ولا خلقت فيهم حاسته عموماً أو خصوصاً فلا يمكنك أن توصلهم إليه مهما بذلت من الوسع وأفرغت من الجهد وكنت كمن يكلف فاقد السمع سماع أصوات المدافع الضخمة أو فاقد البصر رؤية الأضواء المتألقة ولذلك سجل الله عليهم بقاء الشك وعدم الايقان بقوله « ( وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ) » ويقول « ( وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوهَا . وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ) » الى آخر ما ورد في حقهم والله في خلقه شئون ، ولعلنا نتكلم في بعض المعجزات على التفصيل بعد ان شاء الله م

يوسف الدجوى  
من هيئة كبار العلماء  
بالأزهر

(١) اذكر بهذه المناسبة ماسمعت من بعض أصحابي أنه رأى في منامه أن بعض الاعزاء عليه قدماء فرماه بقصيدة غراء مطلعها .. شج قلبي فلم اجد لعزائي \* غير دمع مزجته بدمائي

# السنة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف<sup>(١)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال « يا غلام ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت الله فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفت<sup>(٢)</sup> الأقلام وطويت الصحف<sup>(٣)</sup> »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يا غلام أو يا غليم ، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ فقلت : بلى ، قال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جفت<sup>(٤)</sup> القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله تعالى لم يقدرُوا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه ، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الشدة ، وأن مع العسر يسراً<sup>(٥)</sup> »

## شرح الحديث الشريف الأول

هذا الحديث الشريف كأ مثاله يدل المسامنين الذين آمنوا بالله وبرسوله ويرشداهم إلى ما كان صلى الله عليه وسلم قائماً به من دعوة الأمة إلى الله تعالى وبيانه لهم ما جاءهم به من

(١) راكباً خلفه . وهو بمعنى قوله في رواية الامام احمد الآتية : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم (٢) سيأتي تفسيره في رواية الامام احمد (٣) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح (٤) متعلق بجف مداد القلم بسبب فراغه من كتابة ما هو كائن في علم الله . وكل ما لم يكن في علم الله انه لن يكون فانه يستحيل ان يكتب القلم انه كائن . (٥) روا الامام احمد باسناد حسن .

العقائد الصحيحة وأعمال الدين والدنيا وارشادهم الى مايزكى نفوسهم من الفضائل ومكارم الأخلاق .

كان صلى الله عليه وسلم يعلمهم كل ذلك في مجالس يعقدها لهم في المسجد وغيره وفي مجامع أخر في الحضر أو السفر رجالا أو ركبانا ذكرا أو إناثا أو صبيانا فما كان من وقت يمضي عليه صلى الله عليه وسلم الا وهو مشغول فيه بأمر ديني محض أو دنيوي يقصد به وجه الله تعالى ويصلح به أمور الأمة أو يقصد الأمرين جميعا تقربا الى الله عز وجل باصلاح الدين والدنيا معا ، وهذا كما قال الله عز اسمه في ذلك ( إِنَّا سَنُلْقِي <sup>(١)</sup> عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا <sup>(٢)</sup> . إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ <sup>(٣)</sup> هِيَ أَشَدُّ وَطْأً <sup>(٤)</sup> وَأَقْوَمُ قِيلًا <sup>(٥)</sup> . إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا <sup>(٦)</sup> . وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا <sup>(٧)</sup> ) . وقال ( وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ) .

دلنا هذا الحديث الشريف على ما كان من عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالة ربه سبحانه وعنايته التامة بتربية الأطفال وتغذية نفوسهم بالعقائد الاسلامية وغرس الأعمال الصالحة في نفوسهم لينشئوا نشأة حسنة علماء بدينهم عاملين بتعاليمه حريصين على حسن ادائها حتى اذا كبروا كانوا مرجعا لغيرهم يفرعون اليهم في تعلم ماورثوه هم عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان شأن سيدنا عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة الأجلاء الذين كانوا نعم الموءل والمعلج للمسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم . نشأ ابن عباس وغيره من غلمان المسلمين كعبد الله بن عمر وعلى بن ابي طالب رضى الله تعالى عنهم على هذه النشأة الحسنة ، ثم كبروا وانضموا الى رجالات الصحابة الاجلاء الصبور في العلم الاسلامي والتزام حدوده وحسن الحظ على الحرص عليه وعلى العمل

(١) سنوحى اليك (٢) القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة على المكافين وخصوصا النبي صلى الله عليه وسلم فانه مأمور بتحميلها وتحملها للأمة (٣) القيام في الليل للعبادة بعد النوم (٤) أى هي خاصة أشد ثباتا للقدمين حين الصلاة بخلاف الصلاة قبيل النوم (٥) أقوى قولاً واعد له واثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات بعد النوم . (٦) ثقلها وتصرفا واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع أن تنفرغ للعبادة فعليك بها في الليل (٧) أى انقطع اليه بجميع الهمة واستغرق الزمعة في مراقبته .



به من غيرتوا كل ولا هَوَادَة ، فكانوا جميعا بعد الرسول صلى الله عليه وسلم مَشْرِقًا  
 بَرَّغَتْ منه شمسُ الدين الحمدي وانبَعَثَ منه نور الاسلام الحنيف فاضاء المشارق والمغارب  
 وشرح الله صدور أهلها للدخول في دين الله أفواجا وتحولت أقطار الأرض من جهلها  
 ووثنيها الى أقطار موحدة تدين بالدين الحمدي الحنيف وبالعمل الصحيح وبسائر الاعمال  
 التي شرعها الله لصالح شئون عباده الدنيوية والأخروية ، فأصبح المسامون لذلك العهد  
 سادة أهل الأرض بما نَشَرُوا من الدين والعلم النافع وما أقاموا من العدل والقسطاس  
 المستقيم وفتحوا الاقطار وعَمَّرُوا البلدان ومَصَّرُوا الأمصار وكانوا من المصلحين ، ولا  
 تزال نحن المسامين نتقلب في نَزَرٍ قليل من ثمرات أعمالهم الطيبة التي ورثناها عنهم بعد  
 ان أضعنا جُلَّ ماتركوه لنا ، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

هذه بعض ثمرات تَنْشِئَةِ اطفالنا نحن المسامين التنشئة الدينية الاسلامية ، وهذه  
 بعض تربيتنا لهم التربية التي رَبَّى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس وغيره من اطفال  
 المسامين كسيدنا علي وعبدالله بن عمر والحسن والحسين رضوان الله عليهم اجمعين .

والمسامون منا ومن قبلنا يعرفون حق المعرفة مَنْ هُمْ سَادَتُنَا علىُّ والحسن والحسين  
 وغيرهم ممن ذكرناهم ومن لم نذكرهم ويقدر ونهم حقَّ قدرهم في الدين والعلم والعمل .

ان العلم الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه الناس عن ربهم جلَّت حكمته علم  
 يصلح النفوس ويهذبها ، وكذلك يصلح الأبدان ويقيها امراضها وادواءها ، فكان هذا  
 الدين الاسلامي الحمدي لهذا مُثَقِّفًا للنفوس شافيا لها من العقائد الفاسدة وقبائح  
 الجبهالات والغواية ودواء ناجعا من سيئات الاعمال وشور عواقبها ، وكان لذلك شفاء  
 وعلاج نافع ايماننا نفع للأرواح والاشباح ، من لدن حكيم خبير ، كما قال جل ثناؤه  
 ( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى  
 وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ) وقال ( قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ  
 اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى  
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) وقال ( فَأَمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ) .



ان الناظر في هذا الدين الاسلامي النظرة الصحيحة البريئة من التعصب الذميمة وتلمس المعايير الكاذبة يعلم العلم اليقيني أنه دين الفطرة الانسانية التي كرمها الله تعالى، ويعلم أنه (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) وأنه (مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) وأنه كما جاء مصلحا للناس أرواحهم وعقولهم ببيان العقائد والعبادات والفضائل النفسية، كذلك جاءهم مصلحا للأحكام والاعمال الدنيوية لم يُفْرِطْ من ذلك في شيء، كما قال الله الحكيم العليم (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)

نتقل من تربية الطفل في الصدر الأول والاسلام غَضُّ قَدْ خَالَطَتْ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ فكان أصله ثابتا في النفوس وفروعه في السماء يُثَبِّتُ لِلْمُسْلِمِينَ كل حين نباتا حسنا وَيَرْبِّهُمُ بِأَذْنِ رَبِّهِمْ كُلَّ أَنْ ذَرِيَّةً طَيِّبَةً يَكُونُونَ خُلَفَاءَ صَالِحًا لِسُلُوفِ صَالِحِينَ، ثم نتقل من هذه التربية الى التربية في زماننا هذا انتقالا من النقيض الى النقيض (وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) فنقول :

إن للطفل مدرستين يتربى فيهما في بدء حياته «أولاهما» داخلية وهي بيت والديه «وثانيتهما» خارجية وهي المدرسة التي أعدها الحكومة أو غيرها للتربية .

فأما المدرسة الأولى، وهي مدرسة بيت الوالدين فان الطفل لا يسمع ولا يبصر فيها للدين أثر من عقائده ولا أعماله ولا فضائله ولا آدابه ولا أوامره ولا نواهيه (الامن عصم الله) وقليل ما هم، فلا طهارة ولا صلاة ولا زكاة ولا صيام ولا آداب ولا اتقاء لما حرم الله من غيبة أو نعمة أو تناول ما نهى الله تعالى عنه من مأكول أو مشروب أو ميسر أو غير ذلك مما أمر الله به أو نهى عنه، لا يرى الطفل شيئا من ذلك يصدر عن الوالدين، فهل يطمع طامع بعد ذلك أن يرى طفل هذين الوالدين المستهترين المفرطين في دينهما ولدين منزلة من قلب ولدهما أو ولولده وازع من نفسه ينهاه أن يرتكب الموبقات التي ارتكبتها والداه ونشأ على رؤيتها منهما وتكررت مشاهدته لها حتى مرّ عليها وأنس منها وانكر اضدادها من أوامر الدين ونواهيه وعدّ ماخالف ما نشأ عليه والداه أمرا عجبا ؟

وأما المدرسة الثانية فانها قد قررت على الأطفال موضوعات في الدين لكل طلبة في سنة من سني الدراسة طائفة من هذه الموضوعات يتلقونها ، وكان ذلك مقصورا فيما سبق على طلبة المدارس الابتدائية ، وكانت الموضوعات المقررة هي الاعمال البدنية من الوضوء والصلاة ونحوهما ، وكانت تلك الدروس مُزْدَرى بها اذ دراء لا يحيزه عقل ولا دين ، فمن ذلك أنه يختار لها دائما آخر النهار ، وهو الوقت الذي كانت تقتر فيه هم المدرسين والطلبة وتضمحل فيه قواهم وتخمّد أذهانهم ، فلا يستطيع المدرسون أن يفيدوا ولا الطلبة أن يستفيدوا .

ومن ذلك أيضا انهم جعلوا دروس الدين اختبارية لا يحاسب المدرس على أن يهملها بنوع من أنواع الاهمال ، فان شاء أن يدرسها كيفما شاء غير متبع في ذلك نظاما من نظم التدريس فيهم الطلبة عنه ما قال أم لم يفهموا ، وان شاء بدّل مدرّس الدين به غيره من فن آخر كالنحو والمطالعة مثلا .

وكما أن المدرس لا تبعه عليه في اهمال دروس الدين كذلك الطالب سواء بسواء . لا مؤاخذه على جهله بها ، وان فرض امتحانه فيها وان لم يُجب بشيء أو أجاب اجابة خطأ أو بما لا قيمة له فانه لا يكون شيء من ذلك سبباً في عقابه أو عتابه أو رسوبه في ذلك الامتحان ولا عقبة تحول بينه وبين تقدمه على غيره في الترتيب ولا في حرمانه من مجانية متمتع بها ولا من الانتقال من سنته التي هو فيها الى سنة أرقى مما هو فيها .

قلنا إن موضوعات علم الدين كانت فيما سبق مقررة على طلبة المدارس الابتدائية ، ولكن قد أحسنت وزارة المعارف قريبا فقررت علم الدين على طلبة السنتين الأولى والثانية من السنين الثانوية فنعم ما فعلت أتم الله توفيقها ، لكنها مع إحسانها فيما فعلت تركت الحبل للمدرسين وللطلبة على الغارب ولم تجعل للدار من يحرّسها ولا للدواء الناجع طبيبا يقوم على العلاج به ، وذلك أنها استهانت به كما استهانت في التعليم الابتدائي فجعلت وقته هو وقته وتدرسه هو تدرسه واهماله واستثقاله ونتائج امتحانه هي بعينها كما شرحنا في التعليم الابتدائي ، فهل لهذا الاستخفاف بالدين وتعليمه وتنشئة أولادنا نحس المسامين على تعاليمه من آخر ينتهي اليه اهمالنا وتفریطنا ( فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من

عِنْدِهِ فَيَضْبَحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) و (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا).  
لو كان الاستهتار بأمر الدين الاسلامي والتفريط في تعليمه معه بعض عناية تشابه العناية  
بفن الرسم والألعاب الرياضية كالجرى والقفز وغيرهما لهان الأمر والخطب بعض  
الهُوْنُ وَلَتَمَزَى الدينُ وأهله بعض التعزية . ولكن الأمر قد تعدى طوره وأمسى  
الدينُ وأهله على خَطر عظيم والقوا بأيديهم الى تهلكة عظيمة لا نجاة لهم منها الا  
اذا خرجوا مما دخلوا فيه من هذه التهلكة ولكن ما داموا على ما نراهم فانهم ليسوا  
منها بمخرجين .

تلك الطامة الكبرى هي قذف المسلمين باطفالهم الى مدارس غير المسلمين ،  
وبعضهم قد يكون من الطائفة الداخلية وبعضهم من الخارجية ، ونحن نعلم علم اليقين  
كما يعلم آباء أولئك الأطفال ما تقرضه تلك المدارس على طلابها المسلمين وغيرهم من  
اداء العبادات التي يحرمها الدين الاسلامي ويحكم حكما لا تأويل فيه ولا شبهة بأن فاعلها  
يخرج بها من الاسلام ومثله كل راض عنها أو متسبب فيها .

ولقد شكنا بعض هؤلاء الآباء حينما رأى ابنه وهو في البيت يقول ويفعل ما لقيه  
معامو تلك المدارس من أقوال وأفعال غير المسلمين ، وقد أعيتته الحيل في رجوعه عنها فلم  
يرجع ، فقيل له ولم لم تخرجه من هذه المدرسة بعد أن تحققت ضررها ، وهل أعددت  
الجواب حينما يسألك ربك عما فعلته بابنك هذا في يوم ( لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا  
وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ) ؟ فقال أخشى أن  
أُخرجه فيَحْرَمَ من التعلم ، فقيل له : وهل حرّم غيرك من الآباء أبناءهم الذين لم يدخلوهم  
في هذه المدارس التي هي في الحقيقة معابد لغير المسلمين ؟ فلم يُجِرْجوا با فقيل له : اتق الله  
في نفسك وفي ولدك وتذكر قول الله المنتقم الجبار اذ يقول : ( يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا  
أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ) في يوم ( لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ )

ثم إن هؤلاء الشبان الذين لم يتربوا التربية الدينية ولم تثقف بها عقولهم ولم تذوقها

نفوسهم كثيراً ما يُرسلون الى أوربة ليطمئنون ادراستهم ويتخصصوا ببعض العلوم كما يقولون ثم يعودون وقد تبدلت أحوالهم وتغيرت أوضاعهم . والتوت أسنتهم في دينهم وأخلاقهم وسيرتهم وعاداتهم و ( لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كثيراً ) حتى على آبائهم الذين لهم يستجدون واليهم محتاجون وبأموالهم يرحون ولا شيء من ذلك بمجهول ولا يخاف علينا . ولقد سمعنا شيئاً كثيراً ممن نثق به منهم وقد حفظ الله تعالى عليهم دينهم وفضائلهم ( وقليلٌ مَّأْمُومٌ ) حدثونا بمباحثات وأسئلة كثيرة كانت تنال من الطلبة الأوربيين يوجهونها الى الطلبة المساميين ظانين أنهم على شيء من دينهم فكانوا تلقاء هذه أقساما متباينة ، فمنهم من يعيب الاسلام إيماء عيب ، يريد بذلك ستر جهله بدينه زاعماً أن ذلك يُكبره ويقرُّ به زلفى الى السائلين غير المساميين .

ومنهم من تحمله الغيرة أو يخشى ظهور جهله فيجيب وهو جاهل على غير يئنة مما يجيب ، وهؤلاء كثيراً ما يخطئون ، وان فرضت اصابتهم فانها تكون أندر ما يكون لانها رمية من غير رام . واما خطأه فانه الأغلب الأكثر وهو مسجل عليه وعلى الدين الحنيف وهو منه براء ، ولقد صدق من قال ( عدو عاقل خير من صديق جاهل ) .

ومنهم من سافر الى تلك البلاد وهو مؤمن حقاً وقلبه مطمئن بالإيمان حريص كل الحرص على فرائضه وسننه وسائر تعاليم دينه حتى أكبره رئيس المدرسة ومدرسوها وطلبتها وصار منارا صالحا وعنوانا محموداً صادقاً على دين الاسلام ، فلقد طالما أراح كثيراً من الأباطيل والأكاذيب التي كان قد ألصقها بالاسلام بعض أعدائه الجاهلين المفسدين . هذه هي مدارس المساميين ومدارس غيرهم ، وهذا هو شأنها في معاملة الدين الاسلامي ، وغاية أمرها أن التلاميذ يخرجون منها بعد اتمام دراستهم وأفئدتهم هواء وصدورهم جوفاء من كل شيء يتصل بالاسلام من عقائد الهية ونبوية وعبادات بدنية وأحكام دنيوية وأخلاق وآداب دينية وعادات ومواضع حسنة دنيوية .

ولكن اعلم أن هناك دورا بل قصوراً أنشأها غير المساميين وراء ستار من زخرف لا يعميه عائب ولا يمانع فيه ممانع ، ذلك الستار هو دعوى أن هذا القصر قد انشأ للاستشفاء ووقاية النوع الانساني أن تقتك به الأمراض ، فاذا دخله المريض عولج فيه

علاجاً جسمياً لا نتعرض له لأننا لسنا بصدده ، ولكن الذى نتعرض له هو معالجتهم له علاجاً روحياً دينياً ، وذلك أن المريض بينما يكون فى حال يقاسى فيها ما يقاسى من الأوجاع والآلام وهو يناجى ربه القادر على شفاؤه الذى ( ليس كمثل شئء وهو السميع البصير ) اذ فاجأه مفاجئ يلقى عليه درساً يذكر له فيه ما يخالف عقائده ويهدم قواعده ويحتجده ما استطاع فى تشكيكه وزحزحته عن دينه الذى دخل به ذلك المستشفى ليخرج منه وقد ترك دينه فيه كما أنه يخرج وقد ترك فيه مرضه الذى دخله به أليس الأمر كذلك أيها المسلمون ؟ بلى

وجملة القول . أن عاقبة المدارس على ما هى عليه هى تربية الطفل تربية خالية من كل ماله مساس بدينه وعاقبة المستشفيات التى أسسها غير المسلمين هى تشكيكهم وزحزحتهم عما يعتقدونه من دينهم ، وما مثلنا ومثلهم الا كمثّل أهل الكهف الذين آمنوا بربهم اذ قال بعضهم لبعض فى شأنهم مع قومهم الذين لم يؤمنوا ( إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا )  
قد يكون لمرضى المسلمين عذرٌ ما اذا دخلوا هذه المستشفيات لأن المسلمين على كثرتهم وغناهم ووفرة ما عندهم من الثروة لم يعملوا مثل ما عمل سواهم ، بل لم يفكروا فى شئء من ذلك الا قليلا لم يكن شيئاً مذكوراً .

حسن منصور  
وكيل دار السلام سابقاً

يتبع

## الطرف والملح

أنشد ثعلب رحمه الله .

الجهلُ بعد الأربعين قبيح	فَزَعِ <sup>(١)</sup> الْفَوَادَ وَإِنْ ثَنَاهُ جُمُوحُ
وبيع السفاهة بالوقار وبالنهي	ثُمَّ لَعَمْرُكَ إِنْ عَقَلْتَ رِيحُ
فلقد حدا بك حد يان الى البلى	ودعاك داع للرحيل فصيح

# اصْبُوا الدِّينَ

## سوانح ومقتبسات

أرجو من حضرات القراء أن يطلبوا من هذه السوانح الفوائد لا المناسبات (١) لانعترض على علماء الطبيعة فيما يرون وما يقولون فان حرية الرأى أساس تقدم العلم فاذا ضغطنا على حرية الرأى فقد وقفنا عقبة في سبيل تقدمه كما كان يفعله القسوس في القرون الوسطى ولكن نحب منهم أن يخلصوا للعلم أيضا فلا يوهمونا أن الظنى قطعى والتخمينى يقينى ، نحب منهم دائما أن يضعسوا نصب أعينهم ان العلم متغير متبدل وان عقل الانسان قاصر والسكون كبير واسرار الوجود لانهاية لها ، فاذا لم يخلطوا التخمين باليقين ولم تغلب عليهم الأثرة والتبجح بما اكتشفوا ووقفوا عند حد العلم الصحيح ولم يصادموا كل شىء بمقتضى ذلك الاكتشاف الناقص الذى أكملوه من نزعاتهم وأهوائهم وأوهامهم وخيالهم لو فعلوا ذلك لرحبنا به كل الترحيب ولزال كثير مما بيننا وبينهم ، ولكن النفوس الانسانية مجبولة على التبجح فهى في عملها بمنزلة المجهر الذى يكبر الأشياء الى أكثر من الف ضعف من حجمها الحقيقى .

(٢) اننا نجلهم كل الاجلال على بحوثهم واكتشافاتهم ولكن نحب منهم أن يعرفوا ان هذه البحوث ليست الا معرفة سلسلة الموجودات وترتب بعضها على بعض ، أو نقول حدوث بعضها عقيب بعض ، أو قل أنت نشوء بعضها من بعض ، ولكن نعجب لهم كيف لا يمتثلون عجباً ودهشاً من ذلك النظام الذى لا يعرفون له سرا غير أنهم شاهدوه فكان المعقول أن يمتثلوا بعظمة ذلك الفاعل المستتر الذى حيرت آثاره العقول والأفكار ، وانا نجلهم أن نشبههم بالأطفال الذين يرون الأشياء في هذا الكون فيعملونها تعاليل لا توافق الحقيقة غير مفرقين بين مقارنة الشىء للشىء ،

وسببية الشيء للشيء، أو نقول بين السببية والفاعلية ، أو نقول بين الفاعلية والقابلية ، ولعلمهم يفيقون من سكرة الظفر بهذه المكتشفات فيرجعون الى العقل والمنطق .

(٣) انهم عرفوا عناصر الأشياء ومقاديرها فهل يمكنهم أن يصنعوا لنا تفاحة أو رمانة أو نحو ذلك بناء ماعرفوا في كيميائهم من قوانين المزج والاتحاد ؟ فضلا عن انسان حى أو حيوان حى .

(٤) انه يمكنهم أن يحللوا الحلية ولكن لايمكنهم بعد تحليلها أن يعيدوها حية كما كانت ، أليس ذلك وحده دليلا على أن الأمر ليس راجعا الى الفسة العناصر ولا مقاديرها ؟ بل الى سر مجهولونه تام الجهل حتى في اصغر الأشياء .

(٥) ان المادى الملحد لا ينتظر منه غير الاحاد والقول بالمادة فانه لم يقرأ الا كتبها ولم يطرق سمعه في تربيته الخاصة وادوار حياته الطويلة الا التنويه بها والحديث عنها ، فنفسه ممتلئة بها فارغة من كل ماسواها ، فهو سكر بمجبته مخمور باثارها ، وما ذا تريد من السكران الذى انحصر في موضوع واحد حتى تخلل ذلك الموضوع اجزاء نفسه ؟ وماذا تنتظر من الذى حصر نظره في اتجاه واحد ؟ هل يمكنه أن يعرف غيره وهو لم يتجه اليه ؟ والانسان محصور فيما وضع نفسه فيه والعالم كبير جدا والعلم لا آخر له، فتكفى ناحية ضئيلة من نواحي العلم أن تأخذ الانسان كله حتى لاتدع منه شيئا لغيرها ، والانسان ليس موجودا الا في جزء صغير من العالم وهو ماوجه نفسه اليه وقصر بحثه عليه وان كان يظن أنه موجود في العالم كله .

(٦) لنتظر أى الفريقين أهدى سبيلا ؟ فريق المؤمنين الذى أرجع الحياة الى أصل حي والارادة الى أصل مريد والعلم الى أصل عالم ، والنظام المحكم الى منظم حكيم ، أم فريق الماديين الذين خالفوا في ذلك كله بدائه العقول وصرائح البراهين ؟ فبلغوا من الاوهام حدا لم يبلغه الفلاسفة الأقدمون الذين يرمونهم بالخيالات والخرافات ويفتخرون عليهم كبرا وتبجحا بأنهم خلصوا من الوهم وبرئوا من الخيال غير شاعرين أنهم وقعوا فيما هو أفضع منه .

(٧) وصل التخرص في حقيقة المادة والتظن فيها الى حد أن قالوا انها مؤلفة من مجموعات كثيرة كالمجموعات الشمسية وانما الذى يرينا أنها جامدة وصلبة هو سرعة سيرها فلا نحس بحركتها مثل الأرض التى تسير بنا سيرا حثيثا ولا نحس بسرعتها ، ألا نقول لهم ان ذلك مصادم للحس والبديهة ( والحس مقدس عندكم والبديهة مقدسة عند جميع العقلاء ) ولكن نقول لهم ما الدليل على ما زعمتم ، أليس من الجائز أو الواقع أنها لاتصير كذلك الا اذا وصلت الى حد الغازية أو التكهرب ؟ وذلك لا يكون الا بعد تحليلها ودخولها في أدوار كثيرة فما الذى جعلكم تحكمون أنها متحركة بتلك الحركات الزوبعية السريعة غاية السرعة في حال جهودها وصلابتها ، أليس كل دور من الادوار له حكم من الأحكام ؟ ومن الغلط أن نعطي الجامدات أحكام السائلات أو السائلات أحكام الغازات الى آخر ماتعرفون ولا تجهلون ، ولكنهم اعتادوا أن يتهجموا على الأحكام تخرصا وجراءة ناسين ماجعلوه قاعدتهم من ابعاد العلم عن التخرص والتخمين وطالما سلقوا السابقين الأولين بالسنة حداد لتورطهم في التخرص وفرض الفروض من غير أن يقوم عليها الدليل الحسي ، فهذا آخر رأى لهم في المادة بعد ماتخلص العقل البشرى من الخرافات والالوهام وبنى العلم على أساس صحيح من الحس والمشاهدة على مايقولون ، وأعرب من هذا وذاك القول بان أصل المادة الحركة أو القوة كأن العرض يقوم بنفسه ولا يحتاج الى جوهر يقوم به ، قال بعض الفضلاء : الواقع ان القوة التى لهجوا بها ماهى الا كلمة تقال للدلالة على آثار تقع في العالم المادى لايمكن فهمها الا بها فاذا ثارت عاصفة قيل تحرك الهواء بقوة ، واذا سقط حجر على الأرض قيل انجذب اليها بقوة ولكن ماهى القوة مجردة عن هواء وحجر ؟ لاندري ولا أحد في العالم يدري فكلمة القوة التى جعلها العلماء المعاصرون لنا مبدءا ومعادا لجميع الكائنات المحسوسة لاتساوى اكثر من كلمة «الجوهر الفرد» وستخول تلك ماخولت هذه من السلطان المطلق ثم يعترىها السقوط الى الحضيض فتخلفها كلمة أخرى أصح منها مسيطرة للعلم في الدرجة التى يكون عليها



اذ ذاك ثم لاتكون تلك هى الكلمة النهائية ، بل لاينفك الانسان ينتقل من مدركات ومصطلحات حتى يبلغ الغاية مما أعد لبلوغه من العلم ، ولا ندرى ان كان يتم له هذا العلم المطلق في عالمه هذا بجواسه القاصرة هذه أم في عالم آخر حيث تنطلق روحه من القيود المادية ، فيجب على طالب الحقيقة المطلقة أن يحترس من الكلمات الفارغة وان سايرت أهواءه الراهنة فرب انخداع بنظرية لا أساس لها يقف بصاحبه عشرات السنين في دائرة معينة من الخيال ويقف بأمر برمتها عشرات القرون في حالة محدودة من الضلال ، وقد كان الطبيعيون الى ما قبل مائة وخمسين عاما يفكون جميع المعميات الوجودية بالعناصر الاربعة، الماء، والهواء، والنار، والتراب وقد اتضح اليوم بالتجربة أنها مركبة وماذا يدريهم أن العناصر التى زعموها بسيطة وأوصلوها الى نحو الثمانين مركبة ؟ وان قصور آلتهم عن تحليلها هو الذى جعلها بسيطة في نظرهم والا فالبسيط على الاطلاق انما هو الاثير الذى اثبتوه وقالوا ان كل شئ يرجع اليه ، وقد كانوا يحللون بالجواهر الفرد الذى لايقبل الانقسام ولا التلاشى كل العضلات الطبيعية وقد ثبت بالعلم أنه قابل للانحلال والفناء ، فلا يصح والأمر على ماسمعت أن يعول الباحث عن الحق الصراح في الطبيعيات الا على ما يحس به وتمكنه منه تجربته بوسائله الذاتية ، فأحسن موقف يقفونه أمام مسألة المادة هو أن يعترفوا بأن أصلها مجهول وان كل مايقال فيه لا يخرج عن دائرة الظنون والآراء . ويحسن بنا هنا أن نبغك أن الرأى الذائع في معاهد التعليم من أن المادة لاتنفى قد أدحضه العلامة «جورج بوهن» والعلامة الكبير «جستاف لوبون»

(٨) يحاول الانسان أن يعلل كل شئ وهو لا يستطيع أن يعلمه الا برده الى العلل التى يعرفها وهو لم يعرف الا قليلا جدا من هذا الوجود على أنه لا يستطيع أن يعلل شيئا تعليلا حقيقيا ولكنه كما قال بعض فلاسفة أوربة، يشاهد بعض الاشياء مشاهدة متكررة فيظن أنها مفهومة ومعقولة وان غيرها ليس مفهوما ولا معقولا لكونه لم يشاهده أو شاهده على سبيل الندرة ، والحقيقة أنه لايعرف علة هذا ولا ذاك ،

قال الدكتور فرابار : ليس لأى عقل مهما كانت درجة اتساعه ان يضع حدودا للممكن وغير الممكن لان الممكن لا ينتهى الى حد كالمكان والزمان ، ونحن وان كنا قد حددناه في نظرياتنا فهو يتعدها كل لحظة ويسخر من ضيق عقلنا ، ألم تعلمنا التجربة أن ما يظهر لنا مستحيلا اليوم قد يكون بديهية الغد ؟ هكذا كان الحال حيال اكتشاف أمريكة ، وبارود المدافع ودورة الدم والكهرباء الجلوانية والبوصلة وآلة الطباعة ومانة الصواعق والطيارات والتلقيح والعلاجات المقطرة الخ الخ . أما ما يقوله لنا العقل فهو أنه لا يوجد خطأ محض الا في الامرين المتناقضين ولاحق محض الا فيما هو بديهي ، وعلى ذلك يمكن الانسان أن يقول انه من المستحيل أن يرى مثلثا بغير ثلاثة أضلاع لأن ذلك تناقض ولكنه لا يستطيع أن يقول يستحيل أن رجلا يمكنه أن يقرأ من قفاه وأن آخر يسمع من فم معدته (كما يقول علماء الأرواح) وثالثا يرى عن بعد مائة الف فرسخ ، ورابعا ينبئ عن الغيب كما يقولون ، وخامسا لا يشعر بالالم ، وسادسا يشخص داءه وادواء سواه ، وسابعا يلهم بوصف العلاجات «لا، لا يستطيع أحد أن يقول بدون أن يحط من كرامة العقل بان هذه الحوادث بديهية الاستحالة لأنه ليس لأحد الحق ولا القدرة على أن يقول للممكن «انك لن تصل الى هذا المدى» وفي الواقع ان هذه الظواهر الخارقة للعادة جدا ليست اكثر ادهاشا ولا عجبا ولا استقصاء على التعليل من الظواهر التي نشاهدها كل يوم ، أليس كل شئ في الطبيعة غامضا وعجيبا ، ولكن يوجد عجائب تجرى في الطرقات وأخرى قليلة الشيوع فيخيل للانسان أنه قد فهم الأولى دون الثانية لأنه لا يراها الا نادرا ومع ذلك فهو لا يستطيع أن يعلل هذه ولا تلك فهو يشاهدها وكفى .

(٩) يقول الماديون انهم لا يؤمنون الا بالمحسوس ولا يقولون الا بالمشاهد فهل عرفوا أن الناس كانوا غير متدينين فلما خافوا من أفاعيل الطبيعة حرها وبردها وظلمتها ورعودها وعواصفها وسحبها وبرقها وامطارها اخترعوا ما وراء الطبيعة وقالوا بالقوة الغيبية واخترعوا الجن والشياطين والارواح الى غير ذلك ؟ فهل هذا هو شأن

الأمانة في العلم أو شرف الثبات على المبدأ يا حضرات المتبحرين ؟

(١٠) لابد من تكرار الفوائد في العبارات المختلفة والاساليب المتنوعة ثم لابد من مذاكرتك ذلك كله المرة بعد المرة حتى تنتفع به وتصل الى لبابه ويدخل في شغاف قلبك فان الانسان يجول على الغفلة والنسيان وقلما يصل الى لبالحقائق فيما يقرؤه الا اذا عاوده مرارا كثيرة وقلما ينتفع به الا اذا امتزج بنفسه وكاد يكون علما حضوريا لديه ، ولذلك تكرر القصص والامثال كثيرا في القرآن لتلك الحكمة وقد كتبنا في موضوعات كثيرة ثم كنا نراها غريبة لدينا عند ماتقرأ علينا بعد درج من الزمان وسبب ذلك الغفلة والنسيان وهما غريزتان في نوع الانسان.

(١١) نريد من الطبيعيين أن يقولوا فيما وصلوا اليه من القطعيات انه قطعى وفيما هو في محل البحث والافتراض انه فرضى وفيما جهلوه رأسا انهم جاهلون به لم يصلوا الى حقيقته ولا سره؟ وبهذا يكونون قد اخلصوا للعلم ولا أنفسهم وللناس جميعا.

(١٢) انهم يقولون ان المادة قوة أو هي راجعة في آخر أمرها اليها وقد رجعوا عن رأى القديم فيها أفلا يرى القارىء الكريم أنهم قالوا بالمجردات من حيث لا يشعرون؟ بل زادوا علينا بان كل شئ من الماديات هو في حقيقة أمره قوة تقمصت هذه الصور وتلك الأشكال فما فرارهم بعد ذلك من القول بما وراء المادة، وقد اكثرنا الدوران ثم رجعوا اليه .

(١٣) العلم ومباحثه البرهانية لا يصبر عليه الا من ارتاض بضاعة المنطق والبرهان ، ومن النفوس نفوس هينة رقيقة لا يمكنها الصبر على ذلك فلا يغذيها أو لا يدخل جوفها ولا يروق عينها الا الروايات والفكاهات ، فليت شعري من أى قبيل أنت وبماذا كنت تشغل في سالف أوقاتك وأيام تربيتك الأولى !!!

(١٤) من ضعف الانسان أن الشبهات التافهة تنحرف به عن الصواب ومتى انحرف عن الحق ولو قيد شعرة وقع في الباطل وقد تكون هناك فروق دقيقة يضل في ثنائها كثير من الناظرين ولا يهتدى اليها الا الراسخون المبرزون .

(١٥) ان المقلدين كثيرا ما يحملون مذاهب متبوعهم مالم يقولوا به لافرق بين أهل الدين وغيرهم وهذا « بنحز وشبل شميل » ينسبان المادية والدهرية وانكار الألوهية لمذهب « دارون » استنباطا واجتهادا والمذهب برىء من ذلك « ودارون » نفسه معترف بالألوهية، لان المذهب مقصور على البحث في نشوء بعض العضويات من بعض بعيد عن البحث في الأصل الذى تستمد منه حياتها ووجودها .

(١٦) الماديون فروا من تأليه الاله الحكيم الذى « ليس كمثله شئ » وهو السميع البصير الى تأليه المادة التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيئا ، وهم يعيون المتدينين بالجمود ولو انصفوا لعرفوا أنهم هم الجامدون المتحجرون الذين خلعت عليهم المادة كسافتها وجمودها .

(١٧) اننا في عصر ثورة فكرية وانهلاقات خطيرة وفي الثورات يختلط الخابل بالنابل والحق بالباطل ويرتفع الجاهل فوق العالم والخامل فوق النابه والصغير فوق الكبير والحقير فوق الخطير ، ولا يكاد يسلم من ذلك الا شذاذ من الناس كانوا من الرفعة وكبر النفوس بحيث لا تتأثر فيهم تلك الضوضاء ولا تطغى عليهم هاتيك الغوغاء فهذه ظاهرة تلزم كل انقلاب والفوز المؤقت في الانقلابات للأصاغر لا للكابر وللجاهل لا للفاضل وللخامل الذى ليس له من وسائل الظهور الا تلك الوسيلة الشاذة، ولا من الفرص والظروف الا تلك الفرصة التى قلما تسنح له وذلك الظرف الذى لا يحسن العمل في غيره (ولكن الباطل كان زهوقا)

(١٨) تأثير الشهوات يغطى العقل فان الانسان متى كان متأثرا كان مقهورا مغلوبا تحت سلطان المؤثر فيه لانه اذ ذاك منفعل لا فاعل .

ولنقتصر اليوم على هذا حرصا على نشاطك واستجماما لنفسك فلعل ذلك أشهى اليك وأسهل عليك .

يوسف الدجوى  
من هيئة كبار العلماء بالأزهر

# أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

## الاسلام دين الفطرة

محاسن الاخلاق في الشريعة الاسلامية

قال صلى الله عليه وسلم ( انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق )  
قدمنا في المقالات السابقة شرح محاسن الشريعة الاسلامية في عقائدها وفي عباداتها  
ومعاملاتها ، ولايستطيع امرؤ منا معها أوتي من المقدرة الكلامية وغزارة العلم أن يزعم  
انه استقصى ما في الشريعة الغراء من مصالح وحكم ، وانما هي الملمات تجتث بها ثمرات  
يلتقطها المتبصر المتأمل في رياض هذا الدين الحنيف بقدر ماتسمح به قوة بصيرته ولو أنه  
أعاد النظر فيه لظفر باضعاف ماتجلى له فما أجدره بقول القائل

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

بل مامن باب من أبوابه المتعددة إلا وهو أهل لأن يستخلص منه من مصالح البشر  
مالا يقف به الحصر ، وحسبك أنه النور الالهى والرحمة المهداة من رب العالمين لارشاد  
العباد الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة .

ومقالنا اليوم نحتل به شيئا من محاسنها في باب الاخلاق التى بثت في ثناياها والتي  
بعث صلى الله عليه وسلم لتتميم مكارمها ، ونبين فيه أسلوبها الحكيم في غرس الاخلاق  
التي تدعو اليها في النفوس وتمكينها منها وتربيتها على الاخذ بها .

ولأبأس أن نعهد لذلك بذكر مقدمة وجيزة قررنا علماء الاخلاق يقرب بها حصر  
الاخلاق المتكاثرة في أنواع مضبوطة ليسهل النظر في كل نوع وكيفية تربية النفوس عليه  
في أسلوب الشرع الحكيم .

ذكر الباحثون في الاخلاق أن أصولها ترجع الى ثلاث صفات ، الحكمة ، والعفة ،

والشجاعة، وعللوا ذلك بأن النفس الانسانية أوتيت ثلاث قوى ، وهى قوة التمييز، وقوة جلب النافع ، وقوة دفع الضار ، وبعبارة اخرى العلم ، والشهوة ، والغضب، وكل واحدة منها عرضة للضعف والنقص وللإفراط ومجاورة الحد وقابلة للتوسط والاعتدال ، ولا تكون واحدة منها فضيلة الا إذا لزمته حد الاعتدال فلم يمتزها النقص والضعف والتفريط ولم يتجاوز الحد الى جانب الزيادة والإفراط ، فتمت لزمته حد الاعتدال كانت حميدة الاثر جميلة العقبي، وقد جعلوا لها اسما بحسب حالاتها فسموا قوة التمييز عند اعتدالها حكمة ، واذا ضعفت وقصرت كانت غباوة وجهالة ، وان جاوزت حد الاعتدال كانت خبثا ومكرا وجريزة ، وسموا قوة الشهوة عند اعتدالها عفة فان قصرت وضعفت كانت جمودا وبلادة فان جاوزت الحد كانت شرها ، وكذلك قوة الغضب تعتدل فتكون الشجاعة فان نقصت كانت جبنا واذا زادت كانت تهورا .

والفضيلة فى كل واحدة هو الاعتدال والتوسط حتى سموا حالة اجتماع تلك الفضائل الثلاث بالعدالة ، وما أحسن قول بعضهم

ولا تغل فى شئ من الأمر واقتصد كلا طرفى قصد الأمور ذميم  
والى هذا المعنى يشير قوله عليه الصلاة والسلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه  
برفق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وقوله عليه الصلاة والسلام « قم ونم  
وصم وافطر فان لبدنك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا »

هذا : وليس من غرضنا الآن أن نتوغل فى إبحاثهم وخلافهم فى أن كل قوة من  
الثلاث اذا زادت كانت رذيلة أو أن هذا فى غير قوة التمييز ، وأما هى فمما زادت فهى  
فضيلة ، ولا أن تتعرض الى رد فروع الاخلاق الكثيرة الى هذه الأصول الثلاثة ، فكل  
من هذين المبحثين وما على شاكلةهما يهم الناظر فيها نظرا استقصائيا فلسفيا ، ونحن  
إنما نريد تقريب الضبط تمهيدا لشرح أسلوب الشريعة فى تربية النفس على الأخلاق  
وترغيبها فيها ترغيبا مشرعا .

فلنضرب لك أمثلة لما جرت عليه الشريعة الغراء فى كل باب من الابواب الثلاثة  
تتعرف بها هذا الأسلوب البديع الحكيم وانطباقه على ما يليق بالفطر المعتدلة السليمة

## (١) تربية القوى العلمية

يقول الله تبارك وتعالى في تربية قوة التمييز والعلم ومنعها أن تتخطى حدودها وتتجاوز في أحكامها ما قامت عليه الأمارات الصحيحة « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » فتأمل في هذه الآية الكريمة كيف تربي في النفس قوة التفكير وتضبط العقل عن أن يجري وراء الاوهام بعبارة تشعر بالأسفاق على من يسمعها والرافة به كيلا يضيع جهده عبثا ، فهتته عن أن يقفو أى يتبع ويسترسل وراء أمر لم يتبينه حق التبين ولم يحط به علما حتى لا يذهب سعيه سدى ولا يضيع تعب عبثا ، فلا هو بالذى وصل الى ما يريد ولا هو بالذى وفر على نفسه راحتها وكسب لها هدوءها وفي ذلك الرأفة كل الرأفة ، ثم يردف ذلك بتوجيه عقله الى ما أهدي له من مصاييح الهدى والاسترشاد ووسائل العلم الصحيح التي سخرت له ليحسن استعمالها فيقول ( إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » فقد أشارت الى أهم أسباب العلم التي هي الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل وجعل كل واحد منها مناط السؤال . حثا على حسن الاستعمال وارشادا الى حق الاعتدال وقطعا للتعطل بالحال وزائف الاقوال ، فبالسمع تستفيد ما عند غيرك من معلومات اكتسبها بالبصر تدرك ما يحيط بك من عوالم متفرقة وبالفؤاد والعقل تميز الغث من الثمين والحق من الباطل وتفرق بين النافع والضار وبه تكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وتجيد الاستنباط وتصحح الاحكام فيما يناله بصرك ويدركه حسك .

أفلا ترى في هذا ارشادا كاملا لما ينبغى اتباعه في التفكير من ضبط النفس عن التخبط في الأحكام وبيان أن في ذلك مصلحتها ، فهذا من كف النفس ومنعها من أن تتطوح في حكمها وتقفز في استنباطها على غير هدى وبينه وعلى هذا النسق أمثال قوله تعالى ( إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ) وأما ما فيه الحث على التفكير والنظر فأكثر من أن يحصر ، فقد أمر بالنظر وحث على التفكير والتبصر ونهى على من عطل موهبة العقل وخلد الى التقليد في أعظم الأمور وأخطرها ، وكما ترى في

القرآن العزيز من آيات في هذا الباب (أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا) (أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا) (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا) ومن النعمى على المقلدين أمثال قوله جل شأنه (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ) وأما ما فيه الارشاد الى آداب المناظرة مع الغير للوصول الى نتيجة حقة يتفق عليها الطرفان فكثير أيضاً مثل قوله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بَغِيرَ عِلْمٍ) وتأمل في قوله جل شأنه (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)

فقد بدأت الآية الكريمة بيسط المقالة الحسنی، وهی تعتبر فی البحث کالدعوی وجعلت عمادها الدعوة الى الله تعالى لمتجيدته وعبادته إذ كان هو الخالق البارئ المصور، وهو المهيمن على عباده والمسيطر وهو واهب القوى والقدر، وهو المنعم الذي ترجى نعمته والمنتقم الذي تخشى سطوته فمن أحسن قولاً ممن يدعو الى سبيل هدايته والطريق المقربة اليه والزلفى لديه، ثم قرنهما بالعمل الصالح الذي يفرق بين الصدق في الدعوة والمواربة فيها والمراعاة، فان العمل على وفاق الدعوة دليل على صدورها عن قلبه وعقيدته لا عن مدهانة ونفاق، ثم أردفها بما يزيد بها تقريراً وشرحاً وذلك قوله (إِننِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أى ممن أسلم وجهه وذاته وقوا لله وقال (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ) هذا هو قوله (إِننِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) لا مجرد أن يعد نفسه في طائفة تسمى باسم المسلمين، ولما كان مثل هذا المقام لا يكاد يسلم لصاحبه بدون أن تعترضه الفتن وتقوم في وجهه العقبات والمعارضة كما قال جل شأنه (الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) ذكر جل شأنه ما يجمل بصاحب هذه الدعوة الزهية أن يتحلى به عند ما تعترضه العقبات فقارنت الآية بين الخطتين المتقابلتين الحسنة والسيئة وفتت النفس



الى ما تعتقده فيهما بفطرتها وانهما لا تستويان لا في ذاتهما فكفى أن هذه حسنة وتلك سيئة ولا في أثرهما فاحداهما مؤلفة والأخرى منفرة وواحدة منتجة للخير مبعدة عن الشرور والأخرى عقيمة في الخير ولود للشر، ففهما قلبت نظرك فيهما لا تجدهما متساويتين، بل كرر النظر تجدد أفرادهما لا تستوى فيهما فلكل درجات ودركات ففيها الحسن والاحسن والسيء والاسوأ وتفاوتها لا ينتهي فآثارها لا تتشابه، واذ كنت أيها الداعي انما تدعو لاشرف مطلب وأعظم مقصد فما أحقك أن تقرنه باجمل خصلة تستند اليها في دعايتك وتعينك على احراز مطلبك فادفع بالتى هي أحسن فستصادف نجاح السعى وتزيد رجحا بان تكسب قلب عدوك فاذا به قد مال اليك وناصرك كأنه ولى حميم .

وما أجل ما عقب به على هذه الجملة مما يحث على اعداد النفس لها والاحتراز عن الحياذ عنها لتوافر العوامل الممانعة لها شأن كل فضيلة كبرى فانها يقوم في وجهها موانع على قدر خطرها كما قال القائل

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

فقال جل شأنه ( وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ) فبين أنه ليس حسن الاثر وحده ولا تفاوت الصفات معه كافيا في اتصاف النفوس بها بسهولة بل لا بد أن تروض نفسك على احتمال ما تكره وتضبط نفسك عند مقابلة ما يهيجك فوطنها على الصبر واضبطها عن الزلل فهذه منزلة جهاد عظمى لا يظفر بها الا الذين صبروا وأصبح الصبر ديدنهم وعادتهم وكانوا بذلك من ذوى الحظ العظيم في باب الفضائل .

فهل ترى مع هذا الايجاز البديع أحكم وأوفى من هذا الاسلوب في الارشاد والى ما يجب أن يكون عليه الداعي الى ربه المرشد أخاه الى سبيل سعادته المتجمل بالرافة على بنى جنسه المقتنع بالحق والصواب ويريد أن يغرسه في نفس أخيه ؟ هذا أسلوب لا يستطيعه البشر ولا يقدر عليه الا واهب القوى والقدر ، اللهم لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك .

ولعله مما ينخرط في هذا النظام بوجه ما ويعتبر كالمرئى لقوة التفكير ما يحى في بعض آيات الاحكام من استيفاء فضائل الشئ ومعايبه ثم الموازنة بينهما لاستخلاص حكم

بنى على الاستيفاء واستقصاء النظر مثل قوله تعالى في طريق النهى عن الخمر والميسر (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) لا اقول ان الآية الكريمة واردة في تربية القوة الفكرية ، وانما نقول انها في طريق اثبات ضررها للنهى عنها قد المت بما فيها من محاسن ومقايح فاستوفت كل مالها وما عليها ووازنت بينهما فجاء الحكم نتيجة استقصاء في البحث ، فلك أن تحتذى هذا الاسلوب في تفكيرك فلا تنظر الى الشيء من ناحية واحدة بل استقص كل أحواله وقارن بينها ثم اصدر حكمك على يئنة ، ألا تعتبر هذا مثالا تحتذيه وصنعا بديعا تقتفيه وان كانت الآية مسوقة لغيره؟ فهي كالشمس تعطيك مع الضوء دفأ ومع بعث الحياة في الكائنات ابتهاجا والثمار دانية القطوف لمن يحتنى وافرة الفائدة لمن يستفيد .

## (٢) تربية القوة السهرية :

يقول جل من قائل في تربية ملكة الاعتدال في الرغائب وضبطها في احرار مشتهياتها (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) فقد حددت الآية قانون الاقتصاد في غير ما سرف ولا تقتير ودعت اليه بما من شأنه أن يحل في النفوس ائرشيدة أمكن محل فصورت التقتير بابشع صورة اذ جعلته من باب غل اليد الى العنق وتقييدها به تقييدا يشل حركتها ويعطل منفعتها ويجعلها كلما حركتها الرغبة منعها القيد ، وناهيك باستبشاع جعل اليد مربوطة بالعنق وما فيه من المضايقة الكبرى ثم عادت للذلف الآخر وهو أن يبسطها كل البسط فتطيش حركتها وتمتد الى اتلاف مرتزقا وتضيع ثمرته ثم رتبت على ذلك النتيجة الملازمة وهي أن يقعد المرء ملوما متحسرا ولا يجحد مشققا ولا ناصرا فهو ملوم على حرمان نفسه مما رزقه الله وممكنه منه بالتقتير متحسر على تضييعه في غير محله بالاسراف بل ملوم متحسر في الحالتين فيلام على أن يرزقه الله الخير فيحرم نفسه من منفعته ويتحسر على فوات هذه المنفعة عليه وهو قادر عليها وكلاهما في التقتير ويلام على الاسراف اذ كان تضييعا فيما لا ينبغي ويتحسر حين يرى نفسه قد أضاع تلك النعمة وها هو ذا قد احتاج اليها .

وان الغرس الصحيح للملكة الاخلاق هو ما يربى نباته باقناع النفوس بالاثار المترتبة وشرح نتائجها الملزمة ،

ويقول فى آية أخرى فيما يقصه علينا من نصيح المهتدين الراشدين للغاوين الضالين ( وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللّٰهُ الدّٰرَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِى الْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ) وهى واردة فيما وجه الى قارون من قوم موسى ، فإذا تستطيع أن تنصح به من أحببت من أهل النعم ويكون أنجح أثرا وأكثر اعتدالا وانصافا مما اشتملت عليه هذه الآية ؟ فقد نهته الى أن ما هو فيه من نعم إنما هو أمر آتاه الله إياه ليتنفع به فى الحياة ، وأعظم وجوه النفع هو أدومها وأبقاها وان ذلك هو ما فى الدار الآخرة دار الخلود والنعيم المقيم ، ثم أبانت الاعتدال فى ذلك بأنه لا ينسى نصيبه من الدنيا مما أحله الله له بل اذا راعى فى انتفاعه به رضاه فقد كسب لآخرفته نصيبه من الدنيا الذى مكنه الله منه بهذه النعمة فترى الآية تفيدك أمرين الأول ألا تنسى نصيبك من الدنيا ومتعها حسبما حدد الله لك وهذا معنى مغاير للاول ، والثانى ألا تنسى النصيب الاوفر الذى تستفيده من دنياك لآخرتك وهذا كتثيت للوصية الأولى وأنه لا ينبغى لك أن تضع على نفسك أن تستفيد الفائدة الصحيحة من دنياك التى وهبت لك ، والنتيجتان صحيحتان عظيمتان يجب أن تحرص عليهما النفوس الرشيدة ، ثم قال ( وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ ) تذكيرا له بان مقابلة الاحسان بالاحسان هو ما يجدر بالانسان الكامل ، وهل يخفى على أحد قيمة النفس التى تقابل الاحسان بالإساءة ؟ ثم صورت مخالفة هذه الطريقة المثلى بأنها فساد فى الأرض ، أجل : فهى فساد كبير فان النفوس مجبولة على المنافسة فحين يرى الفقير ما فيه الغنى من حظ كبير ينفس عليه ولا شك ولا يطفى غله الا أن يراه قد تجمل بالاحسان والعطف والمواساة فلما اذا رآه قد منع خيره وحرمه نصيبه الذى جعله الله له فى ماله فان نفسه تتحرك غيظا وغضباً فتتمس الفرص للنكاية والتشكيل متى قدرت ، ويشعر الغنى بهذه السورة النفسية فيقابلها بمثلها ويتسامى الشر بينهما حتى ينمو ويعظم فيصبح بعضها حربا على بعض وحينئذ يعم الفساد فى الأرض والله لا يحب المفسدين ، وما الذى يوقف توالد

هذه المكروبات الفتاكة بالاخلاق ويقضى على جرائم الشر حتى لا تودى بالنفوس؟ لا شيء سوى أن يقتصد الغنى فى أمره فيبتغى الآخرة فى نعمة الله عليه ويقابل احسانه اليه باحسانه الى خلقه فتحسم مادة الفساد وتألف نفوس العباد

ويقول جل شأنه فى مخاطبة الفقير الذى لم يجد ما يربى فيه القناعة والعفة بابلغ معانيها «وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى» فقد بدأت بالنهى عن مد العينين الى ما وهب للغير فكيف بتعليق القلوب به ، وعبرت عنه بانه تمتع وفيه اشارة الى أنه محدود المدة وذكرت أنه لازواج وأصناف منهم ليس شاملا لجميع الناس ما عداك فقد ترى من شاركك فى الحرمان منه أكثر عدداً ممن شاركهم فى التمتع به وكفى بالكثرة أسوة ، ثم عبرت عنه بانه زهرة وما اسرع ذبولها وأنه لهذه الحياة الدنيا والاخرة خير وأبقى وأنه امتحان وفتنة لا مجرد احسان وحظوة فمن يدرى حالهم بعد ذلك فرما كان منهم من قامت عليه الحجة وأهل شكر النعمة فانقلبت عليه نقمة وربما كان منهم من نجح فى امتحانه وسلم من فتنته فكان بذلك سعيداً حقاً ، فالسعادة الحقيقية هى فى ادراك النعيم المقيم وهو لا يخص الغنى ولا الفقير فكل يستطيع احرازه بالتقوى وهو الجدير بان يقصد ورزق ربك خيراً وأبقى وهو ما تحرز به فى الآخرة من عظيم الثواب ، بل اذا رجعت الى ما وهبك فى الدنيا من نعمة الصحة والعافية والطمأنينة وهدهوء النفس لوجدت نفسك ممتعاً بحظ من هذه قد يحرم منه من تحسده ، بل من رزقك أن يريك ويكمل وجودك ويهذب نفسك حتى تسعد فى دنياك وآخرتك ، فاذا كان الخطاب لحضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام فناهيك بهذا الخير العظيم والرزق الجسيم والفضل العميم وهو رزق النبوة والاصطفاء فكلما قلبت النظر فى الآية تجلى لك من نورها ما فيه تبصرة تملأ نفسك ايماناً واقتناعاً وهذه هى طريقة التربية الحققة ، ولنسق لك نسقاً اخر فى تربية هذه القوة على الاصول الصحيحة ، يقول تعالى فى ارشاد العباد الى كيفية تحصيل أرزاقهم (وَلَا تَمْنُواْ مَا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهٖ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ لِّلرَّجَالِ نَاصِيبٌۭ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاءِ نَاصِيبٌۭ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُواْ اللّٰهَ مِنْ فَضْلِهٖ ۚ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا ) فانظر الى هذا القانون العظيم والارشاد الالهى الحكيم فاذا ترى ؟ لاتعجل

في الفهم فتحسب أن الآية بسبيل كف النفس عن الطلب والدأب وانها لقمع النزعات واضعاف الهمم وتربية الرضا بالدون والقعود عن السعى والعمل ، لا لا ، ما كانت الآية لشيء من هذا وانما هي مفيدة لتربية الهمة وبث روح العزيمة والنهي عن التعلق بالاماني والآمال والقعود عن جلائل الأعمال، أى لا يكن شأنكم التمتي لما فضل الله به بعضكم على بعض بل جدوا واعملوا تستفيدوا وتكسبوا فلكل من الرجال والنساء نصيب مما جديفه واكتسب لافرق بين رجل وامرأة فجدوا واكتسبوا تحرزوا ما تريدون فمن جد وجد ومن زرع حصد ولن يضيع على عامل عمله ولا يستوى القاعدون والعاملون ومن يرد حرث الدنيا أوتى منها ومن يرد حرث الآخرة أوتى منها والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، لافرق بين عمل الدنيا وعمل الآخرة فلكل عمل ثمرته وأثره ، ولكن مع هذا لا ينبغي أن تجعلوا عملكم هو كل شيء حتى تنسوا من بيده مقاليد كل شيء ، بل يجب أن ترجعوا الى الفاعل الأكبر ومن بيده الخير كله ومن لو شاء لجعل ما تحرثونه خطاما وركاما ولو شاء لجعله يازما مشمرا ، فاسألوا الله من فضله أن يبارك لكم عملكم ويمنع الجوائح عنكم ويوفقكم الى طرق النجاح في مقصدكم ان الله كان بكل شيء عليا ، فهو أعلم بمن يستحق المعونة ممن يستحق الخذلان فليكن اللجأ اليه فيما لاتعلمونه ولا تقدررون عليه وما أعظم نفع هذا القانون في التربية قانون تقبيح الاماني مع القعود عن الاعمال ، فللاماني عند القاعدين مضار كثيرة منها ضعف الهمة وقوة البغضاء والحقد وتنقيص النعمة وتغذية التحاسد وجفوة القلوب بين الناس ، واما الحث على العمل والترغيب فيه فهو مدار العمران ويرقي بنفس المرء الى منزلة العزة والاباء والشرف ويرقي بمصالح الناس الى الاتقان والسكال فيتنافس العالم تنافسا مشمرا ويسعد الجميع بعمل الجميع والله ولي التوفيق في كل شأنهم . على هذا الأسلوب الحكيم تسير التربية في القرآن الكريم والشرع الحكيم .

### (٣) تربية القوة الغضبية

يقول جل شأنه في تهذيب قوة الغضب المودعة في النفس وتربيتها على أعدل مثال حتى تكون فضيلة ( وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى

الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) فانظر الى هذا الاسلوب الحكيم كيف هذب هذه القوة وضبطها على ما يوافق فطر النفوس وصالح المجتمع ، فانه لم يمنع المقاصة بتاتا ولم يسلك فيها مسلك التعطيل لها مع تشرب النفوس لها وتشبعها باحققتها ، فلم يجر على سنن ما اشتهر عند بعض الناس أنه المثل الأعلى في العفو والصفح وهو كلمة « من ضربك على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر » فانك ترى في تعطيل المجازاة كلية قهرا للنفوس المتعدى عليها وحرمانا لها مما تراه حقا لازما لها ، فاذا امتثلت النفوس ذلك فانها لا تخلو من التامل ، ثم لا يكون هناك ما يحث جرثومة التعديات وأما هذا الأسلوب فقد أقر المجازاة التي فطرت النفوس على التطلع لها ولكن رغب في الصفح والعفو بدرجة كبيرة ، فقد سمت الجزاء سيئة ليسا كل أصل العدوان حيث كان كل منهما فيه الايذاء والايلام ووصفه بانه مثل التعدى يتضمن المنع من الزيادة ويشير الى أنه حقه أن يتعد عنه اذ كان مشا كلا للتعدى في الاضرار والايلام وهو ما ينبغي أن تكف عنه النفوس الكريمة تفضلا منها لا قهرا وقسرا ، ثم صرح بالترغيب في العفو بقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، وذكر الاصلاح بعد العفو كذكر الثمرة بعد الغرس وتعظيم الأجر بانه على الله تعظيم لا مزيد عليه ، ثم عاد الى المعنى يقرره بوجه آخر ليبرره في نظر النفوس الكريمة تبريرا ما وكأنه يشير الى أن النفس من شأنها اذا لم تكن متهيجة بالغضب أن تنفر منه فعبر عنه بانه انتصار بعد الظلم فلماذا نستقبحه ونوجه اليه طريق المؤاخذة ؟ انما حق المؤاخذة أن توجه الى من ظلم الناس وبغى عليهم بغير حق فبث روح الفساد في الأرض هذا هو الذي تحق عليه المؤاخذة ، وأما هذا فلا مؤاخذة عليه فتجده حتى في مقام تبريره قد وضعه موضع ما حقه النفرة والاعتراض وغاية أمره أن يلتمس له من الاعذار ما يجعله مقبولا ، ولكن هل بذلك يصير فضيلة يرغب فيها ؟ كلا بل الفضيلة كل الفضيلة في الصبر والمغفرة والصفح والتفضل فذلك هو الذي ينبغي أن ترغب فيه النفوس وتوجه اليه العزيمة شأن الفضائل كلها ، فقال ( وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) فالتعبير عنه بالصبر وأنه مغفرة وجعله من عزم الأمور العظيمة ذات الخطر

التي ينبغي أن يوجه إليها القصد وتحفز لها العزائم ثم أكد ذلك بالقسم وغيره من المؤكدات في قوله ولمن صبر وغفر إلى آخر الآية ، فهل بعد هذا من تهذيب وصدق في الدعوة إلى الفضيلة وضمان لنجاح الداعي فيما يدعو إليه ؟ انك قد تحاول اطفاء سورة هائجة فتبدأ باعطاء صاحبها الحق في أن يغضب وتريه أنه لو تمسك بالانتقام لم يكن عليه ملام ، ولكن الافضل أن ينزل من تلقاء نفسه عن هذا الحق فضلا وتكرما فتجد نفسك قد ملكت عليه زمامه وصار أقرب لطاعتك مما لو بدأته بسلبه الحق في الغضب وأنه يجب عليه أن يقلع ثم لا يخفى ما يترتب على هذا التفضل من ائتلاف القلوب المتنافرة واجتذاب النفوس المتعادية وبذلك يبدو لك حسن موقع قوله واصلاح بعد قوله عفا فأين هذا من قهر النفوس على ترك المقاصة بتاتا ؟ وماذا يردع النفوس عن غيها اذا ؟ وكيف يكون العفو مجلبة للالفة ؟ وهو لم يفعله مختارا وانما فعله قسرا ، ثم قارن مرة أخرى بين هذا التشريع الحكيم وبين ايجاب المقاصة وعدم السماح لذى الحق أن ينزل عن حقه فأيهما أوفق بمصلحة المجتمع وربط القلوب .

أما بعد . فهذا خير ماتسأس به الأفراد والجماعات ويهذب النفوس ويصلح حال الأمم وهو ما يثبت قواعد العمران ويقيم صرح العدالة ويربط الأمة بعضها ببعض حتى تكون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى وعلى هذا النسق قوله تعالى ( فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ) فقد سمي المجازاة اعتداء مشاكلة للبدء بالتعدى اشعارا بأنه على شاكلة في الايذاء وقيدته بالمثلية كما في الآية السابقة وأردفه بالأمر بالتقوى حتى لا يتجاوز حده ووعد المتقين بأن الله معهم يؤيدهم وينصرهم ويشبهم على ما اتقوا ، وكذا قوله تعالى ( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ) فقولوه ان عاقبتهم بمثابة قولك لمن تخاطبه ان كان لا بد أن تفعل فليكن كيت وكيت تلمح له بأن الأولى به خلاف هذا ، وقوله

(وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) مرغبة في العفو مزيد ترغيب بتسميته صبرا وهو فضيله وتعقيب الخير عليه بل جعله خيرا وتأكيد ذلك بالقسم الضمني ، ثم أردف ذلك بالأمر بالصبر وبيان أنه يستعان عليه بالله وأنت التوفيق له منه جل شأنه ثم نهى عن الحزن والأسف على ما صنع من خير وجميل بل نهى عن أن يضيق صدره به وضيق الصدر منزله أقل من الحزن — وقوله بعد ذلك (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) فيه من التشويق ما لا يخفى .

وهكذا تجد في هذا الباب من المرغبات العجب العجائب وخلاصته اعطاء الحق لمن تمسك به وذلك جبر له على ما وصل اليه من الاذى وتخويف لمن يريد التعدى أن يلحقه مثل ما صنع وعون على الصفح لأن النفس تسمح بعد أن تملك وهى مرتاحة بخلاف قهرها عليه فانه يبقى فيها حسرة ثم بيان ما فيه من خير للمظلوم بأنه صاحب فضل وللظالم ان كان حرا بأن يقلع عن ظلمه حياء كما يقول القائل

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم      ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا  
وللمجتمع بربط القلوب وتأليف النفوس وتمكين الوحدة بين أفراد الأمة وشيوع  
الفضل فيها مع عدم الاخلال بقواعد العدالة بينها ، هذا هو هدى الله فأرونى ما ذا صنع  
المحاولون اطفاء نوره

رب ان الهدى هداك وآيا      تك نور تهدي بها من تشاء  
نذكر هذه الآيات تمثيلا لأسلوب القرآن الكريم فى تربية الاخلاق وغرسها  
فى النفوس واما استقصاء الفضائل الواردة فيه وفى السنة فغاية بعيدة المنال فقد بث  
فيهما نصا وأشارة ما لا يدخل تحت الحصر وقد صدق صلى الله عليه وسلم فى قوله (تركت  
فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى)

فاتل مثلا فى سورة الاسراء قوله تعالى (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ  
إِحْسَانًا) الى قوله (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ  
الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ مِزْمَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) وفى سورة لقمان قوله جل شأنه



(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إِلَى قَوْلِهِ (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتُ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) وغيرها فانك ان تلوت ذلك حق التلاوة وتأملت في نظمه ستظفر بما لا مزيد عليه نسأل الله أن يعيننا على اجتلاء أنوارها والاهتداء بضوئها ومن يهد الله فإله من مضل ومن يضل الله فإله من هاد فاللهم إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

ابراهيم الجبالى

مدرس بقسم التخصص للازهر الشريف

## — موجز تاريخ مصر والاسلام —

سبق في الجزء الخامس من هذه المجلة أن قرطنا هذا الكتاب القيم الذى هو تأليف حضرتى الاستاذين الفاضلين الشيخ محمود أبى العيون مفتش العلوم الدينية والعربية ومحمد الحسينى رخا افندى مفتش التربية والآداب بالمعاهد الدينية ، وأعلمنا بصدور الجزءين : الأول والثانى منه ؛ وقد ظهر الآن الجزء الرابع من هذا الكتاب وأجل صدور الجزء الثالث إلى الصيف المقبل ، صدر هذا الجزء كسابقه جيد العبارة متقن الطبع حسن الترتيب مسهبا في تاريخ مصر الحديث من أول الحملة الفرنسية الى عهد حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم أحمد فؤاد الأول وفي وصف ارتقاءها ونهضتها في عهده السعيد ادام الله ملكه

يطلب هذا الجزء من حضرات مؤلفيه وثمنه ٦ قروش ماعد أجرة البريد ، فنرجو له الرواج والاقبال .

# أصول الفقه

الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان

## مراعاة العرف

للعادات أثر كبير في شرع النظم والقوانين ، فلا غنى للمشرع عن مراعاتها قليلاً أو كثيراً ، ولها قسط وافر من عناية واضعي القوانين في القديم والحديث ، فأساس القانون الروماني عادات كانت تجرى في مدينة رومة ، وأساس القانون الانكليزي عادات السكسون والنورمان الذين فتحوا بلاد انكلترة .

وكذلك الشريعة الإسلامية لم تقطع النظر عن العرف ، وجعلت رعايته أصلاً من أصولها العامة على شروط نذكرها فيما بعد ، ومن القواعد التي تدور عليها أحكامها السمحة « العادة محكمة »

والعرف والعادة ما يغلب على الناس من قول أو فعل أو ترك  
ومثال العرف القولي من باب الوقف قول الفقهاء في حبس يقول صاحبه  
« هو حبس على ولدي » انه يدخل فيه البنات إذا كان لفظ الولد يطلق على الذكر والأنثى في عرف بلد الواقف أو لم يكن هناك عرف ، أما إذا كان عرفهم اطلاقه على الذكر فقط فانه يختص بالذكر ولا يدخل فيه الاناث وان كان معنى الولد لغة يعم الصنفين ويراعى العرف القولي وإن لم يوافق لغة العرب أو ما جاء في لسان الشارع ، وعلى هذا ينبغي قول بعض أهل العلم فيمن حلف لا يأكل لحماً فأكل سمكة : إنه لا يحنث حيث إن السمك لا يسمى في العرف لحماً وإن سمي به في قوله تعالى (وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) كما أن من حلف لا يجلس على بساط لا يحنث بجلوسه على الأرض لأنها لا تسمى في العرف بساطاً وإن كان لفظ البساط يتناولها بمقتضى معناه في لسان العرب كما قال تعالى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا)

يعتد بالعرف القولى متى كان عاما لبلد أو قوم ، وتحمل عليه ألفاظ المتكلمين من أهل تلك البلد باطلاق سواء فى ذلك العقود والالتزامات والايمان والنذور ، أما إذا كان العرف القولى خاصا بالتكلم دون قومه أو أهل بلده حمل لفظه عند المالكية على عرفه الخاص فى الايمان والنذور والطلاق ، أما العقود فانما يرجع فيها الى العرف العام أو الوضع اللغوى إن لم يكن هناك عرف عام .

ومثال العرف الفعلى : الزوجان يختلفان فى المهر بعد البناء فيدعى الزوج أنه دفعه لها ، وتنكر الزوجة ذلك ، فقد قال الامام مالك : إن القول للزوج لأن العرف بالمدينة كان جاريا بدفع المهر قبل الدخول ، وتطرد هذه الفتوى فى كل بلد تجرى فيه العادة بدفع المهر قبل البناء ، ومن هذا القبيل مسألة الحيازة عند المالكية ، فمن حاز عقارا عشر سنين ثم قام شخص يدعى استحقاق ذلك العقار ، ولم يقم عنده عن سكوتة تلك المدة ، بنحو غيبته عن البلد ، أو عدم عامه بحيازة المدعى عليه للعقار ، فانه لا ينتفع بالبينة التى تثبت له أصل الملك ، ذلك لأن العرف جار على أن الرجل لا يشاهد غيره يتصرف فى ملكه هذه المدة الطويلة ويسكت عنه . وكذلك أفتى الامام المازرى فيما إذا جرت عادة قوم بقدر الصداق وعرفها المتعاقدان أن هذه العادة بمنزلة التسمية ويحكم بذلك القدر المتعارف ، ولا يكون النكاح من قبيل نكاح التفويض .

هذا هو الشأن فى العرف الفعلى العام لقوم أو أهل بلد ، أما العرف الفعلى الخاص بفرد فقد حكى شهاب الدين القرافى الاجماع على عدم الاعتداد به فلا تخصص به العمومات ولا تقيد به المطلقات ، وأنكر عليه بعض الفقهاء المالكية حكاية الاجماع وأوردوا مسائل فى المذهب تدل على التخصيص بالعوائد الفعلية وإن كانت خاصة ومما ساقه بعضهم مثالا لهذا الضرب من العرف مسألة الرجل يوكل آخر على شراء ثوب فيشتري له ما لا يناسب عادته أو عادة خدمه ، فقد أفتوا بأن ما اشترى غير لازم للموكل بل هو لازم للوكيل

ومثال العرف الجارى بالترك تسامح الناس فى ثمر الغصن الخارج عن حدود البساتين ، فمن وجد شيئاً منه واقفا على الطريق مثلاً — ساغ له الاتفاف به دون توقف

على الاذن الصريح من صاحبه لأن أصحاب البساتين يتساحون في مثله ولا يتعرضون لمن يلتقطه .

والعرف ثلاثة أقسام :

( أحدها ) ما يقوم الدليل الخاص على اعتباره كمرعاة الكفاءة في النكاح ، ( وثانيها ) ما يقوم الدليل على نفيه كعادة الجاهلية في التبرج وطوافهم بالبيت عراة ومناصرة الاخ وإن كان ظالماً ( ثالثها ) ما لم يقيم الدليل الخاص على اعتباره أو نفيه ، وهذا موضع نظر المجتهدين ، فيذهب كثير منهم الى مراعاته ويجعلونه أصلاً من أصول الشريعة يبنون عليه فتاوى وأحكاماً ، وأكثر ما تجدد هذه الفتاوى في كتب المالكية والحنفية والحنابلة وصلة العادة بالشريعة على وجهين ( احدهما ) أن يغلب على الناس أمر فيقرر الشارع ويجعله حكماً يقضى به عند الاختلاف ، ومثال هذا من الشريعة الغراء وضع الدية على العاقلة ومراعاة الكفاءة في النكاح ، والتحقيق أن الشريعة العادلة لا تجعل نفس العادة قانوناً إلا أن تكون العادة معقولة صالحة .

( ثانيهما ) ان يغلب على الناس معنى فيراعيه في تفصيل حكم الواقعة حتى إذا تبدلوا بذلك المعنى عرفاً آخر كان على المفتي إعادة النظر في الواقعة لتقرير حكم يراعى فيه العرف الطارىء ، وهكذا يتجدد النظر في الواقعة ما تجددت العادات ، ومثال هذا أن يجري العرف في بضاعة بدفع ثمنها تقدماً ، فإذا اشترى أحد شيئاً من هذه البضاعة ووقع في حيازته ثم قام البائع يدعى أنه لم يقبض ثمنها وادعى المشتري أنه سلم له الثمن حسب العادة الجارية ، فاصل مراعاة العرف يقضى بأن يكون القول للمشتري مع اليقين متى عجز البائع عن اقامة البينة . فالحكم الذي بنى على العرف في هذا المثال هو جعل القول للمشتري حيث صدقه العرف حتى يكذبه البائع ببينة .

ومن امثلته أن العادة جارية في كثير من البلاد على أن الرجل يستودع زوجته المال فإذا سلم أحد الى آخر وديعة فوضعها عند زوجته فضاعت منه لا يكون ضامناً لها نظراً الى هذا العرف ، وكأن صاحب المال لعلمه بالعرف في ايداع الرجل المال عند زوجته يعد

راضياً بإبداع المال عند الزوجة ، وانما يضمن المودع إذا تصرف في الوديعة على وجه لا يرضى عنه صاحبها

هل يراعى العرف الفاسد ؟

إذا جرى عرف الناس ببعض العقود الفاسدة مثلاً ، فهل يراعى هذا العرف في بناء الأحكام أو انما تبني الأحكام على العرف الجارى على وجه صحيح ؟  
ذهب كثير من فقهاءنا الى عدم مراعاة العرف الفاسد ، وذهب آخرون الى مراعاته ومما ينبى على هذا أن يجرى عرف قوم ببعض العقود الفاسدة شرعاً ، ويختلف المتعاملان فيدعى أحدهما أن العقد وقع على الوجه الفاسد ، يروم نقض البيع ، ويدعى الآخر أنه وقع على الوجه الصحيح فالقائلون بصحة مراعاة العرف الفاسد يرون العرف هنا شاهداً بصدق مدعى الفساد فينقض البيع الا أن يقيم الآخر البينة على أن المعاملة جرت على وجهها الصحيح ، قال عبد المنعم بن الفرس في كتاب أحكام القرآن « واذا تنازعا في بيع أو اجارة وادعى أحدهما الصحة والآخر الفساد ، وكان الفساد الذى ادعاه جارياً بين الناس فالمشهور أن القول قول مدعى الصحة ، ومن أصحاب مالك من يقول القول لمدعى الفساد وتفسخ المعاملة »

والقائلون بمراعاة العرف الفاسد ينظرون الى أن المعنى الذى اقتضى جعل القول لمدعى الصحة فيما إذا جرى العرف على الصحة حاصل في العرف الفاسد وهو غلبة معنى على الناس يقتضى غلبة الظن بصدق من اقترن هذا المعنى بدعواه .

وبمراعاة العرف في كثير من الاحكام صح أن تختلف أحكام بعض الوقائع باختلاف المكان والزمان لأن العادة قد تجرى في موطن دون آخر وتطراً في عصر وتنقطع في عصر ولا يعد اختلاف الاحكام باختلاف العادات اختلافاً في اصل خطاب الشارع ، بل معنى هذا الاختلاف أن العادات اذا اختلفت اقتضت كل عادة حكماً يلائمها ، فالواقعة اذا صحبتها عادة ، اقتضت حكماً غير الحكم الذى تقتضيه عند ما تقترن بغيرها من العادات ، فاذا جرت عادة قوم باستقباح كشف الرأس في جماعة كان للقاضى أن يعزر من استحق التعزير الخفيف بكشف رأسه في ملأ من الناس ، فعمل من استحق التعزير قد اقترن بعادة استقباح

كشف الرأس فكان التعزير بكشف الرأس مجزئاً ، وإذا لم يكن كشف الرأس في عادة قوم مستقبها ، امتنع أن يكون طريقاً كافياً للتعزير ، ولا بد للقاضي من اتخاذ طريق آخر يكون له وقع الألم في نفس المستحق للتعزير ، فخطاب الشارع الذي تعلق بالواقعة المقتضية للتعزير حال صحبتها لعادة استقباح كشف الرأس غير الخطاب الذي يتعلق بواقعة مثلها تصاحب عادة عدم استقباح ذلك .

ولاختلاف الأحكام باختلاف العرف ترى فقهاء المذاهب لا يأخذون بفتاوى أئمتهم القائمة على رعاية العرف متى تحققوا أن العرف قد تغير وإن الواقعة أصبحت تستحق حكماً آخر غير ما قرره الأئمة من قبل ، فلفقهاء المالكية كأبي عبد الله بن عتاب والقاضي أبي بكر بن العربي وأبي الوليد بن رشد وأبي الأصبغ بن سهل والقاضي بن زرب فتاوى عدلوا فيها عن المشهور في المذهب وبنوها على رعاية العرف وجرى باختيارهم عمل أهل القضاء والفتوى من بعدهم ، قال شهاب الدين القرافي في قواعده ! إذا جاءك رجل من غير أهل اقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك والمقرر في كتبك ، فهذا هو الحق الواضح ، والجمود على المنقولات أية كانت إضلال في الدين وجهل بمقاصد المسلمين والسلف الماضين .

وكذلك ترى فقهاء الحنفية يخالفون ما نص عليه أبو حنيفة في مسائل بناها على عرف كان جارياً في زمنه ، وقالوا في وجه هذه المخالفة : إن أبا حنيفة لو كان في زمنهم لما وسعه إلا أن يفتى بما أفتوا به ، ولم يعدوا التصرف في الأحكام القائمة على العرف خروجاً عن المذهب وإنما هو الأخذ بأصل إمامهم الذي يقتضى الرجوع إلى العرف في الأحكام .

يراعى العرف في القضاء والفتوى وليس للفقهاء أن يفتى أو يقضى بما جرى به العرف المخالف لأصل من أصول الشريعة إلا أن تدعو إلى ما جرى به العرف ضرورة فيكون الحكم مبنياً على مراعاة الضرورة ويدخل في قبيل الرخصة التي يقررها الفقيه على سبيل الاجتهاد .

فشأن الفقيه أن ينظر في المعاملات المخالفة لأصل من أصول الشريعة فإن وجدها

ناشئة عن ضرورة كان له أن يستثنيها من أصل المنع ويجعل الضرورة علة استثنائها من ذلك الأصل ، فإن كانت ناشئة عن جهالة أو هوى غالب فإله إلا أن يفتى بفسادها ويعلم الناس وجه المعاملة الصحيحة ، ولا يصح جعل ما يجري به العرف الفاسد أمراً مشروعاً ويفتى بصحته دون أن تدعو إليه ضرورة يحسن العارف بمقاصد الشريعة تقديرها ، قال العلامة أبو عبد الله بن شعيب أحد علماء تونس في القرن الثامن « وغلبة الفساد إنما هي من إهمال حملة الشريعة ، ولو أنهم نقضوا عقود الفساد لم يستمر الناس على الفساد » وقال الاستاذ الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي في إحدى فتاويه « والعرف المعتبر هو ما يخصص العام ويقيد المطلق ، وأما عرف يبطل الواجب ويبيح الحرام فلا يقول به أحد من أهل الاسلام »

فاذا أفنى بعض الفقهاء بصحة عقد مخالف لأصل شرعى وظهر من عبارته أنه استند في إفتائه الى جريان العرف بهذا العقد فاعلم أن العبارة لم تفرغ في قالب التحقيق أو أنه لم يزن الفتوى بقسطاس الشرع المستقيم .

وقد يذكر بعض الفقهاء العرف في سياق الاستدلال على جواز أمر ويريدون ما كان جارياً في عهد النبوة أو بين أهل العلم ، وليس الدليل في الحقيقة نفس العرف وإنما هو أقرار النبي صلى الله عليه وسلم أو الإجماع الذي لا ينعقد إلا عن دليل ، ومثال هذا أن الامام مالكاً خص قوله تعالى « وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ » بغير ذوات الأقدار والشرف ، وقال لا يجب على الشريفة ارضاع ولدها لأن العادة جارية بذلك . ولا يريد الامام أن مجرد جريان العرف يسوغ هذا التخصيص وإنما أراد جريان العرف مع عدم انكار أهل العلم من السلف فيرجع الى الاستدلال بالاجماع وقال بعض أهل العلم عدم ارضاع الشريفة لولدها عادة عربية واستمر الأمر فيها بعد الاسلام الى زمن مالك رضى الله عنه ، ومن هذا القبيل اكتفاؤهم في صحة البيع بالمعاطاة مستندين الى العادة ، وقالوا : ان استمرار هذه العادة يشهد بصحة نقلها خلفاً عن سلف ويغلب على الظن أنها كانت جارية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> . وقد نبه ابن السبكي على ما قلنا من أن العادة لا تخصص العام بنفسه

فقال في جمع الجوامع « والأصح أن العادة بترك بعض الأمور تخصيصاً أن أقرها النبي صلى الله عليه وسلم أو الإجماع »

هذا أصل من الأصول التي يستند إليها المفتي أو القاضي في تفصيل أحكام الحوادث فتجىء صالحة عادلة وبمثل هذا الأصل يعلم أن الشريعة الإسلامية ملائمة لكل زمان ومكان ، وليست كما يزعم خالي الذهن من تعاليمها أنها ضيقة المجال فلا تفي بأحكام الحوادث ، أو أنها قديمة العهد فلا تحفظ مصالح ما تجدد من الأزمان

محمد الخضر حنين

« يتبع »

## ❦ مدارك المرام في مسالك الصيام ❦

تأليف الحافظ المحدث قطب الدين القسطلاني في فضائل الصيام وثمراته وآدابه وأحكامه والمفاضلة بينه وبين الصلاة . طبع بالمطبعة المصرية بالأزهر طبعاً متقناً على ورق جيد وعنى بضبطه والتعليق عليه حضرة الأديب الفاضل الشيخ رضوان محمد رضوان فنشكره ونحث أهل العلم على اقتنائه

## ❦ المعاهدات والمخالفات ❦

مؤلف نفيس لحضرة الفاضل الأديب الشيخ حسن خطاب الوكيل جمع فيه مؤلفه المعاهدات والمخالفات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اعتنى به وأخرجه في طبعة متقنة فنشكر حضرته على هذا العمل النافع . وهو يطلب من المطبعة المصرية بالأزهر .



# الفتاوى والأحكام

خيالات الضريح المنسوب الى عبد الله بن سلام

ورد ادارة المجلة ما يأتى :

ما رأيكم فيما يظهر من الخيالات عند ما يطلب الولي أو النبي أو الصحابي في حجرة مجاورة للضريح المنسوب الى الأمير عبد الله بن سلام الصحابي الجليل بكفر الأمير من أعمال مركز السنبلاوين؟ وهذه الظاهرة خاصة بيوم الجمعة وكان يظن البعض ان هذا ناشئ من مرور بعض الأشخاص خارج الحجرة في الشمس ولكن سرعان ما ذهب هذا الرأي في عداد الأوهام اذ اتخذت الاحتياطات خارج الحجرة فكان الأمر كذلك واستمرت تلبية الأولياء للطالين .

فما رأيكم في هذا الموضوع وهل هذه تعد كرامة لصاحب المقام أم خصوصية للمكان الجواب : لقد سمعنا هذا من أفواه الكثيرين ممن زاروا هذا المكان — وليعلم أولا ان سيدى عبد الله بن سلام الصحابي الجليل توفى بالمدينة سنة ثلاث وأربعين للهجرة ولم يدفن بمصر — وكان الناس في هذا الأمر ما بين جازم بحصوله وانه كرامة ورازم مختار في تعليه ومتردد في قبوله وشمل ذلك بعض الخواص الذين يعتد برأيهم وقد جمعنا المصادفة بأحد أفاضل العلماء الذين يعنون ببحث ما يشاهدون ولا يقنعون بتلقف ما يسمعون من الناس كيفما اتفق فشرح لنا ما رآه شرحا يزيل كل لبس ويرد الأمر الى المؤلف ويجعل الغرابة في رسوخ هذه الفكرة في أذهان الناس أكثر مما في هذه الظاهرة البسيطة

يقول الأستاذ : زرت هذا المكان مراراً وعمدت الى تحرى الأمر فيه واستقصائه لاقتنع وأستطيع الاقناع فوصلت الى أنها خيالات جسمتها الأوهام وروجها خدام ذلك المقام والأمر بسيط فان تلك الحجرة موضوعة على شكل اذا توافر في أية حجرة حصلت تلك الظاهرة ذلك أنها لها في جانبها الغربى كوة طولها أقل من متر وعرضها نصف طولها

تقريبا قسمت الى نصفين أعلى وأسفل بخشبة معرضة في وسطها أفقيا وقسم النصف الأسفل الى قسمين متجاورين بخشبة رأسية تحت الخشبة الأولى ويقابلها الحائط الشرق لهذه الحجرة وفي طرفه من الجنوب باب وفي الحائط الجنوبي باب آخر للمزار وسقفها معقود بناء ومطلية بالجير الأبيض وبجوار تلك الكوة شارع ممتد من الشمال للجنوب وفي مقابلتها شارع آت من الغرب عمودى على الشارع الأول ، فلما كان ضوء تلك الحجرة ناشئا من ضوء تلك الكوة الواقع على الحائط المقابل ومنبعثا بطريق انتشار الضوء الفرعى الى باقى جوانبها كان ظل من عيشى في أحد الشارعين الخارجين يظهر ولا بد بطريق الخيال على الحائط المقابل لها ويتحرك بحركته على ذلك الحائط وربما انعكس خياله أيضا على الحوائط الأخرى المستمدة ضوءها منه وهما شارعان يكثر المرور فيهما يوم الجمعة لكثرة المترددين على ذلك المكان ولولوع النفوس بالغرائب وترويحها وحرص خدمة المسجد وأهله على تأييدها والمبالغة في تفصيلها لذلك شاعت هذه الفكرة وأخذت هذه الشهرة ولقد عمل الأستاذ عدة تجارب اذ وقف أحد أتباعه أمام الكوة ليخبره بمن يراه فى الشارع فكان كلما رأى شخصا آتيا أخبره بأنه رجل أو امرأة فيكون مطابقا لما يظهر من الخيالات فى الحجرة، ومما أضحكنى فى هذه التجارب أن قرويا كان مقبلا من الشارع الغربى المقابل للكوة وقد حمل برسيا - ذلك النبات المعروف لعلف الماشية حمله على عربة وركب فوقها واتفق أن نادى أحد من بالحجرة السيد البدوى واذا بهذا قادم فصاحوا السيد حضر على عربة فسأله الأستاذ ماذا عندك فقال ( رجل محمل برسيا على عربة وراكب فوقه ) ثم عمد الى تجربة أخرى فأوقف رجلا ممن معه على أفواه الطرق ينعون المارة وكان الأستاذ مسموع الكلمة لمنزله ولمن كانوا معه من الوجهاء فلما امتنع المرور قال لهم اطلبوا من شتم فصاروا يطلبون فانقطعت الاجابة ومكثوا كذلك برهة ضج فيها خدام المسجد وأخذوا يقولون هذا الشيخ ممن ينكرون كرامات الأولياء، يقول الأستاذ فبعد أن وضح الأمر ولم يبق لبس مضيئنا لسبيلنا مقتنعين بالحقيقة قادرين على اقناع من يصدقنا فيما نرويه مما شاهدناه .

أما مسألة الكرامة فلا ننكرها ولكن لا نرى هذا منها فى شيء فالكرامة أمر

خارق للعادة يظهر على يد من أطاع الله حق طاعته يكرمه الله به وماذا من وجوه الاكرام في تلك الخيالات التي لا طائل تحتها؟ وما قيمة هذا الاكرام الذي يجعل الأنبياء والأولياء والصحابة مسخرين لعبث الناس مستعدين لتلبية طلباتهم ان احضروا للشهدكم وتفرج عليكم بدون أن نستفيد منهم ولا من سيرتكم ثم لا تكون الكرامة مسخرة للتشهيات العبثية التي لا طائل تحتها هذا وان توسع العامة في هذا واستتباع ذلك تأثر عقول بعض الخواص قد يصلح عذرا لقيام فريق من المصلحين يحاربون هذا الباب ليسدوه بتاتا صونا لعقائد الناس من الوثنية ولعقولهم من الخرافات ولكن الكرامة ثابتة والضرر من التوسع فيها الى درجة الاحتراف والعبث والله الهادي الى سواء السبيل

ابراهيم الجبالي

## الحديث المتواتر

وحكم ما رواه الأمامان البخاري ومسلم

وورد ادارة المجلة ما يأتي :

أرجو أن تتفضلوا وتجيّبوني على أسئلتى الآتية ولكم مزيد الفضل والمثوبة .

(١) ماهي الاحاديث التي حازت درجة التواتر بالاجماع أو ماهو أقرب الى الاجماع ؟

(٢) هل يكفر المسلم إذا أنكر حديثا صحيحا أو متواترا ؟

(٣) هل يمكن القول ان كل ما في الصحيحين : البخاري ومسلم — من الأحاديث الشريفة

هي على وجه القطع واليقين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

عزت المرادي

بيروت

ونحن نورد كل سؤال من هذه الاسئلة ونتبعه بما يتيسر من الجواب عنه ومن

الله التوفيق .

س (١) - ماهي الاحاديث التي حازت درجة التواتر بالاجماع أو ماهو أقرب الى الاجماع ؟

ج - الحديث المتواتر ما يرويه جمع يحيل العقل نظرا الى العادة تواطؤهم على الكذب

ولا بد من تحقيق هذا الشرط في كل طبقة من ابتداء الرواية الى من أخبروا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أو فعله أو حال من أحواله ، وإذا كان ما يرويه كل واحد من الجمع هو ما يرويه الآخرون بعينه سمى تواترا لفظيا ، وإذا اختلف ما يرويه الجماعة في اللفظ ولكن أخبارهم تتوارد على معنى مشترك بينها فهو التواتر المعنوي .

وقد نفى بعض أهل العلم أن يكون في السنة حديث متواتر تواترا لفظيا ، وقال ابن الصلاح : إنه عزيز الوجود وذكر حديث ( من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ) وقال . نراه مثالا للتواتر اللفظي فانه نقله من الصحابة العدد الجمل وهو في الصحيحين مروى عن جماعة منهم <sup>(١)</sup> .

ولم يرض بعض الحفاظ ما قاله ابن الصلاح وأورد للتواتر اللفظي أحاديث كثيرة ، منها حديث ( نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ) وحديث ( نزل القرآن على سبعة أحرف ) وحديث الشفاعة وحديث الحوض وحديث رؤية الله في الآخرة .

ومما أوردوه مثالا للتواتر المعنوي حديث رفع اليدين في الدعاء فقد روى فيه نحو مائة حديث ولكنها في وقائع مختلفة فكل واقعة منها لم تتواتر إلا أن القدر المشترك فيها وهو الرفع متواتر بالنظر الى مجموع الروايات .

ولا يضر أن لا تكثر في الشريعة الأحاديث المتواترة تواترا لفظيا لأن التواتر المعنوي يكفي في الاحتجاج على ما يرجع الى العلم والاعتقاد ، وخبر الأحاد يكفي في الاستدلال على ما يرجع الى الأحكام العملية .

س (٢) - هل يكفر المسلم اذا أنكر حديثا صحيحا أو متواترا ؟

ج - لا يكفر منكر حديث الأحاد ولو كان صحيحا ، ومتى كان إنكاره للحديث الصحيح عن هوى في النفس أو تعصب لرأى فهو فاسق آثم ، وأما الحديث المتواتر فان جرى الخلاف في تواتره فلا يكون منكرا خارجا عن حوزة الدين ، وهو فاسق كمنكر خبر الأحاد لهوى في نفسه أو تعصب لرأيه ، وإذا وجد حديث انعقد الاجماع على تواتره وأصبح حكمه في جملة المعروف بين خاصة المسامين وعامةهم كان إنكاره كفرا ، وهكذا

الحكم في انكار كل ما أجمع المسلمون على إسناده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو هيئة وتناقلوه جيلا بعد جيل كعدد الصلوات الخمس وركعاتها ومناسك الحج من نحو الطواف والوقوف بعرفة .

س (٣) - هل يمكن القول إن كل ما في الصحيحين - البخاري ومسلم - من الأحاديث الشريفة هي على وجه القطع واليقين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

ج - ذهب ابن الصلاح الى أن ما رواه الشيخان : البخاري ومسلم ، باسناد متصل أو رواه أحدهما كذلك ، مقطوع بصحته لاتفاق الأمة على تلقيها بالقبول ، والأمة لاتتفق على خطأ ، وأما ما يروى فيها معلقا وهو ما حذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر فلا يبلغ مرتبة القطع عنده ، كما استثنى من المقطوع بصحته ما تكلم فيه من أحاديثها ، وهي مائتان وعشرون حديثا ، وقد أفرد الحافظ العراقي هذه الأحاديث بكتاب تصدى فيه للجواب عنها ، وتعرض الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري لما طعن فيه من أحاديث الجامع الصحيح للإمام البخاري ودفع ما وجه اليها من مأخذ بتفصيل .

ونازع الامام النووي ابن الصلاح في دعوى أن ما رواه الشيخان الا ما استثنى مقطوع بصحته وقال إن المحققين والأكثرين يذهبون الى أن صحة ما رواه مضمونة الا أن يكون متواترا ، وأما تلقى الأمة لهما بالقبول فلأن ما رواه يفيدظنا ، والظن كاف في تقرير الاحكام العملية وقوله تعالى (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) محمول على ما يرجع الى أصول الدين لأنه يقصد منها العلم واليقين ، أما الأحكام العملية فانما تراد للعمل فيكفي فيها الاستناد الى ما يفيد الظن ، على أن الشارع اذا جعل ظن الحكم علامة على تقديره كان الحكم عند وجود الظن معلوما قطعا وكان العامل على هذا الحكم ممثلا للأمر بلا شبهة .

ومزية الصحيحين على هذا المذهب في أن ما روى فيهما صحيح لايحتاج الى النظر والبحث بخلاف ما يروى في غيرهما من كتب الحديث فانما يعتمد في الاستدلال بعد النظر في سنده ومعرفة رتبته .

والحق أن في الأحاديث التي لاتبلغ مبلغ التواتر ما يأخذ حكم التواتر في إفادة العلم

وهو ما يكون رواته من الصدق والضبط في مرتبة يطمئن بها السامع الى روايتهم اطمئنانا لا يحتاجه تردد ، فالعلم يحصل من كثرة رواية الخبر تارة ، ويحصل من تحقق أمانتهم وضبطهم تارة اخرى ، وجمهور ما في البخارى ومسلم من هذا القبيل ، وهذا ما يسميه بعض الحفاظ متواترا خاصا نظرا الى أن أهل الحديث قد يحصل لهم العلم برواية رجلين عرفا بالاستقامة والضبط ما يحصل لغيرهم من رواية جمع كثير يستحيل تواطؤهم على الكذب ويعتبر في هذا بقول الامام مالك رضى الله عنه « اذا سمعت الخبر من نافع لا أبالي أن لا أسمعه من غيره » ونحن نعلم أن من أئمة الحديث من يأخذون في الرواية بما هو الأحوط فلا يكتفون بصدق الراوى وتقواه وورعه حتى يعرف بالضبط لما يحفظ والاتقان لما يروى قال الامام مالك : أدركت بالمدينة أقواما لو استسقى بهم القطر لسقوا ، قد سمعوا الحديث كثيرا وما حدثت عن واحد منهم شيئا لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم الزهد ، وهذا الشأن ( يعنى الحديث ) يحتاج الى رجل معه تقى وورع وإتقان وعلم وفهم ، فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة .

وملخص القول أن مارواه الشيخان متصل الاسناد من طريقين فأكثر وتلقاه نقاد الحديث بالقبول يفيد العلم بصحة نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم كخبر الأحاد الذى تحف به قرائن الصدق فلا تبقى لمتلقيه شيئا من التردد في صحته

محمد الخضر حسين

## ( استكشاف أثرى جديد )

جاء بمجلة « Kosmos » الألمانية أن بعثة الأبحاث الألمانية تحت رئاسة الأستاذ الدكتور يوليوس يوردان عثرت حديثا في العراق على فسيفساء يرجع عهدها الى ٦٠٠٠ سنة ، كما وجدت في نفس المنطقة جدران من حجر الجير يرجع عهدها الى نفس هذا التاريخ ، ويبلغ سمكها أكثر من مترين وتدل دلالة واضحة على البراعة الممتازة في فن البناء وقتئذ

# العلوم والآداب

## الطيارات وكيف تطير<sup>(١)</sup>

كانت تجارب الطيران الأولى قاصرة على طيران نماذج صغيرة ومبنية على محاكاة اجنحة الطير

ففي سنة ١٧٠٦ أنشأ السير جورج كايلى طيارة صغيرة ذات محرك أفقى تعتمد فى طيرانها على اجنحة مصنوعة من ريش النورس وفى أوائل سنة ١٨٣٠ أنشأ بينود نموذجين حصل على القوة المحركة فى الأول من لولب يدور بلىّ حبل من المطاط وعمل فى الآخر على محاكاة اجنحة الطير. وفى سنة ١٨٤٢ أنشأ سترنجفلو نموذجا حصل على قوة الارتكاز فيه من الاجنحة وعلى القوة المحركة من محرك لولبى ومن ذلك الوقت اصبحت قواعد الطيران الأساسية معترف بها أكثر من قبل.

كيف تطير الطيارة : لأجنحة الطير وظيفتان فهى تمسك الطير فى الهواء وتدفعه إلى الأمام بقوة الإمساك هذه مستمدة من الخوافى<sup>(٢)</sup> وقوة الدفع مستمدة من القوادم<sup>(٣)</sup> السريعة الحركة.

فإذا تصورت سطحا مستويا ذا شكل مستطيل جانباه الطويلان أفقيان وسطحه مائل إلى اسفل وجعلت هذا السطح يتحرك الى الأمام فى اتجاه أفقى على زاوية قائمة من طوليه كان ضغط الهواء على السطح الأسفل أكثر من الضغط على السطح الأعلى وتعرض هذا المستوى لقوتين تتنازعانه قوة تدفعه الى أعلى وأخرى تسحبه إلى الوراء تسمى الأولى « قوة الدفع » التى تدفعه إلى أعلى فى اتجاه مضاد لثقل المستوى والثانية « قوة السحب » التى تسحبه الى الوراء وتؤدى إلى وقف حركته.

فان وضعت فى هذا المستوى آلة تدير محركا لولبيا يتحرك بسرعة كافية زادت قوة الدفع على ثقل المستوى والآلة وأرتفع المستوى فى الهواء.

(١) عن دائرة المعارف البريطانية (٢) اجزاء الاجنحة القريبة من جسم الطير (٣) أطراف الاجنحة

على هذه القواعد أنشأ سترنجفلو نموذجاً عرضه في القصر البلورى<sup>(١)</sup> بلندن سنة ١٨٦٨ ونال عليه جائزة قدرها مائة جنيه وقد تبين من تجربته أنه من الممكن زيادة القوة الدافعة بصنع سطوح الارتكاز بشكل خاص هو اتخاذها شكلاً محدودباً من الأعلى ومقعراً من الأسفل .

كذلك تبين أن نجاح الطيران يتوقف على الاحاطة بأحوال الاتزان في الهواء وقد تيسر درس شيء كثير منها باستعمال الزلاقات الهوائية التي تعتمد على تيارات الهواء الطبيعية في طيرانها .

ففي سنة ١٩٠٠ بدأ ويلبر ورايت فاتحة عصر جديد بتجربتهما الزلاقات الهوائية فأدخلها عليها اصلاحين كبيرين الأول وضع الدفة الأفقية التي تسيّر الطائرة في مستوى أفقى والآخر ثنى الطرف الخلفى للجناحين ليتيسر تغيير قوة الدفع على أحدهما أو كليهما وبذلك يمكن للطيارة المحافظة على اتزانها في الهواء .

ومن ذلك الوقت أخذ الطيران يتقدم تقدماً كبيراً فنجد الآن بدلا من نماذج سترنجفلو الصغيرة طيارات زن عشرة أطنان تبلغ بسطة جناحها من ٧٠ إلى ٨٠ قدما وتصل سرعتها إلى مائة ميل في الساعة . وأخرى كتلك التي أحرزت كأس شنيدر<sup>(٢)</sup> في سنة ١٩٢٧ تدار بآلتين أو ثلاث وتبلغ قوتها من ٩٠٠ إلى ١٠٠٠ حصان . ولنبحث الآن القوى التي تؤثر على الطيارات في طيرانها :

من الجلى أنه لا بد لطيران جسم أثقل من الهواء من قوة تدفعه من أسفل إلى أعلا أو قوة رافعة ويجب أن تكون هذه القوة كافية لموازنة الثقل في حالة تحرك الجسم في اتجاه أفقى . غير أن هناك عدة عوامل تقاوم حركة الجسم إلى الأمام أهمها «قوة السحب» التي تسحبه إلى الوراء فإن لم تكن هناك قوة تتغلب على هذه المقاومة وقف الجسم ولم يتحرك . لهذا يجب أن يهباً للطيارة قوة دافعة تتغلب على قوة السحب . ولقد رأيت كيف يتعرض السطح المستوى المائل على اتجاه حركته لقوتين قوة المقاومة وهى «قوة السحب» وقوة أخرى هى «قوة الدفع» وسيوضح لك فيما يلى عمل هاتين القوتين .

(١) قصر من الزجاج خارج لندن تقام فيه المعارض والالعب

(٢) كأس تبرع بها شنيدر تعطى للفائز في مباريات السرعة للطيارات



## عمل المحرك :

لايضاح عمل المحرك عدة نظريات أولها النظرية المعروفة « بنظرية الدفع » التي تعتبر المحرك قرصا يستمد منه الهواء الذي يدور فيه قوة دافعة ، ففي حالة وقوف الطائرة يكون الهواء حولها ساكنا ولكن اذا بدأ المحرك في الدوران أخذ الهواء الذي حوله يتحرك بسرعة زائدة تكسبه تلك القوة الدافعة .

وأحدث هذه النظريات هي النظرية التي تعتبر المحرك كجناح للطيارة يدور بسرعة كبيرة في أحد طرفيها ، فاذا تحركت الطائرة إلى الامام على خط مستقيم وبزاوية قائمة على طولها تعرضت لقوة دافعة رأسية على اتجاه حركتها وقوة ساحبة مضادة لهذا الاتجاه وبازدياد سرعة دوران المحرك تتغلب القوة الدافعة على القوة الساحبة وترفع الطائرة في الهواء .

اتزان الطائرة في الهواء :

اذا اختل توازن الطائرة لسبب من الاسباب ثم عادت إلى اتزانها عقب زوال هذا السبب قيل انها « تامة الاتزان » ويمكن بلوغ هذه الغاية إذا كانت اجزاء الطائرة متناسبة تناسباً صحيحاً ، ولتفهم نظرية الاتزان نورد لك فيما يلي مثلين تعرف بهما ماهيته « الأول » « الذبذب » <sup>(١)</sup> وهو كالكرة المعلقة من خيط و « الثاني » العصا المتزنة رأسياً على الاصبع تظل كل منهما متزنة اتزاناً رأسياً إذا لم يطرأ ما يحركهما . فاذا طرأ عليهما ما يحركهما اختلف أثر الطارئ في المثلين :

فاذا تحرك الذبذب جال حول مركز اتزانه وقتاً قصيراً إلى أن يسكن كما كان قبلاً . وإذا تحركت العصا وقعت على الأرض إلا اذا حركها الأصبع بمهارة وأعادها إلى اتزانها السابق فالذبذب يمثل حالة الاتزان الثابت والعصا حالة الاتزان غير الثابت وتنطبق هذه الاعتبارات على الجسم المتحرك حركة منتظمة فالطيارة مثلاً تتحرك أفقياً بسرعة ثابتة فاذا طرأ على هذه الحركة ما يغيرها تغييراً تافهاً لسبب من الاسباب كلفحة فجائية من الريح متجهة إلى اسفل مثلاً فان مقدم الطائرة يتجه هذا الاتجاه أيضاً ، فلو فرض أن قائد الطائرة لم يفعل شيئاً لمقاومة هذه الحركة فقد يقع أحد شيئين :

(١) الذبذب يطلق على كل شيء يذبذب

الأول : أن مقدم الطائرة قد يرتفع ثانية من تلقاء نفسه وبعد بضع ذبذبات لأعلى وأسفل تعود الطائرة سيرتها الأولى في اتجاه أفقي ، فالطيارة كما ترى منتظمة كالذبذب في حركتها ويمكن أن تطير بدون أن تسيطر عليها أداة القيادة ، ذلك إذا كان الطارىء عاديا أما إذا كان شديدا فلا مناص وقتذاك من استعمال الأداة ، ويتبين من ذلك أن الطائرة تستمر على الطيران من تلقاء نفسها مادامت الآلة التي تسيّرّها تولد من القوة ما يكفي لطيرانها أفقيا بسرعة معينة .

والشئ الثاني : أن الطارىء قد يزداد في شدته فيستمر مقدم الطائرة على الانخفاض وتصبح الطائرة غير منتظمة في حركتها كالعصا المتزنة على الأصبع كما مربك وفي هذه الحالة يترك للقائد إعادتها إلى سيرتها الأولى أو الى الطيران الأفقي المنتظم .  
هبوط الطائرة :

تبين لك مما أسفنا كيف ترتفع الطائرة بقوة الرفع التي يكسبها إياها سرعة دوران المحرك فإذا أريد الهبوط أتقصت تلك السرعة رويداً رويداً فتتقص القوة الرافعة تبعاً لذلك .

وتهبط الطائرة إلى الأرض حتى إذا مستها درجت عليها إلى أن تقف مـ

## سموم الأفاعى ضد الأفاعى السامة<sup>(١)</sup>

يوجد في مدينة سان باولو بالبرازيل بناء نفم أقيم لعمل الأبحاث واستخراج المصل لعلاج المصابين بلسعة الثعابين السامة ، وذلك لكثرة هذا النوع من الأفاعى في هذه البلاد حتى أصبحت خطراً عاماً على السكان ، وقد دلت التجارب والأبحاث على أن المصل المستخرج من سموم الأفاعى إذا حقن به الإنسان عقب الإصابة مباشرة يبطل عملها السام .

وتتهم حكومة البرازيل الآن بجمع الثعابين السامة لتريتها في هذا المعهد وأخذ سمومها لاستخراج الأمصال وتوزيعها على الأهالى .

# (١) الاجسام المتحجرة

— ٢ —

## تحجر المملكة الحيوانية

( سبق لنا التكلم عن تحجر المملكة النباتية في العدد السادس من هذه المجلة )

توجد حفريات الحيوانات «اللافقية» (٢) بكثرة عديمة النظير من حيث العدد أو النوع بين الحيوانات المتحجرة على العموم بالرغم من رخاوتها وعدم تماسكها ، وربما كان السبب في ذلك هو اشتغالها على أجزاء صلبة كالأصداف والقشور الخارجية وبعض أعضاء الارتكاز الداخلية كما أن كثيرا من هذه الحيوانات تعمل ابان حياتها على تكوين المركبات الحجرية العظيمة .

وقد يكون المرجان في مقدمة هذه الأحياء التي مع صغر حجمها تتراكم بكميات وافرة جسدا وتكوّن مركبات جييرية ضخمة في البحار الدافئة وتنشأ بذلك أجزاء دائمة في القشرة الأرضية ، كما توجد آثارها في تركيب مناطق جبلية عديدة في أنحاء المعمورة ، الا أن هذه الصخور العتيقة التكوين قد فقدت كثيرا من المميزات والخواص الحيوانية .

ومثل المرجان حيوانات «لافقية» أخرى عديدة كثير منها من ذات الخلية الواحدة (٣) يتراكم بعضها فوق بعض مكونا بذلك أحجاما كبيرة ومساحات واسعة تنتشر في أعماق سحيقة من البحار ، كما أن صدقاتها تكوّن طبقات صخرية عظيمة وتوجد بكثرة في

(١) نقلا عن مقال للاستاذ الدكتور « سفن » بمجلة « Kosmos » الألمانية

(٢) تنقسم الحيوانات الى فقرية وهي ما اشتملت على العمود الفقري ولا فقرية وهي التي تكون بدونه

(٣) « أولية » وهي ذات الخلية الواحدة وحيوانات عليها وهي عديدة الخلايا

جبال البرانس والألب وفي آسيا الصغرى وبحال هيمالايا وفي الهند وجاوة وجزر الفيلبين وأفريقية الشمالية ومنها تتكون أحجار الأهرام .

وليست الحيوانات العديدة الخلايا بأقل أثراً في تكوين الكتل الصخرية من الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة ، ويتضح لنا مفعولها في تكوين الأحجار من رواسب الأصدا ف والمحار بالشواطىء البحرية ومن الجثث الحيوانية الوافرة في المياه الضحلة ومن قشور القواقع الجيرية وطبقات الطين الخزفي ، فيما تبلى الأجزاء الرخوة تبقى الأجزاء الصلبة بباطن الطبقات الرملية أو الطينية أو الجيرية <sup>(١)</sup> وهكذا تُحفظ من تأثير العوامل الخارجية ، وقد تكون البقايا الحيوانية أكثر تعرضاً للفناء والاندثار إذا طُمرت في الرمال فإن هذه الطبقات تتحول الى أحجار رملية ذات ثقوب ومسام عديدة تتسرب خلالها الرطوبة والمياه التي بباطن الأرض فتفصل عن هذه الأجسام أجزاءها الجيرية وتحملها معها فلا يبقى منها بطبقات الأحجار الرملية سوى ما تسرب الى جوف الاصداف من الرمال على شكل نواة حجرية يعاوها طابع الصدفة ، وقد توجد هذه النوى المتحجرة في حجر الأردواز أو الأحجار الجيرية لأن الطبقات الطينية والجيرية ليست دائماً بالحصن المنيع الذي يحول دون جميع عوامل الفناء الا أن وجود الأجزاء الصلبة من البقايا الحيوانية بوفرة في هاتين البطقتين يحملنا على الاعتقاد بأنها هنا أبعد عن هذه العوامل منها في الطبقة الرملية .

وبالجملة فإن الحيوانات «اللافقية» توجد محفوظة بباطن الأحجار كما توجد متحجرة بذاتها كما أسلفنا .

ومن الجلى أن الأجزاء الصلبة في الحيوانات «اللافقية» هي بلا شك أقدر أجزائها على مقاومة العوامل الخارجية خصوصاً اذا كانت تحتوى في تكوينها على مواد معدنية ، فلا تتأثر بما يرتطم بالشواطىء من الأمواج ولا تتفتت بفعل التغيرات الجوية ولا تذهب غذاء للحيوانات الأخرى ، الا أنه قد تتوفر ظروف طبيعية أخرى تحول دون اندثار تلك الأعضاء الرخوة حتى أرقها وأضعفها ، ولا تتوفر هذه الظروف الا في الطبقات

(١) تتحول الطبقات الرملية والطينية والجيرية بعد تحجرها الى أحجار رملية وأردوازية وحيرية على التوالي

الطينية في الخلجان الهادئة حيث تغطي أجسام الحيوانات الرخوة تدريجياً بصوف  
الأشجار البالية والأعشاب الرقيقة أو الطين المتعفن وما شاكله على أن ترسب هذه  
الطبقات الطينية رويداً رويداً بدون أى اضطراب أو حركة حتى تنظم هذه الأجسام  
تماماً، ثم تأخذ هذه الغلافات في التصلب بتأثير العوامل الخارجية على أن تعمل هذه  
عملها ببطء وفي هدوء وسكون تامين دون أن تتعرض هذه النواحي للتقلصات الجبلية  
الفجائية أو ضغط الصخور الشديد، كما يجب أن تخلو هذه المناطق تماماً من المحلولات  
المتلفة مثل المياه الجيرية أو مركبات الكبريت أو أن يكون مفعولها — إذا وجدت —  
بطيئاً جداً غير مصحوب بتغيرات عنيفة أو سريعة، ولكن هذه الشروط مجتمعة لا  
تتوافر إلا فيما ندر من الظروف والأحوال وقد يكون ذلك في تكوين الكهرمان  
أيسر منه في المناطق العشبية أو الطبقات الطينية في المياه العذبة لكثرة ما بها من الحوامض  
الجارية فضلاً عن أن مصير هذه المناطق إلى أن تكون فخماً وتقر بأطوار عديدة تعرض  
الكثير من البقايا الحيوانية الرخوة إلى التلف، ولذا لا توجد هذه الأجزاء بالطبقات الفحمية  
بكثرة كما يندر وجودها جداً في الأحجار المائلة الأخرى مثل الأردواز وذلك لأن  
هذه الطبقات تمر بأدوار تعوق وقايتها، هذا إلى ضغط الصخور الجبلية والتقلصات العنيفة  
التي تعترى القشرة الأرضية.

وهناك ناحية من المعمورة قد توفرت فيها الأسباب السالفة الذكر فاستكنت في  
باطنها أجسام الحيوانات الرخوة مثل بعض أنواع الأسماك الصغيرة ونجوم<sup>(١)</sup> البحر، ولو  
أن الحفريات التي وجدت بهذه المنطقة — وهي منطقة الجورا<sup>(٢)</sup> — قليلة من حيث العدد والنوع  
إلا أنها حفظت من التلف والاندثار حفظاً تاماً فيمكن رؤيتها حتى أدق أطرافها المتشعبة  
بكل وضوح وجلاء، كما يوجد في هذه المنطقة بجوار الحيوانات المائية الكثيرة نباتات  
برية وحشرات وزواحف ربما كانت قد زارت هذه الناحية في طور بدء تصلبها فعلقت  
بها ولم تقو على التخلص والفرار.

فنظرة واحدة إلى الألواح الحجرية الملساء في منطقة الجورا تكفي لأن يتخيل المرء

(١) نجم البحر — حيوان مائي على شكل نجمة (٢) هي المنطقة الجنوبية الغربية من ألمانيا

مجرى الحياة في هذه البقاع التي مرت عليها قرون عديدة كما تتضح له الأسباب التي بفضلها بقيت هذه الشواهد محفوظة مدى هذه الأجيال الطويلة .

وكما بقيت آثار الحيوانات « اللافقريّة » محفوظة بباطن الأرض توجد أيضا بقايا الحيوانات الفقريّة — وأغلبها من العظام والأسنان والقرون — متحجرة ، وقد تخللت مسامها كربونات الجير أو الحصى الكبريتية أو المركبات الحديدية أو الحوامض الرملية فزادتها تماسكا والتحاماً .

وفي المناطق ذات الجو الجاف لا يحتاج في أغلب الأحوال إلى عوامل خاصة لوقاية البقايا الحيوانية حيث أنها هنا بعيدة عن المياه المفتة ، كما أن الجراثيم الصغيرة التي تصيب عادة ما يدفن بباطن الأرض قليلة جدا في المناطق الجافة .

أما في الأجواء الممطرة الرطبة فإن الأحوال أقل ملائمة لحفظ ووقاية البقايا الحيوانية فيدب الفساد فيما يترك على سطح الأرض فيتعفن بسرعة أما المدفون بباطنها فيبقى محفوظا بفضل وقاية الحوامض القاتلة للجراثيم ولا يزول عنه سوى أجزاء العظام القابلة للانحلال والذوبان مثل الأملاح الجيرية ويبقى الهيكل الخارجى لا يعثره تغيير جوهرى كما هو الحال في المناخ الجاف ، إلا أن العظام في المناطق الجافة تزداد صلابة بتعرضها للهواء .

أما بقايا الحيوانات التي تحملها الحيوانات الأخرى التي على قيد الحياة أو التي تنقلها يد الإنسان فتدفن في طبقات الغرين<sup>(١)</sup> فان نصيبها في الحفظ وعدم التحلل أوفر من غيرها حيث أنها في هذه الطبقات تحتجب عن العوامل الجوية فلا يصلها الأكسجين أو تنفذ إليها الحوامض الكربونية ، وكثيرا ما يعلق بها الجير المحملة به المياه الجيرية فيكسبها حصانة ويزيدها وقاية .

كما أن الطبقات الطينية في البحار والمحيطات قد تكون عاملا مساعدا في وقاية أجسام الحيوانات الفقريّة وحفظها زمنا طويلا ، وأوضح دليل على ذلك العدد الوافر من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى التي توجد في الصخور الأردوازية وما شاكلها .

(١) هو الطين يحمله السيل فيبقى على ظهر الأرض رطبا أو يابساً

ومن أعجب الحفريات وأكبرها قيمة الطائر المنقرض المعروف بأسم «أركيوبتركس» الذى لقي حتفه مع كثير من الطيور والزواحف المنقرضة فى طين البرك اللزج فبقى شكله الخارجى وهيكله العظمى محفوظا حفظا تاما الى وقتنا هذا ، كما أنه ترك بهذه الطبقات المتحجرة طابعا متقنا وصورة واضحة منه ، حتى أنه يسهل إعادة تركيب نموذج مشابه له كل الشبه .

وقد تكون الحيوانات المائية التى وجدت بباطن بعض طبقات منطقة الجورا أعجب الحفريات التى بقيت مصونة بعيدة على كل عوامل الفناء والاندثار ، فلا يصادف الانسان مجهودا كبيرا فى استخراج هيكليها تاما ، كما يمكنه فصل الجلد عن هذه الهياكل والتحقق من مواضع الأعضاء الداخلية فيها ، فان طبيعة تكوين الطبقات الطينية التى حفظت بين جوانبها هذه الحيوانات تلائم هذه العملية كل الملائمة ، ويغلب على الظن أن هذه الحيوانات ماتت فجأة وطمرت بالطين الطرى فى مرقدها الأخير ، كما أن وجود المواد الكبريتية بكثرة فى هذه الطبقات الطينية مما يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الحيوانات قد اصطدمت بقرار البحار وهى مسرعة فى السباحة فتبعثر الطين من حولها فلبقت حتفها هناك بفعل الغازات السامة المتصاعدة وأن هذه المواد السامة التى لازالت توجد ببقعان بعض البحار والمحيطات الى الآن ساعدت فى حفظ أجسام هذه الأسماك والحيوانات المائية وعدم تفككها .

فمن الأمثلة السابقة وخلافها توصل الانسان الى استنباط صورة واضحة عن شكل وتركيب الحيوانات الفقرية المنقرضة ، هذا الى أنه قد تتوافر أحيانا ظروف خاصة تتمكن فيها العوامل الطبيعية من حفظ جسم الحيوان بجمع أو بأغلب أعضائه الداخلية وذلك اذا ما طمرته المواد الواقية بمجرد موته مباشرة ، كما لو لقي حتفه فى بعض المستنقعات أو دفن فى الطين الرملى كما هى الحال فى بعض أنواع السحالى التى طمرت فى العصور الغابرة بالطين الرملى والموجودة الآن بالطبقات الحزفية بتلك المناطق .

وربما كان الجليد أكثر المواد ملائمة وصلاحية لحفظ ووقاية أجسام مثل هذه

الحيوانات من الاندثار ، فان حيوانات « الماموث »<sup>(١)</sup> التي لقيت حتفها بين الشقوق الجليدية في العصر الجليدى لا زالت لحومها طرية تلتهمها الذئاب والكلاب في الوقت الحاضر .

ومثل « الماموث » كانت حال بعض فصائل الخريت المنقرض الذي وجد حديثا في احدى نواحي مقاطعة غاليسيا . الا أنه يجدر بنا التفرقة بين هذه الأجسام وتلك التي يرجع عهدها الى العصر « الطباشيرى » والتي حفظت لنا أشكال « الدينوسور » ، التي وجدها الإنسان بكثرة في طبقات الأحجار الرملية بالولايات المتحدة الأمريكية ووجدت بها العظام الا أنها كانت متحجرة تماما ، أما الاعصاب والعضلات والجلد فالظاهر أنها جفت بتأثير الشمس قبل أن تدب اليها العفونة وتحل الرمال محلها .

وأخيراً يجدر بنا التنويه الى أن الحيوانات الفقيرة تركت آثاراً من وقع أقدامها أو زحفها على كثير من الطبقات الارضية كما ارتسمت أشكال الحيوانات « اللاقيرية » على وجه البسيطة وقتئذ .

وكثيراً ما يعثر الإنسان على بقايا كانت بلا شك من متعلقات ولوازم الحياة في هذه العصور السحيقة ، وأن بعضاً من هذه الآثار البالية كانت آلات أو مساكن ومواقد تركها المأضون من بنى آدم ، وأن هذه الآثار كآثار باقى الأحياء تبلى وتبقى بتأثير العوامل السالفة .

## تأثير أشعة رنتجن على الجراثيم<sup>(٢)</sup>

انا وان كنا نعرف تأثير أشعة رنتجن فى الأحياء الراقية فلا زلنا نجعل تأثيرها فى الجراثيم الى عهد قريب ، ولقد اهتم البحاثة الدكتور كلارك الأمريكى بالقيام بأبحاث وتجارب علمية للتحقق من تأثير أشعة رنتجن فى الجراثيم ، فثبت له أن هذه الأشعة تعمل فيها عمل المطهرات ، ووجد أنها تموت إذا غُرِضَتْ للأشعة ٩٠ دقيقة .

(٢) مترجمة عن مجلة « Ksomos » الألمانية

(١) الماموث هو نوع من الفيلة المنقرضة



## تأسيس معهد أسبوط الدينى

وخطاب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر  
شيخ الجامع الأزهر

عن حضرة صاحب الجلالة ملكنا المعظم احمد فؤاد الأول - أيده الله - بحماية الدين  
الحنيف وإقامته على دعائم ثابتة فكان من مقاصد رحلته الميمونة تأسيس معهد دينى  
بأسبوط .

شرف جلالاته أسبوط فى يوم السبت ٢٩ رجب سنة ١٣٤٩ هـ ( ٢١ ديسمبر سنة  
١٩٣٠ م ) وبعد أن أسس رعاه الله دار الاسعاف الجديدة ودار المدرسة الابتدائية سار  
ركابه السامى نحو المكان المعد لانشاء المعهد ، وعند ما جلس فى صدر السراى وانتظم  
الاحتفال برجال العلم والفضل والسياسة ألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر  
الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر خطابا نوه فيه بما لجلالاته من العناية  
بالاصلاح واعلاء شأن الاسلام ونصه :

مولاي يا صاحب الجلالة :

كان من نعمة الله على البلاد المصرية وعلى العالم الاسلامى تبوء جلالته عرش مصر  
فقد حققتم أمل البلاد وأعلنتم استقلالها وعينتم بانهاضها فى كل شأن من شؤونها لتستعيد  
مجدها القديم .

وحققتم أمل العالم الاسلامى فعينتم بأمر الدين وهو قوام حياة الأمم يحول بينها وبين  
الفوضى ويوطد فيها أركان السلم والنظام ويحث على الفضيلة ومكارم الأخلاق واهتمتم  
بأمر معاهد الدين لاسيما الأزهر الشريف الذى هو ميزة مصر الكبرى ومركز التعاليم  
الاسلامية وقبلة أنظار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يقصده الطلاب من سائر  
الأقطار ( ليتفقوا فى الدين وليندروا قومهم إذا رجعوا اليهم )

وقد شملت هذه العناية من جلالته كل ناحية من النواحي المتعلقة بذلك فقد تفضلتم في أول رحلة ملكية بالوجه القبلي وأمرتم بإنشاء القسم الثانوى بمعهد أسيوط الذى كان ابتدائياً ثم بإنشاء معهد الزقازيق فكان ذلك عطفاً كبيراً من جلالته على الوجهين القبلي والبحرى قبول من سكانها برفع فروض الشكر والدعاء

ورغبة من جلالته فى رفع مستوى التعليم تفضلتم فأصدرتم قانوناً للتخصص فى أنواع العلوم الدينية والعربية وفى طرق الوعظ والارشاد وفى القضاء الشرعى ثم تفضلتم فأدخلتم تعديلاً على قانون الأزهر يرمى الى ادخال العلوم التى لاغنى عنها فى اعداد رجال الدين للقيام بالواجب العظيم الملقى عليهم . والى التوسع فى العلوم الكونية المعينة على فهم أسرار الدين وتفسير آى الكتاب المبين المتعلقة بالكون وما فيه من آيات وعبر ، وقد أسست لذلك بالمعاهد معامل الكيمياء وغيرها .

وأصدرتم كذلك ارادة سنية بطريقة انتخاب أرباب الكفايات للتدريس وبتعديل درجات المدرسين والموظفين وترتيب معاش لهم .

وعناية بالطلاب وصحتهم وتوفير أسباب راحتهم تفضلتم فأمرتم بادخال النور الكهربائى فى الجامع الأزهر وفرش أما كن الدراسة منه بالأبسطة واعداد أما كن أخرى للدراسة فى مصر وباقي المعاهد مجهزة بكل ما تقتضيه قواعد التدريس ، كما أمرتم بإيجاد عيادات طبية يومية فى كل معهد .

وتشجيعاً على النبوغ قد تفضلتم بتعيين جائزين ماليتين من الجيب الخاص للأول والثانى من ناجحي شهادة العالمية .

وقد اقتضت ارادة جلالته الشروع فى تعميم الوعظ والارشاد فعين خمسون واعظاً يقومون الآن بواجبهم فى مكافحة الشرور والدعوة إلى الفضائل فى مختلف القرى والبلدان كما أنشئت لذلك مجلة « نور الاسلام » التى انتشرت فى أرجاء العالم .

وقد قضى عطف جلالته وما أمرتم به من وجوه الاصلاح المختلفة أن تتدرج ميزانية المعاهد فى الرقى حتى بلغت فى السنة الحالية ما يربو على ثلثمائة الف جنيه بعد ان كانت فى أول عهد جلالته سبعين الفا

ولم تقل عنايتكم بأبنية المعاهد عن العناية بغيرها من وجوه الإصلاح ، فقد تفضلتم في أول عهد جلالتم الميمون بإكمال الطابق الثانى من معهد طنطا وتنازلتم فشرقم حفلة افتتاحه فكانت فاتحة خير وبركة .

ثم أمرتم ببناء معهد الزقازيق قتم بحمد الله وهو الآن موضع الاعجاب والتقدير . وأمرتم بإصلاح أماكن الدراسة ومساكن الطلاب بمعهد الاسكندرية وإكمال الجامع الأموى بسيوط ليكون محلا للدراسة بصفة مؤقتة .

ثم أمرتم بإنشاء أبنية بجوار الأزهر الشريف لتكون أمكنة للكلية والتعليم الابتدائى والثانوى والمحاضرات الدينية والعلمية ، وقد أدرج للشروع فى ذلك مائة ألف جنيه فى ميزانية الدولة .

وهأتم يامولاي قد أمرتم ببناء معهد لاسيوط يليق بعاصمة الصعيد ينطق بما لجلالتكم من الأيدى البيضاء

وكان من علامات التوفيق واليمن أن يكون تأسيس هذا المعهد عقب تلك النعمة الكبرى وهى إصدار جلالتم قانون إعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العامة الإسلامية الذى ينص على إنشاء كلية لأصول الدين وأخرى للشريعة الغراء وثالثة للغة العربية وأقسام للتخصيص وعلى أن يكون خريجوه هذه الأقسام أهلا لمناصب القضاء الشرعى والتدريس فى المعاهد ومدارس الحكومة وغيرها وتولى الوعظ والارشاد وينص على إنشاء أقسام عامة لمن يريد أن يتوسع فى أحكام الدين أو اللغة العربية فى كل من القاهرة وطنطا والمنيا وسوهاج وقنا ، وذلك كى يعود للأزهر الشريف مجده التالذ ويقوم بالمهمة التى يطالبه العالم الإسلامى بها وكى يكون خريجوه أعضاء عاملين فى هذه الحياة فيفيدون ويستفيدون وكى يعم العلم جميع الطبقات وجميع الجهات .

انى يامولاي عاجز عن تعداد أيديكم البيضاء على مصر وعلى أهل الحنفية السمحة عاجز عن أداء مايجب لجلالتكم من الشكر على هذا التفضل العظيم والخير العميم وكل ما أقدر عليه ويردده معى الجميع هو الابتهاال الى الله سبحانه وتعالى ان يحفظ ذات جلالتم السكرية ويبقيكم ذخرا للبلاد والعباد .

والآن يامولاي أرجوان تتفضلوا فتضعوا أيديكم السكرية الحجر الأسامي لهذا  
المعهد السعيد ليكون ذلك يننا وبركة والله تعالى يؤيدكم بروح من عنده ويكلاً بعين رعايته  
حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد الدولة المصرية الأمير فاروق انه سميع مجيب ،  
ثم تتفضل جلالتة فأرسي الحجر الأول للمعهد وغادر مكان الاحتفال والألسنة تلهج  
بشكر أياديه الغراء والدعاء لجلالتة بالتأييد وطول البقاء .

### ( ميل النبات شطر طبقات أرضية خاصة )

أصبح الآن مما لاشك فيه أن جذور النباتات تتجه نحو طبقات أرضية خاصة حيث  
تجد غذاءها وذلك لاحتواء بعض الترب على معادن خاصة ، وكلما تعمق الانسان في  
دراسة هذا الموضوع اخص بالعلمى النبات وطبقات الأرض ازدادت معلوماته عن  
أنواع النبات التى تشير باتجاه جذورها الى طبقات أرضية خاصة ، وقد عنى الهر  
فون لندستوف بجمع معلومات كثيرة عن هذه النباتات المعروفة حتى الآن فى كتاب قيم  
أصدرته مصلحة طبقات الأرض الألمانية ، ومما لاشك فيه أن دراسة هذا الموضوع  
سيكون لها أثر عملى كبير فى البحث عن المعادن بباطن الأرض ، وقد عرفت حتى الآن  
أنواع النباتات التى تتجه جذورها نحو الطبقات الأرضية والمعادن الآتية : — الملح  
والصودا والبوتاسا والرويديوم والليتيوم والجير والخزف والجبس والملح المر وحجر  
الحية والزنك والنحاس والفضة والذهب والقصدير والمنغنير والحديد والكبريت  
والفسفور والزرنيخ والبروم واليود .  
( مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية )



قَدْ جَاءَ كُوفَرُ اللَّهِ نُورٌ وَكَانَ مُبَيَّنٌ يَهْدِي بِإِذْنِ اللَّهِ مَنْ أَسْبَحَ زُحْرَوَانَهُ يُسَبِّحُ السَّلَامَ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ •

# نَفْثُ الْأَسَدِ الْأَعْمَرِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

المستشار بمحكمة الاستئناف  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

عبد المحسن بن  
عبد النبي

مدير إدارة المجلة :

السيد محمد الخضر حنين من علماء الأزهر

رئيس التحرير :

إدارة المجلة شارع محمد مظلوم باشا رقم ١

« تليفون : ٣٥٠٧ بستان »

الرسائل تكونه باسم مدير المجلة

داخل القطر المصري . . . . . ٤٠

للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس ٢٠

خارج القطر المصري . . . . . ٥٠

طلبة المعاهد والمدارس . . . . . ٣٠

قيمة الاشتراك السنوي

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

وتمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### كبر الهمة في العلم

الحديث عن فضل العلم وما يناله طالبه من مجد وكرامة حديث لا يكشف عن غامض ولا يطرق السمع بجديد ، فاقصد الى شئ غير هذا هو لفت أنظار نشئنا الى ناحية تجعل المعارف لدينا غزيرة والمباحث محررة ، والأراء مبتكرة ، وهى الوسيلة التى صعدت بعلمائنا الذين خدموا الدين والعلم والمدنية فكانت لهم المسكنة التى يصفها التاريخ باجلال واعجاب ، ونعنى بهذه الوسيلة كبر الهمة في العلم .

لكبر الهمة في العلم مظاهر هى أن تقضى الوقت في درس أو مطالعة أو تحرير ، وان تقتحم في سبيل ذلك المصاعب وتدافع ما يعترضك من العوائق ، وأن تبسط النظر في كل مسألة تصديت لبجتها حتى تنفذ الى لبابها ، وان تضع يدك في كل علم استطعت اليه طريقاً ثم تحط رحلك في علم تكون فيه النجم الذى يهتدى به المدجلون ، والغيث الذى ينتجعه الظامئون ، وكبر همتك في العلم يأبى الا أن يكون للعلم مظهر هو العمل به والسير على ما يرسمه من الخطط الصالحة في هذه الحياة .

أما صرف الوقت في ابتغاء العلم فان للعمر أجلاً اذا جاء لا يستأخر ، وللعلم بحراً طافحاً ليس له من آخر ، فكل ساعة قابلة لان تضع فيها حجراً يزداد به صرح مجدك ارتفاعاً ، ويقطع به قومك في السعادة باعاً أو ذراعاً ، فان كنت حريصاً على أن يكون لك المجد الأسمى ، ولقومك السعادة العظمى ، فدع الراحة جانباً ، واجعل بينك وبين اللهو حاجباً ، واذا رجعتا البصر في تاريخ النوابع الذين رفعوا للحكمة لواء ، وجدناهم يبخلون بأوقاتهم أن يصرفوا شيئاً منها في غير درس أو بحث أو تحرير .

قدم الحافظ ابن أبى حاتم صاحب كتاب «علل الحديث» القاهرة ليتلقى عن شيوخها ما لم يكن يعلم فقضى في مصر سبعة أشهر لم يجد هو وأصحابه من الوقت ما يهيئون فيه لطعامهم مرقاً ، وكانوا بالنهار يطوفون على الشيوخ ، وبالليل ينسخون

ويقابلون . ونقرأ في حياة الفيلسوف أبي علي بن سينا أنه لم يتم مدة اشتغاله بالعلم ليلة كاملة ، ولم يشتغل في النهار بسوى المطالعة ، ونجد في التاريخ أن الفيلسوف ابن رشد لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله .

لم يقض حق العلم ، بل لم يدر ما شرف العلم ذلك الذى يطلبه لينال به رزقا أو ينافس فيه قرينا ، حتى اذا أدرك وظيفة أو آنس من نفسه الفوز على القرين أمسك عنه ثانيا ، وتنحى عن الطلب جانبا ، وانما ترفع الأوطان رأسها ، وتبرز في مظاهر عزتها ، بهمهم أولئك الذين يقبلون على العلم بمجد وثبات ، ولا ينقطعون عنه الا أن ينقطعوا عن الحياة .

وأما اقتحام المصاعب في الطلب فان معالى الأمور وعرة المسالك مخوفة بالمكاهة والعلم أرفع مقام تطمح اليه الهمم ، وأشرف غاية تتسابق اليها الأمم ، فلا يخلص اليه الطالب دون أن يقاسى شدائد ويحمل متاعب ، ولا يستهين بالشدائد الا كبير الهمة ماضى العزيمة . كان سعيد بن المسيب يسير الليالى في طلب الحديث الواحد ، ورحل أبو أيوب الانصارى من المدينة الى عقبة بن نافع وهو في مصر ليروى عنه حديثا ، فقدم مصر ونزل عن راحلته ولم يحل رحلها فسمع منه الحديث وركب راحلته وقفل الى المدينة راجعا ، ولم ينتشر العلم في بلاد المغرب أو الاندلس الا برجال رحلوا الى الشرق ولاقوا في رحلاتهم غناء ونصبا ، مثل أسد بن الفرات وأبى الوليد الباجى وأبى بكر بن العربى .

يتجرع كبير الهمة مرارة حين تقف بينه وبين جانب من العلم عقبة ، فاذا وجد مرعى العلم خصبا ، فتناؤه فيما يدعونه راحة ، وانقباضه فيما يسمونه لهوا ، وألمه في ساعة ينقطع فيها عن العلم يساوى ألم المستهتر في الشهوات حين يقضى يومه في غير شهوة . وقد يحسب من لم تصف بصيرته حتى يرى الحكمة في أسنى مظاهرها أن الذى يقول :

سهرى لتتقيح العلوم ألدلى من وصل غانية وطيب عناق  
انما هو شاعر لا يسالى أن يفضل الشئ على ماهو أكمل في وجه الشبه وأقوى ،



ويعبد في نظره أن يبلغ ابتهاج النفس عند تحقيق بحث علمي مبلغ ابتهاجها بلقاء الغايات ، ولكن الذي يقدر الحكمة يرى أن ناظم البيت لم يجد شيئا يحاكي به اللذة التي يجدها عند ما يطلق فكره وراء شوارد العلوم فيظفر بها ، فجاء الى هذا الذي اشتهر بين الناس أنه لذيق بالغ، ووصف لذة الحكمة بانها فوق لذته، فصاحب البيت لم يتجاوز في تصوير ارتياحه لتنتيج العلوم حد الحقيقة .

وأما نفوذ النظر في لباب المسائل فلأن وقوف طالب العلم عند ظواهرها واكتفائه بالمقدار الذي يقصر به عن حسن بيانها واجادة العمل بها ، لا يبعدان به عن منزلة خالي الذهن منها، فانما وضعت العلوم لتهدى الى العمل النافع، ولاشرف لها في نفسها ، وانما شرفها بما يترتب عليها من عمل صالح أو كلم طيب ، فمن يقضى زمنا في طلب علم ثم يفصل عنه وهو لا يستطيع أن يدفع عن أصوله شيئا ، أو يضرب له من العمل مثلا ، ذهب وقته ضائعا وبقي اسم الجهل عليه واقعا .

فالفقيه بحق من تعرض الواقعة لم يفصل لها الشارع حكما ولم يتناولها السلف باجتهاد ، فيرجع الى الأصول الثابتة والقواعد المقررة ويقتبس لها حكما موافقا ولا نكتفي ممن يدرس البلاغة أن يتصور قوانينها ، ويعرف امثلتها الا أن يبصر بها كيف تسرى في كتاب الله سريان الماء في الأزهار الناضرة ، وحتى يستطيع أن يخاطب أو يكتب على وفق ما درس من مناهجها الواضحة واساليبها الساحرة ولا يحق لنا أن نفتخر بفتيان درسوا الطبيعة والكيمياء ، الا أن يعودوا وفي قدرتهم أن يستقلوا بادارة مصانع للدفاع ، ومعامل لمرافق الحياة ، فاننا نريد أن نعود كما كنا اساتذة في العلوم نقلية أو عقلية ، نظرية أو مادية .

ومما رمى الافكار في خمول ووقف بها حقبة عن الحوض في عباب العلوم الى أمد بعيد ، هذه المختصرات التي يقضى الطالب في فتح مغلقها وحل عقدها قطعة من حياته جديرة بأن تصرف في اكتساب مسائل هي من صميم العلم ، والملكات تقوى بالبحث في لباب العلم أكثر مما تقوى بالمناقشة في ألفاظ المؤلفين ، ومن نبه على أن

الاختصار عائق عن التحقيق في العلم أحد علماء القرن الثامن العلامة محمد المعروف<sup>(١)</sup> بالأبلى اذ قال « كل أهل هذه المائة على حال من قبلهم من حفظ المختصرات ، فاقترضوا على حفظ ما قل لفظه ونزر حظّه وافنوا أعمارهم في حل لغوزه وفهم رموزه ، ولم يصلوا الى رد ما فيه الى أصوله بالتصحيح ، فضلا عن معرفة الضعيف والصحيح »

فن أسباب الرسوخ في العلم وطموح الهمم الى التوسع في البحث وعدم الرضا بما دون الذروة قراءة الكتب التي تنسج على طريقة الاستدلال والغوص على أسرار المسائل ، وهي طريقة المتقدمين من علمائنا .

واما بسط النظر في علوم متعددة فلا تلباط العلوم بعضها ببعض ، وكلما كان الاطلاع على العلوم أوسع ، كان البحث في المسائل أجود ، والخطأ في تقريرها أقل ، والاحتجاج عليها أسلم ، فلا يجيد دراسة التفسير أو الحديث من لم يكن ضليعا في العربية ، ولا يحكم الاستدلال على العقائد ويدفع ما يحوم عليها من شبه الا من كان عارفا بالتفسير والحديث والقوانين المنطقية والمذاهب والآراء الفلسفية ، ولا يقوم على دراسة الفقه أو أصوله من لم يملأ يده من الحديث والتفسير والعلوم العربية واطلاع الرجل على علوم كثيرة يعرف موضوع بحثها ويقف على جانب عظيم من مبادئها ، لا يمتنع من الاقبال على علم يجعل له من الدرس والمطالعة ما يرفعه الى مرتبة ائتمه الذين يكتبون فيه فيحققون ، ويسألون عن أخفى مسائله فيجيبون والذي يضع يده في علوم شتى يمكنه أن يجارى طوائف العلماء في المباحث المختلفة ، وعلى قدر ما يكون للرجل من خبرة بالعلوم ، يبعد عن مواقع الذلة ويزداد في أعين الناس تجلّة .

عكف أبو صالح أيوب بن سليمان على كتاب العروض حتى حفظه فسأله بعضهم عن اقباله على هذا العلم بعد الكبر فقال : حضرت قوما يتكلمون فيه فأخذني ذل في نفسي أن يكون باب من العلم لا أتكلم فيه

تقضى الحياة الراقية أن يقوم بكل علم طائفة يكونون السند الذى يرجع اليه ، وكذلك كان علماؤنا فيما سلف يقبل كل طائفة منهم على علم يقومون عليه دراية ، ويقتلون به بحثا ، وبهذا اتسعت دائرة المعارف وظهرت المؤلفات الفائقة ، وتراهم قد عرفوا من قبل أن نجاح قصر الطالب على الرسوخ في علم يرجع الى ترك الطالب وما تميل اليه نفسه من العلوم ، ومما نقرأ في ترجمة أبى عبد الله محمد الشريف التلمسانى وكان راسخا في المنقول والمعقول — أنه كان (يترك كل أحد من الطلبة وما يميل اليه من العلوم ، ويرى أن كل ذلك من أبواب السعادة)

ومن لطف مبدع الكون أن جعل النفوس تختلف في استعدادها للعلوم والفنون والصنائع لينتظم شأن الحياة وتتوافر وسائل السعادة ، وربما نشأ أفراد في مهد واحد واختلف ميلهم الى العلوم فبرز كل في العلم الذى وافق رغبته ووجه اليه همته ، كأبناء الأثير الثلاثة على <sup>(١)</sup> الملقب بعز الدين امام في التاريخ ، ومحمد <sup>(٢)</sup> الملقب بمجد الدين نحرير في الحديث والأدب ، ونصر الله <sup>(٣)</sup> الملقب بضياء الدين بارع في الأدب وتحرير الرسائل . وكثير من علمائنا كانوا يدرسون علوما مختلفة يبلغون في بعضها الذروة ويكتفون في بعضها بالمقدرة على تدريسها أو تحقيق مباحثها عند الحاجة فهذا أبو اسحاق الشاطبى تقرأ له كتاب الموافقات فتحس أنك تتلقى الشريعة من امام أحكم أصولها خبرة ، وأشرب مقاصدها دراية ، ثم تقرأ شرحه على الخلاصة في النحو فتشعر بأنك بين يدي رجل هو من أغزر النحاة علما وأوسعهم نظرا وأقواهم في الاستدلال حجة ، والقاضى اسماعيل من فقهاء المالكية البالغين درجة الاجتهاد في الفقه قد سمت منزلته في العربية حتى تحاكم اليه علما من أعلامها في مسألة وهما المبرد وثعلب .

وكبير المهمة في العلم يريد أن يكون النفع بعلمه أشمل ، ومما يدرك به هذا الغرض احترامه لأراء أهل العلم ، ولا نعى باحترامها أخذها بالقبول والتسليم على

(١) صاحب كتاب الكامل المعروف بتاريخ ابن الاثير (٢) صاحب كتاب النهاية في غريب الحديث وجامع الاصول في أحاديث الرسول (٣) صاحب كتاب اللؤلؤ السائر

أى حال ، وانما نريد نقدها بتثبت ، وعرضها على قانون البحث ، ثم الفصل فيها من غير تطاول عليها ولا انحراف عن سبيل الأدب في تنفيذها ، والفطر السليمة والنفوس الزاكية لاتجد من الاقبال على حديث من يستخفه الغرور بما عنده مثل ماتجد من الاقبال على حديث من أحسن الدرس أدبه وهذب الأدب منطقته .

واذا كان الاستاذ كمدرسة يتخرج في مجالس درسه خلق كثير فحقيق عليه أن يكون المثال الذى يشهد فيه الطلاب كيف تناقش آراء العلماء مع صيانة اللسان من هجر القول الذى هو أثر الاعجاب بالنفس ، والاعجاب بالنفس أثر ضعف لم تتناوله التربية بهذيب .

كبير المهمة يستين خطأ في رأى عالم أو عبارة كاتب فيكتفى بعرض ما استبان من خطأ على طلاب العلم ليفقهوه ، ويأبى له أدبه أن ينزل الى سقط الكلام أو يخف الى التبجح بما عنده . وقد حدثنا التاريخ عن رجال كانوا أذكىء ولكنهم ابتلوا بشيء من هذا الخلق المكروه فكان عوجا في سيرهم ولطخا في صحفهم ، ولو تحاموه لكان ذكرهم أعلى ، ومقامهم في النفوس أسمى ، ومنزلتهم عند الله أرقى .

وخلاصة المقال تذكير النبهاء من نشئنا بأن يقبلوا على العلم بهمهم كبيرة : صيانة الوقت من أن ينفق في غير فائدة ، وعزم يبلى الجديدان وهو صارم صقيل ، وحرص لا يشفى غليله الا أن يغترف من موارد العلوم باكواب طافحة ، وغوص في البحث لالتحول بينه وبين نفائس العلوم وعورة المسلك ولاطول مسافة الطريق ، وألسنة مهذبة لاتقع في لغو أو مهاترة .

ذلك عنوان كبر المهمة في العلم ، وذلك مايجعل أوطاننا منبت عبقرية فائقة ومطلع حياة علمية رائعة ، وما نبنت العبقرية في وطن نباتا حسنا ، الا كانت أرضه كرامة وسماؤه عزة وجوانبه حصانة ومنعة .

# التفسير

تفسير قصة شعيب عليه السلام

- ٨ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حدثناك فيما سبق أن رسول الله شعيبا عليه السلام شرع يبين لقومه الأمور التي يجب عليهم أن يروها ليصلوا بعد رؤيتها والتدبر فيها الى العلم الصحيح واذ ذاك تتجلى لهم حقيقة رسولهم الكريم ورسالاته الالهية ويعلمون أنهم قد ارتكبوا بما زعموه انما عظما .

كذلك ينالك أمراً من تلك الأمور التي لفتهم اليها ، وهو البيئة من ربه عز وجل ، وسنشرع الآن في بقيتها بتوفيق الله تعالى فنقول :

الأمر الثاني : هو ما ذكره عليه السلام في قوله ( وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ) . الرزق هو النصيب الذي يناله الانسان من وسائل المعيشة في هذه الحياة وهو نوعان ، رزق قبيح وهو المحرم الذي يناله الانسان من طريق محرّم غير مشروع ورزق حسن وهو الحلال الذي يناله من الطريق الحلال المأذون فيه .

ثم انه عليه السلام أعلمهم بقوله ( وَرَزَقْنِي ) أن الله تعالى قد تفضل عليه بالرزق كما أعلمهم أيضاً بقوله ( مِنْهُ ) أن هذا الرزق انما هو من الله تعالى وحده لم يُجره على يد أحد من الخلق حتى يكون لغير ربه عز وجل فضل عليه أو مِنَّة كما في عطايا الأمراء وهبات الأغنياء وأن هذا الرزق أيضاً رزق حسن حميد .

ثم أن اطلاق حُسْن هذا الرزق يعمّ حسنه في الكمية والمقدار فكان لذلك رزقا

كثيراً واسعاً ، كذلك يعمُّ حُسْنُهُ في الكيفية والصفة حتى صار رزقا لا قبح فيه ولا تَبَعَةٌ ولا شائبة شبهة .

فقد ظهر لك أن قوله عليه السلام لقومه ( وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ) قد تضمن عِدَّةَ نِعَمٍ عظمى هي أنه مرزوق لا محروم وأن الفضلَ والمِنَّةَ عليه في هذا الرزق انما هما لله لا لأحد من العباد وأن هذا الرزق جليل القدر جميل العاقبة لا تَبَعَةٌ فيه ولا عتاب عليه . فهو عليه السلام قد أُسْبِغَتْ عليه هذه النعم الجزيلة مع أنه اذا كال أو وزن أو فَوَّى المكيالَ والميزانَ بالقسط ولم يَكْسِبْ إثمًا من الآثام التي كَسَبُوهَا على أنفسهم شراهةً وطمعاً وأكلاً لأموال الناس بالباطل .

أفلم يكن من الواجب على أهل مدين حينئذ أن يَرَوْا ما عليه رسولهم في شأن رزقه هذا فيعلموا صدقَه فيما دعاهم اليه وأنه انما بلغهم عن ربهم فيؤمنون به ويسلكون طريقته ويتبعون سنته وينتهون عن التطفيف والبخس وسائر ما اجتروه من السيئات في جنب الله تعالى وجنب عباده وحينئذ يرزقهم الله رزقا حسنا ويحييهم حياة طيبة مثل رسولهم ؟

اذا علمت أن رزقه عليه السلام كان رزقا حلالا رغدا محمودا علمت أيضا أن قوله ( وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ) ينظر الى معنى قوله في آية أخرى ( وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ) لأن الله تعالى قد تفضل عليه وكفل له رزقه وأجره الحسن كما تفضل بذلك أيضا على سائر رسله ليتعلم كل أمة ان رسولها لم يدعها الى مادعاها اليه مُسْتَجِدًّا أو محتالا أو متكسبا بدعوى الرسالة .

ولما كان الحديث في شيء مذكرا بنظير ذلك الشيء ساغ لنا أن ننبه المسلمين على أن كل من تزيا بزىِّ الصلاح وتردى برداء التقوى ثم جعل ذلك وسيلة يخدع بها الناس ويغرهم في دينهم وجبالته يتصيد بها أموالهم ويسلب ما في أيديهم كل أولئك طوائفُ جهالٍ قد اتخذوا دين الله هُزُؤًا وانحرفوا باتباعهم عن صراط الله المستقيم واستحلوا أكل أموال الناس بالباطل واحلوا أنفسهم واتباعهم دارَ البوار فضلوا وأضلوا ( وَلَيَحْمِلُنَّ

أَثْقَلَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيْسَالُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ) ( لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ . أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ) .  
 الأمر الثالث : هو قوله عليه السلام ( وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ ) قد عرفت مما تقدم الأشياء التي نهام عنها فلما المخالفة الى الشيء فهي أن يقصد الإنسان الشيء ويتوجه اليه ليفعله هو بعد أن ينهى غيره ويصرفه عنه ليستقل هو بفعله ويستأثر وحده بمنفعته المزعومة . فهو عليه السلام يبين لهم بهذه المقالة أنه ما يريد بنهيه إياهم عما نهام عنه أن ينصرف اليه وينفرد بفعله بعد أن يتركوه ليختص بجزاياه وفوائده التي توهموها ، والدليل على أنه ما يريد ذلك أن الله جل ثناؤه قد رزقه من لدنه رزقا حسنا لا يستطيعون الى إنكاره سبيلا ، فحاشاه بعد ذلك أن يخالفهم الى ما نهام عنه فانك لا تجد عاقلا مآ قد رزقه الله رزقا حسنا حلالا طيبا كفافا ثم يعمد الى الاستزادة من طريق محرم ذميم . فاذا كان ذلك لا يقع من عاقل مآ فما ظنك برسول كريم على بينة من ربه وقد رزقه من لدنه رزقا حسنا وهو رسول الله شعيب عليه السلام .

الأمر الرابع : هو قوله عليه السلام ( إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ) بعد أن نفى عليه السلام عن نفسه تلك الارادة القبيحة وهي مخالفتهم الى ما نهام عنه أثبت الارادة الحسنة وشرحها لهم شرحا اذا عقلوه علموا أنها ارادة صالحة وأن ثمراتها الطيبة انما هي عائدة عليهم وهم المتنفعون بها .

يقول لهم عليه السلام : ما أريد بنهيكم عن السيئات ولا بأمرى لكم بالحسنات الا اصلاح أحوالكم الدنيوية والأخروية وتقويم ما اعوج من شؤونكم في معاملة ربكم ومعاملة عباده ثم أعمهم أن هذا الاصلاح الذي يريده لهم انما هو الاصلاح الكامل الشامل لجميع منافعهم لا الاصلاح في الجملة أيأ كان وهذا هو قوله ( مَا اسْتَطَعْتُ ) أي ما دمت مستطيعا له فلا أضيع وقتا أتمكن فيه من الاصلاح ولا آلؤجهدا في بذل نصيحتي ووعظي اياكم .

لعلك قد فطنت الى أن هذه المقالة الرابعة وهي ( إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا

اَسْتَطَعْتُ) كما شَرَحْتَ ما أَرَادَهُ مِنَ النِّهْيِ كَذَلِكَ شَرَحْتَ ما أَرَادَهُ مِنَ الأَمْرِ فَاِنْ اِصْلاَحٌ يَتَرْتَبُ عَلى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ مَعَ اِلاْرَادَةِ هُنَا شَامِلَةٌ لَهَا أَمَّا فِى الْمَقَالَةِ الثَّالِثَةِ فَهِيَ خَاصَّةٌ بِإِرَادَةِ النِّهْيِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (إِلَى مَا أَنَّهَا كَمْ عَنْهُ)

الأمر الخامس : هو قوله عليه السلام ( وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ) تَوْفِيقُ اللَّهِ جَلِّ ثَنَاؤُهُ لِلْعَبْدِ هُوَ أَنَّهُ يَرْشِدُهُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ ثُمَّ يُمِدُّهُ بِمَعُونَتِهِ وَيَحُوطُهُ بِحِفْظِهِ فِى اثْنَاءِ سِيرِهِ فِى ذَلِكَ الطَّرِيقِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ نَهَائَتَهُ وَنَظِيرُهُ أَنْ تَرشُدَ غَيْرُكَ إِلَى طَرِيقِ السَّلَامَةِ ثُمَّ تَسِيرَ مَعَهُ فِيهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى غَايَتِهِ .

أخبرهم عليه السلام قومه أَنَّهُ ما يَريدُ إلا اِصْلاَحَهُمْ جُهْدَ اسْتَطَاعَتِهِ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بَعْدَ هَذَا أَنَّ تَوْفِيقَهُ لما أَرَادَ وَتَسْديدُهُ لِلصَّوَابِ فِى جَمِيعِ شُؤُونِهِ الَّتِى مِنْهَا اِصْلاَحُهُمْ وَاصَابَتُهُ الْحَقَّ الَّذِى يَرْضَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ اِنَّمَا هُوَ بِاللَّهِ الْقَدِيرِ وَبِحَسَنِ تَأْيِيدِهِ وَمَعُونَتِهِ وَحِياطَتِهِ فَإِذَا ما وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَذَلِكَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَصْلَحَهُمْ وَيُقِيمَهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ السَّوِىِّ فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ الأُمُورَ جَمِيعَهَا فِى جَمَلَتِهَا وَتَفْصِيلِهَا رَاجِعَةٌ إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ لاشْرِيكَ لَهُ فِيهَا وَلَا مَزاحِمَ كما قال عَزَّ سُلْطَانُهُ ( أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ) .

أخبرهم بهذا لِيَعْلَمُوا أَنَّ الْعَبْدَ مُفْتَقِرٌ كُلَّ الْفِتْقَارِ إِلَى رَبِّهِ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إلا بِمَعُونَتِهِ سُبْحَانَهُ وَلِيَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ اِصْلاَحَهُمْ مُسْتَنْدٌ فِى الْوَاقِعِ وَرَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا شَعِيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ الا مُظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَسِيلَةٌ مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِى قَضَتْ بِهَا حُكْمَتُهُ الْبَالِغَةُ .

الأمر السادس : هو قوله عليه السلام ( عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ) قَدْ مَضَى لَنَا الْقَوْلُ فِى مَعْنَى التَّوَكُّلِ فِى الْعَدَدِ الأوَّلِ فَارْجِعْ إِلَيْهِ إِذَا شِئْتَ .

أخبرهم عليه السلام أَنَّهُ يَعْلَمُ اِنْ تَوْفِيقَهُ لما أَرَادَ اِنَّمَا هُوَ فِضٌّ يُفِضُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ هُنَا بِأَنَّهُ عَامِلٌ بِذَلِكَ الْعِلْمِ وَلِهَذَا التَّجَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَاتَّخَذَهُ وَكِيلًا فِيمَا يَأْتِى وَيَذَرُ وَمِنْ ذَلِكَ اِصْلاَحُهُ لَهُمْ بِقَدْرِ اسْتَطَاعَتِهِ قَاصِرًا تَوَكَّلَهُ عَلَى رَبِّهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ مُعْرَضًا عَنِ الاسْتَظْهَارِ وَالْاِتِّصَارِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ لِأَنَّهُمْ ( لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا )



الأمر السابع : هو قوله عليه السلام (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) الانابة الى الله تعالى التي هي وصف المؤمنين الأخيار هي أَنْ يَرْجِعَ العبدُ رجوعاً بالفعل لا باللسان في وقت أَمْنِهِ وسلامَتِهِ مختاراً الى الله سبحانه يقول لهم : انْتِ أَرْجِعُ بالفعل في كل شؤُونِي الى ربِّي جل ذكرهُ مختاراً طائعاً اذا كنتُ في نعمة وخير منه وفاءً بحق فضله علىَّ وشكرًا له على نعمته فَأَذْكُرُهُ وأُعرفُهُ في وقت يُسْرِي وَرَخَائِي . لِيَذْكُرَنِي ويعرِفَنِي وقت عسْرِي وبَلَائِي . وفي هذا نَعْيٌ على أولئك السفهاء الكاذبين الذين اذا كانوا في نعمة ويسر وصحة وأَمْنٍ نَسُوا اللهَ وكانوا من الغافلين ، واذا نزلتْ بهم كارثة من فقر أو عسر أو مرض أو خوف تذكروا ربَّهم وجأروا ضارعين اليه ثم اذا كَشَفَ عنهم ضُرَّهم مرَّوا كأنَّهم لم يَدْعُوا ربَّهم الى ضُرِّ مَسَّهم .

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات في شأن أولئك الغافلين عن ربهم الكافرين بنعمه عليهم فنها قوله تعالى ( وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ لِيَكْفُرُوا . بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ) ومنها ( وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ . وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ) .

واجمالُ ما سبق أنه عليه السلام شرح لهم ما أُراده من نهيهِ وأمرِهِ لهم وهو إصلاحُ شؤُونِهِم وتقويمُ أمورِهِم وأنه ما يريد مخالفتَهُم الى ما نهاهم عنه ايثارا لنفسه عليهم كذلك شرح لهم بقوله ( وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ) الآية التوحيدَ الخالصَ الذي يجب على العباد جميعاً أَنْ يَدِينُوا به لربهم الذي خلقهم ثم رزقهم ثم يُمَيِّسُهُمْ ثم يُحْيِيهِمْ ثم اليه يُرْجَعُونَ . هذا ولا يخفى عليك ما اشتمل عليه كلامه عليه السلام من محاسبة قومه ومجاملته لهم في محاوراته معهم ورفقته بهم في تليين قسوة قلوبهم واستنزاهم عما أَصْرُوا عليه من معاندته وجوْدِهِم على بغيهِم وطفيلانهم مع الاخلاص وبذل الجهد الى غير ذلك مما لا يستطيع الاتيان بمثله الا رسولٌ كريمٌ عَلمَهُ الله من لدنْه علماً وأدبته تأديبَ النبيين والمرسلين . هكذا عاملهم عليه السلام ولسكنه ما آتَسَ منهم الا نفورا منه واعراضا عنه وتكذيبا

له لهذا انتقل بهم سالكا سبيل التخويف والتحذير فقال ( وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرُ مِنْكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ) .

صدر عليه السلام تحذيره بتذكيرهم بما بينه وبينهم من صلة القومية والقرابة التي توجب عليه الاخلاص في نصحتهم وبذل الطاقة في اصلاحهم ثم شرع يُقيم وجوههم ويَلَفِتُ من نفوسهم الى ما جرى على الأمم الخالية عسى أن يزدجروا ويتعظوا بهم فلا يحيقُ بهم مثلُ ما حاق بتلك الأمم من العذاب الذي استأصلهم حتى جعلهم أثرا بعد عينٍ وصاروا حصيدا كأنَّ لَمْ يَغْنَوْا بِالْأَمْسِ .

يقول عليه السلام : يا قوم لا يكن شقاقكم لي ومعاداتكم اياي سببا في أن يجرَّ عليكم جريمة الكفر ويوقِعْكُمْ في جريرة التكذيب بدينه وبرسوله فيصيبكم من العذاب والتنكيل بكم مثلُ ما أصاب قوم نوح عليه السلام من الغرق وفيهم يقول الله تعالى ( فَكَذَّبُوهُ <sup>(١)</sup> فَأَجْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا . إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ <sup>(٢)</sup> ) .

أو مثل ما أصاب قوم هود عليه السلام من الريح الصَّارِصِر <sup>(٣)</sup> العاتية <sup>(٤)</sup> كما قال سبحانه ( وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا <sup>(٥)</sup> فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى <sup>(٦)</sup> كَأَنَّهُمْ أُتْجَازُ <sup>(٧)</sup> نَحْلٍ خَاوِيَةٍ <sup>(٨)</sup> فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ) .

أو مثل ما أصاب قوم صالح عليه السلام من الصيحة والرجفة <sup>(٩)</sup> كما حكاه تعالى في شأنهم ( وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِينَ <sup>(١٠)</sup> كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا <sup>(١١)</sup> فِيهَا إِلَّا إِنَّ تُمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا لَبْعَدًا <sup>(١٢)</sup> لِّثَمُودَ ) ( فَتِلْكَ يُؤْتِيهِمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ) .

(١) أي سيدنا نوح عليه السلام (٢) عماية الحق (٣) شديد الصوت (٤) القوية الشديدة عليهم مع قوتهم وشدهم (٥) متتابعات متواليات (٦) مطروحين هالكين (٧) أسول (٨) ساقطة فارغة (٩) ارتجاج أرضهم وزلزلتها (١٠) هامين خامدين موتى لاهلاكهم (١١) كأنهم لم يكونوا مقيمين فيها (١٢) هلاك وفناء

ثم انه بعد أن حذرهم ما أصاب تلك الأمم الثلاث ختم تحذيره بما أصاب قوم لوط عليه السلام فقال (وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) أى إن لم تعتبروا يا قوم بتلك الأمم الثلاث ولم تتعظوا بما صبه الله عز شأنه عليهم من أنواع العقاب والتدمير وزعمتم أن أعمالهم وزمانهم ومكانهم بعيدة منكم لا تكفيكم فى الاعتبار والاعتاظ بهم فاعتبروا بهذه الأمة قوم لوط عليه السلام فانهم شعب<sup>(١)</sup> من الشعوب المهلكة وفريق قريب منكم ليس ببعيد :

قَرَّبَ مِنْكُمْ زَمَانَهُمْ فَلَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَدَّعُوا نِسْيَانًا مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ مَصَائِبَ كَفَرْتُمْ كَمَا قَرَّبْتُ أَيْضًا مِنْكُمْ دِيَارَهُمْ فَسِيرُوا فِيهَا لَتَرَى أَبْصَارُكُمْ ( إِذَا عَمِيَتْ بِصَائِرِكُمْ ) جزاء المكذبين وكذلك قَرَّبْتُ أَعْمَالَهُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَانْظُرُوا أَيَّامَهُمْ مَعَاقِدَ فِتْنَةٍ<sup>(٢)</sup> أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ<sup>(٣)</sup> وَارْتَبْتُمْ<sup>(٤)</sup> وَغَرَّتْكُمْ الْأُمَانُ<sup>(٥)</sup> وَجَادَلْتُمْ بِالْبَاطِلِ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ وَحَارَبْتُمْ اللَّهَ رَبَّكُمْ بَارْتَكِبُوا الْمَعَاصِيَ وَكَذَّبْتُمُ الرُّسُلَ الصَّادِقِينَ الْمُخْلِصِينَ فَكَمَا أَنْكُمْ جَمِيعًا سَوَاسِيَةٌ فِي هَذِهِ الْجَرَائِمِ وَالْمُخَازِي كَذَلِكَ تَكُونُونَ سَوَاسِيَةً فِي الْجَزَاءِ عَلَى شُرُورِ أَعْمَالِكُمْ بِالْأَهْلَاكِ وَالْإِسْحَاطِ مِنَ الْأَرْضِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَأَشَدُّ وَأَبْقَى .

وجملة المعنى أن أعمالهم جميعاً قد اتحد جنسها وهو الكفر وارتكاب المآثم وأن تخالفت<sup>(٦)</sup> فى بعض الأنواع .

### حسن منظور

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

(١) إشارة الى وجه افراد لفظ (بعيد) دون أن يقول (بعيدين) (٢) حرقتموها عن الإيمان (٣) ترفيتهم الشر

للمؤمنين (٤) شككم فى دين الله وفيمن جاء به (٥) ما تمنيتموه من هزيمة الحق وانتصار الباطل

(٦) ولهذا التخالف فى الأنواع عبر بما يفيد القرب للاتحاد بالنسبة الى الاعمال .

# اصول الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاسلام دين الفطرة

- ٨ -

( عود لبعض ما تقدم )

لقد عرضنا لموضوع جم المنافع موفور الثمار غزير الفائدة لانكاد ننهي من طرف من أطرافه حتى يبدو لنا طرف آخر ولا يلحقنا توهم أننا ربما اسأنا بما كتبنا حتى نرى من جمهور القارئ والله الحمد من طلب المزيد ما يبعث فينا روح النشاط للزيادة من فوائده والاحاطة بما نستطيع من شوارده وما ظنك ببحر مدده الفيض الالهى وهدى أصله النور الربانى وهل نعترف الا من فيض الكتاب الحكيم الذى ما فرط الله فيه من شئ . ( وَلَوْ أَنَّ مَآفِيَ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ )

وموضوعنا اليوم تتميم لبعض ماسبق واستيفاء على قدر الطاقة لما فات ولنجعل ذلك في باين «الاول» استدراك لبعض أحكام في المعاملات خوطبنا بشأن استيفائها وعلمنا بتطلع رغبات كثيرة لاستجلاء غوامضها و«الثانى» لتكميل موضوعات في الاخلاق عنيت الشريعة الغراء أيما عناية بالتنويه بقدرها وشدت في الحث عليها وأوصت بالاستمساك بها .

فاما «الأول» فنعرض فيه لشيء من جنس ما عرضنا له في باب المعاملات وهو تلك الانواع التى درج الناس على استحسانها وتوهموا فيها مصلحة تحتمها أو على الاقل تبررها وهل يعتبر الشارع تلك المصلحة فيبنى عليها الحكم الذى بناه الناس أو يهملها ولا يعتد بها فيكون ذلك الحكم هدرًا أو ملغى لا يعتد به .

من ذلك أوراق الحظ و (الانصيب) (الوترية) وحاصل أمرها تعريض سلعة قيمة أو مقدار من المال يكون حصة واحدة أو حصصا متساوية أو متفاوتة . تعريض ذلك لصاحب الحظ الذى يصادفه ممن يتناع ورقة من أوراق كثيرة جدا يكون آخذوها قد خسروا مادفعوه فيها مهما قل ولم يصادفهم الحظ فiaخذوا تلك الورقة السعيدة : يعرض بيت يساوى الف جنيه مثلا لياخذه صاحب الحظ الذى تتاح له تلك الورقة بجنيه وفي سبيلها يطبع عشرة آلاف ورقة يحدد لكل ورقة جنيه فيخسر تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعون شخصا كل منهم يخسر جنيها ويستفيد صاحب البيت مضاعفة ثمن بيته عشرة أضعاف ويستفيد صاحب الورقة السعيدة بجنيه ما قيمته الف جنيه وهو ما يبعث الطمع في قلوب الباقين ، وهل في القمار غير هذا ؟ وهل خرب بيوت المقامرين غير ذلك الطمع الاشعبى ؟ يدخل المقامر وهو ممتلىء الجيب مالا والنفس آمالا وربما كان ماله من الضرورى لحياته وحياة ذويه أو من أمانات في عهدهته يقضى التصرف في دائق منها على مستقبله وشرفه وحرية و مركزه فتجىء تلك الآمال الواهية الواهنة فتلعب برأسه على ضعفها لعب القوى الجبار - استغفر الله فليس شأن القوى اللعب بل أقوى اللعب لعب الضعفاء كلعب النساء والاطفال — فما هى الا عشية لم يلحقها ضحاها حتى يجد جيبه فرغ من المال ورأسه فرغ من العقل ونفسه فرغت من الامل . ولكن ما أسرع ما يغذيه الحرص على استعادة ما فقد فيتمناه تمنا شديدا لا يزال يقوى في نفسه حتى يخيل اليه أنه على جبل ذراعه بل في تناول يده وليس بينه وبينه الآن يقف على المائدة الخضراء مائدة الجوع والعري فيمد يده لياخذ ما أخذه زميله منه بل أكثر بل أضعافه ولم لا وزميله لا يمتاز عنه بشيء من انتباه أو تيقظ فيقع ما وقع في المرة الاولى وهكذا دواليك حتى يحيط به اليأس ولا يجد المخلص للنفس الا بازهاق النفس .

ماننا ولهذا ان هذا الكلام في المقامرة والموضوع كان في أوراق النصيب ؟ على رسلك أيها القارئ ، وهل أوراق النصيب غير المقامرة ؟ انها هى ، غاية الامر أنها مقامرة سنوات مكشوفة والميسر مقامرة ساعات مخبوءة فالفرق بينهما كالفرق بين

سم ساعة وسم سنة ، ان مشترى ورقة النصيب يشتريها لانه سيكسب أضعاف قيمتها وان فشل في واحدة أو عشرة أو مائة فان واحدة ستعود عليه بالف لاحالة هكذا يظن أو هكذا يتخيل ثم يجعل ماتخيله حقيقة واقعة ولا يزال هذا ديدنه يذهب ماله دراهم معدودات متتالية وتذهب نفسه حشرات متواليات حتى يأتيه أمر الله بالدمار أو بالممات والواقف أمام مائدة الميسر يسكب ماله دفعا غزيرة طامعا في أرباح وفيرة واذا به لاغزير الا دموعه ولا وفير الا همومه ، فهما من واد واحد وان اختلفت الاسماء والمظاهر . ويعجبني تصوير مائدة الميسر بمائدة في وسطها خرق يتدحرج عليها المال يمنة ويسرة وكلما تحرك سقط منه جزء في الحرق وهو ما يأخذه مدير نادى الميسر والحركة لا تنقطع وسقوط المال فيها لا ينقطع الا باستيعاب الاجزاء الساقطة للمال الموضوع فلا فرق في الحسارة بين الغالب والمغلوب فكل غالب سيعود اليها بكل ما كسب فيعرض لذلك السقوط حتى يكون الكل قد ذهب .

ولعلك تقول اذا كان الامر على ما وصفت فلماذا أبحاث القوانين الوضعية أمر اليانصيب في حين أنها حظرت الميسر ؟ . وأقول لك ليس من غرضي في هذا المقام التكلم عن القوانين الوضعية وانما انظر الى الاحكام الشرعية ومع ذلك فان القوانين لم تبجحها باطلاق وانما رخصت لبعض الجهات التي تراها خيرية أو لمشروعات نافعة تقوم ببعض مصالح عامة وتحتاج الى المساعدة ، رخصت لها أن ترتكب هذا الامر المحظور باصله لتصل الى مساعدات من الجمهور الذي قصر عن ادراك قيم المصالح العامة ووجوب النهوض بها ومساعدتها فهي تكاد تشبه الانتقام من تلك النفوس الجامدة على الاموال بابتزازها منها بتصوير أنه اعطاء لها وكل من عرف ما يدور بخلد المقبلين على مشترى تلك الاوراق لا يخالجه شك في أنهم انما يشترونها طمعا في مصادفة السعادة من غير طريقها المأمون ونحن لانرى في هذه النية مهما كانت حسنة مايسوغ التغرير بالعدد العديد من البسطاء المعوزين فياليت لا ولا ، وان الترغيب في صنع الجليل وفعل الخير وتصويره بصورته الحقيقية وبيان مايعود من نفعه على المجتمع الذي نحن منه وانه سينالنا من فوائده بطريق غير مباشر أضعاف ماينذله في سبيله

ليغنى عن سلوك هذه الطرق المعوجة ويجعل فعل الخير قرين نية الخير فلا يعقبه  
الاسف ولا الحسرة على ما فات ولا يسوقه الطمع الكاذب ولا ينحصر في البله  
البسطاء ولا ينتفع فرداً أو أفراد بلا حق على كاهل أفراد لا يحصون يصيبهم الضرر والحسرة  
بلا ذنب جنوه سوى قصر عقولهم، اين النفع الحاصل من هذه الطرق المتتوية المعوجة من النفع  
الحاصل بغرس تلك البذرة المباركة المستفاد من الحديث الشريف «المؤمن للمؤمن كالبنيان  
يشد بعضه بعضاً» أو «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد  
إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى» تالله ما حطر الدين على  
الناس باباً من أبواب النفع الا وعوضهم ماهو خير منه مما لم يحتو على شروره  
واضراره ولكن الناس ينظرون الى كل حكم على حياله وينفلون النظر الى الدين  
في جهلته ولقد صدق جل وعلا في خطابه لنبيه الكريم بقوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً  
لِّلْعَالَمِينَ)

ولقد يشبه هذا من بعض الوجوه أنواع من اللهو والخلاعات ترتكب علناً  
وتسوغها القوانين الوضعية وتستر قبحها بتسميتها بغير أسمائها كبعض أنواع  
(الفنون الجميلة) نحن لانعادي الجمال ولا ننفر منه والدين لا ينفر من الجمال حسيماً  
كان أو معنوياً ولكن لانظلم الجمال فنضعه برقعاً لاشنع المساوىء والقبايح ونفري به  
نفوساً ملكها الاستهتار حتى لاتستطيع منه الفرار فحسبها ماركب في أصل خلقتها  
من تسلط حب الملاذ الدينية عليها (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) بل يجب تهذيبها بما  
يعدل هذه الصفات الحيوانية فيها لا أن تلهب نارها ويذكي سعيها ، ليس من  
الجمال في شيء ما يكون فيه انتهاك الحرمات وإبتذال المروآت وهتك أعراض الفتيات  
المصونات ، ستقول لى «المصونات» واقول لك واى الفتيات لا يرضيك أن يكن  
مصونات ؟ تذكر ماسبق من أن المؤمنين كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له  
سائر الاعضاء بالسهر والحمى وان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وتذكر  
قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وقل لى بربك واصدقنى في جوابك أيرضيك أن

أن أختك تقف أمام جمهور النظارة ذلك الموقف الخزى المحجل الذى تشاهده في مظاهر الفنون الجميلة ؟ ستمتع منى في هذا السؤال اذ ذكرت كلمة الاخت مضافة اليك مما يثير غضبك وانا التحمل منك هذا الغضب الذى انتظره واشكر لك هذه العاطفة عاطفة الغيرة الشريفة واحتج بها عليك بمقتضى قوله جل شأنه ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ) فهى أختك غضبت أو رضيت ولكنك تغفل عن الرابطة التى تربطك بها حتى لو لم تشاركها في الدين لكان لها بك رابطة الانسانية التى تستوجب شفقتك عليها وانك لا ترضى لها الا ماترضاه لنفسك والا فانك اذا زينت لها مالا ترضاه لنفسك كنت مغررا غاشا خداعا ولا تغالط نفسك ، وقل لها قولا صريحا انى أخدعك واعبث بعقلك وازين لك مالا أرضاه لامى ولا لاختى ولا لبنتى ، بل انك اذا ذكرت تلك الكلمات أو مرت بسمعك شعرت بتقزز وتحركت نخوتك فاذا كررت على سماعك هاج غضبك وثارث ثأرتك ، انك أيها الداعية لترويج الفنون الجميلة على ذلك النحو الممقوت المرغب لذوات العقول القاصرة في خوض حماتها والارتكاس في قذارتها بين أمرين اما أن تقول لمن لستن منى ولست منسكن فلا أغار عليكى ولا تتحركى نخوتى لكن ولستن اخواتى ولست باخ لكن وانما انتن فرائس اقضى منها لباناتى على أى وجه كان ، وحينئذ تكون صادق الحديث غير مسموع النصيحة فليست منك نصيحة وانما هى دعوة للشر والضر واما أن تقول لابل نحن أمة واحدة مرتبطة بأمتن الروابط وانى أغار على الفرد من أمتى كما أغار على الفرد من أسرتى فما الامة الا أسرة كبيرة وبقدر شعورها بمتانة رابطتها تكون قوتها ومتانة تركيبها وعلى ذلك أرضى لكن ما أرضاه لنفسى ، فاسمح لى أن أقول لك انك ماصدقتنا الحديث ، والا فأى عظيم أو حقير ممن يدعو الى ترويج تلك المخازى القبيحة باسم الفنون الجميلة رضى أو يرضى أن يكون من أسرته بل ممن يتصل به ولو اتصالا واهيا من تقف ذلك الموقف الخزى المحجل ، ألا فلنعلم كلنا ولنعرّف أن كل واحد من أولئك الدعاة اذا عرضت عليه خادم يستخدمها في منزله ويخلطها بأسرته



ثم نعى له عنها أنها شخصت في ساحة الملهى نفر من استخدامهما مهما كانت مهارتها في الخدمة وامانتها في المال وكفائتها في العمل اللهم الا ان كان له غرض آخر يخضع له ويرضى بهذا توصلا لذلك ، وان الحجة له في الرفض كلمة حقيرة تجرى على لسانه ولو لم يفكر طويلا فيقول لك مالنا ولهذه نخطها بنسائنا وبناتنا فتعدى أخلاقهن بالعدوى الذميمة هذا هو الجواب لا أكثر ولا أقل والمشاهدات شاهد صدق . فلا تقولوا لنا اننا نخدم الامة بترقية وجدانها وتهذيب عواطفها وترقيق احساسها ومداركها وهلم جرا من تلك الكلمات المعسولة فما هى الا غطاء رقيق من الشهد على مادة من السم الزعاف الا فاعلموا أن مثلنا في تلك الدعاية التى تذيب الاخلاق والكرامة رويدا رويدا كمثل من يشوى لحوم أبنائه وبناته على نار لينسة ليتلذذ بالتهامها ويشفى مابه من شره وقرم ممقوت .

لقد أشرت في طى حديثى الى التمثيل بفن التمثيل وذكرت كلمة الشخوص في ساحة الملهى ولم أسمح لقلمى أن يفصل ماتحتويه هذه الكلمة مما يعرفه من شاهده أو سمع به ، ولكن ما القول في أمر بلغ من الشناعة والقبح مايعد هذا بجانبه مقبولا مبرورا ؟ هل سمعت أن في بلدك هذا مدارس تسمى باسم مدارس الفنون الجميلة يتخذ فيها للدراسة نماذج من فتيات عاريات تمام العرى لاشيء مطلقا يستر شيئا من جسدهن مطلقا، شبابات سويات، جميلات بمقدار مايرضى الفنون الجميلة يقفن أو يجلسن عاريات مكشوفات على أوضاع مختلفة بمقدار مايرضى الفنون الجميلة تمتلئ بهن أنظار شبان في مقتبل الشباب في دور التربية والتهذيب يصورون أعضاءهن من ظهر لبطن وما خفى فهو أفحش بل ماخفى شيء ، اللهم ان هذا منكر لايرضيك . وانى أمسك القلم واطبق الفم ولاأريد أن أزيد فاللهم اليك المشتكى فوعزتك وجلالك انى لاتمنى أن يكون ما أبلغته من هذا مبالغة تجاوزت الحقيقة والله عليم بما في الصدور. أعلم ان الجمال حقا هو ماتستريح اليه النفوس الكريمة ولاتنفر منه الطباع السليمة وان الاثم ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه غيرك .

دعنا من هذا وخض بنا في حديث غيره وابتعد بنا عنه قليلا لعل أعصابنا تهدأ وروح عن نفسنا بذكر شيء نستريح له فكفى كفى هذا الآن فما كنا نحسب أن كلمة الجمل تستعمل هذا الاستعمال وقد قيل ان الله جميل يحب الجمال .

لقد قلنا في صدر هذه الكلمة ان موضوعنا اليوم تتميم لبعض ماسبق واستيفاء على قدر الطاقة لما فات وانا نجعل ذلك في بايين الاول استدرارك لبعض أحكام في المعاملات والثاني لتكميل موضوعات في الاخلاق واذ اجتزأنا الآن بما سبق في باب المعاملات فلنروح النفوس باجتلاء محاسن من الاخلاق الجميلة التي عنيت الشريعة الغراء بالتنويه بها وشددت في الحث عليها .

وليكن كلامنا في ثلاثة أخلاق منها ، الصبر، والصدق، والامانة، واما عنينا بهذه الثلاثة لما لها من عظيم الاثر وكبير الخطر في تربية الفرد والامة وفي شؤون الدنيا والدين ولقد نظمنا هذه الثلاثة في عقد واحد لما بينها من متانة الاتصال وشدة الارتباط فالصدق في القول فرع من الامانة المطلقة ولا يستقيم كلاهما الا لنفس اعتصمت بالصبر على ما تكره من الآلام والصبر عما يفوته عليها الصدق من اللذائذ التي تجسمها الاوهام فالصبر لاخويه هذين كالاساس الذي يبنى عليه وكالشرط الذي لا بد منه .

الصبر : لقد ذكر الصبر في القرآن الكريم بكثرة قلما اتفقت لغيره من الفضائل لما علمت من أنه أصل جلها ان لم يكن لكلها وذكر مقترنا بأشرف الاعمال والحلال كالصلاة في قوله جل شأنه ( وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ) وكالحق في قوله عز وجل ( وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ) وبيان أنه موهبة من الله في قوله تعالى ( وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ) وتأيد الله لصاحبه بالمعونة في قوله عز من قائل ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) وكذلك شأنه في السنة جعل قرين النصر في حديث « واعلم أن النصر مع الصبر » الى غير ذلك مما يفوت الحصر فما هو الصبر وما أقسامه وما منمياته في النفس

التي رزقت حظاً منه وما الذي يغرسه في نفس حرمت حفظها منه ثم ماهي آثاره في الدين والدنيا ؟ هذا هو ما نريد أن نتحدث اليك عنه في الجزء التالى ان شاء الله

ابراهيم الجبالى

مدرس بقسم التخصص بالأزهر

\*\*\*

## تأثير المضغ فى الانتفاع بالاعذية

أجريت ثلاث تجارب مختلفة فى معهد الأبحاث الطبية المحقق بجامعة «هلسنجنفورس» للتحقق من تأثير المضغ على الانتفاع بالأغذية ، فأخذ لذلك غذاء مركب من البطاطس والقمح والشعير واللحم والفاصوليا والدهن ، وجُربَ فى مضغه ثلاث طرق للثبوت من مقدار ما يمتصه الجسم ويستفيد منه إذا مضغ قليلاً ثم إذا مضغ عادياً ثم إذا مضغ كثيراً ، فوجد أن المضغ العادى لا يختلف فى التأثير للانتفاع بالغذاء اختلافاً كثيراً عن المضغ القليل أو الكثير ، ويرجع ذلك إلى أن الغذاء يجهز عادة على حالة يمكن معها للعصير الهضمى أن يؤثر فيه التأثير الكافى ، هذا فضلاً عن أن أجهزة الهضم الأخرى فى جسم الانسان يتم أحدها عمل الآخر ، فإذا لم يكمل الانسان مضغ الغذاء على الوجه اللازم فتسوى أجهزة الهضم الأخرى هذا النقص ، على أن ذلك لا ينبغى أن يحرض على التساهل فى عملية المضغ لأن هذه التجارب أجريت على أصحاء البنية ، وهناك حالات أخرى قد تسبب أمراضاً كثيرة إذا كان الهضم بواسطة الامعاء محتلاً مثلاً .

( مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية )

# الفتاوى والأحكام

## دفع شبهة في حديث

ورد إدارة المجلة من حضرة الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي بعد الديباجة :

س : — جاء في كتاب السيرة النبوية لمؤلفه السيد احمد زين المشهور « بدخلان » في باب معجزاته ( صلى الله عليه وسلم ) ان من معجزاته صلى الله عليه وسلم اجابة دعائه لمن دعا لهم أو عليهم إلى أن قال في صفحة ٢٣٠ وقد دعا على صبي قطع عليه صلاته أى مر بينه وبين سترته أن يقطع الله أثره فأقعد ، قال ابن مهران : رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن مهران فسألته « أى عن سبب اقعاده » فقال مررت بين يدي رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وهو يصلى فقال : اللهم اقطع أثره : فامشيت بعد ، انتهى . فكيف يتفق هذا ياسيدى مع قوله « صلى الله عليه وسلم » رفع القلم عن ثلاث وعدّ منهم الصبي حتى يبلغ وكيف يليق هذا بمكارم أخلاقه عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

بنى مزار محمود أحمد عبد الحميد

ج : — الحديث ضعيف على ما صرح به الشهاب الخفاجى فى شرح الشفاء بل مال الحافظ الذهبي الى أنه موضوع وإذا ينهار الاشكال من أساسه على أن العلماء أجابوا عنه على فرض صحته بأجوبة عديدة فقال البرهان الحلبي ، ان الأحكام كانت متعلقة بالصبيان فى أول الأمر كما هى متعلقة بالبالغين فكان شرطها العقل والتمييز لا البلوغ ثم نسخ ذلك بعد أحد على ما قاله السبكي وبعد الهجرة على ما قاله غيره على أننا نرى أن الصبيان يؤدبون فى بعض المسائل وقد جاء فى الحديث ( واضربوهم عليها « أى الصلاة » لعشر ) وأجاب بعضهم أن ذلك من باب خطاب الوضع الذى لا يشترط فيه البلوغ كاتلاف الأموال الذى يوجب القيمة فى مال الصبي فلعل هناك من التأديبات ما يشبهه ، وبعض آخر بان النبي صلى الله عليه وسلم أطلع الله على ما فى نفس الصبي من خبث وما فى استعداد

من شر يؤذى به الناس فكان خيرا له وللناس أن يكون مقعدا كما أطلع الله الخضر على ما سيكون من الغلام الذى قتله لو بقى واذكر أن السيوطى حقق أن الأنبياء قد يحكمون بالباطن الذى أطلعهم الله عليه ولا بدع فى ذلك بعد معرفة القضاء السابق والاذن من الله تعالى وكثيرا ما يخالف الباطن الظاهر وان كنا مقيدين بالظواهر لأنه لا يمكننا تخطيها ولا معرفة ما وراءها فلا يجوز لنا فتح هذا الباب لثلا نضل فيه ضلالا بعيدا ونقول من وجه آخر ان عدم المؤاخذه الذى ورد فى حديث رفع القلم عن الصبي انما هو فى الآخرة لا فى الدنيا والعالم ههنا عالم أسباب ومسببات بحيث تجرى أحكامه على كل من برز الى هذا الوجود لا فرق بين صغير وكبير ولهذا نرى الآلام والبلايا تعترى الصبيان كما تعترى البالغين ، ويجوز أن يكون قد دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فى حال تأثره الشديد بقطع مناجاته تأديبا له على فعلته الشنعاء حتى إذ عرف ذلك كان زاجرا له أن يعود إلى مثلها وما كان من قصده صلى الله عليه وسلم قطع أثره حقيقة وإنما هو جار على ماهو العادة من جعل الجزاء من جنس العمل والدعاء بذلك عند مقتضيه فوافق وقت إجابة سبق بها القضاء الالهى ، ويصح أن لا يكون عالما تمام العلم أنه صبي أو لم يتنبه لذلك صلى الله عليه وسلم كما يجوز أن يكون ذلك المقعد قد أراد أن يعتذر لنفسه عند السامع فيما فعل من قطع الصلاة فذكر أنه كان صبيا ولعله كان بالغا أو يشبه البالغين ويصح أن يجاب عن الاشكال بأنه اريد بالصبي فى الحديث ما يزد بالغلام والغلام كما فى القاموس يطلق على الكبير وفى حديث المعراج أن موسى عليه السلام قال فى حق النبي صلى الله عليه وسلم هذا غلام بعث بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى وقد رأينا أن نقف السائل على ما قيل أو ما يمكن أن يقال وله رأى فيما يرجح أو يضعف وفيما يقبل أو يرد فليس من غرضنا مناقشة الأجوبة ولا الموازنة بينها ولاداعى للاسترسال فى ذلك بعد ما عرفت أن الحديث ضعيف أو موضوع .

## حكم القراءة للأموات

وجاءنا من حضرة الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي :

س :- هل ينتفع الميت بقراءة الفاتحة وما حكم الصدقة والدعاء له  
المنصورة  
ابراهيم أحمد على

ج :- الصدقة يصل ثوابها إلى الميت قطعاً وكذلك الدعاء ولا نعلم في ذلك خلافاً لأن الأحاديث الصحيحة مصرحة بهما في مثل قوله صلى الله عليه وسلم (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) وقد ضم العلماء إلى هذه الثلاثة أشياء أخرى . وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رجلاً قال يا رسول الله أن أمي توفيت أينفعها أن أتصدق عنها ، قال نعم . قال إن لي مخرافاً فانا أشهدك أن قد تصدقت به عنها » أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي (المخراف الحقيقة) وعن سعد بن عباد رضي الله عنه «قلت يا رسول الله إن أمي ماتت فأى الصدقة أفضل ؟ قال الماء : فخر بئراً وقال هذه لام سعد » أخرجه أبو داود والنسائي . ولا يعيننا هنا إلا القراءة فنقول إن ثواب القراءة يصل إلى الميت على الصحيح الذي هو مذهب الجمهور وقال بعض العلماء أنها لا تصل تمسكاً بقوله تعالى «وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» وليس في ذلك متمسك لمن تمسك به فقد أجاب عنه العلماء بأن هذا في حق الكافر لا المؤمن وبأنه بيان للعدل فيجوز أن يعطيه الله جزء ما سعى وما لم يسع من باب الفضل والفضل لا حجر عليه ويدل على ذلك القرآن نفسه فقد قال تعالى «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» وقالت الملائكة في دعائهم للمؤمنين «رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ» وقد صرحت السنة بوصول ثواب أعمال الغير للأموات فقد أخرج مسلم عن بريدة (أن امرأة قالت يا رسول الله انه كان على أمي صوم أفيجزى أن أصوم عنها قال نعم قالت فان أمي لم تحج قط أفيجزى أن أحج عنها قال نعم ) الى غير

ذلك من الأحاديث الصحيحة وفي بعضها. «أرأيت لو كان على أمك دين أ كنت تقضينه» قالت نعم قال «فدين الله أحق بالقضا» ففتح لنا صلى الله عليه وسلم باب القياس في المسألة بين عبادة وعبادة وقد أفاض في ذلك العلامة ابن القيم في كتاب الروح ، على أنه ورد في ذلك أحاديث تصرح بوصول القراءة الى الأموات وقد عمل بها المسلمون خلفا عن سلف فكان اجماعا عمليا من الأمة التي لا تجتمع على ضلالة ، فمن ذلك ما أخرجه أبو دواد من قوله صلى الله عليه وسلم «اقرأوا على موتاكم يس» على ما يتبادر منه ومن ذلك قوله عليه السلام «من دخل القبور فقرا» «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» احدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات «أخرجه الدار قطنى» وخرج الطبرانى والبيهقى في الشعب عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا مات احدكم فلا تجسوه وأسرعوا به الى قبره وليقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب» ولفظ البيهقى «فاتحة البقرة» «وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة» الى غير ذلك من الأحاديث التي يعمل بها في مثل هذا الموضوع ، ولتعلم ان العلماء قد نصوا على أن الحديث الضعيف إذا تلقته الأمة بالقبول وجرى العمل عليه كان له حكم الصحيح على ان في أصل المسألة أحاديث صحيحة كما أسلفنا وقد استدلل بعض العلماء على انتفاع الميت بالقراءة عند القبر بحديث العسيب الذى شقه النبي صلى الله عليه وسلم اثنتين ثم وضعه على القبرين وقال «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» فاذا خفف عنهما بتسبيح الجريد فكيف بقراءة المؤمن القرآن .

والخلاصة أن جمهور العلماء يقولون بالوصول وأما بعض العلماء فقد عرفت استدلالهم وما قيل فيه وقد تركنا أجوبة كثيرة عن الآية التي استدلوأ بها ويكفى ما ذكرناه في الموضوع فلنقتصر عليه كي تتفرغ لغيره من الموضوعات فان بقيت شبهة لدى السائل عدنا اليه مرة أخرى

## حكم التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

وورد على الادارة من حضرة الفاضل صاحب الامضاء ما يأتى بعد الديباجة :

س : - نرجو من فضيلتكم التكرم بازاحة الستار عن موضوع اهتزت له الآراء وتطاحنت من أجله الجماعات رغبة في تمكين عرى العقيدة التى اقلقت بال الكثير وهذا الموضوع هو التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى فقد تكلم في هذا الموضوع الكثير وذهبوا فيه مذاهب شتى حتى أن بعضهم يقول انه اشراك . . . الخ

المنتزه  
محمود على احمد

ج : - ان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائز ونافع وكان ينبغي ألا يكون فيه شبهة وقد ورد ذلك في الاحاديث الصحيحة كما ستقف عليه عند ما نفيض القول فيه بعد ولكن « نغيث » أولئك الملهوفين « الذين توسلوا إلينا » بكلمة موجزة تأتى على الموضوع اجمالاً ونرجى القول في التفصيل وبيان الأدلة إلى عدد آخر فنقول : ان تلك الطائفة ارتكبت شططا وكفرت المسامين لأوهى الأسباب غلطا ، والتكفير أمر كبير لا يصح لمسلم يشفق على دينه أن يقدم عليه خصوصا للمستدلين أو المتأولين وانى لا أدرى كيف يكفرون من يقول : ان الله خالق كل شىء ، وييده ملكوت كل شىء ، واليه يرجع الأمر كله ، والمتوسل ناطق بهذا في توسله فان المتوسل الى الله بأحد أصفائه قائل إنه لا فاعل إلا الله ولم ينسب الى من توسل به فعلا ولا خلقا ، وإنما أثبت له القرابة والمنزلة عند الله تعالى ، وهى ثابتة لا شك فيها وبها يشفع صلى الله عليه وسلم للخلائق يوم القيامة ، وبهذا الاعتقاد الراسخ الذى يكاد يكون فطريا فى النفوس كلها ذهبت الخلائق يوم القيامة إلى الأنبياء والمرسلين ليشفعوا لهم عند الله تعالى ، على أن المؤمن قد خرج من تلك الوسواس بمقتضى إيمانه بأن الله ليس له شريك وأن لا اله الا هو حتى أننا لو رأيناه أسند شيئا لغير الله عز وجل علمنا بمقتضى إيمانه أنه من الاسناد المجازى لا الحقيقى وقد قررنا ذلك فى نحو قوله « أنبت الربيع البقل » وفرقنا بين صدوره من المؤمن وصدوره



من الكافر فالمستغني لا يعتقد أن المستغاث به من الخلق مستقل في أمر من الأمور غير مستمد من الله تعالى أو راجع إليه ، وذلك شيء مفروغ منه ، ولا فرق في ذلك بين الأحياء والأموات ، فإن الله خالق كل شيء ولا تأثير عندنا لشيء في شيء بنفسه ، فهذا هو ما عليه جماعة أهل الحق ، وقد قال تعالى « فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ » وقال تعالى « وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ » وقال تعالى « فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ » الخ ما في الكتاب والسنة ، وهو كثير في لسان الشرع ومعروف في بديهة الفطر ، واعجب العجب أنهم لا يتحاشون الاسناد الى الجمادات ولا يمتعضون منه فيقولون أرواني الماء وأشبعني الخبز ونفعني الدواء فاذا سمعوا مثل ذلك الاسناد الى النبي صلى الله عليه وسلم قامت قيامتهم وتبجح سفهاؤهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا واننا نسألهم « وهم أ كثر الناس تراميا على الناس » هل تعتقدون ان من تسألونه في قضاء حاجاتكم خالق مع الله مستقل فاذا اعتقدتم ذلك كنتم أولى بالاشراك ، وان قلتم اننا نذهب اليه ونسند له الفعل والاعطاء والمنع على سبيل المجاز والتسبب فان الله جعله من الأسباب التي يجري عندها الخير ويخلقها قلنا لكم اننا كذلك فلا فرق بيننا وبينكم وان فرقتم بين الأحياء والأموات قلنا لا فرق فان الفاعل في كل ذلك هو الله تعالى لا الحى ولا الميت ، واذا كان المتوسل في الحقيقة انما توسل بمنزلة المتوسل به عند الله تعالى والفاعل هو الله عز وجل لم يكن هناك معنى للفرقة بين الحى والميت فان منزلته ميتا كمنزلته حيا ، على أن تلك التفرقة لا ينبغي صدورها من مؤمن فضلا عن عالم فان الأرواح بعد موتها باقية مدركة فاهمة على نحو ما كانت عليه في حياتها أو أشد ، ولذلك يتسألون عن الأحياء ويفرحون ويحزنون بما يكون منهم ويدعون لهم إلى آخر ما جاء في السنة ، وقد دعا آدم عليه السلام وغيره لنبيين صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، وقد شرع لنا أن نخاطبهم خطاب الحاضر المشاهد في قولنا « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » ونخاطب النبي صلى الله عليه وسلم في كل صلاة بقولنا « السلام عليك أيها النبي » وتعرض أعمالنا عليه صلى الله عليه وسلم فان وجد خيرا حمد الله وان وجد شرا استغفر لنا ، بل تعرض أعمالنا على آبائنا وأهلينا كما جاء في السنة ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام يصلى في قبره ورآه في السماء السادسة وراجعته صلى الله عليه وسلم في أمر الصلاة

وذكر له حال أمته وقد بلغنا صلى الله عليه وسلم السلام عن إبراهيم عليه السلام وقد اجتمعت الأنبياء في بيت المقدس ليلة المعراج وخطبوا وقالوا وفعلوا وسمع بعض الصحابة ذلك الميت الذي ضرب خباءه على قبره يقرأ سورة الملك الخ ماجاء في السنة الغراء وقد أثبت ابن تيمية وهو مرجعهم الوحيد ومؤسس مذهبهم كرامات الأولياء في كتبه وكذلك ابن القيم وهو من أئمتهم أثبت في كتاب الروح أن الروح القوية كروح أبي بكر رضى الله عنه ربما هزمت جيشا إلى آخر ما قال وكذلك الشوكاني وهو من أئمتهم أيضا أثبت جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم بل بغيره من الأولياء والعلماء ورد على من قال بقصر الجواز عليه صلى الله عليه وسلم « كالعز بن عبد السلام » فإن المدرك فيه واحد وهو مزية المتوسل به وقربه ومنزلته عند الله تعالى وإن كان الشوكاني متناقضا وغالطا في التطبيق في أشياء كثيرة ، على أن الشوكاني عالم كبير لا يتخبط تخبط هؤلاء ، ولا يحجل جهاهم وقد أثبت التبرك بالآثار في شرح « نيل الأوطار »

وعلى كل حال فلا يتم مذهبهم إلا إذا أثبتوا أن من نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو توسل به قد جعله إلها مع الله ، فإن قالوا إن ذلك من لوازم النداء والاستغاثة قلنا لهم انكم إذا أول المشركين وأكبر الضالين ، فانكم أكثر الناس استغاثة بالخلق ، وقد قلنا ذلك الزاما ليجعلوا الايمان قرينة على ما يصدر من المؤمن وليس يتم لهم مذهب أيضا إلا إذا قالوا : إن الأرواح قد فنيت بالموت وكذبوا الكتاب والسنة التي أثبتت الحياة للأرواح كلها « حتى أرواح الكفار كما في حديث القليب وغيره ، أو قالوا : انها باقية لكن ضاعت منزلتها عند الله تعالى ولا تستطيع أن تدعوا الله تعالى في أمر من الأمور ، أو سلبت منها قوتها وجميع مواهبها فلا يمكنها أن تعمل شيئا وكذبوا بذلك صرائح ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح اتباعا لوساوسهم ، فاذا قالوا ذلك وخالفوا المعقول والمنقول كانوا أجهل الجاهلين وأضل الضالين ، ولسنا نطيل معهم القول في هذه العجالة بأكثر من هذا وأنا والله نحب أن يكون المؤمنون اخوة كالبنين يشد بعضهم بعضا قائلين « رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » أسأل الله أن يرزق الشحنة والبغضاء التي

تحلق الدين من قلوب المسلمين وأن يرشد اخواننا المخالفين إلى مافيه الخير والهدى وألا يجعلهم فتنة للناس بمنه وكرمه .

\*\*\*

## حكم شرب الدخان في المساجد

وجاءنا من حضرة السائل مانصه :

س:- افيدنا على صفحات مجلة نور الاسلام عن حكم شرب الدخان في المساجد زادكم الله علما والسلام عليكم ورحمة الله

العلاقه شرقية محمد حسن عمران

ج:- صرح علماء المالكية بأن أكل البصل والثوم ونحوهما في المسجد حرام وكذا دخول آكلهما حتى جعلوا من أسباب التغلف عن صلاة الجمعة أن يأكل شيئا من ذلك ولا يجد مايزيله ، وسر ذلك عندهم هو تأذى الناس المجتمعين للجمعة ، وكذلك الملائكة الذين يحضرون مشاهد الخير مع المؤمنين فان ثبت أن للدخان رائحة كريهة يتضرر منها الناس والملائكة على نحو ما ذكرنا كان شربه في المسجد حراما كأكل البصل والثوم ، ونرى من الاخلاص للدين والعلم أن نقول : ان مثل هذه المسألة محل اجتهاد يصح أن تختلف فيها الأنظار وإذا رجحنا فيها شيئا فاننا نكتب عن رأينا وعن رأى فريق من علمائنا والخير كله في التوسط والاعتدال والشر كله في الافراط والتفريط وكثيرا ما نلاحظ في المسائل ما يترتب عليها ، وما عسى أن تجر اليه ولنقتصر اليوم على هذا وموعدا في بقية المسائل العدد المقبل ان شاء الله م

يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

# السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

- ٢ -

نعيد<sup>(١)</sup> هنا ذكر الحديث الشريف ليكون بمرأى من القارئ تذكرة له وتيسيرا عليه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال : يا غلام ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفت الاقلام وطويت الصحف .

## الشرح

هذا حديث جليل القدر جم الفوائد والمنافع الدنيوية والأخروية ، قد علمه السلف من الأمة الاسلامية وفتحوا ما فيه من الوصايا والتعاليم وعملوا بها وحرصوا على الاعتصام بها والاستقامة على سننها حتى صلحوا أن يكونوا خلفاء عن صاحب هذا الحديث صلى الله عليه وسلم فأصلحوا بذلك أنفسهم ونشروا دين الله تعالى وعلموا الناس وثقفوا عقولهم وزكوا أرواحهم وارشدوهم الى ما تستقيم به أمورهم في الحياتين الدنيا والأخرى .

هكذا عمل سلفنا بهذا الحديث الشريف فأفلحوا وسادوا وعلت كلمتهم الصادقة . ونفذت أحكامهم العادلة ثم خلف من بعدهم خلف انحرفوا عن سنن وصايا هذا الحديث

(١) تمة شرح حديث ابن عباس المتقدم في العدد السابق .

فأحرفت بهم حياتهم وضعفوا بعد قوتهم وافتقروا بعد ثروتهم وذُلُّوا بعد عزتهم وآل أمرهم الى ما نرى ونسمع و ( لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا )

قد قدمنا لك الكلام فيما تضمنه هذا الحديث الشريف من وجوب تربية الاطفال التربية الدينية الصالحة ومن تَحَمُّمِ العناية بتنشئتهم التنشئة الحسنة في دينهم ودينامهم وَأَفْضَلُ لك في القول في المضار التي تنتج باهمال هذه التربية وأن الحياة التي فيها الماسون الآن أصدق شاهد على صحة ما نقول والله عاقبة الأمور .

اشتمل هذا الحديث الشريف على سبع وصايا وتعاليم اسلامية .  
الوصية الأولى : قوله صلى الله عليه وسلم ( اِحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ) أمره صلى الله عليه وسلم أن يحفظ الله تعالى شأنه ، ومعنى أن العبد يحفظ الله سبحانه واضح بين لاختفاء فيه ، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام أمر ابن عباس به وهو غلام صغير فلم يخف عليه المعنى ، بل فهم المراد من حفظه لله تعالى .

على أن ذلك المعنى المراد مع وضوحه قد جاء مصرحاً به في القرآن الكريم في بيان أوصاف المؤمنين الذين اشترى الله الغنى الحميد منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة اذ قال ( وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ) فكأنه قال له احفظ : يا غلام حدود الله يحفظك كما قال سبحانه في آية أخرى ( وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ )

ثم ان حدود الله تعالى هي تكاليفه وأحكامه التي عرّفها الماسون وجاءت مفصلة في الشريعة السمحة . وهي نوعان « الأول » أحكام تتعلق بأعمال القلوب وحفظها ورعايتها أعظم وآكد من حفظ ورعاية الاعمال التي ليست بقلبية « الثاني » أحكام متعلقة بأعمال الجوارح والاعضاء الظاهرة وهي الأعمال التي عليها مصالح الدين وهي العبادات من الصلاة وغيرها ومصالح الدنيا أيضاً وهي المعاملات الجالبة للمنافع والدافعة للمضار دينية كانت تلك المنافع والمضار أو دنيوية في الأنفس والأعراض والأموال أولاً .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس أن يحفظ حدود الله عز وجل ولكنه في الحقيقة أمر للأمة بأمرها فانه ما من أحد الا وهو مأمور بهذا الحفظ لأنه حق وجب الله العلى الكبير بمقتضى الهيئته على العبد بمقتضى عبوديته لله رب العالمين .

فهل يرى المسلمون الآن انهم حَفَظُوا حدودَ الله حتى يستحقوا أن يتفضل الله تعالى عليهم بالحفظ في الحياة الدنيا والآخرة؟ هل عملوا بها ورعوها حقَّ رعايتها وصانوها عن الإهمال والضياع؟ هل دافعوا عنها وناضلوا من يعينونها ويدبرون لها التدبير السيء، ويكيدون لها كيدا؟ هل شعَرَ المسلمون أن أناساً ادَّعَوْا الإسلامَ وتسترَّوا به ثم أخذوا يطعنون في حدود الله العزيز الحكيم ويشوهونها ليُخرجوا المسلمين من نور دينهم إلى ظلمات مفترياتهم وشكوكهم وأباطيلهم؟

إذا لم يكن المسلمون قد استيقظوا من سباتهم ولم يُعْنَوْا بما يكيدهم لهم أعداء دينهم وقالوا: (ان للدين ربًّا يحميه دون أن نتجشم قولاً أو فعلاً نصدِّ به أولئك الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) إذا قالوا ذلك فانهم يكونون كبنى اسرائيل اذ قالوا الرسول لهم سيدنا موسى عليه السلام (إِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ). بل كانوا أجهلَ منهم وأسوأ حالاً ومآلاً.

ان الذين يظنون أن الله تعالى هو الذى يتولى وحده نصرَ الدين والدود عنه من غير أن يدافع عنه المؤمنون به ويُعِدُّوا لنُصْرَتِهِ وصد أعدائه عنه ما استطاعوا من قوة وبذل أرواح وأموال ويتفقهوا فيه ويعملوا به ليكونوا على بينة منه وقُدوةً حَسَنَةً يُؤْتَسَى بها. هؤلاء، يكونون قد ظنوا ظنَ السَّوءِ واخطأوا خطأً مبيناً.

ألم يعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه قد لاقُوا من أعدائهم مالا قُوا من الأذى بالقول والفعل وصدَّ الناس عن سبيل الله ثم قام صلوات الله وسلامه عليه هو والذين آمنوا معه بالمناضلة عن دين الله القوى المتين مؤتمرين بما أمرهم الله به من إعداد المدة لإعزاز دينه ورد كيد أعدائه عنه مخلصين في ذلك واثقين بانجاز ما وعدهم الله سبحانه به من تأييده لهم برُوح من عنده وتثبيت أقدامهم أمام أعدائهم وقد فعل، كل ذلك منه عز وجل ليعظم لهم أجورهم ولِيَتَحَنَّ بَعْضُهُمْ بَعْضٌ وَلِيَتَبَيَّنَ الْمُؤْمِنُونَ حقاً من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم كما قال جل ذكره (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) وكما قال: (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ يَبْعُضًا).

هذا هو الذي فرضه الله تعالى على المؤمنين بدينه فرضاً لا هَوَادَةً فيه لا يقبل منهم بعده عذراً ولا يستطيعون معه صَرْتاً<sup>(١)</sup> وَلَا نَصْراً<sup>(٢)</sup> وهذا هو الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان حتى ثبتت قواعد الاسلام وعمَّ هَدْيُهُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَمَزَقَ الْحَقُّ الْبَاطِلَ وَأَشْيَاعَهُ كُلُّ مُمَزَّقٍ . وَ (ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ) .

قال الله عز وجل في شأن الذين نصرُوا دِينَهُ وَاتَّقَيْنَ بِصَدَقِ وَعْدِهِ (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) وقال في شأن الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم الخاذلين للإسلام المخذلين عنه (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ<sup>(٣)</sup> بِمَقْعَدِهِمْ<sup>(٤)</sup> خِلَافَ<sup>(٥)</sup> رَسُولِ اللَّهِ وَكَرَهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا<sup>(٦)</sup> لَا تَنْفِرُوا<sup>(٧)</sup> فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

قَدْ مَنَّا لَكَ أَنْ حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى تَتَعَلَقُ بِأَعْمَالِ الْقُلُوبِ كَمَا تَتَعَلَقُ بِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ فَنَقُولُ الْآنَ :

لو حفظ المسلمون حدود الله تعالى في أعمال قلوبهم لطهرت أرواحهم وَلَزَكَتْ نَفُوسُهُمْ وَلَشُفِيَتْ صُدُورُهُمْ مِنَ الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ وَلَكَانَ ذَلِكَ تَثْقِيفًا لِمَا أَعُوجَّ مِنَ الْعُقُولِ وَتَوْسِيعًا لِمَا ضَاقَ مِنَ الْمَدَارِكِ وَنَزْعًا لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْغِلِّ وَالْحَقْدِ وَلَكَانَ مَكْرَهًا لِيَهُمُ الْإِلْحَادُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ وَالْعُشَّ وَالْخِيَانَةُ وَنَقْضُ الْعَهْدِ وَالْمَوَاقِيقِ وَحُبُّبًا لِيَهُمُ الْإِيمَانُ الصَّادِقُ وَمُزِيَّةً لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ وَمَرْغَبًا لَهُمْ فِي الْمَسَارَعَةِ إِلَى الْخَيْرِ وَالتَّنَافُسِ فِي الْبِرِّ وَمُؤَاسَاةِ الْمُحْتَاجِينَ وَالْمُعُوزِينَ وَفِي الْمُسَابَقَةِ إِلَى مَا يَرْضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَعَ الْإِخْلَاصِ فِي كُلِّ ذَلِكَ لِيَتَقَرَّبُوا بِهِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى عَسَى أَنْ يُصْلِحَ بِهِ أَلْهَمَ وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ .

ولو حفظوها كذلك في أعمال جوارحهم لكفوا لِسُنَّتِهِمْ عَنِ الْكُذْبِ وَقَوْلِ

(١) دفعوا وردا للذئاب (٢) من أنفسهم ولا من غيرهم (٣) الذين تخلفوا عن الخروج الى غزوة تبوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) بقمودهم (٥) بعد (٦) قال بعضهم لبعض (٧) لا تخرجوا للجهاد .

الزور والسباب والغيبة والنميمة والنَّزْبُ<sup>(١)</sup> بالالْقَاب وتمزيق الأعراض وسائر أنواع الهُجْر والفُحْش في القول ، ولأفْلَعُوا عن السرقة والزنى والقتل والتعدى وكيد المكاييد وتدمير السوء واتلاف بعضهم أموال بعض بحرق الزروع ونزعها من مغارسها وتسميم الماشية وغير ذلك مما هو منتشر في البلاد وآل به أمرهم بعد ذلك الى التخاصم والتنازع حتى غَصَّت بهم المحاكمُ وسَمَّهم القضاء .

كذلك لحفظ أصحاب الأموال أموالهم من انفاقها رءاء الناس في المباهاة والمفاخرة كما يفعلون في الأعراس والمآتم وولائم رمضان وغيره . ومن انفاقها أيضاً في أصناف الفسوق والفجور التي زعموها عُنوان المدنية والرقى والمعرفة وعابوا من تركى عنها ورموه بأنه جامد صُلْبٌ مغرور بالقديم عدو لكل جديد . كانفاقهم أموالهم في ملاعب الميسر وصيد الحمام ورهان السباق .

وكذلك يكونون قد حفظوا عقولهم وأبدانهم وأنسابهم وأعراضهم وأقدار أسرهم فلم يضيعوا أموالهم بانفاقها في الخمر وغيرها من هذه السموم المهلكات المفسدات للعقول الفاتكات بالاجسام بل السائقات الى القبور أو بانفاقها في شهوات الحيوان بالتزوج بمن لا يليق بمثله أن يتزوج بها لأنحطاط في قدرها أو لفساد في أخلاقها أو لتبائن في العادات والاصطلاحات حتى ادى ذلك الى الشقاق والقتل والخصام والترافع الى القضاء كما سمعنا وشاهدنا ذلك كثيراً في التزوج بالأجنبيات وغيرهن .

كذلك كانوا يحفظون أسماعهم عن الفاحش من الكلام والا كاذب والمفتريات التي تُفْتَرَى على الناس وعلى الله وعلى شرائعه الآلهية ، ولحفظوا أبصارهم عن المحرمات التي أنكرها دين الله تعالى والعقلاء من الناس ، ومن ذلك ما يتهافت الناس رجالاً ونساء وشباناً على سماعه ورؤيته في المجامع المعروفة التي ينفقون فيها أموالهم بسخاء حتى صارت مقابر يدفنون فيها أموالهم التي جعلها الله لهم قياماً وحياتهم عماداً ، ولحفظوها أيضاً عن سماع وقراءة ما يكتب في نهش الأعراض واتهام الأبرياء وقذف الطيبين والطيبات وعن



قراءة وسماع ما يكتب ويقال لتشكيك الناس في دينهم وأفساد أخلاقهم وإذاعة كل ذلك بين الناس . كبيرهم وصغيرهم ذكورهم وإناثهم .

لو حفظ المسلمون حدود الله تعالى لحفظهم ولو فاهم وعده الذي وعدهم في قوله ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) .

ولكنهم لم يحفظوها كما أمرُوا فلم يحفظهم ونسُوا الله فنسيهم ووكلهم الى أنفسهم فضاعوا وحق عليهم قوله سبحانه ( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ) وقوله ( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ) حَقًّا ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ )

حسن منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

## أنواع الألعاب

جاء بمجلة (Kosmos) الألمانية أن الأستاذ الدكتور «هوجولير» قام بأبحاث وتجارب علمية أثبت بها أن ألعاب الانسان يختلف حسب أجناس بني آدم المختلفة وتمكن من التحقق من وجود أربعة أنواع مختلفة ، إذا مزج أحدها بأحد أنواع الدم المعروفة ولم يكن بينهما قرابة في الجنس الأدنى فتكون أشكال كرية ، وهذا فضلا عن أن الأبحاث التي أجراها الأستاذ «لير» تحمل على الاعتقاد بأن العصارات الجثمانية الأخرى — أى ماعدا الدم واللعب — تختلف في تكوينها من حيث قرابتها وتبعيتها إلى جنس خاص من بني آدم ، ولا زالت الأبحاث جارية للتحقق من ذلك وإثباته

## كتاب يا محمد في آيات الله

قرر الإسلام للمرأة حقوقاً رفعت شأنها وجعلتها عضواً عاملاً في دائرة الصيانة وعلى وجه يحفظ بينها وبين زوجها وأقاربها المودة الصادقة والعاطفة الفياضة بكل خير، وما زالت المرأة المسلمة تعيش مع الرجل القائم على آداب الإسلام مغتبطة هائلة، شأنها النظر في تربية الولد وتدير المنزل، وشأن الرجل معاشرتها بالمعروف، والقيام بحاجاتها ومسايرة رغباتها مادامت محفوفة بسياج الطهر والحياء، وما زال المصلحون يدعون إلى رعاية حقوقها المنبهاً عليها بقوله تعالى ( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ ) حتى ظهر نفر تخيلوا أن الرقي كله في مظهر المرأة الأوروبية فقاموا ينادون لأن تتبع المرأة المسلمة المرأة الأوروبية شبرا بشبر وذراعاً بذراع .

نقول هذا بمناسبة الحديث عن كتاب ظهر في تونس منسوباً إلى بعض من لبست نفوسهم من التجاني عن الدين ما لبسته نفوس هؤلاء الذين يزعمون أنهم أنصار المرأة ويقولون - والجهل ضارب في أدمغتهم - إن الإسلام ظلم المرأة، ويذكرون تعدد الزوجات، وجعل الطلاق في يد الرجل، وجعل نصيبها من الأثر نصف نصيب الرجل ونحو هذه الأحكام مما قرره الإسلام وعرفت العقول السليمة حكمها وموافقها لما تقتضيه نظم الحياة الراقية، باطل من القول لغط به نفر من غير المسلمين في الشرق فوقع في أذان أحداث في تونس ولم يجد لديهم من متانة العقيدة وقوة البصيرة ما يدفع عنهم خبثه، فأساغوه ورددوا صوته محاكاة لأوثانك النفر، والمحاكاة في الباطل أدل على قصر النظر من ابتكاره، ولكن المستعدين للتقليد فيما تشقى به الأمة لا يفقهون

ظهر هذا الكتاب منسوباً لأحد من يحملون شهادة « التطوع »<sup>(١)</sup> بجامع الزيتونة وقد سلك صاحبه طريقة مخادعة الغافلين من المسلمين بتأويل نصوص الشريعة وتحريف كلماتها عن مواضعها، ولم يتعظ هذا الكاتب بمن ذهب في الكيد للدين هذا المذهب

( ١ ) شهادة يأخذها الطالب بعد أن يقضى في الطاب نحو سبع سنين ، ولعلها تساوى الشهادة الأهلية في الأزهر الشريف ، وسببت ( تطوعاً ) لأنها تخول صاحبها أن يدرس في الجامع متطوعاً

مخاب سعيه ولم يزد على ان كشف للناس سريرة مغبرة كانوا يظنونها نقية ، بل أحيا شعورا دينيا كان في بعض النفوس خاملا ، إذ دل المسلمين على أن من وراء هذه الأقلام ضمائر لا ترجو لله وقارا ، وأيديا تعمل لتقويض بناء الشريعة ليلا ونهارا

ظهر هذا الكتاب فقابله الأمة التونسية بالانكار ، وقامت الصحف هنالك بواجبها فنقدته من الوجهتين : الدينية والاجتماعية ، وكتب بعض العلماء مقالات في بيان مافيه من جهالة وغواية ، وألفت النظارة العالمية بجامع الزيتونة لجنة من العلماء الذين درسوا أصول الشريعة على بصيرة ، وعرفوا باستنارة الفكر وتميز الجديد النافع مما هو جديد آثم ، فدرست اللجنة الكتاب ووضعت تقريرا فيما احتواه من منكرات وضلالات .

لقي الكتاب ما يستحق من التنفيذ وسعى النظارة العالمية لتجريد صاحبه من الشهادة التي يحملها ، ولكنه لم يعدم ان يجد أفرادا يوهون باطاله ويروجون زائفه ، فأقاموا لصاحبه حفلة تكريم وعجلوا الى بث دعاية له في مصر ولفقوا مقالات حملوا فيها على العلماء وأرباب الصحف الذين نقدوا الكتاب بعقل وفضحوا مافيه من تضليل ، ثم بعثوا بتلك المقالات إلى صحف لا ترعى للحقائق ذمة ، فنشرتها لهم ولم يكن لها من الأثر سوى ارتياح غير المسلمين لأن يرمى الدين الحنيف من معهد أسس ليكون حصنا للدين مانعا

وفي هذه المقالات اغتباط اولئك النفر بأن بعض الفرنسيين كانوا في جانب صاحب الكتاب يدافعون عنه وينقدون سلوك الصحافة التونسية في الرد عليه ، ولم لا يكون الفرنسيون في جانبه وهو يضرب الاسلام في الصميم ، ويأني لخدمه من باب لا يستطيع الفرنسيون أن يأتوه وهم فرنسيون ؟؟

وفي هذه المقالة رمى المستنيرين كالحامين والاطباء في تونس بأنهم خذلوا صاحب الكتاب لغايات شخصية ، ونحن نرى في مصر محامين وأطباء يؤمنون بالقرآن أبلغ الايمان ويرون ان مامنحه الاسلام المرأة من الحقوق هو عين الصواب ، وما عداه جهل بعواقب الامور ، ولم لا يكون المحامون والاطباء في تونس قد جمعوا الى علم الحقوق والطب هداية وتوفيقا . ؟

وزعم كاتب تلك المقالات ان النظارة العالمية عقدت لجنة من بعض أعضائها ومن

بعض المدرسين ، وقرروا — فيما بلغهم — ان المدرك التشريعي الذي يراه مؤلف الكتاب لا ينافي الاسلام إلا أن المؤلف لم يبلغ رتبة الاجتهاد

وقد اطلعنا في الصحف التونسية على ما يخالف هذا الزعم، قالت جريدة « الزهرة » الغراء ( بلغنا أن اللجنة التي فقها النظارة العامة للنظر في كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » قد أتمت أعمالها وأنهت تقريراً في ذلك للوزارة الكبرى ، وكان جميع أعضاء اللجنة على وفاق تام مجمعين على ان الكتاب المذكور يحوى في عدة نواح منه أوجها كثيرة من الضلال والتضليل ، وبهذه الصفة يعتبر مروقا من الدين وخروجا على إجماع الأئمة من علماء الاسلام ومحاربة لحضرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم )

ونقلت جريدة « الوزير » الغراء محادثات في شأن الكتاب جرت بين رئيس تحريرها وفضيلة شيخ<sup>(١)</sup> الاسلام بتونس الشيخ « احمد يريم » وبعض أعضاء اللجنة ، ومما قاله شيخ الاسلام في حق الكتاب : إنه ( يخالف الشريعة الاسلامية في كثير من المواقف كمسألة تعدد الزوجات ومسألة الميراث ومسألة الحجاب ) وقال رئيس الافتاء المالكي الشيخ « محمد الطاهر بن عاشور » : إنه ( يشتمل على مخالفات كثيرة لاحكام الشريعة الاسلامية تعدد ضلالات ، وقد بنت اللجنة رأيها الذي يحوم حول هذا ) وقال المفتي المالكي الشيخ « أبو الحسن النجار » : ( إنه يخالف النصوص الشرعية لافروعها فقط بل في أصولها وما علم من الدين بالضرورة ) وقال المفتي المالكي الشيخ « عبد العزيز جعيط » ( وفي رأى الخاص أن كثيرا مما تضمنه الكتاب يوجب المروق من الدين )

هذه آراء شيخ الاسلام بتونس وبعض أعضاء اللجنة المسكفة بفحص الكتاب ، وهي صريحة في أنهم يرون أن في محتوياته ما هو ضلالة ومروق من الدين ، وليس من المعقول أن يقول عالم مسلم في الحكم على مثل ذلك الكتاب : إن المدرك التشريعي الذي يراه مؤلفه لا ينافي الاسلام ، فقد وصلت الى إدارة هذه المجلة نسخة من هذا الكتاب فقرأناه فإذا هو يعتسف طرقا ملتوية ويرمى بأقوال منكورة ويتشبهت براء منبوذة، ولو قصر صاحبه البحث على تعليم المرأة وتربيتها وإنكار ما يفعله بعض الرجال من الاستخفاف

بحقوقها والمبالغة في حجابها ، لقلنا كتاب يدعو الى ناحية من نواحي حياتنا الاجتماعية وكان حظه منا شكراً وتقريظاً ، ولو ذهب صاحبه في البحث مذهب من لا يعرف الشريعة فقرر آراءه الخاصة دون أن يتعرض للقرآن الكريم ، لقلنا نسي تعاليم الاسلام وكانت خطة العلماء معه أن يذكره بأن آراءه في واد ، والدين في واد ، وكان له الخيار بعد هذه التذكرة أن يتشبث بهذه الآراء المنحدرة من عقول داجية ، أو يرجع الى شريعة نزل بها الروح الأمين على خاتم النبيين لتكون هداية للعالمين ، ولكن هذا الكاتب لم يتحرف فيما كتب الطريقة الصالحة ولم يتق الله في شريعته الغراء فأقبل على القرآن يحرف آياته عن مواضعها ، ويضاهي الذين يخادعون الله في تأويلها ، ولا حاجة بنا الى تتبع خطيئات الكتاب بعد ان تصدى طائفة من علماء تونس ونهائها الى تقضيه وبيان ما يحمله من أباطيل ، وحسبنا أن نسوق الى القراء أمثلة يعرفون بها كيف قام ذلك الكاتب يردد صوت هؤلاء المخالفين الذين يحاربون الاسلام في غير استحياء

قال ذلك الكاتب « يجب ان نعتبر الفرق الكبير بين ما أتى به الاسلام وجاء من أجله وبين ما وجدته من الأحوال العارضة للبشرية والنفسيات الراسخة في الجاهلية قبله دون أن تكون غرضاً من أغراضه » وجعل الكاتب في القسم الأول عقيدة التوحيد ومكارم الأخلاق ، وجعل في القسم الثاني تعدد الزوجات ونحوه ، وقال عن هذا القسم « لا يمكن اعتباره حتى كجزء من الاسلام » .

جاء الاسلام ليبيان العقائد الصحيحة ومكارم الأخلاق ، وجاء لتقرير أحكام العبادات والمعاملات ، فالجميع جاء من أجله الاسلام وإن اختلفت مراتب الأحكام شدة ورفقا وما يترتب عليها من المصالح قوة وضعفا ، وزعم أن الاسلام جاء من أجل العقائد والأخلاق وأن في أحكام المعاملات ما لم يأت الدين من أجله ولا يعد كجزء منه ، إنكار لجانب عظيم من الشريعة ، وطرح أحكام المعاملات وإباحة الحكم فيها بغير ما أنزل الله باعتقاد أنه أحفظ للمصلحة انسلاخ من الدين بلا شبهة ، وتعدد الزوجات من قبيل ما أنزل الله حكم باحته قال تعالى ( فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرَبَاعَ ) فمن قضى منع قضاء عاما معتقداً أن المصلحة في هذا المنع فقد قضى بغير ما أنزل الله وأصبح مصداق

قوله تعالى (وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)

اختلق الكاتب هذا الرأي لينى عليه طرح كل حكم فى الاسلام لا يوافق ذوقه أو هواه بزعم أن الاسلام لم يحىء من أجله وأنه لا يعد كجزء منه وإن جاء به نص صريح فى الكتاب أو السنة المتواترة ، وهذا رأى لا يرتاح اليه إلا من يسره كثرة سواد المنسليخين من الدين . اذ لا معمول يفعل فى هدم الشريعة فعله لو أنه وجد فى الناس غفلة وجهالة .

وقال الكاتب « إن الاسلام لم يقرر نزول ميراث المرأة عن الرجل كأصل من أصوله التى لا تتخطاها »

هذا مما بناءه الكاتب على زعمه أن من أحكام الاسلام ما لم يحىء الاسلام من أجله ، يقول الله تعالى (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) الى قوله تعالى (وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)

فالله تعالى يوصى بأن تعطى الانثى نصف ما يعطى الذكر ويجعل هذه الوصية حداً من حدوده ويتوعد على تعديها بالنار والعذاب المهيّن ، وذلك الكاتب يريد من المساميين أن يهملوا وصية ربهم ويتعدوا حدوده ويجعلوا ميراث الأنثى مساويا لميراث الذكر على الرغم من الحكم الواضحة فيما أوصى الله به من إعطاء الذكر مثل حظ الأنثيين ، وستقوم المجلة بنصيبها من بحث هذه الحكم إن شاء الله تعالى فى غير هذا المقام .

وقال الكاتب « لقد حكم الاسلام فى آيات القرآن بتمييز الرجل عن المرأة فى مواضع صريحة وليس هذا بما نفع أن يقبل بمبدأ المساواة الاجتماعية بينهما عند توافر أسبابها بتطور الزمن مادام يرمى فى جوهره إلى العدالة التامة وروح الحق الأعلى »

الاسلام يرمى الى العدالة التامة ، وقد قرر أصلا هو أن تكون المرأة فى عفاف ، فمن العدالة التامة أن ينهى عن اختلاطها بالرجل إلا أن يكون محرما ، وقرر على الرجل القيام بحاجاتها وحاجات ما يرزقان من ولد ، فمن العدالة التامة أن يكون حظ الرجل من الميراث

أكثر من حظها، وهل في الأزمنة طور يقتضى بطبيعته سقوط العفاف من حساب الفضيلة ؟ وهل في الأزمنة طور يقتضى بطبيعته وضع نفقة الرجل وولده على عاتق المرأة ؟ يكون هذا الطور عند ما يخلق الرجل والمرأة خلقاً آخر، وذلك ما لا يقصد الكاتب الحديث عنه .  
ومن جرأة الكاتب قوله « ليس لى أن أقول تعدد الزوجات في الاسلام لأنى لم أر للاسلام أثراً فيه وإنما هي سيئة من سيئات الجاهلية الأولى »

يقول الله تعالى ( فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ )  
ويجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح بين اثنين أو ثلاث أو اربع ،  
والرسول عليه الصلاة والسلام يشهد ذلك ويقرم عليه، واستمر العمل على تعدد الزوجات  
جارياً في الأمة جيلاً بعد جيل ، حتى أتى هذا الكاتب فرأى أن ينفيه من الاسلام على  
الرغم من أنه منصوص في كتاب الله والعمل به جار منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
ولا يظن بمسلم الجهل بأن تعدد الزوجات مما أباحه الاسلام، ولكن الكاتب أراد تقبيحه  
وهو ممن يزعم أنه يتكلم بلسان الشريعة فقدم ججوده لأن يكون من الاسلام حتى يتيسر له  
أن يصفه بأنه سيئة من سيئات الجاهلية .

يجبء الكاتب الى الحديث الصحيح ويحاول رده بزعم أنه تكلم في سنده وليس لهذا  
الزعم وجه سوى أن الحديث لا يوافق رأى الذى أحب تقليده ، كما قال « وروى بعض  
أهل الحديث أنه عليه السلام قال ما معناه ( النساء ناقصات عقل ودين ) ورغما مما قيل في  
سند هذا الحديث الى النبي فانه على فرض صحته لا يدري أكان يحدثنا به عن أصل تكوين  
المرأة في جوهرها - ولا دليل على ذلك من لفظ الحديث - أو هو يعبر عن حالتها في تلك  
العصور يعتذر عن بعض هفواتها لسائله أو سامعيه »

كلامه هذه يدل على أنه متهم على الشريعة بهوى أكمه وأنه لا يتكلم في الدين بعد  
البحث ولو قليلاً، والحديث الذى أشار اليه الكاتب مروي في صحيح البخارى ومسلم،  
ولفظه في البخارى ( ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل منكن « قلن  
وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله » قال: « أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل »

قلن بلى ، قال « فذلك نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم » قلن بلى ، قال « فذلك نقصان دينها »

فالحديث فى الصحيح وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم ماذا أراد منه ، والوجه الذى ذكره فى نقصان دين المرأة يرجع الى أمر لازم لها من جهة الأنوثة وهو الحيض ، فان كان للعصور طور ينقطع فيه الحيض عن النساء جملة حتى يؤدى الى الصلاة والصيام فى أوقاتها المحدودة ، لم يكن حينئذ ناقصات دين .

والوجه الذى ذكره عليه الصلاة والسلام فى نقصان عقلها أعنى عدم مساواة شهادتها لشهادة الرجل مبنى على ما يغلب على النساء من النسيان ، والأحكام العامة تبني على الغالب . ولعل الكاتب ينكر أن النسيان يعرض للنساء أكثر من الرجال وإن دل عليه قوله تعالى ( أَنْ تَصِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ) فننبئه أن بعض علماء أوربة قرروا أن فى ذاكرة المرأة ضعفاً وأنها لا تستحضر الماضى كما يستحضره الرجل .

فهذا الدكتور أوتو فينجر Otto Weininger الطيب الفيلسوف النمساوى شهد فى كتابه المسمى « الجنس والأخلاق »<sup>(١)</sup> Geschlecht und Charakter فى صحيفة ٩٤ — ١١٦ بأن المرأة ضعيفة الذاكرة فقال « إن التذكر هو التغلب على ماضى من الزمن واستحضاره فى الذهن ، ولا يمكن المرأة — لأسباب عضوية ونفسية — السيطرة على هذه الموهبة لأن حياتها متقطعة لا تذكر منها إلا اليسير ، بخلاف الرجل فإنه يمكنه تتبع سلسلة حياته حلقة حلقة ، ولا يغيب عنه جوهرها فى أى وقت من الأوقات » بل قرر فى هذا الكتاب ضعف قوتها العاقلة فقال فى صحيفة ٧٦ — ٨٤ « لا يمكن للمرأة التفرقة بين الشعور والتفكير ( أى بين حياتها الوجدانية والعقلية ) ولكن الرجل يمكنه فصاها عن بعضهما فصلاً تاماً » وقال فى ص ٨٥ — ٩٣ « إن النبوغ إحدى ميزات الرجل ولا يمكن أن تصل اليه المرأة مهما بلغت مواهبها »

ومن جرأة الكاتب على مقام الرسالة الأعظم قوله « ان تعدد أزواج النبى صلى الله

(١) ظهر هذا الكتاب فى اللسان الالمانى فى مايو سنة ١٩٠٣ وأعيد طبعه ٢٧ مرة ونقل الى نحو عشر لغات من اللغات الاوربية



عليه وسلم ليس تشريعاً لأمته كترغيب لها فيه ، وإنما كان ذلك قبل التحديد، والنبي إنسان كال بشر غير سالم من تأثير عوارض البشرية عليه فيما لم ينزل به وحى سماوى »

معنى هذا أن تعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام لا يستند الى وحى ، وأن هذا من قبيل ما لا يليق فعله اذ جعله من سيئات الجاهلية ، أما أن تعدد زوجاته لم يكن بوحي وأنه عليه الصلاة والسلام مدفوع اليه بعوارض بشرية فزعم باطل ، فان الله تعالى يقول فى حق زينب رضى الله عنها ( فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَبًّا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ) وقد تزوجها عليه الصلاة والسلام وفى عصمته عائشة وسودة وحفصة رضى الله عنهن ، وورد فى آيات كثيرة ذكر أمهات المؤمنين على وجه يدل على أن الله راض عن هذا التعدد ، قال تعالى ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ) وقوله تعالى ( يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ) وإذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد يفعل الشئ عن اجتهاد فيجىء على خلاف الاولى فيأتى الوحي منها لما هو الاولى فمسألة تعدد زوجاته ليست من هذا القبيل فى شئ ، فقد نزل الوحي صريحاً فى إباحته ورضا الله عنه ، ولتعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام حكم دينية اجتماعية تسمو عن عقول هؤلاء الذين لا يفهمون للزواج حاجة غير قضاء الشهوة ، ومن هذه الحكم تلقى أحكام الشريعة وإبلاغها للناس كما قال تعالى ( وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ) وسنعود الى هذا البحث فى مقال آخر ان شاء الله

ودعا الكاتب الى السفور مفتوناً بحال المرأة الأوربية وزين لقراء كتابه أن يجمعوا بين نسائهم وفتياتهم وأصدقائهم للمحادثة ، ولم يكتف بقول بعض أهل العلم : ان الزينة الظاهرة المأذون فى إبدائها بقوله تعالى ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) هى الوجه والكفان ، فقال : إن ماظهر من الزينة وقع فى القرآن مبهماً اعتباراً منها لأعراف الناس فى ذلك بتطور الزمان ، والناظرون فى الشريعة باخلاص يرون أن القرآن إذا نهى عن

إبداء الزينة فأنما يريد قطع وسائل الفجور ، فليس لأحد أن يجعل هذا من قبيل ما يراعى فيه العرف حتى إذا جرى عرف قوم بكشف المرأة لصدرها أو ساقها قضى فيه بالإباحة على زعم أن القرآن أبهم ما لأباح إبداءه من الزينة ليؤخذ فيه بأعراف الناس ، والرجوع في مثل هذا الى العرف يفتح طرقاً من الشر إنما جاء القرآن ليسدها .

ونحن ممن يدعو الى تعليم البنات وتهذيبهن ، وإكرام الزوجات ورعاية حقوقهن ، والرفق بالنساء لضعفهن ، ولكننا ننكر هذا الذي يدعو اليه الكاتب من الاغضاء عنهن الى حد الاختلاط برجال ليسوا بمحارم لهم ، فان ذلك مما نهت عنه الشريعة ، وأرتنا المشاهدة رأى العين أنه أقرب الوسائل الى تلويث الأعراض ونكد العيش ، وهو الى ابتذال المرأة أقرب منه الى كرامتها ، والى عنائها أقرب منه الى راحة بالها ، فالكاتب يعبت بحقوق المرأة المسامة من وراء العبث باحكام الشريعة ، ويعمل لأن يفسد عليها دنياها قبل أن يفسد عليها آخرتها .

وقرأنا للكاتب بعد هذا جملاً كثيرة يطعن بها في علماء الاسلام ويقذفهم فيها بأنهم لم يفهموا مقاصد الشريعة ، ذلك لأنهم لم يمنعوا تعدد الزوجات ، ولم ينزعوا حق الطلاق من يد الرجل ، ولم يجعلوا ميراث الأنثى مساوياً لميراث الذكر ، ولم يأذنوا للناس في أن يضعوا جبل الفتاة على غاربها تجتمع مع من تشاء ، الى نحو هذا من الشهوات التي لو طاشت اليها آراؤهم لانطفأت حكمة الله واندرست معالم الهداية ، فلا قرآن يتلى ، ولا سنة تروى ، وعلى الدين الحق يومئذ للسلام .

وكان من رأينا صرف القلم عن ذكر هذا الكتاب اكتفاء بما تناولته به أقلام أهل العلم في تونس من الرد المحكم ، ولكن الدعاية التي قام بها شركاء صاحب الكتاب في مصر دعنا الى أن نذكره ونرى القراء مثلاً من باطله ليحذروا فتنته ويعلموا أن في الشرق نفوساً تقضى باسم الشريعة ما رب قوم يبتغون فساد ما بقي فينا من عقيدة سليمة وأدب يعبط عليه أفحكهم الجاهلية يبتغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون

## كلمة وجيزة

نرى أن تلك الكلمة الوجيزة التي نثبتها هنا غير خارجة عن دائرة ما نحن فيه من البحث عن حال الدراسة تعليما وتعلما وانا لنذكرها غير واقفين أنفسنا موقف الواعظين الناصحين لأخواننا وان كان ذلك لاضرر فيه ولكنها تبصرة وذكرى والذكرى تنفع المؤمنين .

جدير بنا أن نرفع صوت الدعوة الى العلماء والمعلمين جهرة ونلفت نظرهم - وهم أحق من يلفت نظره وأولى الناس باجابة الداعي الى الحق - الى أنهم ورثة الانبياء وهم يعلمون أن الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين لم يورثوا أحدا دينارا ولا درهما وانما يورثون العلماء الربانيين الدعوة الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة فيجب على العلماء والمعلمين جميعا أن يقوموا بما يجب لله تعالى على كل عباده كما يجب عليهم أن يرشدوا الخلق الى ما لهم وما عليهم من حقوق لازمة ولا ريب أن أول حلقة من سلسلة وظيفة العلماء أن يبدؤوا أولا بتطهير النفس من أدران النقص وذنس العيوب وبذل ما استطاع في تنقية بذور الحقد والغل والحسد من الصدور حتى اذا ماصفت سرائرهم واطمأنت قلوبهم واشرقت بنور الاخلاص لله نفوسهم وجدوا ميادين العمل واسعة الارضاء أمامهم للدعوة الى الله جل شأنه ولارشاد الخلق وسوقهم الى ساحة منفعتهم في معاشهم ومعادهم لا يبتغون بعملهم هذا الا وجه الله تعالى ولا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا .

وانا لعلى يقين لا تخالطه ريبة ولا يحوم حوله شك أن العلماء والمعلمين متى صدقت في الدعوة الى سبيل ربنا عزيمتهم واتفقت كلمتهم واجتمعت قلوبهم وأنا بوا الى الله تعالى لا تأخذهم في الحق لومة لائم أمكنهم أن يقودوا الناس بزمam الطاعة الى مواطن العز والكرامة والشرف وعلو الهمة ويحملوهم على أن يخلعوا أردية الرذائل ويتدثروا حل الفضائل وينفخوا فيهم روح الاخلاق الكريمة والسجيا

العظيمة وينتشلوهم من وهدة هذا الحضيض الاسفل الذى أوشك الناس أن يتردوا في بؤره ويسقطوا في حفرة حتى كاد الفساد يجتاحهم جميعا فلا يبقى ولا يذر .

وليعلم العلماء والمعلمون أن من أقدم الواجبات عليهم أن يدعوا الناس الى عمارة الدنيا مع الدعوة الى العمل للأخرة فان ديننا الحنيف السمع ليس دين رهبة ولا استكانة ولا جهود بل هو دين جد وسعى وعمل وقد تكفلت دائرته التى لا يدرك مداها بسعادتي المعاش والمعاد ولسنا في حاجة الى تنبيه العلماء والمعلمين الى أنه يدخل في باب الدعوة الى عمارة الدنيا أن يرسموا للناس خطة السير في طريق الاستقامة والانصاف ويفقوهم بكل ما أوتوا من فصاحة لسان وسعة بيان وقوة برهان عند حدود الشرع الشريف ومتى وقف كل واحد عند حده لا يتجاوز دائرة اختصاصه ووصلت آحاد الأمة الى هذه الحسالة أصبحوا اخوانا متحابين متعاونين على البر والتقوى متباعدين عن الاثم والعدوان وانقطعت جرائم الجرائم وذهبت أعراض الفساد ادراج الرياح

ومن هذا يعلم أن العلماء والمعلمين عماد الملك ودعائم النظام وحفظة الأمن العام ومن شك في هذا فقد أخطأ ولم يفهم طبيعة الدين الاسلامي هذه كلمتنا للعلماء والمعلمين خاصة .

ويحسن بل يجب أن تنبه الجمهور على أمر خطير لا يجوز اغفاله وهو أن الناس قد أصبحوا الآن انما يطلبون العلم على أنه وسيلة للرزق وطريق يوصل الى فتح أبواب المعيشة فحسب، وهم على هذا الاعتبار وتلك القاعدة يضعون بأيديهم أمامهم وخلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم عقبة بل عقبات تحول بينهم وبين العلم اذ يجرد أن يضع الطالب قدمه في ساحة طلب العلم وقبل أن تكتحل عينه بشئ من نوره تراد قد انتبذ مكانا وشرع يفكر في شأن نفسه وأخذ الوهم يصور له ظلام مستقبله وضياع مجهوده ومرارة حياته فتتسرب عوامل اليأس الى قلبه ويملاّ الهمة قرارة نفسه وتنحل عرا عزيمته فيجتهد في الفرار من تلك الحالة ويطير بأجنحة الخلاص ، وكم قضت تلك

الأوهام على آمال كثيرة من نبهاء الطلبة واذكيائهم ، ومن نازعته نفسه الأية ونزعت به همته العالية الى مغالبة هذه الحطرات والبقاء في طلب العلم تراه  
كريشة في مهب الريح طائفة لاتستقر على حال من القلق  
ولو أن أولئك الذين سلطوا على أنفسهم قاصفا من ريح الوهم حتى أغرقهم  
في بحار اليأس علموا أن الغرض الاسمي من التشرف بطلب العلم والمثابرة على تحصيله  
وبذل النفس والنفيس في اقتنائه إنما هو تهذيب النفوس وتثقيفها وتصفيها من  
شوائب الجهل وتخليصها من معرفته وتكمل الانسان في ذاته وما يترتب على ذلك  
من ثمرات تربو على الحصر وحسنات تقوت العدلطاروا الى تحصيله باجنحة الرغبة وعضوا  
عليه بالنواجذ وغاصوا في بحار فضائله يتناولونه عبالا ارتشافا ، ولو أنهم مع هذا قصدوا  
به وجه الله تعالى جل شأنه لساق الله اليهم الدنيا مرغمة وبعث النعم تترى والشواهد على  
ذلك تكاد تكون محسوسة ماموسة .

وعندنا أن ذلك الخلق السيء (يأس الطلبة بما يصوره لهم الوهم) يمكن ازالته  
بأن يتعهد العالم المعلم الطالب من أول نشأته بما يجتث من صدره جذور تلك  
الوساوس والأوهام ويفرس في نفسه حب العلم لذاته مينا له أنه طريق سعادة  
وفلاح في الدنيا والآخرة لمن أحسن السلوك فيه وليس على العالم المعلم من حرج  
في أن يزود طالب العلم بما يفتح أمامه باب الرجاء والأمل فان ذلك مما يشرح  
صدر الطالب ويعينه ويحملة على الاجتهاد والمضي في عمله  
هذه كلمتنا بالنسبة لطلاب العلم ونرجو أن تكون موفقة مقبولة بتوفيق الله  
تعالى والله تعالى يهدينا جميعا الصراط المستقيم .

محمد سليمان السرتي

شيخ معهد أسيوط

# العلوم والآداب

## أثر الاسلام في الحضارة

من كتاب مختصر التاريخ لـ «Wells Out Lines of History»

جاء على الدنيا زمن كانت الحضارة فيه إسلاميه عربية ، غير أن بعض الأوربيين في القرن العشرين انتقص فضل العرب وجحد يدم على الانسانية ، وانا نسوق ترجمة هذه الكلمة على صفحات « نور الاسلام » كشهادة من كاتب كبير انجليزى مشهور أجرى الله الحق على لسانه قال :

« وقد ظهر في العالم الاسلامى عدد من الجامعات الكبرى في مراكز عدة في البصرة ، والكوفة ، وبغداد ، والقاهرة ، وقرطبة ، وقد تفرعت هذه الجامعات من مدارس دينية أنشئت في المساجد أولا ، وقد أرسلت تلك الجامعات أشعتها الذهبية الى ما وراء العالم الاسلامى وجذبت أنوارها المتلاثلة الطلاب الوافدين اليها من الشرق والغرب ، وكان في قرطبة على الخصوص عدد لا يستهان به من الطلبة المسيحيين ، وكان أثر الفلسفة العربية — الذى فاض من أسبانية على جامعات باريس واكسفورد وشمالي إيطاليا ، وعلى الأفكار في غرب أوروبا — كان هذا الأثر عظيما حقا .

وكان اسم « ابن رشد » في قرطبة ( ١١٢٦ - ١١٩٨ م ) اعظم من بلغ الذروة في تأثير الفلسفة العربية على الفكر الاوروبى .

وهنا اسم آخر عظيم وهو « ابن سينا » أمير الأطباء ( ٩٨٠ - ١٠٣٧ م ) وقد ولد في الطرف الآخر من العالم العربى : في بخارى : ، وساح في خراسان .

وقد انتعشت صناعة نسخ الكتب وأزهرت في الاسكندرية ، ودمشق ، والقاهرة ، وبغداد ، وفي حوالى ٩٧٠ ميلادية كان في قرطبة وحدها سبع وعشرون مدرسة مجانية مفتحة الأبواب لتعليم الفقراء .

اما في علوم الرياضة — كما جاء في كتاب تاريخ أوروبا العام تأليف ثاتشر وشول (Thatcher & Schwill) — فقد بنى العرب على الأساس الذي شيده علماء اليونان فيها وكان «الصفير» مجهولا حتى القرن الثاني عشر حيث اخترعه عالم رياضى عربى اسمه «محمد بن موسى» الذى كان أول من وضع نظام الكسور العشرية، والذى رتب الأرقام حسب قيمتها، ولم يضيف العرب الى نظريات «أقليدس» فى الهندسة شيئا إلا أن «الجبر» من صنع أيديهم، ونشروا حساب المثلثات واخترعوا الظل والجيب، وفى الطبيعة أوجدوا رقائق الساعة وانتجت قرائحهم علم «الضوء»

وضربوا فى علم الفلك بسهم صائب فأسسوا المراصد، وصنعوا كثيرا من الآلات الفلكية التى مازالت تستعمل للآن وحسبوا زاوية الخسوف وتتابع الاعتدالين، ومما لامرية فيه أن معرفتهم بعلم الفلك كانت واسعة.

وأما فى الطب فقد بزوا اليونان وسبقوهم فى هذا الميدان، فدرسوا علم وظائف الأعضاء وفن تدبير الصحة وكانوا يركبون الدواء كما نعمل الآن، ومازالت طرق علاجهم لمرضى تستعمل فى هذا العصر وعرف جراحوهم استخدام المخدرات، وقاموا بعمليات كثيرة جراحية، من أصعب العمليات المعروفة وأدقها.

وفى الوقت الذى حرمت فيه الكنيسة على الأوروبيين الاحتراف بهنة الطب لاعتقاد رجال الدين ان الشفاء يتم بتعاويد دينية كانوا يقومون بها فى ذلك العصر المظلم كان عند العرب علم حقيقى فى الطب.

وبدءوا بدأ حسنا فى علم الكيمياء، فاكتشفوا مواد جديدة كثيرة، ومركبات عديدة كالكحول والبوتاسيوم ونترات الفضة وحامض الكبريتيك والنتريك وغيرها.

وفاقوا العالم فى المصنوعات من حيث التنويع، وجمال التنسيق، ودقة الصنع، وقد اشتغلوا فى كل المعادن، فى الذهب والفضة والنحاس والبرنز والصلب، ولم يفهم أحد فى صناعة المنسوجات الى الآن، وكان الزجاج والخزف اللذان صنعوهما من أجود الأصناف وعلموا أسرار الصباغة، وصنعوا الورق، وأجروا عمليات كثيرة لدبغ الجلود وكان عملهم ذائع الصيت فى أوربة كلها وصنعوا الصبغات والروائح والأشربة، والسكر

من القصب ، وزرعوا أنواعا بديعة من الكروم ، وفلحوا أرضهم بطريقة علمية وكان نظام الري عندهم بديعا ، وعرفوا فضل زراعة الأزهار ، ونوعوا محاصيلهم تبعاً لنوع التربة وبزوا غيرهم في علم التلقيح فقد عرفوا كيف يحدثون أنواعا جديدة من الفواكه والأزهار ونقلوا من الشرق الى الغرب كثيرا من الأشجار والنبات ، وصنفوا في الزراعة كتباً علمية .

\*\*\*

ونحن لا يسعنا إلا الثناء على هذا الكاتب المجيد والمؤرخ العادل النزيه فهكذا تخدم الحقائق وبمثل هذا يجب أن يدون التاريخ

شحاته محمد الجويني

ناظر مدرسة آتياى البارود الابتدائية

\*\*\*

## الضوء والعمل

كثيراً ما يشعر الانسان بقابلية ورغبة شديدة في العمل فيقوم بمجهود كبير ويأتي بنتيجة أحسن وذلك للملائمة ضوء خاص لتأدية الأعمال العقلية والجسمانية ، وقد تزول القابلية والرغبة أو تقل فيضعف المجهود ويعقم الانتاج لعدم ملائمة بعض الأضواء للعمل ، وقد أثبت الأستاذ الدكتور روفر أن المقدرة على العمل والاسراع والدقة فيه لا تتأثر تأثيراً محسوساً في الأضاءة الطبيعية ، وأما إذا أحدثنا تغييراً وتحويراً في لون الضوء فإن الضوء الأصفر هو أصلحها وأكثرها مساعدة لتأدية الأعمال ويليها الأخضر ثم الأحمر فالأزرق ، وتتفق هذه النتيجة التي وصل اليها الدكتور روفر مع أبحاث وملاحظات « كورف » و « بيترس » حيث أثبتا أن حدة النظر تصل غايتها القصوى في الضوء الأصفر وتضعف في الضوء الأزرق ، ولذلك يمكن اعتبار الضوء الأصفر أفضل أنواع الانارة لزيادة قدرة الإنسان على العمل وأصلحها لوفرة الانتاج .

( مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية )



## الامثلية في التربية النفسية<sup>(١)</sup>

« لا يزول الشر ولا ينقطع البلاء عن دولة لم تحكمها  
فلاسفتها أو لم تحب ملوكها الحقيقة الصادقة »

أفلاطون<sup>(٢)</sup>

يريد أفلاطون بالفلسفة التفاني في حب الحقيقة الصادقة ، فهو بذلك يفرض في  
الفيلسوف حالة قلبية ووجدانية خاصة تستلزم الحاسة المطلقة بالحقيقة الصادقة والشجاعة  
في الصدق مع اغفال كل وجهات النظر الذاتية ، وكذلك كان يرى « بسمارك »<sup>(٣)</sup> أن  
الكفاءة والمقدرة السياسية تحتم الوفاء والاخلاص والأمانة .

يفرض أفلاطون في الفيلسوف وضوح الرأي وحدة الفكر ، يفرض فيه المقدرة  
على الوصول الى جوهر الأشياء دون أن تضله مصادفات وعوارض الحداث ، يريد فيه  
خلوص الرغبة وقوة الارادة ، الرغبة والارادة فيما يتطلبه التاريخ من كل فرد ومن كل  
أمة ألقت بزمام قيادتها وسياستها اليه في أى وقت من الأوقات ، فكل أمة لها مكانها  
وزمنها وعليها واجبها في تاريخ الانسانية ، فسياسة الفيلسوف في إدارة أمور الدولة يجب  
أن تكون سياسة الغايات والبواعث الخالصة ، سياسة النظر البعيد الثاقب والتمشى مع  
تسلسل المناسبات التاريخية العالمية .

وقد يستوجب تعريف ماهية السائس الفيلسوف على هذا الوجه التعيين والتحديد ،  
فلم يقصد بالفلسفة هنا الافسفة الكمال النفساني بمسحتها الاخلاقية وعقيدتها الراسخة  
بسلطان الفكر ، أو بعبارة أخرى فلسفة أنصار مثل الكمال الأعلى من فلاسفة الأغريق

(١) نقلا عن مقال للاستاذ الدكتور « بفانكوخه » في مجلة (Der Tuermer) الألمانية

(٢) هو أحد كبار فلاسفة الاغريق (٤٢٨ — ٣٤٨ ق م )

(٣) هو الامير أوتوفون بسمارك وزير ألمانيا الاول وكبير ساستها ( ١٨١٥ — ١٨٩٨ م )

والألمان من أفلاطون وأرسطو طاليس <sup>(١)</sup> إلى كانت <sup>(٢)</sup> وفيشته <sup>(٣)</sup> وهيجل <sup>(٤)</sup> ويتفق فيشته في الرأي مع أفلاطون في أن الفلسفة ليست وظيفة القريحة المفكرة فحسب ، بل هي حالة الانسان بأجمعه ، بوجدانه وأرادته .

ولقد صرح فيشته بذلك في قوله « ان فلسفة المرء تتوقف على ماهيه ونوع المرء نفسه » فالفيلسوف هو كل امرئ أصبح بكل ذاته — أى بتفكيره وشعوره وأرادته — في حالة متحدة ملتزمة إزاء المسائل والواجبات الدنيوية أو ما يعبر عنه أحيانا بالشخصية الفردية ، وليست التقوى في الواقع سوى وجهة وحالة خاصة من التفكير والشعور والارادة إزاء الشئون الدنيوية والدينية العليا ، وهنا تتلائم الديانة مع الفلسفة فكلاهما عائد على الانسان بأكمله .

يجدر بنا الآن أن نتقل الى جوهر الموضوع وهو مسألة التربية والتعليم ، وهنا نتساءل في صلاحية أساس بناء التعليم والتهديب الحاضر وملائمته لاعداد شعب يصلح من الوجهة الفلسفية لسياسة شئون الدولة والمسؤولية عنها .

قد سبق لنا الايضاح بأن الفيلسوف هو كل امرئ مفكر أصبح بتفكيره وشعوره وأرادته في حالة ملتزمة متحدة لا تتأثر حالته الروحية والنفسية بموارض الحداث ، فلم يقصد بالفلسفة أى فرع من علم خاص وإنما قصد بها ما هو أكثر من ذلك ، قصد بها الحكمة ، وقد أطلق عليها « فيشته » الانسانية بكل معاني الحكامة ، ويرى أنها الغرض الذى تطمح اليه التربية الصحيحة ، ويوصى بتعديدها بالانماء والرقى ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، فالظن اللبيب والحكيم العاقل والفاضل الصالح هو من يعرف أن ذلك هو ما تنشده الانسانية في هذه الحياة لدنيا وسر الوجود واليه تنتهى مساعى البشر .

فإذا شعرنا يوما بالافتقار الى الفيلسوف فانما يجب أن نلتزمه في الانسان الكامل ، فان الفلسفة ليست علما خاصا من العلوم النظامية وإنما هي علم الانسانية الجامعة ،

(١) هو احد كبار علماء وفلاسفة الاغريق وينطق عليه العرب المعلم الاول ٣٨٤ — ٣٢٢ ق.م )

(٢) هو امانويل كانت أحد كبار فلاسفة الالمان (١٧٢٤ — ١٨٠٤ م )

(٣) هو يوهان جو تليب فيشته أحد كبار فلاسفة الالمان ( ١٧٦٢ — ١٨١٤ م )

(٤) هو جورج فاهلر فريدريش هيجل أحد كبار فلاسفة الالمان ( ١٧٧٠ — ١٨٣١ م )

هى الحكمة التى تتعالى على جميع العلوم الخاصة وهى وحدها التى تورث هذه العلوم القدر والجلال ، هى الشئ الذى يجب أن يزود به الناشئ ، هى التعالى والاستقلال عن الزمان والمكان .

وليس كل استاذ فى الرياضة والعلوم الاجتماعية أو الفلسفية بفيلسوف بمعنى أنه انسان كامل ، فان هذه العلوم حتى الفلسفية منها قد انحطت وأنزل من قدرها الى أن أصبحت علوما نظامية ولم تزد فى الوقت الحاضر على التعليم الخاص من ناحية واحدة لا تهىء المرء لأن يكون انسانا كاملا وعضواً عاملا للانسانية من جميع النواحي .

وربما ارتقى العامل البسيط وسمى الى ذروة الحكمة الى أن أصبح نجما متألقا فى سماء الانسانية فلا يخلو مرشد فى الفلسفة من اسمه مثل بوييه <sup>(١)</sup> وسبينوزا <sup>(٢)</sup> كما أن سياسة بسمارك لم تكن صناعة خاصة أو عاملا نظاميا بل هى نتيجة فيض انسانية كاملة .

فطن فيشته الى جوهر البلاء ومكن الشر فى التربية والتعليم منذ نيف ومائة وعشرين عاما ورأى أن بناء الانسانية يتهدم لانقسامه الى اخصائيين متنافرين وتشتته فى أفراد مفككين غير متصلين فجاء فى رسائله <sup>(٣)</sup> ما معناه : « ان كل فرد يهتم باعداد نفسه للعمل الذى اختاره ، فيجهز الطفل منذ نعومة أظفاره لطريق خاص فى الحياة ويُعْتنى كل الاعتناء فى تربيته تربية صالحة تؤهله لعمله المستقبل ويُهمل كل ما ليس له به علاقة أو ما يمكن الاستغناء عنه ، وقد يترك الفتى الذى يعد نفسه لأن يكون يوما عالما جميع العلوم أو اللغات التى تعنى بالثقافة العامة أو العلم لذاته ويخصص حياته فى دراسة ما سواها من العلوم واللغات التى يحتاجها فى مستقبل حياته لمجرد كسب قوته ، فيشرب وهو يستهجن طرق الحياة الأخرى بقدر بعد بعضها عن بعض ، فيوجه الطبيب كل عنايته الى معرفة الدواء والقانونى الى تشريع بلاده، والتاجر الى فروع متجره، وهكذا يعمل كل فى واجبه ، وقد يكون ذلك سبباً فى وجود مزايا خاصة للمجموع ولل فرد على حد سواء ، الا

(١) هو يعقوب بوييه أحد علماء الالماني الرومانيين وكان من قبل صانع أحذية ( ١٥٧٥ — ١٦٢٤ )

(٢) هو بنديكتوس دي سبينوزا أحد الفلاسفة الهولنديين وكان من قبل عاملا فى مصنع زجاج المنظار ( ١٦٣٢ —

١٦٧٧ )

(٣) هى « رسائل فيشته الى كونستانت » وظهرت حديثا باسم « فلسفة الماسونية »

أن هذه التربية التخصصية تعد علاجاً ناقصاً ومعرفة جزئية لا تتسع إلا ل ناحية واحدة وتؤول عادة إلى الخذلان والتظاهر بالعلم والمعرفة ، فقد يعتقد كل منهم أن التربية الصحيحة التي تنشدها الإنسانية إنما هي الخاصة بعمله ووظيفته في الحياة ، وهكذا يرفع العالم المتخذل من قدر علومه ويحط من قدر ما سواها فيبذل كل وسعه في أن يفصح عن دقائق علومه في خطابه وأحاديثه إلى الجماعة ويحتهد في حمل الأفكار على الاتجاه إلى مورد ثقافته ، ويفعل مثل هذا التاجر المتخذل باحتقاره العالم وتبجيله للمادة وحدها ، ويحتقر الفارس هذا وذلك ولا يمجّد سوى القوة والنشاط الجثماني ، وهكذا يحتهد كل منهم في التأثير على جميع طبقات الناس لتربيتهم تربية جزئية تسبب التعصب والجُمود » وهكذا تهدم صروح الإنسانية الصحيحة بمعاول الاختصاصين ، وهذا فيه ما فيه من فساد وتلف للهئية الاجتماعية والدولة على حد سواء ، فينحصر تفكير وشعور وإرادة الناس في الذات والمنفعة الخاصة مهملين ما فيه المصلحة العامة الاجتماعية ويفقد المجموع مرتبته العليا وسيطرته ويفضي الأمر إلى العقم وعدم الكفاءة السياسية في تدبير شئون الدولة على الوجه الأكمل الصحيح ، بل وتفقد كلمة السياسة معناها الشريف وتأخذ معنى وشكلاً آخر خالياً من كل رونق وجمال .

لذلك يحذو « فيشته » حذو أفلاطون بمطالبته بتربية روح الإنسانية الكاملة لتجهيز الفلاسفة ، فذكر في خطابه إلى الشعب الألماني أن المشكلة السياسية ما هي إلا مسألة تربية شعبية وحمل على شيوع التخصيص في التعليم وذكر أنه منشأ كل شر وسبب البلية وذلك لامتياز الاختصاصين بسلطان واسع في تدبير شئون الدولة وكل منهم يسعى في توجيه كل العناية إلى تدريس فروع صناعته بالمدارس فتمتلاً عقول النشء بمواد العلوم وتغلب المادية في تفكيرهم وشعورهم وإرادتهم ، على أن الغرض الحقيقي من المدارس هو جعلها معاهد للتمرين العقلي وأن الغرض من تدريس القواعد والرياضة هو التضامن في لين ومرونة التفكير والشعور والإرادة وتحريرها من جور العوارض والأحداث ، فلا يجب اغفال أن قدر الحياة فوق قدر الغذاء ، فينبغي اختبار الطالب في مقدراته العلمية دون أن تفضل الإنسانية في تفكيره وشعوره أو إرادته بين فيض المواد البائدة .

ان ادخالنا مواد جديدة في التعليم للإصلاح كان سبباً في زيادة البلاء حتى ولو كانت هذه المواد للتربية الوطنية، إذ أن الطالب يستظهر مواد الدستور دون أن تنمو فيه الملكة السياسية الحقيقة التي ينشدها أفلاطون وفيشته .

ان الطريقة المثلى والعلاج الناجع انما هو في انقاص العلوم خصوصاً العلوم الطبيعية وتقليلها في مناهج التعليم العالى على وجه الخصوص .

ان عدم معرفة الطالب لكيفية تركيب الآلة اللاسلكية أو بناء القاطرة ليس يجالب عليه شراً مستطيراً، ولكن عدم معرفته لأثر كانت وفيشته وهيجل الفلسفى وأن يتم دراسته، ودراسته العالية دون أن يتغذى بروح المفكرين والفلاسفة والشعراء النابهين هذا مما لا يحمد عقباه، ان دراسة الدساتير وما شاكلها من الأمور اللازمة الضرورية ولكنهما فتئت رداء وأما الروح فهي وحدها باعثة الحياة .

فاذا أردنا السعادة والشفاء من هذا المرض الاجتماعى فعلينا بالأمثلية في التربية النفسية .



## اكتشاف جديد لمكافحة حمى الملاريا

جاء بمجلة (Kosmos) الألمانية أنه اتضح أخيراً أن نوعاً من السمك الصغير واسمه جامبوسيا ويطلق عليه أحياناً سمك البعوض يفتك ببويضات وديدان جميع أنواع البعوض، وهذا النوع من الأسماك لا يزيد طوله عن ٨ سم ولونه أخضر فاتح يقطن سواحل المكسيك الشرقية وجنوب الولايات المتحدة الأمريكية، ونقل بعض منه إلى جزائر « هوانى » بالمحيط الهادى وفرموزاو ماناليا وجاوه والصين، وأخيراً أرسلت منه كمية أيضاً إلى بعض الجهات فى إيطاليا الموبوءة بحمى الملاريا مثل منطقة مصب نهر التيرير ففتك بما لا يقل عن ٨٠ إلى ٩٠ فى المائة من ديدان وبويضات بعوض الملاريا، وتجربى الآن تجارب للاستفادة منه فى تطهير الجهات الموبوءة بهذه الحمى فى شبه جزيرة البلقان .

(١)

## مبادئ عامة

- ٢ -

في الاقتصاد السياسي

### الحالة الاقتصادية

٢ - تعريف الاقتصاد السياسي

التعريف : يعنى الاقتصاد السياسى بدرس العلاقات الاقتصادية التى أسلفنا الكلام عنها وكذا بدراسة أنواع النشاط الاقتصادية والاعمال التى يقوم بها الناس ويتبادلونها .

ويمكن أن نقول في تعريف الاقتصاد السياسى ان موضوعه هو النشاط الذى تقوم به هيئة من الناس تربطها صلات اجتماعية والذى تؤديه بالتضامن لسد حاجياتها المادية وزيادة هوائها ورخائها . أو بعبارة أخرى : ان موضوع الاقتصاد السياسى هو «الحياة الاقتصادية» .

تعاريف أخرى : قد وضع العلماء تعاريف أخرى للاقتصاد السياسى وكان خطأ بعض تلك التعاريف أن جعلت الاموال والثروات الموضوع المهم لدراسة الاقتصاد السياسى . فقد وضع الاستاذ ج . ب . سى ( J. B. Say ) في سنة ١٨٠٣ مؤلفا اسماه : «رسالة في الاقتصاد السياسى —أو— شرح موجز للطريقة التى تتكون بها الثروات وكيف توزع وتستهلك» . أما روسى ( Rossi ) فقد عرف الاقتصاد بأوجز من ذلك حيث قال انه « علم الثروات » ومن هذا التعريف استعمل الاقتصاديون لفظ ( Chrématisique ) ومعناه كل ماله علاقة بانتاج الثروات وكذا لفظ ( Ploutologie ) بمعنى « درس فى الثروات » أو « علم الثروات » كما لو كان

الاقتصاد السياسى على زعم بعضهم علما يختص قبل كل شىء بدراسة الاشياء المادية أو كما لو كان الناس قد خلقوا من أجل الاموال لا العكس أى لا كما لو كانت الأموال خلقت من أجل الناس ، فالثروات بالمعنى الذى يقصده سى ( Say ) لا توجد ولا تعتبر كثرات إلا بعلاقتها وبنسبتها للناس ، فهى تستخدم كوسائل لسد حاجياتهم ، وعلى هذا الاساس يعنى الاقتصاديون بدراستها والافان المأرب الاسمى هو أن ينتج المرء اكبر كمية ممكنة من البضائع بأقل ما يمكن من النفقات دون العناية بالانسان نفسه أكثر من العناية بآلة من الآلات وبدون الاهتمام بالظروف التى يؤدى فيها الانسان عمله ولا بالحصة التى تؤول الى كل عامل عند توزيع الاموال

العلاقات الأخرى التى بين الناس : لم يرتبط الناس بعضهم ببعض بروابط اقتصادية فحسب بل هم مرتبطون كذلك بروابط اللغة التى تسهل بقية العلاقات الأخرى وبروابط أدبية ودينية وقانونية وسياسية ، وكل رابطة من تلك الروابط هى موضوع علم قائم بذاته ، واذا كان الاقتصاد السياسى علما من العلوم — وهذا ما سندرسه فيما بعد — فهو فرع من مجموع العلوم الاجتماعية التى تبحث كلها فى دراسة الانسان بصفته كائنا حيا يعيش فى هيئة اجتماعية لكنها تعتبره من وجهات مختلفة ، إلا أنه توجد حتما بين تلك العلوم والاقتصاد السياسى نقط اتصال عديدة بسبب وحدة الموضوع وهو الانسان الاجتماعى المدنى بالطبع ولا سيما بين الاقتصاد السياسى والقانون وعلم الاخلاق . فهذه العلوم الثلاثة تبحث فى ثلاثة أوضاع مختلفة من نشاط الانسان والتى مواضعها هى على التوالى : (١) «سد حاجيات الانسان» (٢) «استعمال حقوقه» (٣) «اداء واجبه» .

الاقتصاد السياسى والقانون وعلم الاخلاق :

١ — توجد صلات وثيقة بين القانون والاقتصاد السياسى ، فنشاط الناس الاقتصادى يحدث داخل دائرة القانون المكونة من قواعد يجب على الناس مراعاتها مثل القواعد الخاصة بالملكية ونظام الموارث والعقود المدنية والتجارية والالتزامات التى تنشأ عنها

لكن المشرع عند ما يضع تلك القواعد يخضع لحدا ما لحكم بعض الظروف والشروط الاقتصادية الخاصة بهيئة من الهيئات الاجتماعية ، فكثير من تلك القواعد ماهو وليد حقا للضرورة الاقتصادية .

وكذلك القواعد القانونية فانه ينشأ كذلك عقب نشرها نتائج من شأنها أن تحدث تعديلا في الحالة الاقتصادية لهيئة من الهيئات الاجتماعية كما هو الحال مثلا في القوانين الخاصة بالوراثة التي لها تأثير عميق على توزيع ثروة الامة ، ويقال أحيانا—ولا سيما في المانية—ان الاقتصاد هو «مضمون الحياة الاجتماعية الخاص وان القانون هو شكلها»

٢— أما من حيث الروابط التي بين علم الاخلاق والاقتصاد السياسي — تلك الروابط التي يؤيدها البعض تارة وينكرونها تارة أخرى—فانه لابد من التمييز بينها، فعلم الاخلاق يعرف عادة بأنه ،علم الخير، ويشتمل على قواعد السلوك التي تعد في زمن معين من الازمان ولدى أمة معينة من الأمم كقواعد اضطرارية يجب على الاغلبية العظمى من أفرادها اتباعها بحيث أن كل مخالفة لتلك القواعد تحدث استياء عاما عند أعضاء الهيئة الاجتماعية . وهو (علم الاخلاق) مكون من مجموعة من الآراء عن الخير والعدل التي يرجع وجودها الى وجدان كل فرد من الافراد ويكون مجموعها الوجدان العام لشعب من الشعوب .

أما الاقتصاد السياسي البحث الذي موضوعه مقصور على البحث عن القوانين الاقتصادية .. وسيأتى الكلام عليه بتفصيل - فانه ليس علما يدعو الى مكارم الاخلاق كما أنه لا يتنافى مع علم الاخلاق لكنه لا هذا ولا ذاك وموقفه من علم الاخلاق موقف حياد لا موقف تعارض ولا موقف اتفاق كعلم الطبيعة والكيمياء فهو يقرر الوقائع ويفسرها ويبحث مثلا في استنباط القوانين الاقتصادية التي هي المسيطرة على تحديد أثمان الاشياء سواء أكان ذلك في أحوال حرية التجارة أم في أحوال احتكار البضائع ولكنه لا يشير باتباع أى عمل ولا يرسم أية خطة يجب اقتفاؤها ولا يعنى بأى واجب من الواجبات بينما علم الاخلاق يعين للناس الواجبات التي يتحتم عليهم



اتباعها ويتضمن فكرة الوجوب لاداء أمر من الأمور أو اجتناب عمل من الاعمال خشية تقرير الرأى العام وسخط الجمهور .

واما الاقتصاد السياسى التطبيقى فهو على خلاف ذلك ، وعلى الاخص الاقتصاد الاجتماعى ( وسياقى الكلام عنهما بتوسع ) فهو يبحث فى تحقيق قسط أعظم من السعادة لبنى الانسان وتقرير قواعد السلوك لتحسين حالة أصحاب الأجور من العمال وحالة العجزة والمرضى والموزين وعلى العموم حالة صغار الناس والضعفاء

واما الاقتصاد الاجتماعى الذى يتضمن فكرة : «أن هناك ضرورة الى وجود نظام مدبر ومطابق لفكرة تستمد روحها من العدل والانصاف» فهو مأخوذ تماما من علم الاخلاق فقد تضمن القوانين لتنظيم العمل والمنشآت المخصصة لتسهيل وتحسين وسائل المعيشة من حيث التغذية والسكن والصحة العمومية والتربية الاجتماعية والاقبال من نسبة الاخطار المختلفة بفضل صناديق التوفير والتأمين وجمعيات التعاون ولجعل العمال أكثر استقلالاً . كل ذلك مستمد من اعتبارات أساسها علم الاخلاق .

ولقد قيل بحق : «ان كل نظام اقتصادى يجب أن يكون من الوجهة الاجتماعية مؤسسا على العدل» أى حول فكرة مبنية على الفضيلة ، فالاقتصاد الاجتماعى يعمل على تطبيق مبدأ الفيلسوف الالمانى «قانت» القائل : «اعمل دائما كأنك تعتبر شخصية غيرك كغاية لا كوسيلة»

لاشك أن للشروط الاقتصادية تأثيرا على حياة الشعب الاجتماعية أى على جميع مظاهر نشاطه الأخرى (مثل المظاهر القانونية والحلقية والدينية والسياسية) إلا أن بعض المؤلفين قد بالغوا كثيرا فى مقدار ذلك التأثير اذ نسبوا اليه دورا راجحا جدا فادعوا ان كل المنشآت وكل معتقدات الناس يرجع أصلها وتفسيرها الى التكوين الاقتصادى للهيئة الاجتماعية . وسنعود لهذا الموضوع فيما بعد عند الكلام على نظرية التاريخ المادية

من أين جاء اسم الاقتصاد السياسى : - ان أول من استعمل لفظ اقتصاد

سياسى « هو انطوان مونكريتيان ( Antoine Monchrétien ) الذى ألف فى  
فرنسة عام ١٦١٥ رسالة فى الاقتصاد السياسى كانت متداولة فى فرنسة وخارجها فى  
غضون القرن الثامن عشر عند ما اقبل الناس كثيرا على دراسة الاقتصاد السياسى  
الا ان هذا اللفظ لم يصادفه حسن الاختيار لأن معناه يدل من الوجهة اللغوية على  
«ادارة شئون المدينة» مما يحمل على الظن بأن الاقتصاد هو فن الحصول على إيرادات  
للمدينة أو للدولة ويلتبس ذلك مع مانسميه «باسم علم المالية» ولقد استعملت الفاظ  
غيره فى فرنسة وخلافها من البلدان الا أنها لم تصادف نجاحا للتغلب على شيوع استعمال لفظ  
الاقتصاد السياسى رغما عما به من العيوب والقصور عن تأدية المعنى المراد .  
( يتبع )



## العثور على نباتات سامة جديدة

أرسل معهد « سمشون » بواشنطن بطون بعثة من العلماء الباحثين إلى منابع نهر  
الأمازون بأمريكا الجنوبية لبحث ودراسة النباتات الغريبة فى هذه البقاع ، وقد عادت  
هذه البعثة قريبا واستحضرت معها ما يقرب من ثلاث آلاف نوع مختلف من النباتات  
بينها الكثير من النباتات السامة ، يشبه بعضها فى التركيب عنقود العنب ويطلق عليها  
الهنود اسم « كابي » ولا تأثير لها بتاتا لو أكلت طازجة أما لو أكلها الإنسان بعد جفافها  
فيكون لها تأثير مغيب كالأفيون ، ومن هذه النباتات السامة أيضا ما يستعمله أهالى هذه  
البقاع بأمريكا الجنوبية فى صيد الأسماك ، فهي تحتوى فى الساق مادة يبيض تشبه اللبن  
إذا ألقيت فى مياه الأنهار أصابت الأسماك باغماء فتطفو على سطح الماء دون أن تصيب  
لحومها بتأثير سيء .  
( مترجمة عن مجلة Umshau الألمانية )

## الرؤية عن بعد

يرجع اختراع الآلات «الرؤية» الى سنة ١٨٨٤ التي اخترع فيها نيبكاو أول آلة «رؤية» ومن ثم أخذت تتطور بتطور المسرة و «اللاسلكي» الى أن قام جنكز بأمرية ويرد بريطانية سنة ١٩٢٥ بعدة تجارب كان نصيبها النجاح وتلتها شركة المسرات والمراقم الكهربائية (التلغرافات) الأمريكية بأول تجربة عام سنة ١٩٢٧ حيث نجحت في ارسال عدة صور من مدينة واشنطن الى مدينة نيويورك ، وفي سنة ١٩٢٨ أعلن بيرد امكان نقل الصور عرض المحيط الأطلنطي ولم يكن هذا النقل قاصرا على الصور العادية فحسب بل شمل الصور الملونة أيضا .  
ومن ذلك الوقت أخذ هذا الاختراع في التقدم السريع الا أنه لم يزل الى يومنا هذا في دور الاصلاح والتحسين .

نظرية الرؤية عن بعد :

تتضمن نظرية الرؤية عن بعد تحويل الضوء الى اشارات كهربائية ثم ارسال هذه الاشارات الى مكان بعيد ثم احالتها الى ضوء من جديد ، فاذا أمكن القيام بهذه العمليات الثلاث بسرعة ودقة كافيتين تسر نقل صور كاملة سواء كانت ثابتة أو متحركة .  
وقد يكون من السهل القيام بهذه العمليات لو أن كل مايراد ارساله هو اشارة ضوئية واحدة ولكن لا بد لنقل صورة كاملة من ارسال عدد كبير من الاشارات في برهة وجيزة .

فاذا علمت أن كل صورة تتكون من عدد كبير جدا من المساحات والاجزاء ينبعث من كل منها ضياء يختلف عن المنبعث من الأخرى وأن طبقة العين الشبكية ذات الأشكال المخروطية والطولية تقوم بتحليل الصورة التي تقع عليها العين الى أجزاء صغيرة تنقلها شعبيات عصب النظر العديدة الى الذهن — تبين لك كيف يمكن نظريا نقل الصور بتعريفها لعدد كبير من القوارير الكهربائية الحساسة وتوصيل كل منها بمجرى كهربائي يقوم بارسال الاشارات الكهربائية الى مكان بعيد .

غير أن هذه الطريقة المتشعبة ليست ميسورة في العمل فقد استعانوا في التجارب التي نجحت بطريقة تعرف «بطريقة الامعان» وهي الطريقة التي يمكن بها نقل الصورة بحذاويرها نقطة نقطة بارسال الاشارات المناسبة لدرجة الضوء المنبعث من كل نقطة من حيث القوة والضعف وهي مستعملة في ارسال الصور الثابتة التي يستغرق ارسالها بضع دقائق ولكن الأمر يختلف في حالة الصور المتحركة حيث يجب أن لا يستغرق نقلها أكثر من جزء صغير من الثانية (نحو  $\frac{1}{10}$  منها) حتى تبدو كاملة وحتى يمكن أن تتغير أشكالها بسرعة كافية تبعاً لحركة الشيء المرئي بدون أن يعمدوا الصورة أدنى اضطراب .

### جهاز الامعان :

هناك عدة طرق لرؤية الصور بسرعة منها طريقة المرايا المتذبذبة وطريقة الاقراص الدائرة ، وقد وجدوا بالتجربة أن الطريقة الأخيرة هي الطريقة المثلى وهي تشتمل على قرص مستدير به ثقوب صغيرة تتخذ في مجموعها شكلاً «حلزونياً» فإذا أدير هذا القرص فإن كل ثقب يمر بدوره أمام منطقة الرؤية وبذلك يمكن رؤية الصورة كلها عند تمام كل دورة . وقد وجدوا أن أفضل طريقة لاستعمال هذا القرص هي أن تلقى صورة المنظر المراد نقله خلال عدسة على ثغرة في القرص مصنوعة بشكل وحجم خاص بحيث يمكن تعريض ثقب واحد فقط للصورة المراد نقلها ، فبادارة القرص من ١٥ الى ٢٠ دورة في الثانية تظهر الصورة التي تنفذ من الثقوب تامة ثابتة ولو أنها في الواقع مكونة من اشارات ضوئية يأتي بعضها أثر البعض .

### تحويل الضوء الى اشارات كهربائية :

يستعمل للحصول على تيارات كهربائية من الضوء الذي ينفذ خلال ثقوب قرص الامعان مادة تتأثر بالضوء يجب أن تكون سريعة التأثير وأن ينبعث منها تيارات ذات قوة خاصة يمكن ارسالها بوسائل الارسال العادية كاسلاك المسرة مثلاً .

ولهذا الغرض استعملوا في التجارب الأولى مادة السليمنيم <sup>(١)</sup> غير أنه ظهر أنه بطيء التأثير فاستعانوا في التجارب الحديثة بالقارورة الكهربائية وهذه مكونة من أنبوبة زجاجية على جدرانها الداخلية طبقة من معدن قلوى كالپوتاسيوم ويمكن تفريغ الأنبوبة من الهواء أو ملؤها بغاز عديم الحركة كالأرجون <sup>(٢)</sup> فيسبب وقوع الضوء على هذا السطح انبعاث الذرات الكهربائية السالبة (الالكترونات) ويتولد بذلك تيار كهربائى لا يكون تأثيره وقتيا فحسب بل معادلا لقوة الضوء أيضا .

ومن الضرورى قبل الارسال مضاعفة التيارات الكهربائية الناتجة بواسطة مضغفات مدرعة ويرجع نجاح الرؤية عن بعد فى الواقع الى التحسين الذى تناول هذه المضغفات .  
الارسال :- اذا عرضت الصورة المراد ارسالها لجهاز امعان به خمسون ثقباً فتحليل الصورة يعادل تقسيمها الى ٥٠ فى ٥٠ أو ٢٥٠٠ جزء فيجب لتكون صورة متسقة لا انقطاع فيها أن تمر هذه الصورة بتمامها بجهاز الامعان نحو عشرين مرة فى الثانية الواحدة وهذا معناه ارسال اشارات كهربائية تعادل ٢٥٠٠ فى ٢٠ أو ٥٠.٠٠٠ جزء فى الثانية وهو مايساوى كهربائياً ٢٥٠.٠٠٠ دورة فى الثانية تقريباً ، فاذا علمت أن ارسال الكلام بالمسرة يستلزم من الاشارات الكهربائية مايساوى ٢٠٠٠ دورة فى الثانية تقريباً وبالاسلكى يستلزم مايساوى ٥٠٠ دورة فى الثانية اتضح لك مايستلزمه ارسال صورة عادية من الوسائل الفائقة والمجهود الفنى العظيم .

ويتم ارسال اشارات الرؤية عن بعد بطريق سلكى أو لاسلكى فى الأول ترسل الاشارات فى الاسلاك بالطريق المعتاد وفى الثانى ترسل الاشارات بواسطة آلة مرسل ذات قوة مناسبة .

تلقى الصور :- ان أسهل طريقة توصلوا اليها لاعادة تركيب الصور المرسله هى طريقة القرص ذى الثقوب المتخذة شكلاً « حلزونياً » كالقرص الذى فى الطرف الناقل

(١) السليمنيم مادة معدنية تختلف مقاومتها للتيار الكهربائى الواقع عليها باختلاف درجة الضوء .

(٢) الارجون أحد الغازات الموجودة بالجو اكتشفه رايليه وارمى سنة ١٨٩٤

فاذا أريد تلقى صورة ما يوضع ازاء هذا القرص منبع للضوء يمكن رؤيته خلاله ويتبع القرص بدقة كل تغيير في قوة الاشارات الواردة من حيث الضياء والاقتام وقد وجدوا أن أفضل منبع للضوء هو مصباح غاز النيون<sup>(١)</sup> المتوهج الذى ينير منطقة الرؤية انارة تامة فاذا مادار القرص بسرعة وراقبه الناظر رأى نقطا ساطعة من الضوء قوتها تعادل قوة الاشارات الواردة وهذه تعادل بدورها التيار الكهربائى الصادر من طرف الارسال أو بمعنى آخر تعادل قوة ضياء أجزاء الصورة المراد ارسالها .

ويرى الناظر -بامعان النظر- منطقة مضاءة اضاءة تامة تختلف اجزاؤها عتمة وسطوعا فاذا كان قرص التلقى دائريا بنفس السرعة التى يدور بها قرص الارسال ويتبعه فى تغيره بدقة كانت الصورة فى الطرف المتلقى ماثلة للصورة الأصلية فى طرف الارسال .

ولسألة اتفاق السرعتين هذه أهمية كبرى فى نجاح نقل الصور حيث يجب لنقل منظر نقلا دقيقا أن تكون سرعتا القرصين متطابقتين بدرجة فائقة فان مجرد تغير سرعة أحدهما عن الآخر ولو تغيرا تافها يؤدى الى اهتزاز الصورة المتلقاه وتشوهها فتخرج كدرة غير واضحة.



(١) غاز النيون هو غاز أو خليط من غازات اكتشفه السير وليم رامسى .

## الجلد سياج لجسم الانسان

جلد الانسان هو أول ما يقع عليه نظرنا واليه يرجع غالبا حكمنا على المرء من الوجهة الصحية لأول وهلة ، ولذا كانت العناية بالجلد على أصول علمية صحيحة من أول الواجبات التي ينبغى الاهتمام بها وتعهدها دائما بالا صلاح والوقاية ، فكلنا نعرف أى أثر يتركه منظر المرء الخارجى فى أنفسنا اذا كان هذا المظهر غير معتنى به ، وكثيرا ما تقدر أعمار الناس بمجرد النظر الى جلد وجوههم وأيديهم

فلا عجب اذن اذا دعونا الى العناية بالجلد في هذا العصر ، عصر التقدم والمعرفة وتطبيق العلم على العمل .

فاذا قلنا ان جلد الانسان هو السياج الذى وهبنا اياه سبحانه وتعالى ليقينا شر تأثيرات العوامل الخارجية وليتمم علينا صورتنا الجميلة فاننا بذلك لم ندع غير الحقيقة ولم نذكر غير الواقع الصحيح .

وليس الجلد سياجا يحول دون التأثيرات الخارجية فحسب ، بل هو بطبيعته العضوية يحمينا من التأثيرات الكيميائية والجراثومية الداخلية ، فهو بذلك مرآة تفصح في غالب الأحوال عن حالة المرء الصحية ، هذا الى أنه كثيرا ما يشف عن الحالة النفسية والوجدانية .

ومن الحقائق الغريبة والتي لم يهتم بها العلم من قبل أن الأمراض الجسمية التي تعترى جلد الانسان لا تصيب الأعضاء الداخلية بعطب أو أذى ، كما أن الأمراض التي تصيب الأطفال مثل الحصبة والحمى القرمزية تخف وطأتها اذا كانت مصحوبة بطفح جلدى .

فكل هذه الأمور جعلت الاعتقاد سائدا بين عامة الناس بأن الأمراض لا يخشى وقعها اذا ظهر طفحها على الجلد .  
والجلد يوصل أشعة الضوء الى الأعضاء الداخلية ويخفف من تأثيرها عليها

وبدونه تصبح ضحية لتأثيرات أشعة الشمس فوق البنفسجية ذات الأمواج القصيرة<sup>(١)</sup> القاسية ولعرضت أعضاؤنا الداخلية الى التهلكة ولكن الطبقة الجلدية تقف في طريقها وتفسد قوة صدماتها ثم تترك الاشعة ذات الأمواج الطويلة تنفذ لتنشيط تكوين المادة الملونة في خلايا الجلد .

وهذه المادة الملونة هي من أهم ماينتجه الجلد من المواد الواقية وهي في المناطق الحارة غزيرة وكثيرة حتى أنها ترى حالكة السواد في بعض الأحيان وذلك لشدة أشعة الشمس في هذه الجهات ، ولا يقتصر اثبات أثر هذا الحُضاب على ذلك فحسب بل ان له في أمراض مختلفة أثرا عظيما .

ولقد اتضح أخيرا أن التدرن الرؤى (السل) يكون أخف وطأة وأبطأ سريانا وأقل خطرا اذا أصيب به ذو البشرة السمراء كما أنه لوحظ أن المصابين بهذا المرض الخطر كثيرا مايتغير لون بشرتهم فتأخذ لونا قاتما ، ويغلب على الظن أن لذلك علاقة بعملية الدفاع ضد شدة هذا المرض .

ولا يخفى أنه بزيادة حصانة الجلد ندفع عن أجسامنا أمراضا كثيرة ، وعلى هذه القاعدة بنيت عملية التطعيم .

ولقد يكون من الصواب أن نذكر شيئا عن خواص الجلد الحيوية الأخرى بعد أن أشرنا فيما سلف الى خواصه فيما يتعلق بالدفاع عن باقى الأعضاء الداخلية في الجسم . يتنفس الانسان بواسطة الجلد بقدر  $\frac{1}{3}$  مما يحتاجه في عملية التنفس ، ولو

أخذت هذه النسبة مجردة لظهرت ضئيلة ، الا أن أهمية هذا الجزء الصغير في التنفس يتضح لنا جليا اذا علمنا أن الانسان يموت اختناقا اذا احترق ثلث جلده ، وقد تظهر أهمية التنفس بواسطة الجلد في أجلى مظاهرها في الحيوانات ذات الدم البارد كالضفادع مثلا التى تحتاج الى الجلد في التنفس بما يقرب من ثلثى مقداره ، ويمكن للانسان أن يربط الرئة فيمنعها عن أداء وظيفة التنفس دون أن يعرض حياة هذا

(١) أشعة الشمس اذا حلت بالعدسة فانها تتراوح بين ماتحت الأشعة الحمراء ذات الامواج الطويلة نسبيا والذبذبات البطيئة الى ما فوق الأشعة البنفسجية ذات الامواج القصيرة والذبذبات الكبيرة



الحيوان الى خطر ، ولكنه اذا غمرها في الزيت ومنع الجلد بذلك عن أداء وظيفة التنفس فانها تموت محتقة في الحال .

ولزيادة الثبت من أداء الجلد لهذا العمل يجدر بنا ذكر بعض الارقام التي تدل دلالة واضحة على أن الجلد هو من أكثر أعضاء جسم الانسان نشاطا ، ففي درجات الحرارة العادية يفرز الانسان من خلال الجلد ٢٨ جرام ماء في كل ساعة ومن ٨ الى ١٠ جرامات «حامض الكربونيك» في كل ٢٤ ساعة ، وتتضاعف هذه الكميات بارتفاع درجة الحرارة أو زيادة العمل والحركة ، ويحتوى عرق الانسان على ٦٦ في المائة من ملح الطعام ، وينتج الجلد يوميا ١٠ جرام من مادة الشعر ، على أن الانسان يفرز بواسطة الجلد زيادة عما ذكر مواد أخرى مختلفة كثيرة كالحامض البولى .

هذا : الى أن الجلد يتتص مواد أخرى خارجية ويوصلها الى باقى الأعضاء ، فبواسطته يدخل  $\frac{1}{3}$  من الأكسجين الذى يحتاجه جسم الانسان ، كما أن كثيرا من الأدوية تصل الى دورة الجسم اذا ذلك بها الجلد ، وقد لوحظ انخفاض كميته السكر في الدم اذا ذلك الجسم «بالانسولين»<sup>(١)</sup>

وللجلد تأثير كبير على جميع الافرازات الداخلية ، كما يتضح اختلال هذه الافرازات على الجلد ، فاجهاد الغدة الدرقية<sup>(٢)</sup> ينتج عنه تقشف الجلد فيجف ويتشقق ، وخمولها يسبب انتفاخه فيصبح اسفنجيا ، ويرجع ذلك الى اختلال المجموعة العصبية النباتية فى الحالة الاولى واختلال الدورة الجيرية فى الحالة الثانية ، ومن هذا يتضح لنا طريق علاج ووقاية الجلد .

كان قياصرة الرومان قديما يغتسلون بماء الحلبية<sup>(٣)</sup> لما يحتويه من مواد دهنية وجيرية ، فالمواد الجيرية تساعد على حصانة الأوعية الدموية وتخفيض قابلية الجلد

(١) الانسولين هو دواء مرض السكر ويعطى عادة بواسطة الحقن تحت الجلد

(٢) الغدة الدرقية هى غدة فى أعلا الترقوة ولها افرازات داخلية حيوية هامة وسميت درقية لانها على شكل درقة

(٣) الحلبية نبات طبي معروف عالميا باسم «بوفورويا»

للالتهابات وتنبيه المجموعة العصبية كما أن المواد الدهنية تساعد على زيادة سيلان الدم كما أثبت ذلك العلم حديثاً حيث أن الدم لا يتجمد بسرعة في الأواني الشحمية ، وتساعد الخضروات الأملاح الجيرية في عملها ، وعلى ذلك يمكننا أن نعتبر أن أحسن طريق لعلاج ووقاية الجلد هو الاكثار من الأغذية الغنية بأملاحها الجيرية والاكثار من شرب اللبن واستعمال المساحيق ذات الأملاح الجيرية والمرامهم الدهنية دون أن يؤدي ذلك الى سد مسام الجلد .

وبما أن الجلد يتنصص مواد أخرى تحل المواد الدهنية فينبغي تدليكه من آن لآخر بالكحول النقي كما ينبغي تجنب الاكثار من أكل اللحوم حتى لا يكثر افراز الحامض البولي الذي يتلف رونق الجلد .

## تأثير درجة الحرارة على النباتات

لكل نوع من النباتات درجة حرارة خاصة ينمو فيها نمواً حسناً مضطرباً ، ولهذا السبب يرجع عقم كثير من أنواع النباتات إذا نقلت من مكانها إلى ناحية أخرى قد لا تكون درجة حرارتها كافية لنموها الطبيعي ، ودرجة الحرارة المرتفعة ضارة بالنبات ضرر درجة البرودة المنخفضة ، فالحرارة الشديدة قد تسبب موت النبات ، إلا أن هناك أنواعاً تتحمل أشد درجات الحرارة ارتفاعاً وبعضها يستلزم ارتفاع الحرارة لنموه ، كما أن كثيراً من النبات ما يدفع عن نفسه البرد القارص بواسطة قشور البرعم وشعيراته الرديئة التوصيل للحرارة ، كما يتوسل لذلك في بعض الأحيان بتقليل عصيره أو تغيير تركيب هذا العصير تغييراً كمائياً وعلى الأخص في الغصون ، إلا أن هناك نباتات تتحمل درجة حرارة منخفضة جداً مثل أشجار الصنوبر التي تنبت في سيبيريا وألاسكا وكندا ومثل نباتات القطب التي تعيش في درجات حرارة واطئة جداً .

## الغواصات وكيف تغوص<sup>(١)</sup>

يبتدىء تاريخ الغواصات من سنة ١٦٢٠ حين أنشأ كورنيليوس فان در بل وهو رجل هولاندى كان فى خدمة چايس الأول ملك إنجلترا غواصة سيرها اثنا عشر مجذفاً على عمق يتراوح بين اثنى عشر وخمسة عشر قدماً لبضع ساعات بنهر التيمس وجاء بعد فان در بل كثيرون فى القرنين السابع عشر والثامن عشر وضع بعضهم تصميمات وأنشأ البعض الآخر غواصات ولكن لم تستعمل الغواصات فى الأغراض الحربية حتى سنة ١٧٧٦ . فى تلك السنة حاولت الغواصة الأمريكية «ترتل» ( السلحفاة ) إغراق السفينة الحربية الانجليزية « إيجل » ( النسر ) التى كانت راسية على مسافة من نيويورك بوضع عمارة من ملح البارود فى أسفلها بواسطة مثقاب لولبى ولكنها أخفقت فى سعيها حيث لم يقو المثقاب على خرق صفائح السفينة النحاسية وعادت الغواصة أدراجها .

وفى ليلة ١٧ فبراير سنة ١٨٦٤ إبّان الحرب الأمريكية الأهلية غرقت السفينة «هوساتونيك» التى كانت تحاصر مدينة شارلستون<sup>(٢)</sup> بنساف بحرى أرسلته عليها غواصة فكان ذلك أول مرة فى التاريخ أغرقت فيها غواصة سفينة حربية .

وكثرت بعد ذلك التجارب فى فرنسا والولايات المتحدة وكان التقدم فيها بطيئاً إلا أنه كان مؤكداً، وأخيراً قررت السلطات البحرية فى البلدين أن الغواصات قد بلغت درجة من التقدم تبرر إدماجها ضمن قواتها البحرية .

فأنشأت فرنسا الغواصة « جيمنوت » ( ثعبان البحر ) فى سنة ١٨٨٦ وأنزلت إلى البحر سنة ١٨٨٨ ، وأنشأت الولايات المتحدة عدة غواصات أنزلت أولها سنة ١٨٧٥ وحذت حذوها ألمانيا حيث أنزلت غواصتين سنة ١٨٩٠ وأنزلت إيطالية أول غواصة لها سنة ١٨٩٢ وتلتها بريطانيا بخمس غواصات سنة ١٩٠٠ .

كيف تغوص الغواصات :

تغوص الغواصة بامتلاء عدة خزانات تسمى « خزانات الثقل »<sup>(٣)</sup> الرئيسية « بالمياه

(١) عن دائرة المعارف البريطانية (٢) ميناء على المحيط الأطلنطى بالولايات المتحدة (٣) الصبارة

امتلاء تاما وعدة خزانات أخرى صغيرة امتلاء جزئيا . فاذا ملئت هذه الخزانات أخذت الغواصة في الهبوط وإذا أفرغت طفت الغواصة على سطح الماء . وأهم هذه الخزانات هي « خزانات الثقل الرئيسية » التي إذا امتلأت امتلاء تاما استحال على الغواصة أن تطفو على سطح الماء ، ولكل خزان صمام في أسفله لدخول المياه وخروجها ومنفذ في أعلاه لخروج الهواء وانبوبة يدخل منها الهواء المضغوط إلى الخزان لدفع المياه ، فعندما تكون الغواصة طافية على سطح الماء يفتح الصمام الأسفل ويقفل المنفذ الأعلى فيمنع ضغط الهواء ازدياد المياه بالخزان ، وعندما تغوص الغواصة تفتح منافذ الهواء بخزانات الثقل الرئيسية كلها فتغمر المياه الخزانات ويخرج الهواء من هذه المنافذ حتى تمتلأ الخزانات فتقفل المنافذ . وقد غاصت الغواصة « نارفال » ( الحوت ) في تجربتها الأولى في خمس وعشرين دقيقة ونقصت هذه المدة إلى اثنتي عشرة دقيقة بعد تدريب البحارة ، وأظهرت الحرب الكبرى أن الوقت الذي تغوص فيه الغواصة عامل جوهري في تجنب طلقات الدافع أو المصادمة فزادوا عدد الصمامات والمنافذ حتى تستطيع الغواصة أن تغوص الآن في دقيقة أو دقيقتين على الأكثر ، فعندما تهبط تحت سطح الماء تكون صمامات الامتلاء مفتوحة كما أسلفنا ومنافذ الهواء محكمة القفل وتطفو على سطح الماء بادخال الهواء المضغوط إلى الخزانات فيدفع المياه إلى أسفل ومن ثم إلى البحر .

ويهيمن ضباط المراقبة على هذه الصمامات والمنافذ فاذا التقت الغواصة وهي على سطح الماء بمركب حربي للعدو كانت خزانات ثقلها الرئيسية ممتلئة بالماء امتلاء جزئيا لتضمن سرعة غوصها ، فان كانت ممتلئة إلى النصف قيل انها « طافية نصف طفو » وإن كانت ممتلئة إلى الثلاث أرباع قيل انها « طافية ربع طفو » وإن كانت شاغرة قيل انها « طافية طفوا تاما » .

وتكون الغواصة في حالة « الثقل التام » أو في حالة الاستعداد للغوص إذا غاصت مباشرة على أثر امتلاء الخزانات الرئيسية ويجب أن تكون دائما على هذه الحال في وقت الحرب والمناورات .

وعلى الضباط المنوط بهم قيادتها أن يكونوا على تمام الأهبة بالمحافظة على هذه الحالة

الخاصة وأن لا تغمض لهم عين في مراقبه تقص الثقل وازدياده بادخال المياه وإخراجها من الخزانات ، ولهذا الغرض أنشأوا ما يسمى « بخزانات التعويض » أو « خزانات الثقل الاضافية » في كلا جانبي الغواصة وطرفيها ، ولهذا الخزانات صمامات امتلاء ومنافذ هواء وأنايب لإدخال الهواء ومقاييس تبين مقدار الماء بها في أى وقت .

وزيت الحريق المستعمل في تسيير الغواصات هو المادة الأساسية التي تحتاج لتعويض ما ينفذ منها حيث يخزن هذا الزيت في خزانات تملأ ملاً تاماً تكون متقابلة الوضع طولاً وعرضاً، فإذا احتاجوا إلى زيت من أحد الخزانات أدخلوا ماء البحر إلى قاع الخزان فيندفع الزيت إلى غرفة آلات تسيير الغواصة من أنبوب في أعلاه ، ويمنع الفرق بين كشائتي مياه البحر وزيت الحريق امتزاجهما ، ولكنه يؤدي إلى زيادة في الثقل العام كلما استهلكت الآلات الزيت .

فمثلاً إذا كان ثقل زيت الحريق النوعى هو ٩ و ٠ وأفرع خزان سعته ٥٠٠ قدم مكعب منه وملئ هذا الخزان بمياه البحر فإن الثقل يزداد ٣٩٠٠ رطلاً<sup>(١)</sup> . وهذا الوزن من الماء يجب تفريغه من خزانات التعويض أو « خزانات الثقل الاضافية » .

وهناك مواد أخرى كالشحمة والذخائر والقنابل والمأكولات والماء العذب ألح يجب الاستعاضة عن ثقلها كلما استهلكت باضافة ثقل يساويها من ماء البحر فترى من ذلك ما لعملية التعويض من الأهمية الكبرى ولذا توكل مسؤوليتها إلى ضابط خبير يعهد اليه بمراقبة ما يطرأ على مخازن المواد المستهلكة ومقدار الماء في جميع الخزانات من ضروب التغير فيتيسر له بمراجعة الأثقال في كل فترة أن يبقى الغواصة غائصة تحت سطح الماء .

## العلم يحمينا من سطو اللصوص

( مترجمة عن مجلة « العلم والحياة » الفرنسية ( La Saence et La Vie ) )

التقدم العلمى سلاح ذو حدين اذ أنه وان كان يتيح لنا اصلاح شئوننا المعاشية فانه كذلك وسيلة في يد النفوس الشريرة للهدم والتخريب ولذلك نرى اللصوص فى العصر الحالى مجهزين بآلات كاملة الدقة واستعداد مثل « بورياء » الصائغ<sup>(١)</sup> التى هى نموذج لأشد الآلات تأثيرا للسطو على خزانات النقود الحديدية لكن العلم النافع لم يشأ أن يقر بالعجز والانهمام أمام تلك الآلة لأن الخزانة الحديدية أصبحت الآن بفضل التقدم العلمى كأنها حصن صغير منيع يصعب السطو عليها بواسطة شعلة البورية « الصاهرة » بل وأكثر من ذلك فقد أكملت الوسائل لحماية الخزانة بأعداد ارساد حقيقية لها تؤذن بوجود اللصوص قبل السطو عليها ، وهى عبارة عن آلات اخطار كهربائية حديثة سريعة التأثير من أقل اهتزاز ومن أخفت صوت عند اقتراب أى جسم أجنبي منها كجسم الانسان وهى تخطر فى الحال الحارس بوجود اللصوص بمجرد دخولهم المكان الموجودة به الخزانة .

ولأيهما يكون الفوز للقنبلة أم للمدرعة ؟

نشاهد كل يوم العراك القائم بين تحسين وسائل الهجوم وبين طرق الدفاع العلمية ، وهذا العراك الذى يظهر لنا بأجلى معانيه فيما هو خاص بالدفاع عن الوطن يجرى كذلك فى ظل المعامل العلمية من الوجهة الاجتماعية لمقاومة اللصوص ، أو ليس الامر خاصا بالدفاع عن المال وهو الركن الاساسى للحياة الاجتماعية ، قد بلغت الخزانة من التحصين مبلغا يدعو للدهشة والاعجاب بحيث تستطيع أن تقاوم كل محاولات اللصوص المستمرة الذين بلغت طرق سطوهم درجة مزعجة

انها اذن لحرب تدور رحاها بين الخير والشر وتتطور وتتسع أمام أعيننا . ولكن - لحسن الحظ - سنرى قريبا أننا مجهزون بأسلحة قوية فيما اذا أردنا أن

(١) عبارة عن غاية ينفخ فيها الصائغ لاصهار المعادن واذابتها بواسطة غاز الاوكسيجين والاستلين .

نستفيد من تقدم الصناعات الذى حصل في خلال السنين الاخيرة .  
آلات الاخطار : أرصاد الدفاع

هذا ولما كانت هناك حرب بين الحير والشر فلا عجب أن يكون هنالك نظام للدفاع يسير على منوال الخطط الحربية للدفاع ضد غارة اللصوص، وما هو اذن عمل وحدة من وحدات الجيش ؟ انها تضع أمامها الارصاد المكلفة باعطاء اشارة الاخطار لتحاشي أية مفاجأة أو أى هجوم على غرة ، وعمل هذه الارصاد ينحصر فقط في التنبيه حتى يكون لدى قسم الدفاع الوقت الكافي لأخذ الأبهة والاستعداد .

والغرض من الخزائن الحديدية هو أن تكون حصنا منيعا لحماية الاشياء القيمة التى نحرزها — من السرقة والتعطيم ، وسنرى هنا أننا إذا أحسنا اختيارها سنجندها قائمة بحماية الاشياء المودعة بها خير قيام، ولكن أليس من المفيد أن نجهزها بأرصاد نائية بوضع آلات بعيدة عنها من شأنها أن تعطى اشارة الاخطار في حال اقتراب العدو كما هو الحال في أعظم المنشآت الحربية الهائلة المجهزة بمراكز للحراسة والانصات؟ لقد أجب على هذا التساؤل بالإيجاب منذ زمن بعيد باستعمال الاجراس اذ يعرف جميع الناس أن ليس هناك أسهل من اىصال القفل بتيار كهربائى يجعل الناقوس يدق دقات الاخطار .

وقد استعمل كثيرا هذا الجهاز منذ زمن طويل على أبواب المخازن التجارية والنوافذ وواجهات الحوانيت وغيرها

ولكن مما يؤسف له أن نظام هذا الجهاز العتيق قد يختل ويقف عن العمل بسبب تلف الاسلاك من طول الاستعمال أو تعطيل التيار ، وفضلا على ذلك فإن اللصوص لم يعتادوا أن يدخلوا دائما البيوت من أبوابها .

الارصاد الحديثة : لقد توصلنا الآن بفضل التقدم العلمى الى صنع آلات أكثر ضمانا اذ قد انشئ ثلاثة نماذج من الارصاد يمكن أن تكون موضع الثقة التامة وهى الآلات السريعة الارتجاف والآلات ذات القوة الكهربائية الكامنة والآلات

ذات الاشعة الحمراء المنحرفة :

(١) الآلات السريعة الارتجاف :- هى عبارة عن آلات ارساد حقيقية دقيقة جدا وهى من طراز مرصد الزلازل ومجهزة بآلات لتعظيم الصوت تذبذب في دائرة معينة أقل الاختلاجات واخفت الاصوات .

فاذا وضعت تلك الآلات المعظمة للصوت والسهلة التركيب في مخزن تجارى أو في الغرفة الموجودة بها الخزانة الحديدية فانها حتما تؤذن بصوت الاخطار عند حدوث أية حركة أو وقوع أية محادثة مهما كانت بصوت خافت أو عند قيام اللصوص بنقب جزء من الجدار ، فعند ما يقابل أولئك (اللصوص) بذلك الزئير المزعج الذى تحدثه الآلة فانهم لا يفكرون الا في سبيل النجاة والتعلق بأذيال الفرار .

وهذا المرصد يتيح لنا أيضا تسجيل عدد الاصوات غير العادية بواسطة خطوط بيانية ترسمها آلة التسجيل وبدرس هذه الخطوط تنكشف لنا الأعمال الأولية التى يقوم بها « ناخبو الجدران » عند اقترابهم ، ويمكن تتبع حركة تقدمهم فيتيسر بذلك اتخاذ كل الاجراءات اللازمة في الوقت المناسب ، غير أن ذلك المرصد يبقى جامدا لا يتحرك بالاهتزازات التى تسببها حركة المركبات في الشارع .

(٢) الآلات ذات القوة الكهربائية الكامنة :- لا يوجد الآن انسان يجهد تأثير القوة الكهربائية التى تنبعث من جسم الانسان عند اقترابه من كتلة من المعدن فان العمل في ادارة محطات المحاطبات اللاسلكية والصفير الذى ينشأ عند ربط مراكز المحاطبات ببعضها قد أتاحا للناس معرفة تلك الظاهرة ، تلك القوة الكهربائية الكامنة في جسم الانسان ، والخزانة الحديدية المرتفعة عن الارض بعض الارتفاع ان هى الا كتلة من المعدن يمكن تغيير أو تعديل قوتها الكهربائية عند اقتراب جسم أو يد أو آلة منها مهما اتخذ اللص من الحيلة بابتعاده من الارض ، وعلى هذا الاساس أمكن صنع مخطار ( آلة للاخطار ) شديد الاحساس جدا سمي باسم « أفرتكس » ( Avertex ) وقد أمكننا أن نرى كيفية استعماله في معرض المحاطبات اللاسلكية



الذى أقيم في باريس واطلق عليه «اسم المدينة المسحورة» وهذه الآلة التى هى فى غاية من السهولة والبساطة ومزودة فقط بشئ من شعاع النور ومهيأة لتكون أداة اتصال بين الخزانة الحديدية وصاحبها لاسيما اذا كانت تلك الخزانة فى حد ذاتها غير كافية من حيث مناعتها من سطو اللصوص ، ولكن لانسى أن « حملة العتلة » (اللصوص.) أو بالأحرى فرسان (البورياء) يعرفون جيدا ولأول وهلة أن يفرقوا بين الخزانة التى يسهل السطو عليها بمجرد رؤية شكها الخارجى وبين التى تفشل أمامها محاولاتهم لسرقتها .

وانه بفضل مخطار «الفرتكس» لم يعد من الممكن الاقتراب من الخزانة دون أن يحدث ذلك صوتا ينم عن وجود اللصوص أو دون أن يشعر الحارس أو أصحاب الخزانة .

(٣) الآلات ذات الاشعة الحمراء المنحرفة : — سنقتصر هنا على مبلغ ما لهذه الآلات الحديثة من الاثر فى حماية الخزانات الحديدية .

قد رأينا أن دائرة عمل الطريقتين السابقتين محدودة وضيقة الا أنه بفضل الأشعة الحمراء المنحرفة يمكن إيجاد حواجز حقيقية غير منظورة لحراسة قاعات شاسعة بأكملها لأن هذه الاشعة التى تبعثها آلات خاصة لارسال الضوء الى مدى بعيد وتعكسها مرايا محكمة الوضع ومختلفة عن الانظار تصل فى نهاية الأمر الى خلية كهربائية شديدة الحس ، فاذا ماصادف الأشعة أى عائق فى أية نقطة أثناء سيرها فلا تصل بذلك للخلية فان هذه تحرك آلة الاخطار فى الأماكن المخصصة لها وبالشكل المرغوب (مثل اضاءة مصابيح أو تحريك أجراس ذات صوت مزعج) .

وبنفس هذه الطريقة يمكن نصب حاجز غير منظور حول الخيام المنزلة النائبة وداخل أو خارج خزانات المصارف وفى مخازن الجواهر وغيرها .

هذا وقد شاهدنا فى معرض المحاطبات اللاسلكية الأخير بباريس كيف أن حجرة زجاجية بمحل الجواهر كانت محصنة تمام التحصين بواسطة حاجز من الأشعة

الجراء المنحرفة كما رأينا التطورات التي حدثت لسفينة صغيرة بدون محرك تسيرها الأشعة الجراء المنحرفة التي لا ترى .

وفضلاً عن ذلك فإن تلك الآلات الحديثة التي تقوم وحدها برقابة دائمة تحفظ توازنها باستمرار وتخطر صاحبها بمجرد أن يقف تأثير رقابتها لسبب من الاسباب .



### التسمم بغاز الفحم

جاء بمجلة "Umschau" الألمانية أن الاختناق بغاز الفحم راجع إلى أن اختلاط هذا الغاز بهواء التنفس يجعل من المادة الملونة في الدم — الهيموجلوبين — مادة أخرى لا تستطيع حمل الأكسجين إلى أنسجة الجسم، وتوصل الدكتور كوزا بمدينة برسبورج إلى علاج التسمم بهذا الغاز بواسطة الأشعة فوق البنفسجية التي تؤثر في المادة الجديدة المكونة من غاز الفحم والهيموجلوبين تأثيراً يفصل عنها الغاز فتعود طليقة حرة وتقوم بوظيفتها الأصلية .

\*\*\*

### الشعور بالتغيرات الجوية

كثيراً ما يشعر المصابون بالالتهابات القديمة أو بآثار العمليات الجراحية أو بكسوف العظام بالتغيرات الجوية قبل حلولها بفترة غير قصيرة، ولقد أدت أبحاث الاستاذ الدكتور (لاسلو) إلى أن ذلك يرجع إلى أن الأنسجة السليمة لها خاصية غريبة وهي امتصاص الرطوبة الجوية، فتمدد بتأثير رطوبة الهواء المحيط وتنكمش في الجو الجاف، فإذا كان الجلد مصاباً بالالتهابات المزمنة أوبه آثار من عملية جراحية فإن هذه الأمكنة تعوق التمدد والانكماش ويؤدي ذلك إلى اختلال تعادل امتصاص الرطوبة فينشأ عنه الألم الذي يسميه البعض انذاراً بالتقلبات الجوية .

( مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية )

## فقيه الاسلام والشرق

### مولانا محمد على

ولد هذا الزعيم الاسلامى فى إمارة « رامفور » من بلاد الهند، وقضى زهرة شبابه فى تلقى العلم بجامعة « عيسكره » الاسلامية : فكان من نوابغ طلاب العلم بهذه الجامعة ، وسافر بعد الى أوربة والتحق بجامعة « اكسفورد » فقضى هنالك اربع سنين ، ثم عاد الى الهند وتولى منصبا اداريا فى إمارة « برودة » ثم تخلى عنه وأنشأ صحيفتين كانتا تصدران بعاصمة الهند « كلكتا » إحداهما باللغة الهندية الأوردية ، وثانيتهما باللسان الانكليزى ، وانتقل بعد هذا الى عاصمة « دهلى » واستمر على إصدار الصحيفتين ، وفى أثناء الحرب الكبرى ظهر بعاطفة سياسية اسلامية أودع عقبها السجن إلى أن وضعت الحرب أوزارها فخرج إلى الجهاد فى حقوق الهند خاصة والعالم الاسلامى عامة ، وكان من المؤسسين لجمعية اسلامية سياسية فى الهند ثم جمعية الخلافة وكان من العاملين فى جمعية وطنية كبرى فى عاصمة « دهلى »

ومنذ عهد قريب سافر إلى لندن عضوا فى مؤتمر الهند المسمى « مؤتمر المائدة المستديرة » فأدرسته المنية فى أواسط شعبان سنة ١٣٤٩ هـ أفاض الله عليه وابل رحمته ، وعند ما وصل نعيه إلى القدس الشريف بعث فضيلة رئيس المجلس الاسلامى الأعلى برقية إلى أخى الفقيد مولانا شوكت على يرجو منه الموافقة على نقل جثة الفقيد لتدفن بجوار المسجد الأقصى فقبل هذا الرجاء وتقرر دفنه حول المسجد الأقصى حيث دفن كثير من أبطال الاسلام .

وقد سافر رئيس تحرير هذه المجلة الى بورسعيد عند وصول جثة الفقيد لتعزية أخيه مولانا شوكت على ، وبعث حضرة صاحب العزة مدير هذه المجلة الى فضيلة رئيس المجلس الاسلامى الأعلى رسالة فى تعزية آل الفقيد والاعتذار عن عدم التمكن من الحضور لتشيع الجنازة يوم الدفن .

وكان الفقيه رحمه الله تعالى بارعا في الخطابة قوى العارضة معروفا بصرامة العزم والاقدام والصرامة في الحق ، ومن مبادئه الدعوة الى الجامعة الاسلامية ، وكان يقول « أنا مسلم أولا وثانيا وثالثا » ويقول « إن الاسلام رابطة عقدها الله تعالى بيننا ، وأما الوطنيات فانها رابطة دعانا اليها الشيطان »

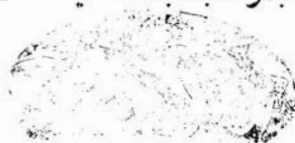
نسأل الله تعالى أن يجازيه عن جهاده خيرا ويقبض للاسلام زعماء يجاهدون في سبيله بإيمان وشجاعة وإخلاص

### « هدى نفيضة »

أهدى حضرة صاحب العزة مدير هذه المجلة كتابين من معرباته القيمة وهما كتاب « الف بالكهرباء » تأليف المستر ( ديليو آتش ميدو كروفت ) وكتاب « الف بالتجارب الكهربائية » تأليف « ديليو . ج . كلارك » وهما معربان بعبارة واضحة وأسلوب سهل يحمل مافي الكتابين من فوائد قريب التناول . كما أهدى مجموعة كتب نافعة من مؤلفات المرحوم والده الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الجنبهي وهي : كتاب « الرزايا العصرية . لشبان الأمة المصرية » وكتاب « كرم الربوبية وشرف العبودية » وكتاب « بلايا بوزا العصرية » وكتاب « تباكي المترامي على أعتاب الحبين » والجزء الأول من « رسالة الحبيب ودلالة الطبيب » فنشكر حضرته على هذه الهدية القيمة . وهذه الكتب تباع في المكتبة التجارية بشارع محمد علي لصاحبها حضرة الفاضل مصطفى محمد وفي المكتبة السلفية بجوار محكمة الاستئناف وفي جمعية الهداية الاسلامية بالحامية الجديدة وفي مكتبة محمد افندي صبيح بجوار الأزهر الشريف

### دعوة نصارى العرب الى الدخول في الاسلام

هي مجموعة مقالات محرره بقلم المسيحي العربي الاستاذ خليل اسكندر قبرصى كانت قد نشرت في مجلة (الفتح) الغراء خلا المقالة الأخيرة فانها نشرت في صحيفة ( الجامعة العربية ) الغراء ، دعا الاستاذ في هذه المقالات إخوانه المسيحيين من العرب الى الدخول في الاسلام مبينا فيها محاسن الاسلام وما يناله نصارى العرب من الحياة الفاضلة إذا هم دخلوا في حظيره جميعا ، وقد طبعت هذه المجموعة بالمطبعة السلفية فنحث القراء على اقتنائها



قَدْ جَاءَكُمْ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي اللَّهُ بِرَأْسِهِ رُشْدَكُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

# نُورُ الْإِسْلَامِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

المجلد الاول

رمضان سنة ١٣٤٩

العدد ٩

رئيس التحرير

السيد

محمد الخضر حنين

من علماء الأزهر

مدير إدارة المجلة

عبد المجيد بن

المستشار بمحكمة الاستئناف { سابقا  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

الاشتراك

داخل القطر المصري ..... ٤٠  
للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس ..... ٢٠  
خارج القطر المصري ..... ٥٠  
لطلبة المعاهد والمدارس ..... ٣٠

الإدارة

شارع مظلوم باشا رقم ١  
تليفون : ٣٥٠٧  
الرسائل تكون باسم مدير المجلة

يعامل أئمة المساجد والمأذنون ومعلمو المدارس الأولية والعمال معاملة الطلاب

وثن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٩٣١ - ١٣٤٩ م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الدهاء والاستقامة

خصلتان يبلغ بهما الرجل أن يكون عظيماً ، وحق لمن استولى على الأمد الأقصى منهما أن يكون زعيماً : هما بعد النظر في استكشاف غوامض الأمور ، وذلك ما نسميه الدهاء أو الكياسة ؛ والسير في سبيل الرشd بقلب سليم ، وذلك ما نسميه الاستقامة أو التقوى ؛ ولا نقصد في هذا المقام إلى الحديث عن بعد النظر في إدراك العويص من مباحث العلوم ، وإنما نقصد إلى الحديث عن الدهاء من ناحية تقدير وسائل النفع والضرر ، أو من حيث شعور صاحبه بما يحمل له من ضغن أو ينصب له من كيد .

يقارن الدهاء الاستقامة فيصرف في تدير الوسائل التي تكفي شراً مقبلاً أو تجلب خيراً متعسراً ، ويقارن زين العقيدة أو لؤم الطبيعة فيندفع بصاحبه في شعاب الباطل ، ويكون نصيبه من الفساد في الأرض فوق نصيب الغباوة إذ يزيد عليها أن يبتكر للشر فنونا غير معروفة ، ويلبس الباطل ثوب الحق ، ويخرج المفسدة في لون المصالحة ؛ فإذا لم تجد الحقائق أو المصالح دهاء يحق دهاء الباطلين أو المفسدين ، عمى على العامة أمرها وظهرت الضلالة والسفاهة مكانها .

ولكثر ما يصاحب الدهاء من المكر والتزوع إلى الشر توهم بعض العامة أنه لا يجتمع مع سلامة الضمير والحرص على فعل الخير ، فتراهم يعدون غفلة الرجل عما ينطوى عليه الحديث من مغامر ، وما يراد به من مكاييد ، أثر صلاحه وطيب سريره ، وكاد بعض الكتّابين على حديث « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » يحوم حول هذا الوهم إذ حمل الحديث على عدم الانخداع في الدين بأن يصدق الكاذب الذي ظهر له كذبه مرة ثانية

ثم قال : (وأما الانخداع في أمور الدنيا بناء على قلة التفاته اليها وعدم اهتمامه بها فهو ممدوح مطلوب) ، والحق أن الغفلة عن نواحي الشر دينية أو دنيوية لا تدخل في سلك الكمال ولا تستدعى مدحا ، وإنما الكمال في اليقظة والكياسة ، والقصد من الحديث الشريف تحذير المؤمن من أن يكون مغفلا وإرشاده الى استعمال الفطنة في شؤونه دينية أو دنيوية ، وإذا كان الحديث مسوقا للأخبار عن حال المؤمن فإما يريد المؤمن الكامل وهو الذي يستنير بالحكمة ويعتبر بالحوادث فتصفو بصيرته ومهتدى الى غوامض الأمور ، حتى يكون حذرا مما سيقع ، وإذا أخذته الغفلة مرة فنكب من ناحية كانت نكبته من هذه الناحية هي الأولى وهي الآخرة ، ويوافق هذا قول عمر بن الخطاب : « لست بنخب والنخب لا يخذعني » ؛ وأما المؤمن الذي يكون حظه من الحكمة والاعتبار بخس ، فقد يلدغ من الجحر الواحد مرتين أو مرارا .

ولا يعارض هذا حديث « المؤمن غرّ كريم والفاجر خب لئيم » فقد تكلم الحفاظ في سنده حتى ذهب بعضهم الى أنه ، موضوع ، وهو بقطع النظر عن سنده قد وقع لفظ الغرّ فيه مقابلا للفظ الخب الذي هو الجُرُز أي الخداع ، فيكون المراد من الغرارة غفلته عن الشر ؛ فإن كريم الأخلاق طيب السريرة لا يبحث عن الشر بحث من يريد التوغل في طرقه والخوض في غماره ، وهو مع كونه لا يبحث عن هذه الطرق بحث المولع بها يأخذ بسنة الاحتراس فلا يخذع خب يزخرف له القول مداهنة أو ينصب في طريقه حباله ، فغفلة الرجل عن وسائل الشر لانصرافه الى الخير بشرائه لا تنقص من كياسته في تدبير وسائل الخير أو الاحتراز عما يهوى له أو لقومه من الشر ، فلا يصح أن يكون الايمان الذي هو أساس استنارة الفكر سبب الانخداع لتمويه مبطل أو مخالة ذي مأرب .

نجد في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرشدنا الى أن السياسة الإسلامية لا ينهض بها المستقيم إلا أن يكون أريبا ، ولا الأريب إلا أن يكون مستقيما .



فرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان محفوظاً به من رعاية الله وتأيدته لم يترك أمر السياسة الحربية أو المدنية دون أن يجريه على سنة التدبير والاحتراز من أمور يتبعها في العادة عواقب سيئة؛ فما نقرأه في سيرته الزاهرة أنه إذا قصد السفر لحرب قوم أخذ يسأل عن ناحية قوم آخرين حتى يظن السامع أنه ينوى السفر الى الناحية التي يسأل عنها، ونقرأ فيها أنه كتب لأمر سرية كتاباً وقال له: (لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا) فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وفيه ذكر الناحية التي أمرهم بالتوجه إليها؛ ومن مثل هذا أخذ يحيى بن اكثم قوله في حديث مع المأمون: «لا يستقيم كتمان شيء إلا باذاعة غيره».

ومن بديع سياسته عليه الصلاة والسلام صلح الحديبية، فقد خفي على بعض كبار الصحابة حكمته فلم يرتح له، ولكنه أتى بخير كثير إذ كان توطئة لفتح مكة دون أن تراق فيه دماء طاهرة أو تقصم فيه ظهور انحنى بعد الفتح راكعة لله، وخرج منها رجال جاهدوا في الحق بحماسة وإخلاص، وكان صلوات الله عليه مع ما يجده في الناس من حسن الطاعة والتسليم، قد يستحسن الأمر ويدعه حذراً من أن يلاقيه بعضهم بإنكار؛ فانظروا الى ما جاء في الصحيح من أنه عليه الصلاة والسلام استحسن نقض البيت وبناءه على أساس إبراهيم، وإنما تركه غافلة أن تذكره قلوب من كانوا حديثي عهد بالجاهلية من قريش، وإنما راعى عليه الصلاة والسلام إنكار الناس فيما لم ينزل به وحى ولم تقتض حاله أن يكون شرعاً نافذاً.

وإذا قل ابن خلدون في الحديث عن العرب (انهم أبعد الأمم عن السياسة) فإنما يريد العرب قبل أن يستضيئوا بحكمة الاسلام، أما بعد أن نزل القرآن وشاهدوا سيرة أحكم الخليفة صلوات الله عليه فقد كان نصيبتهم من البراعة في السياسة فوق كل نصيب. نقرأ في تاريخ فتح الفرس أن سعد بن أبي وقاص أرسل المغيرة بن شعبه الى رستم

القائد الفارسي ، فأقبل حتى جلس معه على سرير ، فوثب إليه أتباع رستم وأزروه من السرير ، فقال المغيرة : ( إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً ، فظننت أنكم تتواسون كما تتواسي ، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض ، اليوم علمت أنكم مغلوبون ، وأن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول ) ؛ قصد المغيرة بما صنع وما قال تعليم القوم المساواة التي جاء بها الاسلام ليألفوه ، وإشعارهم بأنهم يعيشون تحت راية تلك الدولة عيش المستعبدين ، ليحني من وراء هذا سقوط مكانتها من أنفسهم فلا يدافعوا عنها من صميم أقدتهم .

لا يستغنى رؤساء الشعوب عن الدهاء في السياسة ، وأشدّهم حاجة الى تدبيره الغامضة رئيس قبض على زمام طوائف اختلفت أهواؤهم سبلاً ، وتفرقت أرائهم مذاهب ؛ فاذا رأينا السياسة في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما تسير على مناهج من العدل واضحة فلاّن الرئيس عادل ومعظم الأمة على سبيل من الهداية لا تختلف ، وما استقام إلا مرلعاوية مع ما خالط الأمة يومئذ من التفرق في الآراء إلا لأنه كان يسلك في السياسة مسالك خفية ، ويركب لها من الطرق الوعرة ما لم يركبه الخلفاء من قبله ، ومعاوية هو الذي يقول : « لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت » ف قيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : « كنت اذا مدوها أرخيتها واذا أرخوها مددتها » .

ومن أساليب الدهاة في إضعاف الجماعة التي تناوى سلطانهم أن يغروا بين كبرائها العداوة ، فتتفصم رابطتهم وتشتد الخصومة فيما بينهم ، وهو مسلك قد يضطر اليه المصلحون في فريق الجماعة التي تحالف على ما لا خير منه ؛ ومن هذا القبيل ما فعله نعيم بن مسعود رضي الله عنه حين تحالفت قريش و غطفان وبنو قريظة على حرب النبي صلى الله عليه وسلم في واقعة الأحزاب ، إذ ألقى بينهم ما تقطع به حبل اجتماعهم على الباطل فأنصرفوا خائبين .

وقد يعمل الطامع في الأمة الغافلة على هذا المسلك حذرا من أن يتنبه شعورها، فتجتمع أمرها وتوجه إليه قوتها؛ فمن واجب الأمة التي يربطها دين أو مصالح وطنية أن تؤكد أو اصر الأخاء بينها، وتجعل المصلحة العامة نصب أعينها، وتوجه ما تستطيع من قوة الى من يريد القضاء على دينها، أو الاستئثار بمنافع بلادها؛ لما تحفز الملك «الاذفونش» للهجوم على بلاد الأندلس، عقد كبراؤها مؤتمراً للنظر في دفاعه وقرروا الاستنجد بسلطان مراکش «يوسف بن تاشفين»، ولما أبدى بعضهم التخوف من أن ينقذ هذا السلطان البلاد من «الاذفونش» ثم يضع عليها يده قال له المعتمد بن عباد: (لأن يرعى أبنائنا الجمل خير من أن يرعوا الخنازير).

ومن أساليب الدهاة في القديم أن يسوسوا الجماعة الناشئة بأيدي رجال منهم، قال عباد بن زياد يصف زياداً لعبد الملك بن مروان: (قدم العراق وهي جرة تشتعل فسل أحقادهم وداوى أدواءهم وضبط أهل العراق بأهل العراق) وهو أسلوب بعيد الشأو ظاهر الأثر قد يأخذ به ذو السياسة الرشيدة لزيادة تأليف القوم وتأكيدهم على إخلاصهم؛ دلت السيرة النبوية على هذا الضرب من السياسة؛ ومن شواهد ترتيبه عليه الصلاة والسلام الجيش يوم فتح مكة إذ نظمته على حسب القبائل، وجعل على رأس كل قبيلة واحداً من سراتها، وعلامة كون السياسة رشيدة أن يوضع أمر القوم في يد من ينصح لهم، ويرعى مصالحهم ويعمل لسعادتهم.

ومما يتخذ الدهاة في وسائل أخذ القوم الى جانبهم بذل شيء من المال الى ذوى النفوذ من رجالهم، وهذا أحد الوسائل التي استطاع بها معاوية رضي الله عنه أن يقف تجاه عليّ كرم الله وجهه، ويأخذ منه شطر الخلافة على ما كان لعل من المسكنة الراجحة في العلم والبيان، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبذل النفس في الجهاد، وبلوغه في تقوى القلب أبعد غاية.

وهذه الوسيلة قررها الاسلام في سياسة الدعوة اليه فأذن في صرف جانب من الزكاة لأناس قالوا : أسامنا ، تأليفاً لقلوبهم ، واستدعاء لاطمئنان عقيدتهم ، كما قال تعالى في آية مصارف الزكاة (وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) .

لا يعتمد رئيس القوم على القوة يستطيع أن يخمد بها كل فتنة ويرى أنه في غير حاجة الى أن ينظر في منابت الفتن بدهاء ، فللدهاء مواضع يظهر فيها فضله على القوة : منها دفع الخطر الذي يتراءى شبحه من بعيد بحيث لا يشعر به إلا البصير بما وراء الخير من شرور ، فقد يكون استعمال القوة في الشر المتوارى موضع إنكار أو مثار فتنة ، أما الدهاء فيرده والنفوس مطمئنة والفتن نائمة .

ويحتاج الحاكم الى الدهاء في استبانة الحقوق حيث ترفع اليه الدعاوى مجردة من كل بيئة ، وفي مثل هذه الدعاوى يظهر مبلغ ذكاء القاضي كما يظهر فضله في نقد البيئات وتمييز زائفها من صحيحها ؛ ومن دهاء المنصور بن أبي عامر : أن أحد التجار قدم قرطبة ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرد ليسبح في البحر وترك الكيس على ثيابه وكان أحرر فاختطفته حدأة في محالها وتغلغلت به في البساتين ، فأبلغ أمره الى ابن أبي عامر فجعل يستدعي أصحاب البساتين ويسأل العاملين فيها عن ظهر عليه تغيير حال من يؤس الى سعة حتى ذكر له شخص ظهر عليه من اليسر ما لم يعرف به من قبل ، فاستدعاه وفاجأه بقوله : أحضر الكيس الأحمر ، فتملكه الرعب وجاء به وقد نقص منه ما عفا له عنه صاحبه .

يحتاج الولاة الى الدهاء في سياسة الجماعات واستبانة الحقوق ، ويحتاج اليه العلماء في الدعوة الى الخير ، فقد تكون مواجهة الرجل بالأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر لا تأتي بفائدة ، فيعدل الداعي الى طريق يكون له الأثر المقصود من الدعوة وهو السمع والامتثال . . . عزم المعتصم على قتل محمد بن الجهم البرمكي لجولان يده في مال الدولة

فرأى القاضي أحمد بن دواد هذا التصميم وعرف أن الموعظة أو الشفاعة لا تحول دون هذا القتل ، فسلك لانقاذ محمد بن الجهم طريقاً آخر هو أن قال للمعتصم : وكيف تأخذ ماله اذا قتلته ؟ قال : ومن يحول بيني وبينه ! قال : يا أبا الله تعالى ذلك ويأباه رسوله صلى الله عليه وسلم ويأباه عدل أمير المؤمنين ، فان المال للوارث اذا قتلته حتى تقيم البيعة على ما فعله ، وأمره باستخراج ما اختانه وهو حي أقرب عليك ، فرجع المعتصم عن عزمه وخلص محمد بن الجهم من القتل .

وينتفع الرجل من دهائه عند لقاء الطبقات المختلفة ، يزن عقول من يلاقونه ، ويحس ما تكن صدورهم وتنزع اليه نفوسهم ، فيصاحب الناس ويشهد مجالسهم وهو على بصيرة مما وراء ألسنتهم من عقول وسرائر وعواطف ، فيتيسر له أن يسايرهم إلا أن ينحرفوا عن الرشد ، ويتحاشى ما يؤلمهم إلا أن يتألموا من صوت الحق ، ومراعاة عقول الناس وطباعهم ونزعاتهم فيما لا يقعد حقاً ولا يقيم باطلا مظهر من مظاهر الانسانية المهذبة ، ومتى كان الدهاء — أعنى جودة النظر في سياسة الأمور وتقدير وسائل الخير — عائداً الى الالمية وهي في أصلها موهبة إلهية فان التدبر في سير أعظم الرجال والنظر في مجارى الحوادث باعتبار ما تقوى بهما خصلة الدهاء ؛ فمن حق الملئى اليهم بترية النشء من أوليائهم ومعلميهم أن يصرفوا العناية الى تغذيتهم بالحديث عن دهاة الرجال وتنبههم لما دبروه من وسائل يبتغون بها إصلاحاً أو شرفاً ، ومن حقهم أن يلاحظوا الحوادث التي تظهر من ناحية عرفت بالدهاء فيكشفوا غطاءها ، ويقفوه على بطائنها ، ذلك لأننا نريد أن نعد للمستقبل ناشئة تستقيم على هدى الله ، وتخوض لجج الحياة بكياسة تبصر بها مواقع الشر والخير فتسعى الى أن يكون الشر بعيداً منها والخير طوع أيديها ؛ وعلى قدر ما يكون في دعاة الشعب وقادته من دهاء وتقوى ، يبعد في سبيل الشرف شأوه ، وتثبت في مواقف الجهاد قدمه ، ويرقى في السماء ذكره ؛ والذكر الذى تحوطه التقوى ويحرسه الدهاء لا يخفت صوته إن شاء الله .

محمد الخضر حسين

# النفس

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ الْعِزَّ الْعَلِيمُ

## قصة سيدنا شعيب عليه السلام

٨

سلك سيدنا شعيب عليه السلام بقومه أولاً نهاية التلطف في النصيحة ، ورفق بهم غاية الرفق في المحاوراة واستنزلهم عما هم فيه ، ولسكنهم لم يرعوا بل ظلوا في طغيانهم يعمهون ، فلما لم ينجع فيهم ذلك الرفق اتخذ الى هدايتهم ونجاتهم من عقاب المنتقم سبيلا آخر لعلهم يهتدون ، فوعظهم الموعظة الحسنة وأيقظهم الى أن عاقبة ما هم فيه هي عاقبة من سبقهم من الأمم ، وإذ ذلك يحال بينهم وبين ما يشتهون (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ) .

قام عليه السلام بكل هذا خير قيام ، ثم بين لهم أنهم بعد ارتكابهم ما ارتكبوا من الكفر والخبائث ، لا يزال عليه السلام راجيا لهم الهداية ، وأن الطريق الذي يصلون منه الى عفو الله ورحمته لا يزال مسلوكا ، وهذا هو قوله : (وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) .

أمرهم بالاستغفار أولاً وذلك يكون بتركهم ما هم فيه من الكفر والفسوق ، وبتطهير قلوبهم من الأباطيل والعقائد الفاسدة والذائل التي ورثوها عن أسلافهم ، ثم يتوبون بعد أن يتطهروا من كل ذلك الى الله سبحانه ، ويُنِيبون اليه ، ويتقربون بصالح الأعمال الباطنة

والظاهرة التي أَقْنَمَهم إياها رسولُهم عليه السلام، وقد سبق لنا الكلام في التوبة في العدد الثاني؛ فارجع إليه متى أردت .

ثم أثبت لهم بقوله: (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَغْفَرُوا رَبَّهُمْ اسْتَغْفَارًا بِالْعَمَلِ لَا بِاللِّسَانِ، ثُمَّ تَابُوا إِلَيْهِ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ الْخَالِصَةَ وَاتَّقَوْهُ حَقَّ تَقَاتِهِ، فَانْهَضَ لَهُمْ مَا أَسْلَفُوهُ وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ وَيَرْضَى عَنْهُمْ، فَانْهَضَ جَلَّ ثَنَاهُ رَحِيمٌ بِالْغِ الْإِحْسَانِ وَالتَّفَضُّلِ، وَدُودٌ عَظِيمٌ التَّوَدُّدِ وَالْمَعَامَلَةِ الْحَسَنَى مَعَ مَنْ يُوْثِقُ بِهِ وَيُطِيعُهُ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى .

هذا ثم انظر ماذا كان جواب قومِهِ له عليه السلام بعد هذا النصيح والانذار والاعذار: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا يَمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ) .

أنظر كيف تناهى القوم في الفِحْهَةِ وَقَطَعَ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مِنْ صِلَةِ الْقَرَابَةِ، إِذْ يُخَاطَبُهُمْ بِقَوْلِهِ لَهُمْ (يَا قَوْمُ)، وَهُمْ يُخَاطَبُونَهُ بِقَوْلِهِمْ لَهُ (يَا شُعَيْبُ)، وَلَوْ تَكَلَّفُوا الْأَدَبَ مَعَهُ ظَاهِرًا لَقَالُوا (يَا أَخَانَا)، وَقَدْ أُرْشِدَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَذِهِ الصِّلَةِ صِلَةِ الْأَخُوَّةِ الَّتِي تَوْجِبُ عَلَيْهِمُ التَّأَدُّبَ مَعَهُ وَالْإِيمَانَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا)، وَلَكِنَّهُمْ عَادَوْهُ وَاسْتَهَانُوا بِهِ وَ (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا يَمَّا تَقُولُ) الْآيَةَ .

الفقه فَنَهَمُ غَرَضُ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ كَلَامِهِ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالِاسْتِمَاعِ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ وَالْإِنْصَاتِ وَسَلَامَةِ النَّفْسِ مِنْ عِدَاوَتِهَا وَكَرَاهَتِهَا لِمَرَادِ الْمُتَكَلِّمِ؛ فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَسْتَمِعْ إِلَيْهِ أَوْ لَمْ يَنْصِتْ لَهُ أَوْ مَرَضَتْ النَّفْسُ بِيَغْضَاهَا الْحَقُّ؛ فَإِنَّ الْمُخَاطَبَ لَا يَقْفَهُ حِينَئِذٍ غَرَضَ الْمُتَكَلِّمِ، بَلْ لَا يَعْرِفُهُ أَصْلًا كَمَا فِي غَيْرِ الْمُسْتَمِعِ وَغَيْرِ الْمُنْصِتِ، أَوْ لَا يَعْرِفُهُ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي تَحْفِزُهُ وَتُدْفَعُهُ إِلَى الْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ كَمَا فِي مَرَضِ النَّفُوسِ .

ففراد القوم أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِرَسُولِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا نَفْهَمُ مَرَادَكَ، وَإِنَّمَا قَالُوا هَذِهِ الْمَتَالَةَ الْخَاطِئَةَ بَعْدَ مَا سَمِعُوا مِنْهُ دَلَائِلَ الْحَقِّ الْمُبِينِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَبْلَغِهِ، وَبَعْدَ أَنْ

ضائق عليهم الحيل وأُعْيَتْهُمْ العُلل ، فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج الحق والسلوك في سبيل الغنى والضلال ، كما هو ديدن المُفْحَم المحجوج ، يقابل اليبينات بالسب والإبراق والإرعاد ، فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك خجواه<sup>(١)</sup> .

والحقيقة أنهم فقهوا كل ما قاله لهم عليه السلام ، غاية الأمر أنهم خشوا أن يعيبيهم العقلاء بالمكابرة الصريحة الفاضحة اذا قالوا : ( ما نفقه ما نقول ) ، فلهذا ادَّعَوْا أنهم لم يفقهوا كثيرا من قوله عليه السلام .

استكبر أهل مدين عن الايمان بالحق ، وأخذتهم العزة بالاثم ، وكُتِبَ عليهم أن يقول لهم رسولهم ما قال ، وأن يكون هو الذى يتولى إصلاحهم ، وأن يحذرهم وينذروهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السالفة من العذاب المحيط .

لذلك أخذوا يزدادون فى الاستطالة عليه وفى تهديده ووعيده ، وذلك قولهم له عليه السلام : ( وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ) ، أى أننا نعلم أنك فيما بيننا ضعيف لا تقدر أن توصل إلينا منفعة كإصلاح أحوالنا كما زعمت ، كذلك لا تقوى على أن تدفع عنا ضررا ما ، بل لا قبيل لك بنا اذا أردنا أن نبتطش بك جزاء لك على دعواك فساد أحوالنا ، وأنت قادر على إصلاحها ، ومكافأة لك على ائذارنا وتهدينا بما أصاب مَنْ قَبْلُنَا من الأمم الماضية . ولهذا أردفوا ذلك الاستخفاف به عليه السلام بأبشع منه وهو قولهم له : ( وَكَلَّا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ) .

الرهط هو العصابة من الناس دون العشرة ، والرجم أن يرجم غيره بالرجم أى بالحجارة ، والعزة هى الحالة التى تبقى الانسان أن يُغْلَبَ أو يُزْدَرى ، فالعزيز هو المكرم ، الموقر الذى يقهر ولا يقهر .



فرادهم أنهم لم يُبْقُوا عليه صلى الله عليه وسلم إلا لوجود رهطه بينهم وبقائه على دينهم وهجره لسيدنا شعيب ومخالفته وتكذيبه إياد، فاحتراما له ورعايةً لجانبه ووفاءً ببقائه معهم فيما هم فيه كفّوا عنه عليه السلام أيدّهم أن تقتله بالرجم الذي هو شرُّ قتلَةٍ . هذا مرادهم كافأهم الله ! وقد فعل ، وليس مرادهم أن رهطه عليه السلام قادر على أن يمنعهم ويحول بقوّته بينهم وبين رسولهم ، فإن أهل مدين ألوف مؤلفة ، ورهطه عليه السلام شرذمة دون العشرة لا يُؤْبَهُ لها وليس لها معهم حول ولا طول .

لم يكتفوا بهذا بل انهم بالغوا في الاستهانة به بقولهم له : (وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ) أى لست أنت نفسك بكّرّم ولا محترم ولا مُراعى الجانب حتى تمتنع من رجلك ، وإنما كففنا عنك المحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا ، فكأنهم قالوا : (وما أنت علينا بعزّيز بل رهطك هم الأعرزة علينا) .

إن أهل مدين ليسوا بدّعا من الأمم التى سبقتهم ، فانه ما من أمة إلا أساءت الى رسولها بما استطاعت من التهديد والايذاء وغير ذلك ؛ كما حكى عز وجل عن قوم سيدنا نوح : ( قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَأْنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ) ؛ وعن قوم سيدنا لوط : ( قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخُرَجِينَ ) ؛ وقال تعالى فى جميع الأمم : ( كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادُلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ) .

أليس عجيب أن رسول الله شعيبا عليه السلام يذكّر قومه ويحذّرهم أن يفعلوا كما فعل من قبلهم فيصيبهم مثل ما أصابهم وهم برّأى ومسمع منهم ، ثم أنهم بعد هذا لا يقيمون لقوله وزنا ، ولا يتوبون الى الله ويستغفرونه ، ولا يتعظون ، ولا هم يذكرون ، مع علمهم بسوء عاقبة المكذّبين ؟ .

بلى إن ذلك لعجيب ! فإن كل أمة قد قلّت الأمة التى قبلها واتّبعَتْ خُطواتها

حتى اذا عجزت عن مقارعة الحجة بالحجة ، ومناضلة الدليل بالدليل ، توعدت نبيها وأهانتها وربما قتلته ، ونسيت أو تناسست ما عوقب به الأمم السابقة .

فمن الأمم المتأخرة فرعون وقومه مع رسولهم سيدنا موسى عليه السلام ، حينما دعاهم الى عبادة رب العالمين : ( قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ آلَا تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . قَالَ لَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَا جَعَلَنَّاكَ مِنْ السَّاجِدِينَ . قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ) .

ومنها ما قصه الله تعالى في معاملة أهل مكة لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول : ( وَإِذْ يَمْكُرُ<sup>(١)</sup> بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ<sup>(٢)</sup> أَوْ يَقْتُلُوكَ<sup>(٣)</sup> أَوْ يُخْرِجُوكَ<sup>(٤)</sup> ) وَيَمْكُرُونَ<sup>(٥)</sup> وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ<sup>(٦)</sup> ) .

هذا ومن البين أن أهل مدين إنما أرادوا أن ينفقوا عن رسولهم عليه السلام القوة والعزة الإلهيتين ، اللتين ثبتتاه له بقتضى كونه على بينة من ربه مؤيَّداً من لدنه سبحانه ؛ وكونه يطالب منه التوفيق في كل شؤونه ومتوكلاً عليه في جميع أموره ومنيباً إليه في كل ما يأتى ويذر .

نفوا كل ذلك عنه ولم يعتدوا به ، وذلك نهاية الاستهانة به عليه السلام ؛ ولا ريب

(١) المكروه هو التدبير الخفى النافع للمكروه له الضار للمكروه به فاذا اسند للذين كفروا كان نافعا لهم ضارا للنبي صلى الله عليه وسلم . واذا اسند الى الله سبحانه كان نافعا للنبي عليه الصلاة والسلام ضارا للكافرين . وبهذا يتضح لك أن وصف الله تعالى بالمكر لا ينافى تنزهه سبحانه عما لا يليق به . ثم أن مكروهم كان حينما اجتمعوا للمشاورة في شأن النبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة . (٢) يوثقوك ويحبسوك . (٣) أى كلهم معا قتلة رجل واحد . (٤) من مكة . (٥) يدبرون لك الشر ويدبر الله ما هو شر لهم وخير لك فاوحى اليك ما دبروه وامرك بالخروج . (٦) لانه يدبر الشر لمستحقه والخير لمستحقه عدلا وفضلا .

أنهم إذا استهانوا برسولهم هذا، وقد علموا أنه لا يستعز إلا بالله تعالى، ولا يستمد القوة والعزة إلا منه سبحانه؛ فقد استهانوا بالله العزيز الذي له الكبرياء في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم.

ولهذا أجابهم عليه السلام بما حكاه الله تعالى عنه: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ).

قد اشتمل جوابه لهم عليه السلام على إنكارين لأمرين قبيحين من أمورهم، وثانيتها أقبح من أولها: الأول ترجيحهم جانب الرهط على جانب الله عز وجل؛ والثاني هو اتخاذهم الله العلي الكبير شيئاً منبواً وراء الظاهر.

فأنكر عليهم الأمر الأول بقوله: (أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ)، وهم وإن لم يذكروا أن رهطه أعز عليهم من الله قد ارتكبوا إثماً عظيماً شاهداً عليهم بهذه الأعرية، وهو تفضيلهم جانب الرهط على جانب الله العزيز؛ ثم أنكر عليهم الأمر الثاني بقوله: (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) أي لم تقدرُوا الله تعالى حق قدره ولم تجعلوا له حظاً من العزة، بل جعلتموه متروكاً منسياً لم تبالوا به، لأنكم لم تعتدوا برسوله الصادق الذي لا يأتي شيئاً ولا يدعه إلا بأمره ووحيه عز وجل، فهذه منه عليه السلام إجابة بليغة لهم لو فقهوها، لأنها تضمنت إنكارين لشيئين ذميين مما اجتروه على الله ورسوله.

قد سلك عليه السلام في إنكاره عليهم وتأنيبهم سبيل الترقى في التقرير والتوبيخ كما قدمناه لك لعلمهم يتوبون أو يذكرون، ولكنها (لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ).

ثم انه عليه سلام الله نصحهم ووعظهم في لين وحزم، ورجاء وإطماع، وتحذير وتخويف، فقال: (إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) لا يعزبُ عن علمه سبحانه شيء من أعمالكم، فإذا كانت شراً جازاكم عليها جزاء الأشرار، وإن كانت خيراً لو آمنتم بي أنا بكم

ثواب الأُخيار، ولكن (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ).  
لم يُفِدْهُمْ وعُظِّه عليه السلام إلا نفورا واستكبارا، ولم يزدْهُمْ أَسْلُوْهُ به الحكيم  
في النصيح إلا إنكارا وإصرارا؛ فلما رأى ثباتهم على كفرهم، ومبالغتهم في الازدراء به،  
وعزيتهم على إنفاذ ما هددوه به من الرجم لولا عزة رهطه عليهم؛ كرر وعظهم لهم مهددا  
لهم بسوء العاقبة ووخامة المال فقال: (وَيَا قَوْمِ اْعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاَنَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ،  
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ  
رَقِيبٌ).

المكانة هي غاية التمكن من الشيء، يقول لهم عليه السلام: قد ادعيتُم أنكم أقوياء  
قادرون على رجمي والبطش بي، وزعمتم أنني ضعيف فيما بينكم، ليس لي ظهير أستظهر به،  
ولا نصير أستنصره عليكم، فاثبتوا على ما أنتم فيه من التكذيب والكفر، ودوموا  
على المشاقة والاستخفاف والوعيد وسائر ما أنتم عليه من أنواع الفسوق والفجور، ثم  
اعملوا على غاية تمككنكم، وابدؤوا نهاية اجتهدكم في معاداتي ومضارتي والايقاع بي كيفما  
شئتم، وفي تدبير ما تسوله لكم أنفسكم، ثم أخرجوا ذلك كله من القوة الى الفعل (إِنِّي  
عَامِلٌ) كذلك على مكاتي كما تعملون، حسبا يؤيدني الله ويوفقي بأنواع التأيد والتوفيق.

ثم قفى عليه السلام ذلك التهديد بذكر العاقبة وأنها عاقبة سُوءٍ؛ فيبين لهم أنهم  
سوف يعلمون حتما مَنْ سيصيبه العذابُ الخُزى المُنْهِينُ؛ وهذا في مقابلة تهديدهم له  
بالرجم كما ستعرفه.

وصف عليه السلام لهم العذاب بأنه خُزٍ مُذِلٌّ لمن سيقع به، تعريضا بما كانوا قد  
هددوه به من الرجم؛ فإن الرجم مع كونه من أشد العذاب وآلمه فيه خزي شديد  
ومهانة عظيمة، لأنه لا يعاقب بالرجم إلا في جنابة فاحشة وذلك نهاية الخزي والاذلال.  
كذلك بين لهم أنهم سوف يعلمون حتما مَنْ هو الكاذب المفتري في دعواه، وهذا

في مقابلة تكذيبهم له عليه السلام ، وفي ذلك تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجه ، وفي نسبته الى الضعف والهوان ، وفي ادعائهم أيضا أنهم إنما أبقوا عليه ولم يرجوه لرعاية جانب رهطه العزيز المكرم عليهم .

ولما كان عليه السلام على ثقة مما وعده الله تعالى به من النجاة والنصر عليهم ، ومما أوعدهم به من العذاب المحيط اذا عكفوا على باطلهم ؛ ختم وعظه وترغيبه وترهيبه بإيامه بقوله : ( وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ <sup>(١)</sup> ) . أى انتظروا ما ل ما بلغتكم من رسالات ربى إني منتظر كذلك مثلكم ، فستعلمون ( مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُودًا ) ، و ( سَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ) م

مسلم منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا

## آثار برج بابل

تمكن الأستاذ « إكارد أونجر » أخيرا من حل رموز أثرية مكتوبة باللغة الآشورية استطاع بواسطتها من معرفة المقاييس المختلفة لبرج بابل الذى لم يعرف عنه حتى الآن سوى طول قاعدته المربعة البالغة ٩٠ مترا ، وأصبح الآن من الأمور الثابتة أن هذا البرج العظيم كان مكونا من سبع طبقات ومشيدا على قته معبد كان يستعمل أحيانا لرصد النجوم أيضا ، وكانت قاعدة البرج على شكل هضبة جبلية ذات لون أحمر قاتم ، وأما المعبد فكان لونه أزرق ؛ وقدّر ارتفاع البرج بما يقرب من ٩٠ مترا .

[ مترجمة عن مجلة « Umschau » الألمانية ]

(١) فقولوه ومن هو كاذب مطوف على من ياتيه . لكن لا على أنه قسيمه ومقابل له بل لانهم لما وعدوه بالرجم وكذبوه قال لهم سوف تعلمون من المذنب ومن الكاذب .

## فضيلة الصبر

وعدنا في السكامة الماضية أن نطالعك بكلمة عن فضيلة الصبر نبين فيها حقيقة وأقسامه وفوائده وآثاره وما يعين عليه وينمي في النفوس .

ولقد ترى في أسلوبنا هنا شيئاً من المغايرة لما سبق ؛ فإذا رأيت ذلك فاصبر ، وما صبرك إلا بالله ؛ وإذا لحظت أن في الكلام دقة في التعبير أو توسعاً في التقسيم أو ميلاً الى عبارات المؤلّفين التي تتطلب إجهاد فكر وإطالة إمعان ، فاصبر إن الله مع الصابرين ؛ وقد قال عز وجل : ( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ) .

وقبل أن ندخل في بيان حقيقة الصبر يجب أن ننظر الى منزلة الانسان في الترتيب بين منزلة الملائكة والبهائم ، فقد خلق الملائكة مجبولين على طاعة الله تعالى والتقرب اليه ( لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) ، ولم يودع في خلقهم ما يصرفهم عن هذا من شهوة تدعوهم الى نقص ، أو غضب يشور بهم الى شر ، فهم كرام برة خيرون بأصل الخلقة لا يتصور منهم مخالفة ولا معصية ، وخلق البهائم مسخرة لشهواتها لا تتحرك إلا لطلب لذائذها العاجلة أو دفع مؤذياتها الحاضرة .

وأما الانسان فقد خلق جامعاً لخصلتين المتعارضتين ففيه شبه من كلا النوعين ؛ خلق في أول أمره وبدء طفولته لا يعرف إلا شهوة غذائه ؛ فإذا ما كبر وتما نبت فيه شهوات آخر كشهوة الزينة والاهو ، ثم يبدو حب العلو في نفسه وينشأ من كل ذلك قوة الغضب اذا فاته شيء مما يشتهي ويتبعها الحركة وقوة النفس والمغالبة على إحرازه ؛ فاذ ما شب وترعرع نبت فيه غرائز أخرى وصحبها التمييز والعقل وحب النافع ولو مؤلماً ، وكرهية الضار ولو لذياً ولكنه لا يعدو النظر الى العاجلة ؛ فاذ ما اكتمل عقله وأن أوان تكليفه

صح أن يفكر في الآجلة، وأن ينظر بقلتا عينيه الى كلتا حياتيه : حياته الدنيا، وحياته الآخرة؛ وهنا يجد نفسه بين قوتين متعارضتين تتجاذبان الى جهتين متضادتين؛ الأولى منهما القوة البهيمية تدعوه الى اللذات وانتهاز فرصها قبل الفوات، توهمه أن في فوات الفرصة غصة، والثانية تنبهه الى ما هيء له من نعيم مقيم وما أعد له من مكان عظيم؛ وكل منها لها خطرها ولها أثرها ولها مددها ولها نفعها أو ضررها؛ فأما الأولى فقد نشأت مع النفس وتمكنت بمرور الزمن وقوة الالف واستحكام العادة ثم بحضور ثمرها وللحاضر معنى من القوة لا يناله الغائب، والثانية أهميتها وعظم هولها وخطر شأنها وعدم القدرة على تحمل نتيجة مخالفتها ومواجهة هولها وانها لمعركة حامية وموقعة دامية ميدانها قلب الانسان وجيشاها جند الرحمن وجند الشيطان؛ وسعادة المرء وشقاوته بين كفتي الميزان فالما نأى أعظم الربح، وإما بقاء بأعظم الخسران، فهو إما في مصاف الملائكة، وإما ملحق بالبهائم أو بحزب الشيطان؛ فالصبر هو ثبات جند الفضيلة أمام جند الرذيلة، هو تقوية جند الله حتى تقهر جنود الهوى فتنتصر النفس على الشيطان عدوها وتنوز بأقصى أمانها، وبذلك ترى الصبر داخلا في كل عمل من أعمال الانسان النافعة، فقلما تجد عملا نافعا إلا وله صوارف متنوعة، أما الكسل عنه أو استصعاب طريقه أو الانصراف عنه لما هو حاضر اللذة، وكذلك الأعمال التي هي من باب الكف والتكليف وهي الانتهاء عن المعاصي، تجند النفس دائما تنازعك بطموحها الى الحركة المشتهاة لها.

وإن شئت فقل الصبر هو ضبط النفس وقمعها عما تهوى وحبسها عما تكرهه حباً في إحراز خيرها الآجل ونعيمها المقيم وسعادتها الدائمة.

ولما كان الايمان المعتقد به شرعا هو ما يجمع بين تصديق القلب اليقيني وبين العمل بتقتضى تصديقه، وعرفنا أن عمدة كل الاعمال هو الصبر عليها والصبر عن الصوارف عنها كان الصبر بهذا الاعتبار كما ورد « نصف الايمان »؛ وسيجيء لهذا تنمة توضيح.

مقومات الصبر : يعتمد الصبر على دعامتين تقومانه وتكونان حقيقة؛ وهما قوة اليقين وقوة الارادة، وذلك أن الأعمال النافعة دائماً تجد ميولاً في النفس مضادة لها تصرفها عنها وتلك الميول غرائز سابقة في النشأة على وجود الفضيلة في النفس؛ فإذ همت النفس بعمل مما يجدر بها أن تعمله ويطلبه داعي الدين، هبت تلك الميول في وجهها هبوب العاصفة تصرفها عنه وتطالبها بأن تستوفي متعتها وتنعم بما يحيط بها، وألا تقوت على نفسها فرحها فتقع النفس في الحيرة بين هاتين الداعيتين : داعية الهوى يقويها الف النفس له واعتبارها إياه ويغذيه أنه عاجل وقد طبعت النفوس على حب العاجلة، وداعية الفضيلة يقويها عظم شأنها ودوام نعيمها؛ وهنا تنشب المعركة بين الداعيتين وتتصارع القوتان فتحتاج داعية الفضيلة الى مدد يقويها حتى تظفر بخصمها وتتغلب عليه وتقهره، وذلك المدد هو قوة اليقين وقوة الارادة؛ فأما اليقين فيتقوى بتكرار التذكير لعقيدته التي لا يشك فيها أي بمعاودة استحضار إيمانه المرة بعد المرة، حتى لا تباعد عقيدته طويلاً عن خاطره واليه الإشارة بقوله جل شأنه: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) وانك لتشاهد الرجلين كل منهما يحزم بأن عمله وكده سينتج له نتيجة عظيمة هو حريص عليها وراغب فيها أتم رغبة، ولكن أحدهما دائماً يتذكر حرصه على نتيجته المرجوة، فلا تكاد تبرح باله ولا ترايل خاطره؛ والثاني لاهٍ عنها غافل حتى تذكره بها فيقول لك حقاً إن هذا لازم ولكننا انصرفنا عنه، وقد يجد في تذكره له ألماً ومضايقة لأنك أشعرته بالحرمان الذي سيلاحقه من إهماله ولا يجد عذراً يقنع به نفسه ويريح ضميره من الوخزات التي تلحقه ساعة الذكري، فقد يعتمد الى التلهي عن ذلك التذكير فراراً من ألم التأنيب الذي يحسه من نفسه، وتارة يجمع قواه ويحفر همته ويحمل نفسه وهي كارهة، كارهة لأنها ألفت البطالة وخلدت الى الراحة والكسل أو استماحت مذاق تلك الملاذ والملاهي؛ فإذا ما عاودتها الذكرى قويت نوع قوة على الداعية المضادة، فإذا ما تكررت التذكير وطال أمدته كانت قوته بلا ريب أعظم من قوته حين يكون لمحات



أو خطرات سريعة الزوال . وقد حمل بعضهم معنى زيادة الايمان ونقصه على هذا ، أى على زيادة الاستحضار ونقصه ودوام ملاحظة المعنى الذى يؤمن به أو سرعة انصرافه عنه فيقوى هذا الاستحضار حتى يكون اليقين فيه كالشهود والمعاينة ، وبه فسروا ما ورد فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه من أنه لو وزن إيمانه بإيمان هذه الأمة لرجح بها ، وهذا هو السر فى طلب إدامة الذكر ، فالمقصود إدامة التفكير والذكر القلبى وإنما جعل الذكر اللسانى وسيلة له لأن النفس غالباً تتذكر معنى ما تنطق به بل ما تسمعه أيضاً ، وأما الارادة فتقوى بالمران والتعود بأن يتتبع المرء خواطره المتنافرة ويتعهدا بيقظة تحملها على تغليب مرضاة الله على مرضاة الهوى فاذا ماظفر مرة عاود الثانية فاذا ما تكرر له هذا سهل عليه أن يقود نفسه كالطية التى تراض على السير الخالص فتجمع فى أول أمرها فلا يزال يحملها على ما تكره حتى يصير ذلك عادتها ، وكالشخص الذى يتعود المصارعة مرة بعد أخرى فيكتسب بمرانه قوة لم تكن له قبل المران ، فهكذا تجدد النفس فى أول تدريبها جامعاً عن السير الذى يراد منها فتحمل عليه قسراً فتتعاصى مرة بعد مرة حتى يسلس قيادها وتلين شكيمتها ، فاذا ما كررت ذلك عليها أصبح هذا المسلك ديدنها والتحق بغرائزها ووجدت فيه غبطتها ومسرتها وأصبح ما كنت تسميه قسراً أو صبراً رضاء وطماً نينة فهذا طريق علاج النفس حتى تتحلّى بفضيلة الصبر ، وكما أنه لا يكفى فى سلامة البدن من الآفات مجرد معرفة أنواع الأدوية والعلاج بل ينبغى أن تراعى الوقاية من المرض قبل حلوله وذلك أفضل من التعرض له استناداً على العلاج الميسور ، كذلك لا يكفى فى سلامة النفس من آفات الأخلاق الرذولة معرفة أدويتها وأنواع علاجها بل ينبغى استعمال الوقاية والعناية بها وتقديمها على اللجأ الى العلاج بعد حلول المرض النفسانى . وعلى هذا ينبغى الابتعاد عما يثير فى النفس دواعى الشر حتى يكفى شر المرض ومؤونة العلاج ، وهذا يأتى فى العوارض الاختيارية وهى التى تكون مبادؤها من ميول الانسان واختياره وذلك كارسال النظر الى المشتبهات المحظورة والاسترسال الى التفكير فى اللذائذ

المنهية مما يجعل النفس متطلعة لها فتنقاد اليها متى سنحت فرصتها وكالاتسلام لثوران النفس عند غضبها أو الاشتغال بالمهارة والمجادلة بغير الطريقة المثلى ، فانه مما يعرض النفس لزلالات قد تندفع فيها بلا تبصر ولا ترو فلا تنظن لنفسها إلا وقد تردت فيما تكره فتعود على نفسها بالندم واللائمة إن كانت من النفس اللوامة أو تستمرى ذلك المرعى الويل إن كانت من فريق المخذولين وفي ذلك دمارها وهلاكها ؛ فقطع تلك الأسباب من أساسها أسهل وأضمن للسلامة من علاجها بعد تورطها فيها ولذلك جعل الشارع الحكيم للمحرمات سياجاً واسعاً يبتعد بالنفوس عن حماها ، وجاء في الحديث : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمة ، ألا وإن في الجسد مضغة اذا صلحت صالح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب <sup>(١)</sup> » .

منزلة الصبر من الفضائل : إن نسبة الصبر للاخلاق الفاضلة كنسبة الأصل الى الفروع أو كنزلة الماء من الأحياء ، تلك المنزلة المذكورة في قوله تعالى : ( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ) فلا تكاد تجد المرء في حال من أحوال حياته غنياً عن التذرع بفضيلة الصبر ليتحلى بالخلق الذي تستدعيه حاله ؛ فالغنى في حاجة الى الصبر ليضبط نفسه عن البطر والطغيان المشار اليه في قوله تعالى : ( كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ) ، ولا تظن أن الصبر على هذه الحال حال الغنى وما على شاكلته من التمتع بالصحة والجاء والولد وأنواع النعم من الهبات الهيئات ، فالنفس شغوفة بالاسترسال في ملاذها والاستزادة منها والطعام يقوى شهوه التهم ؛ وقد جاء قوله جل شأنه : ( إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ) ، فالإنسان بحاجة الى أن ينظر اليها بعين أنها نعمة أوجبت عليه حقاً يقوم به وليس من حقها عليه أن ينهمك في ملاذها

ويغفل عن شكرها ويستوجب لنفسه على الناس حقاً لا يلزمهم من أجلها، فهو بين فتنه الانهماك فيها وفتنة التقصير في الشكر عليها وفتنة زعمه أنه وقد أنعم الله عليه بها يجب على الناس أن يعطوه من التوقير والتعظيم والتميز من أجلها ما لا يملكه عليهم، أفلا تراه يغضب إن خوطب خطاب المساواة ممن لم يساوه فيها؟ وهل هذا إلا جنوح للعظمة الممقوتة وادعاء ما ليس له؟ فهو بحاجة الى ضبط نفسه عن هذه الأحوال وذلك من أبواب الصبر؛ والفقر أو المحروم من بعض متع الحياة بحاجة الى ضبط النفس وحبسها عن التذمر والضجر والجزع مما حل به، وأن يرى في نفسه أنه عبد قد منحه سيده الذي خلقه نعماً لو قاس بها ما حرم منه لم يكن شيئاً مذكوراً فضلاً منه لا وجوباً عليه (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)، فهل تأمل هذا الفقير نعمة وجوده وإمتاعه بحواسه وصحته وقواه؟ بل هل التفت الى قوة تدير غذائه ومراتب جهاز هضمه مما يتم على أكل وجه لا شعور له به؟ وهل دفع ثمن ذلك؟ وهل راعى المريض أنه قد سلم من الأمراض الأخرى التي عوفى منها؟ وما من بلاء إلا والمرء معرض لما هو أشد منه وأكبر؛ واستعرض بعد ذلك الأخلاق تفصيلاً واستخرج منزلة الصبر منها فانك تجد العفة صبراً عما يشتهي والشجاعة صبراً حين البأس والصدق صبراً عما يطمع في إحرازه لو كذب وكتمان السر صبراً عن الافشاء المحبوب بسبب أن يذكر للغير ما يتطلع لمعرفة؛ وتجد في الامانة صبراً على منازعة النفس أن تنوز بما أوثمت عليه، وهل الحلم إلا الصبر على الأذى؟ وهكذا دواليك تجد الصبر من الأخلاق كالماء من الأحياء.

ثم استعرض الطاعات تجد الصلاة بحاجة الى الصبر على أداء تلك الأركان والتغلب على الشواغل التي تصرف عنها، بل تحتاج الى الصبر على استحضار أسرار الصلاة والخشوع وحضور القلب وهو أعظم من صبر الجوارح. والصوم ما هو؟ أليس هو الصبر عن المشتبهات وكف النفس عما تميل اليه بطبعها؟ ولشدة الاتصال

بين الصوم والصبر ورد في شأنهما جزء متناسب ؛ فقال عز وجل في شأن الصبر :  
 ( إِنَّمَا يُؤَوِّفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ) . وقال عليه الصلاة والسلام في شأن  
 الصوم : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والحسنة بعشرة أمثالها »  
 فقد جعل جزء كل من الصبر والصوم خارجا عن التقدير موكولا الى فضل العليم  
 الخبير فهو أعلم بمقدار ما يعانیه الصائم والصبور من مكافئة الليل ومعاناة الهوى وقوة  
 الجلد في اكتساب مرضاة الله وذلك أمر يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال وهو  
 أعلم بذلك من صاحب هذه الأحوال نفسه . والزكاة بحاجة الى ضبط النفس وكفها  
 عن البخل ومنعها من الاستئثار بما ليس لها من حق الفقير الذي وقع تحت يدها ؛ وهل  
 يخفى عليك المشاق التي يتعرض لها الحاجج والمتاعب التي تعترضه في طريقه فضلا عن  
 بذل المال المحبوب في سبيل طاعة الله ، ولعلك قائل وما علاقة الصبر بالايان ؟ وأقول  
 لك قد روى « الصبر نصف الايمان » ، وقد فسر ذلك بتفسيرين : أحدهما أن الايمان  
 المعتبره شرعا هو المعنى الجامع لليقين والعمل على مقتضاه ، وقد رأيت العمل كله بحاجة  
 الى الصبر ؛ والثاني أن الايمان إنما يكون إيمانا اذا أثمر ثمره في نفس المؤمن ، وذلك  
 أن يكون شاكرا على السراء صابرا على الضراء والمرء في حياته لا يخلو عنها ؛ فالصبر  
 صبران : صبر على ما تكره ، وصبر عما تحب ؛ ولعل الثاني أشق من الأول ، فالمكارد  
 في الغالب محدودة الأمد ، وأما المحاب فهي محيطة بالنفس تطالبها أن تستوفيها فهي  
 محتاجة إلى مصابرة أطول ويقين أثبت وإيمان حاضر في كل لحظة .

آثار الصبر : وأما آثاره وثماره فحسبك في تقديرها إجمالا ما رأيت من دخوله  
 في كل الطاعات واحتياج المرء اليه في جميع الحالات ، وواضح كل الوضوح ، إن الانتهاء  
 عن المحظورات بحاجة الى الصبر عنها كاحتياج امتثال الطاعات الى الصبر عليها ، ويزيدك  
 معرفة قدره نظرك الى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة في شأنه ؛ وانظر

الى قوله جل شأنه بعد أن أمر عباده بالذكر والشكر ونهاهم عن الكفر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُسْتَعِينُونَ).

فأنت ترى في تعقيب الأمر بالذكر والشكر والنهي عن الكفر بالأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة، أن الصبر قوام الطاعات ومعين عليها، وأن اقترانه في الآية الكريمة بالصلاة التي هي عماد الدين لآية جليلة في ذلك، وهل يمارى أحد في تلك المنزلة الرفيعة التي منحها الله للصابرين وأنه معهم، وأي شرف وفوز أعظم من هذه المنزلة الرفيعة؛ وإنك لتلمح في قوله جل شأنه: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)، واقتصاره على الصبر ولم يضيف إليه الصلاة مع اقترانها به في الأول، تلمح من ذلك ما قدمناه من دخول الصبر في أنواع العبادات، فالمصلي صابر في صلاته فالله معه؛ ثم إنه جل شأنه قد بين عقب ذلك حقائق يعين فهمها على الصبر، ويقوى النفوس على الطمأنينة وتفتح، أمام الذهن مغالق خفية، متى عرفت على وجهها سهل الاذعان للصبر عليها بل الاطمئنان إليها؛ فقال جل من قائل: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)، فهام عن أن يصفوا الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله بالموت والقتل غاية المصائب وبين أنهم أحياء حياة لا تشعر بها، وحسبنا أن أخبرنا بها ربنا؛ ثم بين حكمة تعريفه عباده بالمصائب وأن هذا ابتلاء منه لعباده ليميز الخبيث من الطيب، وليتبين عدل الله لعباده؛ فقال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) فعدد أنواعا من المصائب تصيب العباد وجعلها مثلامنه كما قال عز وجل:

(أَلَمْ أَحَسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِيْمَانًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)؛ ثم أردف هذا الابتلاء بتبشير الصابرين الذين بين صفتهم وعلامتهم بأنهم الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا بلسانهم قولاً يطابقه اعتقادهم ويقينهم: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ إنا لله عبداً يملكنا ولا نملك عليه شيئاً أنعم علينا بفضله بدون أن نستوجب ذلك، فهو المنشئ لنا وإخلاقاً، وهو الواهب لهذه النعم بلا ملجئ ولا قاهر، فله ما أعطى، وله ما أخذ، وإنا إليه راجعون فيجزى كل امرء بما عمل؛ فإن لم يكن الصبر اعترافاً بأنه هو مالك كل شيء فليكن أملاً في الفوز بما وعد به الصابرين يوم يرجعون إليه، وما أجل السياق الذي ذكرت به البشري حيث قررناها على وجه الثبات والتمكين في قوله: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّهَدُونَ)؛ فقد عرف في أسلوب اللغة العربية أن التعبير عن شيء بصيغة اسم الإشارة بدل الضمير بعد سبق التحدث عنه بأثبت صفات تناسب السياق، نكتته أن الحكم الذي تثبته قد نشأ عن تلك الصفات واستحق بسببها، فكانه هنا يقول إن الصابرين بما صبروا وبما قالوا واعتقدوا من أنهم ملك لله وراجعون إليه يستحقون من الله الصلوات والرحمة، يستحقون الثناء العظيم، يستحقون العطف والاحسان، صلوات ورحمة تشملهم وتعمهم وتغدق بهم وتعلو عليهم، ثم وصفهم كذلك بأنهم هم المتهدون للحق والصواب باعترافهم بعبوديتهم لله ورجوعهم إليه، المتهدون للفوز بما يشتهون وإدراك ما يرجون، فهذا هو قوله: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّهَدُونَ)؛ وقد قل عمر رضي الله عنه في ذلك نعم العبدان ونعمت العلاوة جعلنا الله منهم وحشرنا في زميرتهم

إبراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالأزهر

# السُّنَّةُ

٣

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلفَ النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال : يا غلامُ احفظِ اللهَ يحفظَكَ ، احفظِ اللهَ تجدهُ تجاهَكَ ، وإذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاستعن باللهِ ؛ واعلمُ أن الأُمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك ، جفتِ الأقلامُ وطُويتِ الصحفُ .

قد حدثناك في العدد الثامن بطرف يسير مما حوته الوصية الأولى ؛ وهى قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما : احفظ الله يحفظك .

فأما الوصية الثانية — فهى قوله عليه الصلاة والسلام له : احفظ الله تجده تجاهك ؛ أمره فى الوصية الأولى أن يحفظ الله وبين له فيها العاقبة الطيبة لها ؛ ثم علمه فى الوصية الثانية أنه اذا حفظ الله تعالى وجده تجاهه ، أى أَمَامَهُ كما فى رواية الامام أحمد الملتزمة .

إن قول النبي عليه الصلاة والسلام : تجده تجاهك ، قد اشتمل على أمرين عظيمين لا ينالهما إلا من حفظ الله تعالى وأدّى مأموراته وهجر منهياته : أولهما أن من حفظ الله سبحانه لا تتوجه نفسه فى شأن من شؤونه إلا الى الله عز وجل ، فاذا نزل به أمر أو احتاج الى ما يصلحُ به أحواله مثلا ، فان نفسه لا تنزع إلا الى سيدها الأجل

الذى له الخلق والأمر؛ وثانيهما قُرْبُ الله سبحانه وتعالى من هذا العبد الذى حَفِظَ حدودَه، وسرعةُ أغاثته له على حَسَبِ ما تقتضيه مشيئته جل وعلا.

وهذا كما قال سبحانه للرسولين الكريمين موسى وهارون عليهما السلام، حينما خافا فرعون مصر أَنَّ يَفْرُطَ<sup>(١)</sup> عليهما أو أَن يَطْغَى : (لَا خَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)، وهما كسائر النبيين والمرسلين من سادات المؤمنين الذين حفظوا الله تعالى أسمائهم حق الحفظ؛ فهذا كافأهما على حفظهما له، فكان قريبا منهما بمعونته وعلمه وحراسته أن يفرط عليهما هذا الجاهل الظالم أو أن يطفى.

الوصية الثالثة — هى قوله عليه الصلاة والسلام : وإذا سألتَ فاسألَ الله ؛ بعد أن علمه أن الله عز وجل معه بعلمه وهدايته كان الحتم أنه اذا أراد أن يسأل شيئا مما، فانما يسأل من يَجِدُهُ تجاهه وهو الله القريب الغنى الوهاب؛ ثم إن سؤال العبد لربه سبحانه له وسيلتان : إحداها وسيلة اللسان يدعو ويتضرع مترجما عن القلب الحاضر الخاشع المستشعر بعجزه وافتقاره الى المولى الغنى القدير؛ وثانيها وسيلة العمل، فالأعمال التى من شأن التاجر أو الصانع أو طالب العلم أن يعملها، يجب عليه أن يكون ذا كَرٍّ لِّلَّهِ تعالى وقت قيامه بها، متوجها إليه سبحانه حينما يعانها ويقاسى ما صادفه فيها، رجاء أن يسدده ويوفقه لينال من علمه ونصيبه عاقبةً محمودَةً.

الوصية الرابعة — هى قوله صلوات الله وسلامه عليه : وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله قد اشتملت هذه الوصية النبوية أولا على تعليمين عظيمين : أولهما تذكير الانسان بأنه عاجز محدود القدرة لا يتيسر له أن ينال رغائبه وحده، وفى هذا تعليم وتهذيب عظيم لما فيه من تعريف الانسان قدر نفسه، ورحم الله امرأ عَرَفَ قدرَ نفسه فلم يتعدَّ طَوْرَهُ؛ وثانيهما تعليم الانسان أن قدرة المولى تبارك وتعالى ليس لها حد تقف

(١) يجعل بمقوبتهما أو يزيد عليهما بالجرأة على الله رب العالمين .



دونه ، ولا يغالبها مقدور ، ولا يُفْلِت منها هارب ، فكان الله تعالى لذلك هو العزيز القهار الغالب على أمره ، وما من ممكن إلا وهو سبحانه آخذ بناصيته ، وما من شيء في السموات والأرض إلا وقد نفذ فيه أمره وحكمه ، كما قال عز سلطانه : ( وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ) ، وقال : ( أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ<sup>(١)</sup> مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ) .

فاذا عجزت قدرة مخلوق عن شيء ولم تصل يدها الى أن تتناوله ولم تستطع الى الاحتيال على الوصول اليه سبيلا ، وجب على ذلك المخلوق العاجز أن يستعين بالقادر الذي لا يعجزه مقدور ما في الأرض ولا في السماء وهو الله تعالى واهب القدر .

وبعدُ فإن ما قررناه لك في هاتين الوصيتين الثالثة والرابعة لا ينافي الأخذ بالأَسباب التي أذن الله تعالى بها ، فإنها من جملة حدوده التي أمر بالمحافظة عليها ، فالأخذ بها هو من جملة حفظ العبد لحدود الله سبحانه .

إذا تمهد لك هذا فاعلم الآن أن ماتوجه النفس الى معاناته وممارسته ، تارة يكون مما لا يمكن أن تتناوله قدرة مخلوق ما ، وتارة يكون مما يمكن أن تتناوله قدرة مخلوق دون مخلوق آخر ، وتارة يكون مما يمكن أن تتناوله قدرة المخلوقين في العادة المألوفة ، فهذه أحوال ثلاث . والواجب على الانسان اذا توجهت نفسه الى شيء منها ، أن يرجع فيها جميعها الى الله القريب المجيب بالسؤال والاستعانة ، رجاء أن يسدده ويوفقه لمعرفة الأسباب الصحيحة ، ويهديه الى الصراط القويم الذي يصل منه الى ما يبتغيه ، وأن يمدد ويعينه بالوسائل التي جهلها أو عجز عنها ولا يقدر عليها إلا الله العليم القدير ، وأن يحفظه من الزلل والخطأ فيها ، وأن يحوطه بدوام رعايته وهدايته حذرا من الانحراف عن جادتها القويمة .

فقد ظهر لك من هذا أن العبد اذا تعلق نفسه بمزاولة أمر يدخل تحت قدرته أو أمر تعجز عنه قدرته، هو في حاجة قاهرة الى ربه القادر، فهو في كلتا الحالتين (قدرته وعجزه) يجب عليه طوعا وكرها أن يفزع الى الله تعالى سائلا له بلسان مقاله وحاله أن يديم له ما وهبه له من هذه القدرة، وأن يُمدَّه بروح من عنده فيما لم تصل اليه قدرته، والعبد في كل من هاتين الحالتين بعد أن أفرغ جهده وأخذ بالأسباب الصحيحة المشروعة يكون من المتوكلين على الله الذين فعلوا ما استطاعوا، ثم فوضوا الى ربهم الأمر فيما لم يستطيعوا، وسألوه واستعانوه فيما استطاعوا وفيما عجزوا، فأكرمهم الله وأحبههم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).

وإجمال ما سبق أن العبد بازاء الأمر الذي يحاوله، سواء أكان تحت قدرته أم كان فوقها، يجب عليه أن يسأل الله تعالى قولا وفعلًا ويستعينه في الحصول عليه؛ فان كان ذلك الأمر في مقدور العبد، فسؤاله واستعانيته بالله أن يضرع اليه ليديم له الهداية والاستقامة على سَنَنِ الصواب؛ وإن كان غير مقدور له استوهمه أن يتولى سبحانه ما عجز هو عنه ويُدَّه بما لم تصل اليه قدرته الانسانية المحدودة؛ فهو في كلتا الحالتين فقير كل الفقر الى مولاه القادر الغني الكريم، متوكل عليه منيب إليه فيما يأتي ويذر.

هاك بعض أمثلة لذلك: طالب العلم، يزاوّل مسائل الفن الذي يعاينيه بما وهبه الله من نعمة العقل، وتراه في أثناء هذه المزاولة سائلا مستعينا بالله أن يديم هذه النعمة عليه؛ وذلك هو قوله تعالى: (فَإِذَا عَزَمْتَ<sup>(١)</sup> فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).

لكن قد تعترض طالب العلم هذا مسألة غامضة تُخَفِّي عليه وجه الصواب فيها وكما حاول الوصول اليها زاد إياقها وأشككت عليه حتى تعجزه، حينئذ لا يكون له ملجأ

من عصيائها عليه إلا الله القادر العليم ؛ فإذا سأله حق السؤال واستعانه بقلب سليم حاضر ، رُجِيَ له أن الله يَكُنَّه مما عجز عنه ويعلمه من لدنه ما جهل ؛ كما قال سبحانه : (وَأَنقُوا<sup>(٢)</sup> اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ . وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

قد علمت مما سبق أن العبد إذا أراد الشيء أعد له عدته ، واستكمل ما استطاع من وسائله ؛ كما علمت أن العدة التي يُعِدُّها والوسائل التي يستكملها ، هي العدة والوسائل التي أذن الله بها وبها في الكون وفي الأنفس وشرعها لعباده وعلمهم إياها على لسان رسوله عليهم الصلاة والسلام .

« يتبع »

منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

## الظرف والمهلح

بُعِثَ إلى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه بِحُلِّلٍ ، فقسمها فأصاب كل رجل ثوب ؛ فصعد المنبر وعليه حُلَّةٌ ، والحلة ثوبان ؛ فقال : أيها الناس ألا تسمعون ، فقال سلمان : لا نسمع ؛ قال : ولِمَ يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوباً و ثوباً عليك حلة ؛ قال : لا تَعَجَلْ يا أبا عبد الله ، ثم نادى يا عبد الله ، فلم يجبه أحد ؛ فقال : يا عبد الله بن عمر ، قال : لَبِيَّكَ يا أمير المؤمنين ، قال : نَشَدْتُكَ بالله . الثوب الذي ائْتَرْتُ به هو ثوبُك ؟ قال : اللهم نَعَمْ ؛ فقال سلمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمع .

(٢) اتخذوا لأنفسكم وقاية من غضب الله وعذابه بأعمالكم سننه الكونية وأحكامه الشرعية فإذا اتقيتموه يقيكم ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون .

# الفتاوى والأحكام

## المعراج

ورد إدارة المجلة من حضرة صاحب التوقيع ما يأتي : —

س : هل كان المعراج للرسول عليه الصلاة والسلام بالروح والجسد الشريف أو بالروح فقط ؛ وإذا كان الأول فما الدليل على ذلك ؟ «مصطفى محمد خضير»

ج : المعراج كان بالروح والجسد جميعا فان الله يقول : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) ، وقد كان المعراج والاسراء في ليلة واحدة ، والعبد إنما هو الروح والجسد جميعا والذي يصح أن يجعل آية من الآيات ويُمتنَّ به ذلك الامتنان إنما هو الاسراء بالروح والجسد ؛ وأما رؤيا ذلك في المنام فبعيد عن أن يكون من الآيات أو المعجزات ولا معنى لأن يتعلق به الفتنة ، فان من الجائز أن يقع ذلك للعامة فضلا عن الخاصة ، ولهذا نقول : إن من الأدلة أيضا قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) على ما يقول جمهور المفسرين فإنها لو كانت رؤيا منامية لم يفتن بها أحد ، وأى افتتان ، في أن يرى الانسان في منامه أنه ذهب الى الشام أو الى الهند وأنه رأى كذا وكذا ، ولو كان الأمر على ما يزعم الزاعمون أنها منامية ما كان لانكار قريش إياها معنى ولا لسؤالهم رسول الله عن المسجد الأقصى وصفته ، بل عن غير لهم كانت في طريق الشام للتجارة معنى معقول ، ولم يكن لافتتان بعضهم ورجوعه عن الايمان سر مفهوم ؛ فإني اذا قلت لك رأيت في منامى أني ذهبت الى الحج ورأيت هناك ما يراه النائم في منامه لم يكن من الآيات في شيء ولا من الاستبعاد والانكار في كثير ولا قليل ، فاذن لا يمكن أن تكون مناقشة قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ولا رجوع من

رجع منهم عن إيمانه إلا إذا كانت دعواه عليه السلام أنه ذهب الى بيت المقدس بجسده لا بروحه فقط ثم عاد الى مكة قبل طلوع الفجر ، ولذلك كانوا يقولون له : نحن نضرب أكباد الابل الى الشام شهرا وأنت تزعم أنك ذهبت الى بيت المقدس ورجعت الى مكة في ليلة واحدة ثم أصبحت بين أظهرنا ؛ أما التمسك بأن الرؤيا بالآلف لا تكون إلا منامية فهو تمسك واهٍ ، فانها قد تكون لما في اليقظة أيضا كالرؤية بالتألف كما حققه العلماء ، على أن جعلها فتنة للناس كاف في بيان المراد منها وإلا فلا معنى لجعلها فتنة على ما شرحنا ؛ وكذلك قوله تعالى في سورة النجم : ( وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ) الى قوله : ( مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ) ، فان مثل ذلك لا يقال فيما يكون مناما لدى من عنده أدنى ذوق سليم . . . هذا ومن اطلع على أحاديث الاسراء والمعراج لم يشك في أن ذلك كان يقظة لا مناما ؛ وأما الكلام على ذلك من حيث إمكانه وعدم مصادمته لشيء من النواميس الطبيعية التي يستندون اليها ويتبجحون بها ، فسنفرد له مثالا خاصا إن شاء الله تعالى ؛ وكثير من الناس من لا يفرق بين الاستبعاد المبني على عدم الآلف والعادة ، وبين الاستحالة العقلية ؛ لكونهم لم يرتاضوا بالمنطق وصناعة البرهان ، ولم يزاولوا من العلم إلا ما ضرره أقرب من نفعه ، وخطأه أدنى من صوابه ؛ وسنفيض القول في ذلك بعد في عدد آخر إن شاء الله ، ويكفي ذلك الآن ؛ ولنتفرغ لغيره .

\*\*\*

وورد من حفرة صاحب الامضاء مايلي : —

س : أرجو شرح النقط الآتية على صفحات المجلة . . بالقرية التي أنا موظف بها ، رجل متفقه تأتم به الناس في هذه البلدة وما جاورها ، يفسر ألفاظ القرآن الكريم بظاهرها وهو يحرم : (١) التوسل بالأنبياء والأولياء الى الله تعالى . (٢) يحرم قراءة القرآن للموتى والعتائق (الصمدية) . (٣) والمهم الذي دعاني الى الاستفهام قوله :

( إِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى فِي السَّمَاءِ فَقَطْ ) ، ويستدل بقوله تعالى : ( ءَأَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ ) ؛ وقوله أيضا سبحانه : ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) .

محمد سليمان الشيخ  
مدرس بمدرسة بلتاج الاولى

ج : التوسل بالأندياء والأولياء جائز لاشك فيه لدى من استنارت بصيرته وصفت قريحته ؛ وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في العدد الثامن من المجلة ، وسنفيض القول فيه بعد .  
أما قراءة القرآن فقد صححنا وصول ثوابها الى الميت ، وذكرنا في ذلك ما فيه مقنع وكفاية ان أنصف ولم يتعسف ، فراجعه في العدد الثامن من نور الاسلام ؛ وقد جاء في قراءة الصمدية أحاديث يعمل بها في مثل هذا الموضوع . أخرج الطبراني في الكبير مرفوعاً : من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كتب الله له براءة من النار ؛ وأخرج البزار في مسنده مرفوعاً : من قرأ قل هو أحد مائة مرة أعتقه الله من النار ؛ وقد علمت أن الصحيح وصول ثواب القراءة الى الميت ، فلا بأس إذن من إهداء ثوابها الى الأموات كما يفعل الناس ؛ وليعلم القارئ الكريم أن العلماء من المحدثين والفقهاء قالوا : يجوز بل يستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ، وقد علمت أن الصحيح لدى العلماء هو وصول ثواب القراءة وغيرها كالصدقة والدعاء .

أما دعواه أن الله في السماء فقط فهي من أدل الأدلة على جهله بالمعقول والنقول ؛ فان الذي يحتاج الى مكان يكون فيه لا يكون إلهاً ، فان الاله هو الذي يحتاج اليه كل شيء (حتى المكان) ولا يحتاج هو الى شيء ، وأين كان قبل المكان ، أليس المكان محدثاً بعد إن لم يكن ومحتاجاً الى من يخرج من العدم الى الوجود ، ثم هو محتاج بعد ذلك الى من يحفظه بعد وجوده (إِنَّ اللَّهَ يُسَكِّنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) إن المكان يستمد وجوده وحفظه من غيره ، كالممكن سواء بسواء ، وأحكام الأجسام الذاتية لا تختلف

ولا تتباين؛ وقد قام البرهان العقلي على أن الله تعالى مخالف لمخلوقاته، ولو ماثلها لكان حادثا مثلها؛ ومن المعلوم أنه لو احتاج إلى مكان لكان جسما مفتقرا إلى ما يقبله؛ ولكان مركبا من أجزاء ومحتاجا إلى أجزائه وإلى من يركب تلك الأجزاء ويضع كلا منها في مكانه الذي هو فيه وإلى من يخصصه بطوله وعرضه وسمكه؛ فإنه كان يجوز عقلا أن يزيد عن ذلك المتدار أو ينقص عنه وكان يجوز أن تكون أجزاؤه في غير أماكنها الخاصة بها؛ فاذن لا بد له من مخصص يخصصه بذلك كله، والمفتقر إلى غيره محال أن يكون إلها؛ ثم نقول من وجه آخر أن هذا الجسم لا بد أن يكون أقل من العرش أو زائدا عليه أو مساويا له، ونقول لا بد أن يكون قابلا للانحلال، لأن كل مركب يقبل الانحلال إلى أجزائه؛ ولو فرضنا أنه في غاية الصلابة والمتانة لكان هناك من الآلات القوية التي وجدت أو التي يجوز أن توجد ما يمكن أن يزيل كيانه ويعدم شخصه ويرجعه إلى أجزائه الأولى.

ثم نقول أيضا كونه في السماء يقتضى كون السماء ظرفا له، فيكون أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير؛ فيلزم أن يكون الله تعالى شيئا حقيرا بالنسبة إلى العرش — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)، فهو الممسك لها وليست ممسكة له.

أفلا يكون ذلك كله قرينة على صرف بعض الآيات عن ظاهرها وجعلها كناية عن شيء آخر يليق بعظمة الله تعالى وجلاله، مع أن صرف اللفظ عن ظاهره والذهاب به مذهب المجاز أو الكناية يكفي فيه أية قرينة من القرائن التي يستبعد معها إرادة المعنى الحقيقي — ولو من طريق العادة — فما بالك بالبراهين العقلية التي تزول منها الجبال، وليت شعري! أيحمله على عرشه بمقتضى قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)؛ أم في سمائه بمقتضى قوله تعالى: (ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ) وأية سماء هي، أم في أرضه بمقتضى قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) أم في بيوتنا

ومجالسنا بمقتضى قوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ)، أم تحت الأرض بمقتضى ما رواه الترمذى من قوله صلى الله عليه وسلم: «لودلى أحدكم بجبل فى بئر لوقع على الله» أو كما ورد؛ نعوذ بالله من قصور الفهم وتسلسل الوهم؛ وماذا يصنع فى حديث النزول الى سماء الدنيا كل ليلة وقت السحر اذا أخذ بظاهر قوله تعالى: (ءَأْمِنْتُمْ مِنْ فِى السَّمَاءِ) ولعله يقول إنه فى غير سماء الدنيا الى آخر ما علمه اخیال أو يقتضيه اخیال؛ وما أدرى لماذا يتمسك بهذه ولا يتمسك بقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، واذا كانت الروح من أمر الله ولسنا نعرفها وهى أقرب الأشياء إلينا، ولا ينبغى أن نخوض فيها مع هذا الجهل؛ وقد تباينت آراء العلماء فيها قديما وحديثا، حتى ذهب الفلاسفة وكثير من أهل السنة كالغزالى والخلصى وغيرهما الى أنها من الجواهر المجردة التى لا تحتاج الى حيز ولا مكان، فكيف بمن هو رب الملائكة والروح؛ ولكن هناك نفوس غليظة لا يمكنها أن تعرف إلا الأجسام وأحكام الأجسام، وليس فى استطاعتها أن تدرك ما ليس جسما ولا جسمانيا ولو كلفنا الدودة الصغيرة أن تعرف حقيقة الانسان وأحواله لكان ذلك تكليفا بالمحال؛ وما بيننا وبين الله تعالى أبعد مما بين الانسان وتلك الدودة الحقيرة بما لا يستطيع تقديره فانها تشترك معنا فى جنس الحيوان؛ وقد قلنا إن العوالم أنفسها تختلف أحكامها اختلافا لا يحيط به العد، فن الغلط البين أن تحكم بأحكام عالم على عالم آخر؛ فما بالك بمن تعالى عن سمات المخلوقات، وتنزه عن أن يدخل تحت نوع أو جنس، كيف يتطلع العقل الضئيل والبصر الكليل والعلم القليل، أن يعرف ذاته أو يحيط بما له من صفات وأحكام؛ ولئن أبى بعض الناس أن يعبدوا إلها لا يعرفون كنهه، ولا يقفون على حقيقة صفاته، فأنى والله أبى كل الالباء أن أعبد إلها يصل عقلى الى كنهه المحدود، وصفاته التى تشبه صفاتى، وأصرح بمسمع من الخافقين إني لا أعبد إلها يمكن أن أدركه بعقلى أو أألمسه بيدي أو أألمسه برجلي أو أمزقه بمدفعي الخ... ولماذا لا يقلد أولئك المتفهمون



(المدعون لا اتباع مذهب السلف الذى يجهلونه ولا يعرفونه) أئمة الهدى وجماهير العلماء، إن لم يسهل عليهم فهم الأدلة العقلية والبراهين المنطقية وهؤلاء الهداة، والله خير من قلدوهم وأكبر وأكثر، فلينظروا لأنفسهم وليحتاجوا لدينهم؛ وقد قلنا ذلك نصيحة لله ورسوله والمسلمين، والدين النصيحة، وما اشتدنا إلا لله، وفي سبيل الله ما نلاق من أولئك الجامدين الذين نحب لهم ما نحب لأنفسنا كما أمرنا الله ورسوله؛ وقد كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول: «أمنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله» أسأل الله أن يقينا شر الفتنة وأن يجعلنا من أهل البصيرة فى الدين الذين يؤمنون بالحكم ويردون اليه المتشابه لا من الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله؛ على أن العلماء قد بينوا المراد من تلك الآيات، فقالوا المراد أن فى السماء سلطانه وأمره وقدرته، والمقصود من ذكر السماء تفخيم سلطانه وتعظيم قدرته؛ وقد قال تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) ومحال أن يكون فى السموات وفى الأرض؛ فالقصد أنه متصرف فى السموات والأرض تصرف المتمكن فيهما، فما توجه الظرفية ان هى له من إتقان العمل وإحكام التدبير وسهولة التصرف وعدم غيبة شىء عنه ثابت له تعالى بأتم معانيه فى السموات والأرض، فلا يتصور فى حقه تعالى بعد ولا قرب ولا غيبة وحضور على نحو ما نعرفه، فإن ذلك لا يتصور إلا بالجسمانيات؛ وأما هو فالأشياء كلها سواء بالنسبة إليه، فلوازم القرب والحضور ثابتة له، كما أن لوازم البعد والغيبة منتفية عنه، فليس قربه من جنس قربنا ولا معيته كمعيتنا، وكما أن ذاته ليست من جنس ذواتنا وصفاته ليست من جنس صفاتنا، فكذلك يجب التباين بين قربنا وقربه، كما وجب التباين بين ذاتنا وذاته: فالخلاصة أن المراد من كونه فى السموات والأرض نفاذ أمره وقدرته وجريان مشيئته، كذلك قوله تعالى: (ءَأْمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ)، والمراد مزيد التخويف والتحويل فهو من وادى قوله تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) فى الآية مجاز بالحذف أو مجاز فى الاسناد، والقرينة على

ذلك هي أكبر قرينة رآها الرأون واستند اليها المستعملون ، وهي الاستحالة العقلية التي قام عليها البرهان القاطع والدليل الساطع ؛ أما قوله تعالى : ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) فهو كناية عن تمام الملك وعظمة السطان ، كما تقول لمن تم له الأمر أنه جلس على عرش المملكة لا تريد حقيقة الجلوس وإنما تجمله كناية عن استتباب الأمر وتمام الملك ؛ وهناك أجوبة كثيرة أعرضنا عنها مخافة التتويل والاملال ؛ وبعد هذا كله فليست أفهم قوله أن الله في السماء فقط مع ذكر قوله تعالى : ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) ؛ فاستلفت نظرك الى ذلك .

وليعلم أولئك الجاهلون ، أن مذهب السلف التنزيه وعدم الخوض في بيان المعنى فالفرق بينهم وبين الخلف أن الخلف يعينون المعنى المراد ، فيفسرون اليد في مثل قوله تعالى : ( يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ) بالقدره ، أو يقولون إنه من الكنايات التي تراد لوازمها لاحقاقها ، أما السلف فلا يخوضون في شيء من ذلك ولا يبينون المعنى المراد على التعيين ؛ ولكن يجب على القارىء أن يعلم أنهم ينزهون الله عز وجل عما تقتضيه تلك الظواهر أو يتبادر من تلك الآيات ؛ أما هؤلاء الذين زعموا أنهم مقلدون لهم فمشبهون لا منزهون ، فأين هم من السلف ؟

أيها المدعى سليمى سفاها      لست منها ولا قلامة ظفر

ولنقتصر على هذا والله يتولى هدى الجميع

بوسف الرموى

من هيئة كبار العلماء

## شركات التأمين على الحياة

على أثر صدور العدد السادس من هذه المجلة وفيه كلمتنا عن شركات التأمين، وأن عملها مما لا ينطبق على قواعد الدين الاسلامي ولا تبيحه الشريعة الغراء؛ أخبرنا بعض إخواننا أن إحدى هذه الشركات كانت قد استصدرت فتوى من المرحوم الشيخ محمد عبده عليه رحمة الله بحل هذا العمل، فها هنا الأمر وأكبرنا أن يصدر ذلك منه؛ وطلبنا من مخبرنا أن يوافينا بنسخة من هذه الفتوى، إذ قال لنا إن الشركة طبعها في كراسة صغيرة ضمن إعلاناتها وتوزعها على الجمهور دعاية الى الاقبال عليها، فلما أحضرها واطلعنا عليها أخذ منا العجب مأخذه لتفنن أولئك الأقوام في التلبيس وإعطاء أعمالهم صورة بعيدة عن حقيقتها ليحتالوا على تطبيقها على قواعد الشرع بل ليوهمو الناس أنها مطابقة لعمل الدين بشهادة رجال الدين، كما لبسوا عليهم وأوهموهم أن في ذلك مصالحهم الدنيوية، والله يعلم متقلبهم ومثوأم؛ فما كان لها بالمعاملة التي أباحها الدين صلة ولا شبه صلة، وإن الفتوى المذكورة منطبقة على السؤال الذي قدم بشأنها، وقد يماقوا الفتوى على قدر السؤال؛ أما تطبيق نص السؤال على حال السائل الحقيقية فهي من عمل القاضي لا من عمل المفتي، لذلك كان واجبا على القاضي أن يتحرى عن الوقائع التي تقدم اليه ويطالب أصحاب الدعاوى بإثبات أن حالهم الحقيقية منطبقة على الدعوى التي يشرحونها بين يديه؛ وأما المفتي فلا يكلف إلا تبيان حكم الواقعة المستول عنها، سواء انطبقت على حال السائل في الواقع أم لم تنطبق؛ وسند ذلك نص السؤال والجواب، ثم نبين ما في السؤال من التلبيس المتعمد قصد طمس الحقيقة وإظهار العمل في غير صورته الصحيحة، ونبين أن الجواب صحيح بالنسبة الى السؤال وإن كان السؤال لا ينطبق على حال تلك الشركات.

فالسؤال هكذا: رجل يريد أن يتعاقد مع جماعة على أن يدفع لهم مالا من ماله الخاص على أقساط متساوية ليعملوا فيه بالتجارة، واشترط معهم أنه إذا قام بما ذكر وانتهى آن الاتفاق المعين بانتهاء الأقساط المعينة وكانوا قد عملوا في ذلك المال وكان حيا، فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الأرباح؛ وإذا مات في أثناء تلك المدة فيكون لورثته أو لمن له حق الولاية في ماله؛ أن يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الأرباح؛ فهل مثل هذا التعاقد الذي يكون مفيدا لأربابه بما ينتجه لهم من الربح جائز شرعا؟ ...

والجواب: أنه لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزا شرعا، ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الأقساط والعمل في المال وحصول الربح، أن يأخذ لو كان حيا ما يكون له من المال مع ما يخصه في الربح؛ وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما انتجه من الربح.

فترام قد أتوا من شروطهم بما ليس منشأ الفساد شرعا مهملين الشروط التي أوجبت فساد تلك العقود وذلك ليلبسوا على الناس أمرهم ولتتم لهم الدعاية على المتمسكين بدينهم والمعرضين عنه؛ فلا يقول واحد هل أخسر الدين وهو سبيل الفوز بالسعادة الأبدية بدنيا فانية ليست إلا أياما وتنتهى، فأكون ممن باع آخرته بدينه؟ فهم يقولون للناس تغريرا وتضليلا لا بل أنت تبيع دنياك بما لا يضر آخرتك ولا تخسر من أجله دينك، وها هي ذى فتوى عالم من العلماء، أجل لا ينكر أحد أن إعطاء رجل ماله مقسطا لجماعة ليعملوا به في التجارة حتى إذا انتهى أجل المتفق عليه أخذ ماله وما خصه من الربح؛ وإذا مات أخذ ورثته ماله وحصلته من الربح كذلك، ولكن ما معنى (ماله) الذي يأخذه الورثة؟ إن الذى يفهم من نوع السؤال أنه المال الذى دفعه للجماعة وهم يريدون المال الذى اتفقوا على أن يأخذه المؤمن على حياته بالناس ما بلغ متى دفع أول قسط، فإذا اتفقوا على

ألف جنيه ودفع منها عشرة ثم مات عقبها استحق ألف جنيه كاملة لألف قرش ، فهل ذكروا هذا في السؤال ليتبين الحرام من الحلال ؟ وإذا أخل بالشروط وتوقف عن الدفع بلا مبرر ضاعت عليه الأقساط التي دفعها و (لنت البوليصة) ، ولا يقول الشرع إن من دفع قسطا من مبلغ متفق عليه وعجز عن تكميم الأقساط ضاع عليه ما دفع ، فهل ذكروا هذا في السؤال ليتبين الحرام من الحلال ؟ ويقولون أنهم يعملون بالله في التجارة ثم يأخذ ماله وربحه ، وقد يفهم من هذا أنه يأخذ ربحه في التجارة اذا ربحت كما يتحمل قسطه في الخسارة اذا خسرت التجارة فيكون من باب القراض الجائز شرعا ، ولكنهم ليسوا كذلك بل يتفقون على مقدار يدفعونه لا يتفاوت قدره كثلثة في المائة مثلا سواء أربحت التجارة قليلا أو كثيرا أم لم تربح ، بل ولو خسرت ، فهل ذكر هذا في السؤال ليتبين الحرام من الحلال ؟ إن مثلهم في هذا كمثل من يعرض مريضا بالباطن سليم العينين على طبيب العيون ليأخذ منه شهادة على سلامة عينيه ليثبت بها سلامة مريضه من جميع الأمراض ؛ إن الشارع الحكيم ناط المعاملة بالعدالة الواضحة الجلية التي لا لبس فيها ولا غرر ولا مقامرة ، أما تلك الأبواب التي تقيد طرفا ولا تقيد الطرف الآخر فليست مما يقره الشارع الحكيم ولا مما ينطبق على صريح العدالة ، ولا تقولون إن الطرفين قد تراضيا وهما أصحاب الشأن في أموالهما فإن المتقارفين كذلك قد تراضيا ، ولكن كم جرّ عليهما هذا التراضي من وبال وخسران وشقاق وخصام وعداء وخراب بيوت وضياع قوت ، فالعدالة هي الأصل المحكم ولا ضرر ولا ضرار .

نحن لا نعرض لهم من ناحية القانون فليس هذا من شأننا ، وإنما ننكر عليهم لبسهم وتغريهم بالناس ، وإيهامهم أن ذلك جائز في دينهم ليحلوا ما حرم الله ، فهذا ما لا يسع مسلما السكوت عليه ؛ والآن قد تبين الرشد من الغي فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والله الهادي الى سواء السبيل

ابراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالا زهر

## ظاهرة مرئية

في أيام عيد الأضحى من السنة الماضية ١٣٤٨ هـ قام الكاثوليك الفرنسيون من رهبان وغيرهم بحملة عنيفة مناوئة للدين الاسلامي ، هي ذلك المؤتمر الأنفارستي الذي أقاموه في قرطاجنة<sup>(١)</sup> ، وما هو إلا من مظاهر العمل لتنصير المسلمين الذي استبان في غاية الجلاء أنه من أول ما يرمى اليه الفرنسيون بقوة وعدم مبالاة .

وقد ورد إدارة المجلة من مكتب الأخبار التونسية كتاب عنوانه « ظاهرة مرئية في سياسة الاستعمار الفرنسي » فقرأناه فاذا هو يحتوي بيان تاريخ هذه الحملة وتصريحات من بعض القسس ومحردى الصحف الافرنسية ؛ والى القراء شئ من هذه التصريحات : قال أسقف قرطاجنة على ما نشر في مجلة « الحياة الكاثوليكية » : إن مؤتمر قرطاجنة سيكون حملة صليبية جديدة ملؤها الكرم المسيحي ؛ وقالت جريدة تونس الاشتراكية « هل علم اليهود وغيرهم أن هذا المؤتمر إن هو إلا حرب ضد الأديان الأخرى ، ووسيلة للتصريح والاعلان بانتصار العقيدة الكاثوليكية وسيادتها على سائر العقائد » ، ويضاف الى هذا قول أسقف الجزائر على ما جاء في مجلة الحياة الكاثوليكية « ربما مع مرور الزمان تحصل لنا سعادة تمديننا للأهالى بتنصيرهم مسيحيين » ولم يكن ذلك المؤتمر دينيا بحتا بل أعطاه رجال السياسة الفرنسيون صبغة رسمية ، فقد كتبت جريدة الزهرة في ٥ ذى الحجة ١٣٤٨ مانصه : « في هذا اليوم عند الساعة الثالثة بعد الزوال يصل الكردينال (ليبيسى) مرسى العاصمة (تونس) ومعه حاشيته المؤلفة من بعض كبار رؤساء الدين الفرنسيين ، ومن بينهم الكردينال (فرديني) وسيتوجه جناب المعتمد السفير م. بوزنون لتحياتهم بمرسى البحيرة ، ويرافقهم ممثل البابا الى الكنيسة ،

---

(١) بلدة في ضواحي مدينة تونس لا تزال بها آثار رومانية وقد أقيم على أطلالها مبان حديثة .

وستؤدى لهم جنودا لحماية التحية العسكرية بالرصيف فى كامل الطريق الموصلة للكنيسة ، وبعد ذلك يزور جناب المقيم العام ، وهذا ىرد له الزيارة بعد برهة قليلة ، وفى يوم الاثنين الساعة العاشرة يقدم جناب المقيم العام ممثل البابا الكردينال الى سمو الأمير المعظم بقصر المرسى .

ولم يقتصر رجال السياسة الفرنسيون فى تونس على الاشتراك فى المؤتمر الكاثوليكي بمثل هذه المظاهر الرسمية ، بل أدرجوا فى مصاريف الدولة التونسية مليونين من الفرنكات إعانة لاقامة هذا المؤتمر ، ولما أراد أعضاء « المجلس الكبير » التونسيون المناقشة فى هذا التبرع ، أجيبوا بمنع المناقشة فى الموضوع بعله أن هذه الاعانة مقررة من طرف وزارة الخارجية .

وفى يوم السبت ٤ ذى الحجة ١٣٤٨ وهو اليوم الذى تقرر أن تنزل فيه أول طائفة من الرهبان الوافدين الى المؤتمر أصبحت مدينة تونس مضربة عن العمل ، وخرج طوائف من المسلمين فى مظاهرات منتظمة الصفوف ، وتجولوا فى الحارات الأوربية الى أن وصلوا أمام الكنيسة وأمام دار المعتمد الفرنسى ، وهتفوا هناك بحياة الاسلام والوطن باللغتين ، العربية والافرنسية ، حتى هاجمهم البوليس يقصد تفريقهم بقوة ، ورفعت بعد هذا احتجاجات على انعقاد هذا المؤتمر من طوائف وبلاد فى المملكة التونسية مختلفة .

فبعد هذا المؤتمر الكاثوليكي فى تونس وما أخذ من مظاهر وما حفه به رجال الاستعمار من الرعاية ، ثم ما يعمل له الفرنسيون بالمغرب الأقصى من تنصير البربر ، كل هذه الوقائع شواهد على أن المستعمرين يضعون أيديهم فى أيدي رجال الكنيسة ليحولوا شمال أفريقيا من الاسلام الى النصرانية .

هذا أمر واقع ، وقد قابلته الصحف والجمعيات والأحزاب بالانكار والاحتجاج ؛

ولم تقم أماراة على أن غضب العالم الاسلامي لتدخل القوة الفرنسية في شؤون المسلمين الدينية كان له أثر في صرف فرنسا عن هذه الخطة الممقوتة ؛ وليس في يد أهل العلم والغيرة على الدين الخفيف اليوم سوى أن يندروا الناس عاقبة الانحدار في هذه الهاوية ، ويتخذوا الوسائل التي تحمي البلاد من الغواية وتجعل سعى المحاربين الاسلام خائباً .

## استكشاف أدوات ذهبية وفضية قيمة

في مدينة بومباي الأثرية

عثر الأستاذ « ماجوري » عند استئناف أعمال التنقيب في مدينة بومباي الأثرية بطرقة أوندانزا بالمسكن رقم ٤ الذي لم يعبره الباحثون اهتماما كبيرا حتى الآن على نفائس عظيمة القيمة التاريخية والمادية من الذهب والفضة .

فوجد بداخل صندوق محترق أدوات مائدة من الفضة وعدد كبير من الحلي الذهبية مرصعة بالجواهر .

أما أدوات المائدة فتكفي لأربعة أشخاص ويغلب على الظن أنها كانت لأحد البطارقة الأغنياء ، ومزينة بنقوش تمثل أعمال « هرقل » الذي يقال أنه المؤسس لمدينة بومباي .

أما الحلي فهو عبارة عن سوارين للمعصم وثلاث حلقات للأذن وثلاث عشرة خاتم ذهبي وعدة قلادات بعضها مرصع بالأحجار الكريمة ، كما وجدت بعض قطع من العملة الذهبية والفضية يرجع عهدها للعصر الجمهوري وعهد القيصرية .

ونقلت هذه الآثار مع العاديات الأخرى التي وجدت بنفس المسكن مثل تماثيل « أبولو » وصورة تعزى « لفرجيل » الى متحف مدينة نابولي بإيطاليا .



## نموذج من نقد الشعر

لحسن البيان أثر كبير في تهذيب النفوس وتقويم العقول وتربية العواطف الشريفة؛ ومن أنفس فنون البيان فن الشعر، وجودة الشعر ورقية في معارج البلاغة أسباب معدودة؛ ومن هذه الأسباب أخذها بالنقد، ووزنه عند ما يعرضه صاحبه بميزان العلوم الأدبية والذوق السليم؛ وإذا نظرت إلى العصور أو البلاد التي أدرك فيها الشعر منزلة سامية، رأيت أدباءها كيف كانوا ينقدون ما تصنعه قرائح الشعراء نقد الصيارفة للدرهم أو الدينار، فيجزون كل شعر بما يستحق من قبول وإطراء، أو إنكار وازدراء؛ وأذكر على وجه المثل العهد الذي ظهر فيه أبو تمام والبحري وأضراهما، فإن وطيس النقد كان يومئذ حاميا؛ ومن شواهد هذا أن عبد الله بن طاهر وإلى خراسان الذي ألف له أبو تمام ديوان الحماسة، كان لا يميز شاعرا إلا أن ينظر في قصيدته أبو العميش وأبوسعيد الضرير ويشهدان لها بالاجادة، بل كنا نرى كثيرا من الأمراء والخلفاء في أزمنة رقى الشعر ينقدون ما ينشد بحضرتهم من الشعر فيميزون رديئه من جيده، وستسمعون في هذا النموذج أمثلة من انتقادهم الدال على سلامة الذوق والالمام بفنون البيان.

فنقد الشعر من أسباب إبداع الشعر، وإبداعه من وسائل تثقيف الأخلاق وإيقاظ الهمم وعرض الحكمة في ثوب فاخر أنيق؛ وإذا كانت جمعية الهداية الإسلامية قد أنشئت لنصرة الفضيلة وإعلاء شأن اللغة العربية، فجدير بها أن تعنى بالوسائل التي يبلغ بها الشعر مكانته العليا، وهذا ما بعثني على أن ألقى كلمة أعرض فيها نموذجا من النواحي التي يلاحظها الأدباء عند نقد الشعر؛ وإذا فاتني شيء منها فلتغفلته عن الذكرة، أو لأنه بقي فيما لا أعلم، « وفوق كل ذي علم عليم ».

نمير :

نقد الشعر، فن من فنون الأدب قديم، تجده في عهد الجاهلية وصدر الاسلام  
أثاراً وشواهد كثيرة؛ أما تخصيصه بالتأليف فانا نعلم أن عبد الله بن المعتز المتوفى  
سنة ٢٩٦ هـ، قد ألف في نقد شعر أبي تمام، ومحمد بن طباطبا العلوي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ  
ألف كتاب عيار الشعر، وقدامة بن جعفر المتوفى حوالى سنة ٣٣٠ هـ ألف كتاب نقد الشعر،  
وكتاباً ناقش فيه ابن المعتز في نقد شعر أبي تمام؛ وجاء على أثر هؤلاء محمد بن عمران المرزبانى  
وألف في ما أخذ العلماء على الشعراء كتابه المسمى «بالموشح» فأخرجه للناس كتاباً حافلاً.

وقد أسرف فريق في النقد، حتى عابوا ما ليس في الحقيقة بعيب؛ ومن هؤلاء  
الأصمعي فإنه كان مغرئ بالأخذ على الشعراء، وعاب عليهم أشياء وجه الجواب عنها  
واضح مقبول؛ ووقف تجاه هؤلاء آخرون يحرصون على أن يكون ما قيل من الشعر  
بريئاً من العيب، ويتعسفون في دفع ما يرمى به بعض الشعر من خلل في اللفظ أو المعنى؛  
وعلى هذين الفريقين يصدق قول أبي العباس المبرد «من طلب عيباً وجده، ومن طلب  
مخرجاً لم يفته».

ومن غنى بالدفاع عن الأشعار المعيبة أبو عبد الله محمد بن جعفر القيروانى التميمي  
النحوى المتوفى سنة ٤١٢ هـ ومن مؤلفاته كتاب «ضرائر الشعر»<sup>(١)</sup>، تكلم فيه عما  
يجوز للشاعر دون الناثر، وأوشك أن يأتى لكل ما عيب به الشعر من ناحية مخالفة  
قوانين اللغة، ويجعله من الرخص الشعرية.

والواقع أن في الشعر ما أخذ ينظر فيها الى ما هو أحسن في النظم وأظهر في الغرض،  
ومن هذا عيب بلال بن بردة لقول ذى الرمة من قصيدة أنشدها بين يديه:

رأيت الناس ينتجعون غيثاً      فقلت لصيدح انتجعي بلالا

(١) توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الملكية المصرية.

يقال : إن ذا الرمة لما أنشد بلال بن بردة هذا البيت ، قال بلال : يا غلام مر لصيدح بقت وعلف فانما هي انتجعتنا ؛ ومن الظاهر أن ذا الرمة إنما أراد من انتجاع صيدح التي هي ناقته انتجاع نفسه ، ومثاله في القرآن قوله تعالى : ( وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ) ، وإنما المراد أهل القرية وأهل العير ؛ وإذا ذكر العربي انتجاع الناقة للممدوح وعنى به انتجاع نفسه فلا أن الراحلة لا تنتجع مكانا إلا حيث ينتجعه صاحبها ومثل هذا المجاز لا يخفى على بلال بن بردة ، ولكن الأوفق بمقام الاستعطاف وإظهار الحاجة أن ينسب الشاعر الانتجاع لنفسه .

ومن المأخذ ما يورده صاحبه على غير تثبت فلا يقع موقع السداد ، قال ابن عبد ربه : « وأكثر ما أدرك على الشعراء له مجاز وتوجيه حسن ، ولكن أصحاب اللغة لا ينصفونهم ، وربما غلطوا عليهم وتأولوا غير معانيهم التي ذهبوا إليها ، ومن هذا ما أخذ على الحسن بن هانئ في قوله :

وما لبكر بن وائل عصم إلا لحقأها وكاذبها

وقال الناقد : أراد بحمقأها هبنقة القيسى ؛ ولا يقال للرجل حمقاء ، وإنما أراد ابن هانئ دغة العجلية ، وعجل في بكر ، وبدغة هذه يضرب المثل في الحق . وفي الشعر مواضع هجنة لا يغني التكلف للجواب عنها شيئا ؛ ومن هذه المواضع ما لا يكاد يخفى على أحد ، ككثير من سقطات أبي تمام ، وأبي الطيب المتنبي ؛ ومنها ما لا يدركه إلا الذوق السليم والألمعية الصافية ؛ ومن شواهد هذا قول المتنبي :

عجبا له حفظ العنان بأتمل ما حفظها الأشياء من عاداتها

ووجه العيب فيه أنه يريد أن ينفي عن أنامل الممدوح الحفظ جملة ، ويدعي أنه لا يكون منها حفظ البتة ، وإضافة الحفظ الى ضميرها في قوله : « ما حفظها الأشياء » يقتضى إثبات حفظ لها ووجوده منها ؛ وقد ساق عبد القاهر في دلائل الإعجاز هذا

البيت وقال : مضى دهر ونحن نقرؤه فلا ننكر منه شيئاً ، ولا يقع لنا فيه أنه أخطأ ، ثم بان بأخرة أنه قد أخطأ ، وبين الخطأ بالوجه المقرر آنفا .

### وجوه النقر :

يتوجه النقد الى ناحية اللفظ تارة ، والى ناحية المعنى تارة أخرى ؛ ولكل واحدة من الناحيتين فنون هي ما تنقص الى الحديث عن شيء من تفاصيلها ، وعرض نموذج من أمثلتها .

### النقد اللفظي :

الألفاظ بمنزلة الظروف تنقل المعاني من نفس الى أخرى ، فيحسن أن تكون على قدر المعنى الذي قصد الى نقله ؛ فان كانت أقل منه وصل المعنى الى ذهن المخاطب ناقصاً ، وإن كانت أكثر منه حملت لسانك ما لا حاجة الى حمله ، وألقيت في سمع مخاطبك ما لا طعم له ولا رائحة .

والألفاظ للمعاني بمنزلة الثوب للبدن ، ومن الأثواب ما يبق من الحر والبرد ، ولكن العين تجمعه لرداء مادته ، أو ضعف نسجه ، أو قبح منظره ؛ وكذلك الألفاظ قد تفصل على قدر المعنى ، ولكن الذوق يجبرها لتنافر حروفها ، أو تجافي كلماتها ، أو تخاذل نظمها ، أو انحرافها عن هيئة وضعها .

ونقد اللفظ إما أن يعود الى المفرد ، وإما أن يعود الى التركيب ومما يعود الى المفرد استعماله في غير معنى صحيح كما عابوا قول المتنبي :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدو له ما من صداقة بد

فان الصداقة المحالة وهي إصفاء المودة ، والانسان لا يضطر الى أن يصادق عدوه أو يحض له المودة ، وإنما يضطره الحال الى مداراته ، وذلك ما يعنيه الشاعر ، ومقتضى هذا المعنى أن يقول : « ما من مداراته بد » .

ومن عيوب المفرد مخالفته لقانون الصرف ؛ كما قال أبو عبد الله الحجاج :  
 خرقت صفوفهم بأقب<sup>(١)</sup> نهـد مراح الصوت متعوب العنان  
 فانه يقال كَعِبَ و مُتَعَبٌ ، ولا يقال متعوب ، لأن تعب فعل لازم فلا يجي منه  
 متعوب بمعنى متعب .

ويعاب بعض مفردات البيت لمخالفته للهيئة التي بناها عليه الواضع ؛ ومن أمثلته  
 قول ابن زمرك في بعض قصائده :

يا بن الخلائف من بني نصر ومن حاطوا ذمار الملة السمحاء<sup>(٢)</sup>  
 وقوله : ستمهم الملة السمحاء تكريمة

إذ لم يرد في الساحة صيغة فعلاء ، فلا يقال سمحاء ؛ وإنما يقال ملة سمحة ، أى ليس  
 فيها حرج ولا ضيق ؛ وقد عاب بعضهم قول أبي نواس :

واذا نزع عن الغواية فليكن لله ذاك النزع لا للناس

وقال : إن نزع بمعنى انتهى وإنما جاء مصدره على فعول ، فيقال نزع عن الأمر  
 نزوعا إذا انتهى عنه ، ولكننا نجد في كتب اللغة أن النزع يأتي مصدرا لنزع بمعنى انتهى<sup>(٣)</sup> .  
 وعابوا على المتنبي قوله :

ليس التعلل بالأمال من أدبي ولا القنوع بضنك العيش من شيمي

وقالوا إن القنوع مصدر قنع بمعنى سأل ، أما الرضا بالقسم الذي هو مراد الشاعر ،  
 إنما يقال فيه قنع قناعة ، ويقال : إن أبا الطيب غير البيت الى قوله : « ولا القناعة  
 بالاقلال من شيمي » ؛ والواقع أن من أهل اللغة من روى أن العرب قد يستعملون  
 القنوع في الرضا ، قال ابن السكيت : ومن العرب من يستعمل القنوع في معنى الرضا  
 وهو لغة قليلة حكاه ابن جني وأنشد :

(١) اقب من القب وهو دقة الحصر وضور البطن . والنهد الفرس الحسن الجليل . (٢) نفح الطيب  
 ج ٤ ص ٢٩٩ . (٣) في اللسان : نزع عن الأمر ينزع نزوعا كف وانتهى وربما قالوا نزعا .

أَرْضِي بهذا منكم ليس غيره      ويقنعنا ما ليس فيه قنوع  
ومما يعود العيب فيه الى المفرد لفظ عربي يستعمله العامة في غير معناه فيجري  
الشاعر فيه على استعمال العامة ، ومن هذا قول ابن أبي حجة :

في الحد نار وفي أجفانها شرك      لوقعة القلب كل منهما صالى  
فاستعمل كلمة صالى بمعنى صابر مترقب ، وهي لغة العامة من أهل الشام وحماة ، قال  
بعض الأدباء : لم أفهم ما أراد ابن أبي حجة حتى سألت عنه بعض عوام حماة ففسره لى .  
وقد تعاب الكلمة في الشعر من جهة تجافى الذوق عنها وثقل وقعها على اللسان ،  
كلفظ ابتشاك في قول المتنبي :

وما أرضى لمقلته بحلم      اذا انتهت توهمه ابتشاك  
والابتشاك الكذب ، ومن ذا يسمع هذه الكلمة ولا يتبرأ منها ذوقه كما يتبرأ  
من معناها قلبه ولبه .

وقد يأتى الشاعر فى البيت بكلمة لها معنيان : أحدهما لائق بالمقام وهو المراد ،  
وثانيهما يصير به معنى الكلام متبوءاً مستقبلاً وليس بمقصود للشاعر ؛ فيعاب الشعر  
من جهة هذه الكلمة المحتملة لمعنى مستهجن ، وقد وقع أبو تمام فى هذا العيب حين قال :  
أعطيت لى دية القتل وليس لى      عقل ولا حق عليك قديم

فقوله : « وليس لى عقل » يؤم أنه ينفى عن نفسه العقل الذى هو القوة المدركة  
وانما أراد الشاعر الدية ، ولو قال : وليس لى عليك عقل لارتفع اللبس وزال القبح .

النقد العائد الى التركيب :

من النقد العائد الى التركيب وروده على خلاف ما يقتضيه علم النحو ، وضربوا  
المثل لهذا بقول الفرزدق :

وعض زمان يابن مروان لم يدع      من المال إلا مسحتاً أو مُجْلَف

المُسَحَّتِ المَهْلَكُ، والمجلف الذى بقيت منه بقية؛ فالنظم يقتضى نصب مجلف عطفًا على المنصوب قبله وهو « مسحتا » ولكن الشاعر أتى به مرفوعا، وليس لرفعه وجه ظاهر، وأراد بعض النحاة أن يخلصه من وصمة الخطأ فى الاعراب فجعله خبرا لمبدأ محذوف، والمعنى « أوهو مجلف »؛ وإذا نفع هذا الوجه الشعر وخلصه من عيب اللحن، فإنه لا يمنع الناقد من أن يجعله دون منزلة الشعر الذى يستقر معناه فى الاذهان لأول ما يقع لفظه على الاسماع.

ومن ما أخذ المركب خروجه عن قانون علم البلاغة، فيجىء غير مطابق لمقتضى المقام؛ ومن أمثلة هذا العيب أن عبد الرحمن بن حسان سأل بعض الولاة حاجة فلم يقضها، ثم بعث إليه شفيعاً فقضاها له فقال:

دُئِمْتُ فلم تُحمد وأدركت حاجة      تولى سواكم أجرها واصطناعها  
أبى لك كسب الحمد رأى مقصر      ونفس أضاق الله بالخير باعها  
إذا هى حثته على الخير مرة      عصاها وإن همت بشر أطاعها

وموضع العيب فى رأى علماء البلاغة هذا البيت الثالث، فقد جاء على خلاف ما يقررونه من أن « إذا » تستعمل فيما يكثر وقوعه، « وإن » تستعمل فيما لا يقع إلا نادراً، ومقام الهجاء يقتضى أن نفس ذلك الوالى تحثه على الخير قليلا، وأنها تهم بالشئ كثيراً، وهذا يقتضى أن يأتى فى جانب الحث على الخير بـ « إن »، وفى جانب الشر بـ « إذا »، ولكن الشاعر جرى على عكس القاعدة فقال:

إذا هى حثته على الخير مرة      عصاها وإن همت بشر أطاعها

قال الزمخشري: وللجهل بمواقع « إن » و « إذا » يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون، ألا يرى الى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بهما الموضع، ثم أورد الأبيات وقال: « لو عكس لأصاب ».

ومن ما أخذ التركيب عدم اتساق كلماته، فلا تقع كل كلمة منه موقعها اللائق بها، وينتج عن هذا أن الذهن يقف في فهم البيت فلا يصل إلى المراد منه إلا بعد ترديد النظر وإمعانه، ومن أمثلة هذا قول البحترى :

فتى لم يمل بالنفس منه عن العلى إلى غيرها شيء سواه مملها  
 وإذا استطاع بعض أنصار البحترى أن يخلص البيت من اللحن بوسيلة التأويل فإنه لا يستطيع أن يحميه مما يعيبه بالتعسف والتعقيد .  
 ومن معائب التركيب أن ينبو عنه الذوق السليم، ويكون وقعه على اللسان ثقيلاً، ووقع في هذا العيب قول كشاجم :

حدائق كف كل ريح حل بها خيط كل قطر

قال ابن الأثير : هذا البيت يحتاج الناطق به إلى بركان يضعه في شدة حتى يديره له .

#### النقد المغنوى :

مثل الشاعر في صنع المعانى مثل صانع الصور المحسوسة، وإذا كنت لا تشهد لصانع الصور بالاصابة إلا أن يعرض عليك الصورة مطابقة لحالتها الواقعة، فكذلك الشاعر لا تعدده مصيباً في تصوير المعنى إلا أن يعرضه عليك سالماً من النقص، غير مثقل بزيادة ما لا فائدة منه، حسن الوضع متلائم الأجزاء، واقعاً من المقام الذى أورده فيه موقع المناسب المقبول، ومن هنا كان لنقد معانى الشعر وجوه مختلفة .

يدخل العيب على المعنى من جهة الجمع بين أشياء غير متناسبة، وكثيرا ما يقع في هذا العيب من يقصد إلى النوع المسمى بالمطابقة، ومما ذهب بعض النقاد إلى أن الشاعر جمع فيه بين شيئين غير متناسين بيت المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثى وبياض الصبح يغرى بى

فقد روى أن المعتمد بن عباد تباحث مرة مع جلسائه في هذا البيت وقال : ما قصر في مقابلة كل لفظة بضدها إلا أن فيه نقداً خفياً وهو أن الليل إنما يطابق بالنهار ولا



يطابق بالصبح الذى هو جزء من النهار ، ومراد المعتمد القدح فى المطابقة بين الليل والصبح وإن كان لذكر الصبح وجه هو أن المحب ينصرف من الزيارة عند المحبوب انفجار الصبح خيفة الرقباء .

ويعاب الشعر بوقوعه فى عكس الغرض كقول أبى تمام :

إن البشاشة والندى خير لهم      من عفة جمست عليك جموسا  
لو أن أسباب العفاف بلا تقى      نفعت لقد نفعت اذاً إبليساً

ساق الجرجاني هذين البيتين وقال : ليت شعرى لو أراد هجومه ، وقصد الغض منه ، هل كان يزيد على أن يذم عفته ويصفها بالجموس والجمود ، وهما من صفات البرد والثقال ، ثم يختم الأمر بأن يضرب له إبليس مثلاً ويقيمه بازائه كفؤاً :

ويعاب الشعر بقصوده عن بلوغ الغرض ، حيث يقصد الشاعر الى ضرب من المدح مثلاً ، ويصوغ له معنى يظنه وافياً بالغرض فلا يبلغ أن يكون مدحاً ، وقد وقع فى هذا العيب كثير عزة حين قال :

فما روضة بالحزن طاهرة الثرى      يمج الندى جثائها<sup>(١)</sup> وعرارها  
بأطيب من أردان عزة موهنًا<sup>(٢)</sup>      وقد أوقدت بالمحمر<sup>(٣)</sup> اللدن نارها

أراد مدح عزة بطيب الرائحة فلم يبلغ ما أراد ، فإن كل من يتجمر بالمحمر اللدن تطيب رائحته ، وقد أشار الى هذا القصور بعض من سمعه ينشد البيت فقال له :  
لو فعل هذا بأمة زنجية لطاب ربحها ، ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً      وجدت بها طيباً ولم تتطيب

ومن هذا الضرب قول الفرزدق — فى رأى بعض الناقدين — :

فن يأمن الحجاج والطير تتقى      عقوبته إلا ضعيف العزائم

(١) الجثجات نبات سهل ريمى . (٢) الموهن نحو من نصف الليل وقيل هو بعد ساعة منه .

(٣) المحمر : العود يتطيب به .

قال ناقدو البيت : إن الطير يخشى كل أحد حتى أقصر الناس يدًا كالصبيان ونحوهم ، فليس في اتقاء الطير للحجاج كبير مدح للحجاج ، ويقال إن الحجاج قال للفرزدق : ما عملت شيئاً ، إن الطير تنفر من الصبي والخشبة .

ومن الظاهر أن الفرزدق قصد الى مدح الحجاج بقوة السلطان وطول اليد بحيث لا ينجو من سطوته مجرم ولو كان الحيوان الذى شأنه أن يكون فى منعة ، كالطير يذهب فى الجو صاعداً فلا تناله يد حتى ينزل فى مأمن من كل ذى قوة ، فاتقاء الطير للحجاج كناية عن سعة سطرانه وأنه لا يخلص منه مجرم ولو شق عنان السماء هرباً .

ويدخل فى هذا الباب قول الجعدى :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فلا يبقى من المال باقياً

أشم طويل الساعدين شمردل<sup>(١)</sup> اذا لم يرح فى المجد أصبح غادياً

أنشد هذا الشعر فى مجلس هارون الرشيد فأ نكر منه قوله : « اذا لم يرح للمجد » ، وقال لم لم يروحه فى المجد كما أغداه ! ألا قال :

« اذا راح للمعروف أصبح غادياً »

ومن معائب الشعر بعده عن الواقع الى حد أن يدفعه العقل لأول نظرة ، دون أن يعرض على السامع صورة بدیعة من صنع الخيال ؛ قال أبو بردة الثقفى : أدركت الناس وهم يزعمون أن أكذب بيت قالتة العرب قول أعشى ميمون :

لو أسندت ميتاً الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر

وقال محمد بن يزيد النحوى : أحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه ، وعدل فيه عن الافراط . كما قال القائل :

ويمنعها من أن تطير زمامها

أما إذا جاء الافراط في صورة بديعة الصنعة فليس به من بأس ، ذلك لأن براعة التخييل تشفع في تجاوزه حد المعقول ؛ ومثل هذا قول المتنبي يصف الجياد :

عقدت سنانكها<sup>(١)</sup> عليها عثيرا لو تبتغى عنقا عليه لا مكنّا

ومنها سوء تصرف الخيال فيصوغ صورة ينقصها شيء من التناسب ، ويظهر هذا في نحو التشبيه والاستعارة ؛ ومن أمثلة هذا العيب قول الشاعر :

وخال على خديك يبدو كأنه سنى البدر في دجاء باد دجونها

فان مقتضى هذا التشبيه أن يكون الخال وهو أسود قد وقع مشبهاً بسنى البدر ، وأن يكون الخد وهو أبيض قد وقع في مقابلة الظالماء ، فهذه المحاكاة لا يحصل منها ما يريده الشاعر من إظهار الموصوف في صورة رائعة الجمال .

ومما لحقه العيب من ناحية التخييل قول أبى القاسم بن فرناس يمدح أحد أمراء الأندلس :

رأيت أمير المؤمنين محمداً وفى وجهه بذر المحبة يثمر

فانه جعل وجه الممدوح موضعاً للبذر ، ووصف ما يبذر بعد بالأنثاء ، وهذا ما لا يسيغه الذوق السليم ؛ ويقال : إن الشاعر لما أنشد هذا البيت قال له مؤمن بن سعيد : قبحاً لما ارتكبته ، جعلت وجه الخليفة محرثاً يثمر فيه البذر ! فخجل الشاعر وما كان جوابه إلا أن شتم الناقد .

وقد يقصد الشاعر في التخييل الى المدح فتجئ الصورة الخيالية وهى الى الهجاء أقرب منها الى المديح ، ويمثل هذا العيب قول الشاعر يمدح أحد الأمراء بالشجاعة :

يهتز من تحت السلاح كأنه ريحانة لعبت بهاريج الصبا

ولوقيل هذا البيت في جبان فر من وجه أعدائه فأدركوه حتى وقع تحت سيوفهم ،

لكان وصفًا مطابقًا؛ ويقال : إن الممدوح لما سمع هذا البيت ثار غضبه ، وهم بعقوبة الشاعر لولا أنه أنشد بعده :

في كل منبت شعرة من جسمه      أسد يمد الى الفريسة مخلبًا

وقد ينظر في الصور الخيالية من لم يصف ذوقه فينحو في نقدها نحو المعاني العلمية ؛ ووقع مثل هذا لأحد الكاتبيين في البيان إذ ناقش الشاعر في قوله :

كالطيف يأبى دخول الجفن منفتحًا      وليس يدخله إلا اذ انطبقا

وقال : إن الطيف لا يدخل الجفن وإنما هو شيء يخيل الى النفس ، وهذا مدفوع بأن الصور الخيالية ليست بموضع لمثل هذه المناقشة الفلسفية ، والشاعر يعلم أن الطيف لا يدخل الجفن ولا يخرج منه ، ولكن يخيل الى النفس على وجه يشبه المرئى رأى البصيرة ، فكان بمنزلة ما يدركه البصر من الصور المحسوسة في صحة التعبير فيه بدخول الجفن كما صح أن يعبر عن امتناع تخيله حال انفتاح الجفن بابابة الدخول فيه .

وقد يحى العيب من ناحية الخلل الذى ينشأ من حذف بعض الكلمات ، كما جاء في قول الشاعر :

وأنى لظلام لا شعث بأئس      عرانا ومقرور برى ماله الدهر  
وجار قريب الدار أو ذى جنابة      بعيد محل الدار ليس له وفر

فالشاعر يريد أنه ظلام للناقاة بنحر فصيلها للأشعث البائس أو المقرور الذى برى الدهر ماله ، ولكن أنفاظه لا تدل على ما أراد ، قال الجرجاني بعد أن أورد البيتين : هل يشك من أنشدتهما أن الشاعر وصف نفسه بأقبح الصفة ، وأضاف إليها أشنع الظلم ؛ وإنما أراد أنى أظلم الناقاة فأنحر فصيلها لأجل هذا الأشعث أو الجار ، ولو قال « وإنى لنحار » لاتضح المعنى ، وإنما يتضح المعنى نظرا الى أن النحر الذى هو إصابة النحر معروف في تذكية الابل فهو مصروف الى هذا المعنى .

ومما يؤخذ على الشاعر في الرثاء والتعزية أن يتوسل بالخط من شأن الميت الى تخفيف مصابه على من يعز عليه فقده، كما قال البحرى يعزى أبا نهشل الطوسى على وفاة ابنته :

أتبكى من لا ينازل بالسيف مشيحاً<sup>(١)</sup> ولا يهز اللواء  
والفتى من رأى القبور لما طاف به من بناته أكفاء  
قد ولدن الأعداء قدما وورثن التلاد الأقصى البعداء  
ثم قال :

ولعمري ما العجز عندى إلا أن تبیت الرجال تبكى النساء  
فقد خرج البحرى من مقام تعزية أبى نهشل بوفاة ابنته الى هجوها والخط من شأنها، وليس هذا طريق تسلية الآباء عن بناتهم وتخفيف حزنهم عليهن، والتحدث بنقائص الميت أو بسلب خصال الكمال عنه، مما لا ترتاح له نفس قريب أو صديق بأسف لفراقه .

ومن وجوه النقد أن يقصد الشاعر الى تحسين شىء قد يعده بعض الناس شائناً فيصرّح فى الشعر بعيب الناس له، والأفضل أن يبين وجه حسنه حتى يتلقاه السامع من حيث لا يشعر بأنه مظنة لأن يعاب؛ وأسوق مثلاً على هذا أن المعز بن باديس استخلى محمد بن شرف وابن رشيق وقال لهما : أريد أن تصنعا شيئاً تمدحان به الشعر الرقيق الذى يكون على سوق بعض النساء، فأنى أستحسنه، وقد عاب بعض الضرائر بعضاً به، وكلهن قارئات كاتبات فأحب أن أريهن هذا، وأدعى أنه قديم لأحتج به على من عابه، فكان الذى قال ابن رشيق :

يعيبون بلقيسية أن رأوا لها كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا  
وقد زادها الترغيب ملحا كمثل ما يزيد خدود الغيد ترغيبها ملحا  
فانتقد المعز على ابن رشيق قوله : (يعيبون بلقيسية)، وقال له : « أوجدت خلصها حجة بأن بعض الناس قد عابه » .

وقد يجيء العيب في الشعر من عدم رعاية الشاعر للغرض الذي يتحدث عنه ،  
كما قال أبو نواس في مطلع قصيدة يهني فيها الفضل بن يحيى البرمكي ببناء دار :  
أربع البلى إن الخشوع لباد عليك وإني لم أخنك ودادي

يقال : أن الفضل عند ما سمعها تطير ونكس رأسه ، وأخذ الناس ينظر بعضهم  
الى بعض ، يعجبون لأبي نواس إذ كبا في هذه الحلبة جواده ، ولم يسعده عند  
الحاجة ذكاؤه .

ومن الزلل الذي يقع فيه الشاعر أن يسيئ الأدب مع الخالق أو الرسول أو من  
يجب احترامه في نظر الدين ؛ وللسيوطي رسالة تسمى ( تنزيه الأنبياء عن تشبيه  
الأغبياء ) ، أورد فيها نبذة من هذه الأشعار الرقيقة وقال : إنما أكثر الشواهد مع  
استثقالنا لحكايتها ، للتعريف بأمثلتها .

ومن هذا النحو الأشعار التي تحمل المجون والفحش من القول ، وتزين لقراءها  
الخطا والخلاعة ؛ وإنما ينحدر في هذه الحمأة من لم يتربوا في مهد الأدب الرفيع ، ولم  
تستقبلهم الفضيلة يوم يخرجون من بطون أمهاتهم .

وإن تعجبوا لطائفة من فسقة الشعراء يقتبسوا آيات من كتاب الله ويقصدون  
بها مبانى قبيحة منكورة ، فاعجبوا لفئة أخرى يوردون في بعض مؤلفاتهم من هذه الأشعار  
ما يتصعب له الجبين من الحياء عرقا .

هذا نموذج من وجوه نقد الشعر ، وأكثرها يجري في غير الشعر أيضا ، كخالفه  
قانون الصرف والنحو ؛ ومنها ما له مزيد اختصاص بالشعر ، كالنقد العائد الى تصرفات  
الخيال أو صنائه النظم ، وهذا الوجه من النقد لا يحكم علمه إلا من كان بصيرا بهذه  
الصناعة ، فضعف النسيج مثلا ، ونبو الكلمة عن موقعها في النظم ، وطيش الخيال عن

غرض الاجادة فى تصوير المعنى ، لا يدركه أينما كان إلا شاعر واسع المدى ، أو ألمهى  
قضى دهرًا فى تدبر أشعار البلغاء .

وإذا حاضرنّا فى نقد الشعر بعد هذا ، فأتّما نوجه العناية الى الوجوه التى لها مزيد  
اختصاص بالشعر ، ولا نعبأ بما يدركه النحوى أو العروضى أو اللغوى على البداهة ،  
فانه سهل المأخذ ؛ وفى دراسة العلوم العربية الكفافية م  
محمد الخضر حنين

## استخراج غذاء المواشى من الأخشاب البالية

جاء بمجلة « Kosmos » الألمانية أن الأستاذين « فلستر » و « زشمايستر » نجحوا  
بعد تجارب كبيرة فى اختراع طريقة فنية يمكن بواسطتها تحويل الأخشاب عديمة  
القيمة الى غذاء للمواشى .

يؤخذ ذلك الخشب ويجزأ الى قطع صغيرة ثم يوضع فى أوعية كبيرة مع « حمض  
الهيدروكلوريك » أى حامض الملح المركز ، فتنفصل مادة خلايا الخشبية وتتحول الى  
مادة سكرية ويتكون حامض الخل الذى يمكن الانتفاع به بعد تنقيته فى الأغراض المختلفة .  
أما « حامض الهيدروكلوريك » المستعمل فى العملية فيمكن استعادته كاملاً  
وذلك بالتقطير بواسطة الزيت الساخن والهواء الحار .

أما المادة السكرية المكتسبة فهى التى تستعمل علفاً للمواشى وهى ذات قيمة  
غذائية كبيرة فضلاً عن أنها تعد غذاءاً شهياً للمواشى .

وقد دلت التجربة على أنه يمكن استخراج ٦٦ كيلوجراماً من هذه المادة السكرية  
و ٣٠ كيلوجراماً من المادة المسماة « ليجنين » التى تضغط فى شكل قوالب وتستعمل  
وقوداً للتدفئة و ٤ كيلوجرامات من حامض الخل وذلك من ١٠٠ كيلوجرام من الخشب .  
هذا إلى أنه يمكن تحويل المادة السكرية المكتسبة إلى مواد أخرى .

# أثر الثقافة الإسلامية في تطور النهضة الفكرية

لمحة منه التاريخ

- ١ -

إذا حدثت فصدّقك التاريخ الصحيح، ارتفعت درجة حديثك الى رتبة الحقائق الصادقة البينة، وكان مشمولاً بالقبول ممن ولاك أو خالفك في الرأي أو في العقيدة، وكنت في هذا الحديث «صادقاً» منصفاً تقول الحق وتهدى السبيل؛ إذ التاريخ شاهد صدق وحكم عدل، لا يبق في كتابه مسطوراً تحت عنوان «الحق» إلا ما كان ثابتاً ثبوتاً يرتاح إليه العقل النير، وتؤمن به الفطر السليمة، وتطمئن الى الحديث عنه القلوب الطاهرة؛ أفلمست تراه يدأب على كشف القناع عن وجه كثير من الأساطير كانت نازلة منزل اليقين عند كثير من الأمم، فيجعلها تبدو كما هي خيالات لا تلبث إذا شع عليها قبس من نور البرهان أن تذهب بدءاً؟؟ أو لست تراه يحفظ في ثنايا سطور حقائق لم تصل العقول الى غورها، فبقيت ثابتة رغم ما عصف عليها من عواصف الفكر وتقلبات الزمن؟؟ وذا هو العلم يكشف عنها الستار فتبدوا ناصعة جليلة.

فاذا تحدثنا عن الثقافة الإسلامية وأثرها في النهضة العلمية وتطور الفكر الانساني؛ فأما نعتد على رواية التاريخ الصحيح، ليستبين لناظر هذا الأثر الذي أنكره بعض من جفوا الاسلام، وتجاهله شباب المسلمين أو جهلوه، فراحوا يترسمون خطى قوم استخف بهم الغرور واستحوذ عليهم ما ألباه من بعض تعاليم الغرب، إمامة لم تصادف من قلوبهم عقيدة راسخة، ولم تلق في أفئدتهم يقيناً قويا، ولم تجد من نفوسهم إيماناً بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ فضرَبوا في مهاوى الشك والاستهتار بالعقائد



والآداب والأخلاق والعلم النافع ، فكانوا من الأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

### الثقافة :

ثقافة كل أمة ما تستمسك به من دين وأدب وأخلاق وعادات ، وتعاليم حكيمية أو سياسية أو اجتماعية ، تأخذها عن فلاسفتها وعلمائها وذوى الرأى فيها ؛ فاليونان ثقافة تجدها في تعاليم « سقراط »<sup>(١)</sup> و « أفلاطون » و « أرسطوطاليس » و « فيثاغورس » وغيرهم من حكماء هذه الأمة ، وللمصريين الأولين ثقافة تابؤك عنها هذه الهياكل والمتابر الهرمية ، وللأشوريين والبابليين ثقافة تحدثك بها الاستكشافات الأثرية ، وللهند ثقافة تقرؤها في طقوس « برهما »<sup>(٢)</sup> و « بوذا » الدينية ، وللصين ثقافة تراها في تعاليم حكميمهم « كونفوشيوس »<sup>(٣)</sup> ومن أخذ عنه ، والفرس ثقافة تحويها كتب « زرادشت »<sup>(٤)</sup> و « ماني »<sup>(٥)</sup> ، ولالرومان ثقافة أبعداها أثرا في الحياة علم الحقوق والتشريع الوضعى على أساس ألواحهم المعروفة ، وللسريانيين والكلدانيين ثقافة عرفت في تاريخ حكمائهم وآثارهم ، ولالعبرانيين ثقافة أساسها التوراة وما يتصل بها من شرح أو تأليف ، وللعرب قبل الاسلام ثقافة تظهر فيما نقل عنهم من علم التطبيق وسير النجوم ومعرفة

(١) فيلسوف يونانى كان ينهج في بحثه طريقة المحاورة . وأفلاطون أجل تلاميذه . وأرسطوطاليس أفضل تلاميذ أفلاطون . أما فيثاغورس فهو فيلسوف عظيم كان يعيش في القرن الخامس قبل الميلاد وهو الذى استخرج بذكائه علم الألمان وتاليف النغم ومن حكمته اقتبس سقراط . (٢) إليه تسبب الديانة الهندية القديمة المعروفة . وفي بعض الكتب أنه اسم من أسماء الله تعالى باللغة السنسكريتية وكتابه المقدس عند اتباعه يسمى (الفيدا) . وبوذا لقب لمؤسس الديانة البوذية ومعناه بلنتهم العالم الكامل . (٣) عالم صينى وفيلسوف قديم . (٤) حكميم الفرس ومؤسس ديانتهم القديمة . قال الشهرستاني : وكان أبوه من (أذربيجان) وأمه من (الرى) . وفي زمنه خلاف كثير والأرجح عند رجال التاريخ أنه كان يعيش في القرن السادس قبل الميلاد . وله كتاب مقدس عند الفرس يسمى (أبستاق) وهو عبارة عن مجموع عدة كتب تنقسم الى ثلاثة أقسام . الأول : في العقائد والعبادات . والثانى : في المعاملات . والثالث : في الفلسفة والعلوم . (٥) ماني بن فالك الذى ظهر في زمان شابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن شابور ومذهبه خليط من النصرانية والمجوسية .

الأَنساب وقصَّ الأثر وقصص السير وغيرها مما اقتضته حياتهم البدوية ، ومما أَصابه (الناذرة - والغساسنة) من حضارة الفرس والرومان بمقتضى الجوار .

هذه كلها أُمُّ يحدِّثنا التاريخ عن ثقافتها وثقافات غيرها ، وأنها كانت حيناً من الدهر تتنازع قيادة الفكر ، وتستبق الفضل فى الحضارة ، وتدعو الى استنارة العقول ؛ ومهما يكن من أمر إصابتها لهدف الحقيقة فيما ثقفت به أو عدم توفيقها ، فإنا نتساءل أين هى هذه الثقافات ، وأين هو أثرها فى نهضة العلم وتطور الفكر ؟؟ .

البقاء أمانة الحياة ، واستمراره دليل قوتها ؛ فلا بقاء فى هذا العالم إلا لوجود يحمل بين جنبيه قوة معنوية ، وروحاً قوية ، تدافع أعاصير الحياة وغير الز من ؛ فلو أن هذه الثقافات الغابرة كانت بهذه المثابة من القوة والحياة ، إذن لبقيت واستمرت مع تطور الحياة ، ولكنها كانت قليلة الحظ من هذه القوة فذهبت مع الذاهبين كأن لم تكن بالأمر .  
الثقافة الإسلامية :

الثقافة الإسلامية موضوع بعيد الغور واسع الأرجاء متعدد النواحي ، ليس فى استطاعة أحد كائن من كان أن يحصرها فى شأن من شؤون الحياة ؛ فهى كما عُنيَت بالشؤون الدينية التهذيبية والأدبية والعلمية ، وإقامتها على دعائم ثابتة وأصول قوية ، كذلك عُنيَت بالنواحي المدنية التعميرية والاجتماعية النظامية ، فأسسها على أركان من العدل والعمل الصالح المثمر والجهد المستقيم .

والذى أحاول التحديث عنه هو ما يقصه علينا التاريخ من أثر هذه الثقافة الإسلامية ، فى تغذية الفكر الإنسانى ، ومسيرة التطور العلمى ؛ فأجلو صفحة من الحقيقة أضعها أمام نظر إخوانى من شباب المسلمين تبصرة وذكرى ، عساها أن تحرك فيهم العزة والشم ، وتدفعهم الى النظر فى تاريخ أسلافهم الأكرمين ، فيعلموا أنهم فيما يدرسون من سير غير سيرا أبطال الاسلام وحكمائه وعلمائه مخدوعون أريدوا على البعد عن هذا الخير ، فكانوا أسلس قيادا فى أيدي الزائغين منهم فى أيدي الناصحين الراشدين .

سطع « نور الاسلام » على وجه المعمورة فلم يَأْف من ثقافات الأمم الغابرة شيئاً مذكوراً، إلا أمشاجاً من حكمة اليونان، وآداب الرومان، وتعاليم المسيحية على ما أصابها من تحريف . لجأت الى مدرسة الاسكندرية على أثر حملة عنيفة حملها الملك (غوستيان) على الفلاسفة والحكماء انتصاراً منه لا راء الكنيسة الغربية التي كان من قواعدها يومئذ اضطهاد العلم والعلماء ، والقسوة على الحكمة والحكماء ، ففر من وجه العسف الرومانى جم غفير من الفلاسفة ، أمّ بعضهم الاسكندرية ، وأرغمتهم طبيعة الحوادث على ولوج معمعة النزاع الكنيسى ؛ فلستعملوا النظريات الفلسفية للدفاع عن آراء فريق من المسيحيين ، حتى امتزجت نظرياتهم بهذا الآراء وكان منهما مذهب (الأفلاطونية الجديدة) وهو مذهب كنيسى أكثر منه فلسفى ؛ وهكذا أخذ أثر الثقافة القديمة يتضاءل أمام جور المتعسفين من حكام الرومان ، وقتلهم العلماء والحكماء بغير حق ؛ والفرس والرومان هما الدولتان اللتان بقيتا تتذوقان طعم الحياة الى ذلك الحين .

قام بناء الاسلام الشامخ فى أقل من ربع قرن ، أكل الله فيه على خير أمة أخرجت للناس دينها ، وأنزل على نبيها الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى يوم الحج الأكبر قوله تعالى : ( أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ) إيدانا منه جل شأنه بأن هذا الخير ليس بعده من لدن السماء خير من استمسك بعروته الوثقى رشد واهتدى ، ومن تفلّت عنه ضل وغوى ، فكان ذلك حائزاً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على استظهار القرآن الكريم — وهو المنبع الفياض بأسرار الكون — واستنباط ماحوى من حكم وأحكام ، مسترشدين بسنة النبي عليه الصلاة والسلام بأذهان سيالة وقلوب واعية ؛ فنبغ فيهم الاماء والحكماء ، وظهر من بينهم التواد والأبطال ، ونهد فى صفوفهم الساسة الذادة ، وأشرف على حياتهم أئمة قادة ، فكانوا — وهم نيف ومائة ألف — شمس الدنيا وريحانة الحياة الفاضلة .

## للتقافة الإسلامية مرحلتان :

## المرحلة الأولى

تبتدىء المرحلة الأولى للثقافة الإسلامية من مشرق « نور الاسلام » ، وتنتهى بقيام الدولة العباسية ؛ وفي هذه المرحلة تتجلى عظمة الاسلام ، وتبدو ثقافة تستمد نورها من مشكاة الذكر الحكيم .

امتازت هذه المرحلة بشيء يعده الباحثون من أعظم ما سجل التاريخ . ذلك أنه في زمن لا يتجاوز عشرين عاما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أساسا قويا للدولة الإسلامية من الأمة العربية ، التي كانت متفرقة شيعا وأحزابا ؛ فوحد أخذها وجمع شمل قبائلها تحت راية القرآن الخفاقة ، حتى كانت منهم أمة حملت علم الثقافة وضربت في الأرض تؤدى الأمانة ، وتبلغ العالم أجمع رسالة الرسول الأعظم خاتم النبيين ، ففتح الله عليهما من الملك والأقطار في قليل من الزمن ما على مثله تحطمت سيوف الأكلسة والقيصرة ، ولا تنس هنا أن تذكر السر في هذا النصر المبين ، وتقارن بين معاملة المسلمين للأمم المنلوبة على أمرها من الرفق والرحمة والحرية التامة ، وبين ما لطمخ به التاريخ وجه المسيحية القاسية أيام (دواوين التفتيش) وفظائعها التي تقشعر منها الجلود ، وأيام الحروب الصليبية من القسوة المرة والفضاعة الوحشية ؛ وهذا مما يعترف به المنصفون من علماءهم ومؤرخيهم . قال الكونت « هنرى دى كستري » في كتابه (الاسلام - سوانح وخواطر) : (إن أتباع محمد « صلى الله عليه وسلم » هم وحدهم الذين استطاعوا الجمع بين الرفق في معاملة مغلوبهم والرغبة في انتشار دينهم ، وهذه الرغبة هي التي دفعت العرب الى الفتوحات العظيمة فنشر القرآن رايته خلف جيوشه المظفرة ولم يخلفوا في طريقهم أثرا للجور) . وقال فيلسوف فرنسا « غوستاف لوبون » (من ينظر الى أخبار معاملة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لأهل بيت المقدس

يعلم علم اليقين أن العرب كانوا يبالغون في حسن معاملة مغلوبهم، وهذا يبين تمام المباينة معاملة الصليبيين للمسلمين في بيت المقدس أيام الحروب الصليبية).

وقد تجلت في هذا العصر العبقريّة الحربيّة: وهى ضرب من ضروب الثقافة عند الأمم الحيّة، فأنجبت جيوش المسلمين — وهى مدارسهم العسكريّة — أبطالاً خفاً وقياداتاً بآسائين، وحسبك في الحديث عنهم نثر الاسلام وسيف الله أبو سليمان خالدة بن الوليد، وبطل القادسية سعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد، وفتح مصر عمرو بن العاصى وغيرهم من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم، وقد قارن هذه النهضة الحربية نهضة أدبية — والأدب مقياس حضارة الأمة وميزان رقيها — فنبت من المسلمين الخطباء المصاقع والشعراء المبدعون والكتاب المجيدون، وكان هذا العصر للغة العربية ميداناً فضلاً ومظهر أسرارها وثوب جدتها، وهذه نهضة أحدثها القرآن العظيم؛ لأن العرب لم يأتهم الله من الفضائل على كثرتها فيهم أفضل من الفصاحة اللسانية والقوة الخطابية، فكان أسمى شئ اعزوا به وتسايقوا للمفاضلة في حليته إنما هو الحياة اللغوية، والافخارة فيها والتفنن في أساليبها أقاموا مدارس (عكاظ وذى المجاز) وسواها، فما جاءهم القرآن الكريم بأسلوبه الفخم ولفظه الجذل وإعجاز تراكيبه حتى شعروا أنهم أمام كتاب لا عهد لهم بأسلوبه ولا طاقة لهم ببلاغته على عظم ما وصلوا اليه في هذا المضمار، وأدركوا أن القرآن أتى ببلاغة تسمو على متناول أسنتهم فقمعوا بالاقتراس منه، وفطنوا الى موضع العبرة فيه والاستفادة من علو انسجامه وفصاحة نظمه، والاغتراف من منهله العذب ومعينه الذى لا ينضب؛ فاتجهت اللغة العربية اتجاهاً جديداً ودخلت في دور التأليف والتدوين ووضعت في قواعد علومها الكتب والدواوين، وتذاكر الناس النحو والصرف وعلوم البلاغة والأدب، فأينا توجهت وفي أى بلد إسلامي حلت شعرت أنك في جامعة أدبية علمية زاهرة.

وظهر في فجر هذه المرحلة نوع من الثقافة الاجتماعية لم يشهد التاريخ مثله لأمة من الأمم، نغني به ذلك النظام الذي ابتدعه الاسلام ورمى من ورائه الى بث روح المساواة والوحدة العالمية التي جاء بها القرآن الحكيم، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)؛ وغرسها النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس الأمة حتى كانت الوصية بها في آخر مواقفه العامة في خطبة الوداع، حيث يقول: (أيها الناس كلكم لآدم ومن تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى)؛ وكانت أولى خطوات الصديق رضى الله عنه في أول خطبة خطب بها المسلمين بعد ارتقائه أريكة الخلافة إذ يقول: (أيها الناس إني وليت أمركم ولست بخيركم)؛ وكان مظهراً أسمى لها حياة الفاروق ثاني الخلفاء وأول الأمراء عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذي نفخ في الأمة الإسلامية أغراداً وجماعات روح الاعتداد بالنفس، بقوله في إحدى خطبه وهو أمير المؤمنين: (من رأى منكم في أعوجاجاً فليقومه)، فقام إليه رجل وقال: (والله لورأينا فيك أعوجاجاً لقومناه بسيوفاً) فحمد الله الفاروق على أن جعل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يقوم أعوجاج أميرها لورآه؛ وهل ذكر التاريخ في جميع عصوره أن المرأة أوتيت قسطاً من العلم والحرية تقف بهما في وجه الخليفة تحاججه وهو يخاطب في تخفيف مهور النساء، حتى يقول على مرأى ومسمع من عامة المسلمين (أخطأ رجل وأصاب امرأة)؟؟ لمر الحق إن هذا ضرب من اترية النفسية — لم يقصص التاريخ أن أمة تعاطته في حياتها — تشأهم عليه القرآن العظيم تنشئة سادوا بها الأرض وقادوا الممالك؛ ولم يحدثنا التاريخ من مبدأ الخليفة الى عصرنا هذا الذي يتشدد فيه المتأفقون لقشور الغرب بما سموه (الديموقراطية) أن سيداً مطاعاً وأميراً معظماً وخليفة إذا قال فعل، ملك شرق الأرض وغربها يجيوشه المظفرة كسيدنا عمر بن الخطاب يخاطب رعيته بهذا القول الذي يبعث فيها حياة العزة والكرامة، ويجعل لكل فرد منها مهما صغر مقامه حق الملاحظة على الخليفة وحق نقد أعماله وتصرفاته. هذا هو

السكّال الاجتماعي الذي يجب أن تتربى به الأم التي تريد بحق أن تتبوا مكانتها تحت السماء .  
ومن مفاخر الاسلام في عصره الأول هذه التربية الفاضلة التي تربت عليها المرأة المسلمة فكانت المثل الأعلى في السكّال النسائي ، يجد منها الزوج شريكه في الحياة صالحة ، ويجد فيها الأ ولاداً مأ روءماً ، تغذيهم بالعلم وشتفهم بالأ دب ، يحيط بها سرادق العفاف ويزينها الحياء . يطالعنا التاريخ بألحالة السوء التي كانت عليها المرأة قبل الاسلام في جميع الأمم ، فلما جاء الاسلام أفسح للمرأة مكانتها في الحياة وفتح لها باب العلم على مصراعيه ، وأشركها مع الرجل في خطاب التكليف بما يتفق مع تركيبها الجثني ، بل صرح القرآن الكريم بأنها هي والرجل سواسية في الحقوق والواجبات فقال : ( وَلَكُنْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَاللِّرْبَالِ عَائِينَ دَرَجَةً ) ، وهذه الدرجة هي درجة القوامة بالانفاق والحماية المذكورة في آية أخرى : ( الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ) وهذا إرفاق بها ورحمة ، وقد فهم المسلمون تقدير القرآن لمقام المرأة فكانوا يعاملونها بمنتهى الرقة والعطف ما دامت حافظة للغيب بما حفظ الله قائمة على حدود الدين والفضيلة ؛ حتى أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول : ( إني أحب أن أترين لامرأتى كما أحب أن تنزني لي ) ، فهل رأيت إخلاصاً للمرأة واحتراماً لها مثل هذا الصنيع ؟ ؟

شعرت المرأة المسلمة بوجودها في الحياة وقدرت إنسانيتها ، وشاركت الرجل في العلوم والآداب ، حتى نبغ من النساء المسلمات كثيرات كن مرجعاً للعلماء والأدباء . أما أم المؤمنين ( الحميراء ) السيدة عائشة رضي الله عنها فهذه واحدة الدنيا علماً وفضلاً ، فما أشكل على المسلمين شيء من القرآن والحديث وأدب العرب وسير الماضين إلا وجدوا عندها به علماً . وأما ذات النطاقين السيدة أسماء أختها فما قامت النساء على مثلها يقيناً وحزمًا وصرامة في الحق ، فهل سمعت عن امرأة يدخل عليها ولدها وقرة عينها ليتعرف

صبرها على فقدته إذ يقول لها : ( يا أمه خذاني الناس حتى أهلى وولدى ولم يبق معى إلا من لا دفع عنده إلا صبر ساعة من النهار ، وقد أعطاني القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟ ) ، فتقول له أخرج الى القتال إن كنت تعتقد أنك على الحق ، والله لضربة بسيف فى عز أحب إلى من ضربة بسوط فى ذل ؛ فيقول لها : أخشى أن يمثلوا بى بعد قتلى ، فتقول له : يا بنى إن الشاة المذبوحة لا يؤاها السائح ؟؟ . تلك هى أسماء بنت أبى بكر الصديق وابنها عبد الله بن الزبير ، وهل سمعت بامرأة ينعى اليها أولادها خرجوا ليجاهدوا فى سبيل الله فتقول : الحمد لله الذى شرفنى بشهادتهم فى سبيل الله ؟؟ تلك هى الخنساء شاعرة العرب وأديبة المسلمات ، هذه مُثل من نفوس رباها الاسلام ، فهل علم المجددون أنهم عن الصراط السوى نا كبون ؟؟ .

وأجل ما لهذه المرحلة من المحامد أن الثقافة الإسلامية فيها كانت كذلك فحسب ، وبعبارة أدق أنها كانت إسلامية المنشأ عربية التفكير والتربية ، فلم يكن للمسلمين عهدئذ مورد يستقون منه ثقافتهم غير القرآن الحكيم وما علمهم النبي صلى الله عليه وسلم من الحكمة ، ولم يكن قادة الفكر يومئذ غير العرب أو المستعربين الذين درجوا فى أحضان تعاليم الاسلام ولم يرتضعوا لسواه ثديا ولم يأخذوا عن غيره أدبا ، فهو أصدق العصور للتعبير عن الثقافة الإسلامية ، وهو الدليل الناهض على أن للإسلام ثقافة مبتكرة مستقلة تستمد نورها من وحى القرآن الكريم والسنة المظهرة ، دون أن يكون لأية أمة من أمم الأرض على المسلمين يد فيها ، إذ لم يكن قد فتح على المسلمين باب النقل والترجمة عن علوم الغابرين ؛ فكان للمسلمين فقه إسلامى أوسع ما عرف فى علوم التشريع والاجتهاد ، وأصح نظراً وأصدق مخرجاً ؛ وهما هى مؤلفاتهم شاهدناطق على صفاء أذهانهم واستنارة أفكارهم ؛ فهل قرأت فى « مدونة » مالك بن أنس رضى الله عنه ، وعرفت كيف كان نظر أئمة المسلمين فى المسائل وتخرج أحكامها بما ينطبق على مصلحة المجتمع ونظام الحياة ؟؟ وهل نظرت فى كتاب « الخراج » لأبى يوسف صاحب أبى حنيفة رحمه الله ، وعلمت الى أى حد وصل المسلمون الأولون من سعة العلم



وقوة الإدراك؟؟ وهل اطلعت على كتاب « الأم » للشافعي رحمة الله عليه، فتطمئن الى الايمان بعظمة علماء الاسلام، ويظهر لك سخف ما يزعمه خصوم الاسلام من أن الفقه الاسلامي أخذ شيئاً من مبادئ الفقه الروماني. لنُدع فقهاء الشام والعراق ومصر، وننظر الى فقهاء الحجاز في القرنين الأولين، فنرى أى طريق وصل الفقه الروماني الى المدينة المنورة فأخذ عنه الامام مالك وأصحابه هذا التشريع البديع؟ ومن أى السبل انتهى هذا الفقه الى فقهاء مكة المكرمة فاستفادوا منه كما يزعم الزاعمون؟؟ اللهم إن هذه فرية ما فيها مربة، وأقويل يذيعها الذين نفسوا على الاسلام فضائله ومزاياه.

صادق ابراهيم عربونه

« يتبع »

## التاريخ الهجري

ترد إدارة المجلة رسائل يقتصر فيها أصحابها على التاريخ الافرنجى، وكان حقاً على المسلمين ولا سيما أهل العلم أن يحافظوا على التاريخ الهجري الذى هو شعار ما يكتبه المسلمون منذ عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا ندرى ما هو الداعى الى تقليد الأمم الغربية فيما يؤرخون به رسائلهم ووقائعهم، وفي التاريخ الهجري تذكار مبدأ عظمتنا وظهور دين الله على الدين كله، واذا اقتضى الحال ذكر التاريخ الافرنجى فى رسالة أو تدوين واقعة، فلا مقتضى للاقتصار عليه وطرح التاريخ الهجري فى حال، واذا كان غيرنا من الأمم يتمسكون بما اعتادوه فى التاريخ، فلماذا لا نتمسك بما اعتاد أسلافنا من التاريخ الهجري حتى فى مراسلة الأجانب أو الشركات الأجنبية؛ ومن بواعث الأسف أن يجرى فى مجالسنا الحديث عن بعض الوقائع فلا نسمع عند التعرض لتاريخنا إلا الشهر أو السنة الافرنجية، فالاحتفاظ بكرامتنا والاعتزاز بما يشير اليه مبدأ تاريخنا ينصحان لنا بأن نستعمل فى مراسلاتنا وتدوين وقائعنا التاريخ الهجري، ونذكر بعده التاريخ الافرنجى أو غيره حيث تدعو اليه الحاجة. وقد كتب بعض الأفاضل الى المجلة رسالة فى التنبيه على ذلك فنشكره على غيرته.

# العلوم والآداب

## التجول

وأثره في التربية الوطنية <sup>(١)</sup>

كانت حكومات الأمم القديمة تعتبر المدارس العالية كمعاهد لاعداد موظفين مأجورين ، أو لتهيئة جنود أقوياء لأغراض الدولة المالية أو الحربية ؛ ولو أن هذا الغرض من المدارس لم يكن هو الوحيد الذي ترمى اليه التربية والتعليم على وجه العموم ، إلا أنه كان حين ذلك أهم أغراض المدارس والمعاهد ، وقد يرجع السبب في ذلك الى الاعتقاد السائد بأن خدمة الوطن محصورة في الانضمام الى الجيش أو العمل في المصالح الحكومية العامة .

وقد تكون الأحوال الماضية في تلك العصور هي وحدها المسئولة عن انتشار مثل هذا الرأي ، وأما الآن — وقد حطمت مناطق النفوذ الواسعة التي كانت تخضع على الموظفين المركز الرفيع والسلطان الكبير وأصبحت هيئة الحكومة عبارة عن آلة إدارية لتحقيق رغبات الشعب وتنفيذ مطالبه الحيوية والعمرانية — فإن الفرد أصبح بما له من حقوق وعليه من واجبات عضوا مستقلا هاما في حياة المجتمع ، وله أثر ظاهر في منفعته أو مضرته ، بصرف النظر عن نوع وظيفته أو مرتبته في الحياة العامة ، ولا يقيده في ذلك سوى مؤهلاته الشخصية ومعلوماته وتربيته الصالحة ومتانة أخلاقه وكلها . فالحياة العامة تتطلب اليوم أكثر من ذي قبل أن يكون كل فرد ملما بالعلوم ، واسع الاطلاع ، متمشيا مع مطالب الزمان والمكان لرفعة شأن وطنه ومواطنيه ، وأن يربى النشء على ما فيه نفع المجتمع ، وقد يكون ذلك من الأهمية بكان عظيم في الوقت الحاضر العصيب الذي فيه فصل الخطاب .

فوجب على القائمين بالتربية العالية الحديثة أن يهتموا قبل كل شىء بالعناية بمطالب الزمن الحاضر الضرورية حتى تثمر ثمرا صالحا يرجى خيره .

وهنا قد يتساءل البعض عما اذا كان قد أتيح للتربية ذلك حتى الآن بواسطة الأسلوب أو المناهج الموضوعية، وعما اذا كان يمكن تحصيل ما هو أكثر من ذلك خيراً وأعم نفعاً، وعن أحسن الطرق المؤدية لمثل هذه النتائج ؟ .

فلو أننا اكتفينا بمجرد تلقين المعلومات العامة وتاريخ الأمم وتقسيم البلدان أو النظم القومية ، لكنت المناهج الموضوعية للتعليم والأساليب المتبعة فى التربية كفيلة بتحقيق الأغراض .

ولكن الفرض الحقيقى من التربية والتعليم لا يقف عند حد تلقين العلوم أو سرد الحوادث التاريخية أو بيان أصول النظم القومية أو حفظ موادها ، وإنما هناك ما هو أكثر من ذلك فائدة وأجل قدراً ، وهو أن يشترك الناشئ فعلاً بواسطة حواسه ووجدانه فى البحث والتعرف على جواهر الأشياء الداعية لكل ما يذكرك له من علوم وفنون ، فان مواد الدستور والأنظمة القومية لا توصلنا الى إدراك القوى المستأصلة فى المشاعر الشعبية التى تقوم عليها الحياة الوطنية ، ولا يمكن إدراك هذه المشاعر بالتعليم أو التلقين وإنما بالتجربة والممارسة ؛ فانه لا بد للإنسان أن يحتك بأخيه ويكثر من مخالطته ويطلع من معاشرته حتى يتصل بطرق تفكيره ويفهم ميوله وأغراضه ويشاركه فى مشاعره ونواحي حياته ، وعلى هذا الأساس يجب أن يشيد بناء التربية الوطنية ، فان الوصول إليها يكون عن طريق التجربة والممارسة أنجع مما لو توسلنا إليها بطريق التلقين والتعليم فحسب .

وقد يكون تأسيس الجمعيات المختلفة الأغراض بين الناشئين من نواحي البلاد المتعددة ممهداً لسبيل التفاهم الوطنى والتعاون القومى ، إلا أن ذلك ليس كافياً للوصول

الى الغرض الجوهرى من التربية الوطنية ، إذ ينقصه زيارة نواحي البلاد المختلفة والتجول في ربوعها وبين أهلها والتعرف على طرق معاشهم ، حتى تتم تربية الروح الوطنية والتي بدونها لا تقوم حياة قومية مشتركة يتعاون فيها الجميع لصالح المجتمع على حد سواء .

إن التربية الوطنية الحديثة ترمى الى إرسال الناشئين الى الأصقاع المختلفة والنواحي النائية من الأوطان ، حتى تنمو فيهم روح التفاهم على الحياة التعاونية الاجتماعية .

والوصول الى هذه الغاية ينصح العلماء والقائمون بأمر التربية الوطنية الحديثة ، أن يوضع نظام خاص لتبادل الناشئين بين العائلات يراعى فيه مركز العائلة الاجتماعي وأعمار الطلبة ثم واجباتهم المدرسية ، حتى لا تختل بذلك طرق معيشتهم أو حياتهم الأدبية وواجباتهم المدرسية على قدر الامكان ، وذلك لمدد تختلف بحسب الحاجة الماسة الى ذلك ، إما أثناء الدراسة بأن يلحقوا بالمدارس الأخرى ، وإما أن يكتفى بذلك أثناء العطلات المدرسية .

وعلى هذا المنوال فقط تتسع دائرة التربية الوطنية لدراسة الأنظمة القومية الحقيقية ، ولادراك القوى المسيرة للشعور الوطنى والتي عليها تبنى حياة الشعوب .

وإن لمثل هذا التبادل الواسع النطاق بين آلاف العائلات من جميع أنحاء البلاد النائية أكبر أثر في تربية وثقافة الناشئين على أساس متين يضمن غرس الروح القومية بين رجال المستقبل ، كما يكفل سهولة التفاهم وتوحيد الفكر ومشاركة الشعور بين أهالى الأصقاع المتبادلة على بعد شقتها واختلاف حياتها الاجتماعية والأدبية ، ويكون أكبر عون للاتحاد والائتلاف القومى .

كما أنه يجب مراعاة أن يكون تبادل الناشئين بين الأصقاع التى تختلف في الحياة من الوجهة الاقتصادية حتى يتم لهم إدراك حاجات ورغبات أهالى هذه النواحي ، ولتتين

لهم طرق معيشتهم المختلفة ، فإن الزمن الحاضر بما جلبه من مستحدثات ومبتكرات ، وما حتمه من اختلاف وتباين في طرق المعيشة جعل البون شاسعا بين حياة البلاد الزراعية والبلاد الصناعية ، وبين المراكز التجارية والمالية الى غير ذلك من أوجه المعيشة الاقتصادية .

ينبغي أن يتاح للطالب في بدء نشأته فرصة التأمل والدراسة العلمية بل الإقامة في جميع هذه الجهات المختلفة من وطنه ، حتى يتمكن من إدراك أغراضها والامام بشؤونها إذا ألقى اليه زمام قيادتها وهو رجل ، ولا يتم له إدراك ذلك إلا بطريق التجربة والممارسة دون الحفظ والتلقين بين جدران قاعات المكاتب والمدارس .

وليس بالأمر العسير أن يترك الطالب في وقت ما من أوقات دراسته للتمرن في جهة من وطنه تختلف حياتها وطرق معيشتها عن البلد الذي نشأ وتربى فيه ، ليصرف جزءا من حياته في احترام الأعمال البدنية التي يشتغل بها كثير من مواطنيه ثم ليدرس تاريخ هذه الحرف والصناعات في مواطنها حتى يدرك مستلزمات الحياة فيها ، وبذا يكون ملما بعمقه واسعه الاطلاع ، فينشأ وهو قادر على التمشي مع روح الزمان والمكان لرفعة شأن وطنه ومواطنيه .

فاذا لم يتفق تنفيذ هذا النظام مع مناهج التدريس المقررة بمعنى أنه لا يمكن الوصول الى الغرض العلمي البحت مع مثل هذا الانقطاع الطويل عن الدراسة ، فيمكن ذلك نوعا من التوضيحية الواجبة لادراك ثقافة حقيقية راسخة الأساس واسعة المعارف ثابتة التجربة ، هذا الى أنه يمكن تخفيف وطأة هذه التوضيحية حتى تكاد تصبح عديدة الأثر بجانب المنافع الأكيدة المنتظرة ، وذلك بتقسيم وتوزيع العمل والزمن بطريقة حكيمة عادلة تضمن الانتفاع الكلي بمدتي الدراسة والعطلة .

وعلى كل حال يمكننا الجزم بأن في ذلك أكبر عامل لتقوية الارادة وتربية النفس تربية استقلالية قيومة .

## نور الاسلام

عرف المسلمون الأولون منافع هذا النوع من التربية الفاضلة وأدركوا ما للتجول في الممالك والأقطار والطواف في البلاد المختلفة من فوائد أدبية واجتماعية وسياسية عظيمة الأثر في تكوين حياة الشعوب والأمم فأخذوا منه بأكبر نصيب ، وكان دأبهم في فتوحاتهم درس أحوال الأمم العلمية وتعرف نظمهم الاجتماعية وتقدير ما عندهم من أدب وأخلاق وعادات ، وعلى أساس هذا البحث كانت تقوم علاقات المسلمين مع بقية الأمم ، والمطاع على سيرة علماء الاسلام ، يعلم أثر هذه التربية في نفوسهم ، وتعاليم الاسلام ترشد الى السير في الأرض للتعلم والاعتبار ، وكثير من علماء المسلمين قد جابوا الأرض للعلم ودرسوا أخبار الأمم فأخذ غريهم عن شريهم وقاصيهم عن دانيهم وتعرفوا أحوال الناس ووطؤا لهم علما يستقيم مع تطور حياتهم ، وكانت الحكومات الاسلامية حريصة على معاونة طلاب العلم والعلماء في رحلاتهم لعلمها بالأثر الطيب الذي يكون لهذه الرحلات المباركة . ومن فوائد التجول العظيمة التعارف بين الأمم لنشر راية السلام يرشد الى ذلك قول الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ) .

فان رأينا اليوم فريقا من علماء الغرب يقترحون على أممهم الأخذ بأسباب هذه التربية ، ورأينا المسلمين قد ضعفت هممة القادرين منهم عن التجول والأسفار فانقطعت الصلة بين شعوبهم ، فذلك أثر من أثار يقظة الغرب وبقية من سيرة أخذت المسلمين فأنسهم تاريخ أسلافهم الأجداد ، فهل يتنبه المسلمون ويعودون سيرتهم الأولى آخذين بأسباب النهوض والتقدم ؟ وهل للحكومات الاسلامية أن تعمل على بث هذه التربية في نفوس الناشئة ، لتتسع دائرة ثقافتهم ويكونون تكوينا صالحا لتحملهم عبي قيادة الأمة في المستقبل ؟ . نسأل الله الهداية والتوفيق .

# مبادئ عامة<sup>(١)</sup>

في الاقتصاد السياسى

الحياة الاقتصادية — (٢) أغراض النشاط الاقتصادى

٣

التقسيم : إن الأغراض التى تحدد أعمال الناس الاقتصادية يمكن أن تنقسم الى نوعين : الأغراض الذاتية ، والأغراض غير الذاتية .

فأهم الأغراض الذاتية هى غريزة المحافظة على الجنس والرغبة فى الحصول على منفعة اقتصادية شخصية ، وميل المرء الى إرضاء كبريائه وحبه للظهور ( ولم يفت الحكومات هذا الغرض فوضعت مبدء، الوسامات الفخرية وأوشحة الشرف ) ، والحاجة الى تنمية النشاط الجثمانى والقوة المفكرة .

وأما الأغراض غير الذاتية فيمكننا أن نذكر منها :

أولاً — الأغراض المجردة من الأثرة وهى التى تدفعنا الى القيام بقسط من أعمالنا فى سبيل سعادة وهناء بنى جنسنا ؛ مثل عاطفة المحبة التى نشعر بها نحو الأهل وذوى القربى ، وعاطفتى الاحسان وحب الخير للناس .

ثانياً — الأغراض التى تأتى من الناحية الخلقية أو الدينية أو العلمية ، وهى التى تسوقنا الى العمل طبقاً لمبادئ علم الأخلاق ، أو وفقاً لمعتقداتنا الدينية ، أو حسب ماتمليه علينا الرغبة فى السعى لتقدم العلوم أو الفنون ، دون أن تكون هذه الرغبة مشوبة بفكرة الحصول على ربح مادى أو منفعة شخصية .

مبدأ السعادة الشخصية : إن أقوى غرض ذاتى بعد غريزة المحافظة على الجنس

(١) مترجمة عن الفرنسية من كتاب « موجز فى الاقتصاد السياسى » للاستاذ ( ريبوه — REBOUD ) .

هو الحصول على منفعة اقتصادية شخصية ، فالإتصاديون من أصحاب المذهب العلمى عزوا لهذا الغرض أكبر تأثير على نشاط الناس الإقتصادى ، إذ نراهم — لكى يساهموا المسائل التى يدرسونها — قد بنوا نظرياتهم وأحكامهم على فرض أن لذلك الغرض وهو غرض الحصول على منفعة اقتصادية قوة مهيمنة وسلطانا قاهرا ، فتخيلوا لذلك وجود إنسان وهمى وأطلقوا عليه اسم « الإنسان الإقتصادى » الذى عرف تماما بمصلحته الشخصية ، فجعلها الغرض الذى لا أعماله دون الاهتمام بالأغراض المجردة من الأثرة والخالية من المنفعة الذاتية مراعىا فى ذلك مبدأ « الحصول على أعظم ترضية مع بذل أقل مجهود » ، ويطلق أحيانا على هذا المبدأ اسم « مبدأ الملذات » ؛ ولكن أصحاب المذاهب الحديثة وإن كانوا قد جعلوا « الإنسان الإقتصادى » غرضا لدرسهم وبحثهم ، فذلك لا لأنهم ينكرون الأغراض الخالية من الأثرة والمجردة من المنفعة الذاتية ، وإنما يخيل اليهم أنه من المستحيل أن يجدوا فيها أية أهمية عند البحث فى القوانين الاقتصادية .

وفضلا عن ذلك لا بد لنا من الاعتراف بأن المنفعة الذاتية هى المسيطرة على العالم فى زمننا هذا ، ومن هذه الوجهة نرى أن معظم الناس لا يفكرون إلا فى تنمية ثروتهم المادية ، ولا يسعون إلا الى الحصول على ما يزيد فى راحتهم الشخصية ، حتى أن بعضهم يبذلون جهودهم لبلوغ هذا الغرض بوسائل يابأها الشرف ولا يقرها القانون .

أما أصحاب مذهب الشيوعية أو مذهب الاشتراكية المتطرفة ، فيرون أنه من السهل جدا تغيير طبيعة الإنسان وإنشاء هيئة اجتماعية مكونة من أساس يقدمون المصلحة العامة على مصالحهم الشخصية<sup>(١)</sup> .

لكن تعلم الناس الانقياد بباعث المصلحة العامة وتدريبهم على الخضوع للأغراض المجردة عن الأثرة وحب المنفعة الذاتية ؛ إن ذلك العمل لعمل طويل وشاق لأن

(١) ذلك هو ادعاء أصحاب هذا المذهب « المترجم » .



ما يبعثه أى مبدأ مادى فى نفوس الناس من فكرة التضحية والقيام بالواجب والتضامن الذى يتطلبه نظام اقتصادى كالنظام الاشتراكى ، لأقل بكثير مما تبعثه فى نفوسهم دعوة دينية . هذا أمر واقع قد دللنا عليه التجارب ويقره بدون تحيز كل من تخصص فى دراسة المسائل الاجتماعية وبدون الحاجة الى تقديم أى برهان جديد .

### علم الاقتصاد — الصلات التى بين الظواهر الاقتصادية

صلة السببية : يميل عقل الانسان الى البحث عن أسباب الظواهر ؛ كبجثه عن سبب قية الأشياء وعن أسباب زيادة ثمن الحاجات المعيشية ، وعن أسباب الأمراض وغيرها ؛ ويشعر المرء بنوع من رضاء النفس وراحة الضمير عند ما يتوفق — اذا كان هذا ممكنا — الى معرفة الصلة التى تربط ظاهرتين تكون إحداهما سببا للأخرى ، والثانية نتيجة للأولى ؛ ولكن لا يجب أن يفوتنا أن الصلة بين سبب والنتيجة هى الصلة الوحيدة الممكنة بين ظاهرتين مرتبطتين لا سيما بين الظواهر الاقتصادية .

توقف الأسباب على النتائج والعكس : إن ارتباط ظاهرتين بصلة السببية يجعل إحداهما متوقفة على الأخرى ، أى أن كتما الظاهرتين (السبب والنتيجة) معلقة على وجود الأخرى بمعنى أنها فى حالة خضوع متبادل من جانب كل منهما للأخرى ، بحيث أنه يصبح من غير الممكن أن يعرف أيتهما هى السبب وأيتهما هى النتيجة ؛ إذ أن تأثير الأسباب على النتائج وتأثير النتائج على الأسباب متبادل ونسبة واحدة ، ويمثل ذلك بنصفى قوس قنطرة ، فإن كلا النصفين يمنع الآخر من الانهيار ، أو كما هو الحال مع كوكبين يجذب كل منهما الآخر نحوه .

ولنأت على مثل بسيط من المسائل الاقتصادية : إن ارتفاع أو هبوط ثمن الأشياء متوقف على كمية البضائع التى يرغب القادرون على شرائها فى الحصول عليها ، أى أن الثمن

معلق على الطلب ، فالثمن قابل للزيادة أو النقصان عند ما ينقص الطلب أو يزيد بنسبة عكسية ، أى أنه إذا ارتفع الثمن قل الطلب وإذا هبط الثمن ازداد الطلب ؛ فمثلا إذا كان ثمن رطل الشهد درهم أقبل كل الناس على شرائه ، وإذا بلغ ثمن حزمة من الفجل دينارا لما اشترى الفجل غير كبار الموسرين ، وإن هاتين الظاهرتين المتغيرتين — ثمن البضاعة والكمية المطلوبة منها — متوقفة إحداهما على الأخرى وتتغير كل منهما بتغير الثانية ، (وهما يتغيران كذلك بتغير كثير من الظواهر الأخرى) وإن الصلة بينهما كالصلة التى بين معادلتين من معادلات الجبر .

وإن هذه الفكرة فكرة تعلق ثمن الأشياء على الكمية المطلوبة منها لذات أهمية كبرى لاسيما عند البحث فى تفسير التغيرات التى تحدث فى ثمن البيع و ثمن ما نكفنه البضائع على الصانع وأجرة العامل ومقدار الربح ونسبة الفائدة والدخل ، كل هذه ظواهر متوقف بعضها على بعض .

الأسس التى يبنى عليها تفسير الظواهر : لى نصل الى تفسير الظواهر الاقتصادية تفسيراً منطقياً بحيث يتاح لنا ألا نقع فى أخطاء فادحة عند تكييفنا الأشياء وإدراك كمها إذا أردنا ذلك لا بد لنا — كما هو الحال عند تفسير الظواهر غير الاقتصادية — من أن نضع موضع النظر القواعد التالية :

(١) عند ما تكون الظاهرة «ا» (غلاء المعيشة مثلا) نتيجة لعدة أسباب «ب» و«ج» و«د» (مثل : غلاء المعيشة، وقلة المحصول عن الحاجة، وارتفاع أجور المساكن والعمال، وإصدار أوراق مالية أكثر من الحاجة إليها) يجب علينا لى نعلق الظاهرة «ا» على أحد الأسباب المذكورة ونجعلها نتيجة له وحده ، أن نتأكد تمام التأكد من أنه ليس للأسباب الأخرى أى تأثير عليها ، وأنه لا بد لنا قبل البت فى ذلك من استعراض جميع الأسباب التى يمكن أن تنتج الظاهرة المذكورة .

(٢) عند ما تقع عدة ظواهر «ا» و «ب» و «ج» في وقت واحد أو على التتابع، (مثل قلة المحصول - وهبوط ثمن البيع وغيرها) لا يجب أن تتسرع في الحكم بأن إحدى تلك الظواهر نتيجة لواحدة منها أو لبقيةها إذ من الممكن أن يكون بينهما ارتباط متبادل دون أن يكون بينهما الصلة التي تربط السبب بالنتيجة . « يتبع »

## كتاب الدين الاسلامي

مؤلف نفيس اشترك في وضعه ثلاثة من الأفاضل حسبهم من التنويه بقدرهم ما لهم من المكانة الرفيعة بين الطبقة المثقفة الفاضلة : وهم الأستاذة الأجلاء الشيخ حسن منصور وكيل دار العلوم العليا سابقا ، والشيخ مصطفى عناني المفتش الأول للعلوم العربية بالأزهر والمعاهد الدينية ، والشيخ عبد الوهاب خير الدين المدرس بمدرسة دارالعلوم . وموضوع الكتاب ، أبحاث في الدين على منهج وزارة المعارف ، وهو في جزأين : الأول يشتمل على بيان حقيقة الدين الاسلامي وخصائصه ومزاياه ، وأثره في تهذيب النفوس وفي حياة الفرد والمجموع ، وعلى كيفية نزول القرآن الكريم وتدوينه ، ونبذة من تاريخ المصاحف وطرق كتابتها ، وبيان ما اشتمل عليه القرآن الحكيم من الأحوال الشخصية والشئون العمرانية ... الخ . والجزء الثاني يحتوى مباحث في الرسالة والرسول والمعجزات ، وبعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وسيرته وسنته ومنزلها من الدين ، والاجتهاد وأطواره وأشهر المذاهب والفرق الاسلامية والشورى والحرية ، والمساواة في الاسلام ، وتنبيهها على بعض البدع الشائعة بين الناس ... الخ . وفي كل جزء كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية مفسرة ومشروحة شرحا موجزا لطيفا ، وهالك نموذجا لأبحاث الكتاب وأسلوبه .

سبرنا محمد صلى الله عليه وسلم

« يتبين لك من موجز سيرة هذا النبي الكريم ، أن مدة رسالته ثلاثة وعشرون سنة

قضى منها بركة ثلاث عشر سنة يدعوا قريشا الى الايمان فلا يستجيب له إلا قليل منهم مع نفر من غيرهم ، وتحمّل في ذلك من صنوف الايذاء وضروب الاضطهاد ما لا يطاق احتماله إلا بتثبيت من الله تعالى . وقضى بالمدينة عشر سنين وهو الزمن الذي قويت فيه الدعوة وانتشر الاسلام بين قبائل العرب ودخل الناس في دين الله أفواجا حتى عم الجزيرة وتحولت فيه تلك الأمة الأمية الجاهلة الوثنية المتنافرة المتخاذلة ، أمة متعلّمة موحدة متآلفة متناصرة .

« إصلاح عجيب مدهش في سرعته ، مدهش في إحكامه ، إصلاح يثّل سعادة الروح ومطالب الجسد على حد التوسط والاعتدال . »

« لم يعهد التاريخ انقلابا سريعا تاما شاملا في الاعتقادات والأخلاق والعادات وشئون الاجتماع كهذا الانقلاب في أي أمة على يد أي مصلح أو رسول من الرسل قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولن يكون بعده . »

### الحرية في الاسلام

« الحرية خلوص الانسان من ضيق الحجر وتمّة به بكل حق إنساني سوغه العقل ، وقضى به الشرع ، وهي حق طبعي للناس اذا حرّموه فقد سلبوا إرادتهم وقتلوا إنسانيتهم ، لهذا قررها الاسلام ورفع من شأنها ومنع من العبث بها وجعل الانسان حر النفس ، حر العقل . »

وعلى هذا النحو تجرد موضوعات الكتاب القيمة مصوغة في عبارات سهلة ممتعة فبحث القراء على اقتنائه والاستفادة بما حواه من المباحث الدينية والدنيوية .

تنبية : وقع خطأ مطبعي في العدد الثامن ص ٥٩٨ س ٦ حيث جاءت الآية الكريمة ( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ ) والصواب ( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ ) .



قَدْ جَاءَ كُذِّبَ آفَهُ نُورٌ وَكَاتِبٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِرَأْفَةِ رَبِّهِ شِعْرَ رُضْوَانِهِ مُبْدِلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \*

# نَفْثُ الْأَسَدِ الْأَمِينِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تصديرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

المجلد الاول

شوال سنة ١٣٤٩

العدد ١٠

رئيس التحرير

السيد

محمد الخضر حسنين

من علماء الأزهر

مدير إدارة المجلة

عبد المجيد بن عبد العزيز

المستشار بمحكمة الاستئناف  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى { سابقا

الاشتراك

- داخل القطر المصري ... ٤٠  
للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس ... ٢٠  
خارج القطر المصري ... ٥٠  
لطلبة المعاهد والمدارس ... ٣٠

الإدارة

شارع محمد مظلوم بإشراق رقم ١

تليفون : ٣٥٠٧ بستان

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية والعامل معامل الطلاب

وثن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مطاة الأزهر

وأثره في حفظ الدين ورفق الشريعة

ليس من غرض هذا المقال أن نحدثك عن حال الأزهر من حيث هو حجر وطن وأرض فوقها سماء ؛ وإنما نقصد الى أن نضع نصب عينك صورة موجزة من حياته العلمية ومكانته الدينية ، لنريك أنه الحصن الذي لا يتصدع ، ومطامع النور الذي لا يتقلص ، ومبعث القوة التي لا تغلب ، حتى تكون على ثقة من أنه الكفيل بإعلاء كلمة الاسلام ورفع لواء المدنية النقية من كل قذى .

في يوم السبت الثاني والعشرين من جماد الاولى سنة ٣٥٩ هـ . شرع القائد الفاطمي أبو الحسن جوهر بن عبد الله « الصقلي » في بناء مسجد بالمدينة التي أنشأها ، حيث ضرب خيام جيشه وسمّاها « المنصورة » ، ثم سماها المزمع « القاهرة المعزية » وتم بناء هذا المسجد في نحو ثلاثين شهرا ، ذاك المسجد هو الأزهر الشريف .

وفي صفر عام ٣٦٥ هـ . جلس قاضى مصر أبو الحسن على بن النعمان بن محمد بن حيون بهذا الجامع ، وأملى مختصر أبيه المؤلف في الفقه على مذهب الشيعة .

وفي سنة ٣٧٨ هـ . تولى الوزارة يعقوب بن كلس للخليفة تزار بن المعز ، وكان هذا الوزير من رجال العلم ؛ فانتخبت الدولة خمسة وثلاثين عالما ، وعينتهم للتدريس بهذا الجامع ، وأنشأت لهم منازل حول الأزهر وكانوا يحضرون يوم الجمعة ، ويدرسون بعد الصلاة الفقه والعقائد وفنون الأدب .

ولما قضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية ، وكان قاضى القضاة بدولته صدر الدين عبد الملك بن درباس شافعى المذهب ، أمر بأن لا تقام الجمعة فى مساجد متعددة وقصر الخطبة على جامع الحاكم ، إذ كان أوسع جامع بالقاهرة ، وبقي الأزهر عاطلا من صلاة الجمعة الى أن جاءت دولة الملك الظاهر بيبرس ؛ فعنى أحد أمرائها هو عز الدين أيدمر الحلى بعمارة الأزهر ، فأصلح ما اختل من مبانيه ، وأعاد اليه صلاة الجمعة فى ١٨ ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ . وأقام لذلك حفلة حضرها رجال الدولة وأعيان الأمة . وما زال الأمراء والسلاطين والكرام من ذوى اليسار يبسطون أيديهم بالانفاق على الأزهر ، ويقفون عليه الأوقاف بسخاء ؛ وكثير منهم يعملون لترقية شأنه من حيث هو جامعة دينية علمية حتى ، أصبح منذ عهد بعيد معهدا عامرا بدراسة العلوم الشرعية والعربية ومجالس الوعظ .

ولخصرة صاحب الجلالة ملكنا المعظم فؤاد الأول — أيد الله — اليد الطولى فى إنهاض الأزهر من خموله ، وإحياء كثير مما ذبل من علومه ، وتجديد ما بلى من نظمته ، حتى أحرز فى عهده المبارك مكانة طالما حاولت بعض الأيدى الأثيمة صرفه عنها أو القضاء عليه قبل أن يتبوأها .

وما فتئ هذا الجامع المورد الذى يؤمه طلاب العلم من كل ناحية حتى أنشئت له شعب فى القطر المصرى هى معهد اسكندرية ، ومعهد طنطا ، ومعهد أسيوط ، ومعهد الزقازيق ، ومعهد دمياط ، ومعهد دسوق .

وكان فى إنشاء هذه المعاهد تيسير على طلاب العلم من سكان هذه البلاد ، حتى لا يحتملوا كلفة المقام فى القاهرة إلا حيث يتأهلون لدراسة الكتب العالية فى نفس الأزهر الشريف ؛ وفى هذه المعاهد مظاهر تجعل الشعور الدينى ساريا فى الأمة ، والأمم صور قائمة وأرواحها الشعور بأن لها دينا حقا وشريعة عادلة .



## اقسام التعليم :

في الأزهر قسم ابتدائي ومدته أربع سنوات ، وثانوي ومدته خمس سنوات ، ومواد هذين القسمين تدرس في أماكن خاصة بها خارج الجامع الأزهر ؛ وبعد هذين القسمين قسم عال ، ومدته أربع سنوات ودروسه الآن تلتقى في نفس الجامع الأزهر ؛ وبعد القسم العالي قسم التخصص ، ومدته ثلاث سنوات .

أنشئ هذا القسم في ١٣ محرم سنة ١٣٤٢ هـ — ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٢ م ليخرج رجالاً لهم مزيد اختصاص في بعض العلوم الدينية أو العربية وما يتصل بها ، وهو ضرب من ضروب الإصلاح التي يعمل لها الرؤساء الناصحون ؛ وفي هذا القسم نحو خمسين مدرسا ، وبه نحو ٢٠٠ طالب علم ماعدا المتطوعين ، وترجع العلوم التي يقصد الطلاب الى التخصص بها الى تسع مجموعات : (١) التفسير والحديث (٢) الكلام والمنطق . (٣) الأصول والفقه الحنفي . (٤) الأصول والفقه المالكي . (٥) الأصول والفقه الشافعي . (٦) النحو والصرف . (٧) البلاغة <sup>(١)</sup> . (٨) الوعظ والارشاد . (٩) التاريخ والأخلاق .

واذا كان الأزهر قد أخرج قبل إنشاء هذا القسم رجالاً لهم رسوخ في بعض العلوم أكثر من رسوخهم في غيرها ؛ فسيكون الرسوخ بعد هذا على طريق منظم بحيث لا تبقى ناحية من نواحي العلوم التي تدرس في هذه الجامعة إلا وقد قام عليها طائفة خاضوا عباها ، وتوغلوا في أحشائها ، وأصبحت كلماتهم القول الفصل في تقرير مسائلها ؛ وليس ببعيد على الأذكياء المجدين من طلاب هذا القسم أن تكبر همهم ، ويخلص في سبيل العلم قصدهم ، حتى نرى فيهم رجالاً يبهرون النفوس علما ، ولا تشهد منهم العيون إلا استقامة ورشدا .

## العلوم التي تدرس بالأزهر :

يدرس في الأزهر التفسير ، والقراآت ، والحديث ، والسيرة النبوية ، وعلم الكلام ، والفقه وأصوله ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والانشاء ، وآداب اللغة ، والعروض :

(١) المعاني والبيان والبدیع وآداب اللغة والانشاء .

والقوافي ، والوضع ، والمنطق ، وعلم النفس ، والتاريخ ، والأخلاق ، والفلسفة ،  
والحساب ، والهندسة ، والطبيعة ، والكيمياء ، والجغرافيا .

وربما أشار بعض الكتّاب في إصلاح الأزهر بقصر التعليم فيه على العلوم الدينية  
والعربية ، وهو رأى لا يستقيم مع ما يقتضيه حال العصر من أن يكون العالم الدينى  
على جانب من العلوم الكونية والاجتماعية ؛ وبهذا يكون الأزهر كفيلا باخراج نشء  
يثملون القاضى العادل ، والمدرس النحرير ، والمصلح الخطير ، والمرشد الحكيم ، والكتّاب  
البارع ، والمدير لبعض الشؤون العامة فى حزم ونظام .

#### الأروقة :

بالأزهر أروقة معدة لسكن طلاب العلم ، والرواق يحتوى على غرف ومرافق ؛  
ومن هذه الأروقة ما هو خاص بالقطر المصرى ، كرواق الصعائدة ، ورواق البحاروة ،  
ورواق الشراقة ، ورواق الحنفية ، ورواق الطيرسية ، ورواق السنارية ؛ ومنها  
ما هو خاص ببعض الأقطار الاسلامية من غير مصر ، كرواق الحرمين ، ورواق  
الشوام ، ورواق المناربه ، ورواق الهنود ، ورواق الأتراك ، ورواق الأفغان ، ورواق  
اليمين ، ورواق الأكراد ، ورواق جاوة ، ورواق الدكارنه البرناوية .

وفى هذه الأروقة وما وقف عليها من كتب وجرايات معونة للمنتسبين إليها على  
طلب العلم ، واذا وجد فى نهاء الطلاب بها حرص على الخير أممكنهم أن يعقدوا فيما بينهم  
صلة التعارف والتعاطف التى أرشد إليها الدين بقوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ »  
فيعملوا فوق ما يستفيدونه من علم وأدب عملا صالحا هو تأكيد الرابطة بين الشعوب  
الاسلامية المتفرقة .

وبهذه الأروقة صار الأزهر ملتقى أمم إسلامية متباعدة الأقطار ؛ ومتى اشتدت  
عناية أولى الشأن بأموالهم ، فنظروا إليهم بعطف ورعاية ، وراقبوا سيرهم فى التعليم ،

وأخذوهم بالنظم الحازمة ؛ وجدت فيهم أوطانهم — اذا انقلبوا إليها — القدوة الصالحة ، وكانوا ألسنة تلجج بفضل الأزهر ؛ وتجيد الأزهر يرجع نخره الى سكان وادى النيل قاطبة .

فتوجيه طلاب العلم بهذه الأروقة — ولا سيما النبهاء منهم — وحملم في التعليم على النظم الصالحة ، حق من حقوق العالم الاسلامى على الأزهر الشريف ، ومفخرة يزاد بها ذكر الأزهر رفعة ؛ وبثله تبقى القاهرة عاصمة الشرق الأدبية ، ومبعث الهداية الاسلامية .

### مُسْتَبْعُ الْأَزْهَر :

ما زال الأمراء ينظرون في شؤون الأزهر بأنفسهم حتى اتسعت دائرته ، واقتضى حاله أن يسند النظر الى أحد الكبار من شيوخه ، وأول من عرف بولايته شيخاً للأزهر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشى المالكي المتوفى سنة ١١٠١ هـ . وتولاها بعده الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوى <sup>(١)</sup> الشافعى المتوفى سنة ١١٠٦ هـ وتولاها بعده الشيخ محمد النشترقى <sup>(٢)</sup> المالكي المتوفى سنة ١١٢٠ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الباقي القلينى <sup>(٣)</sup> المالكي ، وتولاها بعده الشيخ محمد شنن الجداوى المالكي المتوفى سنة ١١٣٣ هـ . وتولاها بعده الشيخ ابراهيم بن موسى الفيوى المالكي المتوفى سنة ١١٣٧ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوى الشافعى المتوفى سنة ١١٧١ هـ . وتولاها بعده الشيخ محمد بن سالم الحفنى <sup>(٤)</sup> الشافعى المتوفى سنة ١١٨١ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الرؤف السجيني <sup>(٥)</sup> المتوفى سنة ١١٨٢ هـ . وتولاها بعده الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمهورى <sup>(٦)</sup> المتوفى سنة ١١٩٠ هـ . وتولاها بعده الشيخ أحمد العروسى <sup>(٧)</sup> الشافعى

(١) نسبة الى «رمه» بدمديرية الغربية . (٢) نسبة الى «نشتر» بدمديرية الغربية . (٣) نسبة الى «فلين» بدمديرية الغربية . ولم تنف على تاريخ وفاته . (٤) نسبة الى «حفا» ببلدة بالشرقية . وهو صاحب حاشية الجامع الصغير . (٥) نسبة الى «سجين» قرية بدمديرية الغربية . (٦) تنفقه على مذهب الاوام الشافعى ثم «درس بقية المذاهب» وكان يكتب في توقيعه : الشافعى الحنفى المالكي الحنبلى . ومن مؤلفاته شرح الجوهر المكنون . (٧) نسبة الى «منية عروس» بلدة باقليم المنوفية تابع مركز أثيون .

المتوفى سنة ١٢٠٨ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الله بن حجازي بن ابراهيم الشرقاوي الشافعي المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ . وتولاها بعده الشيخ محمد الشنواني <sup>(١)</sup> الشافعي المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ . وتولاها بعده الشيخ محمد بن أحمد العروسي الشافعي المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ . وتولاها بعده الشيخ أحمد بن علي بن عبد الله الدمهوجي <sup>(٢)</sup> الشافعي المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ . وتولاها بعده الشيخ حسن بن محمد العطار <sup>(٣)</sup> الشافعي المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ . وتولاها بعده الشيخ حسن القويسني <sup>(٤)</sup> الشافعي المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ . وتولاها بعده الشيخ أحمد بن عبد الجواد الشهير بالصائم السفطي <sup>(٥)</sup> الشافعي المتوفى سنة ١٢٦٣ هـ . وتولاها بعده الشيخ ابراهيم البيجوري <sup>(٦)</sup> الشافعي المتوفى سنة ١٢٧٧ هـ . وتولاها بعده الشيخ مصطفى بن أحمد العروسي الشافعي ، وعزل عنها سنة ١٢٨٧ هـ . وتقلدها الشيخ محمد المهدي العباسي الحنفي ، وعزل عنها في المحرم سنة ١٢٩٩ هـ . وخلفه فيها الشيخ محمد ابن محمد بن حسن الانبائي <sup>(٧)</sup> الشافعي الى شهر ذي القعدة من تلك السنة ، ثم أعيد اليها الشيخ المهدي حتى استقال سنة ١٣٠٤ هـ . وأعيد اليها الشيخ الأنبائي الى أن استقال سنة ١٣١٢ هـ . وتقلدها بعده الشيخ حسونه <sup>(٨)</sup> بن عبد الله النواوي الحنفي حتى استقال سنة ١٣١٧ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الرحمن القطب النواوي الحنفي ، وتوفي بعد ولايتها بنحو شهر فجأة ، وخلفه فيها الشيخ سليم البشري المالكي حتى استقال سنة ١٣٢٠ هـ . وتولاها بعده السيد علي بن محمد الببلاوي المالكي واستقال سنة ١٣٢٣ هـ . وتقلدها بعده الشيخ عبد الرحمن الشرييني الشافعي واستقال سنة ١٣٢٧ هـ . وأعيد اليها

(١) نسبة الى « شنوان » بلدة بآقليم المنوفية . وهو مؤلف حاشية مختصر ابن أبي جره . (٢) نسبة الى « دهبوج » قرية بالقرب من « بنها العسل » . (٣) هو صاحب حواشي شرح الحبيصي على التهذيب . وحواشي شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع . (٤) نسبة الى « قوسنا » وله شرح على السلم . (٥) نسبة الى « سفت العرفاء » قرية بمديرية المنيا . (٦) نسبة الى « البيجور » قرية بمديرية المنوفية . (٧) نسبة الى « امبابه » قرية بضواحي القاهرة . (٨) مما يحفظه التاريخ لهذا الاستاذ أن بطرس باشا غالى حين كان وزيرا للحقانية أراد أن يدخل في المحكمة الشرعية عضوين من المستشارين بمحكمة الاستئناف . فضضع القاضي التركي أمام هذه الارادة أما الشيخ حسونه فوقف في وجهها موقف من يرى مقامه العلمي فوق كل منصب حتى قال لبطرس باشا عند ما أخذ يدافع عن رأيه في شيء من الشدة « أسكت يا بطرس لكم دينكم ولي دين » فدفع عن المحاكم الشرعية أمرا ربما انقلبت به الى صبغة غير صبغتها .

الشيخ حسونه النواوى واستقال سنة ١٣٢٧ هـ . فأعيد إليها الشيخ سليم البشرى الى أن توفى سنة ١٣٣٥ هـ . وتولاها بعده الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى الوراق<sup>(١)</sup> المتوفى فى ١٥ محرم سنة ١٣٤٦ هـ . وتولاها بعده حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى فى ٢ ذى الحجة من تلك السنة ، واستقال فى ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ هـ . وتولاها بعده حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدي الظواهري ، وهو شيخ الجامع الأزهر لهذا العهد .

### وامبات شيخ الجامع الأزهر :

ينظر شيخ الجامع الأزهر فى شئون المدرسين وطلاب العلم ونظم التعليم ، وبما أن الجامع الأزهر أكبر معهد دينى فى العالم الاسلامى كان لرئيسه حق النظر فى حالة الأمة من حيث موافقتها لروح الدين أو بعدها عنه ، وعليه أن يوجه نصيحته الى أى قطر إسلامى متى انحرف جماعة من المسلمين عن السبيل ، أو فتنهم ذويد طائشة عن دينهم الحنيف ؛ وإذا كانت أحوال الشعوب الاسلامية قبل هذا غير معروفة لشيوخ الأزهر بتفصيل ، أو كانت كلمة الأزهر لا تصل الى من فى أقصى الشرق والغرب إلا بعد أمد طويل ، فإن وسائل الاطلاع على أحوال الجماعات الاسلامية فى هذا العصر متيسرة ، والطرق التى تصل منها نصيحة رئاسة الأزهر الى جماعات المسلمين على بعد أوطانهم غير متعسرة ، وقد أصبحت الرسائل بتمهيد وسائل المواصلات ترد هذه الرئاسة من البلاد القاصية فى أيام معدودة ، ولا شك فى أن انتظام المواصلات يجعل ارتباط الأزهر بالأقطار الاسلامية فى هذا العصر أشد من ارتباطه بها فى العصور السالفة .

وأذكر على وجه المثل أن مسلمي الصين — وهم عشرات من الملايين — لا تعرف لهم صلة بالأزهر ، وقد بلغهم صوته فى هذا العهد فقاموا يسعون الى تأكيد الرابطة

(١) نسبة الى « وراق الحضر » بلدة بالجيزة .

بينهم وبينه لينالوا مثل ما نالته الشعوب الأخرى من علم وهداية؛ وجاء في رسالة لهم الى رئاسة الأزهر أنهم عقدوا العزم على إرسال طائفة منهم الى الأزهر ، ليتفقهوا في الدين ويقوموا بالدعوة والارشاد في بلادهم اذا رجعوا اليها ، وتلقت الرئاسة هذه الرسالة بارتياح .

### المدرسون :

في سنة ١٢٩٣ هـ كان عدد المدرسين ٣٦١ ، وفي هذا العهد سنة ١٣٤٩ هـ يبلغون زهاء ٧١٣ مدرسا : مدرسو العلوم الدينية والعربية ٥٠٥ ، ومدرسو العلوم الحديثة والخط والاملاء ٢٠٨ ؛ وكثير من مدرسي العلوم الحديثة أزهريون تخرجوا من الأزهر بعد أن صارت تدرس فيه هذه العلوم .

والمدرسون في الأزهر أحرار في تقديم وآرائهم ؛ فلمدرس أن ينقد آراء أهل العلم من قبله ما شاء ، فان وجدده أهل العلم على حجة تقبلوا رأيه بقبول حسن ، وإن وجدوه في خطأ ، نبهوا على وجه خطئه بالتي هي أصوب ؛ واذا أبدى بعض المدرسين أو الكاتبين رأيا حاول به هدم أساس من أسس الشريعة أو نقض أصل من أصول الدين ، فلقى بعد تفنيد رأيه بالحجة شيئا من الانكار ، فذلك لأنه نادى على نفسه بقلعة العلم أو مرض القلب ؛ وليس من مصلحة طلاب العلم أن يجلسوا الى من يبادرهم بأراء في أصول الدين يخرج بها عما أجمع عليه أئمة الاسلام جيلا بعد جيل ، فلا يرى التدريس في الأزهر بعدم الحرية في النقد إلا من فاته أن يعرف حال المحققين من علمائه ، أو من أراد من كلمة الحرية معنى غير المعنى الذي يعقله العالمون .

### طلاب العلم :-

يقص علينا التاريخ أن طلاب العلم بالأزهر كانوا في سنة ٨١٨ هـ سبعة مائة وخمسين شخصا ، وكانوا في سنة ١٢٩٣ هـ عشرة آلاف وسبعة مائة وثمانين طالبا ؛ أما عددهم اليوم

فيقدر بنحو ٩٤٦١ : في الأقسام الابتدائية ٥١٠٦ ، وفي الثانوية ٢١٨٢ ، وفي القسم العالى ١٠٣٣ ، وفي القسم الموقت ٤٩٠ ، هذا عدد الطلاب المصريين ، ويضاف اليهم نحو ٦٥٠ من المنتسبين الى أقطار إسلامية مختلفة .

وبهذا العدد الكبير من الطلاب المصريين الذين يردون الأ زهر في أول السنة ويعودون الى بلادهم في آخرها ، بقي احترام الدين وطاعة أوامره في نفوس الأمة المصرية راسخا ، ولولا هذه الروح التى يبعثها الأ زهر في كل ناحية لوجدت دعاية الفسوق عن الدين الخفيف المجال واسعا .

ولا أحرص من طلاب العلم بالأ زهر على فهم مقاصد المؤلفين ، فلا تجدهم يقنعون بفهم مسائل العلم فى نفسها حتى ينقدوا عبارة الكاتب ويعرضوها على قواعد الوضع والنحو ، ليعرفوا وجه دلالتها ، ويميزوا حقيقتها من مجازها ، ويتبينوا ما فيها من حذف أو تقديم أو تأخير ؛ والنجباء منهم لا يقفون عند هذا الحد ، بل يتجاوزونه الى المناقشة فيما يدخل فى موضوع العلم ؛ ومن أجل هذه الطريقة ترى النابغة المكب على العلم فى الأ زهرين أقدر على حل المشكلات وأسرع الى تطبيق كلام المؤلف على مايراد منه .

يكتب بعض من يتلقى عادات الغربيين بتقليد ، ويزين فيما يكتب قبول الفتيات للتعلم بالأ زهر الشريف ، يكتبون ولا يخجلون أن يقولوا فى الاستدلال على هذا الرأى « إن إيجاد البنت مع الولد فى التعليم يساعده على تلمس الكمال والأدب ، ويشير فيه حب النجاح والتفوق » .

والحقيقة أن فى خصال الشرف ما يسمى صيانة وعفافا ، واختلاط الفتیان بالفتيات مما لا يبقى للصيانة والعفاف عينا ولا أثرًا ، ومن نازع فى هذه الحقيقة فأنما ينكر الشمس وهى طامعة فى سماء صاحبة ، وخير لمن يرأى فى الناس فيزعم أن اختلاط الفتیان والفتيات لا يأتى بشر ، أن يرفع صوته بطرح العفاف من حساب الشرف والفضيلة ،

حتى اذا أقنع الناس بأن العفاف شىء لا يقيم له علم الأخلاق وزنا؁ بلغ مأربه ولم نجد دعوته الى الجمع بين الفتیان والفتيات فى معاهد التعليم عقبة .

### الازهر أساس النهضة الشرقية :

اذا كان الازهر قد تجرد للبحث العلمى حينما من الدهر؁ وغفل عن الأمراض التى تصيب المسلمين فى دينهم ومدنيتهم فقد تنبه اليوم من غفلته؁ وادكر ماضيه؁ وأحسن رفمة مكانته؁ ووثق بأن فى مستطاعه مداواة هذه الأمراض؁ والتهوض بالشرق الى ذروة السعادة؁ فهو سائر فى سبيله واضعا يده فى يد كل مجاهد أمين .

فى الازهر علم وأدب؁ وفيه الارشاد الى أصول العزة والمنعة؁ كآأ كيد رابطة الاخاء؁ وتربية الغيرة على الحقوق والمصالح؁ لأنه يدرس فيه القرآن؁ ولم يغادر القرآن كبيرة ولا صغيرة من نواحي السعادة والعظمة إلا دل عليها بأبلغ بيان .

كيف يكون حال من يتفقه فى مثل قوله تعالى : ( كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ظَاهِرًا وَلَا دِمَةً ) أنلا يشب على التخوف من أن يستولى على قومه من يحدد دينهم ولا يحترم شريعتهم؁ ومن مقتضى هذا التخوف البحث عن طرق النجاة من أولئك الذين شأنهم اضطهاد الأمم المستضعفة؁ والبحث عن طرق النجاة يذهب بالفكر مذاهب بعيدة المدى؁ والفكر الذى يسوقه الاخلاص وترافقه الحكمة يبلغ بتأييد الله غايته وإن بعد ما بينه وبينها؁ ووقفت العقبات دونها .

وكيف يكون حال من يتفقه فى قوله تعالى : ( أَيْدَبْعُونَا عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ) أنلا يزدرى كل عزة ينالها من أشياع الباطل؁ واثقا بأن عزة الله فوق كل عزة؁ ومقتضى هذا أن لا يبيعهم عينا يبصرون بها أو أذنا يسمعون بها أو يدا يبطشون بها؁ بل يأبى له أدبه المتين أن يلتقى اليهم السلم وهو يستطيع أن يكف بأسهم؁ أو يخفف فى الأقل من طغيانهم .



وكيف يكون حال من يتفقه في قوله تعالى: (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا). أفلا يشب على خصلة الاقدام والتفاني في مواقف الدفاع عن الحق، حتى اذا لقي نصبا أو مسه أذى تذكر أن خصمه يلاقى مثل ما يلاقيه هو من العناء والألم، واستمر في جهاده عالما أن أولى الفريقين بالصبر والثبات من حسن في الله ظنه، ورجح بالتوكل عليه وزنه.

وكيف يكون حال من يتفقه في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ). أفلا يصب نظراته الصائبة في أحوال أمته باحثا عن علل وهنها وخولها ليعمل على تغيير ما بها من الأحوال التي أدخلت بها الى الاستكانة، وقعدت بها عن مغالبة خصومها راضية بحياة لا أمن فيها ولا كرامة.

والكتاب الكريم والحديث النبوي عامران بأمثال هذه الحكم التي لم تخالط نفوسا زاكية إلا فزعت لأن ترسمها في حياة الأفراد والجماعات خططا، فحق على أولى الشأن أن ينظروا الى النشء الأزهرين نظرا الى رجال خلقوا لأن يجاهدوا في سبيل الإصلاح بما استطاعوا من حكمة وقوة؛ فالأزهر جاهد وسيجاهد في ظهور الحق على الباطل وإعلاء الفضيلة على الرذيلة، وإنما ينهض الشرق نهضته الطاهرة المطمئنة اذا سار تحت إشراف الهداية الدينية، وكان ولادة أموره ممن يرجون لله وقارا.

محمد الخضر مسبين

# النفس

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا ) .

معنى الآية من يتق الله فيما يأتى ويذر يجعل له مخرجا، أى مخلصا من هوم الدنيا وغمومها وشدائد الآخرة وأهوالها، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أى من وجه لا يخطر بباله ولا يكون فى حسابه . ومن يتوكل على الله فهو حسبه، أى كافيّه فى جميع أموره . إن الله بالغ أمره ممضيه ومنفذه فلا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب . قد جعل الله لكل شىء قدرا ، أى تقديرا وتوقيتا أو مقدارا ، وهو بيان لما يوجب التوكل عليه والتفويض إليه ؛ فإن الانسان اذا علم أن كل شىء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقديره تعالى لم يكن منه إلا التسليم للقدر والتوكل عليه عز وجل — هذا هو إجمال التفسير ثم نقول بتوسع :

كل من يتق الله يكون بمنجاة من كل شر ، فإن الله مع المتقين ، ومن كان الله معه فلا خوف عليه فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فقد أصبح من الذين تولاهم الله تعالى بفضله وهو يتولى الصالحين ، بل من أولياء الله الذين قال الله فيهم : ( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) . ثم بينهم بقوله : ( الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ) .

ثم ذكر أنهم مكفولون بعنائه مشمولون برعايته في الدارين ، فقال : ( هُمْ الْبَشَرُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) . ثم أكد ذلك بقوله : ( لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) . وستقول الملائكة لأولئك المتقين : ( الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ) . ( نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) ومن كان في ولاية الملائكة في الدنيا والآخرة كيف يلحقه شر أو يعتره كرب ؛ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في تفسير هذه الآية : ومن يتق الله يجعل له مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة . أخرج أبو يعلى وأبو نعيم والديلمي ، وأخرج الامام أحمد والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، وأبو نعيم في المعرفة ، والبيهقي عن أبي ذر قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية : ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ) .

فجعل يرددها حتى نسيت ، ثم قال يا أبا ذر : لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفهم ؛ والتقوى هي الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وإذا تدبرت أحوال الناس وجدت كل شدة ومحنة وهم وغم إنما جاءهم من تخبط الحدود التي أمرهم الله ألا يعتدوها ، والانحراف عن صراط الله المستقيم الذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعا للهوى وانقيادا للشهوات ؛ وقد قال تعالى : ( وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ) وأمرنا أن نطلب منه في كل صلاة بل في كل ركعة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط من أنعم عليهم ، وعرفنا أن المنحرف عن ذلك الصراط مغضوب عليه إن كان يعرفه ، وهو من الضالين إن كان لا يعرفه ؛ وجدير بمن ينحرف عن الصراط المستقيم أن يلتقي كل خيال ووبال في الدنيا والآخرة ، فليس هناك إلا سبيل الله وسبيل الشيطان ( وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا . يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ) وما أرسلت الأنبياء إلا لتخلصنا من حبائل الشيطان وشباك النفوس الأمارّة بالسوء التي توقعنا في كل شر وتبعدنا عن كل خير ؛ ولو بحثت عن مصائب العالم كلها لوجدتها مسببة عن تورط الأفراد أو الجماعات فيما تصبوا اليه النفوس من الشهوات وزينه الشيطان من الآفات ، وقد بين الله ذلك حيث يقول : ( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ) ويقول : ( أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنَّنِي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ) . ويقول : ( إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ) .

وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : لا ينزل بلاء إلا بذنب ، ولا يرتفع إلا بتوبة ؛ وقال بعض السلف وأظنه سفيان الثوري إني إذا عصيت الله وجدت أثر ذلك في خلق حمارى وزوجتى . « ولعل هذه معاملة خاصة يؤدب الله بها بعض من يعتنى بهم من عباده حتى لا يخافوا غيره ولا يعملوا على شيء سواه » ؛ ثم رجع الى حديثنا فنقول : لا عاصم من نزوات النفوس التي لا تعرف الاعتدال ، وإنما تعرف الافراط أو التفریط ، ولا حافظ من نزغات الشيطان الذى يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير إلا تقوى الله فى السر والعلانية ، فاذا اتقيت الله تعالى حفظك من مسامرة الأهواء ومتابعة الشهوات ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « احفظ الله يحفظك » ؛ وإن نابتك نائبة ، وأملت بك مامة — على ما هوسنة الله فى هذا العالم — جعل لك فرجا ومخرجا والأمر كله بيده ومتى تعرفت له فى الرخاء عرفك فى الشدة ؛ وقد قال بعض العارفين : اذا أردت أن تعرف قدرك عند الله فاعرف قدره عندك ، فعلى قدره عندك يكون قدرك عنده ، وعلى قدر ذكرك له يكون ذكره لك ( فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ) ، وعلى قدر عنايتك بطاعته تكون عنايته برحمتك . هذا ومما وعد الله المتقين جزاء على تقواهم أيضا أنه

يرزقهم من حيث لا يحتسبون ، أى من حيث لا يدبرون ولا يعرفون ؛ وهو القادر الذى يصرف الأمور على ما يريد ، ويسخر الجن والانس والملائكة فيما يشاء ، فيكونون أعواناً أو مسخرين فى خدمتك ؛ ولا بدع فى ذلك ، فالأرض أرضه والسماء سماءه والملك ملكه : ( فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَا كُنتُمْ كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) .

وقد قيل لبعض الصالحين المنقطعين الى الله تعالى إننا لا نراك تشتغل بشيء فمن أين ترزق ؟؟ أمن السماء يأتيك رزقك ؟ فقال إن كانت الأرض ليست له رزقى من السماء ، ومن ذلك ما يحكى أن رجلاً من أهل هذا المقام كان منقطعاً لله فى مسجد من المساجد ولا يعرف له سبب ظاهر ؛ فقال له إمام المسجد يوماً : من أين تأكل ؟ فقال له : انتظر حتى أعيد ما صليت وراءك .

« بيان أن الشريعة جاءت بتعاطي الأسباب الدنيوية »

وليس معنى ذلك كله أننا لا نتعاطى الأسباب الدنيوية ، فان ذلك يخالف القرآن نفسه فى مثل قوله : ( فَاَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ) ؛ وقوله : ( فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة وينافى ما كان عليه صلى الله عليه وسلم فى سنته العمالية ، وما ورد عنه من سنته القولية فى مثل قوله : « إعلمها وتوكل » ، ومن روى الشريعة بأنها شريعة التواكل والتكسل فقد جنى على الشريعة جنابة كبرى ، فان دين الاسلام دين العمل لا دين الكسل ، ودين الرقى والتقدم فى كل شأن من شئون الحياتين الجسمية والروحية لا دين الجود والتأخر ، ويكفيه أنه حرم على ذويه أن يكونوا عالة على غيرهم فى أصغر الأشياء وأحقها ، وأوجب عليهم أن يكونوا بالذروة العليا من العزة القعساء والاستقلال التام ، حتى يكونوا أرفع الأمم على الإطلاق وأعزها على الإطلاق ( وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ) ، ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ) . ( وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَلَكِنَّ النَّافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ). ولو كان الاسلام على ما ظنوا لما ارتقى أهله في الصدر الأول على جميع سكان المعمورة، ولما وضع رجلا بالهند ورجلا بمراكش أو نقول بالأندلس، وتغلغل في أحشاء أوربة حتى وصل الى « بردوا » من أرض فرنسة في أقل من قرن مما عجب له العالم ودهش له التاريخ. ولعلنا نفيض القول في ذلك بعد. ولكن اذا سرت معي على الانصاف، وكانت وجهتك تحقيق الحق، ولم تكن محبوسا في سجن العادات، ولا مقيدا بقيود الظواهر، وكنت ممن يعلم أن العلم لا آخر له، وأن قوانين الله في هذا العالم ليست محصورة فيما تعقل ولا مقصورة على ما تتخيل؛ اذا وافقتني على ذلك وغلب عليك الايمان والايقان، أمكنني أن أقول لك إن شئون الله كبيرة وقوانينه كثيرة، وعلمه لا يحيط به محيط وقدرته لا تصل اليها الأوهام، سبحانه لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك؛ فلتعلم أن لله قوانين جسمانية وقوانين روحانية، وأن القوانين الجسمانية التي بنيت على الأسباب الظاهرة والمسببات المعتادة، هي التي خوطب بها السواد الأعظم، لأنه لا يكاد يعرف غيرها ولا يستطيع أن يقوم بشيء سواها، لكونه يحتاج الى استعداد خاص أو عمل شاق أو شرط مجهول، وعالمنا هذا هو عالم الأسباب والمسببات، وهو مظهر الحكمة الالهية؛ وللقدرة الربانية بعد ذلك شئون أخرى وتصرفات لا تحصرها تلك الحدود المعروفة ولا تحكم عليها تلك النواميس المقررة (أو نقول التي وصلنا اليها) والشرعية جاءت بكلا الأمرين وأشارت الى كل من القانونين الجسماني والروحاني، فجاءت بالأسباب الظاهرة وحشت عليها بل أوجبتها في قانونها العام الذي لا يعلم على استعداد أكثر الناس، وحظرت عليهم ترك تلك الأسباب لأنهم من أهلها ولا يصلحون إلا لها، ولكن حاطتهم بما يدفع سموها ويحفظ من الشرك فيها؛ فقالت لهم كونوا في الأسباب ولا تغفلوا عن مسببها واعلموا أن زمامها بيده، فإن شاء أنجحها، وإن شاء لم ينجحها، وإن شاء أرشدك، وإن شاء أضلك، وإن شاء سهل لك من الأسباب الخفية ما يقرب اليك الغاية، وهيا لك من الوسائل التي

لا تقدر عليها ما يحقق لك البغية ، فليكن شعارك الاستعانة بالله والالتجاء الى الله ، وهجيرك في كل حال لا حول ولا قوة إلا بالله . عرفنا الدين ذلك كله كي نكون متوكلين في الأسباب فتكون قلوبنا معه لا مع الأسباب ؛ وأما من ظن أن التوكل ينافي التسبب فقد غلط غلطا كبيرا ، فإن الله يقول : ( فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ) فجعل التوكل بعد العزم ؛ ويقول عليه السلام : «إعقلها وتوكل» فبحن مأمورون بالتوكل في كل أحوالنا وجميع أعمالنا ، والتوكل عمل الباطن والتسبب عمل الظاهر ، ولا منافاة بين عمل الباطن وعمل الظاهر ، والتوكل لازم من لوازم الايمان ؛ كما قال تعالى : ( وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ ) . فكيف يفارقه في حال من الأحوال . ولنعد صدر الموضوع فنقول :

هذا الفريق جعله الدين في الأسباب الظاهرة وأمره بها بعد أن أدخله في حصن التوحيد وساحه بسلاح المعرفة .

« بيان أن الشريعة جاءت بالقوانين الروحية » .

ولكن من نظر في الشريعة وجدها لم تقتصر على ذلك بل جاءت بقانون آخر من قوانين الله تعالى وأشارت الى ذويه فقالت يقول الله تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي » ويقول تعالى : ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ) . ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي : « لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خالصا وتروح بظانا » ولا داعي للعدول عما يتبادر منه ، ويالحق بهذا قوله تعالى : ( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ) . وقوله : ( وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ) . ومما يتحقق به أيضا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « رب أشعث أغبر لو أقسم على

الله لأبره» ويمت الى ذلك بشيء من المناسبة قوله تعالى في الحديث القدسي «فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» ومن كان الله سمعه وبصره لم يكن رجلاً عادياً ولا الأمور بالنسبة اليه على نحو ما يعرفه الناس ومن هذا الوادي على قرب أو بعد قوله صلى الله عليه وسلم : « إن من أمتي محدثين وإن منهم لعمر» وقد ورد بغير هذا اللفظ .

والخلاصة في هذا المقام أن هناك قوما انقطعوا الى الله تعالى بظواهرهم وباطنهم فلم يبق فيهم متسع لغيره فهؤلاء لهم من الله تعالى عناية خاصة ومعاملة لا يقاس عليها ، فأمرهم غير جار على تلك القوانين العامة بل لهم قانون يختص بهم ولا يتعداهم الى من ليس في درجتهم من اليقين ولا منزلتهم من الثقة بالله . . هؤلاء تنخرق لهم العادات فيأتيهم رزقهم عفواً من غير أن يشغلوا بالأسباب المعروفة أو يكدحوا كدح العامة ، بل يتولى الله ذلك عنهم فيرزقهم من حيث لا يحتسبون ؛ وقد قلنا إن الأمور كلها بيد الله يصرفها كيف شاء ، وخلق كلهم عبيده يسخرهم فيما يشاء ، والسموات والأرض تحت حكمه يفعل فيهما ما يريد ، والله في خلقه قوانين لا يعرفها كثير من الناس ؛ فمن ظن أنه لا يرزق إلا بالأسباب كما هو حال العامة لم يرزق إلا بالأسباب ، وهؤلاء هم الذين أمروا بأن ينتشروا في الأرض ويبتغوا من فضل الله وأن يشوا في منابها ويأكلوا من رزقه ؛ ومن سقطت الأسباب من نظره وغلب عليه الركون الى الله والثقة بالله ، كان من الفريق الثاني الذي يرزقه الله من حيث لا يحتسب لأنه بلغ من اليقين ما تنفعل به الأشياء . ولنقل بتوسع — وما أجدر هذا المقام بالتوسع — إن لله قوانين كثيرة والناس يجهلون بها تمام الجهل ؛ أما المسلمون فقد جهلوا اليوم قوانين الله الدينية والدينية والروحانية والجمانية ؛ وأما الأوربيون فقد جهلوا قوانينه الروحية والدينية وإن كانوا أعلم الخلق بقوانينه الدنيوية ، لأن القوانين الروحية لا تؤخذ إلا



عن الأنبياء والمرسلين في مثل قوله تعالى : ( وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ) وقوله : ( ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) . ولعل قائلًا يقول : نرى كثيرا من الناس يدعون فلا يستجاب لهم ، ونرى من المشاهدات أن الذي لا يأخذ في الأسباب ولا يتعاطاها لا يصل الى المسببات ؛ فهل فيما يقول النبي صلى الله عليه وسلم خلف ؟؟ وهل فيما يقول الله تعالى ريب ؟؟ كلا أمر الله لا ينخرم ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم لا يتخلف ؛ ولكن هذه الأسباب الروحانية غير المعروفة مشروطة بشروط لم نحققها تمام التحقيق ولو حققناها بشروطها لترتبت عليها غاياتها ؛ فضعيف اليقين لا يمكن أن يرزق إلا بالأسباب ولا يصل الى شيء إلا بوسائله المعروفة وربما عمل أسبابا كثيرة فشتتها الله له ففشلت ولم تنجح ؛ فالأروبي مثلا ومن على شاكلته اذا قال إن الذي لا يعمل كذا لا يحصل له كذا ويعد حديث التوكل والتقوى من الخرافات معذور فيما يقول لأن الأسباب الروحانية كما قررنا مشروطة بشروط وهم لا يعرفونها ، وزادهم رسوخا فيما يعتقدون أنهم نظروا في أهل الأسباب فوجدوهم متفاوتين على حسب تفاوتهم في إتيانها والتفنن فيها ، فكل من كان أعظم إتيانا للأسباب وأشده تعلقا بها كان أقرب الى تحصيل نتائجها ، وكل من كان أعظم تفريطا في الأسباب كان بعيدا عن تحصيل الغايات منها « والامداد على قدر الاستعداد » فأولئك هم أرباب الأسباب حقيقة ولو تركوها لما تواروا « أنا عند ظن عبدي بي إن خيرا فخير وأو شرا فشر » ، ثم نظروا من جهة أخرى فوجدوا أهل البطالة من هذا الفريق الذي يجب عليه تعاطي الأسباب ولا عيش له إلا بها ، نظروا اليهم فوجدوهم من أسوأ الناس حالا وأنكداهم عيشا ، ولم يعلموا أن هناك قوما آخرين ليسوا من هؤلاء ولكن لهم شرط صعب المركب ، وهو أنه لا بد أن يبلغوا من اليقين كما قلنا الى درجة يسقط معها في نظرهم كل شيء إلا الله تعالى ، فهؤلاء بمقتضى ذلك اليقين التام يجوز أن تنخرق لهم الأسباب فيسخر الله لهم الخلائق ويسهل لهم الأمور من حيث لا يحتسبون ولا يدبرون ، فإن الأسباب لا تحكم على الله

تعالى، بل هو الحاكم عليها وإنما هي ناموس من نواميسه عز وجل ومظهر من مظاهر قدرته وإبداعه الحكيم وتصرفه الواسع، فאלله تعالى يفعل في الأسباب والنتائج ما يشاء.

فالمسألة بالنسبة للخاصة هي أنه يجوز أن يخرق لهم العادات والنسبة له تعالى هي أنه يفعل ما يشاء؛ وقد قيل لبعضهم إن بعض الأولياء مشى على الماء فقل لو ازداد يقينا لمشى على الهواء، وسر هذا هي مسألة اليقين الصحيح وقوته. وكان بعض الصالحين يقول كانت تختلف أحوالي فثبت مرة إلى الماء فحدثني نفسي أن أسير عليه فقلت في نفسي أيمكنني أن أسير على الماء أم لا؟ فوضعت رجلي فكادت أغرق، والسبب في ذلك واضح لأن الشك داخل نفسه ومتى داخله الشك زال اليقين؛ وإن القارئ الكريم ليعرف من معجزات الأنبياء ما هو أكثر من هذا وأعظم، وهذه القوانين لا يصدقها المادى ولا يقول بها، ويعجب كيف يبنى على هذه الاعتقادات الغايات العجيبة ولا يمكن أن يفهمها، لأنها كما قلنا لا تتلقى إلا عن الأنبياء؛ وهؤلاء الخاصة أرباب هذا المقام لهم حكم خاص لا يخاطب به العامة لأنهم لا يعرفونه أو لا يقدرُونَ عليه وإن كان ثابتاً في نفس الأمر تابعاً لناموس آخر مجهول لدى السواد الأعظم، ولا داعي لأن اتوسع أكثر من هذا.

«تكميل يقتضيه المقام»

ذكر كثير من المفسرين في سبب نزول الآية، أن عوف بن مالك أسر المشركون ابناً، له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال أسر ابني وشكاً إليه الفاقة؛ فقال له: إتق الله واصبر وأكثِر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله». فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن نستكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فقالت «نعم ما أمرنا به»، فجعل يقولان ذلك فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه سرح من الغنم غفل عنه العدو فاستاقه؛ فنزلت هذه الآية.

هذا : ولهم عبارات في تفسير التقوى ، فقال بعضهم : هي ألا يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك ؛ وقال آخري التبري من الحول والقوة . وقال غيره : هي التزهد عن كل ما يشغل السر عن الحق حتى قال قائلهم :

ولو خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى سهواً حكمت بردى  
وهذه المرتبة أو ما يقرب منها هي التي قال فيها القائل :

خل الذنوب كبيرها وصغيرها فهو التقى  
واصنع ككاش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى  
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقد قال صلى الله عليه وسلم . « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذاراً مما به بأس » أخرجه الترمذى ، ولعل هذه المرتبة هي التي تراد من الآية وإلا فالتقوى من الوقاية وهي مراتب باعتبار ما يتق من المضار فهي متفاوتة تفاوت الأضرار التي تتقيها ؛ ولذلك تراهم في بعض المقامات يقسمونها الى درجات ثلاث : التوقى عن الشرك وهي لعامة المؤمنين ، والتوقى عن الكبائر ( ومنها الاصرار على الصغائر ) وهو لصلحاء المؤمنين ، والدرجة الثالثة وهي المرتبة العليا وهي ما سبق الكلام فيها ، وقد أشار اليها حديث الترمذى الذى ذكرناه ، ولعل هذه المرتبة هي التي ينبغى أن تفسر بها الآية الشريفة كما قلنا ، ولنتقف هنا فقد طال بنا الكلام .

أسأل الله أن يجعلنا من أهل البصر فى الدين ، وأن يرزقنا التوكل عليه والالتجاء إليه بمنه وكرمه

يوسف الديوبى

من هيئة كبار العلماء بالأزهر

## نفسير

### قصة سيدنا شعيب عليه السلام

٩

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ( وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ . كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّلْمَدِينِ كَمَا بَعِدْتَ ثَمُودٌ ) .

أرسل الله ذو الفضل العظيم رسوله الحكيم خطيب الأنبياء سيدنا شعيبا عليه السلام ، وجعله على بينة منه ورزقه من لدنه رزقا حسنا ، فجاء قومه مبلغا لما أمره به ربه لا يريد منهم جزاء ولا شكورا ، بل لا يريد إلا إصلاحهم ما استطاع اليه سبيلا ، محتسبا أجره على الله الذي لا يُضيع أجر من أحسن عملا ، مستمدا منه تعالى التوفيق والسداد لما كلفه إياه ، متوكلا عليه في جميع أموره ماقدر عليها وما عجز عنها ، منيبا إليه في كل شؤونه راجعا اليه فيها بالفعل لا بالقول وقت أمته وسلامته ، كما هو شأن عباده المصطفين الأخيار .

جاءم عليه السلام فأنار لهم المحجة وأقام وجوههم لها ، ونصب لهم الدلائل على صحة دعوته ، وبين لهم حسن عاقبتها اذا استقاموا عليها ، وحذرهم سوء مصيرهم إذا هم أعرضوا عنها وتكبروها ؛ كل ذلك مع الجد والمثابرة على الوعظ ، والاخلاص في النصيح وبذل الوسع في التعليم والبيان ، واللين والرفق والتبشير تارة ، والحزم والتهديد والتخويف تارة أخرى .

لكن القوم قد أبوا إلا أن يتبعوا خطوات من قبلهم من الأمم التي عتت عن أمر ربها ورسله، بعد أن علموا أن ربها قد حاسبها حساباً شديداً وعذبها عذاباً نكراً فذاقت وبأل أمرها وكان عاقبة أمرها خُسراً .

لهذا كان من المحتم في سنة الله التي قد خلت في عباده أن تكون عاقبة أهل مدين كعاقبة تلك الأمم السالفة التي كانوا على آثارها مقتدين، و (حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) . وهذا كما قال عز ساطانه: (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا) (الآيات) .

أى لما نزل بأهل مدين عذاباً الذي قضينا به عليهم جزاء لهم على عصيانهم، وقد أنبأهم به رسولنا شعيب عليه السلام وأمرهم بانتظار وقته في قوله لهم: (سَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) . لما وقع ذلك (نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) .

فأما رحمته سبحانه التي بسببها نجى شعيبا عليه السلام، فهي إنعامه عليه بنعمة الايمان الأكمل إيمان الأنبياء والمرسلين، وباصطفائه سبحانه له ليكون في زمرة من خصهم بالنبوة والرسالة هداة للناس مبشرين ومنذرين؛ وأما رحمته تعالى بالذين آمنوا من قومه فهي تفضله عليهم بالتوفيق حتى فقهوا عنه عليه السلام كل ما قاله لا بعضه فلم يقولوا له كما قال قومهم: (يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقْتَ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ) . بل استجابوا له استجابة (الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ . أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ . وَأُولَئِكَ هُمْ أُؤْتُوا<sup>(١)</sup> الْآلِبُ) .

إن تنجية الله عز وجل لسيدنا شعيب والذين آمنوا معه سنة له سبحانه، كتبها على نفسه لرسله والمؤمنين بهم (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ

تَبْدِيلًا) . وقد أخبرنا سبحانه بأن سنته هي نصر الحق وأهله على الباطل، وأشياعه في آيات كثيرة من القرآن المجيد؛ ففيها قوله تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ<sup>(١)</sup>) . وقوله: (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ<sup>(٢)</sup> الْمُؤْمِنِينَ) وقوله: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) وقوله: (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ<sup>(٣)</sup> الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا<sup>(٤)</sup>) جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّ<sup>(٥)</sup> مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) .

إن المتدبر في الآيات التي نحن بصدد تفسيرها كآيات التي تلونها يتضح له غاية الوضوح أن العقاب الذي يصبه الله الحكم العدل على الأمم إنما يكون بعد أن يبلغ الرسل في الوعظ والهداية والانذار والإعذار الغاية، كما أنه كذلك لا يكون إلا بعد أن تصل الأمم في العناد والاستكبار والتمرد وصنوف الفسوق والجحود النهاية .

ألم تر ما قصه الله تعالى في شأن قوم نوح عليه السلام: (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبُعَهُمْ فِي ءِذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا . ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا . فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) الآيات .

هكذا كان شأنه عليه السلام معهم وشأنهم معه، يرجو لهم أن يستمعوا له ويستجيبوا، وتحذره نفسه أنهم عسى أن يهتدوا ويؤمنوا، ثم هم يقابلون رجاءه وحديث نفسه بالاستنكاف والاعراض والتكذيب، وهكذا دَوَّالِيكَ<sup>(٥)</sup>، أَمَلْتُ منه ورجاء،

(١) جمع شاهد كصاحب وأصحاب . أو شهيد كشریف وأشراف . أى يشهدون يوم القيامة أن الرسل قد بلغوا وإن أمهم قد كذبوا . (٢) بخذف الياء تبعاً للنطق في رسم المصحف الامام . (٣) كذا رسم المصحف الامام . أى صاروا في بأس من إيمان أقوامهم . (٤) أى حديثهم أنفسهم بأنها ترجو إيمان أقوامهم لكنه لم يتحقق بعد . وسيأتى بسط الكلام في ذلك . (٥) أى تداولوا وتكراراً واستمراراً .

وكفر منهم وإياءه ، حتى يؤس من إيمانهم وانقطع حبل الرجاء من اهتدائهم ؛ فكان من المصلحة العاجلة العامة للحق وأهله أن يدعو الله ليظهر الأرض من رجسهم وطغيانهم وانتشار الفساد وتأصله فيها ببقائهم . وهذا هو ما قصه الله تعالى عن نوح عليه السلام في قوله : ( فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ <sup>(١)</sup> . فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرَ <sup>(٢)</sup> ) وقوله : ( وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا <sup>(٣)</sup> . إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ) .

قد علمت مما بسطناه لك في قصص سيدنا شعيب ، وكذا مما ذكرناه لك الآن في قصص سيدنا نوح ، أنهما معا عليهما السلام كانا يرعوان لقومهما الخير والهداية ؛ ولكنهما ليس في قدرتهما أن يهديا مَنْ أَحَبَّ ، فان ذلك إنما هو الى الله القدير الذي يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم . أما الرسل عليهم الصلاة والسلام فانه ما من رسول منهم إلا وقد كانت تحدته نفسه الطيبة الزكية لعظم شغفها بهداية العباد أن قومه عسى أن يستمعوا له ويؤمنوا به ويدعوا له الصادقة المؤيدة بالدلائل والبيّنات ، ولهذا صبروا وصابروا وثابروا على مواصلة التبليغ والتعليم والنصح والوعظ ، حتى إذا صاروا في يأس من قبول دعوتهم وإيمان قومهم وأدركوا أن ما كانت تحذّرهم به أنفسهم من الرجاء والأمل في اهتداء أقوامهم لم يتحقق ، جاءهم نصر الله الذي كتبه لهم ووعدهم إياه فنجاهم والمؤمنين بهم ، و ( حَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ) .

كان من تلك الرسل وهؤلاء الأئمّة سيدنا شعيب عليه السلام وأئمته ، بلغهم رسالات ربّه ونصح لهم ولكنهم كانوا عنها عمين <sup>(٤)</sup> ، خفت عليهم كلمة ربهم ؛ كما قال

(١) زجره قومه واتهموه ليكف عن تبليغهم . (٢) فانتقم لي يا الله . (٣) أحداً من قومي الكافرين . (٤) جمع عم أى أعمى عن الهدى .

سبحانه : ( وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جُثُمِينَ . كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا . أَلَا بُعْدًا لِّلْمَدِينِ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ) .

ثم إن الأخذ هو تناول الشيء وحيازته ، وهو يحصل بكيفيات مختلفة ؛ فمنها أن يكون على وجه القوة والتغلب والقهر ، ولهذا حسن جداً ذكر النوم بعد السَّنة في تنزيه الله سبحانه عن صفات المخلوقين في قوله : ( لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ) على معنى أنه لا تتغلب عليه سبحانه الغفوة التي هي مبدأ النوم ، بل ولا النوم الذي هو الموت الأصغر .

هذا المعنى الذي ذكرناه للأخذ هو المراد في الآية هنا ؛ فعلى هذا يكون أخذ الصيحة لهم عبارة عن أنها تناولتهم تناولاً أليماً وقسرتهم قسراً لم تقم لهم بعده قائمة ، كما قال عز وجل : ( فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جُثُمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ) .

عبر الله سبحانه عن أهل مدين بقوله : ( وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ) ولم يقل : ( وأخذتهم الصيحة ) مع أن سياق القصة صالح له ، ولكن بلاغة القرآن العظيم قد اقتضت التعبير عنهم بهذا اللقب الشنيع لحكمتين جليلتين : الأولى وصفهم بهذا الوصف الذميمة وصف الظلم وأنهم قوم سجلوا على أنفسهم الخلق والسَّفه بوضعهم الشيء في غير موضعه ، فأحلوا الباطل محل الحق ، والضلال محل الهدى ، والغى محل الرشd ؛ ولا ريب أن هذا أقبح ما يكسبه الإنسان على نفسه بسوء اختياره وفش تصرفه . والثانية بيان أن ما حاق بهم من التعذيب والتدمير حتى صاروا أحداث لمن بعدهم ، إنما هو أثر لازم لما ظلموا به أنفسهم من الفجور والفساد في الأرض وفنون الكفر والمعاصي ، وبهذا استحقوا أن يكونوا في زمرة من قال الله جل ثناؤد فيهم : ( وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ . وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ) .



ثم اعلم أن أهل مدين وأصحاب<sup>(١)</sup> الأيكة هما معا أمة<sup>(٢)</sup> واحدة هي أمة شعيب عليه السلام، أضافها الله تعالى مرة الى قبيلتها مدين لأنها من ذريتها، ومرة الى الأيكة لأنهم كانوا يعبدونها<sup>(٣)</sup> أو يقطنون<sup>(٤)</sup> في مكانها؛ فاذا أضافها الى مدين كان من المستحسن أن يوصف شعيب عليه السلام بأنه أخوهم لأنه كما سبق من قبيلة مدين، أما اذا أضافها الى الأيكة فانه لا يحسن أن يوصف عليه السلام بأنه أخوهم؛ ووجه<sup>(٥)</sup> ذلك أن الأيكة إن كانت معبودا لهم فانه يتنزه سيدنا شعيب عليه السلام أن يوصف بأخوة هؤلاء الجيلة الوثنيين الذين يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنهم شيئا؛ وإن كانت<sup>(٦)</sup> مكانا في بادية بلادهم فكذلك لا يجوز وصفه بأخوته لهم، لأنه من المعلوم أن الله جل ذكره إنما يصطفى رساله الكرام من عليّة<sup>(٧)</sup> القوم ومن أزكاهم نسبا وأطهرهم حسبا وأعلام منزلة وأجلهم قدراً ومكانة وأحسنهم خلقاً وأكملهم فضلاً. ولا مرأ أن هذه الفضائل لن تكون لأهل البوادي الرحل أهل المدر والوبر والجفاء والغلظة، بل هم كما قال الله تعالى فيهم: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ<sup>(٨)</sup>).<sup>(٩)</sup>

اذا تمهد لك أنهما أمة واحدة فاعلم أن العقاب الذي استحقه أهل مدين بسوء أعمالهم قد سماه الله تعالى بثلاثة أسماء: الأول الصيحة كما في الآيات التي نفسرها، والصيحة هي الصرخة بأقصى طاقة الصارخ، فهي الصوت الشديد المنكر تهلع منه القلوب وتفرع له النفوس. والثاني الرجة كما في سورة الأعراف والعنكبوت، والرجفة هي شدة اضطراب الشيء وزلزلته وعنف حركته ذهاباً ومجيئاً. والثالث الظلة

(١) واحدة الأيكة وهو الشجر الملتف بمضه على بعض. ويطلق أيضاً على المكان الذي ينبت فيه ذلك الشجر من أرض البادية. وكان يسكنه بعض أهل مدين. (٢) قاله الحافظ ابن كثير في تاريخه والامام ابن جرير في تفسيره. (٣) قاله الحافظ ابن كثير في تاريخه. (٤) قاله غيره. (٥) مأخوذ من كلام الحافظ ابن كثير في التاريخ. (٦) لم أر هذا التوجيه لغري ولعله صواب إن شاء الله تعالى. (٧) وجوههم وأشرفهم. (٨) بهذا تعلم ضعف قول من قال أن أهل مدين وأصحاب الأيكة أمتان مستدلاً بذكر الأخوة مع الأولى دون الثانية.

كما في سورة الشعراء ، والظلة السحاب ، وأكثر ما تستعمل في السحاب الذي يُسَكَّرُ ولا يُحَمَّدُ عاقبته .

ثم إن لكل اسم من هذه الأسماء الثلاثة حكمةً بلاغيةً فائقةً اقتضت التعبير به عن العقاب الذي نزل بأهل مدين ، فأما حكمة التعبير بالصيحة فهي أن الله عز وجل قص علينا في سورة هود هذه أنهم قالوا لنبي الله شعيب عليه السلام على سبيل التهمك والاستهزاء والتقص : ( أَصْلَوْنَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ ) .

فناسب أن يذكر الصيحة التي هي كالزجر عن تعاطي هذا الكلام القبيح الذي واجهوا به هذا الرسول الكريم الفصيح ، فجاءتهم صيحة أسكتتهم مع رجة اسكنتهم . وأما حكمة التسمية بالرجفة فهي أنهم أرجفوا بنبي الله وأصحابه وتوعدوهم بالأخراج من قريتهم أو ليعودن في ملتهم راجعين ، فقال تعالى : ( فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ) . فقابل الارجاف بالرجفة والاختافة بالخيفة ، وهذا مناسب لهذا السياق ، ومتعلق بما تقدمه من السباق .

وأما حكمة التسمية بالظلة فهي أن الله عز شأنه قد أجابهم إلى ما طلبوا وأسعفهم بما فيه رغبوا ، فانهم قالوا لرسولهم الأرجح عقلا والأصدق قولاً : ( إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ . وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا <sup>(١)</sup> مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ) . فقال الله تعالى وهو السميع لما قالوا العليم بما فعلوا واقترحوا : ( فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ . إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) .

ثم إنه سبحانه أخبرنا بما آل إليه أمر القوم بعد أن أخذتهم الصيحة فقال :

(١) جمع كسفة . ومهادهم بها قطعة من السحاب تمطرهم العذاب استهزاء وتهكمًا برسولهم الخليل .

( فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنَمِينَ ) الإصباح هو الوجود والصيرورة في وقت الصباح ، كما أن الإمساء والإظهار والإشراق كذلك في أوقات المساء والظهر والشروق . والدار لها معان ، فتطلق على المنزل المشتمل على حُجَرٍ مبنية ، وتطلق على البلد المشتمل على المنازل ، وتطلق على الجهة والناحية والمقر من الأرض . والجثوم هو التصاق الطائر مثلاً بالأرض وملازمته مكانه لا يبرحه ولا يفارقه .

والمعنى أن الله المنتقم العدل أرسل عليهم الصيحة فسلبتهم قواهم وخطفت أرواحهم وصعقتهم غرّاً وحصيداً خامدين ، وصاروا في ديارهم وقت الصباح لاصقين بها لا ينفكون عنها ولا يبرحون ( فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَصِرِينَ ) . ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) .

كان وقت الصباح هو الوقت الذي أخذت فيه الصيحة أهل مدين ، وهو أحد الأوقات التي إذا أراد الله بقوم سوءاً أنزله عليهم فيها ؛ فنها وقت الصباح كما عرفت وهو وقت الشروق أيضاً ، ومنه قوله تعالى في شأن لوط عليه السلام : ( إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ) ( وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ <sup>(١)</sup> ) ( فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ) . وفي شأن أهل الحجر <sup>(٢)</sup> ( فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ) . ومن تلك الأوقات أيضاً وقت الليل ووقت القيلولة ( وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ <sup>(٣)</sup> ) . ومنها وقت الضحى ( أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ . أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ) . ومنها وقت اشتغالهم بأمور دنياهم وانهماكهم في لذائذهم وشهواتهم وهم آمنون ، وعما سيحقيق بهم غافلون ( أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ . أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ <sup>(٤)</sup> ) فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ . أَوْ

(١) دائم متصل بعذاب الآخرة . (٢) هم ثمود قوم صالح عليه السلام . (٣) نائمون وقت القيلولة أي وقت الاستراحة بالظهيرة . (٤) أسفارهم وترددهم في مزاولة أعمالهم .

يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ<sup>(١)</sup> فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) .

إن الحكمة الالهية البالغة في معاقبة الأمم الفاسقة في هذه الأوقات واضحة لا تخفى على أولى الألباب فإن هذه الأوقات منها ما هو أوقات سكون واطمئنان وراحة وتمتع باللذائذ الفاتنة الفانية كوقت البيات والقبولة ، ومنها ما هو وقت التسابق والتزاحم والتنافس في اقتناء حطام الحياة الدنيا والتكاثر في أموالها وأولادها والتفاخر بين الناس أيهم أكثر مالا وأعز نفرا .

ومن البدهة أن مداهة المصائب للقوم وهم في غمرة ساهون ، وأن أخذ العذاب لهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيامهم وعن شمائلهم ومن فوقهم ومن تحتمهم وهم في خوضهم يلعبون متقلبين في أوقات الربح والكسب والفرح والمرح والرفاهية والتنعم والطأينة والأمن كل ذلك أبشع وأشنع ، وآلم وأوجع ، وأدهى وأمر . ( ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَافِرُونَ) .

قدمنا لك أن لفظ ( الدار ) له عدة معان ، فكن على ذكر منها ؛ ثم نقول : قد جرت سنة الله تبارك اسمه في القرآن الكريم أنه إذا عبر في عقاب الأمم بالصيحة جمع لفظ الدار فقال : ( وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثْمِينَ) . وإذا عبر بالرجفة أفردھا فقال : ( فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ) . وهذا أسلوب من أساليب البلاغة العليا التي استأثر بها القرآن العظيم ، سبق بها كل سابق ، ولن يلحق أثره فيها لاحق ، ولا غرور فللقرآن المجيد المثل الأعلى : ( تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .

(١) خوف أن ينزل بهم عذاب مماثل للعذاب الذي نزل بالأمم من قبلهم أي أنهم خائفون من ذلك ولكنهم لا يراعون عن عصيانهم .

أما السر في الجمع اذا عبر بالصيحة فهو أن الصيحة نزلت بالقوم أنفسهم فجدّات أجسامهم على الأرض تجديلا ، وجرّعتهم في مواضعهم فلزموها لا أنفاس لهم ولا حرّاك ، فكانوا هم فريسة الصيحة وموطن إهلاكها ومهبط تدميرها ؛ أما ديارهم التي هي منازلهم وبيوتهم التي يسكنونها فانها لا تزال قائمة شاخصة على حالها وعددها وصفاتها قبل الصيحة ، لكن الصيحة لم تكن هي كلّ العذاب الذي حكم الله تعالى به عليهم بل هي بعض منه ، وبعضه الآخر هو الرجفة التي تدك الأرض دكا ، وتنشق منها الأرض وتختر الجبال هدا ، فهي التي تجعل الديار ( بمعنى المنازل ) أثرا بعد عين ، بل تمحّوها محمّقا وتصيرها قاعا صفصفا ، فلا يبقى بعد تدمير المنازل إلا الأرض التي كانت تقوم عليها وهي موضع واحد هو محلّة القوم ومقرّ بيوتهم .

جملّة القول أن الصيحة اذا عبر بها لوحظ أن تأثيرها في القوم أنفسهم لا في ديارهم أى منازلهم فلذلك جمعت لأنها باقية على حالها ؛ أما الرجفة فان الديار ( بمعنى المنازل ) لا تكون باقية معها ، وإنما الباقي هو الدار ( بمعنى الأرض والمقر الذي فيه أبنية القوم ) . وهو شيء واحد لا تعدد فيه كالبيوت ؛ فلهذا أفرد لفظ الدار ولم يجمع .<sup>(١)</sup>

ثم إن الله عز وجل بين بعد ذلك شدة وقع هذا العذاب بأهل مدين وعظم محقه لهم فقال : ( كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ) أى أن من رأى أرض مدين بعد أن أخذتهم الصيحة يظن أنهم لم يكونوا مقيدين بها عاشين مترددين فيها مزاولين أعمالهم ممارسين شؤونهم متمتعين مترفين بما كانوا فيه من الخير والنعمة .

ثم ختم الله سبحانه قصصهم بالدعاء عليهم فقال : ( أَلَا بُعْدًا لِّلَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَ ) . صدّر الدعاء عليهم بكلمة ( أَلَا ) تنبيها واسترعا ، للإجماع ليعلم الناس خطرا ما سيلقى عليهم من الكلام وجلال قدره ، والبعد هنا كالبعد هو الهلاك والدمار ، دعا عليهم

(١) لم أر هذا التوجيه لأحد . فلمله يكون صوابا بتوفيق الله تعالى .

بالهلاك مع كونه جلت حكمته قد أهلكهم أئى إهلاك ودمرهم أئى تدمير ، تسجيلا عليهم وتأكيذا بأنهم مستحقون لما حل بهم من هذا الهلاك مستوجبون لما حاق بهم من ذلك العقاب والنفاء ، فبعد ألهم وسحقا غير محزون ولا مأسوف عليهم ؛ كما حكى الله تعالى ذلك عن رسولهم بعد هلاكهم فى قوله سبحانه : ( فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَى<sup>(١)</sup> عَلَى قَوْمٍ كَفِرِينَ ) . ثم إنه عز شأنه شبه هلاكهم المدعو به عليهم بهلاك ثود ، لأنه<sup>(٢)</sup> سبحانه لم يعذب أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح عليهما السلام .

عذب كلا منهما بالصيحة والرجفة ، فذكر الصيحة فى سورة هود عليه السلام . وذكر الرجفة فى سورة الأعراف .

وخلاصة القصة أن الله جلّت نعمته وعظمت نعمته تفضل فأرسل الى أهل مدين رسولا منهم مؤيدا بالآيات البينات فبلغهم ما أمربه ، وبشرهم وأنذرهم ورغبهم ورهبهم فاستكبروا وكذبوا وتوعدوا وتهددوا ، فحاق بهم سيئات ما عملوا ، ونجى الله تعالى رسوله والذين آمنوا معه .

ولك هى سنة الله العزيز الحكيم التى كتبها على نفسه إذ يقول : ( وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا<sup>(٣)</sup> لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ . فَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ . وَأَبْصَرُهُمْ<sup>(٤)</sup> فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ . أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَمْجِلُونَ . فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ . وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ . وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ . سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) .

(١) أحزن . (٢) قاله ابن عباس رضى الله عنهما . (٣) هى قوله تعالى هذا إنهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون . وقوله : ( كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ) . (٤) وجه أبصارهم وحولها ماسيق هم من العذاب فانه قريب .

قد كل ما وفقنا الله تعالى له من تفسير قصص سيدنا شعيب عليه السلام مع قومه ، فاتخذُ اللهُ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا أَنَّمْتَدِرَ لُوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين ، وعلى آله وصحابه والتابعين .

حسن منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا

## الظرف والمِلح

[ كل ما ينشر تحت هذا العنوان فهو في مختارات فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور ]

وصى بعض العلماء فقال :

لا يملِكُ ماترى من إقبال النعمة على الجاهل على الرغبة في الجهل ، ولا ادبَارُها عن العالم على الرغبة عن العلم ؛ فان إقبالها على الجاهل اتفاق ، وإقبالها على العالم استحقاق <sup>(١)</sup> وليس مستحقُّ النعمة ومستوجبُها كمالها بدون استحقاق .

\*  
\* \*

من وصية لبعض الحكماء . قال :

أطلب في الحياة العلم والمال تمز الرياسة على الناس ، لأنهم بين خاص وعام ؛ فالخاصة تفضلك بالعلم ، والعامة تفضلك بالمال ، والتمس الرفعة بالتواضع والشرف بالدين .

(١) حق ثابت له لأنه أهل وجدير به وان حرم منه لما قد يزول .

# السُّنَّةُ

٤

## سُنَّةُ النَّبِيِّ الْإِسْلَامِ

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ : يَا غُلَامُ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُرِيتِ الصُّحُفُ .

الشرح :

قدمنا لك أن هذا الحديث الشريف قد اشتمل على سبع وصايا وصَّى بها النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضى الله عنهما ، وقد مضى لنا القول فى شرح أربع منها ؛ وإجمالاً ما تضمنته أن الله جل وعلا قد حدَّ لعباده حدوداً إذا حفظوها حفظتهم وهو خير حفظ ، وحرصهم بعين رعايته وعنايته ، وأنهم إذا سألوا شيئاً وجب عليهم أن يخصوه سبحانه وحده بالسؤال فى أقوالهم وأعمالهم ، وأنهم إذا استمعانوا وجَّهوا وجوههم له سبحانه وحده .

ثم إنه صلوات الله وسلامه عليه ، قَفَّى على هذه الوصايا الأربع بوصيتين أخريين : هاتمة طيبة وعاقبة حميدة لها ، يزيد ابن عباس رضى الله عنهما ومن اقتفى أثره إيماناً على



إيمانه بها وترغبه أيمناً ترغيب في الحرص على العمل بها، وتملاً نفسه المطلقة حسن اعتماد وتوكل، ووثوق بوعد الله الذي لا يخاف وعده. هاتان الوصيتان هما أن مصدر النفع والضرر في الحقيقة إنما هو الله عز وجل، وهما اللتان تضمنهما الاسمان الجليلان (الضار النافع) من أسمائه تعالى الحسنى.

لا جدال في أن ابن عباس رضى الله عنهما قد علم السبب فيما تضمنته الوصيتان المذكورتان، وفقه تمام الفقه منشأ كون النفع والضرر إنما هو بيد الله وحده؛ وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام قد علمه في الوصايا الأربع الأولى أن حفظ الله تعالى وكلاءه له، وأن قربه سبحانه منه كأنه تجاهه، وأن استجابته له إذا سأل به بقوله أو عمله، وأن إعانته وإسعافه له إذا استعانه؛ كل ذلك معاملة حسنة نافعة مختصة بالله تعالى لا يقدر عليها سواه، فيعامل بها ابن عباس إذا عمل بما علمه الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ثم إنه بضدها تميز الأشياء، فيكون الضرر بدلاً من النفع، والشر عوضاً عن الخير، إن فرط في هذه الوصايا مفرط، أو أعرض عنها معرض؛ فكما أن عاقبة النفع الطبية مختصة بالله تعالى لأنها ثمرة طاعة أمره، كذلك عاقبة الضرر المكروهة مختصة به لأنها نتيجة عصيان أو أمره والوقوع في منهيته.

وبعد فانا نقول لك الآن كما قلنا من قبل: لو حفظ المسلمون حدود ما أنزل الله على رسوله حرصوا عليها جهدهم واستقاموا على صراطها المستقيم، ولو سألوه حق السؤال كما شرع لهم فأقاموا وجوههم إليه بالسنتهم مترجمة عن نفوس ضارعة وقلوب حاضرة خاشعة، وبأعمالهم المؤسسة على أسس ثابتة وقواعد صحيحة، ولو استعانوا جل وعلا كما يجب أن يستعان، فتوسلوا فيما يجب إليهم النفع ويدفع عنهم الضرر بالوسائل الصحيحة المشروعة، معتمدين مع ذلك في كل شأنهم على إعانته لهم؛ لو فعل المسلمون كل ذلك لحفظهم الله تعالى مما يضرهم، ولقربت منهم رحمته ومعونته، ولاستجاب لهم

ما سألوه، ولأعائهم فيما استعانوه؛ أما إذا فعلوا ضد ذلك فإن العاقبة تكون ضد العاقبة،  
والمال يكون عكس المال (جَزَاءٌ وَفَاقًا). (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ).

فمن هذا يتبين لك أن وصول المنافع الى العبد إنما سببه الوسائل التي قضى الله  
أن العبد إذا قام بها فاز بالنفع، وأن حصول المضار له إنما منشأه تفريطه فيها وسلوكه  
سبيلا غير سبيلها؛ وعلى ذلك يكون مَصْدَرُ كُلِّ نَفْعٍ وَضَرٌ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي  
لَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا، فهو جل وعلا الذي كتب لعباده النفع والضرر والخير والشر  
والسعادة والشقاء.

كذلك يتبين لك أن الأمة لو اجتمعت على أن تنفع فلانا أو تضره، فاتها لن  
تستطيع أن تنفعه أو تضره إلا بشيء قد كتبه الله العليم الحكيم في علمه أزلا؛ أما تلك  
الأمة التي اجتمعت على أن تنفع أو تضر، فاتها هي مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ أَقْضِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى  
وَأَحْكَامِهِ الْأَزَلِيَّةِ، ووسيلة من الوسائل التي أَجْزَى عَلَى طَبَقِهَا شُرُوءُهُ فِي خَلْقِهِ  
وتصرفاته فيهم: (فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

بعد ذاك ختم صلى الله عليه وسلم وصاياه الجليلة لابن عباس رضى الله عنهما بهذه  
الوصية السابعة، وهي قوله: (جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيََتِ الصُّحُفُ). لما عبر صلوات  
الله وسلامه عليه في الوصيتين السابقتين بالكتابة، قضت البلاغة النبوية التي أُعْطِيَ  
صاحبها صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، أن يعبر في هذه الوصية بالأقلام وجفافها  
والصحف وطيتها، وهذا كناية عن أن أقضية الله تعالى الأزلية وأحكامه التي حكم بها  
في علمه القديم، أقضية مسجلة وأحكام ثابتة لا يعترها تغيير ولا يمسها تحويل؛ كما قال  
سبحانه: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

ثم نقول: إن من جملة كلمات الله تعالى التي تمت صدقا وعدلا ولا تبدل لها، ما جاء  
في قوله عز وجل: (يَمْحُوا<sup>(١)</sup> اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ). فاعلم أولا

أن محو الشيء هو إذهابه وإزالته ، وأن الله تعالى لا يشاء الشيء إلا لحكمة بالغة ينجى  
ذلك الشيء على مقتضاها ، ثم إن تلك الحكمة قد تظهر للعبد وقد تخفى عليه ، فهو سبحانه  
منزه كل التنزية أن يفعل شيئاً ما عبثاً كما قال : ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا  
وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ )  
وأن الكتاب هو القضاء الالهي المخصوص ، والحكم المعين الذي حكم الله الحكيم به  
أزلاً ، وأن أم ذلك الكتاب أى أصله هي علمه القديم المحيط الذى لا يتبدل ولا يتغير  
وعلى طبقه كانت كلمات الله ، أى كتبه التى كتبها على خلقه وأحكامه التى حكم بها عليهم .  
هذا العلم المذكور قد استحال شرعاً وعقلاً أن يَحْقَقَهُ تبديل ما بوجه من  
الوجوه . أما استحالة تبديله شرعاً فبصريح مثل قوله سبحانه : ( أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
مُحِيطٌ ) . وقوله : ( وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ) . فلو تبدل علمه تعالى لكان سبب ذلك  
التبديل ظهور أمر جديد كان خافياً عليه سبحانه من قبل ، مع أنه يقول : ( إِنَّهُ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) . ويقول : ( وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) . والمثل  
الأعلى ألا يعزب عن علمه سبحانه شئ من أمور الدنيا والآخرة ؛ وأما استحالته عقلاً فان  
تبديله نقض له ، وهو مستلزم للجهل وعدم الاحاطة بكل الأشياء وجميع الوجود والصفات  
والأحوال التى تَحَقُّقُ الممكنات والمحدثات ؛ وقد أطبقت العقول السليمة على وجوب  
تنزيه الله الملك الحق وتقديسه ، وعلى أنه له خاصة المثل الأعلى ، وعلى أنه قد أحاط  
بكل شئ علماً .

إذا كان الشرع والعقل كلاهما قد أجمعا على استحالة تبديل علم الله جل ذكره ،  
فقد وجب إجماعهما بالضرورة على استحالة تبديل كلماته ، وأقضيته التى قضاهما أزلاً على  
طبق علمه الأزلى المحيط الذى لا تبدل له .

ثم إننا بعد هذا تُقَنَّى على ما قررناه لك بكلمة تستبين بها معنى قول النبي صلى الله  
عليه وسلم : ( جَبَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ ) . ومعنى قول الله جل ثناؤه :

(يَحْوِ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) . فنقول : قد علمت مما سبق أن الله عز وجل قد علم كل الأشياء أزلا لم يعزب عن علمه شيء مما منها ، وعلى مقتضى هذا العلم المحيط الثابت كتب كلماته الأزلية وحكم أحكامه القديمة ، فلا تبديل في علمه ولا تحويل في كلماته .

هاك أمثلة تجلى لك هذا . مثال أول : علم الله تَقَدَّسَ اسمه أزلا أن فلانا سيسوء اختياره في وقت كذا بعد أن يخلق ، فيعصى ويضل ، فإن علم أنه سيبقى على هذا العصيان طول حياته حقت عليه كلمة الله ، وكتبه عنده شقيا دائما لا تبديل لذلك ولا محو ؛ وإن علم أنه سيحسن اختياره بعد أن ساء ، كتبته عنده أزلا شقيا مدة إساءته ، وسعيدا مدة إحسانه .

فهذا الكتاب أى تلك الكلمة القديمة بطرفها وهى ذاك الحكم الأزلى بشقيه لا تبديل ولا محو يلحقه ؛ ثم اذا خلق فلان هذا وجاء الوقت المعين الذى يسوء فيه اختياره فعصى ربه ، كان شقيا شقاء مؤقتا سبقت به كلمة الله أزلا وفقا للعلم الأزلى ؛ ثم اذا انقضى زمن إساءة الاختيار وأتى زمن حسنه ، مح الله بكرمه عنه ذاك الشقاء المؤقت الذى كان قد كتبه أزلا ، وبذلك منه السعادة التى كان قد كتبها أيضا أزلا طبقا لعلمه الأزلى ؛ أى أن الله تعالى قد شاء محو الشقاء الذى كان قد كتبه أزلا كتابة مؤقتة بمدة سوء الاختيار ، وأثبت بدلا منه السعادة التى كتبها له أزلا متى حسن اختياره واستقام .

فقد ظهر لك من هذا أن كلمة الله وكتابه وقضائه وحكمه ، كنيات عبّر الله تعالى بها عن شؤونه وتصرفاته أزلا فى خلقه ، وكلها قد شاء الله ثباتها ولم يشأ محوها ، لأنها مبنية على العلم الإلهى الذى لا يقبل شيئا من التغيير والمحو ؛ أما ما شاء الله محوها وقتا ما وإثبات غير ها وقتا آخر ، فهى الأحوال والشؤون التى هى صفات هذا الكون وما فيه

بعد وجوده ، فيمحو منها ما يشاء محوّه ويثبت عوضاً عنه ما يشاء إثباته ؛ وكلّ ذلك مظهرٌ حادثةٌ وصورةٌ طارئةٌ جديدةٌ نعلم بها ما سبق أزالاً من كلماته وأحكامه الأزلية الثابتة ، وجميعها على وفق كلمته الأزلية وعلى حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية العليا ؛ فإن كلمات الله العلي الحكيم كلها لأصلاح الكون والعباد في الحياتين الأولى والثانية ؛ ومن الواضح أن ذلك الإصلاح يختلف باختلاف الأحوال المتغيرة بتغير الأوقات ، كما يختلف علاج المرضى حسب اختلاف أحوالهم اختلافاً تابعاً لاختلاف أوقات مرضهم .

مثال ثان : علم الله تعالى أزالاً أن فلاناً اذا وجد في الدنيا في وقت معين ، رضي لنفسه أن يبقى جاهلاً بالعلم الفلاني مدة عمره ، أو مدةً محدودةً ؛ ففي الحالة الأولى يكتب الله سبحانه عنده أزالاً أن ذلك العبد يبقّ جاهلاً أبداً ، وفي الحالة الثانية يكتبه عنده جاهلاً مدة رضاه لنفسه بالجهل ، وعالمًا متى كره لها الجهل وأحبّ العلم وتعلّم ، ثم بعد وجوده في الدنيا وتعلّمه يشاء الله تعالى محو الجهل عنه ويشاء إثبات العلم له ، لأنّه سبحانه حكيم وحكمته تقضى بالصالح والمنافع وترتيب الآثار على مؤثراتها والمسببات على أسبابها التي أعدها لها وذراها في الخلق والأكوان .

مثال ثالث : علم الله تعالى أزالاً أن عبداً من عباده سيقرّط تبعاً لاختياره السيئ بعد وجوده في الدنيا دائماً أو في وقت مخصوص ، فيهمل في الأخذ بالأسباب التي سنّها الله تعالى لأصلاح هذه الحياة ؛ فهو سبحانه يكتب عنده أزالاً بناء على هذا العلم القديم الثابت أن هذا العبد محروم دائماً بعد وجوده في الحالة الأولى أو وقتاً معيناً في الحالة الثانية من كل المنافع التي هي نتائج الأسباب التي أهملها ؛ ثم اذا وجد في الدنيا وأخذ بالأسباب كما أمرّحاً الله بفضلّه عنه حرمانه وأثبت له الخير والمنافع بمشيئته لذلك كما تقتضيه حكمته البالغة .

على ما ذكرناه في هذه الأمثلة يقاس جميع ما في هذا العالم من المخلوقات موادّها وأجرامها وأعراضها وأحوالها ، مثل معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، كمعجزة

الناقة لسيدنا صالح ، ومعجزة العصا لسيدنا موسى ، ومعجزة إبراء الأكمة مثلاً لسيدنا عيسى ، ومعجزة القرآن الكريم مثلاً لنبينا عليهم صلوات الله وسلامه ، وكلهدي والضلال ، والحق والباطل ، والرفعة والضعفة ، والصحة والمرض ، والغنى والفقر ، الى غير ذلك مما لا يُحصى .

قدمنا لك أن جميع ما يصدر عن العباد من الأقوال والأفعال خيرها وشرها ، إنما هي مظاهرٌ ومُصورٌ لما كتبه الله تعالى عليهم أزلاً بناء على علمه المحيط الثابت بأنهم سيكسبونها لأنفسهم أو عليها حسب اتخاذهم سبيل الغنى والضلال ؛ وذلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ يَعْملُ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَوْ لِمَا يُسرُّ لَهُ » .<sup>(١)</sup> وكما قال عز وجل : ( إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى . فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ' وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ' فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ' وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ' فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى . وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى . إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى . وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ) .

قد عرفت مما أسلفناه لك أن الله عز وجل قد يكتب على العبد الشقاء دائماً إذا علم أزلاً أن ذلك العبد سيرضى الشقاء لنفسه دائماً بسوء اختياره وفساد رأيه ، وأنه قد يكتبه عليه الى أمد معلوم إذا علم أزلاً أنه سيختاره ثم يُقْلِعُ عنه ويتبدل به الرشد والهدى ؛ كما علمت أيضاً أن أم الكتاب هي علم الله القديم الذي لا يتبدل ولا يتغير . فاعلم الآن أَنَّ مَنْ دعا الله تعالى أَنْ يَمْحُوَ عنه الشقاء أو الطرد أو الحرمان أو ضيق الرزق الذي كتبه عليه في أم الكتاب كما يذكرون ذلك فيما يسمونه دعاء ليلة النصف من شعبان ، فَإِنْ كَانَ قصدُ الداعي أَنَّ الله تعالى يَمْحُوَ عنه ما كتبه عليه دائماً بناء على أنه سبحانه علم أزلاً أن هذا لن يختار لنفسه إلا الشقاء الدائم مثلاً فإن هذا الدعاء يكون مُحَرَّمًا مردوداً على هذا الداعي الكاذب في دعائه الجاهل بربه المستهتر به المنافق الذي

يَلُوكُ هَذَا الدُّعَاءَ الْبَاطِلَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبُهُ يَشْهَدُ عَلَيْهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُ أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَمُنَ عَلَيْهِ بِالتَّوْفِيقِ لِسُلُوكِ سَبِيلِ الْهَدَايَةِ وَالطَّاعَةِ لِيَفُوزَ بِمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ كَتَبَهُ لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ وَالرِّضَا عَنْهُ ، فَإِنْ هَذَا الدُّعَاءُ مِنْهُ يَكُونُ مَا ذُنُوبُهُ بَلْ مَنُودُوا إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقْتَضِ مُحَالًا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَا خُرُوجًا عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَدَبِ م

مسموع منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

## النَّظَرُ وَالْمَلُح

كَانَ لِلْأَعْمَشِ صَدِيقٌ مُتَصَرِّفٌ فِي عَمَلِ السُّلْطَانِ فَبَقِيَ عَلَيْهِ مَالٌ خُبَسَ فِيهِ فِزَارُهُ الْأَعْمَشُ مُتَغَمِّمًا لَهُ <sup>(١)</sup> . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ رَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّةً <sup>(٢)</sup> فِيهَا فَالْوُذُجُ وَهُوَ يَتَغَذَّى مِنْهَا فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا لَازِمَتِ الْوُثَاقُ إِلَّا لِاسْرَافِكَ فِي الْإِنْفَاقِ ، فَلَوْ قَنَعْتَ نَفْسَكَ وَعَفَّتْ يَدُكَ لَمْ يَكُنْ مَضِيقُ السِّجْنِ مَقْعَدَكَ .

\*  
\*  
\*

قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ الشُّجَاعَةُ وَالْجُبْنُ غَرَّارٌ فِي الرِّجَالِ . تَجِدُ الرَّجُلَ يَقَاتِلُ عَمَّنْ لَا يَبَالِي أَلَّا يُوْثِبَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَتَجِدُ الرَّجُلَ يَفِرُّ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، وَتَجِدُ الرَّجُلَ يَقَاتِلُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ فَذَلِكَ هُوَ الشَّهِيدُ .

(١) مظهر آله الغم من سجنه . (٢) وعاء .

# الفتاوى والأحكام

## كرامات الأولياء

ورد إدارة المجلة من حضرة صاحب التوقيع ماياتى : —

س : هل لنا أن نعتقد أن المدفونين فى الأضرحة أولياء ( وأن نصدق ما نسمع من الملأ عن الآيات التى أظهروها فى حياتهم من مدة ٦٠٠ سنة أو أكثر أو أقل ) .  
( وأرجوا أن ترسموا لنا حدا يبين لنا الولى وغيره ) . وهل للأولياء شفاعه عند الله بمعنى أنهم يقومون بدور رجاء ؟ وهل يقبل الله رجاءهم على أنه قال تبارك وتعالى : ( وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ) ؟ .  
مصطفى صبرى الشنوانى

وجاءنا مثله أيضا من حضرة الشيخ أحمد سلطان حسين رئيس مدرسة أبو غدير  
الأولية فى ضمن أسئلة أخرى نرجئها لعدد آخر .

ج : الولى هو العارف بالله وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب المعاصى المعرض  
عن الانهماك فى اللذات والشهوات وإن كانت من المباحات ، هكذا عرفوه ، ولا داعى  
للإطالة فيه ويكفينا قول الله تعالى فى بيان الأولياء ( الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ) .  
أو نقول هم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، أو نقول هم الذين أشار اليهم قوله تعالى :  
( وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى  
الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِ الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي  
الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ  
فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ) .



أما الكرامات فهي جائزة لاشك فيها وقد تواترت في المعنى — وإن كانت التفاصيل آحادا — كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الصالحين وهي ثابتة بالكتاب العزيز والسنة الصحيحة كما ستقف عليه ولا ينكرها إلا أهل البدع وليس إنكارهم إياها بعجيب منهم، فانهم كما قال بعض العلماء لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهدهم في العبادات غير عالمين أن المسألة مسألة قلوب لا أبدان وصفاء أرواح لا لعب أشباح، وقوة يقين وتمكين لا شدة مجاهدات وكثرة عبادات « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ». أخرجه مسلم وقد ثبت حديث « إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثير صيام ولا صلاة ولكن بسلامة الصدور وسخاوة الأنفس ». وقد جاء في الحديث المتفق عليه « إنه سيكون في الأمة أقوام يحقر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاتهم وصيامهم في جنب صلاتهم وصيامهم يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ». نقول إن الكرامات منح إلهية يعطيها الله من يشاء ويمنعها من يشاء، ولا فرق بين العطايا الحسية والعطايا المعنوية ولا بين الأرزاق الجسمانية التي قال الله فيها: ( نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) . ولا بين المواهب الروحية التي قال فيها: ( يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ) . فببعض من قسم الحظوظ في البابين ومنح ما شاء من شاء من الفريقين فكما أن الناس متفاوتون في الصحة الجسمانية هم أيضا متفاوتون في الصحة الروحية، ولذلك تفاوتوا في الآخرة كما تفاوتوا في الدنيا أو أشد ( انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ) .

ولتقرب لك الأمر تمام التقريب حتى يكون على طرف الثمام فقد كثرت فيه القليل والقال جمودا على الرأي وتعصبا للهوى فنقول : إن الفاعل هو الله لا الولي ولا النبي ولكنه يكرم من يشاء بما شاء وهو على كل شيء قدير، فأى مانع من أن يخرق الله

العادة إكراما لبعض عباده الصالحين حيا كان أو ميتا فيرزقه رغيفا في مفازة أو شربة ماء في صحراء أو يكرم زائريه ومحبيه ، مثل ما فعل بسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ضل الطريق فتعرض له الأسد فقال له أنا سفينة مولى رسول الله فبصبص له وسار بجانبه يهديه الطريق .

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم

الى آخر ماورد عن الصحابة وغيرهم وستسمع شيئا منه ، وأى قيمة لذلك بجانب ما أعطاهم الله من شرف معرفته ومحبته والقرب منه حتى قال في الحديث القدسي الذي رواه البخارى : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » . الى أن قال : « ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به » الخ . فانظر الى قوله من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب والى قوله كنت سمعه وبصره ، فالى أى حد تكون منزلة ذلك الولى عند الله تعالى حتى يحارب من يعاديه ، وكيف يكون بصره الذى استضاء بنور معرفته عز وجل والى ماذا يصل سمعه الذى له ذلك الشرف الأعلى ، ولا غرو فمعاملة الله تعالى تأتى بالعجائب والغرائب وهو الرحيم الودود رزقنا الله الأدب معه والتوكل عليه وانظر الى قوله تعالى : ( وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ) وقوله فى الحديث القدسي : « من تقرب إلى شبرا تقربت اليه ذراعا » . الى آخر الحديث وقوله عز وجل فى الحديث القدسي أيضا : « مرضت فلم تعدنى فيقول العبد كيف أعودك وأنت رب العالمين ؛ فيقول مرض عبدى فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتني عنده » الى آخر الحديث . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » ولم يفرق بين شىء وشىء ، وإنى ألفت نظرك الى تلك المنزلة السامية التى كادت تخرجه من ذل العبودية وجعلته يقسم على الله قسما يستتبع الاجابة .

وهذا يشبه قوله تعالى : ( لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ) . فهل بعد ذلك التنزل الالهى والعطف الربانى الذى سمعته يستبعد أن يخرق لهم العادات أو يمن عليهم بما شاء

من الكرامات فلا بدع أن يكون دعاؤهم أقرب الى الاجابة من دعائك لأن منزلتهم عنده أعظم من منزلتك ؛ أما قوله : ( وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ) . الذى اشتبه على السائل فهو وصفه لا وصفنا فانه يعلم مخلوقاته كلها على السواء لا تفاوت بينها فى علمه وإحاطته ، ولكن هناك تفاوت كبير بين منازل عباده قربا وبعدا بحسب انقيادهم له وإقبالهم عليه ومحبتهم إياه أو انصرافهم عنه وإقبالهم على غيره « ولست فى حاجة أن أعرفك أن القرب معنوى والبعد كذلك فان الله متعال عن قرب المسافات وبعدها » . ومن ذا يستطيع أن يقول إن للفاسق من القرب وحسن المعاملة من الله ما للصالح المطيع ( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً لَّهُمْ خَيْرُهُمْ وَمَنَّا لَهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) . ولندكر لك شيئا مما جاء فى القرآن والسنة مما يفيد الوقوع فضلا عن الامكان فنقول :

- (١) قصة أصحاب الكهف وبقاؤهم فى النوم أحياء سالمين عن الآفات مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين وأنه تعالى كان يعصمهم من حر الشمس كما قال : ( وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ) . الى أن قال : ( وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) الى أن قال : ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ) .
- (٢) قصة مريم وحملها بعيسى عليه السلام من غير أب على ما قصه الله علينا فى الآيات العديدة .

- (٣) إثمار الجذع اليابس الذى أمرها الله بهزه وعرفها أنها ستجد منه ما لم يكن لها فى حسابان

- (٤) ما قص الله علينا من أن زكريا عليه السلام كان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله .

(٥) ما قص الله علينا من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار على يد الخضر الذى علمه الله من لدنه علما على ما هو مبين بالتفصيل فى سورة الكهف، وهى ثلاث كرامات ولكن نسمحك فى أن تعدها واحدة « وليس الخضر نبيا على الصحيح ».

(٦) قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام على ما قاله جمهور المفسرين فى قوله تعالى : ( قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ) . فجاء بعرش بلقيس من اليمن قبل ارتداد الطرف .  
وأما السنة الصحيحة فقد جاء فيها شئ كثير من هذا .

أولا — قصة جريج العابد .

ثانيا — قصة الغلام الذى تكلم فى المهد .

ثالثا — قصة عباد بن بشر وأسيد بن حضير .

رابعا — قصة أبى بكر مع أضيافه .

خامسا — كرامة خبيب بمكة .

سادسا — كرامة عمر بن الخطاب وهو على منبر المدينة فهذه ستة براهين من

كتب السنة الصحيحة ومثلها من القرآن العزيز ، وماذا يقول القائلون بعد الكتاب والسنة ولنذكر لك ما أشرنا إليه .

أخرج البخارى ومسلم فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم عليه السلام ، وصبي فى زمن جريج الناسك ، وصبي آخر ؛ أما عيسى فقد عرفتموه وأما جريج فكان رجلا عبدا ببنى اسرائيل وكانت له أم فكان يوما يصلى اذا اشتاقت اليه أمه ، فقالت يا جريج : فقال يارب الصلاة خير أم أمى ثم صلى ، فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى قال ثلاث مرات وكان يصلى ويدعها ، فاشتد ذلك على أمه فقالت : اللهم لا تمته حتى تربه المومسات ؛ وكانت زانية

هناك فقالت لهم أنا أفتن جريحا حتى يزنى فآتته فلم تقدر على شيء وكان هناك راع يأوى بالليل إلى أصل صومعته فلما أعيأها راودت الراعى عن نفسها فأتاها فولدت ثم قالت : هذا ولدى من جريح فأتاه بنوا إسرائيل وكسروا صومعته فصلى ودعا ثم نحس الغلام قال أبو هريرة : كفى انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده يا غلام من أبوك ؟ فقال : الراعى ؛ فقدم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا بنى صومعتك من ذهب أو فضة فأبى عليهم وبنها كما كانت ؛ وأما الصبى الآخر فان امرأة كان معها صبى لها ترضعه إذ مر بها شاب جميل ذو شارة حسنة فقالت : اللهم اجعل ابنى مثل هذا فقال الصبى : اللهم لا تجعلنى مثله ، ثم مرت بها امرأة ذكرها أنها سرقت وزنت فقالت : اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه ، فقال الصبى : اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أمه فى ذلك ، فقال : إن الشاب كان جبارا من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله وإن هذه قيل إنها زنت ولم تزن وقيل إنها سرقت ولم تسرق وهى تقول حسبى الله » وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم وابن سعد وهو فى البخارى من غير تسمية الرجلين « أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله عنهما كانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة حتى ذهب من الليل ساعة وهى ليلة شديدة الظلمة خرجا ويبد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فشيئا فى ضوءها حتى اذا افترت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ أهله . وأخرج البخارى « أن خبيبا كان أسيرا عند بنى الحارث بمكة » فى قصة طويلة ومنها « أن بنت الحارث كانت تقول ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب فقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق فى الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله . » وأخرج البخارى أيضا ( أن أبا بكر كان عنده أضياف فقدم لهم الطعام فكلموا كلوا منه ربا من أسفله حتى إذا شبعوا قال لامرأته يا أخت بنى فراس ما هذا قالت وقرة عيني لهى تعنى القصعة أكثر منها قبل أن يأكلوا ) الى آخر القصة ؛ وقد صح أن عمر بن الخطاب كان له جيش ( بنهاوند ) من بلاد العجم وكان سارية رضى الله عنه أميرا عليهم وكان للعدو كمين فى أصل الجبل

لا يعلم به جيش المسلمين فنادى عمر وهو على المنبر يخاطب الناس يوم الجمعة « يا سارية الجبل الجبل » فسمعوا صوته بهائون ونجاشم الله تعالى ببركته ، وفي ذلك كرامتان : الكشف عن حالة الجيش وحال العدو ، ووصول صوته من المدينة الى نهاوند . وأخرج الترمذى أن بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر ولم يكن يعلم أنه قبر فسمع من داخل القبر رجلا يقرأ سورة تبارك (الملك) فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال هي المانعة هي المنجية تنجى من عذاب القبر الى غير ذلك وهو كثير وقبل الختام لابد أن نقول انه لا فرق عندنا بين الحى والميت حيث إن الله هو الفاعل لا الحى ولا الميت ولا فرق فى فعله تعالى بين أن يتولاه هو إكراما لوليه من غير أن يكون للولى دخل فيه أو علم به وبين أن يحريه على يديه أو يقوى روحه حتى تفعل ما لا يستطيع غيرها كما يقوى بعض الأجسام فيكون له من الأثر ما ليس لغيره ، ولا فرق فى التحقيق بين أن يفعل لك أو يفعل بك فانه الفاعل على كل حال على أن الأرواح بينهما من التفاوت ما لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ فلا يصح أن تقاس الروح الضعيفة على الروح القوية ولا الروح الحرة على الروح النذلة ولكل مرتبة من مراتب الأرواح خصائص تناسب تلك المرتبة وللأرواح من القوانين ما يباين قوانين الأجسام ، ولذلك ترى الحاسد يؤثر فى المحسود من بعد مع أن القوانين المادية تقضى بعدم التأثير إلا اذا حصلت مجاورة أو تماس ، ثم نقول إن الأرواح اذا صفت صح أن تطلع على الغيب لأنها من عالم الملكوت . فأى بُعد بعد هذا فيما ينسب للكاملين من أولياء الله المقربين الذين أرواحهم أكل الأرواح وأقواها ولهم من عناية الله وفيضه ما ليس لغيرهم ؟؟

وقبل إلقاء القلم لابد أن نقول إن كثيراً من الناس كاذبون فى دعوى الولاية مفترون على الله فيها ولكن هذا لا يضر الموضوع شيئاً فكل طائفة فيها الصادق والكاذب سنة الله ولن تجد لسنة تديلاً وقد عرفناك الولي بصفاته الجميلة ونعوته الجليلة ، أما التطبيق فنكله اليك ونلقى تبعته عليك ويكفى هذا اليوم وربما عدنا للموضوع مرة أخرى إذا أراد الله

يوسف المرموى

من هيئة كبار العلماء

## الشفاعة

وورد اليها ايضا السؤال الآتي لصاحب التوقيع : —

س : اطلعت على موضوع الشفاعة فرأيت للمعتزلة أدلة بصريح القرآن وهم يرون عدم الشفاعة ، ولأهل السنة أدلة دونها في القوة وهم يقولون بالشفاعة ؛ وأرجو اتساعا في الموضوع لأعرف ما يجب أن أدين الله عليه ؟

اسماعيل موسى بدر  
طالب بمعهد اسكندرية

ج : لقد كثرت الكلام في الشفاعة قديما وحديثا واتسعت دائرة الخلاف بين الطوائف لحرص كل على التمسك بما قال وغلوه في التشنيع على خصمه والتشهير به ، وما زالت عوامل الخلاف تعمل عملها في كل جيل ، وكأف أناسا يحلو لهم أمر الجدل وحب الانتصار وقهر الخصم والتشنيع ، فيساعدون على خلق الخلاف وتوسيع شقته ؛ وقد كان الأمر أمما لو لم يكن ذلك في شئون الدين الذي ما بعث الله به النبي صلى الله عليه وسلم إلا لتمكين الروابط وشد الأواصر وتوثيق الألفة وتوحيد الكلمة .

ونرى أن نقدم لك مقدمة في بيان المعنى المتعارف بين الناس للشفاعة وبيان المعنى المقصود منها شرعا ، حتى تعرف سبب الخلاف ومنشأ شبهة المنكرين ، ويتجلى لك أنها بالمعنى المشروح ليست مما ينبغي أن يختلف فيه اثنان وبالله التوفيق .

المعنى المتعارف بين الناس في الشفاعة هو أن إنسانا يسيء الى عظيم مثالا ، فيتوعدده بالانتقام منه ويصر على إيذائه البتة ويصمم على ذلك عاقدا نيته ويشعر المسيء بأنه لا قبل له به ؛ فيقصد الى أحد المقربين الى ذلك العظيم وذوى الوجاهة والمنزلة المقبولة ، فيستشفع به

اليه ليحمله على العدول عما أصر عليه، فيجبي الشفيع لذلك العظيم وما يزال به حتى يغير رأيه ويعدل عن تصميمه ويحل عزمه على الايذاء والانتقام؛ أو أن يطمع أحد الضعفاء في معروف لدى ذلك العظيم ويعتقد أنه ليس على باله شيء من أمره أو أنه ينوى حرمانه من معروفه، فيستشفع اليه بوجيه لديه يحمله على أن يشمله بمعرفه وإحسانه، وهلم جرا من مواضع الشفاعة؛ وحاصلها أن المشفوع لديه كان مصمماً على أمر خلاف ما شفيع عنده فيه فيجبي الشفيع ويحمله على تغيير نيته وإرادته؛ والشفاعة بهذا المعنى مستحيلة بالنسبة لله عز وجل فانه لا يقع أمر في الكون إلا وهو عالم به من الأزل وقد أراده كذلك، كما جاء في حديث: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف».

ولكن الشفاعة قد وردت في الكتاب الكريم في غير ما آية كقوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ). وكقوله تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) وكقوله: (وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ). فان الاستغفار للمؤمنين طلب مغفرة ذنوبهم وذلك شفاعة، وكقوله: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَاجٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) فانه يدل بمفهومه على أن لغير الظالمين شفيعاً مقبول الشفاعة، وكذلك وردت في السنة في أحاديث إن لم تكن أفرادها متواترة؛ فالمعنى المشترك بينها متواتر فهي من باب المتواتر بالمعنى كحديث: «ادخرت شفاعةي لأهل الكبراء من أمتي». وكحديث: «إن الخلائق تلجأ الى الأنبياء يوم القيامة يستشفعون بهم عند ربهم فكل يقول نفسي حتى ينتهوا الى سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول أمتي أمتي، ويسجد تحت العرش؛ فيقال له: ارفع رأسك واشفع تشفع». بل الشفاعة مما قال به طوائف الملمين حتى المعتزلة وإن خصوها بأنها تكون لزيادة الثواب لا لرفع العقاب بناء على أصابهم الذي



زعموه أنه لا عفو إلا عن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر وعن الكبائر اذا حصلت التوبة، وليس كلامنا الآن في جواز العفو أو عدم جوازه، وإنما كلامنا في إثبات الشفاعة في الجملة وقد علمت أنهم قائلون به .

واذا كانت الشفاعة بهذه المثابة واردة في الكتاب والسنة متواترة وأجمعت عليها الأمة، وكان معناها المتعارف بين الناس مستحيلا بالنسبة الى الله تعالى، فانه يؤدي الى جواز تغيير الارادة الأزلية، والى أنه تعالى لم يعلم من الأزل ما سيحصل فيما لا يزال، أو يؤدي الى القول بالبداء، أى أن الأمر أنف وأن الله تعالى يبتدى تدير الأشياء أولا فاولا ويستأنف علمها من جديد بعد أن لم يكن عالما بها، وكل ذلك محال على الله كما عرفت؛ اذا كان الأمر كذلك وكان الدليلان القطعيان لا يتعارضان وجب أن تفسر الشفاعة بمعنى يصح نسبته الى الله تعالى ويجوز حمل النصوص الواردة عليه .

ذلك أن آيات الوعيد الواردة في القرآن المجيد والسنة الشريفة تعتبر كقانون عام أرشد الله اليه عباده وأعلمهم به، ليرجعوا اليه في أحكامهم وأعمالهم فيرتدعوا عن منهياته ويمثلوا أوامرهم، وبذلك صار العباد يعلمون أن من اقترف الذنب استحق عليه العقوبة المقدرة له، يستوى في علم ذلك الملك والانس والجن ولكن الله الرؤوف الرحيم الحكيم قد يعلم من بعض المذنبين ما لا يعلم غيره مما يستحق به أن يستثنى من تلك العقوبة وهو الفاعل المختار لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، فيجعل من باب الحكمة وازدواج المصلحة أن يجعل مظهر تنفيذ إرادته الأزلية في إعفاء من أراد من العقوبة المستحقة، يجعل مظهر ذلك عن طريق شفاعة بعض أوصيائه حتى يكون في ذلك تكريم للشفيع وتنويه بشأنه عند الناس ليحببه اليهم فيتبعوا طريقته، وليدعوا الناس الى الاكثار من الاقتداء به في أفعاله حتى يكونوا أيضا شفعاء عند الله، وهذه حكمة جريئة جلييلة؛ ومرجع الأمر كله الادارة الأزلية والعلم القديم الذى أحاط بما كان وبما سيكون،

ستقول لى : « اذا كان الأمر كذلك فما فائدة الشفاعة ؟ فان من أراد الله خلاصه من العقوبة سيخلص منها شفيع له أو لم يشفع ، ومن أراد عقابه فسيعاقب شفيع له أو لم يشفع . » وأقول لك وما فائدة سؤالك هذا ؟ اذا كان الله أراد أن تعلم الجواب فستعلمه سألت أو لم تسأل ، وإن لم يكن أراد أن تعلم جوابه فليست بعالم به سألت أو لم تسأل ، ثم ما فائدة اغتذائك لدفع الجوع وشربك للرى ودفعك الصائل عليك وفرارك من النار والوحوش وهلم جرا ، هذه أشياء إن أراد الله أن تحرز ثمراتها وتحصل نتائجها حصلت على أى حال أخذت فى أسبابها أو لم تأخذ ، وإن لم يرد فليست بحاصلة ألبتة ؛ ومثل ذلك الصلاة فى الثواب والدعاء فى الاجابة وهلم جرا من أسباب شرعية أو عادية هى كلها متشابهة فى أن الله تعالى قد اقتضت حكمته أن يربط المسببات بالأسباب ، وأن يحكم نظام العالم إحكاما يجعله سلسلة واحدة آخذا بعضها بحجز بعض وهو محيط بكل شىء . وخالق كل شىء . وقادر على كل شىء ، يقدر أن يخلق المسبب بلا سببه ويفك عنه الارتباط الذى اختاره له ؛ فلو شاء لجعل من النار رياء ، ومن الماء احراقا ، فهو مالك الملك كله واليه يرجع كل شىء .

بهذا تعرف أن لنا مقامين لا يجوز أن يخلط أحدهما بالآخر : الأول ما سنه الله من قانون ونظام فى هذا العمل وربطه به وأرشدنا اليه ، إما بما وهبنا من عقل وإما بما هدانا اليه من شرع ، وهذا ما يجب علينا أن نترسمه فى أعمالنا ونسير عليه فى أحكامنا . والثانى مقام هيمنته على العالم ونفاذ تصرفه فيه وكمال اختياره وإن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهذا نؤمن به إجمالا وتفصيلا كلياً ، ولكننا لسنا مطالبين بتعرف ما شاءه وما لم يشأه قبل أن يبرزه لنا فى عالم الوجود .

وبعد فاذا تفهمت ما قررناه لك فى أمر الشفاعة وأنها كسائر الأسباب العادية التى تؤدى الى مسبباتها ، وأن السببية أما أن تعرف من العقل والتجارب والتأمل فى أسرار

الكون، وأما أن تعرف من طريق الشرع والنقل كالطاعات وثوابها والمعاصي وعقابها، وأن كل ذلك لا يؤثر على إطلاق تصرف الفاعل المختار في ملكه وملكوته؛ أقول اذا تفهمت هذا سهل عليك حل الشبه التي تأتي من هذا القبيل كأمر التوسل الذي شرحه فضيلة الأستاذ المربي المحقق الشيخ الدجوى في إحدى مقالاته بهذه المجلة، ومسألة الدعاء والاجابة التي كثيراً ما تلوكها الألسنة والله الموفق للصواب .

وورد سؤال من حضرة الأستاذ ابراهيم الشناوى المدرس بمدرسة ديرب نجم الأُميرية عن حكم من أنزل في رمضان بتأثير المزاح والملاعبة دون جماع ثم أمسك ببقية يومه . والجواب أنه يفطر ويلزمه القضاء دون الكفارة .



وورد السؤال عن حالة تحصل كثيراً في بلاد الريف عند ما تشيع جنازة رجل مشهور بالصلاح والتقوى، فترى النعش يسرع تارة ويبطئ أخرى، أو يجرى حيناً ويقف حيناً، أو يبحث حاملوه به، أو يأخذ يميناً وشمالاً وهكذا مع حميده محمد الوكيل ناظرة مدرسة بنات كفر المصلحة

والجواب أن هذه أمور لا أصل لها في الدين، وإنما هي في الغالب من عبث الحاملين للنعش، وقد يكون من عبث واحد منهم، فيدفع الخشبة بقوة تضطر شركاءه في الحمل الى السرعة أو يقف بها بقوة كذلك فيعطلهم عن السير، يقصد بذلك تقرير كرامة الميت وحمل الناس على الاعتقاد بولايته، وليس مثل هذه الأعمال من باب الكرامات ولا لها صلة بها، وإنما هي ناشئة عن أغراض للحاملين أو من عبث بعض الجهال في مقام يجب فيه الاتعاظ والادكار، وفي ظننا أنه ما حمل بعض المفكرين على التنديد بكرامات الأولياء والوصول الى حد يقرب من إنكارها بالكلية إلا مثل هذه الأعمال السفهية المنافية للأدب الواجب في كل حال وبالأخص في حال يصدق فيها الكذب؛ نسأل الله التوفيق والهداية .

وورد سؤال من صاحب الامضاء عن الدعاء وهل ينفع الداعي؟ وهل يوجد في القرآن الكريم أو الحديث النبوى الشريف ما يدل على ذلك؟ وأضاف السائل الى سؤاله مثالا حملة ما لا سبيل لنا الى علمه، فقال مثلاً: اذا كنت مسافراً وتهت في صحراء لا خلاص لى فيها وقد قدر لى عدم اخلاص منها، فهل مع استمرار الدعاء والتضرع يتغير ما قد يكون كتب لى من سوء وأخلص بالنجاة؟

عبد العزيز توفيق عبد السلام  
طالب بمدرسة الاقباط بالخرطوم

والجواب أن الدعاء ينفع الداعي وقد قال تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ). ومثله مثل العبادة التي أمر الله بها ورتب عليها ثوابها، بل مثله مثل الأسباب العادية التي هداها الله الى استعمالها لتحصل مسبباتها والتي جرت عادة الله بترتيبها عليها وإجابة الدعاء في تفرج الهم والتخليص من الضيق الذي لا يجد صاحبه مخلصاً قد وردت في السنة الشريفة الصحيحة، فقد روى الشيخان «أن ثلاثة نفر انطلقوا فأووا الى غار، فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار، فقالوا: لا ينجيكم إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فذكر أحدهم أنه كان له أبوان شيخان كبيران وكان يرعى عليهما ولا يغبق قبلهما أهلاً ولا مالا - والغبوق شرب المساء - فنأى به طلب الشجر يوماً فجاءهما بالابن عند ما ناما فكره أن يوقظهما وكره أن يسقى أحداً قبلهما فما زال ينتظر استيقاظهما والقدح على يده والصدية يتضاغون - أى يضجون ويصيحون من الجوع - حتى برق الفجر وقال اللهم ان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة حتى رأى الضوء، وذكر الثانى أنه كانت له ابنة عم هى أحب الناس اليه فأرادها على نفسها فامتنعت حتى أملت بها سنة فجاءته فأعطاهما مائة وعشرين ديناراً على أن تخلى بينه وبين نفسها ففعلت فلما قدر عليها قالت له اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فتخرج من الوقوع

عليها وخاف مقام ربه وترك لها الذهب ثم قال اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرت الصخرة ولكنهم لا يستطيعون الخروج؛ وذكر الثالث أنه استأجر أجراً فأعطاهم أجرهم إلا واحداً ترك أجره وذهب فتمره له حتى كثرت منه الأموال فجاءه بعد حين يطلب أجره فقال له كل ما ترى من هذه الابل والبقر والغنم والرقيق فهو أجرك فظنه يستهزئ به فقال إني أصدقك فاستاق الجميع وذهب به ثم قال اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا فانفرت الصخرة فخرجوا يمشون .

فترى من هذه القصة كيف استحکم الضيق والكرب وكيف انفرج بالدعاء ، أما قول السائل فى سؤاله ( وقد قدر لى فيها عدم اخلاص منها ) فان كان يريد ما فى علم الله فهذا أمر لا اطلاع لأحد عليه وقد استأثر الله به ولم يطلب منا البحث عنه ، وإنما كلفنا بأن نقوم بما أمرنا به وننظر ما وعدنا الله به . وأما الكلمة التى يلوكها الكثير من الناس وهى إن قدرت لى السلامة نلتها دعوت أو لم أدع وإن قدر على العطب لحقتى دعوت أو لم أدع ، فهى كلمة واهية لو صحت لصحت فى كل شىء وفى كل سبب شرعى أو عادى فانها تجرى فى العبادات وفى العادات كما ذكرنا ذلك فى جواب سؤال الشفاعة ، فتقول إن قدرت لى النجاة من النار نجوت سواء أطعت الله أم عصيته ، وإن قدر على المذاب ذقته سواء أكنت من الطائمين أم من العاصين ؛ ويقول من تدعوه لتناول طعامه الذى يسك حياته ؛ أو للاحتراز من الهلاك المحقق كتغريق نفسه أو تحريقها ؛ سيقول لك إن قدر لى طول العمر فى علم الله أدركته ، وإن قدر على الموت أدركنى وهكذا . وجوابه ما أجاب به المصطفى صلى الله عليه وسلم من سأله وقد قال « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ، فقالوا أفلا نتكل على كتابنا أو فقيم العمل ، فقال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له » أما من كان من أهل السعادة

فسيصير الى عمل السمادة، وأما من كان من أهل الشقاء فسيصير الى عمل الشقاء،  
ثم قرأ: ( فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ) الآية .

والحاصل أن الله جلّت قدرته هو الخالق لجميع الكائنات، وقد علم من الأزل  
ما كان وما سيكون الى يوم القيامة؛ ومع علمه بذلك وخلق له لكل شيء فقد أحكم نظام  
كونه فربط أشياء بعضها ببعض لحكمة أرادها، فرتب أشياء على أشياء؛ ولو شاء لجعل  
الأمر فرطاً لانظام له ولا ارتباط، وجعل من الأشياء ما يخلق له عقب توجه نفوسنا  
وتعلق قدرتنا التي منحنا إياها، فلما ربطها بتوجه نفوسنا وتعلق قدرتنا صح أن تنسب  
تلك الأفعال إلينا وتكون اختيارية لنا ويترتب عليها ثوابنا وعقابنا أو مدحنا وذمنا  
أو مؤاخذتنا على الضار وشكرنا على النافع، ويكفي في هذا اطراد هذا الربط فلا توجد  
تلك الأفعال بغير اختيارنا ولا تتخلف عن تعلق قدرتنا وإرادتنا حتى أن ما تخلف منها  
أو وجد عن غير طريقها شعرنا شعوراً ضرورياً بخروجه عن دائرة الأفعال الاختيارية،  
فتبحث النفس عن انتسابه إليها ضاراً كان أو نافعاً؛ محموداً كان أو مذموماً. ذلك أمر  
مستقر في فطر الناس وسجاياء النفوس ومدارك أبسط العقول حتى الصبيان؛ فترى الطفل  
الساذج تهم بمؤاخذته وضربه لكسره آنية فيقول لك: ( انكسرت غصباً عنى ) أليس  
معنى هذا أنه يشعر شعوراً لا يعتريه شك أن له أفعالا اضطرابية وأفعالا اختيارية وأنه  
مؤاخذ بالثانية دون الأولى، وقد يقول لك: ( تبت لا أعود بعدها ) ومعنى ذلك  
في نظره أنه يستحق العقوبة ولكنه يلتبس منك الصفح منحة ويؤكد لك ألا يعود، فانه  
يشعر بأنك تضربه كيلا يعود لا استرداداً للمفقود؛ ثم دع هذين واستمع الى الكلمة التي  
يقولها مجرم يحاول التخلص وهو واثق بأنه مغالط واهى الحجة لا يستحق الرحمة ولا يرجوها  
وإنما يطمع فيها أو هي الطمع حيث يقول لك (أمر الله مقدر على) فأنها كلمة تلفظها شفتاه  
وأنت تقرأ ما في نفسه وإذا هو ( كلا إنها كلمة هو قائلها ) نعم هو عالم بما في نفسه ويكاد  
يقصه عليك بلسانه ولا حاجة بك أن تسمعه من لسانه فكل جوارحه تحدثك بأنه ما فعل

ذلك إجابة لما في علم الله؛ فما كان الله ولا علمه له على بال وقت اقترافه جريمة؛ ولو ذكر الله خاليا لفاضت عيناه «ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» أي أنه لا يلاحظ معنى إيمانه ولا يذكر علم ربه وقدرته وإلا لأقلع حياء إن لم يقلع خوفاً؛ فعلم الله قد اختص به ولا دخل لنا فيه ولا شعور لنا بما علمه ولا بما أرادته وقت تحصيل الأعمال، وإنما نعمل إجابة لداعي نفوسنا ولا نعلم أن هذا أمر أراد الله إلا بعد حصوله بالفعل؛ فكيف تكون العلة في ارتكابنا له أنه أمر أراد الله وهل تتأخر العلة عن معلولها.

نعم هو أمر أراد الله ولكنه أراد أن تفعله إجابة لداعي نفسك لا أنك تقصد به تحقيق ما في علم الله الذي لا اطلاع لك عليه، فلما أجبته لداعية نفسك استحققت أثره وثمرته حتى في نظر نفسك إن خيراً فخير وإن شراً فشر؛ وما ربك بظلام للعبيد.

وقد يرى أننا أطلنا القول في جواب هذا السؤال واستطردنا منه إلى مسائل أخرى، والذي أوجب هذا هو ما نراه من حكم هذه الشبهة على كثير من الأفكار وترددها على السنة عدد عديد من عامة وخاصة ثم اتصال هذه المسائل بعضها ببعض، فأردنا أن يكون كشف النقاب عنها دفعة واحدة عسى الله أن يهدي بهذا البيان ويشرح له صدور قوم مؤمنين.

وأما الدعاء فهو أمر تنساق له النفوس وترجو منه الخير بفطرتها خصوصاً عند الشدائد كما قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحِيزِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ) م١

ابراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالازهر

# صنع الصور واقتناؤها

وورد إدارة المجلة الأسئلة الآتية : —

س : ما حكم الشرع الشريف في التصوير الفوتوغرافي ، وهل الصور الفوتوغرافية تمنع دخول الملائكة في المحل الذي توجد فيه ؟

وما حكم الشرع الشريف في إقامة تماثيل العظماء ، هل يجوزها أو يحرمها ؟

عبد المجيد رضوان

تاجر بوادي حلفا

س : هل يحرم التصوير الشمسي (الفوتوغرافي) ؟ وإذا كان ؛ هل الحرمة مطلقة أم هناك تفصيل ؟

محمد علي حسن طرباس

بالقسم العالي بالازهر الشريف

س : هل يجوز حمل الصور والتماثيل ، والنظر إليها ؛ واقتناؤها في المكاتب والبيوت ؟ وإذا كان ذلك حراما فما حكمة التحريم ؟

وهل هناك فرق في التحريم بين التصوير الشمسي والرسم باليد (النصفي والكامل) وصنع التماثيل (النصفية والكاملة) ؟

وهل تصوير ما فيه روح وما لا روح فيه سواء ، وما رأى « نور الاسلام » في إقامة تماثيل لعظماء الرجال بالمليادين الفسيحة والمتنزهات الكبيرة ؟

صالح محمد حسين عماشة

مأذون الشرع الشريف بميت عزب دقهلية

محمد عادل الأزهرى

س : هل يجوز التصوير الشمسي ؟



الجواب : - يذكر فريق من أهل العلم حكم الصور وما جرى فيها من خلاف ؛ غير فارقين بين صنعها واقتنائها ، ويرى فريق منهم أن في الصور التي يحرم صنعها ما لا يحرم اقتناؤه ؛ وطريقة هذا الفريق تدعونا الى أن نبحث عن صنع الصور ثم نبحث عن اتخاذها واقتنائها والله ولى التوفيق .

### التصوير :

ورد في التصوير أحاديث صحيحة ، منها حديث : « إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون <sup>(١)</sup> » . وحديث : « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق <sup>(٢)</sup> الله » . ولما كان ظاهر هذين الحديثين يجعل المصور في أشد العذاب الذى هو جزاء الكافرين ، وأصول الشريعة تقتضى أن عقوبة فعل المحرم لا تبلغ أشد العذاب . حمل بعض أهل العلم الحديث الأول على من يصور ما يعبد من دون الله ، وحملوا الحديث الثانى على من يصور قاصدا أن يضاهى خلق الله ، ومن يصنع الصور قاصدا لأن تعبد من دون الله ، أو يصنعها قاصدا التشبه فى فعله بخلق الله فقد جاء بما لا يفعله إلا جاحد فيستحق أن يكون من أشد الناس عذابا يوم القيامة .

ومقتضى فهم الحديثين على هذا الوجه يخرج من وعيدها من يصور ما لا يعبد ومن يصور غير قاصد المضاهاة بخلق الله .

ووردت أحاديث فى وعيد المصورين بالعذاب دون أن تجعلهم فى أشد مراتبه كحديث : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم <sup>(٣)</sup> » . وحديث : « من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ <sup>(٤)</sup> » .

جاءت هذه الأحاديث وهى تدل بظاهرها على حرمة التصوير بوجه عام ، ولكن العلماء اختلفوا فى حكم تصوير الحيوان والانسان على حسب اختلاف أنظارهم فى فهم

هذه الأحاديث والتفقه في علة النهى واختيار طريق الجمع بين ما يظهر في بعضها من تعارض، فذهب فريق إلى المنع من صنعها باطلاق، وقالوا: تصوير الحيوان حرام بكل حال، وسواء كان في ثوب أو بساط أو دينار أو درهم أو فلس أو إناء أو حائط، وسواء في هذا كله ما له ظل وما لا ظل له.

واستثنى بعض أهل العلم من منع تصوير ما له ظل الصور التي تصنع للعب البنات لما ورد فيها من الرخصة. ذكر هذا القرطبي في تفسيره؛ ونقل المسوردي في الأحكام السلطانية أن أباسعيد الاصطخرى من أصحاب الإمام الشافعي تقلد حسبة بغداد في أيام المقتدر، وأقر سوق اللعب ولم يمنع منها، وقال: قد كانت عائشة رضي الله عنها تلعب بالبنات بمشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره عليها<sup>(١)</sup>، ثم قال: وليس ما ذكره من اللعب ببعيد من الاجتهاد.

وأجاز بعض أهل العلم كأصبع بن الفرج المالكي صنع الصور مما لا يبقى طويلا كالعجين، ومن هذا ما يصنع في شكل الحيوان من الحلوى؛ قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل): قد استثنى من هذا الباب لعب البنات وما يصنع من الحلوى أو العجين، ووجه نظر هؤلاء أن صورة ما يعظم ويعبد من دون الله ليس من شأنها أن تصنع مما لا يبقى زمنا طويلا.

وقيد آخرون منع الصور المجسمة بتام الأعضاء الظاهرة، أما إذا كانت الصورة ناقصة عضواً لوقطع من الحيوان فقد معه الحياة كالرأس والبطن، فصنعها غير محرم عند هؤلاء؛ ووجه هذا القيد أن الحديث يقول في وعيد المصورين: «ويقال لهم أحيوا ما خلقتم». ومقتضاه أن تكون الصورة تامة الأعضاء التي لا حياة لها بدونها ولا ينقصها إلا نفخ الروح الذي يكون به الأحياء.

(١) في صحيح الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت العب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لي صواحب يلعبن معي.

ورأى بعض الفقهاء - فيما حكاه أبو محمد الجويني - جواز نسج الصور في الثوب وأفتى آخرون بأباحة التصوير على الأرض ونحوها؛ وقال الخطابي: الذي يصور أشكال الحيوان (أى يصنع صورتها دون أن يكون لها ظل) أرجو أن لا يكون داخل في هذا الوعيد. ومما يصح أن يكون مستندا لهؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة قال: «إلا رقا في ثوب». وهذا الاستثناء وإن ورد في سياق النهي عن اتخاذ الصور فهو يؤذن بأن رسم الصور في الثوب غير داخل فيما حرم من التصوير.

وذهب بعض الناس في الشذوذ الى مكان بعيد فأجازوا تصوير ما له ظل باطلاق، حكى هذا القول بعض المفسرين عند قوله تعالى: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل). قال ابن عطية: وذلك خطأ، ولا أعلم من أئمة العلم من يجوز ولا حجة لهم في هذه الآية على جواز تصوير ما له ظل، ولو سلمنا أن هذه التماثيل التي كانت تعمل لسلیمان عليه السلام من قبيل الصور ذات الأجسام التامة الأعضاء، فإن الآية حديث عما يعملها الجن لسلیمان عليه السلام، وشرع من قبلنا ليس شرعا لنا عند كثير من أهل العلم حتى يقوم الدليل على مشروعيته.

ومن يذهب الى أن شرع من قبلنا شرع لنا، يضع لذلك شرطا هو أن لا يرد في الكتاب أو السنة ما يخالفه؛ وقد ورد في السنة الصحيحة أحاديث صريحة في تحريم الصور وليس وراء الصور ذوات الأجسام ما يصح أن يكون مناط التحريم في هذه الأحاديث.

ويبقى النظر بعد هذا في أخذ الصور بالآلة المصورة (الفوتوغرافية) هل يجزى في حكمه على ما يرقم في الثوب أو يرسم على الأرض أو الورق من أشكال الحيوان فيكون من مواضع الخلاف السابق؛ حراما عند قوم، جائزا أو مكروها عند آخرين؟؟ أو أن

لأخذ الصورة بالآلة المصورة نظرا آخر يستدعى من الحكم غير ما يستدعيه التصوير باليد مباشرة فيكون جائزا ولو عند من يقول بجرمة تصوير أشكال الحيوان .

من الواضح أن المصور بنحو الرقم أو النقش ، والمصور بالآلة المصورة يفرقان في وسيلة حصول الصورة ؛ فالأول يسك القلم أو الريشة بيده ويأخذ في صنع الصورة جزءا فجزءا حتى يستوفى أجزائها ويخرجها في شكل ذى روح ، فهو صانع الصورة بيده ، وهذا ما يمكن أن يقترن بعلة مضاهاة الخالق أعنى العلة الواردة في الحديث

أما حصول الصورة باستعمال الآلة المصورة فطريقه أن صاحب الآلة يضع رق التصوير في مزيج من أملاح الفضة و ( يودور ) الفضة ومادة أخرى لزجة ، بمقدار مناسب ، ثم يعرض رق التصوير ( الفيلم ) للضوء فتنتطبع فيه صورة ما يراد أخذ صورته بوسيلة دخول الضوء من عدسة الآلة ووقوعه على الرق ( الفيلم ) ويعالج بعد هذا بمحاول ( هيبوسلفات السوداء ) فتظهر الصورة بعد أن كانت خافية ، وبعد ظهورها تعالج بمحض خاص لتصير ثابتة ، غير أن أجزاء الجسم المستنيرة تظهر في الصورة سوداء ، وأجزاءه القائمة تظهر بيضاء ، وهذه هي الصورة المسماة عندهم بالصورة السالبة ؛ والذي يصنعه المصور بعد هذا حتى تخرج الصورة موافقة لما في الواقع ، هو أن يلصق الصورة السالبة بورقة من الورق الحساس ويعرضها للضوء فتنتطبع الصورة في الورقة عائدا كل لون منها الى أصله من بياض أو سواد ، وتلك هي المسماة عندهم بالصورة الموجبة .

فهذه الوسيلة لأخذ الصورة لم تكن معروفة لعهد الوحي في تصوير ما ليس له ظل فمن يذهب الى إباحة رقم الصور في الثوب يميز التصوير بهذه الآلة من غير تردد إذ لا تزيد على الرقم في الثوب والنقش على الورق بشئ يقتضى منعها .

ومن منع من تصوير ما ليس له ظل ، قد يرى أن المنع مقصور على التصوير بالطريقة المعروفة لعهد الوحي لأن التصوير بإيجاد الصورة ، وهذا المعنى ظاهر فيمن صنع

أجزاء الصور بيده ، أما الصور الحادثة بالآلة المصورة فرجعها الى ما أوجده الخالق تعالى في تلك المواد من خواص ، ثم دخول الضوء من العدسة ، وانطباع الصورة على الرق ( الفلم ) أو الزجاجية ، ثم انطباعها على الورق الحساس ؛ فليس من البعيد أن يكون لهذا الفرق أثر في أن يكون الجواز في التصوير الشمسي أظهر منه في رقم أشكال الحيوان باليد مباشرة ، وهذا ما أفتى به حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد نجيت مفتي الديار المصرية سابقا .

### عنه تحريرهم التصوير :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم والناس ينصبون تماثيل يسمونها آلهة ويعبدونها من دون الله بزعم أنها تقر بهم الى الله زلفى ، فجاء الاسلام منكرا لصنيعهم هذا أشد الانكار ، ومعبرا عن سفه عقولهم بأبلغ بيان ؛ ومن المناهج التي تسلكها الشريعة الحكيمة لظهور الرشد على النقي ، أن تجيء الى ما شأنه أن يكون وسيلة الى ضلالة ولا منفعة فيه البته ، أو تكون منفعته أقل من إثم ما يتوسل به اليه من ضلال ، فتمنع من إتيانه ، وهذه الطريقة تقتضى النهى عن التصوير الذى هو أحد الوسائل الى عبادة غير الواحد الخلاق ؛ وقد قرر بعض العلماء المنع من التصوير هذه العلة وهى كونه ذريعة للغلو في تعظيم غير الله ؛ قال القاضى أبو بكر بن العربي « والذى أوجب النهى عن التصوير فى شرعنا — والله أعلم — ما كانت العرب عليه من عبادة الأوثان والأصنام ، فكانوا يصورون ويعبدون ، فقطع الله الذريعة وحى الباب » .

واذا قيل : إن علة المنع من التصوير — فيما يظهر فى الأحاديث — هى التشبه بخلق الله ، يؤخذ هذا من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » . فقد نبه على أن علة عذابهم الأشد تشبههم بخلق الله الى صنعهم شيئا يتشبهون فيه بالخالق ، ودل على هذا الوجه أيضا حديث : « ويقال لهم أحيوا

ما خلقتم . فقوله : ( أحيوا ما خلقتم ) مشعر بأن علة الانكار هى التشبه بالخالق .  
 اذا قيل هذا قلنا : هذه العلة المشار اليها فى الحديث لا تمنع من أن يكون للمنع  
 من التصوير علة أخرى هى كونه وسيلة لعبادة ما ليس بالله ، فيكون للمنع من  
 التصوير علتان : إحداها تجعله مفسدة فى نفسه وهى التشبه بمبدع الخليقة ، والأخرى  
 كونه وسيلة الى ما فيه أكبر مفسدة أعنى الغلو فى تعظيم غير الله ؛ قال القاضى أبو بكر  
 ابن العربى بعد — أن ذكر علة سد الذريعة الى عبادة الأصنام — : فان قيل : فقد قال  
 النبى صلى الله عليه وسلم : « من صور صورة عذبه الله بها حتى ينفخ فيها الروح وليس  
 بنافخ » وفى رواية ( يتشبهون بخلق الله ) فعلى بغير ما زعمتم ، قلنا نهى عن الصورة  
 وذكر علة التشبه بخلق الله ، وفيها زيادة على هذا عبادتها من دون الله ، فنبه على أن  
 نفس عملها معصية ، فما ظنك بعبادتها .

وهذا النظر يقتضى أن النهى عن التصوير قائم على هاتين علتين ؛ ولو كانت  
 العلة سد الذريعة وحده ، لكان لأنظار الفقهاء فى حال انقطاع الناس عن اتخاذ الصور  
 آلهة مجال ، ولكن علة المضاهاة بخلق الله تجعل المنع باقيا ، حيث لم تقيّد المضاهاة  
 فى الحديث بالقصد اليها ، وقد عرفت أن العلماء الذين يذهبون الى إباحة صنع بعض  
 الصور ، مثل ما ليس له ظل ، أو كان مجسما غير تام الأعضاء أو ما دعت اليه مصلحة  
 التدريب على إدارة المنزل ، يستندون فيما أفتوا به الى أحاديث تجعل النهى مقصورا  
 على غير ما أفتوا بإباحتها .

#### هل يجوز التصوير لمصالح تقتضيه ؟ :

نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التصوير صرفا للناس عن حال التشبه بالخالق ،  
 وأذن بلعب البنات لمصلحة التمرين على إدارة المنزل ، فدل على أن مصلحة هذا التمرين  
 ترجع على مفسدة التصوير ، فهل للفقهاء اذا عرفوا فى تصوير شئ من الأشياء مصلحة  
 جليلة ، أن يفتوا بإباحتها على قدر ما تدعو اليه الحاجة ؟

لم نجد في كتب الفقه ما يشعر بصحة هذا التصرف إلا كلمة قالها الماوردي في الأحكام السلطانية عند الحديث عن لعب البنات، ونصه: «وأما اللعب فليس يقصد بها المعاصي وإنما يقصد بها إلف البنات لتربية الأولاد، وفيها وجه من وجوه التدبير تقارنه معصية بتصوير ذوات الأرواح ومشابهة الأصنام؛ فللتمكين منها وجه، وللمنع منها وجه، وبحسب ما تقتضيه شواهد الأحوال يكون إنكاره وإقراره».

وإذا أراد الماوردي من شواهد الأحوال، الأحوال التي نص فيها الشارح على منع التصوير أو إباحته، لم يبق بأيدينا نص من الفقهاء في إباحة التصوير عند ما يكون له - فيما يظهر - فائدة.

ومن المواضع التي ينتفع فيها بالتصوير لهذا العهد أن يوجد قتييل في خلاء ولا يعرف من أي قبيل هو، فتؤخذ صورته لتعرض في الصحف لعل أهله يطلعون عليها، ويترتب على درايتهم بقتله نحو الارث وتنفيذ الوصايا، وفي حضور أهله معونة على تحقيق البحث في الجناية.

ويشبه هذا أن يوجد صبي ضائعاً فتؤخذ صورته لتعرض في الصحف؛ حتى إذا رآها وليه جاء فتسلمه؛ ومن هذا القبيل وضع صورة من مرد على الجنايات، في الصحف أو في المجتمعات العامة ليحذره الناس فيسلموا من أذيته، ويضاهي هذا رسم أشكال الحيوانات في كتب علم الحيوان؛ إذ يتوقف عليه الرسوخ في ذلك العلم.

فهذه الأحوال ونحوها مما يظهر فيه وجه الانتفاع بالتصوير، يصح أن يؤخذ فيها بمذهب من يبيح تصوير ما ليس له ظل، مرفوعاً كان أو ممتناً، ناقص بعض الأعضاء أو تامها.

اتخاذ الصور :

الصور على نوعين : (١) ما ليس له ظل كالمرقوم في ثوب أو المرسوم في ورق .

(٢) وما له ظل وهو ما كان ذا جسم قائم بنفسه ، أما ما ليس له ظل ففيه أربعة مذاهب :

(أحدها) المنع من اتخاذه باطلاق وقوفامع ظاهر الأحاديث الواردة في الوعيد أو النهي غير مصحوبة بقيد .

(ثانيها) منع ما تكون فيه الصورة متصلة الهياة تامة الشكل ، وإباحة اتخاذ ما كان غير تام الشكل وما تفرقت أجزاؤه بعد أن كانت ملتئمة ، وهذا ما اختاره القاضى أبو بكر بن العربى ورجحه ابن عبد البر ، وهذا المذهب نشأ بالجمع بين حديثين فى ظاهرهما تعارض ، وهما حديث هتك النبى صلى الله عليه وسلم للستر الذى كان فيه تماثيل ، وجعل عائشة رضى الله عنها منه وسادتين ؛ وحديث قيامه عليه الصلاة والسلام بباب الحجرة إذ رأى نمرقة فيها تصاوير حتى قال منكرا ذلك : (ما هذه النمرقة) ؟ فقالت له عائشة : لتجاس عليها وتوسدها ، فلم يقر ذلك ، بل قال : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم » . فالحديث الأول يدل على أن الصورة المنسوجة فى نحو الوسادة جائزة ، والحديث الثانى يدل على أنها ممنوعة ومتى قلنا : إن الصورة فى الحديث الأول — عندما جعل الستر وسادة — لم تبق تامة الشكل بل تفرقت أجزاؤها ، فكانت جائزة ، والصورة فى الحديث الثانى كانت تامة الهياة فأنكرها عليه الصلاة والسلام ، زالت شبهة التعارض بين الحديثين .

(ثالثها) منع ما يكون معلقا أو مرفوعا ، وإباحة ما يكون مفروشا أو ممتنا بالاستعمال كالصور المرقومة فى وسائد أو زرابى ، وهذا هو الذى رواه المزنى عن الامام الشافعى ورجحه النووى وقال : هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين ، والفرق بين المعلق والمفروش أن ما يوطأ ممتن ومبتذل ، والمرفوع يشبه ما نصب من الأضنام ، والصور الممتنة يرجح الامام النووى جواز استعمالها ، ويجزم مع هذا بجرمة صنعها



(رابعها) الجواز باطلاق ، وهو ما نقله ابن أبي شيبة عن القاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة السبعة ، ولفظه : ( عن أبي عون قال : دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته فرأيت في بيته حجلة فيها تصاوير القندس <sup>(١)</sup> والعنقاء ) .

وهذا المذهب يستند الى حديث بسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن أبي طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة » . قال بسر : ثم اشتكى زيد فعندناه فاذا على بابه ستر فيه صورة ، فقلت لعبيد الله ربيب ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول ؟ فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال : ( إلا رقاقا في ثوب ) ؟ وفي كتاب الموطأ : ( أن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود دخل على أبي طلحة الأنصاري يعموده ، فوجد عنده سهل بن حنيف ، فدعا أبو طلحة إنسانا فنزع نمطا من تحته ؛ فقال سهل بن حنيف لم تنزعه ؟ قال : لأن فيه تصاوير ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت ، فقال سهل : ألم يقل رسول الله عليه وسلم ( إلا رقاقا في ثوب ) ؟ قال : بلى ولكنه أطيب لنفسى . وعلى هذا المذهب جرى المتأخرون من فقهاء المالكية غير أنهم عبروا بالكراهة وخلاف الأولى ؛ قال الشيخ خليل في كتاب التوضيح : التمثال إن كان لغير حيوان جاز ، وإن كان لحيوان ويقيم ( أى يبقى طويلا ) فهو حرام باجماع ، وكذا إن لم يقيم خلافا لأصبع ، وما ليس له ظل إن كان غير ممتن فهو مكروه ، وإن كان ممتنا فتركه أولى . ومن أهل العلم من يرى أن النهى عن اتخاذ الصور قد جاء في أول الاسلام عاما ليقطع الوسيلة الى عبادة الاصنام ، وبعد أن تقرر هذا الحكم وعرف الناس شدة مقت الشارع للتغالى في تعظيم غير الله الى حد العبادة ، أذن في اتخاذ ما كان رقاقا في ثوب ، فيكون حديث ( إلا رقاقا في ثوب ) مرخصا في بعض ما حرم في أول الأمر من التصاوير

وأما له ظل قائم وكان تام الأعضاء مصنوعا مما يبقى زمن طويلا ولم تدع اليه مصلحة التدريب على تدبير المنزل فيحرم اتخاذه بلا خلاف ، والرأى الشاذ الذى حكاه بعض المفسرين فى جواز صنعه ، ومقتضاه جواز اقتنائه ، لا يستند الى أصل معقول أو وجه يتلقاه النظر بالقبول

فان كان ناقص بعض الأعضاء الظاهرة كالرأس أو البطن فذلك ما يفتى المتأخرون من فقهاء المالكية بإباحته ، وإن كان مصنوعا مما لا يبقى زمن طويلا فهو ما يقول أصبغ يجوز اتخاذه ، وإن دعت اليه حاجة التدريب على إدارة شؤون المنزل فهو جائز عند بعض الفقهاء ؛ مستندا الى ما قدمناه لك من حديث عائشة رضى الله عنها فى اتخاذها صور بنات تلعب بهن على مرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير إنكار .  
وبهذا التفصيل يعلم حكم إقامة تماثيل للعطاء م

محمد الخضر حسين

## كتاب المبسوط

أهدى حضرة الفاضل الحاج محمد افندى الساسى المغربى لمكتبة « نور الاسلام » نسخة من كتاب المبسوط ، وهو كتاب جليل ومرجع عظيم من مراجع الفقه الحنفى للامام شمس الدين أبى بكر محمد بن أبى سهل السرخسى ؛ أملاه وهو فى الحبس بأوزجند ، وقد شرح به مختصر الحاكم الشهيد أبى الفضل المروزى المأخوذ من تصنيف الامام محمد ابن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة رحمهما الله وقد اكتفى السرخسى بذكر ما هو المعتمد فى كل باب بعبارة سهلة محكمة .

والكتاب ثلاثون جزءا وقد طبعه حضرة المهدي سنة ١٣٤٢ هـ طبعة متقنة على ورق جيد ، فنشكره على هديته ونحث أهل العلم على اقتنائه ، وهو يطلب من مكتبة ملتزم طبعه ومهديه فى سوق الفحامين .

# أثر الثقافة الإسلامية

في تطور النهضة الفكرية

لمحة منه التاريخ

— ٢ —

تحدثنا في المقال الأول عن أنواع من الثقافة الإسلامية — في مرحلتها الأولى — أفاضها القرآن الكريم على أبناء الإسلام فدفعتهم الى باحات العلوم والمعارف دفعا غير وجه التاريخ وأثر عقولا تنقضى الأجيال تلو الأجيال ولا تجود الدنيا بمثلهم، وذلك سر الفرق بين تعاليم الوحي الالهي — الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم عند بلوغ الانسانية حد النضوج الفكري واستعدادها لقبول تشريع سماوي خاتم ينفي بحاجاتها الروحية والمادية على ممر الأزمان — وبين تعاليم يستقل العقل البشري بوضعها، فلا تعدو معها ارتقت في البحث والتحصيل دائرة الفرض والتخمين على ما في العقول من تفاوت بالضعف والقوة واختلاف في التفكير.

والآن نأخذ في الحديث عن نوع آخر من الثقافة الإسلامية — في مرحلتها الثانية — حتى يشهد المثقفون من إخواننا أن الثقافة الإسلامية لم تقف عند حد النهوض بالأمة الإسلامية في عصورها الزاهرة، بل كان لها أعظم الأثر في اتجاه الفكر الحديث؛ ويعلموا أن هذه الشريعة المطهرة تمتلك ثروة خالدة من الثقافة الفكرية والتهضة العلمية، لا نعلم شريعة من الشرائع جاءت بمثل حظها منها، ولذا كانت المعجزة العلمية — وهي القرآن الحكيم — أفضل معجزات نبينا صلوات الله وسلامه عليه على كثرتها ووضوحها، ولعل هذا مما يدخل في ثنايا قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما

رواه الصحيحان : ( ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ؛ وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثر تابعاً يوم القيامة ) . ولئن كان فريق من الناس يحاول ستر محاسن الشريعة الإسلامية — وما هو ببالغه — فأنما ذلك لسوء طوية وتباعد عن تفهم أسرار السكالم فى هذا الدين القيم الذى قال عنه الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام : ( إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ) .

## المرحلة الثانية

### ظهور الفلسفة وأطوارها :

كان فتح مدرسة « دار الحكمة » التى أسسها أبو جعفر المنصور فى مدينة بغداد عاصمة الملك الجديدة لدرس الفلسفة بدءاً للمرحلة الثانية للثقافة الإسلامية ، فقد دعا إليها العلماء والفلاسفة والأطباء من سائر الأقطار ومختلف الملل ، ووطأ للعلماء أسباب البحث العلمى ، وهباً للفلاسفة وسائل الترجمة والنقل عن علوم الأوائل ؛ فتقدم فلاسفة جندينسابور ، وهوران ، وأنطاكية ، من اليعاقبة والنساطرة والسريران والعبريين ، وعربوا ما استطاعوا من حكمة الهند وفلسفة اليونان وعلوم الفرس مما جعل « دار السلام » الزاهية محط رحال العلماء والفلاسفة ؛ وإذا حدثنا التاريخ عن المكانة الرفيعة التى نالها آل « بختيشوع »<sup>(١)</sup> أو عن المنزلة التى حظى بها أبناء « ماسويه »<sup>(٢)</sup> وسواهم من فلاسفة النصارى وأطباء اليهود الذين خدموا الملوك والخلفاء وتبوؤا لديهم مقاما

(١) أشهرهم ( بختيشوع بن جورجيس ) وأبوه وابنه ( جبرائيل ) وحفيده ( بختيشوع بن جبرائيل ) وهو أجلبهم منزلة حتى أنه كان يبارى الخلفاء فى مظهره وكلهم خدموا الخلفاء العباسيين

(٢) ماسويه كان لا يقرأ ولا يكتب وإنما عرف الأمراض وعلاجها بالدربة والمباشرة وابنه ( ميخائيل ) كان طبيباً ماهراً خدم المأمون مدة من حياته : وأما أخوه ( يوحنا بن ماسويه ) وكان أحذق منه وأرسخ قدما وأعظم مكانة عند الامراء . ولاء ( الرشيد ) ترجمة الكتب القديمة الطبية وكان ملوك الهاميين لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بمحضرة .

لم يحلم به العلماء والفلاسفة في غير كنف المسلمين ، فانما ذلك أثر التريبة النفسية الفاضلة والسماحة الإسلامية التي استقهاها المسلمون من تعاليم القرآن الحكيم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأين هذا الاجلال والتعظيم بله التسامح السامى مما سود وجه صحيفة المدينة الغربية في واقعة « سان برتلमी » <sup>(١)</sup> ، تلك الواقعة التي ذهب ضحيتها زمرة من علمائهم ومفكرهم ?? فهل يذكرون مصرع « غاليليه » و « باتريزى » و « كامبانيلا » وغيرهم كيف كان ?? وبأى جزاء جازتهم أمهم على أبحاثهم العلمية ?? إنهم قدموا إلى النيران أحياء لأنهم فكروا وحرروا العلم من رق الكنيسة وطقوسها .

أجل : هو الاسلام الناهض يقود أهله الى حظيرة تقديس العلم والعلماء ، أو لست تراه قد صعد بأمتة الى أوج العزة فأجاسها على عرش العظمة التي دانت لها الممالك طرا يوم أن كانوا بهديه مهتدين ، ثم ذا هو تركهم فى أيدي الأمم نهبا مقسما وغما بلا غرم لأنهم نبذوا تعاليمه وراءهم ظهريا واستنوا سننا ما أنزل الله بها من سلطان ?? اذا حاول الباحث أن يتعرف حقيقة الثقافة الإسلامية فى العهد العباسى وما تلاه وجد أمامه ( نوعين ) من الثقافة مختلفي المظهر والمصدر .

(النوع الأول) ثقافة قامت على الأصول الإسلامية خلية من الشوائب والريب تنصل بالثقافة فى مرحلتها الأولى اتصالا وثيقا ، أو هى الحلقة الوصلية بين الثقافتين ، وهذا النوع حمل لواءه قوم فقهوا دين الله وغاصوا على أسرارهم بفهم مستقيم وعقل رصين ، فلم يحدوا فى أحكام الدين ما يصددهم عن سبيل النظر فى علوم الغابرین ، بل رأوا أن القرآن الحكيم أعظم شأن الحكمة وأعلا قدرها فقال تعالى : ( يُؤْتِ

(١) فى أول القرن السادس عشر ظهر المذهب « البروتستانتي » فى المانية وما زال يمد أطرافه حتى وصل الى فرنسا . فلم تزح الملكة ( كاترين ) الى انتشاره فى بلادها . فعزمت والكنيسة الكاثوليكية من ورائها تؤيدها على إعادة معتنيه . فتربصت حتى كان يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢م وهو يوم عيد عندهم وفيه هجم الكاثوليك على البروتستانتين وقتكوا بهم فى مذبحة دامت ثلاثة أيام .

الْحِكْمَةُ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا). والحكمة كما يقول العلامة العيني في شرح البخارى: معرفة الأشياء على ما هي عليه، أو هي كما يقول إمام الأئمة مالك بن أنس رضى الله عنه: معرفة الدين والفقه فيه، ومالك رحمه الله وهو إمام المسلمين لا يعنى بمعرفة الدين والفقه فيه معنى يقصرون شموله كافة العلوم، وعن النخعي: هي معرفة الأشياء وفهمها، وهذه العلوم الفلسفية التي كانت عند الأمم الماضية وترجمت الى اللسان العربى المبين فى العصر العباسى إن هي إلا معارف لا تخلو عن نفع ولا يجرم الباحث فى غرضونها من بادرة ينتمزها أو شاردة يلتقطها أو فائدة يستفيدها، فهذا السبب سوغ المخلصين من علماء الاسلام أن يلجوا مداخل الفلسفة سيما وأن هذه العلوم احتوت طرقا جدلية استمسك بها طوائف اعوج بهم سبيل النظر فاتهمضوا لمحااجة علماء الاسلام ومجادلتهم فى الدين؛ فكان لا بد لهم من معرفة حقائقها ليدفعوا الباطل بسلاحه حتى يكون أمكن فى الالتزام.

على هذا النحو أقبلوا على درس علوم الأوائل وفلسفتهم، يزنون المعانى بقسطاس العقل الرجيع الذى أحاطه الدين بسياج من العصمة عن الزلل فى العقيدة أو الزينغ فى الايمان بعد أن كانت فى بطون الكتب المكدسة فى أجواف المكاتب لا تجد عقولا ذكية حرة التفكير طليقة من أغلال الكنائس والبيع، حتى جاءها العقل العربى بـ «نور الاسلام» فأزاح عنها غياهب ظلمات الأحقاب، ورفع عن أسرارها النقاب، وأضاف إليها ما كمل نقصها وبين ما فيها من زائف العقول التى لم تعتم بصحة السماء ولم تستنر بنور «الهداية الإسلامية»، وقد أنجبت هذه النهضة المباركة أعلاما لم يشهد التاريخ مثل عظمتهم الفكرية؛ فهذا إمام الجماعة «أبو الحسن الأشعرى» ما أطفأ جذوة الاعتزال غير حجته الدامغة، وهذا شيخ السنة القاضى «أبو بكر بن الباقلانى» المالكى كان سيفاً من سيوف الحق، وهذا صاحبه «ابن فورك» جعله الله لساناً من ألسنة الحكمة والجدل، وإذا ذكر الباقلانى وابن فورك فلا يذهب عن الفكر إلا ستاذ الفاضل «أبو اسحق الاسفرايينى» فهو ثالثهم فى رفع راية الدفاع عن عقيدة الجماعة.

وفي ثلاثتهم يقول الوزير صاحب بن عباد : « ابن الباقلافي بحر مغرق ، وابن فورك صلّ مطرق ، والاسفراييني نار تحرق » ، وفي الحق إن الله جاء بهم في زمن لو لم يكونوا فيه لعظمت الفتنة على المسلمين ، فقد قرب الخلفاء في زمنهم زعماء الطوائف المبتدعة ورفعوا أمكنتهم حتى هاب العلماء المناظرة معهم فلم يكن أقدر على ولوج هذه المعمعة على ما فيها من أخطار غير أبي بكر وصاحبيه ، ثم جاء بعد هؤلاء إمام الحرمين أبو المعالي « عبد الملك الجويني » وسيف الدين « الآمدي » و « نحر الدين الرازي » ومن نهج نهجهم القويم من الذين درسوا الفلسفة لينذروا عن حوض الدين ويردوا تلبيس الملبسين ؛ كانت أفكارهم وما تزال بعنوان عبقرية فذة وعقلية عديمة المثال .

( النوع الثاني ) ثقافة قامت على درس الحكمة باعتبارها علوما فلسفية يرجع الحكم فيها الى قانون العقل ؛ وزعماء هذه النهضة أوتوا من الذكاء وقوة النفس والصبر على عناء البحث والتأييد من أمراء عصرهم ما هيا لهم سبيل الغوص في محيط الفلسفة بشجاعة نادرة وعقول لا تعرف الحذر ، بل انساقوا إليها انسياق الواله الدؤوب ، وإن تكن هذه النهضة الفلسفية بدأت من عهد أبي جعفر المنصور إلا أنها لم تبلغ قبل عصر المأمون الشأو الذي بلغته فيه .

ارتقى المأمون أريكة الخلافة العباسية مؤيدا من لدن خوئلته الفارسية ، والفرس يومئذ كانوا قد استولوا على كثير من مرافق الدولة ومناصبها الخطيرة ومرجل الضغينة يغلي في أفئدتهم على العرب الذين قوضوا كسرويتهم وهدموا بيوت نارهم وأحلوا بينهم السلام والاسلام ، وهذه الضغينة كامنة كالشرر يتطاير كلما رن زناد الفتنة في الدين لأنه منشأ الجامعة الإسلامية ومصدر الدولة العربية ، وقد أدرك هذا الضرب من عدوان الأعاجم السرى الخليفة « الرشيد » فأوقع بالبرامكة في قسوة الملوك اذا لمحو مغمزا في جسم الدولة أو معولا يهوى الى بناء الدين ، غير أن هذا الدواء أتى بعد أن ضرب الداء الى القلب فلم يكن مستأصلا وإنما كان مسكنا فحسب ، ولذا كان على أيدي الأعاجم انقضاء الدولة العباسية .

في حياة المأمون العلمية ظاهرة ثان لا يستطيع الباحث أن يمر على تاريخ الثقافة في عصره دون أن يستوقفه لما لها من الأثر الواضح في تلوين الحياة العلمية الاسلامية بلون تميزت به عن الثقافة الاسلامية في عصورها الأولى من فجر الاسلام الى آخر عهد أبيه « الرشيد » .

الظاهرة الاولى : أخذه بمذهب الشيعة أخذًا جريئًا ، فان التاريخ يحدّثنا عن موقف الحذر ، بل موقف الهجوم الذي وقفه العباسيون في أول عهدهم بالخلافة والملك إزاء أبناء عمومتهم من العلويين ، ويحدّثنا عن ترصد هؤلاء وتطلعهم الى الامارة التي كانوا يرون أنها حق لهم مغضوب ، فما إن تبوأ المأمون عرش الخلافة حتى بدد سحب البغضاء بين أبناء العصبية الهاشمية وقرب الطالبين إليه وأدناهم من مجالسه الخاصة وأغدق عليهم واسع هباته وعطاياه ، ولم يقف نزوع المأمون لهذا المذهب الى هذا المدى ، بل يذكر المؤرخون أنه عقد العزم على البيعة من بعده الى سيد من غطارفة هؤلاء السادة ، فلما أحس آل بيته منه ذلك ائتمروا فيما بينهم على ألاّ يسلموا في ملك استولوا عليه ببذل الأرواح ، وكان هذا سببا لنقض ما وثقه في نفسه ، أما دفاعه العلمي عن هذا المذهب ففي كتب التاريخ والأدب منه الكفاية ، والذي يستوقف النظر أن دعاة هذا المذهب الذين مثلوا دوره في عصور التاريخ الاسلامي وحملوا لواءه من بدء نشأته إنما هم زعماء الأعاجم الذين دخلوا في حظيرة الدين بعد الفتح الاسلامي ، ومهما يكن مبلغ هذا المذهب — الذي كان له أظهر الآثار في الانقلابات الاسلامية من عقيدة المأمون فانه ظاهرة انفرد بها عن آباءه من الخلفاء قبله .

الظاهرة الثانية : انحيازه بكليته للفلسفة انحيازًا دفعه الى حمايتها بقوة الحكم ورهبة السلطان وتأيدها تأييدا أفسح المجال أمام الذين أحبوا الفلسفة من أعماق قلوبهم فأولوها كل عنايتهم وانكبوا على درسها درسًا عميقًا ، وقد كانوا خليطًا من المسلمين وغيرهم ، درسوا الفلسفة ليكونوا فلاسفة يحتكمون الى العقل والمنطق ، ومنهم



من حاول مزج الفلسفة بقواعد الدين مزجاً لا يستقيم مع التفكير الموزون ، ومن ثمّ تفرعت أكثر الفرق التي سلكت في الدين سبيلاً ملتوية ضلت بها منهج الحق .

يشيد بعض الناس بالثقافة في العصر العباسي ويعتبرونها المثل الأعلى للثقافة الإسلامية ، وما نلومهم بل نحمد لهم إشادتهم لو أنهم يذكرون ذلك اعترافاً بفضل الاسلام الذي أطلق العقول من عقالها وتقديراً لعظمة العقل العربي الناضج وتقريراً للحقيقة في غير إزراء بتعاليم الاسلام وغمط لتاريخ سلفنا الصالح ، ولكن الذي يؤسفنا من هؤلاء الشادين أنهم يجعلون نقل علوم الفرس وترجمة فلسفة اليونان والهند هما مفخرة العباسيين وهما مصدر الثقافة الإسلامية ، فإذا ما ذكرنا ما جاء به الاسلام من تعاليم سامية أهابت بالعقل الانساني فأيقظته من رقدته ونهته من خموله — فشر بين الملأ هذه العلوم التي لولا الروح العالمي الذي سرى في الأمة الإسلامية سريان الماء في شجر البادية ما شهد التاريخ قيامه هذه الثقافات من رسمها — رأيتهم ينفضون إليك رؤوسهم منكبين ساخرين ، أولئك قوم جهلوا الاسلام فخار به ، وإن يكن منهم من اتسم بسمعة الاسلام أو تسمى باسم المسامين فذلك إنما جاءهم بالوراثه لا بالعقيدة والفطرة .

ومهما يكن من أمر هذه النهضة فإنها أنجبت رجالاً أفذاذاً في تاريخ الفلسفة لا تزال آراؤهم عاملاً قوياً في تطور النهضة الفكرية قديماً وحديثاً ، فهذا أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي العربي الصميم — جده الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم — يقول عنه الوزير جمال الدين القفطى : (المشتهر في الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية متخصص بأحكام النجوم وإحكام سائر العلوم فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها) . وهذا محمد أبو نصر الفارابي يقول عنه القفطى أيضاً : ( فيلسوف المسلمين غير مدافع قرأ العلم الحكيم وبرز فيه على أقرانه وأربى عليهم في التحقيق وشرح الكتب المنطقية وأظهر غامضها وكشف سرها وقرب متناولها ) . وهذا شيخ الفلاسفة وأمير الأطباء الرئيس أبو علي بن سينا نحاً في الفلاسفة نحو استقلالها بديعاً ، فاسمع إليه يحدثك عن منهجه في البحث في آخر إشاراته إذ يقول :

(إياك وأن يكون تكيسك وتبرزك عن العامة أن تنبرى منكراً لكل شيء فذلك طيش وعجز ، وليس الخرق في تكذيبك ما لم تستبن لك بعد جليلة دون الخرق في تصديقك ما لم تقم بين يديك بينته ، بل عليك بالاعتصام بحبل التوقف ، وإن أزعجك استنكار ما يوعاه سمعك ما لم تبرهن استحالته لك ، فالصواب ، أن تسرح أمثال ذلك الى بقعة الامكان ما لم يذك عنه قائم البرهان ) .

بيد أن انتصار الفلاسفة الاسلاميين للفلسفة انتصاراً كلياً أفضى الى التعقيد في مسائل من الالهيات انتهض لتحقيقها ورد مزاعم المتفلسفة في شأنها كثير من المحققين والجهلي في حلبة هذا المضمار حجة الاسلام أبو حامد الغزالي ، فانه رحمه الله تعالى درس الفلسفة فكان فيلسوفاً متبحراً ودرس الشريعة فكان إماماً حاذقاً وكتابه «تهافت الفلاسفة» من الطراز الأول في تحليل شبه المتفلسفة وتحقيق الحجج للدفاع عن العقيدة الاسلامية ، وقد خلع أبو حامد رضى الله عنه على الفلسفة رداء نسيج وحده فلم ير النظر فيها إلا للخواص الذين امتازوا بجودة الذهن وسمو التفكير ، ولذا قال في كتابه «القسطاس المستقيم» : (المدعو الى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم ، وبالمجادلة قوم ، فان الحكمة إن غدى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . . . الخ) . وهو لا يرى التسليم بما ينحط عن رتبة اليقين ولا يرى اليقين إلا ثمرة المعرفة والنظر فيقول في كتاب «ميزان العمل» بعد أن وصف آراء الحكماء . (ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث لكنني بذلك نفعاً فإن من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والحريرة) . فهل سمع المجددون من معلمي العصر نداء الاسلام في صوت الغزالي ؟ (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

هذا الأخذ والرد وذلك المد والجزر في محيط الفلسفة طوح بسفينتها الى أيد لم تحسن سياستها وعدلت بها عن النهج المستقيم تحت طي الخفاء فأسسوا جماعات سرية كان من أهمها وأبعدها شأواً في هذا الميدان جماعة (إخوان الصفا وخلان الوفا)

وهم قوم اجتمعوا وزعموا أنهم يوفقون بين أحكام الدين والفلسفة فألفوا كتابا يشمل خمسين رسالة كل واحدة منها في نوع من الفلسفة ورسالة فوق الخمسين جامعة لضمون الرسائل كلها على سبيل الإيجاز والاختصار ، وقالوا : ( إنهم رأوا أن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وأنه متى اتفقت الفلسفة اليونانية والشريعة « العربية » فقد حصل الكمال ) . وقد نشروا هذه الرسائل وكتبوا أسماءهم فتلحقها علماء الاسلام الأجلاء المحققون بالبحث والتحصيل والنظر المعمق ونبهوا على ما فيها من مغامز ومزالق وهي في جملتها كما يقول الوزير القفطى : ( مقالات مشوقات غير مستقصاة ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج ) . ومن حذر من الوقوع في شركها وصرح بضلال مصنفها الامام الراسخ أبو بكر بن العربي الفقيه في كتابه « العواصم والقواصم » . وأبو سليمان السجستاني من علماء القرن الرابع وكانت له دراية بالفلسفة فان تلميذه أبا حيان التوحيدى عرض عليه رسائلهم فنظر فيها وتجرها ثم قال : ( هؤلاء قوم تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجدوا وحاموا وما وردوا .. ونسجوا فهاهلوا ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطيع ... على أن وراء هذه الطوائف جماعة أيضا لهم مأخذ من هذه الأغراض ) . وهذا أبو حيان نفسه يقول في وصفها : ( وهي مبثوثة في كل فن بلا إشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكنيات وتلفيقات وترليقات ) .

### النهضة الأندلسية :

بهذا الاتجاه من أنصار الفلسفة وهذا الجهاد من علماء الاسلام انطلقا مصباحا من المشرق وتسلمت قيادتها الدولة العربية الأندلسية في المغرب ، وهذا برهان على أن مجد الفلسفة المستقيمة قرين الفطرة العربية ، فحيثما كان مجد العقلية العربية في أوجه كان بهاء الفلسفة والحكمة بالغاحد الكمال .

هذه الدولة الفتية الناهضة القوية ازدهرت في أيامها الصنائع والفنون وزهت

في عصرها العلوم والمعارف وبلغت في عواصمها الحضارة مبلغا يفوق الوصف والتقدير، وكان نصيب الفلسفة فيها أوفر .

وقد نبت في أحضان هذه الدولة الزاهرة فيلسوف طبق ذكره الآفاق، وطأ طأ فلاسفة الغرب لعظمته الأعناق؛ ذلك هو القاضي أبو الوليد حكيم الإسلام غير منازع وفيلسوف الشرق غير مدافع أستاذ المشرقين والمغربين مالك ناصية الحكمة والقباض على زمام الفلسفة الامام الفقيه (محمد بن أحمد بن رشد) الحفيد الذي شهد بعظمته فلاسفة أوربة قال الأستاذ (هورتن) المستشرق الألماني في كتابه: «استعداد الإسلام لقبول الثقافة الروحية»: (ابن رشد الفيلاسوف الطائر الصيـت في القرون الوسطى كان إيمانه بالله عظيما وكان معتصما بالقرآن حتى بكل كلمة في القرآن ومع ذلك لم يمنعه دينه والقرآن الذي يعتصم به من مطالعة الفلسفة اليونانية والأخذ من آثار أرسطو طاليس والبناء عليها).

#### صلة الثقافة الإسلامية بالثقافة الأوروبية:

حسبنا الآن أن نشير الى هذه الصلة بما يقوله المنصفون من علماء الغرب قال العلامة (هوبولد): (إن العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة بين العلوم وأسباب التمدن وبين الأمم لأن لهم مقتضى طبيعتهم حركة تخصهم أثرت في الدنيا تأثيرا لا يشق به غيره، فأنهم كانوا يحملون معهم التمدن فحيثما حلوا حل معهم فينبشون في الناس دينهم وعلومهم وانغمهم وتهذيباتهم)، يوم أن كانت أوربة كما يقول (دروى) العالم الفرنسى: (لا ترى الضوء إلا من سم الخياط). وقال (هوبولد) أيضا: (ثبت عندنا بما صنعه العرب واخترعوه رجحان عقولهم الغريب في ذلك الوقت الذى وصل صيته الى أوربة النصرانية وهذا حجة على أنهم أساتذتنا ومعلمونا) ويقول الاستاذ (جوستاف لوبون): (إن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر واستقامة الدين). (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ).

